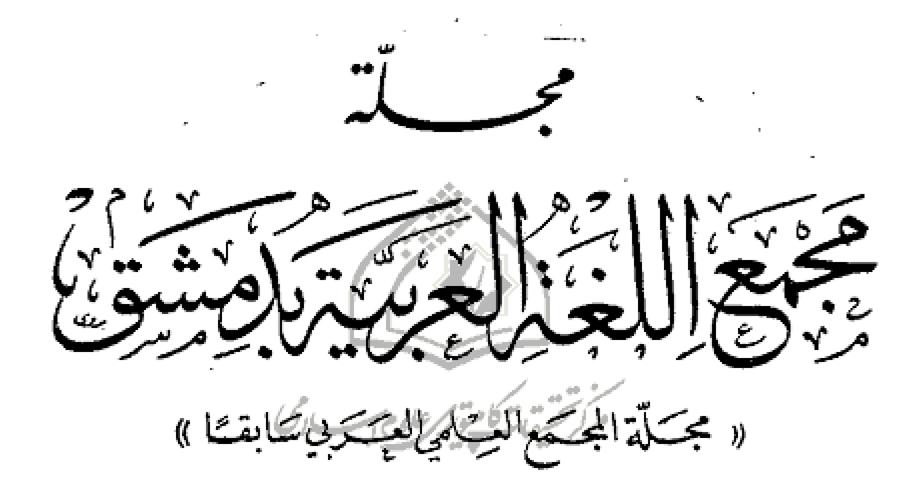
الجزء الأول ٣٧٥ المجلد الخمسون





محرم سنة ١٣٩٥ هـ
كانون الثاني سنة ١٩٧٥ م



ص . ب ٣٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار	١٢٠٠ قرش سوري
	أو ما يعادلها	جنيه وعشرة شلنات
	» »	ثلاثة دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

صفحة خالدة

الأستاذ شفيق جبري

في الجزء الثالث من يتيمة الدهر صفحة في التجديد كتبها أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم ، قال أبو الحسين : « ومن ذا حظر على المتأخر مضادّة المتقدّم ، ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ، وهل الدنيا إلاّ أزمان ، ولكل زمانٍ منها رجال ، وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلاّ خطرات الأوهام ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم، ووقفها على وقتٍ محدود ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتّى يؤلّف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويرى في كل ذلك رأيه وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ، أو علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة . . . » إلى أن قال : « ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلّت أفهام ثاقبة ، ولكلّت ألسنة لسنة ، ولما وشّى أحد خطابه ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة ، ولمجّت الأسماع كل مردّدٍ مكرّرٍ ، وللفظت القلوب كل مرجّع ممضّغ » .

صفحة خالدة في أدبنا تدلّ على امتداد فكر صاحبها ، وعلى إيمانه الشديد بانتقال الحياة من طور إلى طور على تراخي الأحقاب ، فهو عدوّ الجمود ، وهو نصير التجديد ، ولا ريب في أن الجمود إنما هو عنوان الموت ، وأنّ التجديد إنما هو دليل الحياة ، وليس بي حاجة إلى إيضاح شيء ممّا جاء ذكره في قول

ابن فارس ، فقد قال كلّ شيء ، وأوضح كلّ شيء ، فلم يترك مجالاً لقائل ، كما أنه لم يترك مجالاً لإيضاح ، وحرام عليّ تجزئة هذه الصفحة واختصار أفكارها ، فبلاغتها قائمة بتناسقها .

قد يخطر على البال أن ابن فارس قد أهمل شيئاً لم يشر إليه ، ماهو هذا الشيء ، قد يخطر على البال أن ابن فارس لمّا أشار إلى التجديد في الأدب لم يشر إلى المحافظة على روح اللغة في هذا التجديد ، ولكن ابن فارس أعقل من أن يفوته هـذا الأمر ، وإذا كان لم ينبّه عليه فلأنه يعتقد على ما نرى أن هـذه المحافظة إنما هي من بدائه الأمور ، فلولا المحافظة على روح اللغة في التجديد لما كان لهذا التجديد معنى وضاع الأدب واللغة ، فليس معنى التجديد أن يخلق كل عصرٍ من العصور لغةً خاصة وأدباً خاصاً ، وأن يخرج بهذه اللغة وبهذا الأدب عن روحها وجوهرهما ، فلو كان الأمر كذلك لتعاقبت العصور دون أن يفهم كلّ عصرٍ لغة العصر الذي تقدّمه والأدب الذي جاء قبله .

إذا رجعنا إلى لغتنا وإلى أدبنا في قديم عصورهما وجدنا أن اللغة لم تثبت على طورٍ من الأطوار ، وإن الأدب لم يحافظ على شكل من الأشكال ، فاللغة من بدء الإسلام ظهرت أطوارها التي دخلت فيها ، وهذا موضوع مديد لا يمكن حصره في مقالٍ مثل هذا المقال ، فالإسلام قد حوّل ألفاظاً عن معنى إلى معنى ، ثم حدثت علوم فاضطروا إلى وضع ألفاظٍ لها كما وضعوا ألفاظاً للنحو والفلسفة وغيرها ، وما يقال في اللغة يقال في الأدب ، فالشعر لما انتقل من مضارب البدو في جاهليته إلى قصور الخلفاء في بغداد وغيرها اضطر أصحابه في الحضر إلى أن يأتوا بصور تخالف صور البدو ، وهذا أمر نشهده في شعرائنا لا يحتاج إلى برهان عليه .

لكنّ الشعر لما انتقل من أفق إلى أفق حافظ على روح اللغة وعلى

جوهرها ، فلم يأت أصحابه بصور غامضة ٍ ولا أتوا بلغة ٍ تنفر عنها أذواقنا ، وإذا كان المجـال لا يتّسع للتبسط في هذا السبيل فلا أقلّ من الاستشهاد بشاعر طبع شعره بروح عصره فكان فيه تجديد من جهة وكان فيه محافظة على روح اللغة وجوهرها من جهة ثانية ، ماذا فعل البحتري في شعره ، ليس موضوعي الإتيان على خصائص لغة البحتري في إدخال شعره في طور ٍ جديد يختلف عن الأطوار التي كان الشعر فيها على أيام الجاهلية وبعدها ، إنما أرى أنه لا بدّ من الإشـارة إلى شيء من يسير ٍ من هذه الخصائص ، فقد رجعت إلى دفاتري التي دوّنت فيها بعض روح اللغة التي كان يستعملها البحتري فوجدت أنه رزق قدرة غريبة على التأليف بين الألفاظ من ذلك مثلاً قوله : شباب الدنيا ... بشاشة النعم ... بهجة الخلافة ، ومثل هذه القدرة نجدها في الصفات التي يطلقها على الموصوفات ، مثل قوله : القصور البيض . . . البوادي السود . . . فقـد ينفخ في الموصوفات روحاً تدخل الحياة عليها ، وربما مررنا ببعض شعره بصفة ٍ يخيّل إلينا أنهـا من توليد العصر الذي نعيش فيه مثل قوله : همّة مجنونة .

والخلاصة أن البحتري لما أدخل شعره في طور جديد حافظ على روح اللغة في هذا الطور ، ولم يخرج عن محاسن ذوقها ، فقد مرّ عليه أكثر من ألف سنة ونحن لانزال نرى أن لغته كأنّها من لغة هذا العصر ، فلا ننفر عن صفاته التي أطلقها على الموصوفات ، ولا نستغرب تأليفه بين الألفاظ ، فهو لم يأت بشيء لم يفهمه عصره ولا فهمته العصور التي جاءت بعده ، فقد نمرّ في أيامنا ببعض شعر ٍ لا نفهمه نحن ، ولا تفهمه العصور في الآتي وهذا هو موت اللغة بأجمعها .

إنا لا نستطيع أن نقف في سبيل قانون من قوانين الحياة بلـغ من القوة كلّ مبلغ ، إنا لا نستطيع أن ننكر أن الحيـاة تتجدّد من زمن

إلى زمنٍ ، وإن هذا التجديد يستوجب لغةً خاصة وصيغة خاصة ، ولكن الذي ننكره أن تكون هذه اللغة غريبة عن أهلها وأن تكون هذه الصيغة غريبة عن أدبنا ، ومعنى الغرابة في هذا القول ، أن تكون اللغة وصيغة الأدب فاسدين لا نفهمها نحن ولا يفهمها من يأتي بعدنا .

أذكر عبارة اطلعت عليها في كتاب وقع عليه نظري عرضاً في مكتبة في مدينة « وليمسبورغ » في أميركة ، فقد قال أحد أعضاء الكونغرس : إنا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين الذين يسرقون ويقتلون ، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة !

مثل هذا القول صدر في بلاد تشيع في أكثرها المعامل والآلات والدخان وغير ذلك من الحضارة المادية ، فما قولنا في بلادٍ مثل بلادنا لم تحتفظ من ماضيها إلاّ بلغتها وأدبها ، أفيجوز أن يقضى على هذه اللغة وهذا الأدب !.

« شفيق جبري »

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ.ل كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد
حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٦ -

الدكتور حسني سبح

٩٧٥٤ بَرْدي — 9754 Papyracé , ée

وأرجح شبيه بالرَّق أو بالوَرَق ، شأن ما جاء في تفسير اللفظة في معجم ستدمان(١) وكما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٢) لإلتباس هذه اللفظة بما ينسب الى البرَدْ .

٩٧٥٥ بُقَط (السَّفُوف) — 9755 Paquets de poudre

والصحيح ظُروف أو مَظْروفات (المَسْحوق) ،والأخيرة أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وعرفها : صفة المادة الصُلْبة عندما توجد على شكل دقائق صغيرة . ولا أرى للفظة بُقَط أن تدل على المعنى المطلوب(٣).

---

(١) لفظة (Papyraceous) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary)

(٢) (papierartig)

(٣) في تاج العروس : والبَقْط جَمْع المتاع وحَزْمه ، يقال بَقَط الرجل متاعَه إذا جَمَعه وحَزَمه ليرتحل ،إلى أن قال الأعرابي : البَقْط التفرقة كما يأتي، يصلح أن يكون ضداً .
في لسان العرب : وَظَرْف الشيء وِعاؤه والجَمْع ظروف .

٩٧٥٦ بلُعْقات قَهْوة 9756 par cuillérée à café

وأرجح بلُعقة مِلْعَقة قَهْوةٍ أو شاي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١) أو بلُعْقة مِلعَقة صغيرة أو بِمَلْئِها ، ولأن لُعْقة قهوة وكذلك لُعْقات قهوة الواردة في اللفظة التالية لاتدلان على المعنى المطلوب بدون اضافة كلمة مِلْعَقة(٢) .

٩٧٥٧ بلُعْقات حَلْوى 9757 par cuillérée à dessert , à entremets

٩٧٥٨ بلُعْقة حِساء 9758 par cuillérée à soupe (ou à bouche)

والأفضل بِلُعْقة مِلْعَقة متوسطة في اللفظة الأولى وبلُعْقة مِلعَقة حَساء (بالفتح) أو مِلعقة كبيرة (انظر الهامش في اللفظة السابقة) .

٩٧٥٩ خَلِيَّة مُغَذِّية 9759 Parablaste

والصحيح الوُرَيقة المتوسطة (mesoblast) وبالأخص الجزء من هذه الوريقة والذي يتكون منه البناء الوعائي ، كما جاء في معجم وبستر(٣) ويرادفها الوريقة الوعائيـة (feuillet vasculaire) كما جاء في معجم لاروس(٤) .

٩٧٦٠ بَزْل 9760 Parancenthèse , ponction

(١) (teaspoonful) .

(٢) في لسان العرب : لَعَق الشيء يَلعَقه لَعْقاً لَحِسه واللَعقة بالفتح المرة الواحدة ، إلى أن قال واللُعْقة بالضم اسم ماتأخذه المِلْعقة .

(٣) لفظة (parablast) في معجم (Webster 's Third New Inter - national Dictionary)

(٤) لفظة (praablaste) في معجم (Larousse du 20 ième siècle) .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة

١ — البَزْل (في البَطن والصَّدْر) .

٢ — البَطّ [١] (للخزانة المُقَدَّمة لِلعَين) .

٩٧٦١ حَوْل المَرْكَز ، جانب المَرْكز 9761 Paracentral, le

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة جُنيب المركز

٩٧٦٢ نَظيرة العُصَيّات الكولونية 9763 Paracolibacilles

وأرجح نَظيرات العُصَيّة القُولونية . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة عُصَيّة نظير القُولوني — باسيل الباراقولون وجاء في الشرح : جرثومة من مجموعة الباسيلات السلبية لِصِبْغة (جرام) التي منها باسيل التيفود وباسيل القُولون .

٩٧٦٣ وَقْر ، ضَعف السَّمَع 9762 Paracousie

التخيل السمعي (illusion auditive) أو الهُلاس السمعي (hallucination auditiive)

كما جاء في معجم ستدمان [٢]

9764 Paracoxalgie , fausse Coxalgie

٩٧٦٤ نَظير الوُراك ، وُراك كاذِب

وأفضل نظير الألم الحَرْقفي ، والألم الحَرْقَفي الكاذب ، وقد سبقت الملاحظة على هذه اللفظة [٣]

---

(١) في لسان العرب : بَطّ الجُرحَ وغيرَه يَبُطُّه بطاً وَبجّه بجّاً إذا شقه .

(٢) لفظة (paracusis) في معجم ستدمان الطبي (Stedmann's Medical Dictionary)

(٣) الصفحة ٩٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

9765 Paradidyme , eorps innominé de Giraldès

٩٧٦٥ خصيَة جانبية ، جسم جيرالدس غير المسمى

وأفضل جنيب البربخ(١) ، جسم جيرالدس اللامسمى

9766 Paraffine

٩٧٦٦ شمع معدني ، بارافين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بارافين

9767 Paraganglions

٩٧٦٧ نظائر العُقَد

أو أشباهها . هذا وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة في مصطلحات علم الجراحة (في دوراته الثالثة والرابعة والخامسة بعد العشرين) أقر ترجمة لفظة (paraganglioma) بورم جنيب العُقدة العصبية ، مما يجعل ترجمة (parganglion) بجنيب العُقدة والصحيح ما صنعته اللجنة (٢)

(2) glande carotidienne ou intercarotidienne, corpus - cule ou ganglion carotidien

(٢) — غُدَّة سُباتيَّة أو بَيْن السُباتيَّة جسيم أو عقدة سباتية وأرجح غدَّة سُباتيَّة ، الجِسْم السُباتي ، أو العُقْدة السُباتية

---

(١) لفظة (paradidymis) في معجم وبستر (Webster's Third New International Dictionary

(٢) لفظة (paraganglia) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary) وقد فسرت اللفظة بأنها تدل على الأجسام الكرومافينية (chromaffin bodies) بعض الأجسام البيضية أو المستديرة مع محفظة من النسيج الضام والتي تكوّن فئات مستقلة من النسيج الكرومافيني (أو الولوع بالكروم) ضمن أعضاء أو أجزاء مختلفة من البدن ، لها خواص نخاع الكظر نفسه .

(3) glande coccygienne , glande de Luschka

(٣) غدّة عصعصية ، غدّة لوشكا

غدّة عصعصيّة ، عقدة أو غدّة لشكا ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

(5) paraganglion aortique ou abdominal, organe de - Zuckerkandl

(٥) نظيرة العقدة الوتينية أو البطنيّة ، عضو زوكر كندل

وأرجح نظيرة العقدة الوتينية أو الأبهرية أو الأورطيّة [٢] البطنية ، وعضو تسوكركندل (كما يلفظ بالألمانية)

(6) paraganglion cardiaque

(٦) نظيرة العقدة القلبية

والعقدة القلبية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٣]

9768 Paraglobuline, paraglopine, susbtance fibrinoplastique

٩٧٦٨ نظير الكريين ، شبيه الكروين مادة مهيكلة الليفين

وأرجح نظير الكريوين أو باراغلوبولين ، جبلة الليف أو جبلة الليفين كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٤] ولا أرى مهيكلة تدل على المعنى المطلوب [٥]

---

(١) (Luschka' s gland or ganglion)

(٢) الصفحة ٤٨٥ من هذا المجلد .

(٣) (cardiac gland)

(٤) (paraglobulin fibrplastin fibrinoplastin)

(٥) في لسان العرب: جبلة الشيء طبيعته وأصله وما بني عليه ، تها كل القوم تنازعوا والهيكل الضخم من كل شيء .

9770 parakératose psoriasiform (Brock)

٩٧٧٠ نظير التَقَرُّن الصَّدَفي الشَّكل (بروك)

وأفضل نظير التقرن الصَدَفاني

9771 Praraldéhyde

٩٧٧١ نظير الفَولِيد

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بارالدَهيد

9772 Paralexie

٩٧٧٢ إستِبدال التَهْجِيَة

وأفضل القِراءة المُبدَّلة أو المُشَوَّهة ، لأن ما تعنيه اللفظة أن صاحبها يقرأ الكلمات والجمل المكتوبة قراءة سيئة باستبدالها بكلمات أو جُمَل لا معنى لها (١)

9774 paralysie agitante , maladie de Parkinson , parkinsonisme

٩٧٧٤ شَلَلٌ راجٌ أو هازٌّ ، شَلَلٌ إرتجاجي أو إهتزازي داء بركِنسن بركنسُنيَّة

سبقت المُلاحظة على هذه اللفظة (٢) وأرجح في اللفظتين الأخيرتين داء بركِنسن وبَركِنسونية بكسر الكاف واستبدال الواو بالضمة .

9775 paralysie alterne ou dimidiée , syndrome de Millard Gübler , hémiplégie alterne croisée

٩٧٧٥ شَلَلٌ مُتَغايِر أو مُفلَّج ، تناذر ميلار غُبلَر ، فالِج مُتغايِر ، مُتصالِب .

سبقت الملاحظة (٣) وترجيح شَلَل مُتَقابِل ، وأرى أن تكون

(١) لفظة (paralexia) في معجم ستدمان الطبي (Stedman' s Medical Dictionaryl)

(٢) الصفحة ١١٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ١١٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

ترجمة (dimidiée) بالشلل المَشطور أو الشَطري (١) عوضاً عن الشِقي ، كما ذكرت (وقد ترجمت اللجنة اللفظة بالشلل المُفلّج(٢)) كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر ترجمة (crossed paralysis) بشلَل مُصالِب ، وجاء في الشرح : وفيه يَحدث شَلَل في جانِب واحد من الوَجه ، وفي الجهة الأخرى من الجسم .

9786 Paralysie générale associée au tabes

٩٧٨٦ شلَلٌ عامٌ مُشارِكٌ للسُّهام

وأفضل شلَلٌ عام مع التّابِس(٣) .

9788 paralysie ischémique consécutive à l'application de la bande d'Esmarch

٩٧٨٨ شلَلٌ بِفقر الدّم المَوْضِعي ناجم عَنْ شد رِباط أسمرخ

وأفضل شلَل بنقص التَرويِة بشد وَثاق رِباط إسمرخ(٤)

(١) إن ماتعنيه لفظة (dimidiée) هي النِصْفي (أي النسبة إلى النِصْف) كما جاء في معجم لاروس الكبير ، وكان يصح أن تترجم بالشلَل النصفي لولا أنه قد أُصطلح على إطلاق هذه اللفظه على (paraplégie) وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ايضاً . لذا فضّلتُ الشلَل المشطور أو الشطري عليها .

(٢) في لسان العرب : الفلَج تباعُد مابين السّاقَين ، وفَلَج الأسنان تباعد بينها إلى أن قال : ورَجلٌ مُفلّج الثنايا متفرقها وهو خلاف المُتَراص الأسنان ، وفي لسان العرب : الشطر نصف الشيء .

(٣) الصفحة ٩٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) سبقت الملاحظة على لفظة (ischémie) في الصفحة ٤٩٦ من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة .

٩٧٩٠ شا ني ضَخامي مُوهِم – 9790 paralysie musculaire pseudo-hypertrophique (Duchenne de Boulogne)

شَلَلٌ عَضَلي (ولعله خطأ مطبعي) ضخامي كاذِب (١) .

٩٧٩٧ نَ سانِي – 9797 paralysie psychique

و ستريائي كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي(٢)

٩٧٩٩ شَلَلٌ باقٍ أو تُمالي (بدون أساسٍ عضوي بالاعتياد) – 9799 paralysie résiduelle (sans base organique, par habitude)

وأفضل شَلَلٌ مُتَبقٍّ أو مُتَخلِّف

٩٨٠٣ شَلَلٌ تَشَنُّجي أسري (ستروميل) شَلَلٌ تَشَنُّجي أُسْري (شتروميل) كما يلفظ بالألمانية . – 9803 paralysie spasmodique familiale (Strümpell)

٩٨٠٤ شَلَلٌ شَوْكي حادٌ في الكَهل شَلَل أمامي حاد في الكهل – 9804 paralysie spinale aigüe de l'adulte, paralysie antérieure aigüe de l'adulte

وأفضل شلل الكهل الشَوكي الحاد ، الشَلل الأمامي الحاد للكهل .

٩٨٠٨ شلل الحَفَّاف – 9808 paralysie du voile du palais

وكذلك الاعفليك (٣)

---

(١) اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ في الصفحة ٤٦٩ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (psychic , hysterical paralysis) .

(٣) في لسان العرب : والاعفليكان لحتان تكتنفان اللّهاة ، الحفّاف : اللحم الذي في أسفل الحنك إلى اللهاة .

٩٨٠٩ التهاب ماحَوْل الثَّدي ، فلغْمُون ماحَوْل الثدي — 9809 Paramastite phlegmon périmammaire

وأفضل إلتهاب جَنيب الثّدي ، فِلغْمُون جَنيب الثَّدي .

٩٨١١ التهاب حَوْل الرَّحْم ، فِلغْمُون جانِب الرَّحم . — 9811 Paramétrite , phlegmon juxta - utérin

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، إلتهـاب جَنِيب الرّحم ، وجاء في الشرح : وهو التهـاب النسيج الضام (الخلالي) على جانبي الرحم .

٩٨١٤ شِبْه إرتجاج عَضَلي — 9814 Paramyoclonie

وأقر مجمـع اللغة العربية في القاهرة رَجْف العضلات ترجمة لِـ (paramyoclonus) في ترجمـة (paramyoclonus multiplex) إذ جاء في الشرح : إنقبـاضات رَجْفية تحدث في عضلات الجسم عدا الوجه .

وأرى ما ذهبت إليه اللجنة صحيحاً ، تاركاً الإرتجـاف والرَجْف ترجمة للفظة (myoclonus) .

٩٨١٧ نَظِير الإنسِلال — 9817 Parapédése

والصحيح الإنفراغ بقَناة غير طبيعية [1]

٩٨١٩ ضيق القُلْفة الخَلْفي — 9819 Paraphimosis

وأقر مجمع اللغـة العربية في القاهرة الجُلاع [2] ، وجاء في

(١) لفظة (parapedesis) في معجم ستدمان الطبي .

(٢) في المخصص : جَلِع القُلْفة إن تصير خلف الحُوق ، فإذا كان الغلام كذلك فهو أجلَع .

الشرح : وهو أن تنقلب القلفة خلف الحوق فتختنق الحَشَفة .

٩٨٣٠ مُستَطْفِل 9830 Parasité , ée

وأرجح مُتَطوفِل أو مُلَوث بالطفيلي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١] .

٩٨٣٦ مُهْلِكات الطُفيليات 9836 Parasiticides

وأرجح مُبيدات الطفيليات على غرار مُبيدات الحَشَرات (insecticides) كما جاء في اللفظة (٧٣٤٠) .

٩٨٣٧ تطفل لَطْي ، مُلِط 9837 Parasitisme permanent

وأفضل تَطفل دائم أو مُستَمِر .

٩٨٣٩ داءُ طُفَيْلي 6839 Parasitose

وأرجح تَلوث طُفَيلي تاركاً داء طفيلي ترجمة لِـ (maladie parasitaire)

٩٨٤١ نَظير الودّى ، 9841 Parasympathique , système

جِهاز نظير الودّى parasympathique

والجملة الجُمْجُمية العَجُزِية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] .

٩٨٤٢ حاثّة مُلحَقات الدَّرَق 9842 Parathormone , parathyrine

والصحيح هُرْمون جَنيبات الغدة الدرقية ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وباراتيرين .

---

(١) (infested) .

(٢) (craniosacral system) .

٩٨٤٤ َعوارِض ُقصور جارات الدّرق 9844 Parathyréoprive
والصحيح عوارض قصور جنيبات الغدة الدرقية أو عوارض
الحِرمان من هرمون َجنيبات الدرقية .

٩٨٤٥ َجارة الدّرق 9845 Parath)roïde
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الغدة َجنيبة الدّرقية .

٩٨٤٦ ذو علاقة بجَارة الدّرق 9846 Parathyroïdien , enne
وأرجح جنيبي الغدة الدّرقية أو َجنيبي الدرقية .

٩٨٤٨ َنظيرة التيفية (حُمّى) 9848 Parathyphoïde (fièvre)
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ُحمى الباراتيفوئيد وجاء
في الشرح : ُحمى تشبه الحُمَى التيفودية . وأرجح
نظيرة التيفية تعريباً .

٩٨٥٧ َتشَوّش الحِسّ 9857 Paresthésie
وأرجح ُشواش الحس ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة
إنحراف الحِس – باراثيزيا ، وجاء في التعريف : وهو
إحساس ِتلقائي شاذ مثل الحرقة والتنمل والوخز .

٩٨٦٤ كلامٌ ُمبْهَم ، ْمتردد 9864 Parole indistincte , hésitante
وأرجح كلامٌ غامض ، ُمتَردّد تاركاً لفظة ُمبهَم
ترجمة لِ (vague) .

٩٨٦٥ إنقِلابُ التّكلّم 9965 parole en miroir
وأرجح كلام مقلوب (١) .

(١) وماتعنيه اللفظة هو أن يتلفظ المصاب بهذا الخلل الكلامي ،الكلمات
َمقلوبةَ المقاطع (معجم ستدمان في لفظة speech) .

9867 Parosmie , hallucination de l'odorat — ٩٨٦٧ ضَلالُ الشَّم ، هَلَس الشَّم

وأرجح ضَلال الشّم ، وهُلاس الشّم .

9868 Parotide (prolongement massétèrien de la -) — ٩٨٦٨ النّكَفة (استطالات) الماضِغَة

وأفضل النّكْفة (استطالات الماضغة في) ولعله خطأ مطبعي .

9869 Párovaire — ٩٨٦٩ مَبيضٌ جانِبي

والصحيح مَبيض بَدئي ، لأن ما تعنيه اللفظة هو عضو صَغير حُبَيبي وأصفر كائن في سماك الرباط العريض ، أكثر ما يصادفُ في الجنين والطفل ولا يصادف في الكهل ، وهو يمثل الجزء السفلي لجسم وولف (Wolff) [٢] .

9872 Particularité — ٩٨٧٢ خاصّة ، خُصُوصيّة

وَمِيّزة أيضاً .

9881 Partigène , antigène partiel — ٩٨٨١ مُولّدَة ضدٌ قِسْمِيّة أو جُزئِيّة

مُولّد المُضاد (كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة) الجزئي وقد سبق للجنة أن ترجمت لفظة (antıgène) بمكوّنة الضد .

---

(١) لفظة (parovarium) في معجم لاروس الكبير الموسوعي — (Grand Larousse Encyclopédique)

(٢) الصفحة ٧٢ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

٩٨٨٣ مُرور (passage animal d'un virus) 9882 Passage
عُبور ، مُرور ، إنتقال (لاسيما في الجملة الأخيرة)

٩٨٨٤ مرور قطيلةٍ غزّي 9884 passage d'un tempon de
في القناة الجامعة gaze par le cholédoque
وأرجح عُبور قطيلة غزي في القناة الجامعة .

٩٨٨٧ إجتازَ الأطرُوحةَ أو دافع 6887 Passer ou soutenir
عن الأطرُوحة la thèse
وأفضل نَجَح في الأطروحة أو قُبِلَتْ أطرُوحَتُه أو دافع عنها .

٩٨٩٣ قُرْصة ، قُرَيصة 9893 Pastille
وأرجح مَصيص مُحلّىً أو مَصيص .
وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (gâteau) بقُرْص حَلوى
(اللفظة ٦٢٠٠) وكذلك (disque) بقُرص (اللفظة ٤٣٢٧) .

٩٨٩٤ قُرصَة أو حَبَّة للتَغريز 9894 pastille ou comprimé
pour implantation (pellet)
وأرجح قُرَيْص أو مَضْغوطة للغَرْس . وسبق للجنة
أن استعملت لفظة حَبَّة ترجمة لـ (pilule)
(اللفظة ١٠٣٢٠) .

٩٨٩٧ مَعْجُونُ جَموش أو جَميش 9897 pâte dépilatoire
وكذلك مَعجون النُّورة[1] .

---

(١) في لسان العرب : والنُّورة من الحَجَر الذي يُحرق ويُسوّى منه الكِلْس ويحلق به شَعر العانة ، إلى أن قال : وقد إنتار الرجلُ وتنوّر تَطلّي بالنُّورة .

٩٨٩٨ مَعجُونٌ بالماء — 9898 pâte à l'eau

وأرجح مَعجون مائيّ .

٩٩٠٠ مَعجُون هُلاميني ، غراء (معجون) — 9900 pâte gélatineuse, colle de pâte

وأفضل مَعجُونٌ هُلامي ومعجون شِبه المُجْمد أو غَرواني ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي ، وكما سبقت الملاحظة عليه [٢] .

٩٩٠١ مَعجونٌ دَسِم — 9901 pâte grasse

أو معجون دُهني أيضاً .

٩٩٠٢ مَعجُون السُّوس — 9902 pâte de réglisse

وأفضل مَعجُون عِرق السُّوس إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة سُوس ترجمة لـ carié (اللفظة ٢١٦٥) التي سبقت الملاحظة عليها [٣] .

٩٩٠٤ أبوَي و (أو) أمي ، أبوان — 9904 Paternel et maternel, elle des parents

وأفضل أبوي أو والدي كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي [٤] لأن المقصود من اللفظة نسبة إلى الأبوين كليهما أو أحدهما .

---

(١) (gelatinous jelly - like or colloidal paste) .
الصفحة ٨٤٦ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٧٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (parental) في الانكليزية و (elterlich) في الألمانية .

٩٩٠٥ مَعاجِينُ غِذائِيَّة — 9905 Pâtes alimentaires

وأرجح مُعجَّنات غِذائية وإِطْرية (١) ومَعكَرونَة وشُعَيرية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) .

٩٩١٠ وَسْمُ مَرَضٍ — 9910 Pathognomonie

٩٩١١ واسِم مَرَضٍ — 9911 Pathognomonique

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الثانية بمُتَميِّز مَرَضي وتكون الأولى تَمَيُّزٌ مرضي .

٩٩١٥ مَبحَثُ السَّريريات — 9915 Pathologie clinique

وأفضل علم الأمراض السريري .

٩٩١٦ عِلمُ الأمراض المُقابَلة — 9916 pathologie comparée

وأفضل عِلمُ الأمراض المُقارَن .

٩٩١٧ علم الأمراض التجريبية — 9917 pathologie expérimentale

وأفضل عِلم الأمراض الإختباري .

٩٢٢٦ مُعجَّنات ، فُرْنيّات — 9926 Pâtisserie

وأرى أن يكتفى بمعجَّنات أو حَلَويات ، وأن تترك فُرنيّات ترجمة للفظة (petits fours) الشائعة .

---

(١) الإطرية شاع استعمالها وإن كانت لا تدل بدقة على المعنى المطلوب ، فقد جاء في لسان العرب : والإطرية بكسر الهمزة مثل الهِبرِية ، ضرب من الطعام ، ويقال له بالفارسية لاخشَه قال شمر : شيء يعمل مثل الدَّشْتَّاسْتَج المُتَلَبِّقَة .

(٢) (italian dishes , macaroni , moodles vermicelli) .

٩٩٢٨ كُفُوفٌ لإستعمال المِنْظار الغَلفاني — 9928 pattes galvanoscopiques

وما يُعنى بهـــذه اللفظة المُحَضَّر العَضَلي العَصَبي الذي أجرى العالم غلفاني (Galvani) تجاربه فيه ، وأدى إلى اكتشاف نَقَل التيَّار الكهربائي بالعَصَب الوركي للضفدع وتقلص عَضَلات رِجْلها ، بعد مُضي مـــدة قصيرة على ذبحها ، إثر لمس العصب بقضيب معدني أو نحوه .

كما أن (galvonoscopique) هي نســـبة إلى (galvanoscope) وهو مرادف لِـ (galvanométre) أي المِقياس الغلفاني[1] لا المنظار الغَلواني .

فالصحيـح في ترجمة اللفظة هي الأرجل الكاشفة للتيـــار الغلواني أو المُحَضَّر العضلي العَصَبي لكشف التيار الكهربائي ، أو ضفدع كشف التيار الكهربائي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2] .

٩٩٢٩ كَلأ ، عَلَف — 9929 Pâture

وأرجح عَلَف تاركاً لفظة كلأ ترجمة لـ (foin)[3] .

٩٩٣٣ كِفافُ أو صَوان الأُذُن ، أُذَيْنيه — 9933 pavillon de l oreille, auricule

(للبحث صلة)

(١) (galvanoseope) في معجـــم كييه (- Quillet dic tionnaire encyclopédique)

(٢) (rheoscopic nerve - muscle preparation rhsoscopic frog)

(٣) الصفحة ٦٢٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

بين ابن سينا وابن رشد

الدكتور جميل صليبا

١ ــ مقدمة عامة

بين يدي كتاب « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، وكتاب « تهافت التهافت » لابن رشد ، وكتب أخرى تذكر هذين الفيلسوفين كنت أقرؤها لأني كنت أريد أن أعدّ محاضرة في فلسفة الغزالي ألقيها على طلاب الجامعة . ولكن ناحيـة انتقادية جديدة كشفت عنها في كتب ابن رشد صرفتني عن التحـدث عن الغزالي . وهذه الناحيـة هي تحديد موقف ابن رشـد إزاء فلسفة ابن سينا .

نحن نعلم أن ابن رشد كان يتهم الغزالي بالقصور في علمه (تهافت التهافت ٦٧) وبالتمويه في أقاويله الجدلية ، وأنه كان ينتقده لاعتماده في نقـد الفلسفة اليونانية على ما جاء في كتب ابن سينا دون غيره ، وينتقده كذلك في مسائل أخرى كثيرة لا أريد الآن أن أتحدث عنها .

وليس الغريب في هذا النقد أن يتضمّن ردود ابن رشد على اعتراضات الغزالي ، ولكن الغريب فيه أن يشتمل في الوقت نفسه على تفنيد دقيق لبعض آراء ابن سينا . فالغزالي لم ينظر إلاّ في كتب ابن سينا فلحقه القصور في الحكمة من هذه الجهة (تهافت التهـافت ٦٧) ، لقد تجرّد للردّ على ابن سينا ، فتوهم أنه ردّ على جميع الفلاسفة ، ونقل في كتاب « تهافت الفلاسفة » مذهب ابن سينا على غير وجهه ، فوقع فيما وقع فيه من التخبط ، فما بالك إذا كان أصحاب ابن سينا قد تأوّلوا عليه كثيراً من الآراء التي لم يصرح بها قط ؟

لقد كان ابن رشد يشعر بابتعاد ابن سينا والفارابي عن طريقة المشائين ،

ويرى أنه لولا ابتعاد هذين الفيلسوفين عن المعلم الأول لما استطاع الغزالي أن يردّ عليهما ، وفي كتب ابن رشد ، ولا سيما في كتاب « تهافت التهافت » وكتاب « ما بعد الطبيعة » وكتاب « تفسير ما بعد الطبيعة » مواضع كثيرة يرد فيها ذكر ابن سينا في سياق الكلام على الغزالي أو في تفسير كلام أرسطو مثال ذلك أن ابن رشد ينتقد رأي ابن سينا في الرؤيا والوحي بقوله : « لا أعلم أحداً قال به من القدماء إلاّ ابن سينا » (تهافت التهافت ١٢٢) ، أو قوله : وهذا « شيء تفرد به ابن سينا وآراء القدماء في ذلك غير هذا الرأي » (تهافت التهافت ١١٩) . ومثال ذلك أيضاً أنه ينتقد رأي ابن سينا في النفس بقوله : « لا أعلم أن أحداً من الحكماء قال إن النفس حادثة حدوثاً حقيقاً ، ثم قال إنها باقية إلا ما حكاه ابن سينا » (تهافت التهافت ٣٣) ، ومثال ذلك أخيراً أنه ينتقد نظرية الفيض بقوله : « وأما ما حكاه ابن سينا ، من صدور هذه المبادىء بعضها عن بعض فهو شيء لا يعرفه القوم ، وإنما الذي عندهم أن لها من المبدأ الأول مقامات معلومة لا يتم لها وجود إلا بذلك المقام منه » (تهافت التهافت ٤٩) أو ينتقدها بقوله : إن في هذه النظرية تناقضاً « خفي على أبي نصر وابن سينا لأنهما أول من قال هذه الخرافات ، فقلدهما الناس ونسبوا هذا القول إلى الفلاسفة » (تهافت التهافت ٦٥) . وفي قول ابن رشد أن الفلاسفة من أهل الإسلام كأبي نصر وابن سينا عسر عليهم فهم صدور الكثرة عن المبدأ الأول (تهافت التهافت ٤٨) ، وقوله : ان ابن سينا لم يدرك ان اسم الموجود يدلّ على ذات الشيء لا على عرض في الشيء ، وفي أقوال أخرى غير هذين القولين دليل على أن الميزان الذي كان ابن رشد يزن به أقوال ابن سينا هو الميزان الآرسطي ، فلا غرو إذا لام ابن سينا على خلافه لأرسطو بقوله : « هذا شأن هذا الرجل في كثير مما يأتي به من عند نفسه » (كتاب ما بعد الطبيعة ، ص ٦) .

واست أريد الآن أن أذكر جميع المسائل التي أتى بها ابن سينا من عند نفسه ، أو أذعن فيها لآراء المتكلمين ، أو خالف فيها مع الفارابي آراء أرسطو ، ولكني أريد أن أقول في ابن سينا ما قاله ابن سبعين ، وهو أن أكثر كتبه مؤلفة ومستنبطة من كتب أفلاطون ، فلا غرو إذا تضمّنت مسائل مخالفة لآراء أرسطو ، ولا عجب أن يتصدّى ابن رشد لنقدها ، وهو الفيلسوف المفتون بأرسطو والمعظم له .

ويبدو لي مع ذلك أن ابن رشد كان ناقداً منصفاً ، فكان موقفه إزاء الغزالي وابن سينا أشبه شيء بموقف أرسطو إزاء الذين كانوا لايرون مثل رأيه ، والدليل على ذلك قوله :

« وأمّا قوله : (يعني الغزالي) إن قصده هاهنا ليس هو معرفة الحق ، وإنما قصده إبطال أقاويلهم (يعني الفلاسفة) وإظهار دعاويهم الباطلة ، فقصد لا يليق به ، بل بالذين في غاية الشر ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ، ومعظم ما استفاد هذا الرجل من الباهة ، وفاق الناس فيما وضع من الكتب إنما استفاده من كتب الفلاسفة ومن تعاليمهم ، (وهبهم) أخطأوا في شيء ، فليس من الواجب أن ينكر فضلهم في النظر وما راضوا به عقولنا ، ولو لم يكن لهم إلا صناعة المنطق لكان واجباً عليه وعلى جميع من عرف مقدار هذه الصناعة شكرهم عليها . وهو معترف بهذا المعنى وداع إليه ، وقد وضع فيها التآليف » ويقول : « إنه لا سبيل إلى أن يعلم أحد الحق الا من هذه الصناعة . وقد بلغ الغلو فيها إلى أن استخرجها من كتاب الله تعالى ، أفيجوز لمن استفاد من كتبهم وتعاليمهم مقدار ما استفاد هو منها حتى فاق أهل زمانه ، وعظم في ملة الإسلام صيته وذكره أن يقول فيهم هـذا القول ، وأن يصرح بذمهم على الإطلاق ، وذم علومهم ؟ وإن وصفنا أنهم يخطئون في أشياء من العلوم الإلهية (يعني ابن سينا) فإنا

إنما نحتج على خطئهم من القوانين التي علمونا إياها في علومهم المنطقيـــة ، ونقطع أنهم لا يلزموننا (على) التوقف على خطأ إن كان في آرائهم ، فإن قصدهم ، إنما هو معرفة الحق ، ولو لم يكن لهم إلا هـذا القصد لكان ذلك كافياً في مدحهم ، مع أنه لم يقلْ أحد من الناس في العلوم الإلهية قولاً يعتدّ به ، وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان ، وهم الأنبياء ، فلا أدري ما حمل هـذا الرجل على مثل هذه الأقاويل ، أسأل الله العصمة والمغفرة من الزلل في القول والعمل » (تهافت التهافت ٨٨) .

ففي هذا النص كما ترون إشارة إلى ما يريد ابن رشد أن يتقيد به من العدل والإنصاف في الحكم والاعتدال في النقد ، والاعتراف بفضل الفلاسفة السابقين وإن أخطأوا في بعض آرائهم .

ولسنا نريد الآن أن نبحث في اعتراضات الغزالي على الفلاسفة ولا في ردود ابن رشد على هذه الاعتراضات ، ولكننا نريد أن نقصر كلامنا على النظر في ثلاث مسائل كانت موضع خلاف عميق بين ابن رشد وابن سينا ، وهي:

١ ــ مسألة المبدأ الأول هل يتم إثباته في علم الطبيعة أم في علم ما بعد الطبيعة .

٢ ــ مسألة اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر؟

٣ ــ مسألة اسم الموجود هل يدل على الذات أم على صفة زائدة على الذات .

أما المسائل الخلافية الأخرى فسنعود إلى الكلام عليها في مقالاتنا القادمة .

٢ ــ المسألة الأولى
موضع إثبات المبدأ الأول

موضوع علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد هو : « النظر في الموجود

بما هو موجود ، وفي جميع أنواعه إلى أن ينتهي الى موضوعات الصنائع الجزئية ، وفي اللواحق الذاتية له ، وترقية جميع ذلك إلى جميع أسبابه الأول » (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ص ٣) . وموضوعه عند ابن سينا هو « البحث عن الموجود المطلق ، وينتهي في التفصيل إلى حيث تبتدىء منه سائر العلوم ، فيكون في هذا العلم بيان مبادىء سائر العلوم الجزئية » (ابن سينا ، النجاة ، ص ٣٢٢) ، فموضوع هذا العلم لا يختلف عند ابن رشد عما هو عليه عند ابن سينا إلاّ في أمر واحد ، وهو أن ابن رشد يقول إن علم ما بعد الطبيعة المسمّى بالفلسفة الأولى يسلم بوجود المبدأ الأول عن العلم الطبيعي ، على حين أن ابن سينا يقول إن البحث في وجود المبادىء المفارقة ليس من موضوعات العلم الطبيعي ، وإنما هو من الموضوعات الخاصة بعلم ما بعد الطبيعة ، قال : « إن كل واحد من علوم الطبيعيات وعلوم الرياضيات فإنما يفحص عن حال بعض الموجودات ، وكذلك سائر العلوم الجزئية ، وليس لشيء منها النظر في أحوال الموجود المطلق ولواحقه ومبادئه » ، (النجاة ، ص ٣٢٢) ، ومعنى ذلك أن إثبات المبدأ الأول عند ابن سينا من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وأن العلم الطبيعي إذا بحث في إثبات المحرك الأول أو المبدأ الأول كان بحثه فيه فضلاً وزيادة .

وفي الحق أن موقف ابن رشد إزاء هذه القضية أقرب إلى رأي أرسطو من موقف ابن سينا ، لأن المعلم الأول قد أثبت وجود المبدأ الأول في المقالة الثامنة من العلم الطبيعي ، ولم يعد هذا الإثبات فضلاً في هـــذا العلم ، ولما عاد الى ذكر المحرك الأول في علم ما بعد الطبيعة أضاف إليه ذكر العلة الصورية ، والعلة الغائية ، وأخرج براهينه الواردة في الطبيعيات مخرجاً أعم ، ولولا ذلك لما احتاج إلى إعادة ذكره .

لقد كان ابن رشد مفسّراً بارعاً ، ففهم رأي أرسطو فهماً دقيقاً ، وعبّر عنه تعبيراً واضحاً . أمّا ابن سينا فلم يكن مفسراً ولا مقلداً ، بل كان يأخذ برأي نفسه ويبتعد عن أرسطو في مسائل كثيرة ، حتى لقد قال (ابن سبعين) فيه : إنه كان كثير التخبط ، مخالفاً للحكم .

ولعلنا إذا قلنا مع ابن سينا إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات علم ما بعد الطبيعة ، وإن ذكره في العلم الطبيعي فضل وزيادة ، نستطيع أن نجل موضوعات هذين العلمين مستقلة بعضها عن بعض على وجه أتم وأوفى . فالعلم الطبيعي علم وضعي يبحث في ظواهر الطبيعة لا في المباديء المفارقة . وهذا أقرب إلى الصواب من قول بعضهم إن إثبات المبدأ الأول من موضوعات العلم الطبيعي .

٣ ـ المسألة الثانية

اسم الواحد هل يدل على الجوهر أم على عرض في الجوهر

الواحد هو الموجود من جهة ما هو متميز عن غيره ، وغير منقسم ، وهو كما قال أرسطو ينحصر في أربعة أنواع : (تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ١٢٤١/١) .

الأول : هو المتصل بالطبع .

والثاني : هو الكل والتام ، وهو الشخص الواحد من أشخاص الموجودات الطبيعية .

والثالث : هو البسيط في جنس جنس من أجناس المقولات العشر .

والرابع : هو الواحد بالصورة ، وهو المعنى الكلي .

وقد بين ابن سينا أن الواحد يقال لما هو غير منقسم ، وهو على أنواع : فإن كان لا ينقسم في الجنس كان **واحداً في الجنس** ، وإن كان لا ينقسم

في النوع كان **واحداً بالنوع** ، وإن كان لا ينقسم بالعرض العام كان **واحداً بالعرض** ، وإن كان لا ينقسم بالمناسبة كان **واحداً في المناسبة** ، كقولنا : إن نسبة الملك إلى المدنية والعقل الى النفس واحدة ، وإن كان لا ينقسم في الموضوع كان **واحداً في الموضوع** ، وإن كان لا ينقسم بالحد كان **واحداً بالكلمة** . (ابن سينا ، النجاة ٣٦٤ - ٣٦٥)

والواحد عند ابن سينا قد يكون فيه بوجه من الوجوه كثرة بالفعل أو بالقوة ، فإن كان فيه كثرة بالفعل كان واحداً بالتركيب والاجتماع ، وإن كان فيه كثرة بالقوة كان واحداً بالاتصال ، وإن لم يكن فيه كثرة لا بالفعل ولا بالقوة كان واحداً بالعدد على الإطلاق ، وأقل العدد عنده اثنان ، والاتحاد في الكيفية مشابهة ، وفي الكمية مساواة ، وفي الجنس مجانسة ، وفي النوع مشاكلة ، وفي وضع الأجزاء موازاة ، وفي الأطراف مطابقة.

أما ابن رشد فإنه يبين أن الواحد يطلق على الأسماء المشككة ، وهي الأسماء الموضوعة لأمر عام مشترك بين الأفراد لا على السواء ، بل على التفاوت . ومن أنواع الواحد عنده الواحد بالعدد ، ويطلق على المتصل كقولنا خط واحد وسطح واحد وجسم واحد ، وأحق الأشياء باسم الواحد المتصل التام الذي لا يكون فيه زيادة ولا نقص كالخط المستدير . والمتصل قد يكون متصلاً بالوهم مثل الخط والسطح ، وقد يكون متصلاً بالوجود مثل الأجسام المتشابهة الأجزاء . وكما يطلق الواحد على المتصل التام ، فكذلك يطلق على الأشياء المرتبطة والمماسة بالطبيعة كاليد الواحدة والرجل الواحدة ، أو على الأشياء المرتبطة بالصناعة كالكرسي الواحد والخزانة الواحدة .

قال ابن رشد : « فهذه هي أشهر المعاني التي يقال عليها الواحد بالعدد ، وهو بالجملة إنما يدل به الجمهور على هذه الأشياء من حيث هي منحازة عن غيرها ، ومنفردة بذاتها ، إذ ليس يتصور في بادىء الرأي من

معنى الواحد غير هذه ، ولذلك قيل في حد الوحدة العددية إنها التي بها يقال في شيء شيء إنه واحد . فمن هذه الأشياء ما هي منحازة بأماكنها التي تحويها ، وهو أشهر الانحيازات ، ومنها ما هي منحازة بنهاياتها فقط ، وهي المتماسة ، ومنها ما انحيازها في الوهم فقط ، وبهذه الجهة تلحق العدد المتصل ، وإذا كان هذا هكذا فالواحد بالعدد في هذه الأشياء إنما يدل منها على أمور هي خارجة عن ذاتها ، وبالجملة على أعراض لاحقة لها ، ومن هذه الجهة يكون داخلاً من بين المقولات العشر في جنس الكم ، ويكون الواحد عرضاً ، إذ كان العدد إنما هو جماعة الآحاد التي بهذه الصفة » (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ١٠)

وليس في هذه الأقوال التي قدمناها شيء يدل على اختلاف حقيقي بين ابن رشد وابن سينا ، فإن هذين الفيلسوفين يتفقان في الأشياء التي يطلق عليها اسم الواحد ، ان كلًا منهما يطلق هذا الاسم على كل ما هو متميز عن غيره ، وغير منقسم ، يطلقه على مبدأ العدد وعلى المتصل الذي لا ينقسم كما يطلقه على الجواهر المفارقة ، والواحد عندهما مرادف للموجود ، لأن كل ما هو موجود فهو واحد ، وكل ما هو واحد فهو موجود ، (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ٣١١/١ - ٣١٢) وبالأحرى كل ما يصح عليه قولنا إنه موجود يصح أن يقال له واحد ، « حتى إن الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد قد يقال لها كثرة واحدة » . (ابن سينا ، النجاة ٣٢٣)

ولكن معنى الواحد الذي يختلفان فيه أعمق من معانيه التي يتفقان فيها ، فابن سينا يرى أن طبيعة الواحد طبيعة عرضية لأنه لا يدل على الجوهر بل على عرض في الجوهر ، على حين أن ابن رشد يرى أن اسم الواحد يدل على ذات الشيء وماهيته ، لأنه مرادف لاسم الموجود ، فإن كان الواحد عرضاً في الجوهر كما يقول ابن سينا كان لازماً للذات لامقوماً

لها ، وإن كان مرادفاً لذات الشيء وماهيته ، كما يقول ابن رشد ، كان مقوماً للذات وغير خارج عنها .

قال ابن سينا : « إن الوحدة من لوازم الماهيات لا من مقوماتها ، لكن طبيعة الواحد من الأعراض اللازمة للأشياء ، وليس الواحد مقوماً لماهية شيء من الأشياء ، بل تكون الماهية شيئاً ، إما إنساناً ، وإما فرساً أو عقلاً أو نفساً ، ثم يكون ذلك موصوفاً بأنه واحد وموجود ... فالواحدية ليست ذات شيء منها ، ولا هي مقومة لذاته بل صفة لازمة لذاته » (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤٠) . وقال أيضاً : « فلو كانت طبيعة الوحدة طبيعة الجوهر لكان لا يوصف بها إلاّ الجوهر ، وليس يجب إن كانت طبيعتها طبيعة العرض أن لا توصف بها الجواهر ، لأن الجواهر توصف بالأعراض ، وأما الأعراض فلا تحمل عليها الجواهر حتى يشتق لها منها الاسم » (ابن سينا ، النجاة ، ٣٤١) ومعنى ذلك أن طبيعة الواحد عند ابن سينا طبيعة عرضية ، وكذلك طبيعة العدد الذي يتبع الوحدة ، ويتركب منها ، فالوحدة غير ذاتية للجواهر ، بل لازمة لها ، وهي معاقبة للكثرة في المادة ، ومقولة على الأعراض .

وهذا الذي ذهب إليه ابن سينا مخالف في نظر ابن رشد لآراء أرسطو ، لأن الواحد عند ابن رشد يدل من الشيء الموصوف به على طبيعته ، لا على أمر زائد عليه قال ابن رشد : « مما يدل على أن الواحد ليس يقال على شيء زائد على الموصوف به أن جوهر كل واحد من الأشياء هو واحد بالذات لا لأمر زائد عليه ، وذلك أنه لو كان الشيء واحداً بأمر زائد على ذاته كما يذهب لذلك ابن سينا لم يكن شيء من الأشياء واحداً بذاته وجوهره بل بشيء زائد على جوهره ، وذلك الشيء الذي صار به واحداً ، إن قيل فيه إنما صار واحداً بمعنى زائد

على ذاته ، فقد سئل أيضاً في ذلك الشيء الذي به صار واحداً بماذا صار واحداً ، فإن كان ذلك الأمر بمعنى زائد عليه ، عاد السؤال فيه ، ومرّ الأمر إلى غير نهاية » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ١/٣١٤ - ٣٥١) والسبب في اعتقاد ابن سينا أن الواحد صفة لازمة للماهية لا صفة مقومة لها أنه « أشكل عليه الفرق بين اسم الواحد الذي هو مبدأ العدد . . . وبين اسم الواحد المرادف لاسم الموجود » (ابن رشد ، تفسير ما بعد الطبيعة ، ٣/١٢٦٧) ولذلك قال ابن رشد إن ابن سينا غلط في هذا غلطاً كثيراً فظن أن الواحد والموجود يدلان على صفات زائدة على ذات الشيء ، قال : « والعجب من هذا الرجل كيف غلط هذا الغلط وهو يسمع المتكلمين من الأشعرية الذين مزج علمه الإلهي بكلامهم يقولون إن من الصفات ما هي صفات معنوية ، ومنها ما هي صفات نفسية ، ويقولون إن الواحد والموجود هما راجعان إلى الذات الموصوفة بها » لا إلى صفات دالّة على أمر زائد على الذات (ابن رشد تفسير ما بعد الطبيعة ١/٣١٣) ، وقال أيضاً : « لقد احتجّ هذا الرجل لمذهبه بأن قال إنه لو كان الواحد والموجود يدلان على معنى واحد لكان قولنا الموجود واحد بمنزلة قولنا الموجود موجود ، والواحد واحد ، وهذا إنما كان يلزم لو قيل أن قولنا في الشيء الواحد إنما هو موجود وواحد يدلاّن على معنى واحد من جهة واحدة ونحو واحد » (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٣) . ولكن الموجود والواحد إنما « يدلان من الذات الواحدة على أنحاء مختلفة ، لا على صفات مختلفة زائدة عليها » (ابن رشد المصدر نفسه ٣١٣) . فابن سينا لم يفرق بين الصفات الدالة على الذات والصفات الزائدة على الذات . وسبب غلطه كما يقول ابن رشد ، « أنه وجد اسم الواحد من الأسماء المشتقة ، وهذه الأسماء تدل على عرض وجوهر . . وأنه ظن أن اسم الواحد يدل على معنى في الشيء عادم للانقسام ؛ وأن ذلك المعنى

غير المعنى الذي هو طبيعة.. وأنه ظن أن هذا الواحد المقول على جميع المقولات هو الواحد الذي هو مبدأ العدد ، والعدد عرض فاعتقد أن اسم الواحد يدل من الموجودات على عرض» (ابن رشد ، المصدر نفسه ٣١٤).

وجملة القول أن غلط ابن سينا يرجع في نظر ابن رشد إلى أمرين :

١ — أحدهما أنه اعتقد أن الواحد الذي هو مبدأ العدد هو الواحد المرادف لاسم الموجود ، فإن كان الأول عرضاً وجب أن يكون الثاني عرضاً مثله ، لأنه مرادف له .

٢ — والآخر أنه التبس عليه اسم الموجود الذي يدل على الجنس ، والذي يدل على الصادق ، فإن الذي يدل على الصادق عرض ، والذي يدل على الجنس يدل على كل مقولة من المقولات العشر دلالة تناسب الهوية .

إن الواحد يقال على أنحاء مختلفة ، وحدُّه كما قال أرسطو أنه مبدأ العدد لا أنه عدد ، وهو في غير هيولى ، وقولنا كل ما هو موجود واحد ينعكس مثل قولنا كل ما هو واحد موجود ، فالواحد مرادف للموجود ، وهو يقابل الكثرة كما يقابل العدم الملكة .

ثم إن تصور الواحد بديهي ، ومعناه سلبي ، وهو نفي الانقسام عنه ، فإن كان صفة دل على الواحد بالعدد ، أو على الفرد من جهة ما هو جزء من كل ، أي من كثيرين بالعدد ، أو على الأحد الذي لا نظير له في ذاته ، أو على الكثير من جهة ما هو ذو وحدة متماسكة فيكون واحداً بالتركيب . وإن كان اسماً دلَّ على أول الأعداد ، أو على مبدأ الوجود أو الفكر ، والواحد بهذا المعنى الأخير هو المطلق الحقيقي . قال الفارابي : « يقال لكلّ موجود واحد من جهة ما هو موجود بالوجود الذي يخصّه ، وهذا المعنى من معاني الواحد يساوق الموجود الأول ، فالأول أيضاً بهذا الوجه واحد ، وأحق من كل واحد سواه باسم الواحد ومعناه» (المدينة

الفاضلة ، ٣٠) ، وقال ابن رشد : « إن اسم الواحد والموجود يدلاّن على ذات واحدة ، وإنما يختلفان بالجهة » (تفسير ما بعد الطبيعة ١٢٨١/٣) .

والواحد عند ابن سينا لا يصدر عنه إلاّ واحد لأنه بسيط ، قال في كتاب النجاة : « إن الواحد من حيث هو واحد إنما يوجد عنه واحدٌ » (النجاة ، ٤٥٣) وقال في كتاب الإشارات : « الأول ليس فيه حيثيات لوحدانيته ، فيلزم كما علمت أن لا يكون مبدأً إلاّ لواحد بسيط » ، وهو العقل الأول . ومعنى ذلك أن الأول واحد من جميع الوجوه ، فإذا صدر عنه موجود غيره وجب أن يكون هذا الموجود واحداً . مثال ذلك أن واجب الوجود في مذهب ابن سينا لا يبدع إلا العقل الأول ، لأنه واحد ، ولأنه لا يصدر عن الواحد إلاّ واحد ، وهذا شبيه بقول (أفلوطين) في التساعيات إن الواحد ، وهو الأقنوم الأول ، لا يصدر عنه إلا أقنوم ثان وهو العقل ، فالواحد غير معين ، أما الأقنوم الثاني فهو عقل وموجود ومعقول معاً . فابن سينا يعدُّ هذا المبدأ ركناً من أركان الفيض على حين أن ابن رشد يعدّه سبباً من أسباب الوهم ، لأنه ليس هنالك في نظره صدور ولا لزوم ولا فعل حتى تقول إن الفعل الواحد يلزم أن يكون عن فاعل واحد .

وها هنا سؤال لا بدّ من الإجابة عنه ، وهو قولنا : إذا كان الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد فمن أين جاءت الكثرة ؟ إن قولنا : إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد يناقض قولنا إن الذي صدر عن الواحد الأول شيء فيه كثرة ، وإذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول ترجع إلى كونه يعقل ذاته ويعقل الأول قال ابن رشد إن ذلك يوجب أن تكون ذات العقل الأول مركبة من طبيعتين ، فأي هاتين الطبيعتين هي الصادرة عن المبدأ الأول ، وأيها هي الغير الصادرة ، إنا لا نستطيع أن نتخلص من هذا الإشكال إلا إذا قلنا إن الكثرة التي في العقل الأول كل واحد منها أول ، وهذا يسوقنا إلى القول بتعدد المبادىء .

ولكن الفلاسفة القدماء يجيبون عن سؤالنا : من أين جاءت الكثرة بواحد من الأجوبة التالية ، أحدها قول بعضهم إن الكثرة جاءت من الهيولى ، والثاني قول بعضهم إنها جاءت من الآلات ، والثالث قول من قال إنها جاءت من قبل الوسائط والذي جرى عليه ابن رشد في تعليل حدوث الكثرة إرجاعها إلى الأسباب الثلاثة أي إلى المتوسطات والآلات والاستعدادات ، وهذه كلها تستند إلى الواحد وترجع إليه .

وصفوة القول إن الواحد عند ابن رشد يدلّ على الجوهر تارة وعلى العرض أخرى ، أما عند ابن سينا فهو لا يدلّ إلا على عرض في الجوهر ، وما كان عرضاً كان زائداً على الذات لا مقوماً لها . وسيتضح لنا ذلك عند الكلام على اسم الموجود في الفقرة التالية .

٤ ـ المسألة الثالثة

هل يدل اسم الموجود على الذات أم على صفة زائدة على الذات ؟

الموجود هو الثابت في الذهن أو في الخارج ، وهو من المعاني الأولية أو البديهية التي يصعب تعريفها . قال ابن سينا : « إن الموجود لا يمكن أن يشرح بغير الاسم لأنه مبدأ أول لكل شرح . فلا شرح له ، بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء » (النجاة ٣٢٥) . وقال ابن رشد: « إن اسم الموجود واسم الهوية يدل كل واحد منها على مقولة الجوهر ، وعلى سائر أعراض الجوهر التي هي المقولات التسع » (تفسير مابعد الطبيعة ٧٤٧/٢) ، وقال أيضاً : « ولكن هذا الاسم إنما يدل أولاً وباطلاق وتقديم على مقولة الجوهر » (المصدر نفسه ٧٤٧/٢) .

ونحن نلاحظ أولاً أن الموجود يقال عند ابن رشد على أنحاء مختلفة (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ٥ ـ ٦) .

١ – فهو يطلق على كل مقولة من المقولات العشر .

٢ – وهو من أنواع الأسماء التي تقال بترتيب وتناسب لا التي تقال باشتراك محض ، ولا بتواطؤ .

٣ – وهو يقال على الصادق ، وهو الذي في الذهن على ما هو عليه خارج الذهن .

٤ – وهو يقال على ما له ماهية وذات خارج النفس سواء تصورت تلك الذات أو لم تتصور .

٥ – وقد يدل بلفظ الموجود على النسبة التي تربط المحمول بالموضوع في الذهن ، وعلى الألفاظ الدالة على هذه النسبة سواء كان ذلك الارتباط ارتباط إيجاب أو سلب ، صادقاً كان أو كاذباً ، بالذات أو بالعرض .

وها هنا مسألتان كانتا سبب اختلاف شديد بين ابن سينا وابن رشد ، الأولى مسألة انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب ، والثانية مسألة الماهية والوجود .

١ – الواجب والممكن :

يقول ابن سينا : « إن الواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال ، وإن الممكن الوجود هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض منه محال . والواجب الوجود هو الضروري الوجود ، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه ، أي لا في وجوده ولا في عدمه » (النجاة ٣٦٦) . ثم يقول : « إن الواجب الوجود قد يكون واجباً بذاته ، وقد لا يكون بذاته . أما الذي هو واجب الوجود بذاته فهو الذي لذاته لا لشيء آخر ... وأما الواجب الوجود لا بذاته ، فهو الذي لو وضع شيء مما ليس هو صار واجب الوجود » (النجاة ٣٦٦) ، مثال ذلك : « إن الأربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن

عند فرض اثنين واثنتين ، والاحتراق واجب الوجود لا بذاته ولكن عند فرض التقاء القوة الفاعلة بالطبع والقوة المنفعلة بالطبع ، أعني المحرقة والمحترقة » ، ثم يضيف إلى ما تقدّم قوله : « ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معاً » (النجاة ٣٦٧) بل كل ما هو واجب الوجود بغيره فإنه ممكن الوجود بذاته ، وهذا ينعكس فيكون كل ما هو ممكن الوجود بذاته ، فإنه ان حصل وجوده كان واجب الوجود بغيره . فهناك إذن ثلاثة أنماط من الوجود .

الأول : هو الممكن بذاته ويشتمل على جميع الأشياء التي يتساوى فيها العدم والوجود .

والثاني : هو الممكن بذاته الواجب بغيره ، وهو يشمل جميع موجودات هذا العالم .

والثالث : هو الواجب الوجود بذاته ، وهو المبدأ الأول أي الله .

ولكن ابن رشد يبين أن انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب رأي انفرد به ابن سينا فربما أتى به من عند نفسه ، أو ربما أخذه عن الفارابي وإخوان الصفا ، أو عن المتكلمين ، وخصوصاً عن أبي المعالي الذي قال : « إن العالم بأسره جائز . قال ابن رشد : « ونحن نجد ابن سينا يذعن لهذه المقدمة بوجه ، وذلك أنه يرى أن كل موجود ما سوى الفاعل ، فهو إذا اعتبر بذاته ممكن وجائز » (ابن رشد ، كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ٤٠) ، وقال أيضاً : « إن المتكلمين يرون ... أن الموجود ينقسم إلى ممكن وضروري ، وأن الممكن يجب أن يكون له فاعل ، وان العالم بأسره لما كان ممكناً وجب أن يكون الفاعل له واجب الوجود . هذا هو اعتقاد المعتزلة قبل الأشعرية ، وهو قول جيّد ، ليس فيه كذب إلاّ ما وضعوا من أن العالم بأسره ممكن .. فأراد ابن سينا أن يعمم هذه

القضية ويجعل المفهوم من الممكن ما له علة ، وإذا سومح في هذه التسمية لم تنته به القسمة إلى ما أراد لأن قسمة الموجود أولاً إلى ما له علة وإلى ما لا علة له » ليست قسمة معروفة بنفسها (كتاب تهافت التهافت ٧٢).

لقد زعم ابن سينا أن الواجب الوجود بغيره ممكن بذاته ، وأن الممكن يحتاج إلى واجب ينقله من حالة الوجود بالقوة الى حالة الوجود بالفعل ، فقال ابن رشد : ان الواجب ليس فيه إمكان أصلاً ، ولا يوجد شيء ذو طبيعة واحدة ، ويقال في تلك الطبيعة إنها ممكنة من وجه ، وواجبة من وجه . قال ابن رشد : وليس يصح أن يقال : « ها هنا شيء ممكن من ذاته ، أزلي وضروري من غيره ، كما يقول ابن سينا إن الواجب منه ما هو واجب بذاته وواجب بغيره إلا في حركة السماء فقط ، وإما أن يوجد شيء هو في جوهره ممكن وهو من قبل غيره ضروري الوجود فلا يمكن ذلك ، لأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون من قبل جوهره ممكن الوجود ، ويقبل من غيره الوجود الضروري إلا لو أمكن فيه أن ينقلب طبعه ، وأما الحركة فيمكن فيها أن تكون واجبة من غيرها ممكنة من ذاتها . والسبب في ذلك أن الوجود لها من غيرها وهو المحرك ، فإن وجدت سرمدية فواجب أن يكون ذلك من قبل محرك (سرمدي) لا يتحرك بالذات ولا بالعرض ، فالبقاء للحركة من قبل غيرها وأما للجوهر فمن قبل ذاته ، ولذلك لم يمكن أن يوجد جوهر ممكن من ذاته ضروري من غيره ، وأمكن ذلك في الحركة » (تفسير ما بعد الطبيعة ١٦٣٢/٣).

ومعني ذلك أن ابن رشد يجيز انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب في الحركة ، ويمنعه في الجواهر لأن الجواهر عنده أزلية ، والبقاء لها من قبل ذاتها ، لا من قبل غيرها ، والممكن الوجود لا يمكن أن يصبح

واجب الوجود إلا إذا انقلبت فيه طبيعة الإمكان إلى طبيعة الضرورة ، والإمكان السرمدي هو الوجود الضروري ، أمّا عند ابن سينا فإن الجواهر ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها . والجزئيات أعراض ممكنة بالقياس إلى الكليات، وقولنا إنها أعراض ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها لا يجعل العالم داخلاً في حظيرة الإمكان بل يجعله مع إمكانه مصطبغاً بصبغة الوجوب .

٢ ـ الماهية والوجود :

تطلق الماهية على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق ، مع قطع النظر عن الوجود الخارجي . فإذا سألنا ما المثلث مثلاً سألنا عن معناه المتصور في الذهن ، فالأمر المتصور في الذهن من حيث هو مقول في جواب ما هو يسمّى ماهية ، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمّى حقيقة ، ومن حيث مطابقته للشيء الموجود في الخارج يسمّى صادقاً . قال ابن رشد : « والصادق من إيجاب أو سلب هو الذي يكون من خارج النفس على ما هو عليه في النفس ، والكاذب ضدّ ذلك » (تفسير ما بعد الطبيعة ١/٤٥٥) ، ومسألة المطابقة بين الأشياء المتصورة في الذهن والأشياء الموجودة في الخارج من أعوص المسائل التي شغل بها الفلاسفة خلال حقب طويلة من الزمان ، حتى إن ابن سينا الذي عني بهذه المسألة عناية بالغة لم يقتصر على التمييز بين وجود الماهية في الذهن ووجودها أو عدم وجودها في الخارج ، بل قرر أن للمعقولات ثلاثة أنماط من الوجود ، وهي :

١ ـ وجودها في العقل الإنساني مجردة من اللواحق الحسية .

٢ ـ وجودها في الأعيان وجوداً طبيعياً غير مفارق .

٣ ـ وجودها في العقل الفعال .

ولكن تصور الماهية عند ابن سينا لا يستلزم وجودها الخارجي ، لأن

الوجود في نظره ليس مقوماً للماهية ، وإنما هو صفة عرضية لازمة لها ، وهو في ذلك يقول : « ليس من شأن المعنى المتصور أن يكون له في الوجود مثال بوجه ، مثل كثير من معاني الأشكال الموجودة في كتب الهندسة ، وإن كان وجودها في حيز الإمكان ، ومثل كثير من مفهومات ألفاظ لا يمكن وجود معانيها ، مثل مفهوم لفظ الخلاء ، ومفهوم الغير المتناهي في المقادير ، فإن مفهومات هذه الألفاظ تتصور مع استحالة وجودها ، ولو لم تتصور لم يمكن سلب الوجود عنها . فإن ما لا يتصور معناه من المحال أن يسلب عنه وجود ويحكم عليه بحكم سواء كان إثباتاً أو نفياً » (ابن سينا ، منطق المشرقيين ، ٣١ – ٣٢) ، ويقول أيضاً : إن الوجود صفة رئيسية للأشياء ذوات الماهيات المختلفة محمول عليها ، خارج عن تقويم ماهياتها » (المصدر نفسه ، ٢٢) ، ولا يمكن أن يكون الوجود صفة مقومة للماهية ، لأن الموجود مساوق للواحد والواحد كما ذكرنا آنفاً من لوازم الماهيات لا من مقوماتها .

وقد بين ابن سينا في كتاب الإشارات أن ماهية الشيء قد تكون علةً لإحدى صفاته ، ولكنها لا تكون علة لوجوده . إن العلة متقدمة على المعلول في الوجود فكيف يمكن أن تكون الماهية علة الوجود وهي لا تزال في حظيرة الإمكان . فهناك إذن فرق حقيقي بين ماهية الشيء ووجوده ، يدلّ على ذلك قول ابن سينا في تصنيف العلوم : إن العلم الطبيعي يبحث في أمور حدودها ووجودها متعلقان بالمادة والحركة ، وإن العلم الرياضي يبحث في أمور وجودها متعلق بالمادة والحركة ، وحدودها غير متعلقة بها ، وإن العلم الإلهي يبحث في أمور لا وجودها ولا حدودها متعلقة بالمادة والحركة . ففرّق كما ترى بين حدود الأشياء ووجودها في الخارج ، والحدّ عنوان الذات ، أو هو القول المفصل الدال على ماهية الشيء كحدّ المثلث المتساوي الأضلاع ، فإنه يولّد في النفس صورة معقولة

مطابقة لماهية المثلث ، ولكنه لا يستلزم بالضرورة وجود المثلث بالفعل في العالم الخارجي . ولم يكن ابن سينا أول من أخذ بهذا الرأي فقد سبقه إلى ذلك من فلاسفة الإسلام أبو نصر الفارابي في كتاب فصوص الحكم ، حيث بيّن أن الوجود لا يدخل في تقويم الماهيات الممكنة ، وإذا انقسمت الموجودات إلى ممكن وواجب أمكننا أن نقول إن الماهية والوجود هما في الموجود الواجب بذاته شيء واحد ، أما في الموجودات الممكنة بذاتها والواجبة بغيرها فالوجود غير مقوّم للماهية .

ذلك هو رأي ابن سينا في علاقة الماهية بالوجود ، وهو مختلف عن رأي ابن رشد تمام الاختلاف ، لأن ابن رشد يرى أن قولنا في الشيء إنه موجود لا يدلّ على معنى زائد على جوهره ، وكذلك وجوب وجود الشيء وإمكان وجوده فإنهما لا يدلاّن على معنى زائد على الماهية . وهو يلوم ابن سينا على قوله إن الوجود عرض لاحق للماهية ، وإن كل ما كان وجوده زائداً على ماهيته فله علّة ، وكلّ ما له علة أوجبت وجوده فهو ممكن بذاته وواجب بغيره .

وفي الحق أن لفظ الموجود يدلّ عند ابن رشد على معنيين :

« (أحدهما) ما يدل على الصادق مثل قولنا هل الشيء موجود أم ليس بموجود ، وهل هذا يوجد كذا أو لا يوجد كذا .

« (والثاني) ما يتنزل من الموجودات منزلة الجنس ، مثل قسمة الموجودات إلى المقولات العشر ، وإلى الجوهر والعرَض .

« فإذا فهم من الموجود ما يفهم من الصادق لم يكن خارج النفس كثرة ، وإذا فهم منه ما يفهم من الذات والشيء كان اسم الموجود مقولاً على واجب الوجود ، وعلى ما سواه بتقديم وتأخير مثل اسم الحرارة المقول على النار وعلى الأشياء الحارّة » (ابن رشد ، تهافت التهافت ٧٨) . فاذا قلنا إن الماهية متقدمة على الوجود ، وإن الوجود يرد على الشيء أو يضاف إليه

من خارج لم يفهم من قولنا هذا أن لفظ الوجود المستعمل هنا هو الوجود الذي يدّل على ذوات الأشياء بل فهمنه أنه الوجود الذي يدل على الصادق. مثال ذلك أن المثلث له ماهية وهي كونه شكلًا تحيط به ثلاثة أضلاع ، وليس الوجود جزءاً من هذه الماهية مقوماً لها . ولذلك يجوز أن يدرك العقل ماهية المثلث ، وليس يدري هل له وجود في الأعيان أم لا ؟ فإن كان المعنى الذي في الأذهان مطابقاً للشيء الذي في الأعيان كان صادقاً ، وإن لم يكن كذلك كان كاذباً . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول إن تصور الماهية متقدم على الوجود في الخارج .

ولكن اسم الموجود لا يدل على الصادق فحسب ، بل يدل على شيء آخر ، وهو ذات الشيء . إنا لا نطلب معرفة ماهية الشيء حتى نعلم أنه موجود ، فالماهية الموجودة في الذهن والمتقدمة على الوجود ليست في الحقيقة ماهية ، وإنما هي شرح معنى اسم من الأسماء . فإذا علم أن ذلك المعنى موجود خارج النفس علم أنه ماهية ، وقد جاء في كتاب المقولات لأرسطو أن كليات الأشياء المعقولة إنما صارت موجودة بأشخاصها ، وأشخاصها معقولة بكلياتها ، وجاء في كتاب النفس أن القوة التي بها ندرك أن الشيء مشار إليه وموجود غير القوة التي ندرك بها ماهية الشيء المشار إليه . ولذلك قيل إنّ الأشخاص موجودة في الأعيان ، والكليات متصورة في الأذهان ولا معنى لقول ابن سينا إن الوجود زائد على الماهية ، لأنه لو كان زائداً عليها لكان كالواحد عرَضاً مشتركاً ، وهذا في نظر ابن رشد غير صواب .

فأنت ترى أن بين رأي ابن رشد ورأي ابن سينا اختلافاً كبيراً ، لأن ابن سينا يزعم أن الوجود زائد على الماهية ، وأن ماهية الشيء متقدمة على وجوده على حين أن ابن رشد يقول إن الماهية لا تتقدم على الوجود إلا اذا فهم من اسم الموجود أنه يدل على الصادق ، ولكن إذا فهم من

اسم الموجود أنه يدل على ذات الشيء كان الوجود مقوّماً للماهية لا لازماً لها . إنك لا تدرك ماهية الشيء إدراكاً حقيقياً حتى تعلم أنه موجود ، وهـذا أقرب إلى رأي الوجوديين المعاصرين الذين يرون أن ماهيـة الشيء عين وجوده .

٥ ـ خاتمـــة

ونريد الآن أن نختم هذا المقال باشـارة سريعة الى ما يريده ابن سينا بقوله : إن اسم الواحد عرَض في الجوهر ، وإن الوجـود لازم للماهيـة لا مقوّم لها . إن ابن سينا آرسطي العقل ، أفلاطوني القلب ، إنه يبـني هيكلاً أفلاطونياً بحجـارة مشائية ، والدليل على ذلك أن للمعقولات عنده وجوداً في العقل الفعّال فوق العقل الإنساني ، والفرق بين معقولات ابن سينا ومثل أفلاطون أن الأولى مجتمعة في العقل الفعال ، والثانية قائمـــة بذاتها في عالم الآلة . ومع أن ابن سينا يبطل المُثُل الأفلاطونية كما يبطلها أرسطو ، فإنه لم يستطع أن يفسر لنا حصول المعرفة في العقل الإنساني إلا بطريقين : أحدهما طريق الإحساس ، والآخر طريق التأمّل ، ذلك لأن المعرفة لا تحصل بتأثير قوى النفس وحدها ، بل تحصل باشراق المعقولات على النفس الإنسانية من العقل الفعال . وقد قلت في موضع آخر إن العقل الفعّال يجمع الصور العقلية التي تفيض عليه من الجواهر العلوية ثم يرسلها إلى عالم الكون والفساد ليكسو بها المـادة ، هكذا تفيض الصور الحسية على المادة لتنقلها من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل ، وهكذا أيضاً تفيض الصور العقلية على النفس الإنسانية لتولد فيها المعرفة المطابقة لحقائق الأشياء . فالمعرفة إذن هي الاتصال بعالم المعقولات ، والإشراق هو اتحاد إدراك العقل بجوهر الوجود ، ولو اقتصـرت النفس على القوى الحيوانية من حس وخيال ووهم لما استطاعت أن تنتقل من إدراك الجزئيات

إلى إدراك الكليات ، والفرق بين ابن سينا وأفلاطون أن الأول يجعل المعقولات قائمة في العقل الفعال ، على حين أن الثاني يجعلها قائمة بذاتها خارج كل عقل .

وظاهر أن ابن سينا لم يقدم هذه المقدمات ولم يأخذ بنظرية الفيض الأفلاطونية إلا ليجعل فلسفته موافقة للدين . فالله في هذه الفلسفة هو الواجب الوجود الذي يوصف بأنه واحد ، وتام ، وخير ، وكامل ، ومبدع ، وهو واجب الوجود بذاته لا يشوب وجوده شيء من الإمكان والإضافة ، فوجوده عين ماهيته ، ووحدانيته عين ذاته . أما ما خلا الله من الموجودات الممكنة بذاتها ، والواجبة بغيرها فالوجود فيها عرض مضاف على الماهية ، والوحدة فيها من لوازم الماهيات لا من مقوماتها . لا تصبح الماهيات موجودة بالفعل في العالم الخارجي إلا بفعل مبدأ مفارق تفيض عنه الصور على المادة لتلبسها ثوباً من الجمال والخير . نعم ، إن الماهيات المعقولة موجودة في العقل الإنساني على سبيل الانفعال كما هي موجودة في العقل الفعال على سبيل الفعل ، ولكن وجودها في العالم الخارجي بالفعل يحتاج إلى علة فاعلة تنقلها من حالة اللاتعين إلى حالة التعين ، وهذه العلة الفاعلة هي الصانع أو الله الذي يعطي جميع الماهيات ، ذلك المعنى الذي تصير به موجودة ، فبين الوجود في العالم الخارجي وبين الوجود في العقل الإنساني مطابقة تامة ، كما أن بين الكليات الثابتة ، والجزئيات المتغيرة موازاة حقيقية . والسبب في هذه المطابقة أن الأصل الذي تصدر عنه الصور في كلا الحالين واحد . وفي هذه الصور التي تفيض على العالم صبغة إلهية تجعل الأشياء واجبة وضرورية، نعم إن العالم في نظر ابن سينا داخل في مقولة الممكن وعلاقته بمبدعه كعلاقة الممكن بالضروري ، ولكن هذا الإمكان الذي اتشح به العالم ليس حادثاً في زمان معين . ولو أخذ ابن سينا بمذهب وحدة الوجود الذي يوحد الله والعالم لما احتاج إلى التمييز بين الماهية والوجود ، ولا بين الإمكان والوجوب ،

ولكنه زعم أن هنالك عالماً مفارقاً تفيض عنه الصور على العالم المحسوس وتنقل الأشياء من حالة الوجود الممكن إلى حالة الوجود الضروري . وفي هذا القول كما لا يخفى أثر من أفلاطون واضح لم يبق منه في فلسفة ابن رشد شيء . لقد ترددت الفلسفة العربية بين أفلاطون وأرسطو مدة طويلة من الزمان ، فلما انتشرت تآليف ابن رشد عادت إلى أحضان أرسطو واستقرت فيها . لقد قال ابن سبعين : إن خلاف ابن سينا لأرسطو لما يشكر عليه ، ولكن ابن رشد الذي كان بالجملة مقلداً لم يشكر ابن سينا على ما خالف به أرسطو ، بل لامه على ذلك لوماً شديداً . وإذا كان نقده لابن سينا أخف من نقده للغزالي ، فمرد ذلك إلى أن الغزالي كان عدو الفلاسفة اللدود ، وقتال العدو للعدو لا يشبه عتاب الصديق للصديق . إن نسبة ابن رشد الى سلفه ابن سينا كنسبة أرسطو إلى أفلاطون ، أو كنسبة القديس توما الاكويني الذي كان أرسطياً الى القديس انسلم الذي اتبع طريقة القديس أوغستينوس وكان في جدله أفلاطونياً .

اقد قال أرسطو في المقالة الأولى من كتاب ما بعد الطبيعة إن الإنسان لا يصل إلى الحقيقة دفعة واحدة ، وإنه ينبغي له أن يعترف بفضل العلماء السابقين وإن كانت آراؤهم مخالفة لرأيه ، وإذا كان أرسطو قد ردّ على كل من جاء قبله حتى على أستاذه أفلاطون ، فمرد ذلك الى رغبته في إظهار الحق . ولولا ذلك لما اعتذر عن مخالفة أستاذه بقوله : أفلاطون صديقي والحق صديقي ، لكن الحق أولى بالمحبة لقد ردّ ابن رشد على الغزالي وابن سينا كما ردّ أرسطو على أفلاطون ، ولكن لو لم يكن ابن سينا لم يكن الغزالي ، ولو لم يكن الغزالي لم يكن ابن رشد

جميل صليبا

أبو الفداء : الملك العلّامة

الدكتور محمد كامل عياد

يُعتبر أبو الفداء ، الملك المؤيَّد عماد الدين إسماعيل بن علي ، صاحب حماة من ألمع الشخصيات في تاريخ العرب والإسلام ، فهو من أسرة الأمراء الأيوبيين الذين حكموا مصر وبلاد الشام أكثر من ثمانين عاماً وامتازوا بالشجاعة والإقدام ، وأبلَوا بلاءً حسناً في محاربة الصليبيين وطردهم من هذه الأقطار ..

ولد أبو الفداء في جمادى الأولى من سنة (٦٧٢) هجرية الموافق تشرين الثاني سنة (١٢٧٣) ميلادية بمدينة دمشق التي كان أهله قد جفلوا إليها من غارة التتر . وبعد انتصار الجيوش الإسلامية على التتر خارج حمص في سنة (٦٨٠)[١] عاد الملك المنصور محمد ، صاحب حماة إلى بلده ومعه أهله وأخوه الملك الأفضل والد أبي الفداء . ولمّا انتقل الحكم إلى الملك المظفّر محمود في سنة (٦٨٣) ظل عمه الملك الأفضل يساعده في إدارة الحكومة وقيادة عساكر حماة . وقد رافق أبو الفداء في السنة التالية وهو في الثانية عشرة من عمره أباه ، وابن عمه الملك المظفر عند محاربة الفرنج وفتح حصن (المرقب) الشهير[٢] . وفي سنة (٦٨٨) ساهم أبو الفداء في الهجوم على طرابلس وتحريرها من الصليبيين[٣] . وفي سنة (٦٩٠) أصبح أبو الفداء (أمير عشرة) فعهد إليه بنقل إحدى العجلات

(١) راجع كتاب المختصر في أخبار البشر طبعة استانبول سنة ١٢٨٦ ، المجلد ٤ صفحة ١٥

(٢) المختصر ، المجلد ٤ صفحة ٢٣

(٣) المصدر نفسه ، صفحة ٢٤

لحمل المنجنيق العظيم المسمّى المنصوري من حصن الأكراد إلى دمشق ثم إلى عكا . وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء . ويبين لنا أبو الفداء في تاريخه (١) ما لاقاه الجنود في الطريق من مصاعب بسبب الأمطار والثلوج ، ثم يصف لنا بدقة مراحل الحصار والقتال في ظروف قاسية زادها شدّة هبوب الرياح العاتية ، وارتفاع أمواج البحر ، وعنف مقاومة الفرنج . وبعد أن نوّه أبو الفداء بشجاعة عسكر حماة أشار إلى أن الفرنج الصليبيين كانوا استولوا على عكا وأخذوها من السلطان صلاح الدين الأيوبي ظهر يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة سنة (٥٨٧) فاستعادها الآن في سنة (٦٩٠) السلطان الأشرف صلاح الدين بن قلاوون كذلك يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة .

بعد وفاة والده احتلّ أبو الفداء مكانته في دولة حماة كمساعد لابن عمه الملك المظفر محمود الذي رفع رتبته في الجيش ، فظل يشترك في الحملات العسكرية والحروب ضد التتر والأرمن في الأناضول .

ولما مات الملك المظفر محمود فجأة في سنة (٦٩٨) خرجت مملكة حماة مؤقتاً من أيدي الأسرة الأيوبية — التقوية إذ أنه لم يكن للملك المظفر ولد يستطيع وراثته ، كما لم يتمكن سائر أفراد الأسرة وفي مقدمتهم أبو الفداء وأخواه أسد الدين عمر وبدر الدين حسن من الاتفاق على مرشح لملك حماة (٢) فانتهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون هذه الفرصة لإرضاء أحد رفاقه من المماليك هو (قرا سنقر) فأرسله نائباً عنه في حماة ثم تعاقب على هذه النيابة عدد من المماليك حتى سنة (٧١٠) .

وقد عرف أبو الفداء في هذه الفترة كيف يتودد إلى السلطان المملوكي

(١) المختصر ، المجلد ٤ الصفحة ٢٥ – ٢٦

(٢) راجع المختصر ، مجلد ٤ صفحة ٤٣

محمد بن قلاوون ويخدمه ويقدم إليه الهدايا ، واستطاع أن ينال ثقته حتى وعده بملك حماة . وساعد على إنجاز الوعد توسط (مهنا بن عيسى) أمير عرب الفضل الذي كان له نفوذ كبير في المملكة ، والذي حصل في سنة ٧١٠ على مرسوم من السلطان بتعيين أبي الفداء نائباً في حماة [١] . وبعد أن تسلّم أبو الفداء مقاليد الأمور لقب بالملك الصالح ، وأخذ يسعى إلى تمتين صلاته بالسلطان الناصر ، حتى عهد إليه في سنة ٧١٢ بالملك عوضاً عن النيابة ، ولقبه بالملك المؤيّد [٢] . وظل أبو الفداء يتردّد على القاهرة من حين إلى آخر ، ويزور السلطان محمد بن قلاوون ويخرج معه إلى الصيد ويرافقه إلى الحج . وكان السلطان يعرف أقدار الرجال ، ويحب أهل العلم ، وقد تأكد من إخلاص أبي الفداء له ، وأعجب بسيرته وبما رآه من آدابه وفضائله ، فكان يكرمه ويحترمه ويعظمه . ولذلك رفع في سنة ٧٢٠ رتبته فألبسه شعار السلطنة [٣] وفوض إليه بأن يفعل في حماة ما يشاء من إقطاع وولاية دون مراجعة القاهرة ، وإنما عليه أن يجرد العسكر من مدينته حماة عند تجنيد الجيوش من مصر والشام ، كما رسم بأن يخطب له على منابر حماة وأعمالها ، وأن يخاطب « بالمقام العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، المؤيدي على ما كان عليه الأمر مع عمه الملك المنصور » [٤] .

إن نجاح أبي الفداء في استعادة ملك أسرته واحتفاظه بمكانة سامية في العهد المملوكي الذي كثرت فيه التقلبات والاضطرابات الداخلية دليل قاطع على ما كان يتحلى به من مهارة وحنكة ومرونة سياسية أشار إليها مؤرخو عصره ...

---

(١) المختصر ٤/٦٣-٦٤ (٢) المصدر نفسه ٤/٧٠-٧١

(٣) المصدر نفسه ٤/٩٠

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، « طبعة القاهرة ١٣٥٨ » ١٤/٩٥ - ٩٦

كذلك برهن أبو الفداء على كفاءة فائقة في إدارة مملكة حماة . فكان كثير العناية بمصالح الناس وحاجاتهم ، عادلاً في أحكامه ، شديد الاهتمام بعمران البلاد وازدهارها . وقد شيد الكثير من المباني الجميلة سواء القصور أو الجوامع أو المدارس أو الحمامات التي ما زال بعضها قائماً ..

ثم إن أبا الفداء كان ، مثل الكثيرين من الأمراء الأيوبيين ، ينظم الشعر الجيد ، ويحب أهل العلم والأدب ، فيقربهم ويشجعهم ويجيزهم بسخاء على مدائحهم له ، بل كان قد خصص رواتب دائمة لبعض الشعراء.

ويقول ابن حجر العسقلاني : « لا أعرف في أحد من الملوك من المدائح ما لابن نباتة والشهاب محمود وغيرهما ، في أبي الفداء إلا سيف الدولة »(١).

وقد أجاد أبو المحاسن بن تغري بردي في تعداد صفات أبي الفداء ومزاياه الجمة إذ قال : « كان ملكاً عالماً ، عادلاً ، سخياً ، جواداً ، ممدحاً ، عاقلاً ، ديناً خيراً ، ذا رأي وتدبير ومعرفة وسياسة ، مع الحلم والرياسة ، صاحب معروف وصدقات ، ذكياً ، فاضلاً ، ذا همة عالية ونفس زكية ، محباً لأهل العلم والخير ، كثير الإكرام لهم ، يعطي العطيات الجزيلة ويجيز على المدائح بالجوائز السنية »(٢) .

أما الشيخ جمال الدين الأسنوي فقد خص أبا الفداء بترجمة عظيمة في كتابه (طبقات الشافعية) وركز اهتمامه على الناحية العلمية وقال إنه « كان جامعاً لاشتات العلوم ، أعجوبة من أعاجيب الدنيا ، ماهراً في الفقه والتفسير والأصلين والنحو وعلم الميقات والفلسفة والمنطق والطب والعروض والتاريخ ، وغير ذلك من العلوم »(٣) .

(١) الدرر الكامنة ، المجلد ١ في ترجمة الملك المؤيد إسماعيل بن علي .
(٢) المنهل الصافي ، المجلد ٩ في ترجمة أبي الفداء .
(٣) نقلاً عن أبي المحاسن في المصدر نفسه .

ثم يروي الأسنوي كيف أن أبا الفداء ، عند قدومه إلى مصـر في إحدى المرّات ، استدعاه إلى مجلسه بصحبة الطبيبين الشهيرين ركن الدين ابن القوبع والصلاح ابن البرهان فجرى البحث في عدة من العلوم شارك فيها أبو الفداء مشاركة عالم محقق ، ثم انتقل الحديث اتفاقاً إلى علم النبات والحشائش ، فكان كلما ذُكر نبات تكلم على صفاته ، والأرض التي ينبت فيها ، والمنفعة التي فيه ، واستطرد في ذلك استطراداً عجيباً . وهذا الفنُّ هو الذي كان يتبجح الطبيبان ابن القوبع وابن البرهان بالاختصاص به ، بينما أكثر الأطباء يجهلونه ، فلما خرجا تعجبا إلى الغاية ، وقال الشيـخ ركن الدين : « ما أعلم ملكاً من ملوك المسلمين وصل إلى هذا العلم »(١).

ويتبين من الأخبار أن أبا الفداء كان يمارس الطب عملياً في بعض الأحيان . فقد مرض مرة ولده الملك الأفضل ، وكان يرافقه في رحلة إلى مصر ، فأرسل السلطان رئيس أطبائه الذي صار يأتي إليه بكرة وعشية فيجده حاضراً ليباحثه في سير المرض ، ويقدر الدواء ويمزجه بيده في دست من الفضة . وقد اضطر رئيس الأطبـاء إلى أن يعترف بمهارته في الطب ويقول له : « يا سيدي ، والله ما تحتاج إلي ، وما أجيء إلا امتثالاً لأمر السلطان »(٢) .

وفي الحقيقة فإن أبا الفداء إنما اشتهر في التاريـخ ، قبل كل شيء ، بأنه هو نفسه كان من كبار العلماء العرب . ويتفق المؤرخون الذين بحثوا في سيرته على أنه قد شارك في علوم وفنون كثيرة من فقه وفلسفة وطب وغير ذلك ، وأن أجود ما كان يعرفه ويتقنه علم الهيئة .

(١) المصدر نفسه ١٣
(٢) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ١/١٧

ومما يدعو إلى الإعجاب حقاً أن نشأة أبي الفداء العسكرية واشتراكه في الحروب العديدة ثم مشاغله الإدارية والسياسية ، ورحلاته المتعاقبة إلى مصر للاتصال بالحكام المماليك لم تمنعه جميعاً من الاستمرار في طلب العلم ، واقتناء الكتب القيمة ومطالعتها ، وحضور مجالس العلماء والمشاركة في مناقشاتهم . والأعجب هو أنه فوق كل ذلك ، وجد الوقت الكافي ، وبذل الجهد الضروري ليقوم بتأليف جملة من الكتب النفيسة التي احتلت مكانة سامية ، ونالت شهرة واسعة في الأوساط العلمية ، والتي مازالت تستوعي الاهتمام وتستحق الدراسة .

لقد انكبّ أبو الفداء على البحث العلمي . ولا يذكر المؤرخون أنه كانت تعقد في قصره مجالس الشرب واللهو ، بل يتفق الجميع على أنه كان متديناً ، وأنه قد انصرف إلى مسامرة الشعراء ، ومحاورة العلماء الذين كان يدعوهم إلى حماة التي أصبحت في عهده مركزاً لحركة ثقافية شاملة . وظل أبو الفداء يتابع الدراسة واقتباس المعرفة وتأليف الكتب طوال عمره ، إلى أن توفي في الثالث والعشرين من المحرم سنة ٧٣٢ هجرية - ١٣٣١ ميلادية .

من الأساتذة الذين تلقى أبو الفداء العلم عنهم نعرف الشيخ أثير الدين عبد الرحمن الأبهري الذي كان بارعاً في الطب والهيئة ، ويتقن الحساب والمساحة والاصطرلاب . وقد أخذ عنه أبو الفداء العلوم الرياضية وأسكنه في حماة وقدمه وأجرى عليه رزقاً (١) .

ويذكر أبو الفداء لنفسه أستاذاً آخر هو قاضي القضاة في حماة الشيخ جمال الدين محمد بن واصل الذي كان يتردد إليه كثيراً ، ويعرض عليه ما يحله من أشكال (اقليدس) ، ويستفيد منه معارف أخرى (٢).

(١) راجع ترجمة حياته في (الدرر الكامنة) ٣٣٩/٢

(٢) المختصر في أخبار البشر ٣٩/٤ - ٤٠

يروي المؤرخون وأصحاب التراجم جملة من الأشعار ، وعلى الأخص الموشحات التي نظمها أبو الفداء ، والتي لم تجمع حتى الآن . وهو قد ألَّف عدداً من الكتب نذكر منها :

١ — نظم كتاب (الحاوي الصغير) في الفقه الشافعي ، تأليف نجم الدين عبد الغفار القزويني .

٢ — كتاب (الموازين) . يقول (رينو) و (دوسلان) في مقدمتها لطبعة كتاب (تقويم البلدان) باريس ١٨٤٠ : إن كتاب (الموازين) ربما كان عبارة عن المنظومة في الفلك المحفوظة مخطوطة منها في مكتبة (بودليان) باكسفورد .

٣ — شرح (نظم الكافية) في النحو لابن الحاجب .

٤ — (التبر المسبوك في تواريخ الملوك) ؛ ذكر فهرس دار الكتب المصرية أنه يتضمن تواريخ المماليك سلاطين مصر والشام .

٥ — (الكناش) ؛ وقد ذهب رينو ودوسلان في مقدمة تقويم البلدان إلى أن (الكناش) كتاب في الطب من عدة مجلدات ، ولكن الأستاذ الدكتور حسن الساعاتي في دراسته عن « منهج أبي الفداء في البحث » التي ألقاها في مهرجان أبي الفداء بدمشق ذكر أنه اطلع على مخطوطـــة من الكناش بدار الكتب المصرية ، كتب على صفحتها الأولى أن « الكناش » مرتب على سبعة كتب ، وأن المخطوطة المذكورة تؤلف الكتاب الأول الذي يبحث في « النحو والتصريف » ، وجاء على هامش الصفحة الأولى أن الكتب الأخرى تبحث في الفقه ، والطب ، والتاريخ ، والأخلاق ، والسياسة والزهد ، والأشياء ، وفي فنون مختلفة .

على أنه لم ينتقل إلينا من مؤلفات أبي الفداء ولم ينشر سوى الكتابين المشهورين :

٦ — تقويم البلدان .

٧ — المختصر في أخبار البشر .

أما كتاب (تقويم البلدان) الذي انتهى أبو الفداء من تأليفه في سنة ٧٢١ هـ فإنه ليس ـ خلافاً لما ادعاه أحد المستشرقين ـ عبارة عن مجموعة هزيلة من المعلومـــات نقلت عن المصادر القديمة (١) ، بل إنه موسوعة مبتكرة امتازت بالدقة والشمول والوضوح . وقد اشتهر كتاب « تقويم البلدان » منذ صدوره ونال ثقة جميع الباحثين في العصور التالية فقام العلامة (شمس الدين الذهبي) معاصر أبي الفداء باختصاره والتعليق عليه ، واقتبس عنه (القلقشندي) بعد مدة عصر أجزاء كثيرة في كتابه المشهور (صبح الأعشى) ، ثم قام في أواخر القرن السادس عشر الميلادي (محمد بن علي سباهي زادة) بترجمة مقاطع منه إلى اللغة التركية ، بعد أن رتبه على حروف المعجم ، وأخرجه تحت اسم (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)(٢) .

كما في الشرق ، كذلك لاقى كتاب (تقويم البلدان) اهتماماً كبيراً في بلاد الغرب ، ونال شهرة واسعة لدى المستشرقين . وقد نشرت أجزاء منه منذ منتصف القرن السابع عشر وترجمت إلى اللغة اللاتينية . ثم عني المستشرقان الفرنسيان رينو ودوسلان بتحقيق المتن العربي ونشره والتصدير له بمقدمة ضافية عن سيرة أبي الفداء وعن كتابه في سنة ١٨٤٠ ، كما قاما بترجمة القسم الأول منه في سنة ١٨٤٨ وتمت ترجمة القسم الثاني من قبل (غيار) في سنة ١٨٨٣ .

---

(١) هكذا قال المستشرق الهولاندي (كرامرس Kramers) راجع كتاب (تراث الإسلام Legacy of Islam) طبعة اكسفورد ١٩٣١ م صفحة ٩١

(٢) راجع حاجي خليفة ، كشف الظنون ٣٩٣/٢ ، طبعة فلوغل .

يقول (رينو) و (دوسلان) : إن كتاب تقويم البلدان يمثل مؤلَّفاً ضخماً في مجاله ، وإن العصور الوسطى الأوروبية لم تعرف كتابـاً يمكن مقارنته به . ويعلق المستشرق الروسي (كراتشكوفسكي) على ذلك قائلاً : « لا يزال هذا الحكم صحيحاً في جوهره حتى أيامنا هذه »[١]. ويرى المستشرق الطلياني (آماري) أن كتاب (تقويم البلدان) قد حاز الإعجاب لأسلوبه المتزن ونقـده القويم . أما الأستاذ (جورج سارتون) صاحب الكتاب المشهور (مدخل إلى تاريخ العلم) فيصرح بأن أبا الفداء كان أعظم جغرافي في عصره [٢] .

وفي الحقيقة فإن أبا الفداء قدم لنا في كتاب (تقويم البلدان) خلاصة المعارف الجغرافية التي توصل إليها علماء العرب قبله . وقد برهن على مقدرة عالية في جمع الموادّ من مظانّها وتمحيصها ، وأجاد في ترتيبها وعَرْضها ، وهو يبين لنا في مقدمة الكتاب طريقته العلميـة في البحث ، وهدفه من التأليف إذ يقول : « إني لما طالعت الكتب المؤلفة في البـلاد ، ونواحي الأرض والجبال والبحار وغيرها ، لم أجد فيهـا كتاباً موفياً بغرضي . فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب (ابن حوقل) ، وهو كتاب مطوّل ذكر صفات البلاد مستوفياً ، غير أنه لم يضبط الأسماء ، وكذلك لم يذكر الأطوال والعُروض ، فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ؛ ومع جهل ذلك لا تحصل فائدة تامة » . ثم أشار من جهة ثانية إلى أن الكتب المؤلفـة في الأطوال والعُروض تهمل تحقيق الأسماء وبيان صفات

---

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، طبعة لينينغراد ١٩٥٧ ، صفحة ٣٨٩

(٢) G. Sarton : Introduction to The History Science . Vol. 111 p. 793 - 799 .

المدن ، بينما الكتب التي تعنى بتصحيح الأسماء وضبطها لا تتعرض إلى الأطوال والعروض ، وأضاف قائلاً : « ومع الجهل بالأطوال والعُروض يجهل سَمْتُ ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ، ولا الجنوبي ولا الشمالي .. ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في الكتب المذكورة ، من غير أن ندعي الإحاطة بجميع البلاد أو بغالبها ، فإن ذلك أمر لا مطمح فيه » .

وقد رجع أبو الفداء إلى مصادر عديدة ليستقي منها موادَّ كتابه ، فاستعان بمؤلفات أشهر الجغرافيين العرب ، مثل (كتاب المسالك والممالك) (لابن حوقل) وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف (الإدريسي) وكتاب المسالك والممالك (لابن خرداذبه) وكتاب (الأقاليم) للاصطخري و (جغرافية الأقاليم السبعة) لابن سعيد المغربي ، وقد اعتمد ، لتحديد خطوط الطول والعرض ، على كتاب (رسم الربع المعمور) المنسوب إلى (بطلميوس) وعلى كتاب (القانون المسعودي) للبيروني وكتاب (التذكرة) للعلاّمة نصير الدين الطوسي ، وعلى الكتاب المعروف باسم (العزيزي) للحسن بن المهلبي الذي لم يصل إلينا ، كما أنه استفاد عند ضبط الأسماء من كتاب (الأنساب) للسمعاني ، وكتاب (اللباب) لابن الأثير وكتاب (المشترك وضعاً والمختلف صقعاً) لياقوت الحموي ، (ولكنه لم يذكر كتابه المشهور « معجم البلدان » الذي ربما لم يكن اطلع عليه) .

على أن أبا الفداء لم يكن يكتفي بالاقتباس والنقل عن هؤلاء المؤلفين ، بل كان دوماً ينسب إلى كل واحد منهم ما أخذه عنه ، ثم يفحص أقوالهم ويقارنها وينتقدها .

تتجلى عبقرية أبي الفداء العلمية في أنه قد استطاع تنسيق المعلومات

الكثيرة ، المنوعة التي جمعها من هذه المصادر ، وعرف كيف يختصرها ويختار منها ما هو مناسب وضروري بعد تمحيصه ، كما أنه أحسن ترتيبها وعرضها بطريقة مبتكرة ، في شكل جداول لم يستخدمها جغرافي آخر قبله . كذلك اتبـع تصنيفاً جديداً للأقاليم إذ فرق بين الأقاليم الحقيقية وهي الأقاليم السبعة المعروفة ، الطبيعية أو المناخية ، وبين الاقاليم العرفية التي يقصد بها « كل ناحية أو مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الأماكن والبلاد ، مثل الشام والعراق وغيرها » . وقد عدّد ٢٨ إقليماً عرفياً ينقسم بعضها بدوره إلى أقاليم عرفية صغرى ، وقام بدراستها دراسة منهجية ، فذكر في كل إقليم أولاً حدوده وموقعه ، وبعض ظواهره الطبيعية ، ومراكزه البشرية ، ثم انتقل إلى الجداول التي تشتمل على أهم مدن الإقليم وقراه . ويمتدّ كلّ جدول على صفحتين : في الصفحة الأولى بيان خطوط الطول والعرض ، وتحديد الموقع ، وضبط الأسمـاء لغوياً ؛ وفي الصفحة الثانية ذكر الأوصاف والأخبار العامّة بصورة مكثفة ، مع التركيز على الظواهر الطبيعية ، وبعض النشاطات البشرية والاقتصادية والآثار التاريخية . وقـد أشار أبو الفداء عند كل موقع إلى المصادر التي نقل عنها معلوماته ، وهو لا يقتصر هنا على مؤلفـات الجغرافيين السابقين ، بل يستشهد أيضاً بأقوال الرحالة والتجار المعاصرين الذين اجتمع بهم ، أو بمشاهداته الذاتية . وخلافاً لغيره من المؤلفين فإن أبا الفداء يركز البحث على المعلومات الجغرافيـة ، ولا يستطرد إلى المسائل الأدبية والتاريخية والأسطورية .

وبالنظر إلى مستوى علم الجغرافيا في عصر أبي الفـداء ونقص آلات الرصد والقياس فليس غريباً إذا هو وقع في بعض الأخطاء أو نقلها عن غيره . ولا حاجة إلى الوقوف عند هذه الأخطاء لأن أهمية أبحاث أبي الفداء إنما تقاس بالنسبة إلى عصره وبالنسبة إلى الطريقة التي اتبعها في البحث .

ومن هذه الوجهة فإن كتابه (تقويم البلدان) قد تضمن خلاصة المعارف الجغرافية في ذلك العصر ، وهو يمتاز على غيره بروح النقد وصحة المعلومات ودقتها وحسن الترتيب ...

أما الكتاب الثاني الذي انتقل إلينا ، ونال أيضاً شهرة واسعة فهو كتاب (المختصر في أخبار البشر) . يقول أبو الفداء في مقدمة الكتاب إنه قد اختاره واختصره على الأخص من كتاب (الكامل في التاريخ) لعز الدين بن الأثير الجزري . ومن المعروف أن ابن الأثير إنما اختصر بدوره كتابه هذا من (تاريخ الأنبياء والملوك) لأبي جعفر الطبري ، مع إضافة فصول عن أيام العرب ، ومعلومات عن المغرب ، ثم سجل الأحداث التي وقعت بعد سنة ٣٠٢ هجرية ، التي كان الطبري وقف عندها لينتهي إلى سنة ٦٢٨ هجرية .

وقد اعتبر كتاب (الكامل) خير ما ألف من كتب الحوليات في التاريخ الإسلامي ، لما امتاز به من مادة غزيرة ، وتبويب حسن ، وأسلوب شيّق ، ولغة دقيقة ، واضحة . على الرغم من ذلك فإن ابن الأثير قد غفل عن بعض الحوادث الهامّة ، ووقع في كثير من الأخطاء ، عدا أنه كان يهمل في الغالب ذكر مصادره ، وينحرف أحياناً ويتحزب . وقد لاحظ أبو الفداء هذه الشوائب ، وعرف أن كتاب (الكامل) ليس كاملاً من جميع الوجوه ، وكان من الطبيعي أن لا يقتصر عالم محقق ، واسع الاطلاع مثله على النقل والاقتباس ، بل لا بدّ له من أن يسعى إلى التأكد من صحة الأخبار ، وإلى ضبط التواريخ ، والأسماء بالرجوع إلى المصادر الموثوقة . ولهذه الغاية استعان أبو الفداء بمجموعة من المؤلفات القيمة التي قلما نجد لبعضها ذكراً عند غيره من المؤرخين . فعلاوة على كتب معروفة مثل (تجارب الأمم) لابن مسكويه ، و (وفيات الأعيان) لابن خلكان،

و (تاريخ اليمن) للفقيه عمارة اليمني ، و (المغرب في أخبار أهل المغرب) لابن سعيد المغربي ، وكتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) للقاضي جمال الدين بن واصل ، اعتمد أبو الفداء بصورة خاصّة على (كتاب البيان عن تاريخ سني الزمان على سبيل الحجة والبرهان) لأبي عيسى بن المنجم ، ثم على (تاريخ سني ملوك الأرض) لحمزة الأصفهاني(١) .

وهنا لا بد من التساؤل : من هو أبو عيسى بن المنجـم ؟ لقـد ورد ذكره في كتاب (الفهرست) لابن النديم(٢) ، الذي يروي أخبـار آل المنجم جميعاً ، ويقول إن جد الأسرة (يحيى بن أبي منصور) هو فارسي ، اشتغل بالنجوم ، وأسلم على يد الخليفة المأمون . وقد نبـغ عدد من أولاده وأحفاده ، فاشتهر بعضهم بالأدب ورواية الشعر والتأليف في مختلف الفنون ومنادمة الخلفاء . ثم يقول ابن النديم : « ومن أفاضل آل المنجم أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى ، له من الكتب (كتاب تاريخ سني العالم) » دون أن يذكر شيئاً عن تاريخ مولد المؤلف أو موته أو عن محتوى الكتاب . ولكنه في ترجمة أخيه أبي عبد الله هارون يخبرنا أن هذا توفي في سنة ٢٨٨ هـ . ومن ذلك نستطيع أن نستنتج أنه عاش في أواخر القرن الثالث الهجري ، ويمكننا أن نتفق مع المستشرق (روزنتال F. Rosenthal) الذي يقول في كتابه (علم التاريخ عند المسلمين)(٣) : إن أبا عيسى بن المنجم ألف كتاب (تاريخ سني العالم) قبل الطبري بعدة عقود ، ثم يضيف قائلاً : إن هذا التاريخ ربما كان بحثاً مرتباً حسب السنين على النمط اليهودي ـ المسيحي يبدأ

(١) راجع المختصر في أخبار البشر ١/٣

(٢) ابن النديم ، الفهرست : طبعة القاهرة ١٣٤٨ هـ ، صفحة ٢٠٧

(٣) روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور أحمد صالح العـلي ، طبعة بغداد ١٩٦٣ ، صفحة ١٠٣

منذ الخليقة وهبوط آدم والطوفان ، ويروي قصص الأنبياء وأخبار الفرس واليونان والروم ، وإنه ربما لم يتطرق إلى تاريخ الإسلام قط . ومن المؤسف أن الكتاب لم يكتب له الانتشار ولم يصل إلينا .

ومهما كان الأمر فإن أبا الفداء في القسم الأول من (المختصر في أخبار البشر) الخاص بالأمم القديمة ، يعتمد كل الاعتماد على كتاب أبي عيسى المنجم الذي يبدو أنه قد استقى معلوماته من مصادر سريانية وبزنطية . فهو ، عند تحديد تاريخ (هيلين) و (موسى) مثلاً يستند إلى كتاب (الرد على جوليان) الذي ألفه (كيرلس Cyrillis) رئيس أساقفة الاسكندرية في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي . وهو يقول : « المنقول عن أصحاب السير من اليونان : أن (أميرس) أي [هوميروس] الشاعر اليوناني كان موجوداً في سنة ٥٦٨ لوفاة موسى »[1] . ونلاحظ أن هذا التحديد الزمني ينطبق على التقديرات الحديثة .

وعلى وجه الإجمال فإن الأخبار التي اقتبسها أبو الفداء عن أبي عيسى ابن المنجم فيما يتعلق باليونانيين والرومان تمتاز بالدقة ، وتقرب كثيراً من الصحة ، خلافاً لما يرويه أكثر المؤرخين العرب من قصص خيالية وأساطير . وقد أقدم أبو الفداء مرة واحدة على معارضة رواية أبي عيسى ، ولكن من المصادفات الغريبة أنه كان هو المخطيء في هذه الحالة . فقد ذكر أبو عيسى أن (طاليس) الملطي ، وهو أول فلاسفة اليونان ، كان في زمن (بخت نصر) . وهذا صحيح ، إذ حكم (بخت نصر) بين سنة ٦٠٥ و ٥٦٢ قبل الميلاد وعاش (طاليس) بين ٦٤٠ و ٥٤٦ قبل الميلاد . ولكن أبا الفداء رجع إلى كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني الذي ذكر

(١) المختصر في أخبار البشر ٨٨/١

أن الفيلسوف اليوناني (فيثاغوراس) [وهو متأخر عن طاليس] كان في زمن (سليمان) وأنه أخذ الحكمة من « منبع النبوة »(١) . وهنا أخذ أبو الفداء يحسب التواريخ القديمة فتبين له أن (بخت نصر) قد عاش بعد سليمان بأكثر من ٤٠٠ سنة واستنتج من ذلك أن قول (أبي عيسى) بأن الفلسفة اليونانية ظهرت في عهـــد (بخت نصر) غير مطابق لما ذكره الشهرستاني الذي اعتمد عليه دون مبرّر إلاّ أن يكون قد استهواه قول (الشهرستاني) بأن (فيثاغوراس) أخذ الحكمة من « معدن النبوة » ...

أما حمزة الأصفهاني الذي كان ، على الرغم من نزعته الشعوبية ، مشهوداً له بالفضل والمعرفة الواسعة ، والنظرة الفاحصة ، والآراء الجريئة ، فقـد تأثر أبو الفداء بطريقته الانتقادية في ضبط التواريخ وتحقيقها . وهو في كتابه (تاريخ سني الملوك) يذكر ملوك الفرس والروم وغيرهم فضلاً عن أنساب حمير ، وسائر دول العرب من غسّان ولخم وكندة ، وكان اهتمامه منصرفاً إلى تحقيق سني الولادة والوفاة ومدة الحكم . وفي كتابه قائمة بأسماء الكتب الفارسية الكثيرة التي استقى منها معلوماته . وقد لاحظ أبو الفداء أن الأخبار المأخوذة عن المؤرخين قبل الإسلام مضطربة جداً ، لأنهم كانوا يؤرخون من ابتداء ملك كل من تملك منهم فكثرت بدايات تواريخهم ، وكان هذا ، كما قال حمزة الأصفهاني : « سبباً في فساد تواريخهم فساداً لا مطمع في إصلاحه ، مع ما انضم إلى ذلك من بعد العهد ، وتغير اللغات ، وقدم الكتب المؤلفة في هذا الفن ، فصار تحقيق التواريخ القديمة متعذراً أو في غاية التعسر . »(٢)

وقد تأثر أبو الفداء أيضاً بأبحاث (أبي الريحان البيروني) الذي يعتبر من أكبر العلماء والمفكرين المسلمين . إلاّ أنه قد اقتصر على كتاب واحد

---

(١) المصدر السابق ٨٨/١ (٢) المصدر السابق ٤/١

من مؤلفاته هو (القانون المسعودي) في الهيئة والنجوم الذي استفاد منه عند تأليف كتاب (تقويم البلدان) ونقل رأي (البيروني) في مساحة الأقاليم السبعة ، ومقارنته بين أبحاث الهنود واليونانيين ، وتصريحه القائل : « الروم والهند أصدق سائر الأمم عناية بهذه الصناعة ، (يقصد علم الهيئة ووصف المعمورة) ولكن الهند لايبلغون غاية اليونانيين فيعترفون لهم بالتقدم ، ولمثله نميل إلى آرائهم ونؤثرها »[1] . وقد اقتبس أبو الفداء عن كتاب (القانون المسعودي) بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بقياصرة الرومان .[2] وكان من المنتظر أن يستفيد أبو الفداء من كتابين آخرين للبيروني لهما صلة بالتاريخ هما كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة) وكتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ولكن الكتاب الأول لايأتي ذكره أبداً عند أبي الفداء ، بينما يشير الى الكتاب الثاني مرة واحدة ، وذلك عند شرح اسم (اليهود) فينقل عن الشهرستاني قوله بأن هذا الاسم مشتق من هاد الرجل أي رجع وتاب ، وأنه إنما لزمهم لقول موسى : « إنا هدنا إليك » أي رجعنا وتضرعنا ثم يضيف أبو الفداء هنا ما قاله (البيروني) من أن ذلك ليس بشيء ، وأن اسم اليهود إنما أطلق عليهم نسبة الى (يهوذا) أحد الأسباط ، فإن الملك استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة كما يوجد في كلام العرب .[3]

وقد استند أبو الفداء أيضاً إلى التوراة التي اعتبرها من أهمّ المصادر لمعرفة التواريخ القديمة . إلا أنّه لاحظ الاختلافات الكبيرة بين نسخ التوراة الثلاث المتداولة وهي السامرية والعبرانية واليونانية ، فقال : إن الأولى والثانية « مفسودتان » وإن المحققين من المؤرخين قد اختاروا التوراة اليونانية التي ليس فيها ما يقتضي الإنـــكار من جهة الماضي من عمر الزمان . ثم

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان صفحة ١١

(٢) المختصر في أخبار البشر ١/٦٤ - ٦٥

(٣) المصدر نفسه ١/٩١

أشار أبو الفداء الى الأسطورة التي نسجت حول نقل هذه التوراة من العبرانية في عهد الملك بطلميوس الثاني (فيلادلفوس) وصرح بأنه قد اعتمد عليها دون غيرها في تحديد بعض التواريخ.[١] أما في سبيل قراءة الأسماء، فيقول إنه أحضر نسخة عبرانية لسفري القضاة والملوك، ثم أحضر شخصاً عارفاً باللغتين العربية والعبرانية فاستعان به عند ضبط الأسماء التي كانت فيها أحرف ليست من حروف العربي، وفيها إمالات ومدّات لايمكن أن تعلم إلاّ مشافهة.»[٢]

إلى جانب المصادر الرئيسية العامّة كان أبو الفداء يرجع في موضوعات معينة إلى الكتب الاختصاصية، فنراه مثلًا عند استعراض أسماء الفراعنة يعتمد على كتاب خاصّ بملوك مصر في قديم الزمان لمؤلف اسمه (ابن حنون الطبري) لانعرف عنه شيئاً. على أنه لما نقل عن التوراة أن فرعون الذي غزا بني إسرائيل في أيام (رحبعام بن سليمان) هو (شيشاق) [أي ششنق الأول مؤسس الأسرة الليبية] علق على ذلك قائلًا: «وهو الأصح» أي أصح من اسم (بولة) الذي ذكره (ابن حنون).[٣]

وفي الفصل الخاصّ بأمـــة اليونان نقل أبو الفداء تراجم حياة فلاسفة اليونان الكبار سقراط وافلاطون وآرسطو عن الشهرستاني، إلاّ أنه استعان أيضاً بكتاب (تاريخ الحكماء) لابن القفطي في سبيل معرفة أسماء الفلاسفة اليونانيين المتأخرين، وعلى الأخص الذين عاشوا منهم في الاسكندرية، واشتغلوا بالعلوم الرياضية والطب[٤] والذين لم يتعرض إليهم الشهرستاني.

كذلك في قسم التواريـخ الإسلامية كان أبو الفداء يرجع في كثير من

(١) المختصر ٦/١
(٢) المختصر ٣٢/١
(٣) المختصر ٦١/١
(٤) المختصر ٩٠/١

الموضوعات إلى مؤلفات الاختصاصيين لتلافي النقص أو تصحيح الأخطاء . فنراه مثلاً عند الكلام على غارة التتر ، التي يصفها بأنها كانت أعظم مصيبة نكب بها المسلمون ، يعتمد على كتاب (تاريخ ظهور التتر) تأليف (محمد بن أحمد النسوي) الذي كان كاتب الإنشاء لدى جلال الدين بن محمد خوارزم شاه ، وكان رافقه في حروبه ضد التتر ، وأصبح أخبر الناس بأحوال الخوارزميين وجيرانهم ، فنقل عنه أبو الفداء وصف بلاد الصين وأخبار نشأة جنكيز خان ، وحروب المغول والتتر .[١]

إن تفكير أبي الفداء كان يسيطر عليه الاتجاه الرياضي . فهو مولع باستقصاء المعلومات ومقارنتها وتمحيصها وبحساب التواريخ وضبطها . وقد رجع إلى كتاب (الجمع والبيان في أخبار القيروان) لأبي العرب الصنهاجي للتحقق من تاريخ مقتل أبي عبد الله الشيعي ، داعية المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ، إذ أورده ابن الأثير في سنة (٢٩٦) في حين ذكر الصنهاجي : إن ذلك في سنة (٢٩٨) ، ويضيف أبو الفداء قائلاً : « وهو الأصح عندي ، كما ذكر ذلك ابن خلكان أيضاً »[٢] . وعند البحث في دولة بني حماد بافريقية في أواخر القرن الرابع يقتبس أبو الفداء معلوماته من كتاب الصنهاجي أيضاً . أما أخبار دولة الحفصيين ، ملوك تونس في القرن السابع ، فيقول إنه نقلها من الشيخ ركن الدين بن القويع التونسي[٣] ، وهو الطبيب المشهور الذي اجتمع به في القاهرة كما ذكرنا سابقاً .

أورد ابن الأثير موت محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس ، صاحب حلب ، في (٤٦٩) . فعلق أبو الفداء على ذلك قائلاً : « لكنني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بابن العديم أن محموداً

---

(١) المختصر ١٢٩/٣
(٢) المختصر ٧٠/٢
(٣) المختصر ١٩٦/٣

المذكور مرض في سنة (٤٦٧) وحدث به قروح في الأمعاء مات بها في تلك السنة ذاتها ، فملك بعده ابنه نصر الذي لم يذكر ابن الأثير تاريخ مقتله ، بينما قال ابن العديم إن ذلك كان يوم الأحد مستهل شوال سنة (٤٦٩)[١]. ثم ذكر ابن الأثير أن قلعة (شيزر) القريبة من حماة لم تزل لبني منقذ يتوارثونها من أيام (صالح بن مرداس) . ولكن أبا الفداء صرح بأن الأمر ليس كذلك لأن ابن مرداس توفي سنة (٤٢٠) بينما كان تملك (بني منقذ) لشيزر في سنة (٤٧٤) أي بعد مدة أربع وخمسين سنة . ويضيف أبو الفداء قائلاً : « ونحن نورد أخبار بني منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد وهو أفضل بني منقذ . »[٢]

كان أبو الفداء يحرص على تقصي الأخبار الهامة من جميع المصادر . ومن الأمثلة على ذلك ما يرويه عن قاضي القضاة جمال الدين بن واصل الذي كان يتردّد عليه الدراسة كما سبق ذكره . فإن (ابن واصل) كان قد توجه في سنة (٦٥٩) هجرية (١٢٦١ ميلادية) رسولاً من قبل الملك (الظاهر بيبرس) إلى الامبراطور (مانفريد) . ويبدو أن أبا الفداء قد سأله عن مشاهداته في ايطالية ، فعلم منه أن كلمة امبراطور معناها ملك الأمراء وأن مملكة (مانفريد) تشمل جزيرة (صقلية) وبلاد (آبولية) و (لومباردية) من البرّ الطويل (أي ايطاليا كما كانوا يسمّونها) وأن الامبراطور (مانفريد) كان ، مثل والده الامبراطور (فريدريك الثاني) مصافياً للمسلمين ومحباً للعلوم ، وقد أكرم (ابن واصل) الذي صنف له كتاباً في المنطق بعنوان (الامبروزية) نسبة إلى الامبراطور . وذكر (ابن واصل) أنه أقام في مدينة من مدائن (آبولية) تبعد عن (رومية) مسيرة خمسة أيام (يقصد بذلك مدينة (فوجيا) وأن هناك بالقرب منها مدينة تسمى (لوجارا) أي

(١) المختصر ٢٠٢/٢

(٢) المختصر ٣٣/٣

(Lugera) ، أهلها كلهم مسلمون ، كان قد نقلهم الامبراطور (فريدريك الثاني) من صقلية ليكونوا حرساً خاصاً له . وكان أكثر أصحاب الامبراطور (مانفريد) مسلمين ، ويعلن في معسكره بالأذان للصلاة .(١)

كان أبو الفداء يتحلى بحس تاريخي حقيقي يساعده على تمييز الحوادث الهامة من غيرها ، وعلى نقد الرواة ، وتمحيص الأخبار ، واصطفاء المعلومات الموثوقة . وهو لم يكن ليخفى عليه أن كتب التاريخ مملوءة بكثير من القصص الخرافية والأساطير ، وأن الأخبار التي تتناقلها عن تعاقب الملوك والحكام والقادة ووصف الحروب والانقلابات وذكر الكوارث الطبيعية ، ليست جميعها مما يستحق التسجيل والحفظ . إنه كان يدرك أن أهمية الحادث التاريخي تقاس بمدى تأثيره في الأوضاع الحاضرة والمستقبلة . واذا كنا لا ننكر أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لا يخلو من بعض الحوادث التافهة والأخبار المشبوهة والقصص السخيفة فلابد لنا من الاعتراف بأن هذه الشوائب قليلة وأنه ، عند مقارنته مع نظرائه ، يبرهن على نزعة علمية ونظرة انتقادية وتفكير عقلاني . إنه ، بالإجمال ، يمتاز على كثير من كتب التاريخ باقتصاره على الأمور الهامة ، والأخبار الصحيحة .

إن أبا الفداء ، بعد أن ينقل قصص الأنبياء كما كانت ترويها اذ ذاك كافة المؤلفات التاريخية في الشرق والغرب بالاستناد الى شهادة الكتب المقدسة ، يبدأ في ذكر طبقات ملوك الفرس ويقول إن ملوك الطبقة الأولى القديمة « تروي عن مُدَد ملكهم وحروبهم أموراً يأباها العقل ، ويمجها السمع ، فأضربنا عنها لذلك ، ولم نذكر إلا ما يقرب إلى الذهن صحته »(٢).

عوضاً عن ذكر التواريخ غير المحققة وجه أبو الفداء اهتمامه إلى

(١) المختصر ٤/٤٠ (٢) المختصر ١/٤١

أساليب الإدارة والسياسة لدى ملوك الفرس القدماء ، كما لخص مبادىء ديانة (زرادشت) ، ثم تعاليم (مزدك) التي تدعو الى التساوي في الأموال بين الناس ، والاشتراك في النساء ، والتي تؤمن بالتنجيم والطلاسم[١] ، والتي كان لها تأثير كبير في آراء بعض الفرق حتى العهد الإسلامي مثل القرامطة .

وعند ذكر أمة القبط نقل أبو الفداء عن كتاب (طبقات الأمم) لصاعد الأندلسي قوله : « إن سكّان مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية ، وظهر بينهم علماء بضروب العلوم ، خاصة الطلسمات والنيرنجات والكيمياء ؛ وأنهم كانوا أخلاطاً من الأمم مـــا بين قبط ويونان وعماليق وروم وغيرهم ، وذلك لكثرة من تداول عليهم فإن أكثر من تملك مصر هم الغرباء »[٢] .

ولمـــا تكلم على اليونان قال : إنهم كانوا طوائف قبل (فيلبس المكدوني) وبعد أن ذكر الإسكندر وخلفاءه ، استعرض فلاسفة اليونان ، وبحث في آرائهم ومؤلفاتهم ، ونقل عن كتاب (أبي عيسى بن المنجم) قوله : « كان اليونانيون أهل شعر وفصاحة ، ثم صارت فيهم الفلسفة ، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم ، مثل العلوم المنطقية والطبيعية والآلهية والرياضية ، وكانوا يسمون العلم الرياضي (جومطريا) وهو المشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب والألحان والإيقاع وغير ذلك . وكان العالم بهذه العلوم يسمّى فيلسوفاً وتفسيره : محب الحكمة »[٣] .

وعند ذكر أمة الصين قال : « أما بلاد الصين فطويلة ، عريضة ، ويشتمل عرضها على الأقالـــيم السبعة . وأهل الصين أحسن الناس سياسة وأكثرهم عدلاً ، وهم أحذق خلق الله بنقش وتصوير وسائر الصناعات »[٤] .

---

(١) المصدر نفسه ١/٥٣
(٢) المصدر نفسه ١/٥٩ و ٨٦
(٣) » » ١/٨٩
(٤) » » ١/١٠١-١٠٢

كان أبو الفداء يكتفي هنا بالصفات العامّة التي اشتهرت بها مختلف الأمم ، لأنه لم يكن في استطاعته أن يعرف عنها تواريخ مضبوطة ، ولأن مقصده من تأليف المختصر رسم صورة مجملة ، واضحة عن تاريخ البشرية .

عندما تعرّض أبو الفداء إلى بلاد (عاد) التي تعرف بالأحقاف ، قال : « لقد كثر الاختلاف في أمرهم وجميع ما ذكر من ذلك مضطرب ، غير قريب للصحة ، فأضربنا عنه »[1] . وعند ذكر ملوك كندة أشار إلى قصّة امرىء القيس التي تروي أن مليك الروم دسّ له السّم في حلة فقال : « وهذا عندي من الخرافات »[2] .

وفي الواقع كان أبو الفداء يتحاشى دوماً رواية القصص الخرافية التي كانت تزخر بها كتب المؤرخين المعاصرين له ، والتي كان يجاهر بمكافحتها . وقد نقل عن ابن الأثير أن الناس بالموصل أصابهم في سنة (٦٠٠) وجع في حلوقهم فشاع أن امرأة من الجنّ يقال لها أم عنقود مات ابنها ، وأن كل من لايعمل مأتماً يصيبه هـذا المرض . فكان النساء وأوباش الناس يلطمون على عنقود ويقولون : « ياأم عنقود اعذرينا ، قد مات عنقود ومادرينا » . ثم يضيف أبو الفداء قائلاً : « وإنما أوردنا هذا لأن رعاع الناس إلى يومنا هذا وهو سنة ٧١٥ يقولون بأم عنقود وحديثها ليعلم تاريخ هذا الهذيان متى كان »[3] . ورأي أبي الفداء هذا صحيح ، فإن أفضل وسيلة لتحرير عقول الناس من الخرافات والأساطير هي الدراسة التاريخية للقصص الغريبة والكشف عن حقيقة أمرها وبيان كيفية نشأتها ومراحل تطورها .

---

(١) المصدر نفسه ١٠٣/١
(٢) المصدر نفسه ٧٩/١
(٣) « « ١٩٤/٢

بقدر ماكان أبو الفداء يعرض عن رواية الأساطير والخرافات والقصص العجيبة كان يحرص ، بالعكس ، على الإكثار من الأخبار والأبحاث العلمية . هكذا يذكر في حوادث سنة (٢٥٩) هجرية وفاة (محمد بن موسى ابن شاكر) ، أحد الإخوة الثلاثة الذين يقول : « إنه كانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة ، وكان الغالب عليهم الهندسة والحيل (أي الميكانيك) والموسيقى » . ثم أخذ يبحث في المهمة التي عهد بها إليهم الخليفة المأمون ، وهي تحقيق ماورد في كتب الأوائل عن دور الأرض (أي محيطها) ، فشرح بالتفصيل كيف ساروا إلى صحراء سنجار ومسحوا درجة الطول .[١]

ولما سجل أبو الفداء بين حوادث سنة (٦٤٩) وفاة الشيخ (علم الدين قيصر) المعروف (بتعاسيف) قال عنه بأنه كان إماماً في العلوم الرياضية ومهندساً فاضلاً ، وذكر أن الملك المظفر ، صاحب حماة ، استخدمه فبنى له أبراجاً بحماة ، وطاحوناً على النهر العاصي ، وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم عليها جميع الكواكب المرصودة . ونقل عن القاضي (ابن واصل) قوله : « وقد ساعدت الشيخ علم الدين على عمل هذه الكرة في حماة . وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسأل عن مواضع دقيقة فيها . »[٢] و (تعاسيف) هذا هو الذي طلب منه الملك (الكامل) الإجابة على المسائل الرياضية والفلسفية التي أرسلها إليه الامبرطور (فريدريك الثاني) .[٣]

كان المؤرخون قد بدأوا منذ صدر الإسلام يهتمون بتراجم أحوال الصحابة والتابعين ورواة الحديث ، فنشأت كتب (الطبقات) الأولى لهؤلاء ، ثم اتسعت دائرة الاهتمام حتى شملت الفقهاء والمتصوفين والنحاة والشعراء والأدباء والفلاسفة والأطباء وغيرهم . وفي هذا الصدد أبدى المستشرق النمساوي

---

(١) المصدر نفسه ٢/٥١ - ٥٢ (٢) المصدر نفسه ٣/١٨١

(٣) راجع المقريزي ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٣٢

(شبرنغر Sprenger) الملاحظة التاليـة : « من المبادىء الأساسية النبيلة عند العرب والمسلمين احترام الذات والكرامة الشخصية . فإن لـكل فرد قيمته ومكانته . لذلك فإن الكتب التي ألفها المسلمون في التراجم والأنساب تفوق في عددها كل ما كتبته الأمم الأخرى السابقة والمعاصرة لهم معاً » .

ولم يقتصر الأمر على كتب التراجم بل إن التواريـخ العامّة ، وبالأخص الحوليات جميعاً تشتمل أيضاً على سير الكثيرين من (الأعيان) . ومثل غيره من مؤلفي الحوليات كان أبو الفداء أيضاً يذكر ضمن حوادث كلّ سنة المشاهير الذين ماتوا فيها . إلا أنّ هناك فرقاً بينه وبين أكثر المؤرخين المعاصرين الذين يحشرون أكبر عدد ممكن من أسماء الأشخاص ، سواء كانوا بارزين حقاً أو مجرد مشتغلين بالقراءة والحفظ أو الخطابة والوعظ . فقد كان أبو الفداء يقتصر على الشخصيات البارزة من كبار علماء اللغة والأدباء والشعراء ، ويؤثر على الأخص الأطباء والمهندسين والفلاسفة . وكان بارعاً في تصوير حياة هؤلاء المشاهير بكلمات قليلة تبرز الصفات الجوهرية ، وتكشف عن الخصائص المميزة ، كما كان يروي عن أبطاله بعض الأقوال والأشعار والقصص التي تعكس أحوال البيئة والظروف التاريخية ، وتتضمن أحياناً نقداً ، ولا تخلو أحياناً أخرى من نكتة ظريفة ، أو دعابة لطيفة . هكذا كتب أبو الفداء تراجم وافيـة جيدة لأبي بكر الرازي ، والفارابي ، وابن سينا ، ونصير الدين الطوسي ، ثم للشافعي ، والأشعري ، وسيبويه ، والفراء ، والجاحظ ، والطبري ، وابن الأثير . وقد تكلم بإسهاب عن الإمام فخر الدين الرازي الذي يصفه بأنه كان أوحد زمانه في المعقولات والأصول ، ثم يروي كيف ثار عليه في سنة (٥٩٥) فقهاء الكرامية والحنفية بهراة في ما وراء النهر ، ونسبوه إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة ، فاضطر أن يلجأ إلى

صاحب (غزنة) ، وإلى السلطان خوارزم شاه اللذين حظي لديهما ، وينقل من نظم فخرالدين الرازي الأبيات التالية :(١)

نهاية إقـــدام العقول عقال   وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانـــا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويروي أبو الفداء قصة أمين الدولة بن التلميذ الذي كان طبيب دار الخلافة في عهد المقتفي ، ويصفه بأنه كان حاذقـــاً ، فاضلًا ، ظريف الشخص ، عالي الهمة ، مصيب الفكر ، ويقول عنه إنه كان شيخ النصارى وقسيسهم ، وله في الأدب يد طولى ، وكان متفنناً في العلوم ، وخلف تصانيف حسنة ، منها كتاب (اقراباذين) وهو المعتمد عليه عند الأطباء . ومن معاصري ابن التلميذ أبو البركات بن ملكان الحكيم صاحب كتاب المعتبر في الحكمة . وكان بينهما تنافس كما يقع كثيراً بين أهل كل صنعة . وكان أبو البركات يهودياً ثم أسلم في آخر عمره ، وكان متكبراً ، بخلاف ابن التلميذ الذي عرف بالتواضع ، فنظم فيه هذه الأبيات :

لنا صديق يهودي ، حماقتـه   إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة   كأنه بعدُ لم يخرج من التيه (٢)

وفي حوادث سنة ٥٨٤ يذكر أبو الفداء وفاة محمد بن الكاتب المعروف بالتعاويذي ، الشاعر المشهور الذي شاعت قصائده في الغزل والنسيب ، والذي له غير ذلك أشياء حسنة أيضاً ، منها الأبيات التي صنعها على أثر مصادرة جماعة من أهل الدواوين في بغداد وهي :

يا قاصداً بغداد جز عن بلدةٍ   للجور فيهـــا زجرة وعتاب

(١) المختصر ٣/١٠١ - ١٠٢ و ١١٨   (٢) المختصر ٣/٤٥

إن كنت طالب حاجةٍ فارجع فقد
سُدّت على الراجي بها الأبواب
والناس قد قامت قيامتهم فلا أنساب بينهم ولا أسباب
والمرء يسلمه أبوه وعرسه ويخونه القرباء والأحباب
لا شافع تغني شفاعته ولا جان له مما جناه متاب (١)

وفي حوادث سنة ٦١٢ يتعرض أبو الفداء إلى الوجيه المبارك بن أبي الأزهر الذي اشتغل بعلم العربية وولي تدريس النحو بالمدرسة النظامية في بغداد ، وكان حنبلياً ، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعياً ، فقال فيه أبو البركات زيد التكريتي :

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وفارقته إذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تديناً ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر
إلى مالك فافطن (لما) أنت قائل (٢)

وفي سنة ٦٣٤ — ٦٣٥ أوفد الخليفة أبو جعفر المستنصر بالله رسولاً لتهنئة الملك (العادل) بالسلطنة واستخلافه للمستنصر وللإصلاح بين العادل وأخيه الصالح أيوب ، وكان هذا السفير هو محيي الدين يوسف بن أبي الفرج الجوزي ، الذي سبق له القيام بمثل هذه المهمة في مناسبات أخرى ، وقد اتفق أن مات في حضوره أربعة من السلاطين العظماء : هم الملك (الكامل) صاحب مصر ، وأخوه (الأشرف) صاحب دمشق ، و (العزيز) صاحب حلب ، و (كيقباذ) صاحب بلاد الروم ، فقال في ذلك (ابن المسجف) ، أحد شعراء دمشق :

---

(١) المختصر ٣/٨٠ (٢) المصدر نفسه ٣/١٢٣

يا إمام الهدى أبا جعفر المنـ صور يا من له الفخـار الأثيل
ماجرى من رسولك الآن محيي الـدّين في هـذه البـلاد قليل
جاء والأرض بالسلاطين تزهى وغدا والديـار منهم طلول
أقفر الروم والشآم ومصر أفهـذا مغسّل أم رسول ؟[1]

وعندما تكلم أبو الفداء على استسلام الصليبيين المحاصرين في (دمياط) وعلى رأسهم ملك فرنسا (لويس التاسع) في يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر سنة ٦٤٨ الموافق ٦ أيار سنة ١٢٥٠ وورود البشرى بذلك إلى سائر الأقطار ، ذكر الأبيات التي نظمها الشاعر جمال الدين يحيى بن مطروح بهذه المناسبة وهي :

قل للفرنسيس إذا جئتـه مقـال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصراً تبتغي ملكها تحسب أن الزمر يا طبـل ريح
وكل أصحابـك أوردتهـم بحسن تدبيرك بطن الضـريح
خمسون ألفاً لا يرى منهم غير قتيـل أو أسير جريح
وقل لهم إن أضمروا عودة لأخذ ثـأر أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان عـلى حالهـا
والقيـد باقي والطواشي صبيح[2]

[دار لقمان هي التي كان ينزلها كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان والتي سكن فيها ملك فرنسا بعد أسره ، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي لحراسته] .

لا شك في أن كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ينقصه الكثير من المزايا التي نجدها في كتاب (الكامل) لابن الأثير مثل تنوع

(١) المختصر ٣/١٧١-١٧٢ (٢) المصدر نفسه ٣/١٩٠ - ١٩١

المعلومات ، ووفرة الوثائق ، والتوازن بين مختلف العصور والأقاليم ، والتعليقات ، والتأملات حول الأحداث الهامّة ، والأسلوب الجميل في عرض الوقائع بصورة متسلسلة ، متماسكة .

وفي الواقع لم يفكر أبو الفداء ، بادىء الأمر ، في تأليف كتاب شامل . فلم يضع مخططاً لأجزاء الكتاب وفصوله ، ولم يقصد توجيه الكلام إلى القراء ، وشرح آرائه في أحداث التاريخ وتعليلها . وهو إنما قام بتدوين بعض التواريخ لتكون تذكرة له تغنيه عن مراجعة الكتب المطولة ، وقد كتب هذه المذكرات بأسلوب بسيط ، بل جاف ومختصر للغاية .

على الرغم من هذه الشوائب فقد نال كتاب (المختصر في أخبار البشر) شهرة واسعة سواء في العالم الإسلامي أو في بلاد الغرب . والسبب في هذا التقدير هو أن أبا الفداء استطاع اختصار مجموعة من الكتب التاريخية القيمة ، ضاع بعضها ، وألف منها خلاصة مكثفة ، منقّحة ، بذل كل جهده في تحقيق وضبط ما ورد فيها من تواريخ وأسماء . وإذا كان الباحثون في الوقت الحاضر لم يعودوا يرجعون إلى كتاب (المختصر في أخبار البشر) كمنبع للمعلومات عن الأمم القديمة والعصور الإسلامية الأولى بعد أن نشرت المصادر الأصلية ، المفصّلة ، فإن الفصول الأخيرة من الكتاب المتعلقة بالعصر الذي عاش فيه المؤلف ، وبالأخص زمن الحروب الصليبية وعهد الأيوبيين والخوارزميين والمماليك ، مازالت تستحق كل اهتمام ، لأن قسماً كبيراً من حوادث هذه الحقبة قد شاهدها أبو الفداء بنفسه ، واشترك فيها وأحسن وصفها بأسلوب مبين ، واضح ، دقيق ، بعيد عن التزويق والتنميق ، مقتصراً على الأمور الهامة . ولعل من أهم العوامل التي دفعت المستشرقين إلى الاعتماد على كتاب (المختصر في أخبار البشر) هو التزام

المؤلف بهذه الطريقة العلمية ، الموضوعية ، حتى عندما يسرد حوادث الحروب الصليبية ، أو يتكلم على أفراد أسرته ، دون أن يبدو عليه شيء من التعصب والانحياز .

وقد اتجهت أنظار الباحثين الأوروبيين منذ أوائل القرن الثامن عشر ، إلى نشر أجزاء منه مع ترجمتها اللاتينية . ثم نشر الكتاب كلّه على مراحل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وترجم إلى اللاتينية والفرنسية والانكليزية ، كما نقل إلى لغة (الأوردو) وطبع في دلهي سنة ١٨٥٦ . وقد ظل الكتاب يعتبر مدة طويلة أهم مصدر يستند إليه المستشرقون في دراساتهم لتاريخ العرب والإسلام ، وبالأخص تاريخ الحروب الصليبية . ويقول (رينو) و (دوسلان) إنه قد حوى أخباراً ما كان يتسنى معرفتها بدونه [١] .

إن أبا الفداء الذي احتفلنا بمرور ٧٠٠ سنة على مولده يستحق كل عناية وتقدير ، لما امتاز به من معرفة واسعة ، وحب للاطلاع والبحث ، ومن نزعة علمية ، وطريقة انتقادية ، ونظرة حيادية ، موضوعية . وهو جدير بأن ندرس آثاره ونبرز قيمتها العلمية ، ومكانتها في تاريخ العلوم ، وتطور الفكر البشري .

محمد كامل عياد

---

(١) راجع كتاب (تقويم البلدان) طبعة باريس ١٨٤٠ التصدير ص ٢٩

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

أ - كتب الغريب قبل كتاب الدلائل :

١

لما حج رسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة حجة الوداع ، وخطب الناس خطبته الشهيرة الجامعة التي بين لهم فيها ما بيّن ، كان مما قاله في خطبته : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » (١) .

وخرج العرب المؤمنون من جزيرتهم يداً واحدة ، يبشرون بالهدى ودين الحق ، فدانت لهم الأرض ما بين بحر الظلمات إلى أسوار الصين ، غدت بهم نقية كالزلفة (٢) ، تنبت ثمراتها وتمنح خيراتها ، تظللها رايات العدل ، ويسودها الإخاء والتقوى ؛ واستمسك أصحاب رسول الله بدعامتي الإسلام : القرآن والسنة أيما استمساك ، وكانوا الأقوياء الأمناء عليها ، مضوا يتدارسون ما فيها ليتفقهوا في الدين وليعلموا قومهم ، فهم أبداً يعلّمون ويتعلمون ، صباحهم ومساءهم لا يفترون ، شعارهم : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - سورة الزمر : ٩) ، يحفزهم

---

(١) المستدرك للحاكم (كتاب العلم) ١ : ٩٣ ، فيض القدير ٣ : ٢٤٠-٢٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٩

(٢) الزلفة : بفتح الزاي واللام ، المرآة ، شبهت الأرض بها لصفائها ونظافتها ، وقيل : هي الروضة . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ : ٦٩

الإيمان ، وتملأ صدورهم الحمية ، وليس أقوى منها ، وتلقى الخلف الثروة عن السلف ، وثمّر الأبناء ما غرس الآباء ، فتفتحت من الكتاب والسنة حدائق ذات بهجة ، باسقات الأشجار ، ظلها دائم ، وقطوفها دانية ، لست في صدد عرضها وتعدادها ، فقد كفى ذلك المؤلفون المتقدمون ، ومن أراد اللمحة الدالة فله العود إلى « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي ، « وكل علم فمن القرآن »(١) ، وإلى مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، « والسنة تفسر القرآن وتبينه »(٢) ، وإنما يعنيني في كلمتي هذه أن أقف عند علم واحد من تلك العلوم الجمة التي نجمت عن مدارسة الحديث ، وتفهم معانيه ومقاصده ، لا أعدوه إلى سواه ، ألا وهو علم « غريب الحديث » .



نشأ علم « غريب الحديث » نشأته الأولى على أيدي العلماء من أئمة اللغة ، ليُعنى بشرح الكلمات الغامضة الغريبة في حديث رسول الله ، وتفسير ما خفي من معانيه وأساليبه من المشكل الذي لا يفطن إليه إلا بعد الكد والمطاولة . كان علماء اللغة هم فرسان هذا الميدان الذين جروا في مضماره : جرؤوا عليه ، وتفردوا به ، فعرضوا للغريب الغامض في حديث رسول الله من الألفاظ والأساليب ففسروه ، وجلوا معناه ، وكشفوا عن مراميه ، وأبدوا ما ذهبوا إليه من تفسير وشرح بالشواهد من شعر العرب .

ويذكر لنا ابن النديم في كتابه « الفهرست » أوائل من ألّف

(١) التيسير في علوم التفسير للديريني : ٢

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٤١ ، ٢٥٢ ، الاختلاف في اللفظ : ٣٤

في غريب الحديث ، فعدّ منهم أبا عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠ هـ) وأبا الحسن النضر بن شميل المازني (٢٠٤ هـ) وأبا علي محمد بن المستنير الملقب بقطرب (٢٠٦ هـ) واسم كتابه : « غريب الآثار » وأبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٣ هـ) وأبا عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (٢١٣ هـ) « وممن روى كتابه في غريب الحديث عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عمرو الشيباني » ، وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) وأبا عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي الراوية ، وأبا عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (٢٣١ هـ) [١] .

وذكر الخطيب البغدادي من بينهم أيضاً أبا الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط (٢١١ هـ) [٢] ، ونستطيع أن نتلمس صنيع هؤلاء الأئمة في كلمة أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي (٣٤٧ هـ) التي رواها الخطيب البغدادي ، وهو يتحدث عن غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قال : « أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ، ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أبو عدنان النحوي البصري كتاباً في غريب الحديث ذكر فيه

---

(١) الفهرست : ٧٤، ٨٣ – ٨٥ ، ٨٧ – ٨٨ ، ١٠٨ – ١٠٩ ، ١٣٥ (ط.مصر) نور القبس : ٢١٧ — ٢١٨ ، مراتب النحويين : ٩١ ، وظل كتاب شرح (غريب الحديث) لأبي عبيدة متداولاً دهراً طويلاً . فكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير الأموي الاشبيلي (٥٠٢ – ٥٧٥ هـ) ، حدثه به الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) ، انظر فهرست ابن خير : ١٨٥ — ١٨٦ . وروى الأزهري في تهذيبه بسنده ، من غريب الحديث للنضر بن شميل (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٣ — ٥٤)

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ١٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

الأسانيد ، وصنفه على أبواب السنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير »[١] ، كذلك فإن صاحب « الفهرست » قال في صنيع أبي عدنان : « وله كتاب غريب الحديث ، وترجمته : ما جاء من الحديث المأثور عن النبي ﷺ مفسراً ، وعلى أثره ما فسره العلماء من السلف »[٢] .

ويتحدث ابن الأثير « أبو السعادات المبارك مجد الدين - ٦٠٦ هـ » عن هذه المرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، ويصف الطريقة التي انتهجها أئمة اللغة في التأليف فيقول : « فقيل : إن أول من جمع في هذا الفن شيئاً وألف ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراق معدودات، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن كل مبتدىء لشيء لم يسبق إليه ، ومخترع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر .

والثاني : أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم .

ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازني بعده كتاباً في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عبيدة ، وشرح فيه وبسط ، على صغر حجمه ولطفه ، ثم جمع عبد الملك بن قريب الأصمعي ، وكان في عصر

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، انباه الرواة ٣ : ١٤

(٢) الفهرست : ٧٤ ، انباه الرواة ٤ : ١٤٢ . وترجمة الكتاب : عنوانه ، قال ابن قتيبة في مقدمة إصلاح الغلط : ٣ « لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ، ويستوحش من ترجمته » ، وسئل الرماني فقيل له : لكل كتاب ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله تعالى ؟! فقال : هذا بلاغ للناس ، ولينذروا به (البلغة للفيروز ابادي : ١٥٩ — ١٦٠) .

أبي عبيدة وتأخر عنه ، كتاباً أحسن فيه الصنع وأجـــاد ، ونيّف على كتابه وزاد [١] ، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب وغيره من أئمة اللغة والفقه ، جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها ، في أوراق ذوات عـــدد ، ولم يكد أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر » [٢] .

— لقد استأثر اللغويون بالمرحلة الأولى من مراحل التأليف في غريب الحديث ، وكانت طريقتهم أن يأتوا بالحديث مجرداً عن سنده ، ليتفرغوا لتفسير الغريب من كلماته ، والغامض المشكل من أساليبه ، لم يشذ منهم أحد عن ذلك ، غير أبي عدنان الذي خرج على إجماعهم ، فساق في كتابه الأحاديث بأسانيدها ، وصنفها على أبواب السنن والفقه ، ثم كانت تآليفهم ، في الأعم الأغلب ، صغيرة ، موجزة ، لا تتوخى الإحاطة والشمول .

— ويذكر المؤلفون أن أبا بكر الحسين بن عياش السلمي الباجدائي الرقي الجزري (٢٠٤ هـ) قد ألّف مصنفاً في غريب الحديث ، وكان الحسين أديباً ، فاضلاً ، فصيحاً ، ولكننا لا نستطيع أن ندرج اسمه بين أئمة اللغة ، وليس بين أيدينا وصف لكتابه الذي وضعه ، ورواه عنه أبو عمر هلال بن العلاء

---

(١) يقول ابن النديم في الفهرست : ٨٨ - ٨٩ ، وهو يعدد كتب الأصمعي : « وله كتاب غريب الحديث ، نحو مائتي ورقة ، رأيته بخط السكري » . ثم يذكر له مرة أخرى في الموضع نفسه : « كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي » . أما الإمام الخطابي ، فقد ذكر ، وهو يعدّد كتب غريب الحديث ، كتاب الأصمعي وقال : « يقع في ورقات معدودة » ، انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (هـ) من المقدمة ، ويذكر ذاكرون أن الأصمعي لم يكن يجيب في القرآن وحديث النبي تحرجاً وورعاً (مراتب النحويين ٤١ ، ٤٨-٤٩)

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (ط . الخيرية) ١ : ٤ — ٥

الباهلي الرقي (١٨٤ – ٢٨٠ ﻫ) ثم رواه عن هلال أبو القاسم الحسين بن عبد الله بن مناذر الواسطي (١) .

٣

وإذا كانت الفترة الزمنية لهذه المرحلة تبدأ في القرن الثاني الهجري لتختم في مطالع القرن الثالث ، فإنه يحق لنا أن نضم إليها كتباً ألفها أصحابها في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وهي بذلك تتداخل من الناحية الزمنية بكتب المرحلة الثانية ، ولكنها ، من حيث طريقة تأليفها ، أشبه بكتب المرحلة الأولى ، بل هي امتداد وتتمة لها .

وأبرز من نعدهم في هذا الصدد من مؤلفي هذا النمط من كتب الغريب :

عمرو بن أبي عمرو الشيباني (٢٣١ ﻫ) وأبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم (٢٣٠ ﻫ) وصاحبا الفراء : أبو جعفر محمد بن قادم ، وأبو محمد سلمة بن عاصم الكوفي ، وأبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥ ﻫ) وأبو معاذ النحوي اللغوي صاحب القراءات ، وأبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي (٢٥٥ ﻫ) وكتابه في غريب الحديث كبير جداً (٢) .

---

(١) الفهرست : ٩٦ (ط . إيران) ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٦٢ – ٣٦٣ ، ١١ : ٨٣ – ٨٤ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، الصفحة (ﻫ) من المقدمة ، ولعل في المطبوع من تاريخ بغداد سقطاً ، إذ لم يرد فيه ترجمة الحسين بن عياش السلمي. وذكر صاحب تاريخ الموصل : ٣٥٥ ، في أحداث سنة ٢٠٤ ﻫ ، موت الحسن ابن العباس الخزرجي وقال فيه : « وهو مولى لبني سليم ، وكان فصيحاً ، وله كتاب في غريب الحديث » . ويبدو لي أن الاسم والنسبة محرفان عن الحسين بن عياش الجزري.

(٢) الفهرست : ٨٩ – ٩٠ ، ١٠٦ – ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، بغية الوعاة : ٢٦٦ - ٢٦٧ ، انباه الرواة ٤ : ١٧٩ ، غريب الحديث لأبي عبيد الصفحة (ﻫ) من المقدمة ، مقدمة تهذيب اللغة للأزهري : ٦٥ – ٦٨ ، وجعل الأزهري أبا معاذ النحوي في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، مع أبي عبيد القاسم بن سلام (مقدمة تهذيب اللغة : ٦٥) .

٤

وبدأت المرحلة الثانية في علم « غريب الحديث » بظهور كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الأزدي البغدادي (١) .

١ – ولد أبو عبيد (٢) بهراة ، في حدود عام ١٥٧ ﻫ ، وتبينت فيه مخايل النجابة والنبوغ منذ صغره ، فطلب العلم ، وسمع الحديث ، ودرس الأدب ، ونظر في الفقه ، وروى اللغة عن أعظم علماء عصره من أئمة اللغة ، أمثال أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد اليزيدي ، وغيرهم من البصريين ، وأمثال ابن الاعرابي وأبي زياد الكلابي وأبي محمد عبد الله بن سعيد الاموي ، وأبي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والأحمر والفراء ، وأبي الحسن علي بن حازم اللحياني وغيرهم من الكوفيين .

– وصل أبو عبيد أسبابه ببعض الحكام والأمراء في عصره ، كان مؤدباً لأولاد الهراثمة ، وتوثقت علاقاته بآل طاهر بن الحسين أمراء خراسان ، وبعبد الله بن طاهر منهم خاصة ، وعلت منزلته لديهم ، ولما

(١) طبع كتاب غريب الحديث لأبي عبيد في الهند ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر أباد الدكن ، وصدرت أجزاؤه الأربعة ما بين سنتي (١٩٦٤ – ١٩٦٧ م) وصدر مصححه محمد عظيم الدين جزءه الأول بمقدمة فيها نقول من مخطوطة كتاب غريب الحديث للخطابي ، المحفوظة في مكتبة الجامعة العثمانية .

(٢) انظر أبرز مصادر ترجمة أبي عبيد في انباه الرواة ٣ : ١٢ (الحاشية) والأعلام ٦ : ١٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ : ١٠١ – ١٠٢ ، ووفيات الأعيان (ح ، الدكتور إحسان عباس) ٤ : ٦٠ (الحاشية) ، ودائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية الجديدة) ١ : ١٦١ – ١٦٢

قدم بغداد وأقام بها يؤلف ويعلم ، تعرّف إلى ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ، وتولى ثابت أمر الثغور في عام ١٩٢ هـ ، أواخر عهد الرشيد ؛ فاصطحب أبا عبيد إلى طرسوس وولاه القضاء بها ثماني عشرة سنة (١٩٢ — ٢١٠ هـ) وقُدّر لأبي عبيد أن يسافر إلى مصر ، مع العالم المحدث الكبير يحيى بن معين ، في سنة ٢١٣ هـ ، فاستفاد ممن لقيه بها من العلماء وأفاد ، (كتب بمصر وحُكي عنه) ، ثم عاد إلى بغداد ، واستأنف سيرته الأولى يؤلف ويعلم ، ويذكر أبو بكر سنان بن محمد أنه سمع من أبي عبيد ببغداد سنة عشرين وإحدى وعشرين ومائتين ، ولحق أبو عبيد في أخريات أيامه بمكة مجاوراً ، بعد أن صنف ما صنف من كتبه ، ولم يزل بها إلى أن توفي في عام ٢٢٤ هـ ، وقد بلغ سبعاً وستين سنة .

كان أبو عبيد ذا فضل ودين وسيرة جميلة ومذهب حسن ، عده الأزهري في الطبقة الثالثة من علماء اللغة ، وقال في صفته : « وكان ديناً ، فاضلاً ، عالماً ، أديباً ، فقيهاً ، صاحب سنة ، معنياً بعلم القرآن وسنن رسول الله ﷺ ، والبحث عن تفسير الغريب والمعنى المشكل »[1] ويعده علماء اللغة الكوفيون من أبرز علمائهم ، وكبار أئمتهم[2].

٢ — صنف أبو عبيد الكتب في فنون شتى ، في علوم اللغة والفقه ، والقرآن ، وغريب الحديث ، والامثال ، ومعاني الشعر ، وغير ذلك ،

---

(١) الفهرست : ٧٨ ، ١١٢ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ — ٤١٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ — ٦١ ، انباه الرواة ٢ : ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٣ : ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، نور القبس : ٣١٤ — ٣١٥ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ ، تاريخ الطبري ١٠ : ١٠٩ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، كتاب الأموال : ٢ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٥ — ٣١٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٥٩ — ٢٦٢ ، غريب الحديث لأبي عبيد ١ : ٢٢٦

(٢) مراتب النحويين : ٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٩٩ — ٢٠٢

وكان حسن الرواية ، صحيح النقل ، روى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً ، عدَّ منها صاحب الفهرست عشرين كتاباً ، وذكر أن له غير ذلك من الكتب الفقهية (١) .

وكانت كتبه مستحسنة ، مطلوبة في كل بلد ، وقد أجزل له الامراء ، وبنو طاهر بن الحسين خاصة ، العطاء اعترافاً بفضله ، وجودة تآليفه . قال أبو الطيب اللغوي : « وكان أبو عبيد يسبق بمصنفاته إلى الملوك فيجيزونه عليها ، فلذلك كثرت مصنفاته » (٢) . وحظي أبو عبيد برواة ثقات مشهورين ، ذوي ذكر ونبل ، نبغوا وتصدروا للاقراء والافادة ، حملوا علمه إلى الآفاق ، وأقرأوا كتبه ، ونشروا مروياته ومسموعاته (٣) .

٣ - ليس من همنا الحديث عن كتب أبي عبيد ، المطبوع منها والمخطوط (٤) ، وإنما غرضنا أن نعرض بإيجاز لكتابه الشهير (غريب

(١) الفهرست : ١١٢ — ١١٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ : وفيات الأعيان ٤ : ٦٠ ، نور القبس : ٣١٥

(٢) الفهرست : ١١٢ ، مراتب النحويين : ٩٤ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤

(٣) الفهرست : ٧٧ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٥٧ - ٥٨ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٠٥ - ٢٠٧ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٤ ، فهرست ابن خير : ١٨٦ — ١٨٧ ، انباه الرواة ١ : ٤٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢ : ١٤٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣ : ٢١ — ٢٢ ، ٢٦٣

(٤) المطبوع من كتب أبي عبيد :
أ — كتاب الامثال (انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ١٢١) ، كما طبع شرحه :
— فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري (ط ١ ، ١٩٥٨ م ، ط ٢ ، ١٩٧١ م) .
ب — كتاب الأموال (مصر ١٣٥٣ هـ)
ج — كتاب الأجناس (الهند ١٩٣٨ م) =

الحديث) ؛ الذي يعد بدءاً لمرحلة جديدة من مراحل التأليف في هذا الفن .

ـ كان السابقون ممن عرضوا لغريب الحديث من أئمة اللغة المشهورين ، ولم يكن لهم كبير مشاركة في علوم أخرى ، أما أبو عبيد فكان أول من تصدى لهذا الفن من التأليف ، ولم تكن اللغة وحدها كل زاده ، كان ، كما ذكرنا ، متفنناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والحديث والعربية والاخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، حتى قال فيه ابراهيم الحربي : « كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح ، يتكلم في كل صنف من العلم » . وأعانه ذلك على أن ينهج في تأليفه نهجاً جديداً ، يفيد فيه من مشاركته في علوم عدة متنوعة ، تتصل بالحديث متناً واسناداً ، ليخرج به على السنن الذي سلكه سابقوه في التأليف(١) .

ـ تتبع ابو عبيد أحاديث رسول الله على كثرتها ، وآثار الصحابة والتابعين ، على تفرقها وتعددها ، وأحاط بكل ما أُلف قبله في هذا الشأن ، واستوعب كل ما سبقه ، فلما تكامل له جمع ما احتاج الى بيانه من الأحاديث

= د ــ كتاب غريب الحديث (الهند ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م)

هـ ــ كتاب الإيمان (دمشق ١٣٨٥ هـ)

ونسب إليه :

و ــ كتاب النعم (ليبزيغ ١٩٠٨ م)

ز ــ رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات العرب ، طبعت بهامش كتاب التيسير في علوم التفسير للديريني (مصر ١٣١٠ هـ)

ح ــ كتاب الرحل والمنزل (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

ط ــ كتاب النخل والكرم (البلغة في شذور اللغة ١٩١٤ م)

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١١ ، ٤١٣ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٨٦ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١

عرضها في كتابه مشفوعة بأسـانيدها ، وهذا مالم يقو عليه سابقوه ، ولا تطرقوا اليه(١) .

- كانت طريقته ان يورد الحديث ، ثم يعقب بذكر سنده ، ليمضي بعد ذلك في الكشف عما غمض من كلماته ، ويفسر الغريب من الفاظه ، وإذا اتفق أن كان اللفظ من المشترك فقد يتطرق إلى ذكر جملة من معانيه ، إضافة إلى معناه الوارد في الحديث . وقد يدعوه تفسير لفظة إلى تفسير أخوات لها تلاقيها في الاشتقاق . ويمتد به نفس القول احياناً ، فيما أشكل من الاحاديث ، فيمدّ من اطراف الشرح والتفسير ، ايضاحاً لمعناها ، وبيانا لوجهها ، وتأويلا لمتشابهها ، وقد يستطرد الى ألوان من الفقه ، وبسط للأحكام ، ناقلاً في شروحه وتفاسيره أقوال ائمة اللغة ، مؤيداً قوله بآيات من القرآن وبشواهد من الشعر ، ليسترسل احياناً في تفسير ما جاء في الآيات والشعر من غريب .

- بدأ ابو عبيد كتابه بذكر أحاديث رسول الله ، ثم أتبعها ذكر أحاديث الصحابة فالتابعين ، كل على حدته(٢) . وعني ابو عبيد بكتابه أتم عناية ، بذل فيه جهده ووكده ، وأفنى فيه عمره ، حتى بلغ فيه مـا بلغ من الاجادة والاتقان في التصنيف . كان كلامه (كالمسمار في الساج) دقة وتحقيقاً ، واستهوت طريقته الجديدة التي سلكها في التأليف أهل الحديث والفقه واللغة ، فرغبوا في كتـابه ، وتسابقوا الى دراسته ، لاجتماع مـا يحتاجون اليه فيه(٣) .

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، وقد شغلت أحاديث رسول الله الجزءين الأول والثاني من الكتاب المطبوع ، وسبع صفحات ومائتين من الجزء الثالث ، أما أحاديث الصحابة فقد شغلت بقية الجزء الثالث (ص : ٢٠٨ — ٤٨٦) ، وإحدى وأربعين وثلثمائة صفحة من الجزء الرابـع ، وكان لأحاديث التابعين بقية الجزء الرابع ما بين الصفحة ٣٤٢ إلى الصفحة ٥٠٠

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥

٤ ـ ولعل من الخير أن نقتطف من كتاب غريب الحديث ما نتمثل به طريقة ابي عبيد واضحة جلية .

ـ (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : الطيرة والعيافة والطرق من الجبت[١] ، قال : حدثناه الفزاري مروان واسحاق الأزرق او أحدهما ، عن عوف عن حيان عن قطن بن قبيصة عن قبيصة بن مخارق الهلالي عن النبي ﷺ .

قال أبو عبيد : قوله : العيافة ، يعني زجر الطير ، يقال منه : عفت الطير أعيفها عيافة ، ويقال في غير هـذا : عافت الطير تعيف عيفاً ، اذا كانت تحوم على الماء ، وعاف الطعام يعافه عيافاً ، وذلك اذا كرهه .

وأما قوله : « في الطرق » فانه الضرب بالعصا ، ومنه قول لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالعصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال : بعضهم يرويه : الضوارب بالعصا ، ومعناهما واحد ، وأصل الطرق : الضرب ، ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد ، لأنه يطرق بها ، اي يضرب ، وكذلك عصا النجاد التي يضرب بها الصوف .

والطرق ايضاً في غير هـذا : الماء الذي قد خوضته الابلُ وبوّلت فيه ، فهو طرق ومطروق ، ومنه حديث ابراهيم : الوضوء بالطرق أحبُّ اليّ من التيمم ، وأما الطروق فانه من الطارق الذي يطرق ليلا ، وأما الاطراق فانه يكون من السكوت ، ويكون ايضاً استرخاء في جفون العين ، يقال منه : رجل مطرق . قال الشاعر في عمر بن الخطاب يرثيه :

وما كنت أخشى ان تكون وفاته بكفى سبنتي أزرق العين مطرق[٢]

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٩٤ ، والنهاية (ح . الطناحي) ٣ : ١٢١ ، ٣٣٠

(٢) ينسب البيت للشماخ ، ولاخويه مزرد وجزء ، انظر البيان والتبيين ٣ : ٣٦٤ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ق ٣ : ١٠٩٠ - ١٠٩٢ ، والاصابة ٦ : ٨٥

وأما التطارق فهو اتباع القوم بعضهم بعضا ، يقال : قد تطارق القوم اذا فعلوا ذلك ، ومنه قيل للترسة : المجانُّ المطرقة ، يعني قد اطرقت بالجلود والعصب اي أُلبسته ، وكذلك النعل المطرقة ، هي التي أضيفت اليها أخرى . واحد المجان : مجن).[1]

(١) غريب الحديث ٢ : ٤٤ - ٤٨ ، والحديث صالح الاسناد

- مروان الفزاري ، شيخ أبي عبيد ، هو مروان بن معاوية ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ ، إلا أنه كان يدلس أسماء الشيوخ . مترجم في الجرح والتعديل ٤/١ : ٢٧٢ - ٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٥ - ٢٩٦ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٩٣ - ٩٤ ، والعبر ١ : ٣١١ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٩٦- ٩٨ ، والتقريب ٢ : ٢٣٩

- وإسحاق الأزرق ، شيخ أبي عبيد الآخر ، هو إسحاق بن يوسف ابن مرداس المخزومي الواسطي ، من الثقات المأمونين . مترجم في الجرح والتعديل ١/١ : ٢٣٨ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٣١٥ وتاريخ واسط : ١٥٦ - ١٥٧ وتاريخ بغداد ٦ : ٣١٩ - ٣٢١ وتذكرة الحفاظ : ٣٢٠ - ٣٢١ ، والعبر ١ : ٣١٨ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٢٥٧ والتقريب ١ : ٩٣

- وعوف ، هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي الهجري أبو سهل البصري ، ثقة . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٥٨ ، والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٥ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٠٥ ، والعبر ١ : ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ١٦٦ - ١٦٧ ، والتقريب ٢ : ٨٩

- وحيان ، هو حيان بن العلاء ، قال فيه الحافظ في التقريب ١ : ٢٠٨ ، مقبول . وهو مترجم في الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٦٨

- وقطن بن قبيصة ، قال فيه الحافظ في التقريب ٢ : ١٢٦ ، صدوق . مترجم في أخبار أصبهان ٢ : ١٥٨ والجرح والتعديل ٢/٣ : ١٣٧ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٨١

- وقبيصة بن مخارق الهلالي ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٥ ، =

- (وقال ابو عبيد في حديث النبي ﷺ : ان افضل الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر[١] ، حدثنيه يحيى بن سعيد ومحمد بن عمر الواقدي عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد ، قال يحيى : عن عبد الله بن لحي ، وقال محمد : عن عبد الله بن نجي ، عن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ .

قال ابو عبيد : قوله : يوم القر ، يعني الغد من يوم النحر ، وانما سمي يوم القر ، لان اهل الموسم يوم التروية وعرفة والنحر في تعب من الحج ، فاذا كان الغد من يوم النحر قروا بمنى ، فلهذا سمي يوم القر ، وهو معروف من كلام اهل الحجاز .

قال ابو عبيد : سألت عنه ابا عبيدة وابا عمرو [الشيباني] فلم يعرفاه ، ولا الاصمعي فيما أعلم)[٢] .

= والإصابة ٥ : ٢٢٧ ، والتهذيب ٨ : ٣٥٠ والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٧٧ عن يحيى بن سعيد عن عوف به ، وفيه بعده قال : العيافة من الزجر ، والطرق من الخط ، ثم أخرجه ٥ : ٦٠ عن روح عن عوف به أيضاً .

وأخرجه أبو داود ٤ : ٢٣ (عون المعبود) عن مسدد عن يحيى عن عوف به ، وفيه عقبه : « الطرق : الزجر ، والعيافة : الخط » عكس ما جاء عند أحمد في الموضع الأول . وأخرجه ابن سعد في ترجمة قبيصة في الطبقات ، عن أحمد بن جعفر بن مالك ، عن بشر بن موسى عن هوذة بن خليفة عن عوف به أيضاً .

(١) انظر الفائق للزمخشري ٢ : ٣٢٦ ، والنهاية (ح ، الطناحي) ٤ : ٣٧

(٢) غريب الحديث ٢ : ٥٢ - ٥٣

- ويحيى بن سعيد ، شيخ أبي عبيد ، هو يحيى بن سعيد القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٩٣ ، والجرح والتعديل ٤/٢ : ١٥٠ - ١٥١ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٣٥ - ١٤٤ ، والعبر ١ : ٣٢٧ - ٣٢٨ ، وتذكرة الحفاظ : ٢٩٨ - ٣٠٠ ، وتهذيب التهذيب ١١ : ٢١٦ - ٢٢٠ =

٥ . ألف أبو عبيد كتابه (غريب الحديث) ، عمله للخليفة المأمون

= — ومحمد بن عمر الواقدي ، شيخ أبي عبيد الآخر ، تكلم فيه غير واحد من أئمة الحديث ، وقال الحافظ في التقريب ٢ : ١٩٤ ، متروك مع سعة علمه. مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٤ - ٣٣٥ ، والجرح والتعديل ٤/١ : ٢٠ - ٢١ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٣ - ٢١ ، والعبر ١ : ٣٥٣ ، وتذكرة الحفاظ : ٣٤٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ - ٦٦٦ ، وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٣-٣٦٩

— وثور بن يزيد ، أبو خالد الكلاعي الحمصي ، ثقة ثبت ، مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٦٧ ، والجرح والتعديل ١/ ١ : ٤٦٨-٤٦٩ ، والعبر ١ : ٢١٩ ، وتذكرة الحفاظ : ١٧٥ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٣ - ٣٥ ، والتقريب ١ : ١٢١

— وراشد بن سعد المقرائي ويقال الحبراني الحمصي ، ثقة ، من أثبت أهل الشام . مترجم في طبقات ابن سعد ٧ : ٤٥٦ ، والجرح والتعديل ١ / ٢ : ٤٨٣ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ، والتقريب ١ : ٢٤٠

— وعبد الله بن لحي : الحميري ، أبو عامر الهوزني الحمصي ، ثقة ، مترجم في الجرح والتعديل ٢ / ٢ : ١٤٥ ، وتاريخ الإسلام ٣ : ٢٢١ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ ، والتقريب ١ : ٤٤٤

— وعبد الله بن قرط ، الأزدي الثمالي ، صحابي ، مترجم في الإصابة ٤ : ١١٨ - ١١٩ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٣٠١ : وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٦١ ، والجرح والتعديل ٢/٢ : ١٤٠ ، وطبقات ابن سعد ٧ : ٤١٥

والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٥٠ عن يحيى بن سعيد عن ثور به ، إلا أنه سمى فيه عبد الله بن لحي : عبد الله بن نجي ، وفيه : أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر .

وأخرجه أبو داود ٢ : ٨٢ (عون المعبود) عن إبراهيم بن موسى الرازي عن عيسى ، وعن مسدد عن عيسى = عن ثور به ، وفيه بعده ، قال عيسى ، قال ثور : وهو اليوم الثاني.

وذكر الحافظ في الإصابة في ترجمة عبد الله بن قرط أن حديثه هذا رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عبد الله بن لحي عنه .

(تولى الخلافة ١٩٨ — ٢١٨ ﻫ) وقرأه عليه ، وعرضه على عبد الله ابن طاهر فاستحسنه ، وأجرى عليه رزقاً كل شهر ، ثم كان أول من سمعه منه المحدث الكبير يحيى بن معين ، أعلمُ الناس بصحيح الحديث وسقيمه ، وكتب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل كتاب غريب الحديث إعجاباً به وتقديراً [١] .

— وكان أبو عبيد معجباً بصنيعه ، يذكر ما عاناه في سبيله حتى استوى له على صورته التي تم عليها ، فقد روي عنه أنه قال : « كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة » [٢] .

وأقرأ أبو عبيد الناس ببغداد كتابه في (غريب الحديث) [٣] ، وأشار إليه في كتابه (الامثال) [٤] وأما كتابه الأجناس فمستخرج من غريب الحديث [٥] .

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٦ — ٤٠٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، نور القبس : ٣١٥ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٩١

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٧ ، طبقات الحنابلة ١ : ٢٦١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، وروى الأزهري هذه الكلمة لأبي عبيد في كتابه (الغريب المصنف) (مقدمة تهذيب اللغة : ٥٦ — ٥٧) ، وفي مراتب النحويين :٩٣ ، « قال أبو عبيد : جمعت كتاب (الغريب المصنف) في ثلاثين سنة » . أما القفطي فقد روى كلمة أبي عبيد مرة بصدد غريب الحديث ، ومرة بصدد الغريب المصنف (إنباه الرواة ٣ : ١٦ ، ٢٢) .

(٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٥

(٤) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ط ٢) : ٦٠١

(٥) الأجناس : ١

وقُدر لكتاب أبي عبيد أن يحجب ما سبقه من كتب ، وأن يحتل المنزلة الأولى في كتب غريب الحديث ، حتى قال فيه ابن الأثير : « جمع أبو عبيد كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار الذي صار - وإن كان أخيراً - أولاً ، لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الجمة ، فصار هو القدوة في هذا الشأن » وكان الهلال بن العلاء الرقي يقول : « منّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم ، بالشافعي تفقه بحديث رسول الله ﷺ ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ، لولا ذلك كفر الناس ، وبيحيى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، وبأبي عبيد القاسم بن سلام ، فسر الغريب من حديث رسول الله ﷺ ، لولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ » وذكر ابن خلكان مقالة لقوم أجازوا لأنفسهم أن يجعلوا أبا عبيد أول من صنف في هذا الشأن إعجاباً بما جاء به فقال في كتابه وفيات الأعيان وهو يتحدث عن أبي عبيد : « ويقال : إنه أول من صنف في غريب الحديث » ، وكأنهم لم يعتدوا بتلك الكتب التي سبقت ، تفخيماً لصنيع أبي عبيد ، وتمييزاً له عنها . وتناقلت الرواة كتاب أبي عبيد في مشرق الأرض ومغربها ، وكان له في الأندلس شأن أي شأن . « وبقي على ذلك كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه ، ويعتمدون في غريب الحديث عليه » ذلك بأنه انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، فصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون وإليه يتحاكمون (١) .

٦ – وإذا كان كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد قد لقي

(١) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، غريب الحديث لأبي عبيد ص (ي) من المقدمة ، وفيات الأعيان ٤ : ٦١ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٠ ، مناقب الشافعي للبيهقي ٢ : ٢٧٧ – ٢٧٨

الإعجاب والتقدير ، فـإن ذلك لم يعفه من أن يعرض له عدة علماء بالنقد والرد .

- كان نقد بعضهم ينصبّ على أن أبا عبيد لم يأت في تصانيفه بجديد ، وإنما سلك طريقاً ملحوباً ، مهده له من جاء قبله من العلماء والأئمة ، يقول ابن درستويه (٣٤٧ ﻫ) في ذلك — وكان ابن درستويه شديد الانتصـار للبصريين في النحو واللغة — : « وقد سُبق [أبو عبيد] إلى جميع مصنفاته ، فمن ذلك الغريب المصنف ... وكتاب غريب الحديث ، أول من عمله أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقطرب ، والأخفش ، والنضر بن شميل ... فجمع أبو عبيد عامة ما في كتبهم وفسره ، وذكر الأسانيد ... وكذلك كتابه في معاني القرآن ... » ويمضي ابن درستويه ليؤكد أن أبا عبيد في كتبه قد عمد إلى كتب السابقين فأفاد منها ، وقد يضيف إليها ما يحسنها [١].

وجاء أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١ ﻫ) — وكان مفرط العصبية للبصريين ، يُنحي على من سواهم ، ولا يرى العلم إلا ما جاءوا به [٢] — فأيد مقالة ابن درستويه في اعتماد أبي عبيد في تآليفه على السابقين ، ينتزع كتبه من تصانيفهم ، كما أضاف إلى ذلك أن أخذ على أبي عبيد قلة روايته في اللغة ، وأن أكثر ما يحكيه عن علماء البصرة غير سماع ، قال في حقه : « وأما أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه مصنف حسن التأليف ، إلا أنه قليل الرواية ، تقطعه عن اللغة علوم افتنّ فيها ... وأما كتابه في (غريب الحديث) فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى في (غريب الحديث) .... وذكر أهل البصرة أن أكثر ما يحكيه عن

(١) تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٥ ، البلغة للفيروز ابادي : ١٠٧ ، وصحفت كلمة (سبق) بالباء الموحدة في طبعة تاريخ بغداد إلى (سيق) بمثناة تحتية .

(٢) مراتب النحويين : ٢٤ – ٢٧ ، ٧٤ – ٧٥ ، ٩٠ – ٩٢

علمائهم غير سماع ، إنما هو من الكتب . . . . وكان ناقص العلم بالإعراب »[١] .

— وتصدى علماء لنقد كتاب (غريب الحديث) خاصة ، قال إبراهيم الحربي (٢٨٥ هـ) : « وكتاب غريب الحديث فيه أقل من مائتي حرف « سمعت » ، والباقي : « قال الأصمعي ، وقال أبو عمرو » ، وفيه خمسة وأربعون حديثاً لا أصل لها ، أتي فيها أبو عبيد من أبي عبيدة معمر بن المثنى » وفي رواية أخرى عنه : « في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسون حديثاً ليس لها أصل » وفي رواية ثالثة عنه : « في كتاب أبي عبيد : غريب الحديث ، مائة وخمسة وعشرون حديثاً ليس لها أصل قد علمت عليها في كتابي »[٢] .

— وردّ أبو سعيد أحمد بن خالد البغدادي الضرير على أبي عبيد حروفاً كثيرة من كتاب (غريب الحديث)[٣] .

— ثم قام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) بوضع كتاب فيما أخذه على أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، سماه إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث[٤] .

---

(١) مراتب النحويين : ٩٣

(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٣٥ – ٣٦ و ١٢ : ٤١٣ ، معجم الأدباء ١ : ١٢١ ، نزهة الألباء : ٢٧٧ ، نور القبس : ٣١٥ وفي مطابع عبارة (نور القبس) سقط يستكمل من تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٣

(٣) مقدمة تهذيب الأزهري : ٦٣ – ٦٤ ، إنباه الرواة ١ : ٤١ ، معجم الأدباء ٣ : ١٦ – ١٧ ، بغية الوعاة : ١٣١ – ١٣٢

(٤) الفهرست : ١٢٢ ، ١٣٥ ، مقدمة تهذيب الأزهري : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨ ، بغية الوعاة ٢٩١ ، وسنفصل القول في الكتاب حين نتحدث عن ابن قتيبة وجهوده في غريب الحديث ، في الفقرة التالية .

— وألّف أبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة كتاب (الرد على أبي عبيد في غريب الحديث)[١] .

٥

ويعد ابن قتيبة الرجل الثاني الذي يمثل هذه المرحلة الجديدة من مراحل التأليف في غريب الحديث ، والتي بدأها أبو عبيد .

١ — ولد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري[٢] في سنة ٢١٣ هـ ببغداد ، وقيل : بالكوفة ، ونشأ وترعرع في جنبات بغداد ،

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٢٢ ، وقد رد علماء آخرون على أبي عبيد القاسم بن سلام ، ولكننا لم نورد هنا إلا ما كان من ردود علماء القرن الثالث الهجري ومطالع الرابع ، وإلا ما كان صريحاً في الرد على غريب الحديث خاصة ، لا في الرد على كتاب آخر من كتب أبي عبيد كالغريب المصنف ، ولا في الرد على غلط أبي عبيد في كتبه عامة ، مثل كتاب أبي سعيد محمد بن هبيرة الأسدي المعروف بصعودا (فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه) ، ومثل كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب (٣٤٥ هـ) ، (ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه وصنفه) انظر الفهرست ١١٦ ، ١٢٠ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ و ١٩ : ١٠٥ .

(٢) انظر مصادر ترجمة ابن قتيبة في إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ (الحاشية) ، والأعلام ٤ : ٢٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٦ : ١٥٠ — ١٥١ ، وكتاب المعاني الكبير ، الصفحة (د) من المقدمة ، وكتاب عيون الأخبار ٤ : ١٢ (من المقدمة) . وقد خصه الأستاذ السيد أحمد صقر بكلمة طيبة في مقدمة كتاب : تأويل مشكل القرآن ، ثم أفرد له الأستاذ جيرار لكونت كتابه الجامع الوافي (ابن قتيبة) (ط . المعهد الفرنسي بدمشق — ١٩٦٥ م) ، وهو يعد من أجود الدراسات التي صدرت عن ابن قتيبة حتى الآن ، وقد عرض في كتابه لمصادر ترجمة ابن قتيبة ، والدراسات التي ألفت عنه ، كما حرر الأستاذ لكونت مقالة ابن قتيبة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة الفرنسية) ٣ : ٨٦٨ — ٨٧١

فتأدب على أيدي علمائها وفقهائها ومحدّثيها . وهو مروزي الأصل وإنما سمي الدينوري لأنه ولي قضاء الدينور (١) مدة فنسب إليها ، وإذ كانت الدينور من أمهات مدن الجبل أجاز البيروني لنفسه أن يجعله (الجبلي) (٢).

– كان ابن قتيبة منذ نشأته طلعة ، ذا نفس تواقة إلى المعرفة والنظر في كل علم ، يقول عن نفسه : « وقد كنت في عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم » (٣)، فغشي مجالس الفقه والتفسير والحديث ، وتردد على حلقات الأدب واللغة والتاريخ ، ونهض بعبء الطلب حق النهوض ، يريد أن يلم بكل شيء ، مشغوفاً بالدرس ، لا يختار عنه بديلاً ، حتى توصل إلى ما شاء من تلك الثقافة العريضة ، واجتمعت له علوم كثيرة ، فهو عالم باللغة ، والنحو ، وغريب القرآن والحديث ومعانيها ، والشعر ، والفقه ، روى عن كبار أئمة اللغة في عصره أمثال أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٤٨ ﻫ) وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧ ﻫ) وأبي الحسن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبي سعيد أحمد بن خالد المكفوف البغدادي (٤) ،

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين كثيرة الثمار والزروع ، ولها مياه ومستشرف . والدينور بمقدار ثلثي همذان ، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخاً (معجم البلدان) .

(٢) الآثار الباقية : ٢٣٨ ، والجبل أو الجبال : هي البلاد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة (معجم البلدان ، كلمتا : الجبل ، والجبال) .

(٣) تأويل مختلف الحديث : ٦١

(٤) أخطأ القفطي في إنباه الرواة (١ : ٤١) حين ذكر أن أبا سعيد الضرير (المكفوف) قدم على ابن قتيبة وأخذ عنه ، فعكس الأمر وقلب الواقعة .

وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (٢٤٩ هـ)[١] . وبلغ من اتساعه في المعرفة ، وافتنانه في العلوم أن عده الذهبي : من أوعية العلم . وكان ابن قتيبة صادقاً فيما يرويه ، ثقة ، ديناً ، فاضلاً .

— ألف ابن قتيبة الكتب الحسان في فنون شتى من القرآن والحديث والفقه والأخبار واللغة والشعر ، وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته ، وكان كثير التصنيف والتأليف ، عدد له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً من تآليفه [٢] وقال : « وكتبه بالجبل مرغوب فيها » ، وقال أبو زكريا محيي الدين النووي (٦٧٦هـ) وهو يتحدث عن ابن قتيبة : « وله مصنفات كثيرة جداً ، رأيت فهرستها ونسيت عددها ، أظنها تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم »[٣] .

تنوعت تآليف ابن قتيبة بتنوع معارفه ، وكان لكتبه شأن أي شأن في المغرب والاندلس حتى كانوا يقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه ، وقال ابن كثير : « وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه » ، وعد ابن خلدون في مقدمته كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة واحداً من أربعة دواوين هي أصول علم

(١) ذكر الفيروز ابادي في البلغة : ١١٦ ، أن ابن قتيبة روى عن ابن الأعرابي ، وقد تفرد الفيروز ابادي بهذه الرواية ، ولعله وهم بمحمد بن زياد ابن عبيد الله الزيادي أحد شيوخ ابن قتيبة . وانظر شيوخ ابن قتيبة في مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٣-٦ ، وفي كتاب (ابن قتيبة)لجيرار لكونت: ٥٤-٧٤

(٢) ذكر ابن النديم وهو يعدد كتب ابن قتيبة كتاب عيون الشعر ، وأنه يحتوي على عشرة كتب منها كتاب المراتب ، ثم عاد فذكر كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر ، فإذا أسقطنا الثاني لأنه جزء من الكتاب الأول ، كان ما ذكره ابن النديم من كتب ابن قتيبة اثنين وثلاثين كتاباً (الفهرست : ١٢١ - ١٢٢) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ، القسم الأول ، الجزء الثاني : ٢٨١

الأدب وأركانه . وتوفي ابن قتيبة فجأة في سنة ٢٧٦ هـ[١] .

٢ - لن نعرض لكتب ابن قتيبة المخطوط منها والمطبوع[٢] ، ولا لاختلاف آراء العلماء فيها ، وكل مـا يعنينا انما هو كتابه الذي ألفه في (غريب

(١) الفهرست : ١٢١ — ١٢٢ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، إنباه الرواة ٢ : ١٤٣ - ١٤٧ ، وفيات الأعيان ٣ : ٤٢ - ٤٤ ، بغية الوعاة : ٢٩١ ، البلغة للفيروز ابادي : ١١٦ ، مراتب النحويين : ٨٤ - ٨٥ ، تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية : ١٢١ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٣٣ ، البداية والنهاية ١١ : ٤٨ ، ٥٧ و١٣ : ٢٧٨-٢٧٩ ، مقدمة ابن خلدون : ٤٨٩ ،تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠-١٧١

(٢) المطبوع من كتب ابن قتيبة : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، أدب الكاتب ، الأشربة ، إصـلاح الغلط ، الأنواء ، تأويل مختلف الحديث ، تأويل مشكل القرآن ، تفسير غريب القرآن ، الشعر والشعراء ، العرب ، عيون الأخبار ، المسائل والأجوبة ، المعارف ، المعـاني الكبير ، الميسر والقداح .

وينسب إليه كتاب الإمامـة والسياسة وليس له ، ورسالة في اللبأ واللبن منتزعة من كتاب الجراثيم المنسوب إليه (البلغة في شذور اللغة : ١٤٦ ، ط ١٩١٤ م بيروت) .

وذكر صاحب الأعلام في المستدرك الثاني : ١٣٣ أن كتاب ابن قتيبة في غريب الحديث قد طبع جزءان منه في الهند ، ولست على يقين من صحته . وقد جمع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الكناني (٤٥٤ هـ) بين كتابي غريب القرآن ومشكل القرآن لابن قتيبة في كتاب القرطين المطبوع في القاهرة (١٣٥٦ هـ) .

وانظر صفة كتب ابن قتيبة في مقدمة الجزء الرابع من عيون الأخبار ، ٤ : ١٩ — ٣٨ ، وفي مقدمة كتاب القرطين ، الصفحة (ط - ص) ، وفي مقدمة كتاب تأويل مشكل القرآن : ٧ — ٣٥ ، وفي الفصل الخامس من كتاب (ابن قتيبة) لجيرار لكونت : ٩٣ — ١٧٨

الحديث) ، يتابع فيه الطريقة التي ابتدأها أبو عبيد القاسم بن سلام وكان أبا عُذرها .

ـ نشأ ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري ، القرن الذي كان من أخصب القرون في حفظ الحديث وتدوينه وروايته والتأليف فيه ، وشهد ابن قتيبة كبار المحدثين والحفاظ ، وحذاق اصحاب الجرح والتعديل ، وكان ، كما ذكرنا ، منهوماً بالعلم ، متعلقاً بالمعرفة ، قد أخذ من كل علم بطرف ، وأتيح له أن يلي القضاء ، فدفعه ذلك الى ان يمضي في بسط آفاق معرفته في اللغة والأدب والفقه والحديث والتفسير وأمثالها ، ليكون أقدر على الحكم ، وأدنى الى الصواب في القضاء ، ومال ابن قتيبة الى الحديث وأصحابه ميلاً شديداً ، وآثر طريقتهم ، وحمد نهجهم[1] . وكان له من ثقافته الدينية واللغوية ما هيأ له أن يشارك في (غريب الحديث) .

ـ كان ابن قتيبة شديد الاعجاب بسلفه أبي عبيد ، تعرّف الى مؤلفاته وهو في طراءة العمر ومقتبل الشباب ، فقد هيأ له أستاذه ابو العباس احمد بن سعيد اللحياني صاحب ابي عبيد القاسم بن سلام طريق الاطلاع عليها ، حدثه بكتابي ابي عبيد : الأموال ، وغريب الحديث في عام ٢٣١ هـ ، وابن قتيبة في الثامنة عشرة من عمره ، فأشرب قلبه حبه ، ومال اليه وسمع كتبه ، وعكف على مؤلفاته[2] .

ـ واستأثر به كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد ، وأعجبته طريقته التي اختطها في تأليفه ، وأخذ نفسه بمدارسته حتى كان منه أبداً على ذكر ،

(١) تأويل مختلف الحديث : ٧٣ — ٨٦

(٢) إصلاح الغلط : ٦ ، ٨ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٤٥

يستشهد به ، ويعود اليه ، وينهل منه ، وكان من أثر إكباب ابن قتيبة على غريب أبي عبيد ، قراءة ومدارسة وتمحيصاً ، أن تبين له ان ابا عبيد لم يحط بكل الأحاديث التي تحتاج الى تفسير أو بيان ، وأن مـا ندّ عنه وشرد ، لايقل عما أثبت وقيّد ، وتشوّف الى أن يصنع مثل صنيعه ، في غريب الحديث ، وألزم نفسه ان يمضي على النهج الذي اختطه ابو عبيد وحدده ، فيتم بعمله ما بدأه الرائد الأول ، ويشيد ما أسس ، ويكون كتابه صلة لغريب ابي عبيد وتكملة . فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث ، حذا فيه حذو ابي عبيد في طريقته ، ولم يودع كتابه شيئاً من الأحاديث التي ذكرها ابو عبيد في كتابه ، بل فسر من الأحاديث مالم يفسر ابو عبيد ، الا ما دعت اليه حاجـــة من زيادة شرح أو بيان أو استدراك أو اعتراض .

ـ لم يؤلف ابن قتيبة كتابه ، أول ما ألفه ، على النحو الذي انتهى إلينا ترتيباً وتبويباً ، بل إنه حين ابتدأ في عمل الكتاب أطلع عليه قوماً من حملة العلم فسألوه ان يخرج لهم ما يؤلف في كل اسبوع ، فلما تم لهم الكتاب وسمعوه من ابن قتيبة حمله قوم منهم الى الامصار . ثم عرضت لابن قتيبـة بعد ذلك أحاديث كثيرة لم يكن فسرها ، فعمل بها كتاباً ثانياً ســماه الزوائد في غريب الحديث[1] .

ـ ثم كان من شأن هذه الصلة الوثيقة التي ربطت بين ابن قتيبـة وكتاب أبي عبيد في الغريب أن تكشفت له مواضع جانب فيها أبو عبيد الصواب ، وخالف عن القصد في تفسيره ، فألف ابن قتيبة في ذلك كتاباً

(١) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ ، ٤

سماه (اصلاح غلط ابي عبيد في غريب الحديث)[١] ، ذكر فيه الأحاديث التي أداه اجتهاده ان يخالف ابا عبيد في تفسيرها ليعرض تفسيراً آخر يراه الصواب ، وأنه المعنى المراد ، ولكنه لم يغفل عن ان يشيد ، في مقدمة كتابه ، بفضل أبي عبيد عليه ، وانه منه تعلم ، وعنه أخذ ؛ ولم ينس ان يذكر ان ما قام به من اصلاح الفساد وسد الخلل ، قليل في جنب صواب ابي عبيد . إن ابن قتيبة يتحدث عن سلفه بكل التجلة والتقدير (وما أحسنه أدبا) ؛ فهو يقول : « ونذكر الأحاديث التي خالفنا الشيخ ابا عبيد رحمه الله في تفسيرها ، على قلتها في جنب صوابه ، وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه »[٢] .

لم يطل ابن قتيبة في اصلاحه وقصر مآخذه على ثلاثة وخمسين حديثاً وقع فيها زلل فنبه ابن قتيبة عليه ، ودل على الصواب فيه . وهو حقاً شيء

(١) قام الأستاذ جيرار لكونت بتحقيق إصلاح الغلط عن نسختي أيا صوفيا والظاهرية ، ونشره في مجلة جامعة القديس يوسف ببيروت عام ١٩٦٨

وذكر صاحب كشف الظنون (١ : ١٠٨) أن أبا المظفر محمد بن آدم ابن كمال الهروي (٤١٤ هـ) قد شرح إصلاح الغلط لابن قتيبة (انظر ترجمة أبي المظفر محمد في معجم الأدباء ١٧ : ١١٦ - ١١٧ ، وبغية الوعاة : ٤ ، وإنباه الرواة ٣ : ١٢٦) .

وذكر أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري أن ابن قتيبة حدثهم باصلاح الغلط من أوله إلى آخره في سنة ٢٦٨ هـ بعد أن قرأ عليهم كتاب غريب الحديث (مجلة الدراسات الشرقية ٢١ : ٣٩٤ ، مقدمة اصلاح الغلط : ٤) ولم يكتف ابن قتيبة بتعقب أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ، بل تعقبه في اختيار القراءات أيضاً . انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ١ : ٥٠١ ، ٢ : ١٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٤

(٢) إصلاح الغلط : ٦

قليل في جنب ما ألفه ابو عبيد[١] .

— ثم بدا لابن قتيبة ، وقد أفرد لمآخذه على ابي عبيد كتاب اصلاح الغلط ، أن يعيد النظر في كتابيه المؤلفين اولاً في الغريب ، ليجمعهما في كتاب واحد ، مع ما يقتضيه ذلك الجمع من تنسيق بين ما جاء في الكتابين ، بتقديم ما يجب تقديمه ، واسقاط ما يحسن اسقاطه ، فجاء كتابه مثل كتاب ابي عبيد او اكبر منه ، واذ كان عمله انما هو اكمال لما فات ابا عبيد ، قال فيه الحافظ ابن حجر : « ذيّل ابن قتيبة على ابي عبيد في غريب الحديث ذيلاً يزيد على حجمه »[٢] .

٣ — ونقتطف، هنا ، كلمات لابن قتيبة من مقدمة كتابه (غريب الحديث) يصف بها تجربته في التأليف وصنيعه في الاقتداء بسلفه أبي عبيد ، قال — بعد أن ذكر جملة من الأحاديث تشكل على حملة العلم — :

« .... ومثلُ هذا كثير ، يطول بذكره الكتاب ، وفيما ذكرت منه ما دلّ على ما أردت ، وستقف على تفسير هذه الأحاديث في أضعاف الكتاب إن شاء الله . وقد كان تعرّف هذا وأشباهه عسراً ، فيما مضى ، على من طلبه ، لحاجته إلى أن يسأل عنه أهل اللغة . ومن يكمل منهم لتفسير غريب الحديث وفتق معانيه وإظهار غوامضه قليل . فأما زماننا هذا فقد كُفي حملة الحديث فيه مؤونة التنقير والبحث ، بما ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم بما ألفناه في كتابنا هذا بحمد الله . وقد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ،

(١) انظر مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، فهرست ابن خير : ١٨٨–١٩٠ ، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، ٣٥٩

(٢) النهاية (ط . الخيرية) ١ : ٥ ، لسان الميزان ٣ : ٣٥٨

وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبتُ ذلك بالنظر والتفتيش ، والمذاكرة ، فوجدتُ ما ترك نحواً مما ذكر ، أو أكثر منه ، فتتبعت ما أغفل ، وفسرته على نحو ما فسّر ، بالاسناد لما عرفت إسناده ، والقطع لما لم أعرفه ، وأشبعت ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر . وكرهت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب ، فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها ، وأحاديث السلف وألفاظهم ما يشاكل الحديث أو يوافق لفظه لفظه ، لتكثر فائدة الكتاب ويمتع قارئه ، ويكون ذلك عوناً على معرفته وتحفظه ، ولم أعرض لشيء مما ذكره أبو عبيد ، إلا أحاديث وقع فيها زلل ، فنبهت عليه ، ودللت على الصواب فيه ، وأفردتُ لها كتاباً يدعى كتاب (إصلاح الغلط) ، وإلا حروفاً تعرض في باب ، ولا يكمل ذلك الباب إلا بذكرها ، فذكرتها بزيادة في التفسير والفائدة . ولن يخفى ذلك على من جمع بين الكتابين . وكنتُ حين ابتدأت في عمل الكتاب أطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطالبين له ، فأعجلتهم الرغبة فيه ، والحرص على تدوينه ، عن انتظار فراغي منه ، وسألوا أن أخرج لهم من العمل ما يرتفع في كل أسبوع ، ففعلت ذلك حتى تم لهم الكتاب ، وسمعوه ، وحمله قوم منهم إلى الأمصار . ثم عرضتْ بعد ذلك أحاديث كثيرة فعملت بها كتاباً ثانياً يدعى كتاب الزوائد في غريب الحديث ، ثم تدبرتُ الكتابين فرأيت الأصوب في الرأي أن أجمعها ، واقدم ما سبيله أن يُقدم ، وأؤخر ما سبيله أن يُؤخر ، وأحذف ماسبيله أن يحذف ، فمن رأى ذينك الكتابين على غير تأليف هذا الكتاب فليعلم انها شيء واحد ، وأن الاختلاف بينها إنما هو بتقديم وتأخير وحذف مكرور من التفسير ، ورأيت أن أفتتح كتابي هذا

بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه [١] .... ثم ابتدأت تفسير غريب حديث النبي ﷺ ، وضمنته الأحاديث التي يدّعى بها على حملة العلم حمل التناقض ، وتلوته بأحاديث صحابته رجلًا رجلًا ، ثم بأحاديث التابعين ومن بعدهم ، وختمت الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة ، سمعت أصحاب اللغة يذكرونها ، لا أعرف أصحابها ولا طرقها ، حسنة الألفاظ ، لطاف المعاني ، تضعف على الأحاديث التي ختم بها أبو عبيد كتابه أضعافا . وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال ، وأسأل الله أن ينفعنا بما علمنا .... » [٢] .

– وهذه الطريقة التي اتبعها ابن قتيبة في تأليف كتابه غريب الحديث، وتنقيحه إياه بعد ذلك هي التي تفسر لنا إشارة ابن قتيبة إلى كتابه غريب الحديث في بعض كتبه ، ثم إشارته إلى تلك الكتب في كتابه الغريب [٣] .

٤ – كان ابن قتيبة مغتبطاً بكتابه (غريب الحديث) ، راضياً عنه ، فقد احتفل له وتهيأ ، وبذل فيه ما بذل من جهد ، بما سمح له أن يقول في خطبة كتابه : « وأرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين ، من غريب

(١) وسلك نحو هذا في كتابه تفسير غريب القرآن حين إفتتحه بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ، وأتبع ذلك ألفاظاً كثر تردادها في الكتاب لم ير بعض السور أولى بها من بعض (تفسير غريب القرآن : ٣) .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة (مخطوطة الظاهرية) ١ : ٣ – ٤

(٣) ذكر ابن قتيبة كتابه (غريب الحديث) في كتابيه : (إصلاح الغلط) ٣ ، ١٩ ، و (تأويل مشكل القرآن) (ط ٢) : ٨٢ ، ٩٣ ، ١٣١ ، ٢٦٥ ، كما ذكر في غريب الحديث (مخطوطة الظاهرية) كتابه إصلاح الغلط (١ : ٣ ، ٧٠) ، وكتابه مشكل القرآن (١ : ٩) .

الحديث ، ما يكون لأحد فيه مقال » ، وأشار ابن قتيبة إلى كتابه (غريب الحديث) في عدة كتب له ، أشار إليه في : أدب الكاتب ، وإصلاح الغلط ، وعيون الأخبار ، والأشربة ، وتأويل مختلف الحديث ، والشعر والشعراء ، وتأويل مشكل القرآن ، والمسائل والأجوبة . بل إنه في كتاب (المسائل والأجوبة) عطف على كتابه في غريب الحديث ليضيف إليه أحاديث عرضت له ، لم يكن قد أوردها فيه ، إتماماً له واستكمالاً [١] .

ـ واختلف العلماء في تقدير ابن قتيبة وأعماله ، وليس من غرضنا استعراض ما قالوه [٢] ، بل نقف ، ما أمكن ذلك ، عند أقوالهم بشأن

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦ ، المسائل والأجوبة : ١٥ - ٢٠ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن للسيد أحمد صقر : ١٠ — ١١ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٧ ، ويذكر ابن خير في فهرسته : ١٩٥ ، كتاب المسائل لابن قتيبة ، في معاني غريب القرآن والحديث ، مما لم يقع في كتاب الغريب .

ـ وفي الظاهرية نسخة من (غريب الحديث) لابن قتيبة ، تتألف من الجزءين : الأول (وعدد أوراقه ١٣٩) والثالث (وعدد أوراقه ١٣٤)، ونسخة ثانية من ثماني أوراق ، تتضمن القسم الأول من الجزء الأول من الكتاب . وفي مكتبة شستربتي المجلد الثاني من غريب الحديث من نسخة قديمة جداً مكتوبة ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ .

انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : ١ ـ المنتخب من مخطوطات الحديث للأستاذ محمد ناصر الدين الألباني : ٩٤ ، ٢ ـ علوم اللغة العربية للسيدة أسماء حمصي : ١٠٢ — ١٠٦ ، المستدرك الثاني من كتاب الأعلام : ١٣٣ ، مقدمة تأويل مشكل القرآن : ١٠ ، ابن قتيبة لجيرار لكونت : ١٤٨ ، مجلة الدراسات الشرقية (المعهد الفرنسي بدمشق) ٢١ : ٣٥١ - ٣٥٨، ٣٦٨ - ٣٩٣ ، مجلة المورد ، المجلد الأول ، العددان الأول والثاني : ١٧٢ رقم ٣٤٩٤ .

(٢) انظر آراء العلماء في ابن قتيبة في مقدمة تأويل مشكل القرآن : ٤٥-٧٦

كتابيه : إصلاح الغلط ، وغريب الحديث خاصة ، ونستطيع أن نقول ان ابن قتيبة قد تألب عليه في هذا الباب فئتان : فئة من اللغويين المختصين الذين وقفوا أنفسهم على اللغة وعلومها ، وتفرغوا لها تفرغ عابد متبتل في محاريبها ، فلم ينظروا إلى ابن قتيبة نظرة الرضا ، إذ كان مشاركاً في علوم جمة ، ولم يقصر همه على اللغة وحدها ، حفياً بها منصرفاً اليها ، وفئة ثانية ليست من جنس الأولى ، نقمت عليه أن ينقد أبا عبيد ، وأن يجرؤ على تخطئته ، وهي التي تربأ بأبي عبيد عن الهفوة ، وتأبى له الزلة ، فقد أصبح أبو عبيد قمة لا يطالها الآخرون والإمام المقبول عند الناس كافة ، ترسخت مكانته اللغوية بكتابيه (الغريب المصنف) و (غريب الحديث) ، فانكب الناس عليها درساً وحفظاً ، حتى قال أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي اللغوي : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنف أبي عبيد »[1] . ورزق أبو عبيد أصحاباً حفظوا عنه ، واقرأوا كتبه ، وأنصاراً راحوا يتشبهون به ويمضون على سننه ، علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً ، وغدا الامام القدوة مضرب المثل . فأنّى لابن قتيبة أن يقاس به ، وأين نجره من نجاره[2] .

— ونستطيع أن نعد من رجال الفئة الأولى أبا علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلغدة ، فقد ألف كتابه (الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) ، وكان من قبل قد رد على أبي عبيد[3] .

ونضم إليه أبا الطيب عبد الواحد بن علي النحوي (٣٥١ هـ) الذي قال في حق ابن قتيبة : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٦ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٥٧ ، إنباه الرواة ٢ : ٧٧-٧٨

(٢) انباه الرواة ١ : ١٢٥ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢٩٢ ، وانظر بشأن أصحاب أبي عبيد ما سبق (ص : ٨٣ ، رقم ٣) .

(٣) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ ، وانظر ماسبق (ص : ٩٤) .

أخذ عن أبي حاتم [السجستاني] ... إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها ، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي ﷺ وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف والشعراء ، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامة ، ومن لا بصيرة له »[١] .

كما نستطيع أن نعد من رجال الفئة الثانية محمد بن نصر المروزي (٢٩٤ هـ) الذي انتصر لأبي عبيد ، وردّ على ابن قتيبة اعتراضاته ، وردوده على أبي عبيد [٢] .

وكانت الفئة الثانية تتعاظم ويزداد عددها ، فقد غدا ابو عبيد يتعالى شأنا على كرور الايام ، ويزيده مر القرون رفعة وتجلة ، فاذا نحن نستقبل على مدارج السنين فئات اثر فئات ، يتدارسون كتبه ، ويتناقلونها ، يرويها عدلٌ عن عدلٍ ، ينضحون عنها وينافحون ، وتقاس كتبهم واعمالهم بما كتب وعمل ، ويُعد منبهة لأحدهم ما رواه من كتب ابي عبيد ، بل يكبل احدهم نفسه حتى يحفظ كتابه (الغريب المصنف) ، فعل الفرزدق حين قيد نفسه ليحفظ القرآن . ثم هم يمضون ابعد من ذلك ليحاولوا ترتيب كتب ابي عبيد وتنسيقها او اختصارها ، او التذييل عليها[٣] .

ومن هنا نستطيع أن نفهم ذلك الصوت المتأخر الذي انطلق من الأندلس

(١) مراتب النحويين : ٨٤ - ٨٥

(٢) لسان الميزان ٣ : ٣٥٨ ، تاريخ بغداد ٣ : ٣١٥

(٣) انباه الرواة ١ : ٢٩ ، ٢٦٨ ، ٢ : ٣١٠ ، بغية الوعاة : ٤٢ ، ٧٥ ، البلغة للفيروزبادي : ١٤٩ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٥٩ ، المحمدون من الشعراء : ٢٧٠ ، برنامج شيوخ الرعيني : ٣٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ٢٠٤

في أواخر المائة الخامسة أو في أوائل السادسة ينتصر لأبي عبيد على ابن قتيبة ، ذلك هو صوت ابي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري (٥٢٠ ﻫ) الاديب الشاعر الكاتب المترسل الذي الف كتاباً في الانتصار لابي عبيد[١] .

ولعل ابا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ ﻫ) ، وهو من اشد الناس منافحة عن مذهب الكوفيين ، قد جمع في هجمته على ابن قتيبة الصفتين السابقتين ، فشن عليه حملة لا هوادة فيها . وكان عنيفاً قاسياً في كتاباته وردوده ، نسب ابن قتيبة الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة .

كان ابو بكر ابن الانباري من اعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له ، حدث انه كان يحفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها وثلاثمائة الف بيت شاهدة في القرآن ، وكان يملي من حفظه لا من كتاب . انتصب ابن الانباري للدفاع عن الكوفيين ، وكان أبو حاتم السجستاني البصري ينال منهم نيلًا شديداً ، ويصغّر من أقدارهم ، ولعل ابن قتيبة قد قبل من استاذه ابي حاتم بعض آرائه ، او نظراته ، فما هو الا ان الف كتابه (إصلاح الغلط) حتى لاحت الفرصة مواتية لابن الأنبارى فآذنه واستاذه ابا حاتم بحرب واستعرض اكثر من كتاب من كتبه ، ليسلقه بلسانه حديد ، تمده حافظة لا تعرف النسيان . رد على ابن قتيبة قريباً من ربع ما ألفه في مشكل القرآن ، « عمل رسالة المشكل رداً على ابن قتيبة وابي حاتم ونقضاً لقولها » . واستدرك على ابن قتيبة مواضع في كتابيه غريب الحديث واصلاح الغلط[٢] . يقول ابن الانباري يتحدث عن

---

(١) فوات الوفيات ٢ : ١٩

(٢) طبقات الزبيدي (ط٢) : ١٥٣ - ١٥٤ ، انباه الرواة ٣ : ٢٠١ - ٢٠٨ ، مقدمة تهذيب اللغة : ٧٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢ : ٧١ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص (و) ، الأضداد لابن الأنباري : ٩٤ - ٩٥ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٨ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٣٠٧ - ٣٠٩ أمالي القالي ١ : ١١٨ - ١١٩ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩ - ٧٠، ١٢٨ ، ٣٣٦ - ٣٣٧

السجستاني : « وقد انكر هذا رجل من أهل البصرة يعرف بابي حاتم السجستاني ، معه تعدٍّ شديد ، واقدامٌ على الطعن في السلف ، قال : فحكيت ذلك لاحمد بن يحيى [ثعلب] فقال : هذا من ضيق عطنه ، وقلة معرفته»[١] .

٥ ـ لن يدخل في تقسيمنا هذا أولئك اللغويون الذين كانوا يرجحون ابا عبيد على ابن قتيبة ، ولكنهم سلكوا طريقاً وسطاً ، فكانوا يصححون مازلَّ به ابن قتيبة ، ويستدركون عليه اللفظة تلو اللفظة فإذا رأوا أن وجه الحق قد لاح بجانبه ، آزروه ، ورجحوا قوله .

نذكر من بين هؤلاء اللغويين الإمام أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ)الذي كان يوثق ابن قتيبة في روايته ، ولا يدفعه عن الصدق فيما يحكيه عن أئمة اللغة ، « فأما ما يستبد فيه برأيه من معنى غامض ، أو حرف من علل التصريف والنحو مشكل ، أو حرف غريب ، فإنه ربما زل فيما لا يخفى على من له أدنى معرفة ، وألفيته يحدس بالظن فيما لايعرفه ولا يحسنه » ، ومن هنا كان يرى البون بعيداً بين الرجلين ، وان أبا عبيد أعلى كعباً ، وأرفع منزلة ، على ما وقع فيه من أغلاط ، وقد أشار في كتابه التهذيب إلى مآخذه على أبي عبيد وابن قتيبة في غريبيهما[٢] ، وإن كان قد أفاد منها في تهذيبه كل الافادة .

ونذكر من بينهم الشريف المرتضى علي بن الحسين (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) الذي عرض في أماليه لابن قتيبة وأبي عبيد ، وما جاء به ابن الأنباري ، وحاول أن يرجح من الأقوال ما تبين له رجحانه ، باسلوب هادىء متزن ، لا غلو فيه ولا عصبية[٣] .

---

(١) لسان العرب (شنأ) .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة : ٧٥ ، كتاب الغريبين للهروي ١ : ١٠٢ ، ١٨٨

(٣) أمالي الشريف المرتضى ١ : ٥ ـ ٩ ، ١٥ ، ١٧ ـ ١٩ ، ١٢٠ ، ١٥٦ـ ١٥٨ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٦ ـ ٤٣٢ ، ٤٥٤ ـ ٤٥٧ ، ٦٣٢ ـ ٦٣٥ ، و ٢ : ٥ ـ ٩ ، ٥٠ ـ ٥٣ ، ٨١ ، ٨٢ ـ ٨٦ ، ٢٠٠ ـ ٢٠٤

ونضيف إلى ذلك جماعة علماء الغريب من أمثال الزاهد والخطابي والهروي والزمخشري وابن الأثير الذين كانوا يأخذون ويدعون ، وفق ما يترجح لديهم ، وإن كانوا يدينون لغريبي أبي عبيد وابن قتيبة بأعظم الدين .

٦ — مهما يكن من شيء ، فقد أصبح كتابا أبي عبيد وابن قتيبة يؤلفان كلًا واحداً متكاملًا في « غريب الحديث » ، استأثرا باعجاب العلماء وتقديرهم في مشرق الأرض العربية ومغربها ، فكانوا يئلون إليهما ويعولون عليهما .

يقول الإمام الخطابي (٣٨٨ ه) في صنيع أبي عبيد وابن قتيبة في غريب الحديث : « وكان أول من سبق إليه ، ودلّ من بعده عليه ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، فإنه قد انتظم بتصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسيره من مشاهير غريب الحديث ، وصار كتابه إماماً لأهل الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون ، ثم انتهج نهجه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فتتبع ما أغفله أبو عبيد من ذلك ، وألف فيه كتاباً لم يأل أن يبلغ به شأو المبرز السابق ، وبقيت بعدهما صبابة للقول »[١] .

ولما أعاد الخطابي القول ، بعد ذلك ، في مقدمة كتابه فذكر الكتب الأخرى المؤلفة في غريب الحديث لم يلبث أن عطف قائلًا ، ان في كتابي أبي عبيد وابن قتيبة غنى ومندوحة عن كل كتاب ذكره قبل ، إذ كانا قد أتيا على جماع ما تضمنت الأحاديث المودعة فيها ، من تفسير وتأويل ، وزادا عليه ، فصارا أحق به وأملك له ، ولعل الشيء بعد الشيء منها قد يفوتها[٢] .

ثم عرض الخطابي لايضاح الفروق بين كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، وهو في معرض الموازنة بينها وبين كتب الغريب الأخرى فقال : « ثم انه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ، ص(و) ، تأويل مشكل القرآن ، مقدمة المحقق : ٩-١٠

(٢) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦

منهاج كتاب أبي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجودة الاستنباط وكثرة الفقه ، ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة في اشباع التفسير وايراد الحجة وذكر النظائر وتخليص المعاني »(١) .

ــ غدا الكتابان مورداً عذباً تزاحم عليها الدارسون ، ومصدراً هاماً يستشهد أئمة اللغة وعلماؤها بما جاء فيها من أقوال ونقول(٢) . وبلغ من إعجاب الناس بالكتابين أن والوا النظر فيها وردده . وأخذ بعضهم نفسه بحفظها أو أحدهما (٣) ، وانتدب لها من تناولها أو أحدهما بالتهذيب أو الاختصار أو التذييل والزيادة ، أو الشرح : ألف أبو الهيثم الرازي (٢٧٦ ه) كتاب ما زاد في الغريب المصنف وغريب الحديث لأبي عبيد(٤) ، وقام الشيخ الفقيه أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (٤٤٧ ه) فجمع كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، واختصرهما بكتاب : « تقريب الغريبين لأبي عبيد وابن قتيبة »(٥) ، وصنف أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الأندلسي الشاطبي (٤٦٥ ه) ، غريب الحديث لأبي عبيد ، على حروف المعجم ، وجعله أبواباً (٦) ، ثم تعرض أبو الحسن علي بن عبد الله المقيلي (٥٤٦ ه) إلى غريب الحديث لأبي عبيد فقفاه على الحروف (٧) . وأما عبد اللطيف البغدادي (٦٢٩ ه) فقد صنف غريب الحديث الكبير ، جمع فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي (٨) .

ــ للبحث صلة ــ

(١) النهاية (ط الخيرية) ١ : ٦
(٢) المخصص ١ : ١٢ ، التكملة للصاغاني ، المقدمة : ٧
(٣) الصلة ١ : ١٧ (٤) معجم الأدباء ١٨ : ١٠٠
(٥) فهرست ابن خير : ١٩٥ ، المعجم العربي ١ : ٥٧ ، مقدمة النهاية (ح الطناحي) ١ : ٦ ، وانظر ترجمة أبي الفتح الرازي في وفيات الأعيان ٢ : ٣٩٧ ، وانباه الرواة ٢ : ٦٩
(٦) انباه الرواة ٢ : ١٨٣ (٧) انباه الرواة ٢ : ٢٨٥ ، معجم الأدباء ١٦ : ١٠
(٨) طبقات الأطباء ١ : ٢٠٤ ، ٢١١

مصرع الشمس (*)

للشاعر محمد عبد الغني حسن

مضى عام ، وما زال لهيب الحزن في كبدي
على الشمس التي ولّت عن الدنيا إلى الأبـــد
ضنينّــــا أن نوسدها وأشفقنا على الجســـد
وقلنا : إن يفُتْنا الدفـن صُبْحَ غدٍ ، فبعد غدا!
وقلنا : يا ركاب المـوت ! لا تستعجلي ! اتئدي!
وما زلنا نراوغ في احتيالات على الأمد ...
وهبنا قد أطلنا ساعة التوديع في العدد
فهل زادَ لنـــا التسويف حيناً حانَ لم يزد ؟
وهل ردّ مطالُ الدفن من عُمْرٍ على أحد ؟

* * *

لقـد كان هنا شمسٌ على الآفـــاق تلتمعُ
وكان هنا لهـــا شُعَلٌ وكان هنا لهـــا لُمَعُ
وكان على أشعتهـــا شعاعُ الفكر يجتمـع
وكان لهـا على العسافين مُصطافٌ ، ومرتبع
إذا ما أجدبَ الناسُ على أفيائهـــا انتجعوا
وإمّـــا مسّهم ضُرٌّ إلى ساحاتهـــا فزعوا

(*) القصيدة التي أعدها الشاعر عضو مجمع اللغة العربية المراسل لتلقى في الاحتفال بذكرى مرور سنة على وفاة عميد الأدب العربي في شهر شباط (فبراير) ١٩٧٥

وفيهـــا لذوي الآما ل ، والآلام متّسـع
تساوت عندهـــا الآحا د في المعروف ، والجمعُ
علت ، لكنها بالفضـ ل والأخلاق تتضع ...

* * *

رأيتُ الشمسَ طالعةً كما شاهـدتُ مصرعها
وقد أحسستُ مصرعها كما أحسستُ مطـلعهـا
وأدركتُ عـلى الحالـ ن مبداها ، ومرجعها
ففيم حمدتُ غُرتهـــا وفيم ذممتُ برقعهـا ؟
ومَن بالدمـع بلّلهـا ومَن بالدر رصّعها ؟
ومَن أنضب - بعد الفيـ ض والتهطال - منبعها ؟
ومَن ثبّت فوق الفـ لك الدّوار موقعها ؟
ومَن عطّلَ ناديهـــا ومَن فرّقَ مجمعهـا ؟
ومَنْ قدّرَ لي وأنـا عليـلٌ أن أودعهـــا

* * *

لقد ودّعتُ في « تشريـ ن » شمساً ذاتَ إشعاع
أطلّتْ من سماوات النـ هى تُزهَى بإبــداع
تخطّت قمّـةَ التفكيـ ر وهيَ رهينـة القـاع
على نُور البصيرة هَل إلى الأبصارِ من داعي ؟
وكم من مبصـر بالعيـ ن أعمى القلب مرتاع !
وماذا تنفـع العينـــا نِ قلباً ليس بالواعي ؟
لقد جـازت مدار العمـ ر في خَبَبٍ وإيضاع

فما بالت بأسقام ولم تأبه لأوجاع
وما زالت هنا حتى نعاها للعُلا ناعي ..

* * *

هنا قد مالت الشمس الـ ـتي أطلعها « الأزهرْ »
أما كانت هنا – واللـ ـه – لله يدٌ تُؤثَر ؟
أما كان هنا الشيخ الـ ـذي بالشك قد ثرثر ؟
وفي « ديكارتَ » منه ملا مح بالشك أو أكثر
وفي قصة « إسماعيـ ـل » كَسْرٌ منه لا يُجبر
تعالى الله ! عاد الشك إيماناً ، وقد أثمر
وآب ظلامُهُ الدامـ ـس بالصُّبح الذي أسفر
أما تمَّت هنا المعجـ ـزة الكبرى التي تَبْهر ؟
أما كان هنا طفلٌ ضريرُ العين قد أبصر ؟

* * *

« حديث الأربعاء » اليو م مَن يسكبُه صِرفا ؟
ومَن يزجِ فيه النقـ ـد لطفاً فيه ، أو عنفا ؟
ومَن « للسيرة » الغرا ء لا يخرمُها حرفا
ومَن « للفتنة الكبرى » يجلّيها لنا وصفا ؟
ومَن يجهرُ بالرأي فلا جُبن ، ولا خوفا ؟
ومَن أضفى على التعليـ ـم من كفيه ما أضفى ؟
ومَن كالريح إن هفَّت ومَن كالطل إن رفَّا ؟
ومَن قد شغل الدنيـا وفاقاً فيه أو خُلفا ؟

لقد وفّى الشعاعُ الغا رب الرحلةَ واستوفى ...

* * *

وقفتُ على مغيب الشم س أدعوها فلا تسمعْ
أناديهـا ، وهل يُغني نداء الموت أو ينفع ؟
وأطمع من وداعيها بما ليس به مطمع
هنا قال لي الناصـ ـح : يامغرورُ ! لا تُخدع !
فمَن راحَ فلا يأتي ومَن ولّى فلا يرجع
ومن أدركه المنز ل هيهات بأن يطلع !
ورُحتُ ألمُّ أثوابي من الخزي ، واسترجع
أكُفُّ النفسَ عن أوها مها في الحادث المفجع
فكأسُ الدهر لا يُوقَى وسهمُ الموت لا يُدفع

* * *

خرجت مع الجماهير غداةَ الدفن أنتحبُ
وقد أوهى الضنى جسَدي وهدَّ كيانيَ الوَصب
لعلي أبصر الشمس الـ مضيئةَ ، وهي تنقلب
فللشمس على المغر ب فينا منظرٌ عجب
وما أروعَ قرص الشم س ، وهي تكاد تحتجب
هنا ... هان لديَّ الجا ه ، والألقاب ، والرتب
هنا ... أدركتُ أن المجـ ـد شيء زائف كذب
هنا ... أيقنتُ أن الفا نيَيْنِ : المال والنشب
هنا ... آمنت أن الخا لدَيْنِ : العلم والأدب...

* * *

رأيت الشمس قد مالت إلى المغـــرب مُغبرَّه
كساها الموت من أكفا نه في خدرهـــا صفره
وبدَّلها الردى المغتـــا لُ من أفلاكها حفره ..
وأدركهـــا مصيرٌ لا يفوت الحر ، والحره ...
فقـــام الصبح يبكيها ويندبُ عندهـــا فجره
وراح الروض يرثيهـا ويَرثي معهـــا عطره
ولم يَبق عـــلى التودي ـع إلا ساكبٌ عَبره
وقال الكون : إن الشم س قد ماتت فيا حسره !
نعم ! قد ماتت الشمس ولكن لم تمت فكره ...

القاهرة — **محمد عبد الغني حسن**

مع ابن الأزرق في مخطوطته :

بدائع السلوك في طبائع الملوك

وحديثه عن : السفارة والسفراء

الدكتور عبد الهادي التازي

يوجد عدد كبير من رجالات العلم ، والحديث ، والفقه ، والتاريخ ، والأدب ، ممن يحملون اسم الأزرق أو ابن الأزرق أو الأزرقي في المشرق والمغرب ... والأزرق جدّ قديم من أجداد العرب في الجاهلية ، يتصل نسبه بالعمالقة ، وكانت منازل بيته بالحجاز .. وإليه ينسب في – بعض الروايات – المؤرخ اليماني محمد بن عبد الله بن أحمد بن الأزرق من أهل مكة ، وصاحب كتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) والمتوفّى سنة ٢٥٠ ، وقبل مؤرخ مكة ، نعرف عن أبي راشد نافع بن الأزرق البصري الحنفي رأس الأزارقة ، وإليه نسبتهم ، الذي صحب عبد الله بن عباس وكان هو وأصحابُهُ من أنصار الثورة على سيّدنا عثمان وموالاة الإمام علي ، رضي الله عنهما ، إلى أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية . قتل على مقربة من الأهواز عام ٦٥ في أعقاب مقاتلة المهلّب بن أبي صفرة له ... كما نعرف عن الحافظ حمّاد بن زيد الأزرق شيخ العراق في عصره الذي ولد وتوفي بالبصرة (عام ١٧٩) وعن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن الأزرق الذي ورد من مصر على الأندلس وتوفي بقرطبة (سنة ٣٨٥) والمؤرخ عبد الله بن محمد ابن الأزرق المتوفّى عام ٥٩٠ ... هذا إلى الكاتب المعروف محمد ابن هذيل الشهير بابن الأزرق الذي خاطب الملكة فونيـــا Fona يخبرها

بوصول السفراء المغاربة من حصن القلاعة أوائل ذي الحجة عام (٦٤٧) وغير هؤلاء من الزُّرق الذين تناهت إلينا أخبارهم وفي صدرهم مترجَمُنا اليوم قاضي غرناطة ووزيرها وسفيرها أبو عبد الله بن الأزرق ...

ويظهر أنه لا صلة بين أسرة الأزرق هـذا وبين الأُسر التي تحمل لقب الأزرق ببعض المدن المغربية ، وبفاس على الخصوص ، فإن هـــذه الأسر ، أو بعضها على الأقل ، وردت للمدينة من الجبال ، وقد كان جدي الأم السيد عبد الرحمن بن عبد السلام الأزرق يذكر أنهم من صنهاجة السراير بإقليم الحسَيمة من بطن هناك يعرف ببني زرقت ، لقبوا بذلك لأنّ عيون أغلبيتهم زرقاء .

وكما أنه ليس ببعيد إطلاقاً أن يكون أصل بعض أسر الأزرق منحدراً من الديار الأندلسية عبر الجبل ، فإن التلقيب بالألوان معروف بالمغرب كما بغيره من سائر الجهات ، كالأخضر ، والأحمر ، والأبيض ، والأشقر ، والأكحل ، على نحو ما عهد من التلقيب بمختلف المِهَن والحِرَف كالقاضي والمفتي ، والفقيه ، والمؤذن ، والخطيب ، والإمام ، والنجار ، والحداد ، والصباغ ، والعطار .

ويعتبر القاضي ابن الأزرق من عيون رجال الفقه والأدب والعلم ، الذين عرفهم القرن التاسع الهجري ، وقد أفاد السّخاوي أنّ ابن الأزرق كان من الملازمين للأستاذ أبي إســـحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح مفتي غرناطة : في النحو ، والأصلين والمنطق (١) كما كان من الذين يحضرون

---

(١) اشتهر الشيخ ابن فتوح هذا بسلوك منهاج تربوي خاص مع طلبته ، حيث يفسح لهم المجال كاملاً للبحث والتعقيب والتعليق ، بل إنه لا يرضى منهم بالتسليم المطلق والمتابعة العمياء .. ويأتي هذا المنهج وسطاً بين مذهب العبدوسي =

مجالس أبي عبد الله محمد بن محمد السّرقسطي عُمدة غرناطة في العلوم الفقهية ، ومجالس الخطيب أبي الفرج ، عبد الله بن أحمد البقني ، ومجالس قاضي الجماعة بها أبي العباس أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني . . . كما أنه كان من أقرب الناس إلى بلاط بني نصر ، فهو لذلك من أقطاب السياسة في ذلك العهد . وإذا ما تتبعنا آثاره سواء منها النثرية والشعرية ، فسنجد أنه ليس رجل وظيف شرعي ، ولكنه رجل دولة ، وكاتب ملك ، وأن سلطان بني نصر كان يؤثره بأسرار لا يبثها إلى قاضي الجماعة ، الأمر الذي يدل عليه قوله يخاطب شيخه الحافظ القاضي أبا القاسم بن سراج وقد طلب إليه هذا الأخير أن يجتمع به في ظروف اضطراب ، مؤملاً أن يحصل منه على سر من أسرار السلطان . . . لقد باعده الوزير ابن الأزرق معتذراً بهذه الأبيات البديعة الرائعة لفظاً ومعنى :

فديتك لاتسأل عن السرّ كاتبا ... فتلقاه في حال من الرّشد عاطل
وتضطره إمـا لحـالة خائن ... أمانتـه أو خائض في الأباطـل
فلا فرق عندي بين قاض وكاتب ... وَثَنّى ذا بحق أو قضى ذا بباطل

وقد كان من أبرز الذين سَجّلوا لهم مواقف حاسمة عندما اضطربت الأحوال في غرناطة واختلط الأمر على الناس ، فنكثوا بيعة السلطان أبي الحسَن النصري ، وبايعوا عوضه ابنه محمداً ، فقد كان من رأي القاضي ابن الأزرق ، والمفتي أبي عبد الله المواق ، وكذا سائر فقهاء غرناطة أن مثل هذه المبادرة في مثل تلك الظروف إنما تخدم مصلحة العدوّ ولا تنقذ الموقف في شيء ، وأنها شبيهة بتبديل الفرس أثناء عبور النهر الهائج المائج . . .

= (ت ٨٤٧) ومذهب المشدالي (ت ٨٦٤) ن المقري : الرياض تحقيق السقا ، الأبياري ، شلبي . طبع المعهد الخليفي تطوان ١٩٣٩ ن ٣/٣٠٤ — ٣١٧ ن نفح الطيب تحقيق إحسان عباس طبع دار صادر ١٩٦٨ — ٢ / ٧٠٠ ن التازي : جامع القرويين بفاس طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ٢/٤٢٨ .

وهكذا وقّع فتوى شجب فيها فعل الناكثين أواسط شهر رمضان من عام ٨٨٩ بالرغم من المخاطر التي كانت تحتف به وهو يقدم على هذا الموقف الجريء .

وقد اقتضت منه غيرته على تداعي الديار الأندلسية وتوالي انكسارها أن يفكر — إثر هذه الفتوى — في السفارة لدى ملوك المغرب والمشرق آملاً في إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وترقباً في الحصول على نجدة من شأنها أن تردع الأعداء المتربصين ، وتبقي على الوجود الإسلامي ببعض تلك الديار .

ولما كانت ظروف المغرب الأقصى آنذاك قد بلغت من الاضطراب والقلق درجة لا تُمكنه من الالتفات لما يجري في العدوة الأخرى فقد وفد القاضي إلى تلمسان بعيد التسعين وثمانمائة (١) وكان يحكمها آنذاك العاهل أبو ثابت الثالث ، ولكن السفير ابن الأزرق ، وقد شعر بانشغال الناس عنه بالتصدي للمناورات والمضايقات التي كانت تحاك ضدّ الجزائر من طرف الأجنبي ، اتجه نحو مصر لدى الملك الأشرف قايتباي محمد بن علي . . .

وهناك لقي كل ترحيب وتكريم ، لكنه فهم من المسؤولين هناك أنهم يدركون أن أَمر الأندلس قد انتهى ، وأنه لافائدة ترجى من تدارك المحْتضَر الذي يسلم نفسه الأخير « فكان كمن يطلب الأنوق أو الأبيض العقوق » (٢) . وهكذا فقد اقترحوا عليه أن يغدو أولاً للقيام بمناسك الحج قبل أن يعطوا له الجواب النهائي ، وكانوا في واقع الأمر يتوقعون وصول المزيد من الأخبار عن الأندلس ، هذا أيضاً إلى إنشغال الملك بمنازلة السلطان العثماني بايزيد الثاني (٣) .

---

(١) أزهار الرياض ٣/٣١٨

(٢) نفح الطيب ٢/٧٠٢

(٣) السلطان بايزيد الثاني من أعظم سلاطين آل عثمان ، فتح عدداً من القلاع والحصون ، وبنى طائفة من المدارس والجوامع والمستشفيات ، وما يزال حيّ بكامله يحمل باسطانبول اليوم اسم بايزيد ، كان يحاول احتلال بعض الجهات =

وقد قصد القاضي ابن الأزرق الحرمين الشريفين حيث قام بأداء الفريضة ، وعاد أول سنة ٨٩٦ للقاهرة لمتابعة القيام بمساعيه التي من أجلها رحل ، ولكنه وجد أن الأخبار التي يتوفر عليها السلطان قايتباى كانت تنذر بأن كل شيء بالديار الأندلسية في طريقه نحو النهاية .

لقد بلغت الأخبار الحزينة فعلاً عن سقوط العاصمة غرناطة وأخذها من يد الأمير محمد بن أبي الحسن منذ ربيع الأول من عام ٨٩٥ .

وكانت للسلطات مع السفير جلسات مهمة أفهمه السلطان فيها أن قضاء الله قد نفذ ، وعرض عليه بهذه المناسبة خطة قضاء القضاة في بيت المقدس تسلية له وتلهية ، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد بن مازن الغزي . ووصل الإمام ابن الأزرق إلى القدس يوم الاثنين ١٦ شوال ٨٩٦ حيث قضى هناك ردحاً من الزمان محاطاً برعاية تلاميذه من مريدي الفقه المالكي ، واحترام معارفه ممن كان (حيّ المغاربة) بالقدس[1] يزخر بهم ، لا سيما وقد كان يضيف إلى علمه واطلاعه جمال الشكل ، وإنارة الشيبة ، وسيمة الأبهة والوقار ، والنزاهة والصيانة والطهارة .

التابعة لـ : قايتباي ، فكان هذا منصرفاً بكليته لصد الهجوم ، وقد أنفق أموالاً طائلة في هذا القتال الذي حال دون تلبية عدد من نداءات ملك غرناطة ، ولكنه مع ذلك كان يحاول بالطرق الدبلوماسية أن يبلغ قلقه للإسبان ، وربما تهديداته كذلك بواسطة القسيسين والرهبان المتواجدين في القدس الشريف .

مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الطبعة الوهبية مصر ١٢٨٣ م ٢/٥٩١ . الزركلي : الأعلام مادة قايتباي .

(١) عبد الهادي التازي : (حي المغاربة بالقدس) نشر في مجموعة موسوعة العتبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي دار التعاون ، بغداد ، المجلد الأول ٩٥ — كما نشر بمجلة مركز الدراسات الفلسطينية المجلد الأول العدد الثالث غشت ١٩٧٢ ٥/٧ وبملحق العلم الأسبوعي الثقافي ١٤ يناير ١٩٧٢ .

لكنه كان يغصّ من هول الأنباء المتلاحقـــة من الأندلس . . . فتناوشته الهموم ولم يَقْوَ على تحمّل الصدمـة والغربة في آن واحد ، لم يبق عنده بستان ولا مركب ولا مسكن على ما يقول في نونيته المعروفة ، وهكذا توعّك ولم تلبث أنفاسه أن فاضت بعد نحو من شهرين من توليه القضاء حيث توفي يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة الحرام ٨٩٦ بعد الفراغ من الصلاة ، وصلي عليه في يومه بعد صلاة العصر بالمسجد الأقصى ، وحشر إلى جانب حوش البسطامي من جهة الغرب .

* *

لقد خلف القاضي ابن الأزرق تراثاً أدبياً فاخراً تجلى في هذه المقطعات الشعرية الجيدة التي نقلتها عنه الموسوعات الأندلسية الأدبية ، فمن تلك القطع هـذه الأبيات التي نظمها عند نزول طاغية النصارى بمروج غرناطة ، والتي تعبر عما كان يحس به من الآلام ، وهو يعيش الأيام الأخيرة بالأندلس[١] :

مشوق بخيمات الأحبة مولع	تذكره نجـــد وتغريه لعلع
مواضعكم يالائمين على الهوى	فلم يبق للسلوان في القلب موضع
ومَن لي بقلب تلتظي فيه زفرة	ومن لي بجفن تنهمي فيه أدمع
رويدك فارقب للّطائف موضعا	وخل الذي مَن شرّه يتوقع
وصبراً فإن الصبر خير غنيمة	ويا فوز من قد كان للصبر يرجع
وبتْ واثقا باللطف من خير راحم	فألطافه من لمحة العين أسرع
وإن جاء خطبٌ فانتظر فرجاً له	فسوف تراه في غد عنك يرفع
وكن راجماً لله في كل حالة	فليس لنا إلا إلى الله مرجع

ومن نونية خفيفة تنسب إليه بلغَتْ زهاء المائة بيت ، هذه الأبيات

(١) النفح ٢/٧٠٤

التي تعكس مشاعره وروحه المرحة وهي على ما يظهر من نظمه في المهجر :

لا أم لي لا أم لي — إن لم أبرد شجني
وأخامنّ في الجو — ن والتصابي رسني
يا عاذلي في مذهبي — أرداك شربُ اللبن !
أعطيت في البطن منا — نا إن تخالف سنني
وإن نسفته نظري — ومذهبي وتهني
فالصفع تستوجبه — نعم ، ونتف الذقن
والنفي تستوجبه — لواسط أو عدن !

* * *

أفدي صديقاً كان لي — بنفسه يسعدني
فتارة أنصحه — وتارة ينصحني
وتارة ألعنُه — وتارة يلعنُني
وربما أصفعه — وربما يصفعني

* * *

دهر تولّى وانقضى — عني كطيف الوسن
يا ليتني لم أره — وليته لم يرني
دنّست فيه جانبي — وملبسي بالدرن
وبعت فيه عيشتي — لكن ببخس الثمن !
كأنني ولست أدْ — ري الآن ما كأنني !!

* * *

لو أنصف الدهر لما — أخرجني من وطني !
وليس لي من جنة — وليس لي من مسكن

أسرّح الطرف وما … لي دمنة في الدِّمَن
وليس لي من فرس … وليس لي من سكن !
ياليت شعري وعسى … ياليت أن تنفعني

* * *

هل للثريــــد عودة … إلـيّ ؟ قـد شوقني
ولي إلى الاسفنج شو … قٌ دائـــم يطربني
والأرز الفضــــل إذ … تطبخـــــه باللبـــن
وهات ذكر الكسكسو … فهو شريف وسنـــيّ
لا سيما إن كان مصْ … نوعاً بفتْل حســـن
أرفع منـــه كورّاً … بهن تدوي أذُنـــي
وإن ذكرت غير ذا … أطعمـــة في الوطن
فابـدأ من المثومـــا … ت بالجـــبن المكن
من فوقها الفروج قد … أنهـي في التسمُّـــن
وثنّ بالعصيــــدة الـ … ـتي بهـــا تطـربني
والزبزبنّ في الصحـ … ـاف حسبُ أهل البطن[١]

ومن شعره في مدينة بسطة :

في بسطة حيث الأباطح مشرقهْ … أضحت جفوني بالمحاسن مغلقهْ

وله أيضاً فيها :

قل لمن رام النوى عن وطن … قولةً ليس بهـا من حـرجِ
فـرّج الهم بسـكنى بسطـة … إن في بسطة بابَ الفرج[٢]

(١) النفح ٢٩٨/٣
(٢) النفح ٤٤٧/٦

ومن نظمه سينية بديعة من نحو أربعين بيتاً في مدح شيخه العلاّمة أبي يحيى ابن عاصم هذا مطلعها :

خضعتْ لمعطفه الغصون الميَّسُ ورَنا فهام بمقلتيه النرْجس
بك مجلس الأنس اطمأنّ وبابن عا صم اطمأن من الرياسة مجلس
بدر بأنوار الهدى متطلع غيث بأشتات الندى متبجس(١)

ومن نظمه قوله في المجبَّنات :

ورب محبوبــة تبـدت كأنها الشمس في حلاها
فاعجب لحال الأنام من قد أحبها منهـم قلاهـا !

ومن شعره في جمال الربيع قوله :

تأملت من حسن الربيع نضارة وقد غرّدت فوق الغصون البلابل
حكت في غصون الدوح قسّاً فصاحة لتعلم أن النبت في الروض باقل

ومن شعره في الرثاء قوله في والدته :

تقول لي ودموع العين واكفة ما أفظع البينَ والترحال ياولدي
فقلت أين السرى؟ قالت: لرحمة من قد عز في الملك لم يولد ولم يلد

غير أن ما تركه الإمام ابن الأزرق من مؤلفات قيمة طغى على سائر مناحي نشاطه الفكري فقد تحلى فيما دبجته يراعته في مختلف العلوم والفنون ماجعله مثار إعجاب الذين كتبوا عنـه أو قرأوا أو سمعوا . . وقد كان منها كتاب (الإبريز المسبوك في آداب الملوك) و (روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم

(١) أزهار الرياض ٣/٣٢٢ ، وقد تشكك في النفح في نسبة هذه السينية لابن الأزرق ، هذا كما نسب الأبيات الثلاثة الماضية (فديتك لا تسأل عن السر) لابن عاصم . النفح ٦/١٥٢

الإسلام) و (شفاء الغليل في شرح مختصر خليل)(١) هذا إلى ماأثر عنه من فتاوى نقلها عنه صاحب المعيار في جامعه(٢). وقد رأيت أن أقدم بين يدي الباحثين اليوم عرضاً عن مخطوطته الفريدة «بدائع السلك في طبائع الملك» التي لخص فيها كلام ابن خلدون في مقدمة تاريخه وكلام غيره ولكن مع زوائد كثيرة(٣)...

(١) وقف الإمام المقري على جملة من هذا الشرح بتلمسان تتألف من ثلاث مجلدات ويقدر صاحب النفح أن يصل الكتاب إلى عشرين مجلداً حيث أن المجلد الأول لم يكمل مسائل الصلاة. قال المقري: «لم أر في شروح الخليل – مع كثرتها – مثله».

(٢) كان منها فتواه باستنكار نكث بيعة أبي الحسن النصري.

(٣) وقفت في المكتبة العامة بالرباط على أربع نسخ من المخطوط المتحدث عنه علاوة على ما يوجد منه في خزانة جامعة القرويين والخزانة الملكية الأولى رقم ج/٦٤ كمل نسخها في أوائل صفر عام ٩٩٨، عدد صفحاتها ٥٢٩ تحتوي الورقة على واحد وعشرين سطراً من قياس ٢٥,٥ س على ١٨,٥ بينما النسخة الثانية رقم ج/ ٩٣ عدد صفحاتها ٣٩٧ تحتوي الصفحة على خمسة وعشرين سطراً قياس ٢٢,٥/١٧,٥ والثالثة رقم د ٥٨٢ عدد صفحاتها ٥١٢ قياس الصفحة ٣٠/٢١,٥ وقد نسخت في جمادى الأولى عام ١٢٦٣ – أما النسخة الرابعة فتحمل رقم د/١٣٤٠ عدد صفحاتها ٦٤٨ تحتوي كل صفحة على واحد وعشرين سطراً قياس الصفحة ٢٢,٥/١٧,٥

ويبتديء الكتاب هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. قال الشيخ الفقيه الخطيب البليغ البارع العالم المتفنن المتبحر الصدر الإمام الأوحد فخر علماء الأندلس في عصره في العلوم وسيد وقته في العلوم قاضي الجماعة السيد أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الأصبحي وصل الله عزته وحفظ في الأعلام العلماء رقبته: الحمد لله مالك الملك إيجاداً وتدبيراً ومبدعه من فيض جوده عليا بأسرار وجوده خبيراً...

وينتهي بالصلاة على النبي الكريم «وعلى آله والأبرار الصحابة الناصحين في الإعلان والإسرار ماتعاقب الزمان يوماً وغدا، وراح إليه مشتاق الوصول وغدا...

(النسخة ج/٦٤) الصفحة الثالثة « سميته ببدائع السلك في طبائع الملك » وفي النسخة د/٣٢ كتابة العنوان هكذا: «بدائع السلوك في طبائع الملوك » يقول: لو خصت السياسة بلحظ جانبها المرعي الذمام ، وأعمل في فائدة عملها ، بعتبرها في التصريف ومعملها ، واجب العناية بها والاهتمام لناسب أن يسمى بتحبير السياسة في تدبير السياسة ، فهي العلم الذي لا يستغني عنه سوقة ولا ملك ، ولا من نهج به في التقويم سبيل الرشد القويم وسلك ، فمن سماه بذلك فوجه وضاح الأسرة مشرقها ، ولحظه في الاعتبار المناسب أصيل المناسب معرقها .

النسخة ج/٩٣ . اشتهر عن القاضي ابن الأزرق أنه كان في كتابه « بدائع السلوك » متأثراً جداً بابن خلدون ، بل إنه يكتفي أحياناً بنقل كلامه حرفياً ... وهذه الصفحة من المخطوطة ، حول أن للدول أعماراً محدودة كالأشخاص ، تعطي فكرة عن مدى صحة هذا القول الذي يظهر أن له نصيباً، من النظر ولو أن ابن الأزرق حرص كثيراً على أن يدلي برأيه فيما يلخصه ، الأمر الذي يدل على أنه ليس مجرد ناقل .. لاحظه هنا يعقب : قلت : تقدم له قبل هذا أن طول أمد الدول على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة ، واستظهر على ذلك بشهادة الواقع من طول أمد كثير من الدول ، ثم هو هنا يقدر عمرها بما ذكر ويجعله طبيعياً ، فانظر فيه متأملاً .

النسخة د/٥٨٢ . كما يحكي ابن رضوان أن الوزير الشهير أبا عبد الله بن الحكم (صوابه : الحكيم) لما وفد رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب ، قال له : ما طلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعفناه بكذا .. وعدّد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة ، فقال له : نعم يا مولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولا جهله ، لكن لسان حاله ينشد : أيا ملبسي .. « البيت » .

النسخة د/١٣٤٠ آخر ورقة من المخطوط التي تعالج، كمسكة الختام، بيان ما يدل من الأخبار على فضل النبي صلى الله عليه وسلم: « إذا نزل به الأمر فوّض المخرج فيه إلى الله تعالى . أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي .. أكثر لباسه البياض .. لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ... أجود الناس كفّاً ، وأوسعهم صدراً ، وأصدقهم لهجة ... صلى الله عليه وسلم ... وعلى آله الأبرار وأصحابه الناصحين له ، في الإعلان والإسرار ، ماتعاقب الزمان يوماً وغداً ، وراح إليه مشتاق الوصول وغدا ». ويلاحظ أن هذه النسخة كملت يوم ١٣ جمادى الثانية ١٢٦٨ هـ .

وبخاصة أريد سوق كلامه عن (الرسالة والوفود) وما أثار انتباهه مما قيل عن الموضوعين في المؤلفات التى سبقته ، وذلك تنويها بالكتاب وإشادة ، وتدليلاً عليه ، تكميلاً للفائدة التي قدمها إلينا ، لحد الآن ، سائر الذين عنوا بابن الأزرق .

رتب الكاتب ابن الأزرق مؤلفه ترتيباً دقيقاً ، وتفصيلاً متقناً ، أمكن معه أن نستخلص للمخطوط فهرساً تقريبياً يستوعب سائر مادته ويعطي فكرة عن محتوياته ، سواء منها رؤوس الأقلام أو ماينذرج أو يتفرع عن تلك الرؤوس.

ولعل من المفيد أن نتحمل استعراض هذا الفهرس أمامنا لنشوق الباحثين لمراجعة المخطوط واستشارته ، وذلك قبل أن نقدّم الفصل الذي وقع عليه اختيارنا . . .

يستهلّ الكتاب بمقدّمتين ، الأولى في تقرير ما يوطن للنظر في الملك عقلاً وفيه عشرون سابقة . . . بينما تعالج المقدّمة الثانية تمهيد أصول من الكلام في الملك شرعاً وفي هذه عشرون فاتحة .

وبعدها يجزىء المخطوط إلى كتبٍ أربعة وخاتمة .

الكتاب الأول : في حقيقة الملك والخلافة وسائر أنواع الرياسات وفيه بابان : الأول في حقيقة ذلك وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في حقيقة الملك وفيه خمس مسائل . . . النظر الثاني في حقيقة الخلافة وفيه خمس مسائل ... النظر الثالث في سائر أنواع الرياسات . . . أما الباب الثاني فهو في سبب وجود الملك وشرطه ، والنظر في طرف سببه ومابه قضى الله ذلك الشرط وهو الحرب والقتال وفيه ثلاثة أطراف : الطرف الأول في سبب وجود الملك ، الثاني في شرط وجود الملك وهو العصبية أو مايقوم مقامها ، الثالث في الحروب التي تفضي إليها العصبية في طلب الملك أو الدفاع عنه أو غير ذلك، وفيه ذكر الأمم في ترتيبها ومايلزم في تدريبها من الأدب والمكائد .

الكتاب الثاني : في أركان الملك وقواعد مبناه ضرورةً وكمالاً وفيه بابان : الأول في الأفعال التي تقام بها صورة الملك ووجوده وهي عشرون ركناً : الركن الأول نصب الوزير وفيه مقدمتان وثلاثة مطالب - الثاني إقامة الشريعة - الثالث إعداد الجند - الرابع حفظ المال - الخامس تكثير العمارة فيه مقدمتان وثلاثة مقاصد - السادس إقامة العدل - السابع تولية الخطط الدينية - الثامن ترتيب المراتب السلطانية - التاسع رعاية السياسة - العاشر مشورة ذوي الرأي وفيه مقدمات ومقامات - الحادي عشر بذل النصيحة - الثاني عشر في أحكام التدبير - الثالث عشر تقويم الولاة والعمال - الرابع عشر كثرة اتخاذ البطانة وأهل البساط - الخامس عشر تنظيم المجلس - السادس عشر تقدير الظهور والاحتجاب - السابع عشر رعاية الخاصة والبطانة - الثامن عشر ظهور العناية لمن له الحق - التاسع عشر مكافأة ذوي السوابق - العشرون تخليد مفاخر الملك ومآثره . أما الباب الثاني ففي الصفات التي تصدر منها تلك الأفعال على أفضل نظام ، والمقرر منها عشرون قاعدة ومقدّمات . القاعدة الأولى العقل وفيها مسائل - الثانية العلم وفيها مسائل - الثالثة الشجاعة وفيها نظران - الرابعة العفة وفيها مسائل - الخامسة السخاء والجود وللنظر فيها منهاجان - السادسة الحلم وفيها مسائل - السابعة كظم الغيظ والغضب ، وفيها طرفان - الثامنة العفو وفيها مسائل - التاسعة الرفق وفيها مسائل - العاشرة اللّين - الحادية عشرة التثبت وفيها مسائل - الثانية عشرة الوفاء بالعهد وبالوعد وفيه طرفان - الثالثة عشرة الصدق والكذب وفيها مسائل - الرابعة عشرة كتم السر وفيها مسائل - الخامسة عشرة الحزم ، وفيها مسائل - السادسة عشرة الدّهاء والتغافل وفيها نظرات - السابعة عشرة التواضع وفيها ثلاثة مطالب - الثامنة عشرة سلامة الصدر من الحقد والحسد وفيه طرفان - التاسعة عشرة الصبر وفيه مسائل - العشرون الشكر وفيه مسائل...

الكتاب الثالث : فيما يطالب به السلطان تشييداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعده وفيه مقدّمة وبابان ـ المقدمة في التحذير من محظورات تخلّ بذلك شرعاً وسياسة . الباب الأول : في جوامع ما به السياسة المطلوبة من السلطان ومن يليه وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول ، في سياسة السلطان ويندرج تحته سياسات ، الأولى سياسة الرعية . الثانية سياسة الأمور العارضة التي هي الجهاد والسفر والشدائد النازلة والرسالة والوفود ـ الفصل الثاني في سياسة الوزير وفيه ثلاث سياسات ... انفصل الثالث في سياسة سائر الخواص والبطانة في صحبة السلطان وخدمته ـ أما الباب الثاني ففي واجبات يلزم السلطان سياسةً القيام بها وفاء بعهدة ماتحمله وطلب منه .

والواجب الأول حفظ الدين ، والواجب الثاني تنفيذ الأحكام بين المستشارين وقطع الخصام بين المتنازعين ، والواجب الثالث إقامة الحدود وفيه مسائل ، والواجب الرابع في عقوبة المستحق وتعزيره ـ الواجب الخامس رعاية أهل الذمّة وفيه مسائل .

الكتاب الرابع : في عوائق الملك وعوارضه وفيه بابان : الأول في عوائق الملك المانعة من دوامه ، وفيه ثلاثة أنظار : النظر الأول في التعريف بالعوائق . العائق الأول حصول الترف والنّعيم للقبيلة ـ الثاني لحاق المذلة للقبيل ـ الثالث استحكام طبيعة الملك ـ الرابع إرهاف الحد ـ الخامس الحجاب الواقع دليلاً على الهرم ـ السادس حجر السلطان والاستبداد عليه ـ السابع استظهار السلطان على قومه ـ الثامن انقسام الدولة الواحدة بدولتين . النظر الثاني في التعريف بكيفية طروء الخلل إلى الدول . النظر الثالث في التعريف بأن مقتضى الإنذار يمنع دوام الملك .

أما الباب الثاني ففي عوارض الملك اللاحقة لطبيعة وجوده ، وفيه أربعةَ فصول :

الفصل الأول في عوارض الملك من حيث هو وفيه مسائل ـ الثاني في اختيار المنازل الحضرية وفيه مسائل ـ الثالث في اكتساب المعاش بالكسب والصنائع وفيه مسائل ـ الرابع في اكتساب العلوم وفيه مسائل . . .

الخاتمة في سياستي المعيشة والناس وفيها مقدمتان وسياستان ، المقدمة الأولى في التقوى ، والثانية في حسن الخلق وفيها مسائل ـ السياسة الأولى : سياسة المعيشة ، وفيها ثلاثة مطالع : المطلع الأول في كليات مما تدبر به المعيشة من جانب الوجود وفيه إنارات . . . المطلع الثاني في أمهات مما تحفظ به من جانب العدم وفيه إضاءات ، المطلع الثالث : في مهمات دينية يعتبر بها حفظ المعاش من جانبي الوجود والعدم وفيه لوامع . . . السياسة الثانية : سياسة الخلق وفيه مقدمات وست مسائل : الأولى في ملك اللسان ـ الثانية ملك الحواس ـ الثالثة في صورة الإنسان ظاهراً وباطناً ـ الرابعة في أحوال الإنسان الخارجة عنه ـ الخامسة في الإخوان والصديق ـ السادسة في المعارف...

وضمن الكتاب الثالث حول ما يطالب به السلطان تشييداً لأركان الملك وتأسيساً لقواعده يوجد الباب الأول في جوامع السياسة المطلوبة من السلطان . . . وهذا الباب يتفرع إلى ثلاثة فصول : الأول في سياسة السلطان وتحت هذا سياسات كما أسلفنا . . . وفي مبحث السياسة الثانية نجد تفصيلاً عن الأمور العارضة كما تقدم . وقد عالج العارض الرابع موضوع الرسالة ، كما عالج العارض الخامس موضوع الوفود ، وكلا العارضين الرابع والخامس نقترح على القراء مطالعتها معنا تأكداً من أسلوب الكتاب وعلو نفس مؤلفه وبعض المصادر التي يعتمدها أو يتأثر بها . . . مؤملين من ذلك مزيد إلفات نظر لهذا المؤلف الجميل :

قال ابن الأزرق تحت عنوان العارض الرابع :

« . . . ولموقعها ـ أي الرسالة ـ من الملوك عند مس الحاجة إليها تخصها رعايات من السياسة سابقة ولاحقة » .

● الرعاية الأولى : تحقق أن موقع الرسول من السلطان موقع الدليل من المدلول ، والبعض من الكل ، ففي سياسة أرسطو[١] : اعلم أن الرسول يدلّ على عقل من أرسله ، إذْ هو عينه فيما لا يرى ، وأذنه فيما لا يسمع ، ولسانه فيما غاب عنه . وقالوا : الرسول قطعة من المرسل . قلت : ومن المشهور قولهم ثلاثة دالّة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهديّة على المهدي ، والكتابة على الكاتب .

● الرعاية الثانية : اختيار من يرضى لها لأجل هذا الموقع ففي بقية كلام أرسطو المتقدم مقرراً لما يترتب عليه : « فيجب أن تختاره أرفع من في حضرتك عقلاً وبصيرة وهيبة وأمانة تجنـّباً لجميع الريب » .

إذا ما كنتَ متخذاً رسولاً فلا ترسل سوى رجل نبيل
فإن النجح في الحاجات يأتي لطالبها على قدر الرسول

● الرعاية الثالثة : تقسيم الأرسال بحسب اتصالهم بمايطلب فيهم إلى ثلاثة كما يظهر من كلام أرسطو : أولهم الكامل الاتصاف بما شرط فيه وهو المفوض إليه بعد المعرفة بغرض مرسله ، ولذلك لايوصّى لاحتمال أن يرى عند المشاهدة أن الصواب في غير ماوصّى به ، قال :

إذا كنت في حاجة مُرسلاً فأرسل حكيماً ولاتوصـــهِ
وإن باب أمرٍ عليك التوى فشاور لبيباً ولا تعصـــه[٢]

---

(١) ألف أرسطاطاليس كتابه السياسة في تدبير الرياسة لتلميذه الملك الاسكندر ابن فيليبس اليوناني ، وفي مكتبة برلين نسختان منه ، وقد نقله إلى العربية يوحنا البطريق.

(٢) البيت لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب . راجع كتاب رسل الملوك تأليف ابن الفراء تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ٨ ، الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٠

الثاني المتوسط الاتصاف اقتصاراً على الثقة والأمانة والتيقظ ، وهو المقصور على ماألقي إليه من غير زيادة ولا نقص ليؤدي الجواب عليه كما سمعه .

الثالث المقتصر على الأمانة فقط ، وهو الموجه بكتاب ليأتي بجوابه. قلت : والعرف الآن أنه لايعد من الأرسال وإنما يُسمى رقاصاً ورتبته مختلفة عنهم بكثير .

● الرعاية الرابعة : اجتناب تخصيص الوزير بها وإن كان المتصف بأكمل الصفات وأجمعها ، ففي سياسة أرسطو : « إياك أن ترسل وزيرك ولا تخرجه من حضرتك ، فإن في ذلك فساد ملكك » قلت : لأن منزلة الوزير من السلطان منزلة السلطان من الرعية فكما لاتستغني الرعية عن السلطان لا يستغني هو عن الوزير . وقد تقدم تقريره . .

● الرعاية الخامسة : اعتماد التلطف في الوصول إلى المقصود بها والتيقظ لوجوه التصدي إليه تحصيلاً واستجلاباً كما حكى ابن رضوان(١) أن الوزير الشهير أبا عبد الله بن الحكيم(٢) لما وفد رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس

---

(١) هو رئيس الكتاب الصدر البليغ أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري من أهل مالقة كان من أعيان كتاب السلطان المستعين بالله سالم المريني. النفح ١٠٧/٦

(٢) أجمعت النسخ المخطوطة التي أشرنا إليها على تسميته هكذا : ابن الحكم والصواب ابن الحكيم . وهو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي الرندي وأصل سلفه من أعيان إشبيلية ثم ثم انتقلوا إلى رندة في دولة بني عباد . ويحيى جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه ، وقد قدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر إثر عودته من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهري فألحقه السلطان بكتابه إلى أن توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولي عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة =

على السلطان أبي يعقوب ملك المغرب قال له : مامطلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وأسعفناه بكذا ، وعدّد ما قدمه إليه من الصنائع الحسنة فقال له : نعم يامولانا رضي الله عنكم ، كل ذلك كان ولم ينكره مولاي ولاجهله لكن لسان حاله ينشد :

أيا ملبسي النعما التي جل قدرها　　　لقد خلقت تلك الثياب فجددا

قال فأكمله مطالبه ، ووفى بحسن تلطفه مآربه .

● الرعاية السادسة : اتقاء التساهل في اختيار الرسول لمايؤدي إليه من عظيم الضرر مع الموالي والمعادي ، فمن بعض الحكماء : « اختر رسولك في الحرب والمسالمة فإن الرسول يلين القلوب ويخشنها ، ويبعد الأمور ويقربها ويصلح الود ويفسده » . وكان أردشير يقول : كم من دم سفكه الرسول بغير حق ، وكم من جيوش قد قتلت ، وعساكر قد انتهكت ، ومال قد نهب ، وعهد قد نقض ، بخيانة الرسول وكذبه (١) .

= ثم لقبه بذي الوزارتين ولكن السياسة لم تشغله عن المطالعة والدرس ... إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً غدوة يوم الفطر شوال سنة ثمان وتسعمائة يوم خلع سلطانه ، ومن شعره :

فقدت حياتي بالفراق ومن غدا　　　بحال نوى عمن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدي عن ديار ألفتها　　　جحيم فؤادي قد تلظى وقد وقد !

وقد ورد ابن الحكيم سفيراً على السلطان أبي يعقوب يوسف عام ٧٠١ صحبة الوزير عبد العزيز الداني لإحكام عقد الموالاة بين الأندلس والمغرب وقد تم اللقاء بضواحي تلمسان ، مما قيل في رثائه :

قتلوك ظلماً واعتدوا　　　في فعلهم حد الوجوبْ
ورموك أشلاء ، وذا　　　أمر قضته لك الغيوب
إن لم يكن لك سيدي　　　قبر فقبرك في القلوب

الإحاطة ٢/١٨٠ ، النفح ٢/٦١٨ ، ٥/٥٩٨ ، الاستقصاء ٣/٨٢

(١) التازي : تاريخ المغرب الدبلوماسي ، طبعة فضالة ، ص ٨ — ٩

● الرعـاية السابعة : امتحان الرسول عند ترشيحه للرسالة ، قال الجاحظ : « من الحق على الملك أن يمتحن رسوله محنة طويلة قبل أن يجعله رسولاً » ثم حكي عن ملوك الأعاجم أنها كانت تمتحن من تختاره للرسالة بجعله رسـولاً إلى بعض خاصته مع جعل عينٍ عليه ، فإذا طابق ماأحصاه العين عليه وعلم صدق لهجته جعله رسولاً إلى عدوٍّ له مع بعث العين عليه ، فإن اتفقا فيما رجعا به وعلم أن قد صدقه صيّره رسولاً إلى ملوك الأمم ووثق به وأقام بعد ذلك خبره مقام الحجة . انتهى ملخصاً .

● الرعاية الثامنة : إرداف الرسول بثان أوثالث أو رابع ، وإن كانا اثنين فذلك مما أخذ به بعض حكماء الملوك مبالغة في التحفظ من خيانة الرسول أوتقصيره . فعن أردشير أنه كان يقول : « يجب على الملك إذا وجّه رسولاً إلى ملك آخر أن يردفه بآخر . وإن وجه رسولين أن يتبعهما باثنين فإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقاة ولا يترافقا فيتوافقا فتعمَل »(١). قلت : وهذه مبالغة يعسر العمل بها والميسور منها لايترك .

● الرعاية التاسعة : تربّص العمل بمقتضى ما ورد بـه الرسول حتى يوقف على حقيقته من جهة أخرى ، ذكر الجاحظ قائلاً (٢) : على السلطان إذا عاد إليه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك ، في خير أو شر ، أن أن لا يحدث في ذلك أمراً حتى يكتب إليه مع رسول آخر بحكاية كتابه الأول حرفاً ، فإن الرسول ربما أحرم بعض ما أمّل فافتعل الكتاب وحرّض المرسل على المرسل إليه وأغرى به كذبا عليه . ثم حكى ما اتفق لرسول عن الإسكندر لما أمر بخلع لسانه من قفاه حين وقف على زيادة منه تعرفها بإعادة الرسول إلى من كذب عليه ذلك الرسول . قلت : « الوقوع في

---

(١) رسل الملوك ص ٢٥ (٢) التاج في أخلاق الملوك .

ذلك نادر ، والتحفظ منه بهذه المبالغة ربما يتعذر فلا توقف لما ذكر ، والصواب ما يقتضيه الحال والله تعالى المرشد إليه ، والمعين لمن شاء عليه » .

● الرعاية العاشرة : تعلم الرسول ما يجب عليه شرعا وسياسة ، فقد قال النَّووي في فضل معرفة ما يحتاج إليه المسافر حسبما تقدم عنه : « إن كان رسولا عن سلطان أو نحوه اهتم بتعلم ما يحتاج إليه من آداب المخاطبات وأجوبة المحاورات ، وما يحلّ من الضيافات والهدايا ، وما يجب عليه من رعاية النصيحة وتوقي الغش والخداع والنفاق والحذر ، ومن التسبب في مقدمات العذر ، إلى غير ذلك مما يتعين عليه » انتهى . من مستحسن ما وفت به الأرسال من حقوق مرسلها في الثناء عليه بحسن السيرة على أبلغ بيان ما حدث به الجاحظ عن الفضل بن سهل قال : كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا للمأمون يجعل اختلافهم إليّ ، فكنت أسأل رجلاً منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظمائهم ، فسألت رسول ملك الرّوم عن سيرة ملكهم فقال : بذل عرفه ، وجرَّد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، لا يبطر جنده ، ولا يحوج رعيته ، سهل النوال ، حزْن النكال ، الرجاء والخوف معقودان في يده ، فقلت : وكيف حكمه ؟ قال : يردّ الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه ، فالرعية اثنان : راض ومغتبط ، قلت : وكيف هيبتهم له ؟ قال : يُتصوَّر في القلوب فتغضي له العيون . قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائي له وإقبالي عليه ، فسأل ترجمانه : ما الذي يقول الرومي ؟ قال له : يذكر ملكهم ويصف سيرته . فتكلم مع الترجمان بشيء فقال لي الترجمان : إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، وقد كسا رعيته جميل نعمته ، وخوّفهم عنيف عقوبته ، فهم يتراءَوْنه ترائي الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسعهم عدله

وردعتهم سطوته ، فلا تمتهنه مزحة ولا توهنه غفلة ، إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ، فالناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجي خائف الأمل ، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : لا ترفع العيون إليه أجفانها ، ولا تتبعه الأبصار إنسانها ، كأن رعيته قطا رفرفت عليهم صقور صوائد(١) . فحدث المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتها عندك ؟ قلت : ألفا درهم . قال : يافضل إن قيمتها عندي أكثر من الخلافة ، أما علمت قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قيمة كل امرىء ما يحسن فتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة ، فقد أمرت لهما بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينها في الجائزة ، فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما ما في بيت مال العامة والخاصة دون ما يستحقانه .

وبعد هذا مباشرة ينتقل ابن الأزرق للفصل التالي تحت عنوان (العارض الخامس الوفود) . وللسياسة الفاضلة بهم عنايات :

● العناية الأولى : احتفال السلطان للقائهم بإظهار زينة الملك وجماله ، فقد كان للنبي ﷺ حلة يتجمل بها للوفود والعظماء ، قال القرافي : وذلك أهيب وأوقع في النفوس وأجدر لحصول التعظيم في الصدر ، قال ابن رضوان : فهو أمر عادي شرعي .

● العناية الثانية : إكرام من يرد منهم من ذوي النباهات في قومه ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لمّا وفد عليه زيد الخيل بسط له رداءه وأجلسه عليه وقال : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

● العناية الثالثة : حسن الإقبال عليهم بالتلطف لهم في الخطاب

---

(١) رسل الملوك ص ٣١

تأنيساً لهم وإدلالاً ، ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان رفيقاً بالوفود ، قلت : كقوله ﷺ لوفد عبد القيس : مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى .

● العناية الرابعة : الإذن في الكلام لمن هو أهل في المقام السلطاني لئلا يتجاسر عليه من لا يستحقه ، ففي وفادة قريش على سيف بن ذي يزن قوله لعبد المطلب جدّ النبي ﷺ إذ كان لا يعرفه وأراد أن يتكلم : « إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك » ، وفي وفادة الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوله للغلام الذي تصدر للكلام : (ليتكلم من هو أسنّ منك) .

● العناية الخامسة : إفاضة الإحسان على وفد التهنئة مبالغة في البرّ بهم وإدخال السرور عليهم ، قال ابن رضوان : وهي من سنن الملوك الحسنة وكأنها في معرض شكر الله تعالى بإدخال المسرة على خلقه على النعمة المهنأ بها .. انتهى .

شرح إشارة تقدمت بحكايتين فيها جمل من آداب هذا المقام .

الحكاية الأولى : قضية وفادة قريش على سيف بن ذي يزن : يروى عن ابن عباس رضى الله عنه أتاه وفد العرب وأشرافهم وشعراؤهم لتهنئه وتمدحه ، وأتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وخويلد بن أسد ، في عدّة من وجوه قريش ، وأهل مكة ، وأتوه بصنعاء وهو في قصره الذي يقال له غمدان ، فاستأذنوا عليه وهو متضمخ بالعنبر يبضّ المسك من مفارقه ، وعن يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك ، فاستأذن عبد المطلب في الكلام وكان أجل القوم قدراً ، وأعظمهم فخراً ، وأعلاهم نسباً ، وأكرمهم حسباً . ولم يكن سيف يعرفه فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب : أيها الملك إن الله عز وجل قد أحلّك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنبتك

نباتاً طابت أرومته ، وأعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن . وأنت رأس العرب وربيعها الذي به تخصب ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت فيهم خير خلف ، ولن يخمل ذكر من أنت خلفه . أيها الملك نحن أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا بك ، فنحن وفد التهنئة لا وفد التعزية . قال : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال : ابن أختنا؟ قال : نعم ، قال : أدن . فأدناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلاً ، وأمناً ومناخاً سهلاً ، وملكاً فحلاً ، يعطي عطاء جزلاً ، قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، لكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم ، فأخبره ببعثة النبي ﷺ من قومه ، وأمر لكل واحد منهم بمائة من الإبل ، وعشرة أعبد وعشر إماء ، وعشرة أرطال ذهباً ، وعشرة أرطال فضة ، وكرش عنبر .. وأمر لعبد المطلب بعشرة أمثال ما أمر لهم .

الحكاية الثانية : خبر وفد الحجازيين على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : يُروى أنه لما ولي الخلافة وفد عليه الوفد من كل بلد ، فوفد عليه الحجازيون فتقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر : ليتكلم من هو أسن منك ، فقال له : أصلح الله أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه من الأنام . ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسِّن لكان في مجلسك هذا من الأمة من هو أحق منك . فقال : نعم صدقت ، قل ما بدا لك ، فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد تعزية ، وقد أتيناك لحق الله الذي منَّ علينا بك ، لم يقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتتنا منك ، وأما الرهبة فقد أمنّا جورك بعدلك ، فقال له عمر : عظني

ياغلام فقال : أصلح الله أمير المؤمنين إن ناساً من الناس غرّهم حلم الله تعالى وطول آمالهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت أقدامهم فهوَوا في النار ، فلا يغرنك حلم الله تعالى ، وطول أملك ، وكثرة ثناء الناس عليك ، فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم ، فلا جعلك الله منهم ، وألحقك بصالح هذه الأمة ، ثم سكت . فسأل عمر عن سنّ الغلام فإذا هو من ثماني عشرة سنةً ثم سأله عن نسبه فإذا هو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتمثل بقوله .

تعلّم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهلُ
فإن كبير القوم ، لا علم عنده ، صغيرٌ إذا التفت عليه المحافل
وإن صغير القوم ـ والعلم عنده ـ كثيرٌ إذا ردت إليه المسائل

لعلّ جولة القارىء في كل تلك الرعايات والعنايات والسياسات تعطيه نظرة عن مخطوطة ابن الأزرق التي كانت محلّ اهتمام وتتبع من سائر الملوك والقادة الذين وجدوا فيها سلوى لهم عند الأذكار ، ومرشداً لهم وقت الاختيار ، وإذا كانت الاستطرادات في بعض الأحيان مما لا يستسيغه التسلسل ، فإنّ استطرادات ابن الأزرق على العكس من ذلك ، تشعرك وأنت تتنقل في ثناياها وبين رحابها بأنك فعلاً في بستان مبهج بزهوره المتنوعة ، وثماره اللذة ومناخه المنعش ، وإنّ الذي زاد في قيمة الكتاب ووزنه أن مؤلفه معدود من الخبراء بالسياسة ، العارفين بأحوالها ، عرف الوزارة والسفارة ، كما زاول مهنة الخطباء والقضاء ، فهو لذلك خير من يقدم لنا مثل هذا العطاء ، وأصدق من يحدثنا عن السياسة والرياسة .

الرباط

عبد الهادي التازي
مدير مركز البحث العلمي

التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية

الدكتور رمضان عبد التواب

أصبح من المسلم به عند العلماء ، أن اللغـة ليست من صنع فرد أو أفراد ، وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع ، يجد أفراده أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة ، للتفاهم والتعبير عما يجول بالنفس ، وتبادل الأفكار . تلك الوسيلة هي اللغة .

ومن المسلم به كذلك عنـدهم أن هذه الوسيلة عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وصيغها ودلالاتها ونظام جملها ، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى .

ويهمنا في هذه المقالة تلك التغييرات التي تعتور أصوات اللغـــة . وتنقسم هذه التغييرات عموماً إلى قسمين كبيرين ، أولهما : التغييرات التاريخية ، والثاني : التغييرات التركيبية . ونعني بالتغييرات التاريخية تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة ، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته ، صوتاً آخر . أما التغييرات التركيبية فهي التي تصيب الأصوات ، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة .

● ومن أمثلة التغييرات التاريخية في الأصوات : تطور البـاء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم إلى « فاء » في اللغات السامية الجنوبية ، وهي العربية والحبشية ، وقد بقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشمالية ، وهي العبرية والآرامية والأكادية ؛ مثال ذلك كلمة : pōl (פּוֹל)

في العبرية (١) ، التي صارت في العربية : « فول » ، وفي الحبشية : Fāl (ፋል) .

ومثال ذلك أيضاً : pē (פֶּה) في العبرية = pūmā (ܦܘܡܐ) في الآرامية = pū في الأكادية = « فو » في العربية [إلى جوار : فَمْ ، بالتميم الذي نُسي أصله ، فعدّ أصلاً من أصول الكلمة ، وأضيف إليها التنوين الذي يقابل التميم ، وفتحت الفاء قياساً على بعض أسماء الأعضاء في الجسم ؛ مثل : يد ، عين ، رأس .. الخ] = af (አፍ) في الحبشية .

ومثال ذلك أيضاً : pālag (פָּלַג) في العبرية = plag (ܦܠܓ) في الآرامية بمعنى : « شق » فيها = palgu في الأكادية بمعنى : « قناة » = Falag (ፈለግ) في الحبشية بمعنى : « جدول » = « فَلْجٌ » و « فَلَجَ » في العربية بمعنى : « شَقّ » .

وتطور هذه الباء (p) المهموسة في العبرية والآرامية إلى « فاء » مسألة خاصة بالسياق الصوتي فيها ؛ فإن هذا الصوت مع خمسة أخرى ، يطلق عليها أصوات : (بجد كبت) ، الأصل فيها أن تكون انفجارية ، إلا إذا جاءت بعد حركة ، فإنها في هذه الحالة تتحول إلى أصوات احتكاكية دون أن يتأثر المعنى بذلك ؛ فمثلاً : كلمة « فتح » في العربية ، تقابل في العبرية : pāṯaḥ (פָּתַח) كما تقابل في

(١) انظر : سفر صموئيل الثاني ٢٨/١٧ وسفر عزرا ٩/٤

الآراميـة : ptah (ܦܬܚ) ، غير أن المضارع من هذا الفعل في العبرية هو : yiftah (יִפְתַּח) وفي الآرامية : neftah (ܢܦܬܚ) ، فلم تنطق « البـاء » فيها : « فـاء » إلا لوقوعها هنا بعد حركة .

● ويعد صوت الجيم في العربية مثالاً طيباً للتغييرات التاريخية في الأصوات ؛ فإن مقارنة اللغات السامية كلها ، تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت ، كان بغير تعطيش ، كالجـيم القاهرية تماماً ؛ فكلمة : « جمل » مثلاً ، هي في العبرية : gāmál (גָּמָל) وفي الآرامية : gamlā (ܓܡܠܐ) وفي الحبشية : Gamal (ገመል) . أمـا العربيـة الفصحى فقد تحوّل فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار ، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج ، يبدأ بدال من الغار ، ثم ينتهي بشين مجهورة .

ومن التغييرات التاريخية لهذا الصوت انحلاله إلى أحـد عنصريه المكوّنين له ، في اللهجات العربية الحديثة ؛ إذ ينطق كالدال في صعيد مصر ، فترى أهالي مدينة « جرجا » مثلاً ، يسمون مدينتهم : « دِردا » ، كما يقولون : « دَمَل » و « داموسة » في : « جمل » و « جاموسة » وغير ذلك . والمكوّن الثاني للجيم ، وهو الشين المجهورة ، نسمعها جيداً في نطق الشاميين لهذا الصوت ، وهو ما نسميه : « بالجيم الشامية » .

ويبـدو أن انحلال الجيم العربية الفصيحـة إلى العنصر الأول من عنصريها ، قد حدث منذ وقت مبكر في اللهجات العربية ؛ فقد ذكر

ابن مكي الصقلي (المتوفّى سنة ٥٠١ ﻫ) في كتابه : « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » أن الناس في عصره كانوا يقولون : « دشيش » في : « جشيش »[١] ، ومثل ذلك رواه أبو بكر الزبيدي (المتوفّى سنة ٣٧٩ ﻫ) عن عوام الأندلس في كتابه : « لحن العوام »[٢] ، كما ذكر ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ ﻫ) إلى جانب هذه الكلمة كذلك : « تدشّيت » في : « تجشّأت »[٣] .

وأقدم من هذا انحلالها إلى العنصر الثاني وهو الشين المجهورة ، وقد ضاع منها الجهر ، فصارت شيناً مهموسة ، كالشين الأصلية في العربية ؛ فقد روي عن قبيلة تميم أنهم كانوا يقولون في المثل : « شرٌّ ما أشاءك إلى مُخّة عرقوب » بدلاً من : « أجاءك » أي : « ألجأك »[٤] .

وقال زهير بن ذؤيب العدوي[٥] :

فيا لَ تميم صابروا قد أشئتمُ إليه وكونوا كالمحرّبة البُسلِ

كما قال الراجز[٦] :

إذ ذاك إذ حبل الوصال مُدْمَشُ

أي : « قد أجئتم » بمعنى : « ألجئتم » و « مدمج » .

ويروي لنا أصحاب كتب لحن العامة بعض أمثلة هذه الظاهرة عبر

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦

(٢) لحن العوام للزبيدي ٢٠

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٤١

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/١٦٤ ، والصحاح (شيأ) ١/٥٩

(٥) الصحاح للجوهري (شيأ) ١/٥٩

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٢١٥ وألف باء للبلوي ٢/٤٣٢

عصور العربية ، وفي أصقاعها المختلفة ؛ فقد رووا لنا مثلاً : « اشترّت الدابة » في : « اجترّت » و « فلان مشتهد » في : « مجتهد » و « اشترأ على فلان » في : « اجترأ عليه » و « شخّ الصبي » في : « جخّ » و « فَشَـر » في : « فَجَـر » و « وِشّ »[1] في : « وجه » ، وغير ذلك .

وهناك تغيير تاريخي ثالث للجيم في اللهجات العربية ، وهو تحولها إلى « ياء » . وقد حدث في لهجة تميم كذلك ؛ فقد روي أن بني تميم يقولون في : « الصهريج » ، وفي جمعه : « الصهاريج » وهو الذي يجتمع فيه الماء : « الصهريّ والصهاريّ » ، كما روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال : « شيرة » للشجرة . وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكنّ ظل ولاجنى ... فأبعدكنّ الله من شيرات

تريد : « شجرات » .

وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر ، في بعض قرى جنوبي العراق ، وبعض بلدان الخليج العربي ؛ إذ يقولون في « مسجد » مثلاً : « مسيد » ، وفي « دجاج » : « دياي » وغير ذلك[2] .

● وصوت القاف كذلك من الأصوات التي عانت كثيراً من التغييرات التاريخية في العربية ؛ فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان والتصاقها باللهاة ، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول هذا السد فجأة ، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ؛ ففي العبرية مثلاً :

Kōl (קוֹל) بمعنى: «صوت» وفي الآرامية: Kḏām (ܩܕܡ)

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٣١٥ ، ٣٣٥

(٢) انظر في كل ذلك : فصول في فقه العربية ١١٣

بمعنى : « قدّام » ، وفي الحبشية : (ቆመ) *Kōma* بمعنى : « قام » ، وفي الأكادية : *pakad* بمعنى : « بحث » . وهذا النطق المهموس هو الذي نسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية في مصر .

وقد عدّ قدماء اللغويين العرب « القاف » من الأصوات المجهورة ، فإن صدق وصفهم هذا ، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة ، وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر .

غير أن هناك تغييرات تاريخية أخرى كثيرة ، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية ، فهو في كلام كثير من أهل مصر والشام : « همزة » ، وقد روي لنا في القديم مثل هذا النطق في كلمة : « القفز » و « الأفز » (١) ، كما ينطق في السودان وجنوبي العراق « غيناً » ، فنسمعهم يتحدثون عن « الاستغلال » وهم يقصدون بذلك : « الاستقلال » . وفي لهجة مصر كلمتان من هذه الظاهرة ، هما : « يغدر » ومشتقاتها بدلاً من : « يقدر » ، وكلمة : « زغزغ » بمعنى حرك يده في خاصرة الصبي ليضحكه ، ولها صلة « بالزقزقة » المروية لنا عن العرب ، بمعنى ترقيص الطفل (٢) . كما ينطق صوت القاف صوتاً مزدوجاً ، كالجيم الفصيحة ، في بعض بلدان الخليج كالبحرين ؛ إذ يقولون مثلاً : « الجِبْلة » ، بدلاً من : « القبلة » . كما نسمعها في مدينة « الرياض » وما حولها بالسعودية ، صوتاً مزدوجاً كذلك ، غير أنه مكوّن من دال وزاي

(١) انظر الإبدال لأبي الطيب ٢/٥٦٢

(٢) انظر اللهجة العامية المصرية في القرن الحادي عشر ١١٥

(dz) في مثل : « زبلة » في : « قبلة » ، و « المزيبرة » في : « المقيبرة » وغير ذلك . وهناك أخيراً تطور للقاف لدى كثير من الفلسطينيين ، بنطقها كالكاف ، فهم يقولون مثلاً : « كال » في : « قال » و « كتله » في : « قتله » ، وغير ذلك .

* * *

هذه هي بعض أمثلة التغييرات التاريخية للأصوات في اللغات السامية ، والعربية ولهجاتها . أما التغييرات التركيبية فهي مشروطة بتجمع صوتي معين ، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللفظية .

وأهم قوانين التغييرات التركيبية للأصوات قانونان هما : قانون المماثلة Assimilation وقانون المخالفة Dissimilation . أما الأول فيدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب ، في حين يدعو الثاني صوتين متماثلين إلى التخالف والتباعد . ونفصل فيما يلي القول في هذين القانونين :

١ — قانون المماثلة :

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل ، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة ، مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام ، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ؛ ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها — كما نعرف — في المخارج ، والشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق ، وما إلى ذلك ، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً ، حدث بينهما شدٌّ

وجذب ، كل واحد منها يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها .

وهذا التوافق كما يحدث بين الأصوات الصامتة يحدث كذلك بين الحركات ، كما يحدث أيضاً بين الأصوات الصامتة والحركات .

وهناك اصطلاحات لعلماء الأصوات ، في أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة ، فإن أثّر الصوت الأول في الثاني فالتأثر (مقبل) ، وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر) ، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر (كلي) ، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر (جزئي) . وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع ، قد يكون الصوتان متصلين تماماً ، بحيث لايفصل بينهما فاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات ، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض ، بفاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات .

ويمكن تلخيص بيان أشكال التأثر الصوتي ، على النحو المبين في الصفحة المقابلة .

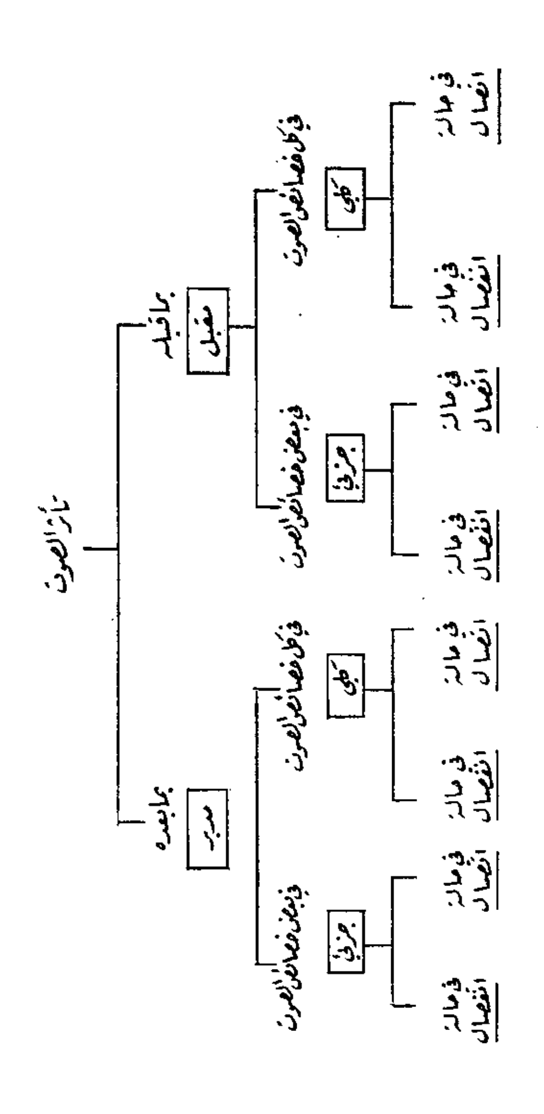
وقبل أن نضرب الأمثلة المختلفة على ذلك ، نحب أن نشير هنا إلى أن الصوت لايمكن أن ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جداً ، فلاينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلاً ، إلى صوت آخر من أصوات الحلق ، وكذلك العكس .

وقد فطن إلى هذه الحقيقة العلامة ابن جني فقال (١) : « فأما قول من قال في قول تأبط شراً :

كأنما حثحثوا حُصّاً قوادمُه   أوأمّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاق

إنه أراد : حثّثوا ، فأبدل من الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا

(١) سر صناعة الإعراب ١/١٩٧


تأثر الصوت
بما قبله
مقبل
في كل خصائص الصوت
كلي
في حالة اتصال
في حالة انفصال
في بعض خصائص الصوت
جزئي
في حالة اتصال
في حالة انفصال
بما بعده
مدبر
في كل خصائص الصوت
كلي
في حالة اتصال
في حالة انفصال
في بعض خصائص الصوت
جزئي
في حالة اتصال
في حالة انفصال

وإنما ذهب إليه البغداديون وأبو بكر [بن السراج] معهم ، وسألت أبا علي عن فساده ، فقال : العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف ، إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء فبعيدة عن الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها . قال : وإنما (حثحث) أصل رباعي ، و (حثّث) أصل ثلاثي وليس واحد منهما من لفظ صاحبه ، إلا أن (حثحث) من مضاعف الأربعة ، و (حثّث) من مضاعف الثلاثة » .

كما يقول ابن سيدة : « ما لم يتقارب مخرجاه ألبتة ، فقيل على حرفين غير متقاربين ، فلا يسمى بدلاً ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق[1] » .

وفيما يلي نضرب الأمثلة لكل نوع من أنواع التأثير السابقة :

(١) التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال : من أمثلته ما يلي :

ا ــ تتأثر تاء الافتعال دائماً بالدال أو بالطاء قبلها ، فتقلب دالاً أو طاء ؛ وذلك مثل :

ادترك 〉 ادّرك؛ ادتهن 〉 ادّهن ؛ اطتلب 〉 اطّلب ؛ اطتلع 〉 اطّلع ؛ اطترد 〉 اطّرد .

ب ــ تتأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها ، فتقلب ذالاً أو صاداً أو ضاداً ؛ مثل : اذتكر 〉 اذّكر ؛ اضتجع 〉 اضّجع ؛ اصتبر 〉 اصّبر .

جـ ــ تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل ، إذا كانت طاء ، فتقلب طاء في بعض

---

(١) المخصص ١٣/٢٧٤

اللهجات القديمة . وعلى هذه اللغة أنشد قول علقمة بن عبدة التميمي :

وفي كل حيٍّ قد خبطتَ بنعمة فحُقَّ لشأس من نداك ذَنُوب

ويقول سيبويه : « وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء ؛ لأن هذه التاء علامة الإضمار ، وإنما تجيء لمعنى ، وليست تلزم هذه التاء الفعل ، ألا ترى أنك إذا أضمرت غائباً قلت : (فَعَلَ) فلم تكن فيه تاء » (١) .

(٢) التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال : من أمثلته ما يلي :

ا – تتأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (ـهُ) والجمع المذكر (ـهُم) والجمع المؤنث (ـهُنّ) والمثنى (ـهُما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة ، أو ياء ، فتقلب الضمة كسرة ؛ مثل : برجلهُ > برجلهِ ؛ فيهُ > فيهِ ؛ عليهُ > عليهِ ؛ ضربتهُ > ضربتهِ ؛ بصاحبيهُم > بصاحبيهِم ؛ قاضيهُم > قاضيهِم ؛ بهُنّ > بهِنّ ؛ بهُمَا > بهِمَا ، وغير ذلك . وأصل حركة هذا الضمير موجود في القراءة القرآنية المروية عن حفص في قوله تعالى : « وما أنسانيهُ إلا الشيطان أن أذكره » وقوله تعالى : « ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله (٢) » ، وهذا الأصل هو لغة أهل الحجاز ، وقد روي عنهم أنهم كانوا يقرأون : « فخسفنا بهو وبدارهو الأرض » (٣) .

ب – روى أبو بكر الزبيدي أن عامة الأندلس في القرن الرابع الهجري كانت تقول : خَيْزَران وسَيْكَران ، وهو نبت تدوم خضرته في القيظ (٤) ، بدلاً من خَيْزُران وسَيْكُران .

(١) كتاب سيبويه ٢/٤٢٣

(٢) التيسير للداني ١٤٤

(٣) المقتضب للمبرد ١/٣٧

(٤) لحن العوام للزبيدي ٥٤ ، ١٢٤

(٣) التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال : من أمثلته مايلي :

ا ـ تتأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها ، فتقلب طاء في الحالتين الأوليين ، ودالاً في الحالة الثالثة ؛ مثل : اصتبغ 〉 اصطبغ ؛ اضتجع 〉 اضطجع ؛ ازتجر 〉 ازدجر .

ب ـ تتأثر تاء الافتعال بالجيم إذا كانت فاء للفعل ، فتقلب دالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : اجتمع 〉 اجدمع ؛ اجتزّ 〉 اجدزّ .

ويقول ابن جني [١] : « وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات ؛ قالوا : اجدمعوا في اجتمعوا ، واجدزّ في اجتزّ ، وأنشدوا :

فقلت لصاحبَيّ لا تحبساني ... بنزع أصوله واجدزّ شيحا

ولايقاس ذلك إلا أن يسمع ، لاتقول في اجترأ : اجدرأ ، ولا في اجترح : اجدرح » !

جـ ـ تتأثر الثاء بالأصوات المجهورة قبلها ، فتقلب ذالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : يجثو 〉 يجذو ؛ تلعثم 〉 تلعذم .

وإن كان ابن جني ينكر أن يكون ذلك قلباً ويدعي أنها لغتان ؛ فيقول [٢] : « وأما قولهم : جذوت وجثوت ، إذا قمت على أطراف أصابعك . وقرأت على أبي علي :

إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصنّاجة تجذو على كل ِمنسَم ِ

فليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه ، بل هما لغتان ، وكذلك قولهم أيضاً : قرأ فما تلعثم ، وما تلعذم » .

(١-٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠١

د — تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل إذا كانت صوتاً مفخماً ، فتقلب التاء طاء في بعض اللهجات القديمة ، وهي تلك التي يقول أصحابها : فَحَصْطُ برجلي ، بدلاً من : فحصت [1] .

هـ — روى أبو الطيب اللغوي [2] أنه يقال في « نَشْز » : « نَشْس » ، كما يقال في « رجل جِبْس » للرجل الدنيء : « رجل جِبْز » ؛ ففي المثال الأول تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها ، فقلبت إلى نظيرها المهموس وهو السين ، وفي المثال الثاني تأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي .

(٤) **التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال** : من أمثلته مايلي :

أ — تتأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي في كلمة : مِهْراس ، التي صارت : مِهْراز في لهجة الأندلس العربية في القرن السادس الهجري ، كما روى لنا ذلك ابن هشام اللخمي [3] .

ب — تتأثر الذال بالقاف قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم وهو الظاء ، في بعض اللهجات القديمة ؛ يقال للشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت : وقيذ ووقيظ . ويقول ابن جني [4] : « يقال : تركته وقيذاً ووقيظاً . والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال ؛ لقوله عز اسمه : (والموقوذة) بالذال ، ولقولهم : وقذه يقذه ، ولم أسمع : وقظه ، ولا موقوظة ؛ فالذال أعم تصرفاً ، فلذلك قضينا بأنها الأصل » .

---

(١) انظر كتاب سيبويه ٢/٤٢٣ ، وسر صناعة الإعراب ٢/٢٢٥

(٢) الإبدال لأبي الطيب ٢/١١٨ (٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٤

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٢٣٣

جـ — تتأثر الدال بالراء قبلها في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم ، وهو الضـاد ؛ لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية ؛ مثل : معربد 〉 معربض[١] .

(٥) **التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال** ؛ من أمثلته ما يلي :

ا — في مضارع صيغتي : تفعّل وتفاعل ، تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفـاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان ، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي ؛ مثل :

يَتَذَكَّر 〉 يَتْذَكَّر 〉 يَذّكّر ← اذّكّر (في الماضي)

يَتَطَهَّر 〉 يَتْطَهّر 〉 يَطّهّر ← اطّهَّر (في الماضي)

يَتَدارأ 〉 يَتْدارأ 〉 يَدّارأ ← ادّارأ (في الماضي)

يَتَثَاقل 〉 يَتْثَاقل 〉 يَثّاقل ← اثّاقل (في الماضي)

وقد حدث ذلك في اللغة العربية القديمة ، وجاء ذلك في القرآن الكريم ، جنباً إلى جنب مع الصيغة الأخرى ، التي لم يحدث فيها تطور ؛ كقوله تعالى : « اثـاقلتم إلى الأرض » (التوبة ٣٨/٩) « وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها » (البقرة ٧٢/٢) « بل ادّارك علمهم في الآخرة » (النمل ٦٦/٢٧) « وما يذكَّر إلا أولو الألباب » (البقرة ٢٦٩/٢) « وما يدريك لعله يزّكّى أو يذّكَّر فتنفعه الذكرى » (عبس ٣/٨٠-٤) « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيَّنَتْ » (يونس ٢٤/١٠) .

ولعل هذه الظاهرة كانت في سبيل التطور في العربية الفصحى ، عندما جاء الإسلام ؛ ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم — كما قلنا — جنباً إلى جنب مع الصيغ القديمة ، التي لم يحدث فيها تغير للأصوات ،

(١) لحن العوام للزبيدي ٢٩٦

كقوله تعالى : « لولا أن تداركه نعمة من ربك » (القلم ٦٨/٤٩) « وما يتذكر إلا من ينيب » (غافر ٤٠/١٣) « قالوا إنا تطيرنا بكم » (يس ٣٦/١٨) ، وهو يقول في آية أخرى : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك » (النمل ٢٧/٤٧) . بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين معاً ، كقوله تعالى : « ليدّبروا آياته وليتذكّر أولو الألباب » (ص ٣٨/٢٩) .

وقد ظل هذا التطور سائراً في طريقه في لهجات الخطاب ، حتى ساد وحده ، وقضى على الظاهرة القديمة ؛ ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلاً : فلان اصّدعت دماغه ، واسّرّع في كلامه ، واشّهّى الأكل ، واصّوّر ، واطّوّع في الجيش . ولا أثر للصيغة القديمة في لهجات الخطاب ؛ إذ لا يقال فيها مثلاً : فلان تصدّعت دماغه ، وتسرّع في كلامه ، وتشهى الأكل ، وتصوّر ، وتطوّع في الجيش .

وكذلك الحال في صيغة (تفاعل) ؛ إذ ماتت هي الأخرى ، وحلت محلها صيغة : (اتفاعل) التي شاهدنا مولدها في عصر نزول القرآن الكريم ؛ إذ نقول الآن في لهجات الخطاب : فلان اطّاول على فلان ، واشّاتم هو وهو ، واسّاهل معاه ، واصّالحوا سوا ؛ بدلاً من : تطاول عليه ، وتشاتم ، وتساهل ، وتصالح .

بل لقد سادت صيغتا (انفعّل واتفاعل) في اللهجة العامية المصرية ، حتى ولو لم يكن في الأصل صوت من أصوات الصفير أو الأصوات الأسنانية ، كقولنا مثلاً « انفرّج » و « اتهدِل » و « اترازِل عليه » ، وغير ذلك .

ب ــ تتأثر النون في : إنْ وأنْ ومِنْ وعَنْ ، بالميم واللام التي تليها ،

فتقلب ميماً أو لاماً ؛ مثل : إمّا وأمّا وإلا وألا وممّا وعمّا ، وما إلى ذلك .

جـ — في العربية القديمة ، تتأثر لام التعريف بما بعدها ، من أصـــوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة (الراء واللام والنون) ، وهي ماتسمى عند اللغويين العرب بالحروف الشمسية ، فتدغم فيها . وقد جمعها بعض الشعراء في أوائل كلمات البيت التالي :

طب ثم صل رحماً تفز ضف ذا نعم دع سوء ظن زر شريفاً للكرم

د — روى لنا اللغويون في « وَتِد » : « وَدّ » ، وقالوا : « الأصل : وَتِد ، وهي اللغة الحجازية الجيدة ، ولكنّ بني تميم يسكنون التاء ويدغمونها في الدال »[١] .

هـ — تتأثر اللام في كلمة : (بل) بالراء في أول الكلمة التي تأتي بعدها ؛ فتقلب راء ؛ كقول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينـــا

فإنها تنطق : « بردّيه » . وكان ذلك هو السبب الذي أوقع قطرباً النحوي المشهور في الخطأ ، حين زعم أن « برْد » من كلمات الأضداد ، تأتي بمعنى : برْد وسخّن ، اعتماداً على هذا البيت ، ولم يدر أن الراء منقلبة عن اللام في « بل » . وقد عابه بذلك أبو الطيب اللغوي ، في كتابه الأضداد (١/٨٦) . ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم » (المطفّفين ٨٣/ ١٤) . وهذا هو السر في أن بعض القراء يسكت بعد اللام سكتة لطيفة ، حتى يوجد فاصلاً بين اللام والراء بعدها ، فلا تتأثر بها .

(١) الجمل للزجاجي ٢٨٠

و – تتأثر الراء في بعض قراءات القرآن باللام بعدها ، في مثل قوله تعالى : « يغفر لكم » فتقلب لاماً ، وإن كان ابن جني ينكر ذلك ويقول : « واعلم أن الراء لما فيها من التكرير ، لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف ؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير . فأما قراءة أبي عمرو : « يغفر لكم » ، بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا ، وغير معروف عند أصحابنا ، إنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس »[١] .

ز – أورد سيبويه شواهد على تأثر لام (بل) بالشين والثاء والتاء بعدها ؛ مثل قول طريف العنبري :

تقول إذا استهلكتُ مالاً بلذّة فكيهةُ هَشَّيءٌ بكفَّيْكَ لائقُ

يريد : هل شيء ... وقرأ أبو عمرو : هَثُّوِّب الكفارُ ، يريد : « هل ثُوِّب الكفار ... » وقد قرىء : بتُّؤثرون الحياة الدنيا ، يريد : « بل تؤثرون » . وقال مزاحم العقيلي :

فدع ذا ولكن هتَّعينُ متيّماً على ضوء برق آخر الليل ناصبُ

يريد : هل تعين »[٢] .

(٦) **التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ من أمثلته ما يلي :**

ا – كلمة : *ʾemza* (እምዘ) في الحبشية تقابل كلمة : « مُنْذُ » العربية ، وهي في الحبشية مركبة من : *ʾem* (እም) بمعنى « مِنْ » و (H)za بمعنى اسم الموصول (ذو) الطائية . وهذا كله يدل على أن أصل (مُنْذُ) العربية : (مِنْ + ذو) ،

(١) سر صناعة الإعراب ١/٢٠٦

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٢/٤١٧

فقلبت كسرة الميم ضمة تأثراً بضمة الذال بعدها . وقد بقي هذا الأصل عند بني سليم ، فقد حكي عنهم أنهم يقولون : « مِنْذُ » بكسر الميم [١] . ويخطىء السيوطي حين يرى أن الذال في مُنْذُ « ضمت إتباعاً لحركة الميم ، ولم يعتدّ بالنون حاجزاً » [٢] .

ب ـ تطورت كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة : مِفْعَل ومِفْعَلة ، وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري [٣] ؛ إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين ، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ مثل : مَقْود ، ومَسَنّ ، ومَقْنع للثوب الذي يغطى به الرأس ، ومَطْرد للرمح الصغير ، ومَخَدّة ، ومَزْدَغة للوسادة . وقد استمر ذلك في لهجة الأندلس في القرون التالية ، فقد روى لنا ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون : مَصيدة ، ومَطرقة ، ومَغرفة ، ومَرود ، ومَشرط ، ومَنجل ، ومَنبر ، ومَكنسة ، ومَروحة ، ومَلعقة [٤] .

وهذا هو الاتجاه العام في تطور هاتين الصيغتين في اللهجات العربية الحديثة ؛ ففيها يسود التأثر المُدْبِر ، كما في الأمثلة السابقة . أما التأثر المُقْبِل فيها ، فلم أعثر له على مثال إلا فيما رواه ابن الجوزي (المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ) من قول العامة في عصره : (مِكِنْسة) بدلاً من « مِكْنَسة » [٥] .

---

(١) انظر : لسان العرب (منذ) ٥/٤٧

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٧

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ١٩٠ – ١٩١

(٤) المصدر نفسه ٢٣٧ – ٢٣٨

(٥) تقويم اللسان لابن الجوزي ٤٤

(٧) التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال ، من أمثلته ما يلي :

ا — في العربية القديمة تتحول الصاد قبل الدال إلى زاي ؛ مثل : « يَزْدُق » في « يتصْدُق » ، واتصال الصاد بالدال هنا شرط لتحقق التأثر السابق ؛ قال ابن السكيت : « والعرب تقول : أزْدُق بمعنى : أصْدُق ، ولا يقولون : زَدَق »[1] . ولم يعين اللغويون القبيلة التي ينتمي إليها هذا الإبدال ، وأغلب الظن أن الزاي هنا كانت مفخمة ، غير أنهم كتبوها بالزاي المرققة ، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية . وقد روي لنا هذا الإبدال كذلك في المثل العربي : « لم يُحرم من فُزْدَ له »[2] .

وقد زعم أبو الطيب اللغوي أن طيئاً تقلب كل صاد ساكنة زاياً ، ولم يقيدها بوقوعها قبل الدال ، فقال : « ويقال : هي المِزدغة والمِصدغة ، للمِخدّة . وطيىء تقلب كل صاد ساكنة زاياً . قال الأصمعي : كان حاتم الطائي أسيراً في عنزه ، فجاءته النساء بناقة ومِفْصَد ، وقلن له : افصد هذه الناقة ، فأخذ المفصد فلَتَم في سَبَلَتها ، أي نحرها ، وقال : هكذا فزدي أَنَه ، أي فصدي أنا ثم قال :

لا أفصد الناقة من أنفها لكنني أوجرُها العاليه

وقد قرىء : حتى يَصْدُر الرِّعاء ويَزْدُر الرعاء . ويقال : هو كثير القزدلك والقصدلك »[3] .

(١) انظر : القلب والإبدال لابن السكيت ٤٥

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ١٩٤

(٣) الإبدال لأبي الطيب ٢/١٢٦ - ١٢٨

وكل هذه الأمثلة وقعت فيها الصاد قبل الدال مباشرة ، وهي السبب في هذه المماثلة ، فلا يقال - كما في هذا النص - : « وطيىء تقلب كلّ صاد ساكنة زاياً » ، بل تزاد عبارة : « قبل دال » ولعلها ساقطة من أصل الكتاب .

ب - تتأثر النون الساكنة بالباء التالية لها ، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء ، وهو صوت الميم ؛ إذ هو شفوي كالباء ، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب في مثل قوله تعالى : « من بعد ما جاءهم » ، وقوله تعالى : « عليم بذات الصدور » ، وقوله : « إذ انبعث أشقاها » . ومثل ذلك قول عامة الناس اليوم : « مَمْبَر » في مِنْبر إلى جانب التأثر المدبر الكلي في حركة الميم ، كما سبق أن عرفنا .

جـ - تقول العامة في عصرنا الحاضر : « يِسْحَف » بدلاً من « يَزْحف » (١)؛ فقد تأثرت الزاي في هذا المثال ، وهي صوت مجهور ، بالحاء التالية لها وهي صوت مهموس ، فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين .

(٨) **التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال** ؛ من أمثلته ما يلي :

ا - الصاد قبل الراء تقلب زاياً في بعض قراءات القرآن الكريم ؛ مثل : « زراط » في : « صراط » أو لعلها كانت تنطق مثل الظاء العامية ؛ إذ يقول صاحب « مقدمتان في علوم القرآن » (١٤٧) : « غير أن الذي يُشمّ بالصاد زاياً يحافظ على بقاء الإطباق في الصاد » . وهذا ما سبق أن ذكرناه من ترجيح أن تكون الزاي مفخمة في مثل هذه الكلمات .

---

(١) انظر : تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٨٥

ب روى ابن هشام اللخمي أن النـاس كانوا في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري يقولون في : « سرداب » : « زِرْداب »[١].

جـ – الناس في مصر وبعض البلاد العربية ، يطلقون على : « السعتر » « زعتر » [٢] .

د – بنو أسد يقولون في « الدِّفتر » : « تِفتر »[٣] .

هـ – تميل الراء إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها ، ومن هـذا الأثر قولنا في مصر : « طُور » في : « تُور » المنقلبة عن « ثَور » ، كما نطلق كلمة : « الضرب » على « الدرب » بمعنى الطريق المسدود .

و – السين قبل الطاء تقلب صاداً في بعض قراءات القرآن ؛ فقـد روي « عن ورش عن نافـع : أم هم المصيطرون ، و : فلست عليهم بمصيطر ، بإخلاص الصاد . وروى محمد بن الجهم عن الفراء قال : الكتاب وخط المصحف بالصاد في : مصيطر ، والمصيطرون ، والقراءة بالسين » [٤] .

٢ – قانون المخالفة :

هناك قانون صوتي آخر ، يسير في عكس اتجـاه قانون المماثلة ، وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم : « قانون المخالفة » ؛ فقد عرفنا أن قانون المماثلة ، يحاول التقريب بين أصوات بينها بعضُ المخالفات . أما قانون المخالفة ، فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات ،

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٤٣
(٢) انظر : تهذيب الألفاظ العامية للشيخ الدسوقي ٦٦
(٣) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١/١٠٩
(٤) انظر : مقدمتان في علوم القرآن ١٤٨

فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم : Liquida وهي : اللام والميم والنون والراء .

ويقول فندريس : « ينحصر التخالف ، وهو المسلك المضاد للتشابه ، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة ، وكان من حقها أن تعمل مرتين ؛ فمن الكلمة اللاتينية : Arborem (أرْبُورِم) بمعنى : شجرة ، نشأت الكلمتان : الأسبانية Arbol (أربُل) والبروفنسية Albre (ألْبْر) ، فالذي حدث في كلتا الحالتين ، مع اختلاف الترتيب ، هو أن المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات ، التي يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلاً من أن يقوم بحركتين ، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج اللام المائعة »[1] .

ومثال المخالفة بين السامية الأم والعربية : كلمة « شمس » ، فهي في السامية الأولى : « شمش » كما في الأكادية والعبرية والآرامية . والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم ، قلبت في العربية « سيناً » ، وهذا من التغييرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل ، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية : « سمس » ، غير أن المخالفة بين السينين ، أدت إلى قلب الأولى شيناً .

وكذلك كلمتا : « سنبلة » و « قنفذ » حدثتا بطريق المخالفة بين الصوتين من كلمتين كانت الباء فيهما مشددة ؛ « فسنبلة يوافقها في العبرية : šibbólet (שִׁבֹּלֶת) وقنفذ يوافقه في العبرية : Kippōd (קִפּוֹד) »[2] .

---

(١) اللغة لفندريس ٩٤

(٢) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو ٤٦

ومثـــال ذلك في العربية : « قيراط » و « دينار » بدلاً من : « قِرّاط » و « دِنّـار » بدليل الجمع : « قراريط » و « دنانير » . و « أملل » و « أملى » ، وفي القرآن الكريم : « وليملل الذي عليه الحق » (البقرة ٢/ ٢٨٢) .

وكان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في : « إجّاص » للكمثرى : « إنجاص » ، وفي : « أترجّ » : « أترنج » ، وفي : « إجّانة » : « إنجانة » ؛ فقد ذكر الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩ هـ) أن الناس كانوا في عصره يزيدون النون في هذه الكلمات فقال : « ويقال : أترجّ وإجّانة وإجاص . هذه الأحرف بإسقاط النون »[١] .

كما كان أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري يقولون : « كرناسة » في : « كراسة » كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة : « عدنبس » بدلاً من الكلمة القديمة : « عدبّس » ، وكان يقولون : « تقعور » بدلاً من الفعل : « تقعّر »[٢] .

كما روى أبو منصور الجواليقي (المتوفّى سنة ٥٣٩ هـ) عن عامة عصره أنهم كانوا يقولون : « مِنْطَر » في : « ممطر » ، كما كانوا يقولون : « خَرْمَش » في : « خَمَّش »[٣] .

والكلمة الأخيرة يستعملها العامة اليوم مع القلب المكاني ، فيقولون : « خرشم » ومثل ذلك في كلامهم لفظة : « لخبط » التي حدث فيها قلب مكاني من : « خلبط » التي نتجت بطريق المخالفة الصوتية من الفعل القديم : « خلّط » .

(١) انظر : ما تلحن فيه العوام للكسائي ٣٥ ، وانظر كذلك : إصلاح المنطق ١٧٦

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ٣٥ ؛ ١٦١ ؛ ٢٦٤

(٣) انظر : تكملة ما تلحن فيه العامة للجواليقي ١٣٤ ؛ ١٣٩

كما تقول العامة في عصرنا الحاضر : « قرنبيط » في : « قنّبيط » و « مهردم » في : « مهدّم » [١] و « فرتك » في « فرّك » و « ضرفة الباب » بدلاً من : « دفّة » ، وقد فخمت الدال بتأثير الراء ، كما سبق أن ذكرنا ذلك ، كما يقولون : « كعبل » بدلاً من « كبّـل » [٢] . ويقولون كذلك : « سنكر الباب » بدلاً من « سكّر » المستعارة من الآرامية : (ܣܟܪ) [٣].

وقد حكى ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) بعض الأمثلة التي يمكن أن تفسَّر بقانون المخالفة ، عن طريق إبدال أحد المتماثلين حرف مدّ ؛ مثل : « عايرت الموازين » في : « عيّرت » و « عوش الطائر » في : « عشّ » و « مصافُهم » في : « مصفّهم » و « ضارة المرأة » في « ضـرّة » و « موخ » في : « مخّ » [٤] . ومثل ذلك ما حـكاه ابن السكيت عن العرب أنهم يقولون : « الذمّ » و « الذّام » للعيب [٥] .

ولعلنا ، بقانون المخالفة ، نستطيع أن نفسر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي : « زُحْلُوفة » و « زُحْلُوقة » في قول الأصمعي : « الزحاليف والزحاليق : آثار تزلّج الصبيان من فوق طين أو رمل أو صفاً ، فأهل العالية يقولون : زحلوفـة وزحاليف ، وبنو تميم ومن يليهم من هوازن يقولون : زحلوقة وزحاليق » [٦] ، فالظاهر أن الكلمة الأولى : «زحلوفة» مأخوذة من الفعل : « زحلف » الناتج بطريق المخالفة الصوتية من « زحّف » كما أن الكلمة الثانية : « زحلوقة » مأخوذة من الفعل : « زحلق » النـاتج بطريق

(١) انظر : أصول الكلمات العامية لحسن توفيق العدل ٣٩
(٢) انظر : المحكم في أصول الكلمات العامية ، للدكتور أحمد عيسى ٨٣ ؛ ١٨٨
(٣) انظر : فصول في فقه العربية ٢٩٠
(٤) انظر : المدخل إلى تقويم اللسان ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣
(٥) القلب والإبدال لابن السكيت ٢٦
(٦) الإبدال لأبي الطيب ٢/٣٣٧

المخالفة الصوتية كذلك من الفعل : « زلّق » ، فانظر إلى اختلاف الأصول وتشابه الفروع الجديدة !

وليس من اللازم أن يكون الصوتان متجاورين ؛ فكلمة : « عنوان» تنطق في بعض اللهجات عندنا : « علوان » ، وكلمة : « لعل » فيها عشر لغات مشهورة[١] . ومن هذه اللغات : « لعنّ » ، وهي أثر من آثار قانون المخالفة .

وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة ، وكانوا يعبرون عنها أحياناً « بكراهية التضعيف » أو « كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد » أو « اجتماع الأمثال مكروه » أو « استثقلوا اجتماع المثلين » وغير ذلك ؛ فقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه بعنوان : « هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء ، لكراهية التضعيف ، وليس بمطرد »[٢] .

وقال أبو عكرمة الضبي : « أنشدني أبو العالية لبعض بني أسد :

إذا برِحَت فنقعُ مستكفٌّ   وإن تُقْني فسِلتَّغْـدُ عذُومُ

تقني : صارت في قنان من الأرض ، وهي إكام ذات حجارة ، الواحد قُنّة . وكان الأصل : تُقْنِن ، فأبدل النون الأخيرة ياء ، كراهةً لاجتماع حرفين من جنس واحد ، كما قالوا : تظنّيت ، والأصل : تظننت ، وكقول العجاج :

تقضّيَ البازي إذا البازي كسر

أراد : تقضض . ولهذا أمثال كثيرة »[٣] .

ومن قواعد الصرفيين في العربية ، أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٧١/١

(٢) كتاب سيبويه ٤٠١/٢

(٣) الأمثال لأبي عكرمة ٨٤ – ٨٥

قبل واو متحركة مطلقاً ، أو ساكنة متأصلة الواوية ، نحو : « أواصل » و « أواق » ؛ فإن الأصل فيها : « وواصل » ، وكذلك : « وواق »؛ لأنها جمعان لكلمتي : « واصلة » و « واقية » ؛ ففـاء كل منها واو . ويجري مثل ذلك في أنثى : « الأول » وجمعها ؛ فإن الأصل فيهـما أن يكونا : « وُولى » و « وُوَل » ، ولكنهما في العربيـة : « أولى » و « أوَل » ، وليس ذلك كلّه إلا أثراً من آثار قانون المخالفة .

والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية ، هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ؛ ولتيسير هذا المجهود العضلي ، يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً ، كاللام والميم والنون .

ويرى « برجشتراسر » أن العلة في التخالف « نفسية محضة ، نظيره الخطأ في النطق ، فإنا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه ، وأكثر ما يكون هـــذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ؛ لأن النفس يوجد فيها – قبل النطق بكلمة – تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه ، بعـــد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع فيها حروف متشابهة » [١] ، وذلك مثل الكافات في عبـارة : « كريم الكركشندي دبح كبش ، وعمل على كرش الكبش كشك ، يا ما أحلى كشك كرش كبش كريم الكركشندي »!

ومن المخالفة الصوتية المؤثرة في العربية كذلك : المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين ، إذا كانت الأولى منها طويلة ؛ إذ تتحول الثانية منها في

(١) التطور النحوي ٢١

هذه الحالة إلى كسرة ، فالأصل في نون المثنى هو الفتح ، غير أنها كسرت تبعاً لهذا القانون ؛ بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر، وبدليل بعض الأمثلة التي بقيت على الأصل القديم ، وهي ما نسميه نحن « بالركام اللغوي » ؛ مثل : « شتانَ » في مثل قولهم : « شتان أخوك وأبوك » أي هما متفرقان ؛ فهو تثنية شتّ ، والشتّ : المتفرّق (١) .

ومن لم يقنعه هذا المثال ، فلينظر في نون التوكيد المشدّدة ، وهي مفتوحة – كما نعرف – في : « يضربَنَّ » و « تضربَنَّ » وما إلى ذلك ، غير أنها مكسورة في مثل : « يضربانِّ » بسبب المخالفة المذكورة .

وهذه النون التي تسمّى بنون الرفع في الأفعال الخمسة ، هي مفتوحة في : يفعلونَ وتفعلونَ وتفعلينَ ، ولكنها مكسورة في : يفعلانِ وتفعلانِ ، بسبب هذا القانون نفسه .

بل إن نصب جمع المؤنث بالكسرة ليُفسَّر كذلك بهذا القانون ، أي أن الأصل هو نصب هذا الجمع بالفتحة ، بدليل ما رواه الكوفيون عن العرب من قولهم : سمعت لغاَتهم ، وقول الرياشي : سمعت بعض العرب يقول : أخذت إراَتهم (٢) ، غير أن أثر هذا القانون ، هو الذي أدّى إلى تخالف الفتحة إلى كسرة ، فيما نعتقد .

وليست المخالفة هي الطريق الوحيد في اللغات ، للفرار من ثقل اجتماع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في الكلمة ؛ فقد تنشىء اللغة فاصلاً بين الصوتين ، يخفف من ثقل اجتماعهما ، كما هو الحال في توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ؛ إذ تزيد اللغة العربية فيه ألف مدٍ بين نون

(١) لسان العرب (شتت) ٢/٣٥٥

(٢) منهج السالك لأبي حيان ص ١١

النسوة ونون التوكيد ، وهذه الألف يسميها الصرفيون « بالألف الفارقة »[1].

ويقول فندريس : « هناك مسلك ثالث ؛ وذلك بأن لا يتجه الصوتان المتماسان إلى التوافق بين عناصرهما بزيادة المشابهة التي بينهما ، تلك المشابهة التي تصل أحياناً إلى التماثل التام ، ولا أن يتحصن كل منهما ضد الآخر ، بوضع نوع من العازل ، يكون عقبة في سبيل التأثير المتبادل بينهما ، بل على العكس من ذلك بأن يستغلا ما بينهما من فروق فيعمقاها إلى حد ألا يبقى بينهما شيء مشترك ، ثم يزيلا كل نقطة للتشابه ، وتلك هي عمليـة المفارقة »[2].

ويقصد فندريس بالتوافق ما سبق أن سميناه : « المماثلة » ، كما يقصد بالمفارقة ما سميناه : « المخالفة » . أما « العازل » الذي يتحدث عنه فهو الذي سبق أن مثلنا له بالألف الفارقة في العربية . وقد مثل (فندريس) لهذه الاتجاهات التطورية الثلاثة ، بمعاملة بعض اللغات للمجموعتين الصوتيتين : Akta و Atna على النحو التالي :

توافق	anna ↙	‖	توافق	atta ↙
عازل	atna ← atena	‖	عازل	akta ← aketa
مفارقة	atra ↖	‖	مفارقة	achta ↖

وتميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال في أبنيتها ، عن طريق آخر ، إلى جانب طريق المخالفة الصوتية ، ووضع العازل بين الأصوات، ذلك هو طريق الحذف . ومن أمثلة ذلك فيها : صيغ « تفعّل » و « تفاعل » و « تفعلل » مـــع تاء المضارعة ؛ مثل : « تتقـدّم » و « تتقاتل »

(١) انظر في طرق التخلص من توالي الأمثال : الأشباه والنظائر للسيوطي ١/١٨

(٢) اللغة لفندريس ٩١

و « تتبختر » ، فالكثير في العربية الاكتفاء بتاء واحدة . وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك ؛ ففيه مثلاً : « تذكّرون » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل : « تتذكّرون » ٣ مرات بلا حذف ، كما يقابلنا فيه مثلاً : « تكاد تميّز من الغيظ » بدلاً من : « تتميز » و « فأنت عنه تلهّى » بدلاً من : « تتلهّى » و « ناراً تلظّى » بدلاً من : « تتلظّى » وغير ذلك .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية ، قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب ، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة ، قبل هاتين الحالتين ، كقول الأعشى :

أبالموت الذي لا بدّ أنّى ملاق لا أباك تخوّفيني (١)

أي « تخوفينني » . وكقول عمرو بن معديكرب :

تراه كالثغام يُعَلّ مسكا يسوء الفاليات إذا فَلَيْني (٢)

أي « فلينني » . وكقول جميل :

أبا ريح الشمال أما تريني أهيم وأنني بادي النحول (٣)

أي « تريننى » .

وليست ضرورة الشعر هي المتسببة في هذا الحذف ، كما قد يُتَوَهّم ، إذ ورد في النثر كذلك ؛ فقد ورد في سيرة ابن هشام : « ما الذي تهنئونا به » (٤) ، وفيها كذلك : « أفلا تعطوني » (٥) . وفي الأغاني

(١) أمالي ابن الشجري ٣٦٢/١ ، والكامل للمبرد ١٤٢/٢ ، والمنصف لابن جني ٣٣٧/٢
(٢) كتاب سيبويه ١٥٤/٢ والمنصف لابن جني ٣٣٧/٢
(٣) الأغاني ١٠٩/٨
(٤) سيرة ابن هشام ٤٥٨
(٥) المصدر نفسه ٥١

للإصفهاني : « فأخبراه أنها لا يعرفاني »[١] . وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: « لِمَ تزعجوني من جواركم »[٢] . وفي تفسير الطبري : « كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وَسْقاً ، ونقتل منهم ولا يقتلونا »[٣] .

ومن أمثلة الحذف لكراهة توالي الأمثال كذلك : إنّ وأنّ ولكنّ وكأنّ ، مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب . والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلاً : « إني » ١٢٤ مرة ، في مقابل : « إنني » ٦ مرات ، كما ورد فيه : « وإنّا » ٣٣ مرة ، في مقابل : « وإننا » مرة واحدة ،وغير ذلك.

ولعل المسؤول عن منع كلمة : « أشياء » من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » (سورة المائدة ٥ / ١٠١) ؛ إذ لو صرفت لقيل : « عن أشياءٍ إنْ » ولا يخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن) .

وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال ؛ ففي الآرامية مثلاً : (ܐܪܝܐ) بمعنى « ليث » أصلها الاشتقاقي *ʾaryāyā* . وفي الألمانية مثلاً كلمة der Beamte بمعنى : « الموظف » ، هذه الكلمة أصلها الاشتقاقي : Der Beamtete وغير ذلك من الكلمات[٤].

القاهرة — رمضان عبد التواب

(١) الأغاني ٥/١٢٦ (٢) عيون الأخبار ١/٢٩٣ (٣) تفسير الطبري ٨/٥١٠
(٤) انظر في تفصيل ذلك : مقالتنا « كراهة توالي الأمثال » مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨/١٩٦٩ م

التعريف والنقد

مروان بن محمد
وأسباب سقوط الدولة الأموية

دار لسان العرب « بيروت » ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

الأستاذ عارف النكدي

هذا الكتاب هو تاريخ للعهد الأخير من الدولة الأموية في الشرق . وضعه القاضي سعدي أبو جيب ، وقدم له الدكتور شاكر مصطفى ، فأحسن كلاهما : الدكتور في مقدّمته ، والمؤلف في كتابه ، أحسنا معنى ومبنى ، فليس من حق ما يكتب عن بني أمية ، واللغة العربية كانت في المنزلة التي كانت ، أن يكتب عنها بغير الأسلوب الذي كتبت فيه المقدمة ووضع فيه الكتاب .

ينفي صاحب المقدمة عن مروان (ظلم التاريخ له حين يجعل نهاية الدولة الأموية على يديه ومن عمله ، وما له في الأمر يدان ، وإنما جنى الشوك الذي كان زرعه الآخرون) وهو القول الحق . فالدولة الأموية كانت تحتضر قبل مروان ابن محمد ، وهذا ماأثبته المؤلف فيما عدّده من فساد في الداخل وتزاحم على الخلافة وتقاتل في سبيلها ، وما أحاط بها من فتن وثورات واضطرابات على ما يقوله المؤلف ، وهو الواقع .

نقول : حال لا يقوى خليفة على دفعها ولا القضاء عليها ، أكان مروان بن محمد ، أم غيره .. حتى ولو كان عمر بن عبد العزيز الذي ذهب المؤلف إلى أنه لها ...

دولة مترامية الأطراف ، مختلفة الشعوب ، متباينة المذاهب .. السياسية والدينية ، كانت تجمعها جامعة من الدين ، ففترت حدّته ، وغلبت عليه المطامع

والأغراض فالتفت الناس إلى وجه جديد يغيرون معه ما كانوا فيه ، جاهلين ماعسى أن يقع لهم ، مثلهم مثل من همه أن يخرج مما هو فيه ، ولا يبالي على أي جنبيه وقع .

ويدخل بك المؤلف إلى كتابه في مدخل يقول فيه : « التاريخ ، قصة حكاية ودرس ، هو تصوير للحياة بواقعها ، بكلّ ما فيها من خير وشر ... في تاريخ الدولة تجد تصوير حياتها في عزها وذلها ، وفي انتصارها وهزيمتها ، وتجد وصف أيام شبابها وكيف هوت وما هي أسباب كل ذلك » .

وبعد هذا المدخل ، يحدثك المؤلف في خطبة الكتاب : عن مروان كيف اعتلى عرش الخلافة ، ثم ما كان من الأحداث في عصره وكيف عالج ماعالج منها ، وكيف عجز عما عجز عنه ، إلى أن سقطت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية.

ومزايا مروان كثيرة ، وأخطاؤه قليلة قلّ أن يسلم من مثلها عظيم من العظماء .

والكتاب ، على ما فيه من اختصار وإيجاز ، يعطيك الصورة الصادقة عما كان ، وعما كان يمكن أن يكون .

وللدولة – على ما قال ابن خلدون – أعمار (فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون) .

عارف النكدي

غمائم الخريف

ديوان جديد للشاعر رياض معلوف

زحلة « لبنان » أيلول ١٩٧٤

الأستاذ شفيق جبري

في عصرٍ مثل عصرنا الذي نعيش فيه ، في عصر شاعت في أكثره حضارة المادّة ، وغلبت الآلة على مظاهر هذه المادة ، أفما ينبغي لنا أن نرحب بالذين يشتد إيمانهم بسلطان الشعر ؟. والأستاذ رياض معلوف صاحب « غمائم الخريف » من المؤمنين بهذا السلطان ، وقد أيّد إيمانه باستشهاده ببعض أقوالِ المقدسي وابن خلكان : أيّ شرف أبقى من شرفٍ يبقى بالشعر ، وإن امرأ القيس كان من أبناء الملوك ، وكان من أهل بيته وبني أبيه أكثر من ثلاثين ملكاً ، فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكره إلى القيامة ، وإنما أمسك ذكرَه شعرُه ، وإن تحت العرش كنوزاً مفاتيحها ألسنة الشعراء .

لست أشك في أن شاعرية رياض معلوف أصيلة ، وأعتقد أن الإنسان إذا لم يخلقه الله تعالى شاعراً ، لن يبلغ من الشعر مبلغاً مهما تكن لغته وصوره فالشاعرية هي روح الشعر ، لم يبالغ صاحب « غمائم الخريف » لمّا قال في مقدمة ديوانه : وكلّ قطعة منها ، أي من قصائده ، هي فلذة اقتطعتها من حشاشتي وقلبي قبل تسطيرها ... فشعره ابن قلبه وروحه ، وما يشتمل عليه هذا الشعر من لغة وصورٍ وشعور إنما هو ابن طبعه ، خلقه الله فيه .

تتجلى شاعرية رياض معلوف في مواطن كثيرة من شعره ، تتجلى هذه الشاعرية في وصف الطبيعة ، ومحبة ولده ووالده ، ووصف جلائل الآثار ، مثل وصف قلعة بعلبك ومغارة جعيتا ، كما تتجلى في البكاء على

شبابه ، وفي إيمانه بالله تعالى ، وفي وصف وطنه زحلة ، ولست أرمي إلى الإتيان على هذه المواطن كلها ، لقد مررت عليها فلم أجد فيها مانجده من المعمّيات في بعض شعر هذا العصر ، مما لا نفهمه ولا نظن أن أصحابها يفهمونه . فلا يشتمل شعره على صورٍ غامضة ، ليس إلى فهمها من سبيل ولا على ألفاظ متنافرة ، تستوحش الواحدة من أختها ، وإنما خياله مصقول وذوقه مصفّى ولغته واضحة ، ولا يحتاج رياض معلوف إلى أكثر من ذلك ليكون شاعراً أصيلاً .

« شفيق جبري »

المعجم الفلسفي
تأليف الدكتور جميل صليبا

المجلد الأول ٧٦٥ صفحة + المجلد الثاني ٧١٦ صفحة
دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧١ – ١٩٧٣

الدكتور محمد كامل عياد

الزميل الصديق الدكتور جميل صليبا مازال ، منذ خمسين عاماً ، يشتغل بالفلسفة . فهو ، بعد أن نال شهادة الدكتوراه من جامعة الصوربون على أطروحته الأساسية عن « فلسفة ابن سينا فيما بعد الطبيعة » وعلى أطروحته المتممة عن « النظرية الاجتماعية في المعرفة » ، تولّى منذ سنة ١٩٢٧ تدريس الفلسفة في المدارس الثانوية ودور المعلمين أولاً ثم في الجامعة السورية وأخيراً في الجامعة اللبنانية . وقد نشر خلال هذه المدة الطويلة عدداً كبيراً من الكتب الفلسفية والتربوية والأدبية التي ألفها أو حققها أو ترجمها مثل : « علم النفس » و « المنطق » و « من أفلاطون إلى ابن سينا » و « من الخيال إلى الحقيقة » و « الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث » و « مقالة الطريقة » لديكارت و « الرسالة الجامعة » للمجريطي و « المنقذ من الضلال » للغزالي و « حي بن يقظان » لابن طفيل و « منتخبات من ابن خلدون ومن ابن سينا » و « مستقبل التربية في الشرق العربي » و « الدراسات الفلسفية » و « اتجاهات النقد الحديث في سورية » و « تاريخ الفلسفة العربية » أضف إلى ذلك كثيراً من المقالات والمحاضرات والأحاديث في المجلات والأندية والإذاعة .

وهكذا كان له أكبر الفضل في تثقيف الأجيال المتعاقبة منذ نصف قرن وفي توجيه الحياة الفكرية وإشاعة الوعي الفلسفي بين المتعلمين .

ولاشك في أن تجـاربه الطويلة في التعليم قد كشفت له عن أهميـة المصطلحات العلمية والفلسفية وأثرها في الفهم والتفاهم . ذلك أن الطلاب الذين يقرأون النصوص الفلسفية من دون أن تشرح لهم ألفاظها يصعب عليهم فهم معانيها فيقتصرون على ترداد الألفاظ الفارغة كالببغاوات وبالتـالي يجمد تفكيرهم وتتحجر عقولهم . كذلك في المجتمع لا سبيل إلى التفاهم بين الناس إذا هم لم يتكلموا « بلغة واحدة » أي : إذا لم تكن الألفاظ التي يستخدمونها دالة على معان واحدة ، محددة تحديداً واضحاً .

ومن المعروف أن لكل علم لغة فنية خاصة تعتمد على مصطلحات متفق عليها . ويشترط في هـذه المصطلحات أن تكون ألفاظها مطابقة للمعـاني المقصودة ، وأن لايستعمل اللفظ إلا فيما وضع له ، فلايعبر عن المعنى الواحد إلا بلفظ واحد . على أن في اللغة العربية ، كما في غيرها ، ألفاظاً كثيرة متباينة ومتفقة ومترادفة ، وربما وجدت فيها ألفاظ مختلفة دالة على معان متقاربة . وهذه المرونة في دلالة الألفاظ ، رغم فائدتها ، لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والإشـكال .

وإذا كنا نفاخر بأن اللغـة العربية قد استطاعت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية أن تستوعب الفلسفة اليونانية وأن تضع المفاهيم الفلسفية مصطلحات عربية ، في حين عجزت اللغات الأوروبيـة الحديثـة عن ذلك واضطرت إلى اقتباس المصطلحات اليونانية ، فلا ننس أن بعض المفاهيم القديمة قد تبدلت وأن هناك كثيراً من الموضوعات والمعاني الجديدة التي تحتاج إلى ألفاظ تعبر عنها .

وقد دأب الدكتور جميل صليبا ، منذ سني حداثته ، كما يقول ، على ترجمة المصطلحات الفلسفية من الفرنسية مستعيناً بالألفاظ التي يجـــدها في

مؤلفات الفلاسفة العرب . وهكذا نراه يلحق بكتابه « علم النفس » في طبعته الأولى (سنة ١٩٣٦) فهرساً للألفاظ الفلسفية يشتمل على مايقارب (٣٦٠) كلمة قد احتفظ الآن بمعظمها في معجمه .

ومن الطريف أنه في مقابل لفظة (Raisonnement) أي الاستدلال في المعجم كان ذكر في الفهرس لفظة (محاكمة) ، وذلك حسبما تعلمناها من أساتذتنا في سورية إذ ذاك الذين نقلوها عن اللغة التركية - العثمانية . وكان المؤلفون الأتراك - العثمانيون يعتمدون في وضع المصطلحات العلمية عامة والفلسفية خاصة على اللغة العربية ، ولكنهم كانوا في الغالب يتصرفون بالألفاظ وصيغ تكوينها ومعانيها . وقد أطلقوا لفظة (محاكمة) على العملية الفكرية التي تنظر في الأدلة وتصدر الحكم . كذلك اقتبسنا عنهم لفظة (فرضية) مقابل (Hypothèse) .

وقد تمسك الدكتور صليبا بهذه اللفظة في المعجم على الرغم من أن مجمع اللغة العربية في مصر وضع عوضاً عنها كلمة (فرض) التي يريد الدكتور صليبا إطلاقها على مفهوم (التجويز العقلي) بوجه عام مقابل كلمة (Supposition) بينما يخصص اصطلاح (فرضية) من جهة للأوليات والمسلّمات التي يستند إليها العالم الرياضي في البرهان . ومن جهة أخرى للتفسيرات المؤقتة لحوادث الطبيعة في العلوم التجريبية .

وهناك مصطلحات أخرى في الفهرس قد استبدل بها غيرها في المعجم مثل (الحتمية) عوضاً عن (مذهب التقيد) ، ولفظة (المثالية) محل (المذهب الخيالي) ، و (الماصدق) مكان (الشمول) = (Extension) .

وقد استمرّ الدكتور صليبا بعد إصدار كتابه (علم النفس) في التنقيب

عن المصطلحات الفلسفية ودراسة مدلولاتها ، كما شارك في وضع عدد كبير منها ؛ ثم أخذ ينشر تلك المصطلحات تباعاً في هذه المجلة فلقيت استحساناً عظيماً وظل القراء ينتظرون بفارغ الصبر إتمامها وإخراجها في شكل كتاب .

يشرح لنا الدكتور جميل صليبا في مقدمة كتابه القواعد الأربع التي يجب اتباعها عند وضع المصطلحات العلمية وهي :

أولاً : البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المقصود . مثال ذلك لفظ (جوهر) الذي يطلق على ماتدل عليه اليوم كلمة (Substance) ، أو لفظ (المقولات) مقابل (Categories) التي ترجمها العرب عن اليونانية ، في حين اقتبسها الأوروبيون كما هي . ويمكن أن نجد أمثال هذين المصطلحين في المعاجم القديمة الخاصة مثل (تعريفات الجرجاني) و (كليات أبي البقاء) و (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) بالاضافة إلى كتب الفلاسفة العرب .

ثانياً : إذا عثرنا على لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فإنه يمكننا إستخدامه بعد تبديل معناه قليلاً وتحديده تحديداً جديداً . ويذكر الدكتور صليبا مثالاً على ذلك لفظة (الحدس) مقابل (Intuition) .

ثالثاً : اشتقاق لفظ جديد لمعنى جديد مثل لفظة (استبطان) للدلالة على التأمل الباطني (Introspection) ، ولفظة « الموضوعية » مقابل (Objectivité) بمعنى مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه ، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص .

رابعاً : تعريب اللفظ الأجنبي مثل كلمة (ديموقراطية) . ويمكن

أن نذكر أيضاً كلمة (ايديولوجية) التي لم ترد في معجم الدكتور صليبا الذي يبدو أنه لا يميل مبدئياً إلى التعريب ، ولذلك فضل مثلاً استخدام كلمة (العرفانية) عوضاً عن (الغنوصية) (Gnosticisme) المذكورة في معجم المصطلحات الفلسفية لمجمع اللغة العربية في مصر .

إن معجم الدكتور جميل صليبا الذي يقع في مجلدين كبيرين يمتاز على المعاجم الفلسفية القليلة الموجودة بين أيدي الناس بأنه ، من جهة ، يشتمل على عدد أكبر من المصطلحات ، وأنه ، من جهة ثانية ، لا يكتفي ببضع كلمات في تعريف المصطلح بل يتوسع في شرح كل لفظ فيرجع إلى أصله في اللغة ويثبت إلى جانبه مايقابله من الألفاظ الفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، ثم يستعرض المعاني الخاصة التي يدل عليها في الفلسفة القديمة أو في مختلف المذاهب من الفلسفة الحديثة ، ويورد نصوصاً فلسفية قديمة وحديثة تبين وجوه استعمال كل مصطلح .. وإذا لاحظنا أن اصطلاح (جدل) مثلاً أو (عقل) أو (وجود) أو (علة) أو (طبيعة) أو (اشتراكية) يختلف معناه اختلافاً كبيراً عند الفلاسفة القدماء وفلاسفة القرون الوسطى والمفكرين العرب وعند كل واحد من أصحاب المدارس الحديثة من (ديكارت) إلى (كنط) ومن (هيغل) إلى (سارتر) و (هايدغر) ، إذا لاحظنا ذلك ندرك السبب الذي دفع الدكتور صليبا إلى أن يخصص صفحات عديدة لتفسير هذه المصطلحات وبيان معانيها الكثيرة المختلفة . وهكذا جاء كتابه أقرب إلى الموسوعات الفلسفية منه إلى مجرد معجم ألفاظ .

وقد تقيد الدكتور جميل صليبا ، على وجه العموم ، بالتفسير الموضوعي لكل لفظ . إلا أنه لم يستطع أحياناً ، كما يعترف في المقدمة ، أن يمتنع عن إبداء بعض التفسيرات الذاتية المتفقة مع وجهة نظره الخاصة . وهذا

طبيعي في الموضوعات الفلسفية التي تتصل بأهم القضايا الكونية والمشاكل البشرية والتي يصعب إصدار أحكام نهائية مطلقة فيها. ومما يزيد في صعوبة المصطلحات الفلسفية أن المعاني التي يراد التعبير عنها تتصف بالإحاطة والشمول، وتتضمن فروقاً دقيقة، وفيها احتمالات كثيرة لكل قضية.

وفيما يتعلق بالمصطلحات الفلسفية في اللغة العربية فإن الحاجة مازالت ماسة إلى البحث والاجتهاد وإعادة النظر دوماً في النتائج التي نصل إليها والتي لا بد أن تكون مؤقتة قابلة للتعديل والتبديل. لذلك لم يتردد الدكتور جميل صليبا في مخالفة بعض المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية في مصر مثل ترجمة كلمة (emotion) بلفظ (الانفعال). وهو يقول: إن هذه الترجمة لا تخلو من الالتباس، لأن الانفعال لفظ عام يشمل الحساسية واللذة والألم والعاطفة والميل والهوى في حين أن كلمة (emotion) يقصد بها الحالات المفاجئة من غضب وخوف وخجل وما أشبه ذلك، ويفضل أن تترجم بلفظ (هيجان). ثم إن معجم مجمع اللغة العربية يستخدم لفظة (انفعال) أيضاً مقابل لفظة (passion) التي يترجمها الدكتور صليبا بكلمة (هوى). كذلك كلمة (axiome) التي وضع مجمع اللغة العربية مقابلها كلمة (مبدأ) قد استعمل الدكتور صليبا في ترجمتها لفظة (بديهية).

ومن الغريب أن نجد ترجمة لفظتي (deduction) و (inférence) بصورة معكوسة، فالأولى تقابل في مصطلحات مجمع اللغة العربية كلمة (استنباط)، والثانية كلمة (استنتاج)، بينما الأمر على عكس ذلك في معجم الدكتور صليبا. وفي الواقع فإن الألفاظ (استنباط) و (استنتاج) و (استدلال) و (قياس) متقاربة جميعاً في معانيها. لذلك لا بد من الاتفاق على تخصيص كل واحدة بمصطلح معين. كذلك يجب الاتفاق

على ترجمة كلمتي (essence) و (substance) اللتين تقابلان في المعاجم المتداولة لفظتي (جوهر) و (ذات) أو بالعكس .

ومهما يكن الأمر فإن معجم الدكتور جميل صليبا يعتبر إنجازاً قيماً وخطوة هامة في سبيل وضع المصطلحات العلمية التي تحتاج إليها اللغة العربية في الوقت الحاضر ، ونحن على يقين بأن هذا المعجم الفلسفي سوف يثير اهتمام الباحثين والدارسين ويساعدهم على متابعة جهودهم .

دمشق محمد كامل عياد

الشاب الظريف

تأليف الدكتور زكي المحاسني

١٦٦ صفحة من القطع المتوسط ـ دمشق ١٩٧٢

الدكتور عدنان الخطيب

أديب دمشق الراحل الدكتور زكي المحاسني غني ، بأدبه الرفيع وشهرته الواسعة في مختلف الأقطار العربية ، عن أي تعريف . لقد دفع إلى النشر في أوائل سنة ١٩٧٢ كتاباً له عن « الشاب الظريف » وهو لا يعرف أن موعده مع القدر كان قريباً . لقد انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل أن يشهد كتابه مطبوعاً ، وقبل أن يقدّمه لقرائه كما عوّدهم . لقد فاته تقديم الكتاب ، غير أنه كتب لمحة موجزة عن حياته فألحقها الناشر بما طبع .

عدد الدكتور المحاسني في ترجمته لنفسه الأعمال التي تولاها ، مشيراً إلى أن آخرها كان أستاذاً محاضراً للأدب بكليتي الآداب والتربية في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٦٦ إلى آخر عام ١٩٦٩ م .

وقال الدكتور المحاسني ، وهو يترجم لنفسه : نشرتُ من الآثار الأدبية المطبوعة ما يأتي :

. . . .

١٦ — « الشاب الظريف » بالدراسة والتاريخ الأدبي — محاضرات في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية ١٩٦٩ / ١٩٧٠ – إصدار المكتبة العباسية بدمشق لعام ١٩٧٣ .

وهكذا عرفنا أن كتاب « الشاب الظريف » يضم مجموعة محاضرات ألقيت في كلية الآداب اللبنانية عام ١٩٦٩ ، وكان مقدراً له الصدور في عام ١٩٧٣ ، غير أنه صدر في نهاية عام ١٩٧٢ بعد وفاة المؤلف رحمه الله .

لقد اشتهر الدكتور المحاسني بعربية مشرقة وبأسلوب رصين ، ينتقي ألفاظه انتقاءً يدل على سعة اطلاع وذوق جمالي عميق . وبهذا الأسلوب الذي تعودناه من المؤلف بدأ محاضراته عن عصر الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني الذي ولد — على حدّ تعبيره : « ودنيا العرب تعجُّ بالأحداث الجسام ، في السياسة المروّعة والغلاب المستديم » فقد كانت جراحات بغداد لا تزال دامية ، وقد وضع العفاء مياسمه السود عليها بعد أن غربت عنها شمس بني العباس . ولم تكن سائر البلاد العربية أحسن حالاً وبخاصة مصر إذ كثر فيها الظلم وعظم الجور ، إلى أن آل حكمها إلى الملك الظاهر بيبرس البندقداري الذي كان يرعى الحرم ، ويبني المدارس ، ويشجع رجال العلم ، وكانت ولادة الشاب الظريف في عهده بمصر سنة ٦٦١ ، ثم مات في عنفوان شبابه وله من العمر سبعة وعشرون ربيعاً .

ويحدثنا المؤلف بعدئذٍ عن الحياة الفكرية في ذلك العصر ، والأسباب الداعية إلى وصف المؤرخين له مع عصور تلته بالانحطاط ، ويعقب على ذلك بالكلام عن الحياة الأدبية ، متمثلاً بما يعطي صورة واضحة عنها ، مشيراً إلى ما اعتور تلك الحياة من أدواء مبيرة أفسدت حلاوة الشعر العربي بإدخال الألغاز والأحاجي فيه ، كما أفسدت رواء اللغة بالتزام السجع تارة وبالإكثار من المحسنات اللفظية تارة أخرى .

وخص المؤلف الفصل الثاني من كتابه بالكلام عن الشاب الظريف في عصره ، محدداً شخصيته ، مبيناً نشأته ، متحرياً عن ثقافته ومصادرها ، مخططاً للنهج الذي يجب أن يسلك لدراسة الشاعر من آثاره الباقية .

وفي الفصل الثالث درس المؤلف ما وصل إلينا من شعر الشاب الظريف وبين براعته في الصناعات البديعية في كل من غزله ومدحه ووصفه ، معدداً

ما تفرد به من ضروب الصور والتشبيهات ، متناولاً بالتحليل والنقد الفنون التي طرقها في شعره ، ثم أنهى الكتاب بفصل حوى منتخبات من هذا الشعر.

إن محاضرات الدكتور زكي المحاسني عن الشاب الظريف ، ليست موفقة في اختيار موضوعها وطريقة عرض مباحثها فحسب ، بل إنها لصورة رائعة تحمل طابع مؤلفها الفذ بلغته المتينة وألفاظه الجزلة ، وهي تمثل في أسلوبها حيويته وتدفقه في الحديث الممتع الدالّ على سعة ثقافته العربية والأجنبية ، وتطلعه الدائم إلى حمل سامعه على مشاركته في التمتع بلذة المقارنات الأدبية الرفيعة .

رحم الله الدكتور زكي المحاسني بما أسداه للعربية من خدمات جلّى ، وحفظ الله زوجته الكريمة الأديبة الكبيرة السيدة وداد السكاكيني ، ووفقها لإتمام ما شرعت به من نشر ما تركه فقيد الأدب الراحل من آثار أدركه الموت قبل أن يتمكن من دفعها للطبع .

عدنان الخطيب

كتب الرياضيات لطلاب
كلية العلوم الاقتصادية

الأستاذ وجيه السمان

أهدت جامعة حلب ، مشكورة ، بعض الكتب العلمية من مطبوعاتها إلى مجمع اللغة العربية ، وهي تبحث في العلوم الرياضية والفيزياء والهندسة الكهربائية .

فأما كتب الرياضيات فهي مجموعة مؤلفة من أربعة أجزاء يدرسها طلاب السنة الأولى في كلية العلوم الاقتصادية للدكتور عبد القادر الأفندي وكتاب في الجبر والتحليل للصف الإعدادي العام ، للأستاذ أحمد علوظي .

وكتب العلوم الأخرى هي : كتاب في القياسات الكهربائية ، وكتاب في الميكانيك الفيزيائي ، وقد أفردنا لكل من هذين باباً خاصاً من الملاحظات .

أما كتب الرياضيات فقد لفت نظرنا عند تصفحها ما يلي :

في المجموعة الأولى :

١ — Fonction Hyperbolique : تابع قطعي . ومن المعلوم أن المنحنيات من الدرجة الثانية التي تنجم عن قطع السطح المخروطي الدائري بمستو يمكن أن تكون قطعاً زائداً ، وهو المقصود هنا ، أو قطعاً مكافئاً Parabole ، أو قطعاً ناقصاً Ellipse ، أو دائرة Cercle ، أو أن تكون مجرد مستقيمين متقاطعين في ذروة المخروط .

فإذا اقتصرنا على الإشارة إلى المنحني الأول بكلمة قطع فقط نكون

قد أدخلنا التباساً أكيداً على تعريفنا . وإذا كان الدافع إلى ذلك هو التخلص من المصطلح المركب ، وهو القطع الزائد ، لعدم إمكان إضافته ، فالأولى أن نختصره بقولنا الزائد ، ويصبح التابع الذي نتكلم عنه هو التابع الزائدي لا التابع القطعي . وكذلك شأن الخطوط المثلثية القطعية التي وردت : جيب قطعي ، جيب تمام قطعي ، ظل قطعي ، يفضل أن تسمى بالجيب الزائدي ، تمام الجيب الزائدي ...

٢ — Fonction Implicite : ترجم بتابع مستتر ، والأولى أن يترجم بالتابع الضمني ، بعكس التابع الصريح الذي هو Fonction Explicite

٣ — Binôme de Newton : ترجم بثنائي نيوتن ، وقد درجت تسمية Binôme بذي الحدين لا بالثنائي .

٤ — Chaînette : ترجمت بالسلسلة ، والأفضل أن تسمى السليسلة على وجه التصغير ، لأن السلسلة هي Chaîne .

٥ — Nombre Opposé : ترجم بعدد متناظر ، ولا مجال هنا لتسميته بالمتناظر ، ولو قيل المناظر لكان له وجه من الصواب ، والأفضل أن يسمى بالعدد المقابل .

٦ — Différence : ترجم بالفضل ، والأفضل هو أن يترجم بالفرق .

٧ — Puissance : ترجمت بالقوة ، والأفضل أن تسمى: الأس ، لكيلا تختلط بكلمة Force .

٨ — Restriction : ترجمت بمقصور ، ويفضل أن تترجم بقيد أو تقنين ، أو حصر ، أو تحديد .

في كتاب الجبر والتحليل :

١ — Implicite : ترجم بظاهري ، وقد ذكرنا أنه ترجم في كتب الدكتور عبد القادر الأفندي بمستتر ، واقترحنا أن يسمى : ضمني .

٢ — Module : ترجم بطويلة ، وأعلم أنها شائعة الاستعمال عند بعض الأساتذة ، وقد سميتها (شخصياً) الطول ، وأتمنى أن يجد لها أساتذة الرياضيات مقابلاً أحسن من هذا .

القياسات الكهربائية وأجهزتها

لطلاب السنة الثالثة من كلية الهندسة (فرع الكهرباء) بجامعة حلب

تأليف الأستاذ ميشيل منصور

يقع هذا الكتاب في ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير . وهو يعالج دراسة أجهزة القياس الكهربائية وطرائق استعمالها ومبادىء القياس فيها . وتشمل هذه الأبحاث القياسية شدة التيار الكهربائي وكمونه (توتره) وذبذبته ، وعلى التفريغ الكهربائي والتدفق المغناطيسي ، وعلى قياس المقاومة الكهربائية والاستطاعة الكهربائية في التيارات المستمرة والمتناوبة ، بما في ذلك الاستطاعة الفعلية والتفاعلية — الردية (ويسميها المؤلف بالرد فعلية) .

ثم يدرس الكتاب قياس المقاومة والطور والتواتر (ويسميه المؤلف بالتردد) والتواقت ، وعامل الاستطاعة ، ويدرس أجهزة القياس العائدة لكل ذلك .

ثم ينتقل إلى أجهزة قياس التحريض المغناطيسي والمقادير المغناطيسية والتضييع وأجهزة القياس ذات المغناطيسية الحديدية .

وفي الختام يتكلم المؤلف عن المحولات التي تستعمل في عمليات القياس المختلفة .

والكتاب محرر بلغة سهلة واضحة ومطبوع طبعاً جيداً ، وهو ثمرة جديدة تضاف إلى المكتبة العلمية العربية ، ويشاهد المطالع مابذله المؤلف من جهد في تأليفه .

والذي استرعى انتباهي في هذا الكتاب أن المصطلحات المستعملة فيه لم توضع على نظام واحد . فأسماء أجهزة القياس (وهي في أغلب الأحيان أسماء مركبة) جاءت أحياناً معربة كلها مثل :

الفولتمتر Voltmètre

الغلفانومتر Galvanomètre

البرميامتر Perméamètre

الميغومتر Megohmètre

الواطمتر Wattmètre

اللوغومتر Logomètre

الأمبيرمتر Amprèmètre ... الخ

وجاءت أحياناً في هيئة مصطلحات عربية على وزن مِفعال مثل :

مِصفاح : Phasemètre

مِرداد : Fréquencemètre

مِدفاق : Fluxmètre

وجاءت حيناً آخر على وزن مُفعّل مثل :

موقّت : Chronomètre

وفي رأيي أن بالإمكان اتباع قاعدة واحدة في تسمية أجهزة القياس . لقد كان المجمع اللغوي في القاهرة قد وضع قدماً قواعد لتسمية مثل هذه الأجهزة . فالتي تنتهي بالكاسعة Mètre تسمى على وزن مِفعل ، والتي تنتهي بالكاسعة Scope تسمى على وزن مِفعال ، والتي تنتهي بالكاسعة Graphe تسمى على وزن مِفعلة . وقد بينت في عدة مناسبات أن هذه القواعد لا تصلح للتطبيق العام لأنه ليس في هذه الأوزان ما يدل على وظيفة الجهاز كما هو وارد في الكاسعة الأجنبية ، ولأنها تؤدي أحياناً إلى استحالة ، إذا كان اسم الظاهرة التي يراد قياسها أو كشفها أو تسجيلها مركباً مثل : Electrodynamomètre

ويتعذر أحياناً تطويع أسماء الأعلام مثل أمبير وواط لكي تشتق منها أسماء آلات القياس ، فتقول مِئبر من أجل Ampèremetre ومِوَّط من أجل Wattmètre ومِفلط من أجل Voltmètre .

وفي رأيي أن أحسن طريقة لتسمية هذه الآلات هي التي جرينا عليها في جامعة دمشق واقترحتها في مؤتمر التعريب في الجزائر عام ١٩٧٣ وتتلخص كما يلي :

تكون أسماء الأجهزة مؤلفة من اسمين مضافين إلى بعضها . فأما المضاف :

١ — فهو كلمة مقياس من أجل أجهزة القياس ، وهي التي تنتهي بالكاسعة mètre ، فنقول مثلاً مقياس الأمبير لـ Ampèremètre .

٢ — كلمة مرسام أو راسم من أجل أجهزة الرسم أو التسجيل ، وهي التي تنتهي بالكاسعة Graphe ، فنقول مثلاً : مرسام الطيف أو راسم الطيف لكلمة Spectrographe

٣ – كلمة مكشاف أو كاشف من أجل أجهزة الكشف ، وهي تنتهي بالكاسعة Scope ، فنقول مثلاً : مكشاف الطيف أو كاشف الطيف لكلمة Spectroscope .

وبذلك نضمن التوحيد في تسمية الأجهزة التي تعمل لنوع واحد من الخدمات ، مع ضمان الدلالة على وظيفة هذه الأجهزة .

ويكون المضاف إليه هو الاسم العَلَم الذي سميت به واحدة القياس مثل مقياس الأمبير ، مقياس الفولت ... أو اسم الظاهرة كالتدفق أو التواتر أو شدة الضوء ، الخ ...

هذا وهنالك ملاحظات على بعض المصطلحات الأخرى ، فالمؤلف يسمي جهاز phasemètre بالمصفاح على أساس تسميته Phase صفحة تارة ، وطوراً تارة أخرى ، وقد درج استعمال المصفاح للدلالة على الآلة التي تحيل المعادن إلى صفائح وهي Laminoir ، أما الجهاز الذي نحن بصدده فنسميه وفق القواعد السابقة بمقياس الطور .

وعرب المؤلف الجهاز الكاشف للتواقت فسماه سنكرونوسكوب ، ولا حاجة لنا بهذا التعريب لأننا وفقاً للقاعدة نسميه كاشف التواقت ، كذلك نسمي الروتور Rotor بالدوّار .

وأما تسميته لـ Bande passante بالشريط الساري ، فأفضل أن يستعمل لها كلمة النافذ بدلاً من الساري .

وفي جامعة دمشق ، وفي كتب التعليم الثانوي المقررة ، يسمى التردد بالتواتر ، تجنباً لما في كلمة التردد من تردد ، وإن كان هذا المصطلح شائعاً بسبب تفضيل القطر المصري له .

وكذلك نجد أن أسماء عدة أجهزة يمكن أن يستبدل بها أحسن منها ، وهي :

موقت : Chronomètre : مقياس الزمن

مدفاق : Fluxmètre : مقياس التدفق

غوصمتر : Gaussmètre : مقياس الغوص

فارمتر : Varmètre : مقياس الفار (مقياس فولت امبير الردي)

واطمتر : Wattmètre : مقياس الواط

ونرى أن المؤلف قد ترجم Wattheuremètre بمداد الطاقة الفعلية ولم يعربه تعريباً .

أما ميغومتر وقد وردت Mègohmètre فينبغي أن تكتب بـ m مضاعفة ونترجمها بمقياس المقاومة العالية أو مقياس الميغوم .

وقد عرب برميامتر Perméamètre تعريباً وكان الأولى تسميته حسب القاعدة بمقياس النفوذية .

الميكانيك الفيزيائي

من منشورات كلية العلوم في جامعة حلب

تأليف الدكتور حسن سلمان

أعد هذا الكتاب لطلاب شهادة الميكانيك الفيزيائي والاهتزازات ، وهو يقع في ٤٣٠ صفحة من القطع الكبير الذي تنشر فيه جامعة حلب كتبها الجامعية . ويعالج المواضيع التالية :

حركة النقطة المادية والجسم الصلب – القوانين العامة في تحريك النقطة المادية .

الحقل المركزي والنظريات العامة في تحريك الجمل المادية .

مجموعة النقط المقيدة ، عزم العطالة وتحريك الجسم الصلب .
حركة الكتل المتغيرة ، الاصطدام – المبادىء الأساسية للنظرية النسبية ،
ميكانيك النظرية النسبية .
حركة جسيم مشحون في حقل كهرطيسي – المرونة – المواد المرنة .
ميكانيك الموائع .
وفي ذيل الكتاب معجم صغير بالمصطلحات العلمية التي استعملت فيه .

وقد عرضت مواضيعه عرضاً واضحاً وطبع طبعاً جيداً ، وجاءت عناوين فصوله بالعربية والانكليزية ، وحتى عناوين بعض فقراته وبعض المصطلحات الواردة في داخل النص .

ومما يؤسف له أن الأخطاء المطبعية فيه كثيرة جداً ، ولا سيما في الدساتير ، وقد عزا المؤلف ذلك إلى أسباب قاهرة ، وأورد في آخر الكتاب جدولاً بتصحيح بعضها جاء في ٦ صفحات .

ومن دواعي المسرة أن يكون بين أيدي الطلاب كتب علمية ألفت بالعربية يرجعون إليها في مطالعة دروسهم ، ولاسيما إذا تذكرنا الأيام الخوالي التي كان الطلاب ينسخون فيها الأمالي التي كان يعدها لهم الأستاذ . فباركتْ هذا الجهد الذي إذا هو استمر بعناية أغنى المكتبة العلمية العربية بزاد قيم من المؤلفات .

وقد أجلت النظر ملياً في معجم المصطلحات الذي أورده المؤلف مرتباً على العربية ثم على الانكليزية فرأيت فيه مالاغنى عن التعليق عليه .

لقد أورد المؤلف في قائمة مراجعه منشورات مكتب تنسيق التعريب بالرباط ، ويبدو أنه قد استقى من معجم الفيزياء (الذي هو أحد هذه المنشورات) استقاءً غزيراً ، ولم يخطر بباله أن هذا المعجم موقت وأنه

ليس معجماً بالمعنى الصحيح ، بل هو مجموعة مصطلحات رتبها المكتب مما ورد عليه من مختلف الأقطار العربية ليقدمها إلى مؤتمر التعريب ليقوم بمناقشتها واختيار الأصلح منها ، وهذا هو السر في أن المؤلف أورد أكثر من مرادف المصطلح الواحد .

ومهما يكن من أمر ، فإن الملاحظات التالية تستحق النظر :

١ ـ استعمل المؤلف مصطلحي : الذبذبة والاهتزاز بدون تفريق بينها ، فترجم Amplitude of Vibration بسعة الذبذبة وسعة الاهتزاز ثم ترجم Center of Oscillation بمركز التذبذب و Damped Vibrations بالاهتزازات المتخامدة ، ثم عاد فترجم Free Vibrations بالذبذبات الحرة والاهتزازات الحرة . وترجم Natural Vibration بالاهتزازة الطبيعية و Steady-State Oscillation بالذبذبة المستقرة .

فهو تارة يجعل الذبذبة والاهتزاز مترادفين ، وتارة يخصص الذبذبة لـ Oscillation والاهتزاز لـ Vibration .

ولما كان ينبغي التفريق بين هذين المصطلحين وتخصيص كل منها بمعنى واحد ، فان كلمة Vibration تفيد الاهتزاز السريع مثل ذبذبة الأوتار والصفائح ، فإن من المعقول ترجمتها بالذبذبة وترك الاهتزاز لـ Oscillation مثل اهتزازات النواس .

٢ ـ استعمل المؤلف كلمة جهد لترجمة potential في مصطلح سطوح تساوي الجهد ، مع العلم بأنها تسمى في سورية بسطوح تساوي الكمون ، وهو قد استعمل كلمة الكمون لنفس المصطلح في مكان آخر حيث سمى potential Energy بالطاقة الكامنة .

ومن أمثلة التشويش الذي تقع فيه المصطلحات عندما يعتمد الإنسان

على مجموعـة كمجموعة مكتب التعريب ، أنه وضـع مقابل كلمة Flux : فيض ، تدفق ، سيل . والمصطلح المتفق عليه في سورية هو التدفق . وكذلك استعماله لمصطلحي : القوة المركزية الطاردة والقوة المركزية الجاذبة لـ Centrifugal force و Centripetal force ، وهما تسميان عندنا بالقوة النابذة والقوة الجابذة .

واستعمل التردد بدلاً من التواتر ، والقصور بدلاً من العطالة ، وترجم Coupling بصـلة بدلاً من التزويـج .

وترجم Interstellar space بفضاء النجوم و Interplanetary space بفضاء الكواكب ، وكان ينبغي أن يقول : الكواكب السـيارة ، وإلا فإن الكواكب معناها كمعنى النجوم .

وترجم Normal Line بالخط العمودي ، وتعلمنا الهندسة أن الخط العمودي ليس مطلقاً وإنما هو عمود على خط آخر ، وربما كان يقصد الناظمي .

وترجم Rest Mass بكتلة السكون على وجه الإضافة والأفضل أن يأتي السكون صفة فيقـال : الكتلة السكونية لئلا يظن أن للسكون بحد ذاته كتلة .

وترجم Pendulum ببنـدول ونواس (وهذه أتت ولا ريب من معجـم مكتب التعريب) ولدينـا في العربية بدلاً من البندول : النواس والرقاص والخطار .

وكذلك Vector بمتجه وشـعاع ومتجهة . ولا تعني كثرة المصطلحـات المترادفة غنىً وإنما هي تسبب الفوضى .

وترجم Fluid بالمائع و Liquid بالسائل ، ثم عاد فترجم Fluid بالسائل في بداية الفصل ١٣ .

هذه ملاحظات خطرت لي من تصفح سريع للكتاب ، وقد زادتني تحمساً للسعي في توحيد المصطلحات لنخرج من هذا الاضطراب الذي نحن فيه .

وجيه السمان

آراء وأنباء

تصحيح لفظة في « تهذيب اللغة »
(ناتق) لا (فاتق)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

قرأت ، في (ص ١٥٧ — ١٦٣) من المجلّد التاسع والأربعين من هذه المجلّة الخالدة الزهراء ، نقداً لتحقيق الجزء العاشر من « تاج العروس » الذي تصدره وزارة الإعلام بإمارة « الكُوَيْت » ، وعلاقتي بما قرأت علاقة قارىء مستفيد ، فحمدت للنّاقد الفاضل إخلاصه للغة « القُرْآن » العزيز ، وجدّه في محاولة طلب الصّحّة وارتياد الصّواب ؛ واستحسنت منهجه « النّظَريّ » في دعوة المحقّق أن يحقق النّص اللغويّ بالعودة إلى الأصول ، لأنّها أدعى إلى التّوثيق في التّحقيق العلميّ ، وذلك حقّ لا ريب فيه ولا يتنازع فيه اثنان .

وقد أخذ النّاقد على تحقيق هذا الجزء من « تاج العروس » خمسة عشر مأخذاً قريباً ، بعضُه — فيما أرى — غير وارد ، وبعض آخر منه متعجّل فيه ، يتطلب من الناقد فضل أناة وصبراً على تمحيص ما كتب ومراجعته قبل إرساله عفو الخاطر . والحَيْطَةُ للشيء قبل الهجوم عليه أدعى إلى السّلامة ، وأنأى بصاحبه عن مزالق الزّلل .

وأقف من هذا النّقد عند أظهر ما أنكرته منه ، وهو ما لاحظه النّاقد في (ص ١٥٩) على نصٍّ في « تاج العروس » ، وردت فيه لفظة لغوية خطّأها وهي صحيحة سليمة ، فأزال الحقيقة الثابتة لها عن نصابها المستقرّ ، وأحلّ غيرها فيه من غير حقّ ثابت لها .

والنَّص هو : « قال ابن الكلبي : كانت « عاد » تسمّي المُحَرَّمَ مؤتمراً ، وصَفَرَ ناجراً ، ورمضانَ **ناتقاً** » .

فقال الناقد ، من غير تلبُّث : « والصَّواب : ورمضانَ **فاتقاً** ، بالفاء » .

وشاء أن يعضد تصويبه بنصّ من « تهذيب اللغة » ، فأضاف قائلاً :

« ورد في تهذيب اللغة ٢٦٩/١٥ : ابن السِّكِّيت ، قال ابن الكلبيّ : كانت عاد تسمّي المُحَرَّم مؤتمراً .. ورمضان **فاتقاً** » .

وليس هذا سبيل تصحيح هذه اللفظة ؛ لأن هذا النص نص عارض بالنسبة إلى « ناتق » ، وليس أصلاً له . هذا إلى أن « فاتقاً » فيه ، مصحَّف ، ما في ذلك ريب . وقد جاز تصحيفه — مع الأسف — على محقّق « التهذيب » ، كما جاز على الناقد فانساق بحسن ظنّه فيه إلى ورطته ، فصَيَّرَ به الصَّواب خطأً والخطأ صواباً !

إنما سبيل تصحيحه أن يرجع إلى مادّته ، أي أصله اللغويّ ، وهو ما دعا إليه النّاقد نفسه ولكنه لم يعمل به . وأصله هو (ن/ت/ق) ، وليس (أ/م/ر) . فلو رجع إليه لوجد ما خطّأه هو الصَّحيح ، وما توهّمه صحيحاً هو الخطأ بعينه .

وفي « تهذيب اللغة » الذي اعتمد عليه الناقد في نقله ذاك ، ٦٢/٩ : « وأَنْتَقَ : صام ناتِقاً ، وهو شهر رمضان » .

ولن يجد أحد في معاجم اللغة « فاتقاً » بالفاء اسماً قديماً لشهر رمضانَ في دهر « عاد » ، ولو نقّب عنه في الدّواوين دهراً سرمداً . ولا أثقل هذه الكلمة برواية نصوص المعاجم — وهي عشرات ، وفيها تفصيلٌ أمَدّ ممّا في « تهذيب اللغة » — فإنّها من كل يد على طَرَفِ الثُّمام .

وتحيّتي للسيد الأستاذ برهان صدقي ، وتقديري لحبّه وإخلاصه للغة « الفُرقان » .

بغداد **محمد بهجة الأثري**

تحقيقات لغوية

السمسرة والسمسار في اللغة والقانون

كان السيد وزير التموين والتجارة الداخلية بعث إلى مجمع اللغة العربية بكتاب مؤرخ في ١٩٧٤/٨/٢٧ يطلب فيه بيان الرأي في عربية كلمتي « سمسرة وسمسار » وما إذا كان مفيداً استبدالهما في نصوص قانون التجارة تلبية لملتمس بعض التجار، أو غير مفيد.

وأحيل الكتاب إلى الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع، فأجاب عليه ببحث أبلغ الى السيد الوزير. وفيما يلي نص الجواب:

الأستاذ الرئيس

تضمن كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية عدداً من المسائل تمكن الإجابة عليها في البنود التالية:

أولاً: مدى صحة استعمال لفظتي سمسار وسمسرة لغويا

السمسار: كلمة معجمية (مؤنثها بهاء، وتجمع على سماسرة، الفعل منها: سمسر، والمصدر: السمسرة، ويطلق على الحرفة وعلى مقابل الأتعاب فيها)، وردت في الأمهات، ولم يغفلها إلا الصغير من المعجمات أو المترمت منها[1]، كما أثبتها « المعجم الوسيط » معجم مجمع اللغة العربية.

(١) أغفل كل من الجوهري في صحاحه وابن فارس في مقاييسه كلمة سمسار في مادتها، ولكن الأول ذكرها في مادة سفر.

إن الكلمة في أصلها معربة قديماً عن لفظة « سيب سار » الفارسية ، ويقول علماء في اللغات القديمة إنها موجودة في اللغة الآرامية ، وقد شاعت بين العرب ووردت في الشعر الجاهلي ، قال الأعشى :

فأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها

إن كلمة « سمسار » في معاجم اللغة تدلّ على : « ذلك الذي يتوسط بين البائع والمشتري لإمضاء البيع » ويطلق كثير من الناس على السمسار اسم « الدلاّل » وفي المعجم الوسيط : « سمسر فلان : توسط بين البائع والمشتري بجُعْل . والسمسار : الوسيط بين البائع والمشتري لتسهيل الصفقة » .

هذا وللفظة « سمسار » في المعجمات معان أخرى تدور حول معناها الأصلي نفسه ، وأهم هذه المعاني إطلاقها على من يبيع البرّ للناس ، يجلبه من بلاده ويبيعه لمن يحتاج إليه في الحضر أو البدو ، وجاء في حديث قيس بن أبي عروة : « كنا قوماً نسمى السماسرة بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ ، فسمانا التجار » كما جاء عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، أنه سئل عن معنى الحديث : « لا يبعْ حاضرٌ لبادٍ » فقال : « لا يكون له سمساراً » وعلق الفقهاء على هذا : أن المنهي عنه : أن يأتي البدوي البلدة ومعه قوت يبغي التسارع في بيعه ، فيقول له الحضريّ : اتركه عندي لأغالي لك في ثمنه .

ومن معاني كلمة « سمسار » معنى مجازي ، أشارت إليه المعجمات العربية ، وهو المعنى نفسه الذي أشار إليه كتاب وزير التموين والتجارة الداخلية وإلى أن التجار إنما ينفرون من كلمتي « سمسار وسمسرة » بسببه، مما حملهم على المطالبة بإيجاد كلمتين عربيتين تحلان محلهما على أن يتم ذلك بتعديل النصوص القانونية النافذة .

ثانياً : الكلمات العربية التي تؤدي معنى « السمسار »

إن انتشار كلمة سمسار وشيوعها في مختلف الأقطار العربية ، دليل على أن العرب أحبوا جرس ما عربوه ففضلوه على الكلمات الأخرى التي تؤدي المعنى نفسه ولو كانت عربيتها أصيلة ، ولهذا ضعف استعمالها أو غلبت عليها معان أخرى ، ومن هذه الكلمات :

١ ـ الدلّال ، وهي كلمة عربية أصيلة أطلقها العرب على من يجمع بين البَيِّعَيْن ، يدل المشتري على السلع ويدل البائع على الأثمان ، والكلمة منتشرة وشائعة ذكرها عنترة العبسي فقال :

حصاني كان دلّال المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا

والاسم من اللفظة الدَّلالة بالفتح وتطلق على حرفة الدلّال ، وبالكسر على الجعْل المعين له .

وفي العصور الحديثة أي منذ الزمن الذي عرفت فيه البلاد العربية ما يسمى بالقوانين التجارية ، اكتسبت كلمة « الدلال » معنى مولداً لم يرد في المعجمات القديمة ، ذكره المعجم الوسيط في معاني الكلمة فقال : « الدلاّل : من ينادي على السلعة لتباع بالمارسة (مو) » وهو معنى شائع ومعروف في القطر العربي السوري وغيره من الأقطار العربية .

٢ ـ السفسير بالكسر : كلمة معجمية وردت في أمهات المعاجم بمعنى « الدلّال » قال الأزهري إنها معربة عن الفارسية ، وادعى بعضهم أنها معربة عن كلمة (سيب سار) نفسها التي عربت بصيغة « سمسار » وقال صاحب الألفاظ الفارسية : « يحتمل أن يكون أصل الكلمة آراميا ، مأخوذاً من فعل له معني فتل

ودار » أما صاحب الألفاظ السريانية فيقول : إن الكلمة سريانية وهي فيها sapsiro ومعناها سمسار وأصلها من فعل بمعنى ساوم .

إن للكلمة عدة معان على ما ذكر في المعجمات أهمها أنها ترادف كلمة « سمسار » وبه فسر الأصمعي قول النابغة :

وقارفتْ وهي لم تجربْ وباع لها من الفصافص بالنُّمِّيِّ سفسير

قال : باع لها واشترى لها سفسير يعني السمسار ، كذا في التهذيب والصحاح ، وعزا ابن سيده هذا البيت إلى أوس ابن حجر .

٣ — الوسيط : وهي كلمة عامة ففي مادة « وسط » : وسط الشيء وتوسطه صار في وسطه ، ووسط الشيء : ما بين طرفيه ، ويقال : هو وسيط فيهم ، والوسيط : الأوسط والمتوسط بين أي طرفين متناظرين أو متناقضين ، وبين المتخاصمين : الساعي لمصالحتها ، وبين البيعين : العامل على إمضاء البيع .

ثالثاً : ما تردده المعجمات الثنائية اللغة

إن جميع المعاجم الثنائية اللغة ، العربية مع الفرنسية أو الإنكليزية ، تردد في مقابل كلمتي courtage الفرنسية و broking الإنكليزية كلمات : السمسرة والوساطة والدلالة ، وبعضها يضيف : « العمولة أو عمولة السمسار » وكذلك تردد في مقابل كلمتي courtier الفرنسية و broker الإنكليزية كلمات : سمسار ووسيط ودلاّل .

رابعاً : شيوع كلمتي سمسار وسمسرة في كثير من الأقطار العربية

عرفت الأقطـــار العثمانية كلمتي « سمسار وسمسرة » مصطلحين من

مصطلحات القانون التجاري مذ وضع العثمانيون سنة ١٢٦٦ هجرية « قانون التجارة العثماني » مقتبساً من نصوص تجارية أجنبية ، وشاعت اللفظتان في كتب القانون وفي قرارات المحاكم ولا سيما بعد أن صـدر في ٢٦ أيلول سنة ١٣٠٤ رومية « نظام الدلالين والسماسرة » وترجم إلى العربية وأخذت محاكم الأقطار العربية تطبقه في المنازعات التي تدور حول أحكامه .

خامساً :اختلاف مفهوم كلمتي سمسرة وسمسار عن الأعمال الأخرى في النصوص القانونية

لقد تكفلت نصوص القانون التجاري بتنظيم الشؤون القانونية لكل من يتعاطى أعمالاً ملحقة بالأعمال التجارية ، كمن يقوم بأعمال البيع والشراء لحسابه الشخصي ، أو كالموظف الذي يقوم باجتذاب العملاء والتفتيش عنهم ، أو كمن يعمل في التوسط بين طرفين لحساب أحدهما ، أوكالوكيل بجعل ؛ مما يؤيد رأي وزير التموين والتجارة الداخلية بعدم صحة استبدال أي اسم قانوني لأحد هؤلاء العاملين في الحقل التجاري بكلمة سمسار أو دلاّل .

سادساً : إعلان السماسرة عن أنفسهم

إن أكثر من يشتغل بالسمسرة يعلن عن نفسه بأنه « وسيط تجاري أو عقاري » مبتعداً عن لفظة « سمسار » ومثل هذا الإعلان لا يجافي القانون ما دامت نفوس السماسرة والتجار تطمئن إليه لأن النصوص القانونية النافذة تقره ، فقد نصت المادة الأولى من نظام الدلالين والسماسرة العثماني على أن كلمة « دلال أو سمسار » إنما تطلق على الواسطة فيما يجري بين البائع والمشتري من الأخذ والعطاء ، بينما عرفت المادة ٣٨٦ من قانون التجارة السوري السمسار بـ « الذي يكون وسيطاً » كما قضت أحكام المادة ٣٩٠ من هذا القانون بأن « للسمسار أن يتوسط في أي بيع أو شراء » ، أما المادة ٣٩١ فقد أشارت إلى : « البيوع التي تتم بواسطة السمسار » وأخيراً

فإن المادة ٣٩٢ من القانون المذكور أطلقت على هذه البيوع اسم : « عمليات التوسط والسمسرة » .

سابعاً : خلاصة البحث

من هذا العرض الموجز لما في المعجمات العربية ، وللأحكام القانونية ، لا أرى مسوغاً لاستبدال أي كلمة بلفظة « سمسار » ولو كانت تؤدي المعنى نفسه لأن تعديل النصوص القانونية سوف لا يقضي على شيوع لفظتي « سمسار وسمسرة » من جهة ، ولأن مثل هذا التعديل يفرد القطر العربي السوري بمصطلح تجاري يبتعد به عن أشقائه في الأقطار الأخرى ؛ ولمن يأنف من استعمال كلمة « سمسار » أن يستعمل كلمة « وسيط » بترخيص من القانون على ما أشرت إليه آنفاً .

نائب رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور عدنان الخطيب .

ندوة اتحاد المجامع العربية

لتوحيد مصطلحات النفط (البترول)

أقام اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في مدينة بغداد ثاني ندواته لتوحيد المصطلحات وذلك خلال المدة الواقعة بين ٢٦-٣٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٤م.

واشترك في الندوة ممثلون وخبراء من المجامع العربية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد ، كما اشترك فيها ممثلون عن شركة نفط العراق وممثل عن جامعة الكويت .

وعقدت الندوة جلساتها في مبنى المجمع العلمي العراقي ، وكانت الجلسات متواصلة أنجزت خلالها دراسة المصطلحات التي كان اتحاد المجامع قد جمعها وعدلت الكثير منها وأقرت ما لم تعدله ، وسيعمد اتحاد المجامع إلى طبع المصطلحات التي أقرت في الندوة تمهيداً لتوزيعها على المهتمين والمختصين بشؤون النفط في مختلف الأقطار العربية .

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية بمناسبة ندوة بغداد لمصطلحات النفط (البترول) جلسة في بغداد بتاريخ ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٤ تدارس خلالها شؤون الاتحاد وموضوع الندوة الجديدة التي يزمع عقدها في عام ١٩٧٥ ، وستخصص لبحث شؤون هامة تتصل بالدفاع عن اللغة العربية .

تقرير عن أعمال المجمع

خلال الدورة السابقة

١ ـ مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته الماضية ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م خمس عشرة جلسة ، بحث المجمع فيها عدة شؤون مجمعية في طليعتها النظر في أعمال اللجان الفرعية التي ألفت لدراسة معاجم مكتب التعريب الستة (الحيوان والنبات والفيزياء والكيمياء والرياضيات والجيولوجية) إلى جانب ماأرسله مجمع اللغة العربية في القاهرة من مصطلحات النفط (البترول) (جيولوجيا البترول وكيمياء البترول) ، فأقر من ذلك كله ما أقر وعدل ما عدل .

٢ ـ اللجنة الإدارية :

انضم إلى هذه اللجنة الأستاذ المهندس وجيه السمان بعد أن تم انتخابه في جلسة مجلس المجمع بتاريخ ١٩٧٤/١/١٠ لمدة أربع سنوات .

٣ ـ لجنة المجلة والمطبوعات :

جدد المجلس انتخاب الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار لعضوية هذه اللجنة لمدة أربع سنوات وذلك في جلسته التي عقدها في ١٩٧٤/١/١٠

٤ ـ لجنة المخطوطات وإحياء التراث :

تم تأليف هذه اللجنة بقرار من رئيس المجمع بتاريخ ١٩٧٣/٩/١٨ من السادة الأساتذة : الدكتور شكري فيصل (المقرر) والدكتور كامل عياد والأستاذ عبد الهادي هاشم ، وبدأت اجتماعاتها في ١٩٧٤/١/٨ . وعقدت في الدورة الماضية عشرين اجتماعاً تدارست فيها أمر الكتب التالية :

١ ـ نضرة الاغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني . تحقيق الدكتورة نُهى عارف الحسن .

٢ ـ الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات ، أو أدب القضاء ، لابن أبي الدم الحموي . تحقيق الدكتور محمد مصطفى الزحيلي .

٣ ـ مخطوطات الفقه الحنفي في دار الكتب الظاهرية . وضع السيد مطيع الحافظ .

٤ ـ تاريخ المنصوري . تحقيق الدكتور أبو العيد دودو .

٥ ـ مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق الأستاذ ياسين السواس .

٦ ـ تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للحافظ العلائي الشافعي . تحقيق الدكتور إبراهيم السلقيني .

٧ ـ الممتّع للحسين بن علي النمري . تحقيق السيدة وجيهة السطل .

٨ ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي . تحقيق الأستاذ أحمد محمد خراط .

واللجنة آخذة بتأصيل تقاليدها في العمل ، وقد أقرت من خلال الممارسة والتجربة مبادىء عامة تشترطها في نشر المحقق من تراثنا .

٥ ـ مطبوعات المجمع :

أ ـ المجلة : لقد أتمت المجلة بانتهاء عام ١٩٧٤ المجلد التاسع والأربعين ، وهي دائبة على التزام المنهج الذي تسير عليه من حرص على أصالة البحوث وتنوّع الموضوعات .

ب ـ الكتب التي نشرها المجمع :

١ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (اللغة) وضع السيدة أسماء الحمصي .

٢ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (النحو) وضع السيدة أسماء الحمصي .

٣ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ) الجزء الثاني وضعه الأستاذ خالد الريان .

٤ ـ شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثاني تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح

٥ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها الجزء الأول تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان .

٦ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها ، الجزء الثاني . تحقيق الدكتور محي الدين رمضان .

٧ ـ المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة . وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

٨ ـ ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي . جمع وتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي

٩ ـ الأمثال لأبي عكرمة الضبي . تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب .

١٠ ـ شرح ديوان ذي الرمة الجزء الثالث تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح

أما الكتب التي تم طبعها وتوشك على الصدور فهي :

١ ـ الاختيارين للأخفش الأصغر . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة .

٢ ـ مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الجزء الأول والثاني. تحقيق الأستاذ ياسين السواس .

٣ ـ ديوان الأبيوردي الجزء الأول . تحقيق الدكتور عمر الأسعد .

ومن المتوقع أن ينتهي خلال الأشهر الثلاثة التالية الكتابان التاليان :

١ ـ المحمدون من الشعراء للقفطي . تحقيق الأستاذ رياض مراد .

٢ ـ ديوان طرفة بن العبد تحقيق الأستاذ لطفي الصقال والسيدة درية الخطيب.

حـ ـ الكتب المتوقع نشرها في العام المقبل :

ومن بين الكتب التي ينتظر أن تصدر خلال العام المقبل ما أنجزت لجنة التراث النظر فيه مما ألمعنا إليه في الحديث عن عمل اللجنة ومنها ما لم تفرغ اللجنة من النظر فيه . ومن ذلك :

١ ـ الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري . تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي

٢ ـ شرح أبيات كتاب سيبويه لابن السيرافي ت ٣٨٥ هـ . تحقيـــق الدكتور محمد علي سلطاني .

٣ ـ التعازي والمراثي المبرد . تحقيق الأستاذ محمد الديباجي (أستاذ في كلية الآداب ـ فاس ـ المغرب) .

٤ ـ إعراب الحديث لأبي البقاء العكبري . تحقيق الأستاذ عبدالإله نبهان .

٦ ـ العمل الاداري في المجمع :

صدرت خلال الدورة المنصرمة طائفة من المراسيم عن رئاسة الجمهورية وقرارات عن السيد وزير التعليم العالي ورئيس المجمع تتناول بعض الوظائف والموظفين وتستهدف دعم العمل الاداري وسد الحاجة إلى الموظفين .

٧ ـ مشاركات المجمع العلمية داخل القطر :

١ ـ شارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح والأستاذ الزميل ميشيل الخوري في اللجنة المؤلفة للاحتفال بالذكرى الألفيـة لمولد البيروني الذي أقامه المجلس الأعلى للعلوم خلال اسبوع العـلم الرابع عشر (تشرين الثاني ١٩٧٤) وقد قدم الدكتور الخوري لهـذا الاحتفال ترجمة عن الانـكليزية لمقال ا . س كندي عن « البيروني في قامـوس العلماء » ونشر في الكتاب التمهيدي الذي أصدره المجلس عن البيروني .

٢ ـ شارك الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ممثلاً المجمع ، في اللجنة التي شكلت في المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، للاحتفال الذي أقيم بمناسبة ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة أبي الفداء صاحب حماة . وقد أبدى المجمع استعداده لطبع كل ما ترى اللجنة طبعه من آثار أبي الفداء . ويتولى الأستاذ الدكتور كامل عياد الاهتمام بذلك ومتابعته .

٨ ـ نشاط المجمع خارج القطر :

١ ـ صدر عن اتحاد المجامع مجموعة من مصطلحات النفط (البترول) تحت عنوان « مصطلحات بترولية ـ جيولوجيا وكيمياء » . وقد بحث مجمعنا في هذه المصطلحات التي شكل من أجلها لجنتين نظرتا فيها وعرضتا ما أنجزتاه على المجلس ، واشترك في ندوة بغداد من أجل مصطلحات النفط رئيس المجمع ونائب الرئيس والأستاذ المهندس وجيه السمان بالإضافة إلى بعض الخبراء في اللجنتين المذكورتين .

٢ ـ شارك الأستاذ الرئيس في حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين الذي أقامه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مساء ٢٦/ ١٢/ ١٩٧٣) وألقى كلمة المجمع التي نشرت في المجلة (ج ١ م ٤٩ ص ١٩٥) .

٣ ـ شارك الأستاذ الرئيس كذلك في اجتماع لجنة توحيد المصطلحات الطبية بدعوة من أمانة اتحاد الأطباء العرب مرتين الأولى في بغداد خمسة أيام (١٩٧٣/١٢/٧) ، والثانية في الكويت بين (٨/٣ — ١٩٧٤/٣/١٤) وقد أنجزت اللجنة المعجم الطبي الموحد الذي صدر في بغداد .

٤ ـ شارك الأستاذان الدكتور حسني سبح والدكتور عدنان الخطيب

في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الأربعين في الأيام بين ٢٥ شباط و ١١ آذار ١٩٧٤ وقد نشر تقريرهما في مجلة المجمع (ج ٢ م ٤٩ ص ٤٤٤) .

٥ – شارك الزميلان الأستاذ المهندس وجيه السمان والدكتور شكري فيصل في الوفد السوري إلى مؤتمر التعريب في الجزائر في الأيـام (١٢ – ١٩٧٣/١٢/٢٠) وهو المؤتمر الذي تم فيـه إقرار المعاجم الستة للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العـام في مواد الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات والرياضيات والجيولوجيا .

وقد نشرت المجلة (ج ١ م ٤٩) أخبار المؤتمر ووثائقه .

٩ – أعضاء المجمع :

١ – انتخاب نائب رئيس المجمع .

انتخب المجمع في جلسته السادسة (٩٧٣/١٢/٦) الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائباً لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك قرار السيد وزير التعليم العالي ذو الرقم ٧٥٩ تاريخ ١٩٧٣/١٢/٣٠ .

٢ الأعضاء العاملون :

انتخب المجمع في جلسته السابعة (١٩٧٤/١/١٠) الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة ، أستـاذ كرسي الفيزياء النووية ورئيس جامعة دمشق ، عضواً عاملًا .

٣ – الأعضاء المراسلون :

تدارس المجمع في جلسات متفرقات اختيار بعض الأعضـاء المراسلين من أقطار مختلفة وسيوالي في هذه الدورة دراسة الموضوع .

٤ – الأعضاء الراحلون :

فقدت العربية أبرز كتابها المعاصرين ، عميد الأدب العربي عضو مجمع دمشق ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ورئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين .

وكذلك فقد المجمع في دمشق من أعضائـه المراسلين الأساتذة الطيبي الذكر : محمد الطاهر بن عاشور « تونس » ، وعلال الفاسي « المغرب » وكمال إبراهيم « العراق » .

١٠ – مكتبة المجمع :

يتابع المجمع تغذية مكتبته بالكتب الجديدة شراءً واستهداءً .

ومضى العمل في مكتبة المجمع في اتجاهين : الكتب والمجلات :

١ – أما عن الكتب ، فقد تمّ جرد المكتبة ، وإعداد قوائم بنواقصها . ولا بدّ من تغذية المكتبة بالكتب الجديدة التي هي مظنة حاجة المجمعين ، ولا بد من الحرص على الأجزاء التي يتتابع صدورها ، من كتب كانت طبعت من قبل .

وقد بلغ عدد الكتب التي دخلت في الدورة الماضية مكتبة المجمع / ٧٨٠ / كتاباً . وانصرف القائمون على المكتبة بعد الجرد إلى عمل فهرسين اثنين أحدهما بأسماء الكتب والآخر بأسماء المؤلفين .

وقد تم اعداد فهرس أسماء الكتب على البطاقات . ويبدأ العمل في فهرس أسماء المؤلفين .

٢ – وأما عن المجلات فقد كان قدر طيب من الاهتمام منصباً على تنظيم هذه الأكداس الكثيرة منها . وقد أنجز بعض التنظيم لها – بقدر ما أتاحت الوسائل وتيسر من الوقت .

١١ - دار الكتب الظاهرية :

١ — دائرة المطبوعات :

عدد مقتنيات دار الكتب الظاهرية من الكتب المطبوعة هذا العام ١٦٣٠ كتاب : العربية منها ١٢٨٧ كتاب، أكثرها إهداء ، والمشترى منها ٤٤٨ ، والأجنبية ٣٤٣ كتاب .

أما المجلات والدوريات فقد اقتنت الظاهرية منها ٥١٣ عدد منها ٣٣٢ للمجلات العربية و ١٨١ للمجلات الأجنبية .

٢ — دائرة المخطوطات :

تم شراء ٣٢٦ مخطوط قيم و ٧٩ رسالة ، كانت كلها في مكتبة المرحوم الأستاذ الشيخ عبد المحسن الاسطواني .

ولا نزال نتابع مع وزارة التعليم العالي تحقيق المشروع الذي يهدف إلى استكمال حاجة الظاهرية من الأجهزة الفنية والمنح التدريبية .

٣ — الرواد :

بلغ عدد رواد الظاهرية خلال هذه الفترة ١٨٩١٣

٤ — الدوام :

طبق الدوام الكامل منذ أشهر ، فأصبح دوام الظاهرية يمتد بين الثامنة صباحاً والثامنة مساء ، ويتولى موظفون من الظاهرية والمجمع التعاون على ذلك لقاء تعويضات إضافية .

٥ — البناء في الظاهرية :

في التقرير السابق إشارة إلى المبلغ الذي أضيف إلى الموازنة - وهو ستون ألفاً - لمتابعة إصلاح البناء في الظاهرية ، وإلى تحويل هذا المبلغ للهيئة العامة للأبنية المدرسية كي تتولى التنفيذ والإشراف والإنفاق .

وقد أنجزت الهيئة تجديد الجناح الشمالى الغربي من بناء الظاهرية .

وفي الجناح الشمالي قاعتان واسعتان : العليا منها أعدت للباحثـــين وزودت بالمصادر والمراجع الأساسية وأطلق عليها اسم المرحوم الشيخ طاهر الجزائري مؤسس دار الكتب الظاهرية . ويرتادها اليوم عدد من العلمـاء والباحثين وطلاب الدراسات العليا ، ونرجو أن يوضع نظام خاص لارتيادها وشروط لروادها ، تحقيقاً للغاية الأساسية من إنشائها .

وتتتابـع أعمال الإصلاح في الظاهرية ، وقد وكل الى المديرية العامة للآثار والمتاحف ترميم قاعة الملك الظاهر وقبته وإصلاح الساحات الأثرية وإعادة صقلها وتبليط باحة الدار ومدخلها الرئيسي . وقد بدأ العم ل في ذلك في الشهر الثامن من هذا العام ويتوقع أن ينتهي بعضه مع نهاية العام الحالي ، وأن يرجأ بعضه (التبليط وإصلاح المدخل) الى العام المقبل .

هذا ومن المأمول أن تتم تدفئة الظاهرية تدفئة مركزية في السنة المقبلة .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م

الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
١ ــ الدكتور حسني سبح (رئيس المجمع)	١٩٤٦
٢ ــ 〃 أسعد الحكيم	١٩٢٣
٣ ــ الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٢٣
٤ ــ الأستاذ عارف النكدي	١٩٢٣
٥ ــ الأستاذ شفيق جبري	١٩٢٦
٦ ــ الدكتور جميل صليبا	١٩٤٢
٧ ــ 〃 حكمة هاشم	١٩٥٢
٨ ــ 〃 محمد كامل عياد	١٩٥٨
٩ ــ الدكتور عدنان الخطيب (نائب الرئيس)	١٩٦٠
١٠ ــ 〃 أمجد طرابلسي	١٩٦١
١١ ــ 〃 شكري فيصل (أمين المجمع)	١٩٦١
١٢ ــ الأستاذ محمد المبارك	١٩٦١
١٣ ــ الأستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
١٤ ــ الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
١٥ ــ الدكتور ميشيل خوري	١٩٧١
١٦ ــ 〃 شاكر الفحام	١٩٧١

الأعضاء المراسلون في الأقطار العربية (١)

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩

جمهورية تونس :

الأستاذ عثمان الكعاك ١٩٦٧

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

المملكة العربية السعوديه :

الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٣٠

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

الجمهورية العربية السورية :

الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) ١٩٤٥

〃 عمر أبو ريشة ١٩٤٨

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

---

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي ، والأسماء حسب الترتيب الزمني .

الجمهورية العراقية :

الشيخ محمد بهجة الأثري ١٩٣١

الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨

« كوركيس عواد ١٩٤٨

البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٦٦

الأستاذ ناجي معروف ١٩٦٩

« محمود شيت خطاب ١٩٦٩

الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩

فلسطين :

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية :

الأستاذ أنيس المقدسي ١٩٤٥

الدكتور صبحي المحمصاني ١٩٤٨

الدكتور عمر فروخ ١٩٤٨

الأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٦٦

« أمين نخلة ١٩٦٦

الدكتور فريد الحداد ١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية :

الأستاذ علي الفقيه حسن ١٩٥٧

جمهورية مصر العربية :

الدكتور أحمد زكي ١٩٤٨

الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٧٢

« محمد عبد الغني حسن ١٩٧٢

المملكة المغربية :

الأستاذ عبد الله كنون ١٩٥٦

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

اسبانية :

الأستاذ غومز (اميليو غارسيا) ١٩٤٨

إيران :

الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧

ايطالية :

الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨

باكستان :

الأستاذ عبدالعزيزالميمني الراجكوتي ١٩٢٨

الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥

« محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦

البرازيل :

الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧
(الشاعر القروي)

الدانيمرك :

الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٢١

السويد :

الأستاذ ديدرنغ (س) ١٩٥٦

فرنسة :

الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١

الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٤٢

فنلاندة :

الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن) ١٩٢٣

المجر :

الدكتور عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦

النمسة :

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨

الدكتور اشتواز (كارل) ١٩٥٤

الهند :

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦

" أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧

الولايات المتحدة الأمريكية :

الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

ا – الأعضـــاء العاملون

	تاريخ الوفاة
١ ـ الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
٢ ـ الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
٣ ـ الشيخ سليم البخاري	١٩٢٨
٤ ـ الشيخ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
٥ ـ الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
٦ ـ 〃 سليم عنحوري	١٩٣٣
٧ ـ 〃 متري قندلفت	١٩٣٤
٨ ـ الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
٩ ـ الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
١٠ ـ الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
١١ ـ الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
١٢ ـ الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
١٣ ـ الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
١٤ ـ الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
١٥ ـ 〃 معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
١٦ ـ الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
١٧ ـ السيد محسن الأمين	١٩٥٢

	(تاريخ الوفاة)
١٨ ـ الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع)	١٩٥٣
١٩ ـ الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
٢٠ ـ 〃 محمد البزم	١٩٥٥
٢١ ـ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	١٩٥٦
٢٢ ـ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
٢٣ ـ 〃 خليل مردم بك (رئيس المجمع)	١٩٥٩
٢٤ ـ الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
٢٥ ـ الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
٢٦ ـ 〃 عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)	١٩٦٦
٢٧ ـ الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي (رئيس المجمع)	١٩٦٨
٢٨ ـ الأستاذ الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)	١٩٧٠
٢٩ ـ الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
٣٠ 〃 محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢

* * *

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون من الاقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية :
الأستاذ محمد الشريقي
الجمهورية التونسية :
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
« محمد الفاضل بن عاشور
« محمد الطاهر بن عاشور
الجمهورية الجزائرية :
الشيخ محمد بن أبي شنب
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي
جمهورية السودان :
الشيخ محمد نور الحسن
الجمهورية العربية السورية :
الأستاذ جميل العظم
الأب جرجس شلحت
الأب جرجس منش
الأستاذ قسطاكي الحمصي
الشيخ كامل الغزي
الأستاذ ميخائيل الصقال
الشيخ بدر الدين النعساني
« راغب الطباخ
« عبد الحميد الجابري
« عبد الحميد الكيالي
« محمد زين العابدين
الدكتور صالح قنباز
الشيخ سليمان الاحمد
الأستاذ ادوار مرقص
الشيخ سعيد العرفي
البطريرك ماراغناطيوس أفرام
الأستاذ نظير زيتون
الدكتور عبد الرحمن الكيالي
الجمهورية العراقية :
الأستاذ محمود شكري الآلوسي
« جميل صدقي الزهاوي
« معروف الرصافي
« طه الراوي
الأب أنسطاس ماري الكرملي
الدكتور داود الجلبي
الأستاذ طه الهاشمي
« محمد رضا الشبيبي
« ساطع الحصري
« منير القاضي
الدكتور مصطفى جواد
الأستاذ عباس العزاوي
الشيخ كاظم الدجيلي
فلسطين :
الاستاذ نخلة زريق
الشيخ خليل الخالدي

الأستاذ عبد الله مخلص
« محمد إسعاف النشاشيبي
« عادل زعيتر
الأب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
الأستاذ قدري حافظ طوقان

لبنان :

الأستاذ حسن بيهم
الأب لويس شيخو
الشيخ عبد الله البستاني
الأستاذ جبر ضومط
« عبد الباسط فتح الله
الشيخ مصطفى الغلاييني
الأستاذ عمر الفاخوري
« بولص الخولي
« أمين الريحاني
الأمير شكيب أرسلان
الشيخ إبراهيم المنذر
الأستاذ جرجي يني
الشيخ أحمد رضا
الأستاذ فيليب طرازي
الشيخ فؤاد الخطيب
الدكتور نقولا فياض
الشيخ سليمان ظاهر
الأستاذ مارون عبود
« بشارة الخوري (الاخطل الصغير)

جمهورية مصر العربية :

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
« رفيق العظم
« أحمد كمال
« أحمد تيمور
« أحمد زكي باشا
الدكتور يعقوب صروف
السيد محمد رشيد رضا
الأستاذ حافظ إبراهيم
الأستاذ أحمد شوقي
الشيخ أحمد الإسكندري
الأستاذ أسعد خليل داغر
« داود بركات
الدكتور أمين المعلوف
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
الشيخ عبد العزيز البشري
الدكتور أحمد عيسى
الأمير عمر طوسون
الشيخ مصطفى عبد الرازق
الأستاذ أنطون الجميل
« خليل مطران
« إبراهيم عبد القادر المازني
« محمد لطفي جمعة
الدكتور أحمد أمين
الأستاذ عبد الحميد العبادي

الشيـخ محمد الخضر حسين
الدكتور عبد الوهاب عزام
« منصور فهمي
الأستاذ أحمد لطفي السيد
« عباس محمود العقاد
« خليل ثابت
الأمير يوسف كمال
الأستاذ أحمد حسن الزيات
الدكتور طه حسين

المملكة المغربية :

الأستاذ محمد الحجري
الأستاذ عبد الحي الكتاني
الأستاذ علال الفاسي

ج – الاعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الاخرى

الاتحاد السوفييتي :

الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
« برتلز (ايفيكين)

اسبانية :

الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

ألمانية :

الأستاذ هومل
« ساخاو (ادوارد)
« هردوفيتز (يوسف)
« هارتمان (مارتين)
« ميتفوخ (أوجين)
« بروكلمن (كارل)
« هارتمان (ريشارد)
الدكتور ريتر (هلموت)

إيران :

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
الأستاذ عباس إقبال

ايطالية :

الأستاذ جويدي (اغنازيو)
« نالينو (كارلو)
« غربفيني (اوجينيو)

البرازيل :

الأستاذ سعيد أبو جمرة

البرتغال :

الأستاذ لويس (دافيد)

بريطانية :

الأستاذ مرجليوث (د . س .)
« بفن
« براون (ادوارد)
« كرينكو (فريتز)
« غليوم (الفريد)
« أربري (أ . ج .)

الأستاذ جيب (هاملتون ا . ر .)

بولونية :

الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تركية :

الأستاذ زكي مغامز

« أحمد أتش

تشيكوسلوفاكية :

الأستاذ موزل (ألوا)

الدنيمرك :

الاستاذ بوهل (ف . م.ب .)

« استروب (ج .)

السويد :

الأستاذ سترستين (ك . ف .)

سويسرة :

الأستاذ مونته (ادوارد)

« هس (ج . ج .)

فرنسة :

الأستاذ فران (جبرائيل)

« هوار (كليمان)

« بوفا (لوسيان)

« مالنجو

« كي (ارتور)

الأستاذ باسه (رينه)

« ميشو (بلنّير)

« مارسيه (وليم)

« دوسو (رينه)

« ماسينيون (لويس)

« ماسيه (هنري)

الدكتور بلاشير (ريجيس)

المجر :

الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)

« ماهلر (ادوارد)

الهند :

الحكيم محمد أجمل خان

هولندة :

الأستاذ هورغرينه (سنوك)

« اوراندوك (ك .)

« هوتسما (م . ت .)

الدكتور شخت (يوسف)

الولايات المتحدة الأميركية :

الأستاذ ماكدونالد (د.ب .)

« هرزفلد (ارنست)

« سارطون (جورج)

الدكتور بيارد (ضودج)

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربيّة

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ابن درستويه	عبد الله الجبوري	بغداد ١٩٧٤
أرجوزة السيد خليل البصير	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٥
أشعار الترقيص عند العرب	» » »	» ١٩٧٠
البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن	عبد الواحد الزملكاني . تحقيق د. خديجة الحديثي و د . أحمد مطلوب	» ١٩٧٤
جلجامش في العالم السفلي	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٣
جوامع الموصل في مختلف العصور	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٣
الحكاية والإنسان	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٠
حنين بن إسحاق العبادي	سعيد الديوه جي	» ١٩٧٤
فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج (الجزء الأول)	عبد العزيز الرحبي. تحقيق د . أحمد عبيد الكبيسي	» ١٩٧٤
رقصات الخريف	يوسف أمين قصير	» ١٩٧٤
السري الرفاء	» » »	» ١٩٥٦

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الشروط الصغير (١ – ٢)	أبو جعفر أحمد الطحاوي. تحقيق روحي اوزجان	بغداد ١٩٧٤
على هامش كتاب العروة الوثقى	محمد حسن آل ياسين	« ١٩٧٤
فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد (١–٤)	عبد الله الجبوري	« ٩٧٣-١٩٧٤
مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل	سعيد الديوه جي	« ١٩٦٧
مدارس الموصل في العهد العثماني	« « «	« ١٩٦٤
ملحمة الموصل	فتح الله القادري الموصلي. تحقيق سعيد الديوه جي	« ١٩٦٥
الموصل أم الربيعين	سعيد الديوه جي	« ١٩٦٥
نحو الفعل	أحمد عبد الستار الجواري	« ١٩٧٤
نحو القرآن	« « « «	« ١٩٧٤
الحجاج بن يوسف (حياته وآراؤه السياسية)	إحسان صدقي العمد	بيروت ١٩٧٣
الشخصية الصهيونيـــة في الرواية الانكليزية	هاني الراهب	« ١٩٧٤
الصلح سيد الأحكام	حسن حمام	« ١٩٧١
مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية	سعدي أبو جيب	« ١٩٧٢
معجم الأخطاء الشائعة	محمد العدناني	« ١٩٧٣
نصوص الردة في تاريخ الطبري (نقد وتحليل)	محمد حسن آل ياسين	« ١٩٧٣

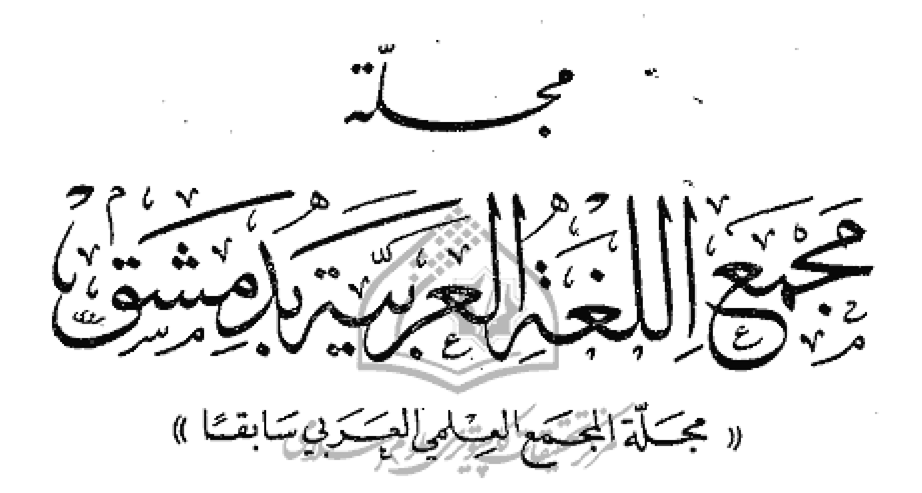
اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
بلوغ الأمل في فن الزجل	ابن حجة الحموي. تحقيق رضا محسن القريشي	دمشق ١٩٧٤
تاريخ الأدب العربي (الجزء الثالث)	ر. بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني	« ١٩٧٤
تقرير عن حالة الأمن العام	قيادة قوى الأمن الداخلي	« ١٩٧٢
« « « « «	« « « «	« ١٩٧٣
الحمامة البيضاء	دلال حاتم	« ١٩٧٤
فلسفة نيتشه	اويغن فنك ترجمة إلياس بديوي	« ١٩٧٤
القبلة من شفة السيف	خالد محيي الدين البرادعي	« ١٩٧٤
القطـــار	صلاح حافظ	« ١٩٧٤
الكليات (الجزء الأول)	أبو البقـــاء الكفوي . تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري	« ١٩٧٤
لويس دوبرويل والميكانيك التموجي	ماري انطوانيت تونيلا ترجمة محمد وائل الأتاسي	« ١٩٧٤
معارك تشرين	الإدارة السياسية	« ١٩٧٤
معجم العلوم الطبية (الجزء الأول)	لدكتور مرشد خاطر الدكتور أحمد حمدي الخياط نقحه وأتمه الدكتور محمد هيثم الخياط	« ١٩٧٤

اســـم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
نقد بوناجي غوطة وايرفورت	ماركس انجاز ترجمة صلاح مزهر	دمشق ١٩٧٤
وجوه آخر الليل	محسن يوسف	» ١٩٧٤
مسند الإمام الرضا (١-٢)	الإمام الرضا . تحقيق عبد العزيزالعطاردي الخبوشاني	طهران ١٣٩٢
القاموس التشريحي لاتيني (ألماني) - عـربي	انطون شاللر،عصام حسن قلا	فيينا ١٩٦٤
الزخارف الرخامية في الموصل	سعيد الديوه جي	القاهرة ١٩٦٣
مخطوطات خزانة سعيد الديوه جي	» » »	» ١٩٦٣
مصادر تاريخ اليمن في العصـــر الإسلامي	أيمن فؤاد السيد	» ١٩٧٤
النبـــات (القسم الثاني)	أبوحنيفة الدينوري	» ١٩٧٣
تجارة الموصل في اختلاف العصور	سعيد الديوه جي	الموصل ١٩٧٤
ترجمة الأوليـاء في الموصل الحدباء	أحمد بن الخياط . تحقيق سعيد الديوه جي	» ١٩٦٦
الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام	سعيد الديوه جي	» ١٩٥٥
دور العلاج والرعاية في الإسلام	سعيد الديوه جي	» ١٩٦٦
صدى الأعاصير	يوسف أمين القصير	» ١٩٥٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
عامر وأسمـــاء	يوسف أمين القصير	الموصل ١٩٥٤
عقائل قريش	سعيد الديوه جي	« ١٩٥٥
الفتوة في الإسلام	« « «	« ١٩٤٠
تراث كربلاء	سلمان هادي الطعمة	النجف ١٩٦٤

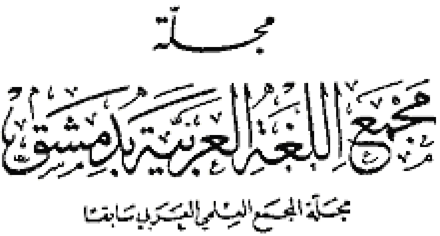
فهرس الجزء الأول من المجلد الخمسين

الجزء الثاني ٣٧٦ المجلد الخمسون





ربيع الأول ١٣٩٥ هـ
نيسان (ابريل) ١٩٧٥ م



ص . ب ٣٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار	١٢٠٠ قرش سوري
	أو ما يعادلها	جنيه وعشرة شلنات
	» »	ثلاثة دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

شقاوة الألفاظ وسعادتها

الأستاذ شفيق جبري

أرجع إلى أيام الصبا، أيام المدرسة، أذكر أن الطلاب كلهم كانوا يجلسون في قاعة عامة يهيئون مايفرض عليهم، وكان رئيس المدرسة ينظر إليهم من نوافذ القاعة، وهو يتجول في الممشى، بعضهم كان يكتب، وبعضهم كان يقرأ، وبعضهم كان يلهو بمعجم «لاروس» وتصاويره، فكان الرئيس يدوّن في خاطره مايعنّ له من الآراء في مراقبة الطلاب ثم يأتي في يوم من أيام الأسبوع ويلقي علينا في ربع ساعة نتائج مراقبته وأكثرها نصائح، من جملة ما قاله مرة: إني رأيت بعض الطلاب يفتحون معجم «لاروس» ويطيلون النظر فيه، فإذا كان همهم اللهو بالتصاوير، ففي ذلك ضياع الوقت، وإذا كان همهم النظر في مفردات اللغة والتدقيق في معانيها ففي ذلك فائدة كبيرة.

من ذلك الوقت نشأ لي ميل إلى مطالعة معجم من معجمات اللغة من حين إلى آخر، ثم اشتد بي هذا الميل لما قرأت مقالاً «لأناتول فرانس» في محتويات المعجمات، وأظن أني قد أشرت إلى هذه المحتويات في مواطن كثيرة، وهل عليّ من حرج إن لخّصت بعض هذه المحتويات في سطر واحد: إن معجمات اللغة فيها كل شيء، فيها أفراحنا وآلامنا وآمالنا، وفيها أفراح آبائنا وآلامهم وآمالهم. ليس هذا كل ماجاء في مقال «أناتول

فرانس » وقد قرأت لكاتب آخر مقالاً لخص فيه محتويات المعجمات في كلمة فقال : إن فيها تاريخ الأمة كلها .

إن كلام هذين الكاتبين واضح لايحتاج إلى تفسير ، فإن المفردات التي يشتمل عليها المعجم تصور لنا أخلاق الأمة ، وفلسفتها وعلمها وأدبها وفنونها ، فكل لفظة تدل على شيء يتعلق بناحية من نواحي الأمة ، لأن الألفاظ لاتوضع إلا للدلالة على الأشياء ، فقد نستطيع أن نعرف مابلغت إليه الأمة من الحضارة من مفردات المعجمات ، فالأمة التي تفقد شيئاً من كل ما تقدمت الإشارة إليه لانجد في معجمات لغتها اللفظ الدالّ على هذا الشيء ، وقد نقل الجاحظ في كتاب البخلاء حديثاً لطاهر الأسير الذي قال : ومما يدل على أن الروم أبخل الأمم أنك لاتجد للجود في لغتهم اسماً ، وإنما سمّى الناس مايحتاجون إلى استعماله .

فإذا كنت مولعاً بمطالعة معجمات اللغة من وقت إلى آخر فبعض هذا الولع ناشىء عما أظفر به في هذه المطالعة من معرفة مايتصل بشعور الأمة وذوقها ، بعلمها وأدبها ، بفلسفتها وأخلاقها ، بكل أفق من آفاقها .

إلا أن معجمات اللغة تدلنا على أشياء ثانية غير التي ذكرتها ، فقد خطرت ببالي في أثناء مروري ببعض ألفاظ اللغة خواطر يسيرة أحببت الإلماح إليها ، من هذه الخواطر شقاوة الألفاظ وسعادتها ، وهذا عنوان يبدو في صدر الأمر غريباً ، كيف تشقى الألفاظ وكيف تسعد ، ولكن لاغرابة في ذلك ، فإذا كانت اللغة كائناً حياً يجري عليها ما يجري على الأحياء فلماذا لاتشقى ولا تسعد ، فقد يكون أحد الناس غنياً في زمن من الأزمان ثم يصير إلى الفقر ، أو قد يكون فقيراً ثم يصير إلى الغنى ، وقد نجد في اللغة مثل ذلك ، ولعل ضرب الأمثال أشفى ، فمن الألفاظ

التي كانت شقية في زمنها ثم سعدت في زمننا هذا لفظة : الفنان ، ماذا نجد في اللغة ؟ نجد أن الفنان هو الحمار الوحشي له فنون في العدو .. ولسنا ندري متى ولدت هذه اللفظة لأننا لا نملك معجماً يدوّن تاريخ الألفاظ ، ولكن الذي نعلمه أن هذه اللفظة عاشت أحقاباً طويلة في لغتنا ولكنها عاشت في شقاوة ، فمن الذي كان يرضى أن يطلق عليه اسم الفنان ، أي الحمار الوحشي ، إنّ في هذا الإطلاق غاية التحقير ، أما في عصرنا فقد ذهبت عن لفظة الفنان شقاوتها وكتبت لها السعادة ، فلم يعد الفنان في عصرنا الحمار الوحشي له فنون في العدو ، ولكن الفنان في هذا اليوم صاحب غناء وتصوير ونحت فالفنانون جماعة معظّمون ، مكرّمون ، يكرمهم الناس وتكرمهم الحكومات وبعضهم يقلدون الأوسمة الرفيعة اعترافاً بعلوّ منزلتهم في فنهم ، فلا يتذمم أحد منهم من أن يقال له إنه فنان ، إنه يرى في هذا القول غاية التكريم . أفرأينا كيف أن هذه اللفظة شقيت في عصور طويلة ثم سعدت في عصرنا ، أفلا يحق لنا أن نؤمن بشقاوة الألفاظ وسعادتها .

وعلى العكس فإنا نجد أن بعض الألفاظ كانت سعيدة في أيامها ثم شقيت بعض الشيء في هذا الزمن ، من هذه الألفاظ : الجرثومة ، نجد في اللغة أن جرثومة الشيء أصله ، وقد يكون هذا الأصل شريفاً وقد يكون غير شريف ، فيقال : جرثومة الخير كما يقال جرثومة الشر ، إلا أنها غلب عليها في الماضي معنى الشرف ، ولم يغلب عليها في اللغة نفسها وإنما غلب عليها في الاستعمال ، فقد جاءت في بعض الشعر القديم على ما أذكر وإن كان لا يحضرني الآن هذا الشعر ، كما أنها جاءت في بعض النثر ، وفي كل المواطن كانت تدل على شيء من أصل العز والشرف ، أما اليوم فقد انحدرت عن منزلتها الرفيعة ، وإذا استثنينا علم الجراثيم في الطب

وقلنا في فلان إنه جرثومة فقد أردنا بقولنا إنه أصل كل أذى وفساد وشر، وما أظن أن أحداً من الناس يسره أن يقولوا فيه إنه جرثومة، فإذا كانت لفظة الفنان قد سعدت في عصرنا فإن لفظة الجرثومة قد شقيت بعض الشقاوة، ولا ندري كم تدوم سعادة الأولى، وكم تدوم شقاوة الثانية، فإن اللغة لا تثبت على وجه من الوجوه.

وإذا لم تكن لفظة الجرثومة تدل على الشرف في أصل معناها اللغوي وإنما جاءها هذا الشرف من استعمال بعض الشعراء والكتّاب لها في القديم وضاع شرفها في الحديث، فإن لفظة «العِلْق» كريمة في أصل اللغة، فالعلق بالكسر إنما هو النفيس من كل شيء، ولكن ماذا بقي من هذه النفاسة يومنا هذا، ولا سيما في لغة العامة، فإن العامة إذا قالت في فلان إنه علق فقد أرادت بهذا القول أسوأ الإهانة، فالعلق في لغتها مجرد من كل شيء يتصل بالرجولة، فهو كالمخنّث، فما في إطلاق هذه اللفظة على رجل من الناس شيء من المدح، وإنما فيه كل الذمّ. وهكذا نجد أن هذه اللفظة كتبت لها الشقاوة بعد تقلّبها في السعادة عصوراً مديدة.

وما تمرّ به بعض الألفاظ من الشقاوة والسعادة في عصورها تمرّ به بعض المصادر أيضاً، وأعني بقولي هذا أن الفعل قد يكون له كثير من المصادر، ولكن قد يغلب على هذه المصادر مصدر واحد أو مصدران فيشيع استعمال الغالب ويهمل المغلوب، فقد مررت عرضاً في خلال مطالعتي للقاموس المحيط بمادة: كال، يقال: كال الطعام كيلاً ومَكيلاً ومَكالاً، أفلا نرى أن مصدر الكيل غلب على أخويه: المكيل والمكال، فشاع استعماله في لغتنا حتى كاد المصدران الآخران يختفيان، ولا أعني

بقولي أنها غير صالحين ، وإنما أعني به أن استعمال الكثير غلب عليها .

فالذي يستنبط من كل ما تقدم أن مثل اللغة كمثل الأحياء في عالم الطبيعة ، فقد يجري عليها ما يجري على هذه الأحياء من مختلف القوانين مثل قانون تنازع البقاء ، والانتخاب الطبيعي ، وبقاء الأصلح و « التطور » ، وهي اللفظة التي ولّدها عصرنا .

« شفيق جبري »

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ.ل كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد
حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٧ -

الدكتور حسني سبح

وأرجح غُضرُوف[١] الأذن أو قُوفها[٢] كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وأُذَيْن ، وأرى أن لفظة صَوان أو صِوان كلمة فارسية ترجمة لـ (pavillon) ولم أطلع على دلالتها هذه في المعاجم الموثوق بها ولا في كتب الطب .

أما كِفاف فهو أحد أجزاء القُوف أو الغُضروف[٣] ، وأفضل أذين ترجمة لـ (auricule) بعد أن سبق للجنة أن ترجمت لفظة (oreillette) بأُذَيْنَة (اللفظة ٩٥٠٤) .

---

(١) في لسان العرب: الغُضْرُوف والغُرْضوف كل عظم ليّن رخص يؤكل . وفي المخصص : وفي الأذن الغُضْروف أو الغُرْضوف وهو فروعها ومعلّق الشَّنَف منها [illegible] ف غضروف الأذن وقيل هو ما لانَ عن شدّة الغُرْضوف [illegible] ديها الشَحْمة ، وهي ما لانَ من أسفلها وفيها مُعلّق القُرْط .

(٢) الصفحة ٤٨٦ من المجلد التاسع والعشرين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب :والكِفاف من الثوب مَوْضع الكف إلى أن قال:وكلّ مَضَمِ شيء كِفافه ومنه كِفاف الأذن والظِفر والدُبُر .

9936 Peau; tégument externe , revêtement cutané

٩٩٣٦ جِلْد ، لِحافٌ خَارِجي ، غِطاءٌ جِلْدي

وأرجح جِلْد ، غِشاء (خارجي) ، لِباس جِلْدي .

9937 peau épaisse , couenne

٩٩٣٧ جِلْدٌ كثيف

وأرجح جِلدٌ ثَخِين ، خَشِن

9938 peau lisse , glossy skin

٩٩٣٨ جِلْدٌ أمْلَسُ ، جِلْدٌ لمَّاع

وأرجحُ جِلْدٌ أملسُ ، جِلْدٌ لامِعٌ أوناعم

9940 Peccant, te

٩٩٤٠ فاسِد (خِلْط)

وغير صحي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١] .

9945 Pédéraste , homosexuel , uraniste , inverti

٩٩٤٥ لائِطٌ ، لُوطي ، أوراني

9946 Pédérastie, uranisne

٩٩٤٦ لِواطة ، أورانيّة

والصحيح في اللفظة الأولى لُوطي[٢] ولَوّاط وسَتِه ومَسْتُهان[٣] ومشتهي المماثل ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة . فقد جاء في ترجمة (homosexuality) اشتهاء المماثل ، وجاء في الشرح : اشتهاء الجنس نفسه وهو على نوعين : اللواط والمساحقة

---

(١) (unhealthy) .

(٢) في لسان العرب: لاطَ الرجلُ لِواطاً ولاوط أي عَمِل عَمَلَ قوم لوط ، ولاطَ الحوضَ بالطين لوطاً طيَّنه .

(٣) في لسان العرب : ورجلٌ سَتِه ملازم للأستاه . وفي تاج العروس: وسُتهان كعُثمان طالبها (أي الأست) أو الملازم لها كالستِه ككَتف .

(أقول والأخيرة لاتستعمل إلا في femal homosexuality).
وفي الثانية لِواط و لِواطَة وأورانية .

٩٩٥٠ مُعَنَّق ، مُسَوَّق
9950 Pédiculé , ée , pédiculisé , ée
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : عُنُقي ، وجاء في الشرح : صارَ ذا ساق .

٩٩٥١ عُنُق ، سُوَيْقة ، ساق
9951 Pédicule pédoncule , tige
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظتين الأولين بعُنُق وعُنَيْق .

٩٩٥٢ سُوَيْقةٌ رِئَويَّة
9952 pédicule pulmonaire
والأفضل جِذْر الرِئة (١) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي .

٩٩٥٣ سُوَيْقة بَطْنيَّة (مُضْغَة)
9953 pédicule abdominale
والجِسْم البطني والجِذْع البطني (أو الحَشَوى) وسُوَيقة اللفائفي(٢) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣) .

٩٩٥٤ عَنَّقَ
9954 Pédiculiser
وأفضل جَعَله أو صيَّره ذا عُنُق أو سُوَيْقة ، لأن امَنَّقَ معنى خاصاً (٤) .

(١) (root of the lung) .
(٢) الصفحة ٣١٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٣) (abdominal body belly stalk, pedicle of the allantois) .
(٤) في لسان العرب : والعَنَقُ طُول العُنُق وغِلَظُه، عَنِق عَنَقاً فهو أعنق والأنثى عَنْقاء بيِّنة العَنَق .

٩٩٥٥ عِنايَةٌ بالأقدام ، أقدامي 9955 Pédicure
والصحيح مُعالِج القَدَم أو الأقْدام، لأن اللفظة تعني مَنْ مِهْنَتهُ معالجة الأقدام والعناية بها .

٩٩٥٧ سُوَيْقي 9957 Pédonculaire
وعُنُقي أيضاً .

٩٩٥٨ سُوَيْقات مُخَيْخِيَّة 6058 Pédoncules cérébelleux
والسُوَيُقات الرَّنحية كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٩٩٥٩ سُوَيقاتٌ مُخِّيّة أو دِماغية 9959 pédoncules cérébreux
السُّويقات المُخية كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٩٩٦٠ مُؤَذٍ، مُحِطّ ، مُحَقِّر 9960 Péjoratif , ve
وأفضل مُسيء ، وقط

٩٩٦١ حاصّة، سَعْفَة ، بُقْعَة سَلِزْيَّة 9661 Pelade , area Celsi
سبق للجنة أن استعملت لفظة حاصّة ترجمة لـ (و alopécie)[1]
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مؤخراً ترجمة اللفظة الأخيرة بالمَعَط[2] (ثَعْلَبة) .

---

(١) الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لقد جاء تعريف المَعَط في الجزء الخامس عشر من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية في دورته الثامنة والثلاثين سنة ١٩٧١ إذ قال في ترجمة alopecia مَعَط (ثَعْلَبة) قصور في تكوين الشعر إما خلقي وإما مرضي .
وفي لسان العرب : ومَعَط السيفَ وامتعَطَه سلَّه وامتعَطَ رُمْحَه انتزعه ومعط شعرَه وجلدَه معطاً فهو أمعَط يقال رجل أمعَط أمرَط.

وأرى لفظة سَعفة(١) تدل دلالةقاطعة على ما يقابل لفظـة (alopécie) لذا أرى أن تخصص سَعْفة ترجمة لـ(alopécie) وأن تكون ترجمة (pelade) بالحاصّة أو المَرط(٢) أو المَعَط .

٩٩٦٧ دُوايَة ، طُهاوَة ، هِبْرِيَة — 9967 Pellicule

وأرجح دُوايَة، طُهاوة، غِشاء رقيق ، فلْم ،كما جاء في الترجمة الانكليزيـة من المعجـم الأصلي (٣) تاركاً الهِبْرِيَة ترجمـة للفظة التالية

9968 pellicules , furfures , écailles épidermiques de la peau,

٩٩٦٨ دُوايات ، نُخَالِيّات ، حَراشِف الجلد البَشَرية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (dandruff) التي وردت في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة في المعجم الأصلي، مع الألفاظ الأخرى(٤) أقر ترجمتها بالنُّبّاغة(٥) وجاء في الشرح :

---

(١) والسَّعفَة والسَّعَفَة قروح في رأس الصبي وقيل هي قروح تخرج بالرأس ولم يخص به رأس صبي ولا غيره ، وقال كراع هو داء يخرج بالرأس ولم يُعينه وقدسُعِف فهومَسْعوف، وقال أبو حاتم السَّعفه يقال لها داء الثعلب تورث القَرَع ، والثعالب يصيبها هذا الداء لذلك نسب اليها .

(٢) يراجع الهامش في الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (pellicle , film , thin membrane) .

(٤) (dandruff, dander, branny desquamation, scruf, furfur ; cutaneous scales) .

(٥) في لسان العرب : نَبَغ الدقيقُ من خصاص المُنخُل يَنْبُغ خـرج ، الى أن قال ويقال لِهِبْرِية الرأس نُباغَة ونُباغَتُه .

القِشْر المتكون على جلد الرأس ، وترجمة (bran) بالنُخَالة وجاء في الشرح : قشور من البشرة تشبه النُّخالة .
وأفضّل أن تكون ترجمة اللفظة : نُخاليات (furfures) قشُور بَشَرة الجِلْد ، النِّبَاغة والهِبْرية [١] وقِشر الجلد أو الرأس .

٩٧٦٩ الكُبَّة (بشكل) 9969 Pelote (en forme de)

وكُبَيْبى كما جاء في ترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢].

٩٩٧٢ فُقّاع 9972 Pemphigus

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الفُقّاعى وأراها أفضل .

٩٩٧٣ فُقّاع الوَليد الحاد 9973 pemphigus aigu du uouveau - né

٩٩٧٣ فُقَاع الوَليد 9973 pemphigus du nouveau - né

وأرجح فُقّاعي الوليد أو داء الفُقّاع الحاد في الوليد في الأولى ، وفُقّاعي الوليد أو داء الفُقّاع في الوليد في الثانية .

٩٩٧٤ فُقّاع مُتَحَسِّف 9974 pemphigus foliacé

وأرجح فُقّاعي أوراقي الشكل (نسبة الى وَرَق الشجر ، وتمييزاً من ورق الكتابة) وسبق للجنة أن ترجمت (foliacé) بورَقي الشكل أو مُورِق (اللفظة ٥٨٦٩) .

---

(١) في لسان العرب : والهِبْرِيّة والهُبارِيّة ماطار من الرّيش ونَحْوه والهِبْرية والابْرية والهُبارِيّة ما تعلق بأسفل الشعر مثل النُخالة من وَسَخ الرأس .

(٢) (glomerular) .

9975 Penchant, ante, enclin, ine, porté, ée

٩٩٧٥ مَيْـــل ، إتّجاه

وأرجح مَيْل ، إنحِناء

9977 Penché en arrière

٩٩٧٧ مائِل الى الوراء

وأفضل مُنْحَنٍ الى الوَراء أو الخَلْف

9978 Pendaison

٩٩٧٨ صَلْب

9979 Pendre (se)

٩٩٧٩ صَلَبَ نَفْسَه

وأرجح في اللفظة الأولى شَنْق وفي الثانية شَنَق نَفْسَه أو إنتحر شَنْقاً.

9980 Pendulaire

٩٩٨٠ نَوّاسي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (pendule) بالبندول بين مصطلحات علم الرياضة والهندسة ، وجاء في التعريف : جسم متحرك حركة تذبذبية حول محور أفقي ثابت.

وأرجح مافعلته اللجنة بترجمة (pendule) أو (pendulum) بالنّوّاس (١).

9981 Pénétrant, ante

٩٩٨١ نافِذ ، خارِق

9982 Pénétration

٩٩٨٢ نُفوذ ، خَرْق

وأرجح داخِل ، خارِق ، ووالِج في اللفظة الأولى ، ودخول وخرق ووُلوج في اللفظة الثانية ، تاركاً نافِذ ونُفوذ

---

(١) في لسان العرب: والنَّوس تذبذب الشيء، ناس يَنوسُ نوساً ونَوَساناً تحرك وتَذَبْذَب متدلياً ، وقيل لبعض ملوك حِمْيَر ذو نُواس لضفيرتين كانتا تَنوسان على عاتقه.

ونفوذية ترجمة لـ(perméabilité, perméable)
شأن مافعلته اللجنة (اللفظتان ١٠١٠٦ و ١٠١٠٩) .

9983 pénétration affective compréhensivité ,
compréhensien affective .

٩٩٨٣ نُفُوذ نَفْسانيٌّ عاطِفي
وأفضل شُمول عاطِفي ، فَهْم عاطِفي

9984 Pénétrer (dans la chaire)

٩٩٨٤ نَفَذ (في اللحم)
وأرجح اخترق (اللحم)

9985 pénétrer dans un rétrécissement

٧٩٨٥ دَخَلَ تضيّقاً ، حُشِر
وأرجح وَلَج في تضيُّق

9986 Pénible

٩٩٨٦ مُتْعِب، شاقّ
وصَعْب وبِصُعُوبة(٢)

9987 Penicillé , ée

٩٩٨٧ مُخطَّط ، ذو ضفائِر شعرِيّة
سبق للجنة أن استعملت (مُخَطَّط) ترجمة لـ (strié)
(اللفظة ١٢٨١٠) ، وأرجح الرِيشيّة ، لأن ماتعنيه اللفظة
صفة نِهاية الشُرَيْنات وانتهائها بعروق دقيقة موزعة على هيئة
الرِّيشة (ريشة الرسّام أو الدهّان) .

9988 Pénicillium

٩٩٨٨ مِكْنَسيّات
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (بنيسليوم)
وجاء في الشرح : وهو فُطر العَفَن .

---

(١) كقولنا تنفس بصعوبة (respirer péniblement)

9991 Pensée sauvage , herbe de la trinité

٩٩٩١ بَنَفْسَج بَرّي ، حَشِيشة الثالوث

وفي معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي : بَنَفْسَج مُثلث الألوان ، زهرة الثالوث ، بَنْصَة ، وجاء في التعريف : هَرْجاية بعامية الدماشقة والبَنْصَة تعريب الفرنسية في مصر . نوع من البَنَفسج جميل له ضروب عديدة .

9993 Pentavalent

٩٩٩٣ خُماسي القيمة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة خماسي التكافؤ

9993 Pentol

٩٩٩٣ خُماسي الغول (بنتول)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بنتول ، وأرى أن يضاف إلى اللفظة كُحول خماسي .

9995 Peptique

٩٩٩٥ هَضْمي

ومِعَدي ، ببسيني كما جاء في معجم ستدمان[1]

9997 peptone de gélatine

٩٩٩٧ هَضْمون الهُلامين

9998 peptone de soie

٩٩٩٨ هَضْمون الحَرير

9999 pedtone de viande

٩٩٩٩ هَضْمون اللّحم

10000 peptene de Witte, de fibrine

١٠٠٠٠ هَضْمون وِيته ، هَضْمون الليفين

سبقت الملاحظة على لفظة هضمون[2] وأفضل بَبْتون الهُلام وبَبْتون الحرير وبَبْتون اللّحم وبَبْتون وِيته وبَبْتون الليفين .

(١) لفظة (peptic) في معجم (Stedman's Medical Dictionary) .

(٢) الصفحة ٢٨٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10012 Percé de trous ١٠٠١٢ مُثَقَّب
وأفضل مَثْقوب ، وذو ثُقَب

10013 Perceptibilité ١٠٠١٣ قابِليَّة التَّحَسُّس ، حَسوسِيَّة
وأفضل قَابِليَّة الإدراك أو إمكانِيَّة الإدراك . وسبق للجنة أن ترجمت اللفظة(sensibilité) بتحسس (اللفظة ١٢٣٠٠).

10014 Perceptible ١٠٠١٤ مُدرَك ، مَحْسُوس
مُدرَك فقط واستعملت اللجنة مَحسُوس ترجمة لِـ sensible (اللفظة ١٢٣٠٦) .

10015 perception ١٠٠١٥ تَحَسُّس ، إدراك

10016 perception des couleurs ١٠٠١٦ تَحَسُّس ، الألوان

10417 Perceptivité ١٠٠١٧ خاصَّة التَّحَسُّس
وأرجح في اللفظة الأولى إدراك (وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً) وفي الثانية تَمْييز الألوان ، وفي الثالثة خاصة الإدراك أو الادراك حَسِّياً .

10021 Perclus, use

١٠٠٢١ زَمِين ، مُقْعَد .
واهِن وأكسح وكما جاء في الترجمة الانكليزيةمن المعجم الأصلي (١) وللفظة زَمِين غير هذا المعنى(٢) .

10022 percolateur ١٠٠٢٢ مُحَلْحِلة ، مِزْحَلة

(١) (cripped, impotent, lame)

(٢) في لسان العرب : والزَمِين ذو الزَّمانة والزَّمانة آفة في الحيوانات ورَجُل زَمِين أي مُبْتَلى بَيّن الزَمانة والزَّمانة العاهَة .

10022 percolation

١٠٠٢٢ حَلْحَلَة ، تَرْحيل

وأفضل مُسْتَخلِصة بالحل في اللفظة الأولى واستخلاص بالحل في اللفظة الثانية .

لأن ماتعنيه اللفظة الثانية هو استخراج أو استخلاص المكوّنات القابلة الانحلال بإمرار احدى الحالاّت من خلال مادة مَسْحوقة وُضِعت في آنية مخروطية الشكل والتي تعرف بالمُستَخْلِصة بالحل (اللفظة الأولى)[١] .

10024 percussion auscultatoire, transsonnanee percutatoire

١٠٠٢٤ قَرْع اصغائي

10027 percussion immédiate .

١٠٠٢٧ قَرْعٌ بـلا واسِطة ، مَقْصود

وأرجح قَرع مُباشَر

10029 percnssion médiate

١٠٠٢٩ قَرْعٌ بواسطة ، مُمْتَنَف

وأرجح قرع غير مُباشر

10030 percussion très nuancée d'après Goldscheider

١٠٠٣٠ قَرْع فيه الكثير من التفاوت بحسب غُلْد شَيْدر

وأرجح قَرْعٌ مُتفاوت (الشّدة) على طريقة غُلْد شَيْدر وقرع عتَبوي وقرع مُسْتَقيم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] لأن مايقصد من القرع على هـذه

---

(١) لفظتا (perculator) و (percolation) في معجم بلاكستون (Blakiston's New Gould Medical Dictianary) .

(٢) (orthopercussion , threshold percussion) .

الطريقة ما كان يعتمد عليه في رسم حدود القلب على جدار الصدر قبل زيوع الركون إلى الأشعة السينية .

١٠٠٣٤ خاتِل ، خادِع — 19034 Perfide

وأفضل خادِع

١٠٠٣٦ مِثْقب كهرباوي — 10036 Perforateur électrique

وأرجح مِثْقبٌ أو مِثْقاب كهربائي

١٠٠٤٢ إلتهاب ما حَوْلَ المُقدة — 10042 Périadénite

وأفضل التهاب حَوْل المقدة

١٠٠٤٤ التهاب ما حَوْل القَنَوات الصَفْراوية — 10044 Périangiocholite

١٠٠٤٥ التهاب ماحَوْل المَفْصِل — 10045 Périarthrite

وأفضل التهاب حول القنوات الصفراوية في اللفظة الأولى والتهاب حول المفصل في اللفظة الثانية .

١٠٠٤٧ التأمور — 10047 Péricarde

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : النّخاب (التامور) وجاء في الشرح جِلْدة الفؤاد وترادف التامور ، ولا شك أن التأمور هو الشائع .

١٠٠٥١ غِلاف الثَمَرَة ، حَوْل رُسُغ اليد — 10052 Périchondre

أرى أن يقتصر على غِلاف الثَمَرة ، إذ لم يرد مايشير الى حَوْل الرُسُغ في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي[1] كما أني لم أجد مايدل على المعنى الثاني في أى من المعاجم الطبية وغيرها .

---

(١) في الترجمة الإنـكليزية(pericarp) ، وفي الألمانية (Früchtschale) لا غير .

١٠٠٥٢ غِلافُ الغُضروف ، مُحيط الغُضْروف 10052 Périchondre

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سِمْحاق الغُضْروف

١٠٠٥٣ مِقْياس ساحة الصدر 10053 Périmètre thoracique

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة(١) . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة ببريمترية ، والأفضل مِقْياس مُحيط الصدر كما تقدم لا ساحته ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) .

١٠٠٥٦ دَوْر اللَّقْح ، دَوْر الحَمْل 19056 Période de conception

وأفضل دَوْر الحَمْل أو الحَبَل أو زمنها ، وأرى أن لفظة اللَّقح لتلتبس بالإلقاح ، وقد استعملته اللجنة ترجمة لِـ (fécondation)(اللفظة ٥٥٨٢) وتَلْقيح لِـ(vaccination) (اللفظة ١٤٠٢٤) .

10059 Période de mise en tension du myocarde (rétard essentiel) .

١٠٠٥٩ دَوْر تَوتُّر العَضَلة القَلْبية

(تأخر ذاتي)

وأفضل دور تَوتّر عَضَلة القلب (التأخر الأساسي) وكذلك دَوْر ما قُبَيْل النبْض ، ودور إنقباض تكافؤ الجهد الكهربائي (الطور الأول للإنقباض البطيني) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣) .

(١) الصفحة ٢٨٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (thoracic perimeter , circumference of chest)

(٣) (presphygmic period, period of isoelectric contraction) (first phase of the ventricular contraction) .

١٠٠٦٠ دَوْر التَمرُّد — 10060 période réfractaire

وأفضل دور المقاومة أو الممانعة

١٠٠٦١ أدْوار (قِبالة) — 10061 périodes (obs.)

مراحل الولادة كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) .

(١) دور التَخَلُّص — (I) période de délivrance

دَوْر الولادة أو الوَضْع والمَرْحلة السُّخْدِيّة والمَرْحلة الثالثة من الولادة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) .

(٢) دَوْر التوسُّع — (2) p. de dilatation

والمرحلة الأولى الولادة كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وكذلك مرحلة التوسع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣) .

(٣) دَوْر الانقذاف — (3) p.d' expulsion

وأرجح دور الإخراج أو مرحلة الإخراج ، والمرحلة الثانية الولادة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤) .

١٠٠٧١ إلتهاب ما حَوْل الوَرِيد — 10071 Périphlébite

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة التهاب حَوْل الوَرْيد

---

(١) (stage of labour)

(٢) (placental stage , third stage of labour)

(٣) (stage of dilatation , first stage of labour)

(٤) (stage of expulsion , second stage of labour)

10072 Péripneumonie des bovidés ou contagieuse (vét.)

١٠٠٧٢ ذات الرئة المحيطية في البَقَريات أو ذات الرئة المُعْدِية (بيطرة) .

وذات الرئة المحيطية في الماشية ذات القرون ، والطاعون الرِّئَوي، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١).

10073 Périsplénite

١٠٠٧٣ إلتهاب ماحَوْل الطِّحال

وأفضل إلتهاب حَوْل الطِّحال

10080 Péritoine pariétal

١٠٠٨٠ صِفاقٌ جِداري

10081 péritoine viscéral

١٠٠٨١ صِفاقٌ حَشَوي

10082 Péritonéal , ale

١٠٠٨٢ صِفاقي

سبقت الملاحظة على لفظة صِفاق(٢)، كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر تعريب اللفظة ببريتون . لذا أرى أن تكون ترجمة الألفاظ الثلاثة :

بريتون جدارى ، وبريتون حَشَوي ، وبريتوني

10083 Péritonisme, pseudo-péritonite

١٠٠٨٣ صِفاقيَّة ، إلتهاب صِفاقٍ مُوهِم

وأفضل ، الحالة البريتونية والتهاب البريتون الكاذب

وكذلك أرى استبدال لفظ بريتون بالصفاق في جميع الألفاظ الواردة بعدها .

---

(١) (peripneumonia of horned cattle ; lung plague)

(٢) الصفحة ٢٨٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10100 Péritonsillite
١٠١٠٠ إلْتِهاب ماحَوْل اللَّوزة
وأفضل إلتهاب حَوْل اللَّوزة

10104 Perlèche, pourlèche, bridou
١٠١٠٤ تقيح الصَّوارَيْن أو الصِماغَيْن
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (برليش) ، والصُّماغ ، وجاء في الشرح : التهاب الصامِغَيْن عند الأطفال .

10105 Permanent, te
١٠١٠٥ ثابت ، باقٍ
وأفضل مُسْتَمِر ، دائم

10111 Perniciosité
١٠١١١ خُبْث
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (pernicious) بَوبِيل ، وتكون ترجمة اللفظة وَبال وهي الأفضل بعد أن استعملت لفظة الخبث ترجمة لـ (malignеté)(اللفظة ٨٢١١)

10113 Peroxyde d'hydrogène
١٠١١٣ فوق أكسيد الهيدروجين
bioxyde d' hydrogène
ثاني أكسيد الهيدروجين

10114 Peroxydes
١٠١١٤ فوق الأكاسيد
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب لفظة (peroxyde) ببر أكسيدمع فَوْق أكسيد، وجاء في الشرح : مركب ثنائي يحوي المجموعة (ـ أ ـ أ ـ) ولا يسمى فوق أكسيد ، إلا إذا أعطى فوق أكسيد الايدروجين عند معالجته بالأحماض .

للبحث صلة



فقيد العروبة الكبير

الأستاذ عارف النكدي

مجمعي افتقدناه

عارف النكدي

١٨٨٧ – ١٩٧٥م

الدكتور عدنان الخطيب

كان عارف النكدي صبيحة يوم الخميس في الثالث عشر من شهر آذار المنصرم، موعد الجلسة الشهرية لمجلس مجمع اللغة العربية بدمشق، ملء السمع والبصر، وافى زملاءه إلى دمشق، كعادته في كل شهر، حرصاً منه على القيام بواجب مشاركتهم في جلستهم العلمية، غير عابىء بمتاعب السفر ولا وجلٍ من نفحات الثلج الذي كان يجلل معظم مرتفعات الطريق المؤدية إلى دمشق من عبيه في جبل لبنان حيث يسكن.

وقعدنا، في مكتب الأستاذ الرئيس، نتجاذب أطراف الحديث، واشتجر بنا الحديث إلى شؤون مجمعية وعربية بالغة، كان عارف الكندي في جميعها، العالم الخبير والرائد الصادق والمعلم المهيب، تحمل نبرات صوته صدق العزيمة ورجولة الحقة التي لم تضعف فيه يوماً مع كرّ السنين.

وافترقنا ونحن لا ندري أن آخر العهد بعارف الكندي كان تلك الدقائق المعدودات، وأن آخر ما نسمعه منه تلك الأحاديث وفيها مالا ينسى. لقد كانت أنواراً تكشف أساليب الشعوبية الحديثة في النيل من الفصحى، وتحوم حول واجب جمع كلمة محبي العربية الدفاع عنها بقوة وحزم، كما عرج بنا الحديث على النشاط الذي تبديه في هذا المجال بعض الجماعات والفرق، ووراءها يختفي الدقفة وأعداء الإسلام.

ولم تمض أيام على تلك الجلسة حتى أفاقت دمشق صباح يوم الإثنين في الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٣٩٥ الموافق للرابع والعشرين من آذار «مارس» سنة ١٩٧٥ للميلاد ، على صوت الناعي من لبنان : لقد مات عارف النكدي في اليوم الذي فات الثالث والعشرين من آذار .

لقد تلقى مجمع اللغة العربية خبر الفاجعة بألم بالغ وحزن عميق، إذ افتقد بموت عارف النكدي ، واحداً من أقدم أعضائه العاملين المشهود لهم بالكفاية وبالقوة في الدفاع عن العربية وحرماتها .

لقد كان عارف النكدي من أبرز المدافعين عن حرية وطنه يوم اشتغل بالسياسة ، كما كان في الطليعة من الروّاد الذين درّسوا في معهد الحقوق العربي بدمشق ، وغرسوا في طلابه الروح الوطنية الحقة ، روح الكفاح من أجل استعادة الاستقلال السليب عام ١٩٢٠ م.

ويوم تولى عارف النكدي إدارة **القضاء السوري** ، كان صاحب مدرسة تعتبر اليوم جزءاً من تاريخ سورية الوطني ، بتخريجها ألمع القضاة الذين ارتفعوا بالقضاء إلى مستوى يعتز به القطر العربي السوري ، فقد كان من مفاخره أيام إخضاعه إلى إنتداب أجنبي ، ويوم استعاد استقلاله ناجزاً .

إن خسارة الأمة العربية ومجامعها اللغوية ، بغياب رجل مثل عارف النكدي ، خسارة ليس من الهين تعويضها ، تغمده الله بواسع رحمته ، وعوض العربية عنه خيراً .

* *

فقيدنا الراحل

مولده وأسرته

ولد عارف النكدي في مدينة بيروت ضحى يوم السابع عشر من

ربيع الثاني سنة ١٣٠٤ [١] ، الموافق للثالث عشر من كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٨٧ الميلاد [٢] .

كان أمين بن سعيد والد عارف ، وجيهاً من وجهاء قومه ، وعميداً لأسرة درزية معروفة اشتهرت باسم آل نكد ، وهي من عشيرة ترجع بنسبها إلى قبيلة بني تغلب الشهيرة [٣] ، خرجت من شبه جزيرة العرب إلى مصر فالمغرب في جيوش الفتح الإسلامي ، ثم عاد جماعة منها إلى مصر في

(١) سجل لنا هذا التاريخ العلامة الشهير إبراهيم الحوراني ، بأبيات نظمها في تهنئة ساقها إلى والد المترجم له يوم ميلاده فقال :

رنمت وُرْق التهـاني في الحمى وغصون الحيّ بالبشرى تميـدْ
قيـل لي من ذا الذي أطربهـا وغدا في عصرنا بيت القصيـد
قلت متن البشر أرّخ : شارحاً عارف نجـل الأمين ابن السعيد
١٣٠٤

(٢) أما هذا التاريخ فقد سجله لنا الشاعر اللبناني المعروف الشيخ خليل اليازجي بأبيات أعدها لتهنئة أمين النكدي بميلاد ابنه عارف ، قال له :

لأميننا النـكديّ نجـل طيب وكذلك الأغصـان تتبع أصلها
وافى عشيرته الكريمة عـارفاً بالطبع عنصرهـا فينشأ مثلهـا
هي دوحة المجد القديـمة والتي يوماً عـلى لبنان ألقت ظلهـا
يا حبـذا منها له أصل كمـا منه نؤرخ : حبذا غصن لهـا
١٨٨٧

انظر ص ١٦١ من ديوان « نسمات الأوراق » نظم الشيخ خليل اليازجي . طبع مطبعة المقتطف في القاهرة ١٨٨٨ .

(٣) يقول المترجم له عن انتساب عشيرته إلى بني تغلب : إنها « رواية متسلسلة منقولة عن الأجداد ، إلى الآباء فالأحفاد ، ومدونة بالمخطوطات العائلية التي وضعها بعض أفراد الأسرة . ويعزز هذه الرواية والمخطوطات هذه الأسماء التغلبية التي تسمى بها شيوخ هذه العائلة ثم أطلقوها على أبنائهم رجالاً ونساء إلى عهد قريب » .

جيش المعز الفاطمي ، ومن مصر انتقلت إلى جبل لبنان ، فأقامت في (برجا) ثم في (بعقلين) واستقرت بعدئذ في (دير القمر) حتى كانت سنة ١٨٤٥ للميلاد ، وفيها وبسبب حوادث وقعت في جبل لبنان ، أبعدت الدولة العثمانية الجماعة عن موطنها ، فانتشر أفرادها في قرى قضاء (الشوف) وكانت بلدة (عبيه) مستقراً للأسرة ، التي رزقت سنة ١٨٨٧ م[١] بطفل سماه أبوه عارفاً .

ويقول عارف النكدي في ترجمة له كتبها بيده : « لقد انتقل جدي لأمي سليم إلى بيروت لأسباب سياسية محلية ، فانتقل معه ابن أخيه وصهره والدي أمين بن سعيد وفيها ولدت »[٢] .

دراسته وشبوبه

عندما خضعت بلاد الشام في أوائل القرن السادس عشر للميلاد للحكم العثماني ، أصبح جبل لبنان جزءاً من الدولة العثمانية ، وأصبحت سلطة الحكم فيه موزعة بين حكامه المحليين ، وفيهم المعنيون والشهابيون ، وبين عاصمة الدولة ، وهي بينها في حالة مد وجزر تبعاً لمدى العلاقات بين الطرفين

---

(١) هذا هو تاريخ ميلاد المترجم له الحقيقي ، الثابت بما أوردناه من نظم ، ولا عبرة بما نقل عن السجلات الحكومية العثمانية منها أو السورية .

(٢) تشير السجلات الحكومية في لبنان إلى أن عارفاً النكدي مولود في قرية (كفر فاقود) من أعمال قضاء (الشوف) ، ويعلل المترجم له هذا الاختلاف بين الحقيقة والقيد الحكومي ، بأن أهالي جبل لبنان كانوا لا يسجلون من يلد لهم خارج حدود جبل لبنان ، إلا في إحدى قراه ، ليحتفظوا لأبنائهم بحق التمتع بالإمتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لأبناء الجبل ، بضغط من بعض الدول الأجنبية ، وكان من تلك الإمتيازات الإعفاء من الضرائب والتكاليف المفروضة على غير اللبنانيين من سائر العثمانيين .

ولما شعرت الدول الأوروبية بالوهن الذي قد دب في أوصال الدولة العثمانية، اندفعت وراء مطامعها الإستعمارية في بلاد الشام، وأخذت تدس الدسائس بين مختلف طوائفها الدينية. وبينما كانت فرنسة تدعي حقها في **حماية الموارنة**، **أقامت انكلترا نفسها حامية للدروز**، مما أدى سنة ١٨٦٠ م إلى اشتعال الفتنة وامتداد لهيبها ومذابحها إلى عديد من أنحاء البلاد، واضطرت الدولة العثمانية، بضغط من الدول الكبرى إلى منح جبل لبنان إمتيازات خاصة واستقلالاً إدارياً بموجب نظام مؤقت وقعته سنة ١٨٦١ م، مع مندوبي كل من فرنسة وإنكلترة وروسيا والنمسا وبروسيا، ثم أقرته بصيغة نهائية سنة ١٨٦٤ م، واشتركت إيطاليا بالتوقيع عليه.

وأصبح لمتصرفية جبل لبنان، وقد انفصلت من الناحية الإدارية عن ولاية بيروت وغيرها من الولايات العثمانية، حاكم تختاره الدولة العثمانية بموافقة الدول الموقعة على ذلك النظام، لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد. وفرضت طبيعة الجبل على حكومته أن تترك بلدة (**بعبدا**) المركز الذي اختارته مقراً لها، خلال أشهر الصيف من كل سنة، إلى بلدة (**بيت الدين**)، ولهذا كان موظفو حكومة جبل لبنان يتنقلون سنوياً مرتين بين مصيف ومشتى.

وكان أمين نكد والد فقيدنا عارف، قاضياً في محكمة استئناف جبل لبنان، ينتقل بأسرته شأن سائر الموظفين بين (بعبدا) شتاءً و (بيت الدين) صيفاً، فكان أولادهم الصغار يتناوبون في الدوام على مدرستي هذه وتلك الابتدائيتين تبعاً للحكومة نفسها.

وتعلم عارف النكدي في تينك المدرستين مبادىء العربية وشيئاً من الفرنسية، فلما شب انتسب إلى المدرسة البطريركية في بيروت، ومنها انتقل إلى المدرسة العثمانية الإسلامية فتزود من هذه بالعلوم الإسلامية، ثم

تحول إلى المدرسة العلمانية الفرنسية ليتابع دراسة الفرنسية والعلوم العصرية .

وكان من أشهر الذين تلقى عارف النكدي عنهم علوم العربية المشايخ : عبد الله البستاني ومصطفى الغلاييني وإبراهيم المنذر ورشيد عطية ويوسف الفاخوري ، كما تلقى علوم الفقه والقانون على الأساتذة : أحمد عباس الأزهري ، وحسن المدرور ، وعبد الباسط فاخوري ، وشارل دباس .

وقضت أنظمة الدولة العثمانية بالسماح لأقطارها التي لا تقوم فيها معاهد لدراسة الحقوق ، أن تعقد في مراكزها لجنة خاصة باسم (**أنجمن عدلية**) تتشكل من رئيسي محكمتي الحقوق والاستئناف ، ومن وكيل المدعي العمومي ، دورات زمنية محددة ، يتقدم إليها الراغبون في شغل وظيفة قضائية أو في الترافع أمام المحاكم ، فإذا اجتاز الواحد منهم الفحص ، منح الإجازة التي تخوله حق تولي القضاء أو ممارسة مهنة المحاماة . وفي سنة ١٩١١ م ، كان عارف النكدي بين المتقدمين إلى (أنجمن عدلية) لبنان ، فمنح الإجازة المطلوبة .

الوظائف التي تولاها في لبنان

بعد أن حصل الفقيد على الإجازة التي تخوله الانتساب إلى القضاء ، عين بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٣٢٨ مالية (توافق سنة ١٩١٢ م) كاتباً في محكمة استئناف جبل لبنان المدنية ، وبتاريخ ١٧ نيسان سنه ١٣٣٠ مالية (توافق سنة ١٩١٤ م) ولي القضاء وأسندت إليه وظيفة قاضي تحقيق بعبداء ثم نقل عضواً في المحكمة الابتدائية بجزين ، وبتاريخ ١٤ تموز سنة ١٣٣١ مالية (توافق سنة ١٩١٥ م) عين عضواً في محكمة الجنايات والاستئناف الجزائية ، فلما كانت نهاية الحرب العالمية الأولى واحتلت الجيوش الفرنسية لبنان سنة ١٩١٨ م ، انقسم اللبنانيون إلى فريقين أحدهما يوالي الاحتلال

الفرنسي ، والآخر يعارضه ويضم جميع الفئات الطامحة إلى نيل الاستقلال الراغبة في اللحاق بالركب السوري ، بعد أن أعلن عن قيام دولة عربية مستقلة في دمشق .

وقامت اضطرابات سياسية نجمت عن اختلاف اللبنانيين في الرأي ، وكشف رجال الأمن خلالها عن محاولة لاغتيال أحد زعماء الموالين للفرنسيين[١] ، اشترك فيها أربعة شبان من العاملين في أملاك آل نكد في قرية (كفر فاقود) فعمدت السلطة إلى عزل فقيدنا عارف النكدي من ولاية القضاء ، تمهيداً لملاحقته أمام القضاء ، وكان ذلك بتاريخ ٣١ تشرين الأول سنة ١٣٣٥ مالية (الموافقة لسنة ١٩١٩ م) .

الوظائف التي تولاها في سورية

والتجأ عارف النكدي إلى سورية منضماً إلى طائفة كبيرة من رجالات لبنان وشبابه ، قصدوا دمشق للاشتراك في تأسيس الدولة العربية المنشودة، وفيهم من كان عضواً في المؤتمر السوري الذي يضم ممثلين عن مختلف بلاد سورية بحدودها الطبيعية .

وفضل عارف النكدي تولي القضاء على الاشتغال بالسياسة ، يوم كانت سورية لا تفرق في تعاطي السياسة وتولي المناصب بين سوري وغيره من أبناء الأقطار العربية ، فتولى النكدي القضاء وأخذ يتدرج في الوظائف القضائية التالية :

١ ـ بتاريخ ٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠ م ، أسندت إليه وظيفة معاون المدعي العمومي لدى محكمة استئناف دمشق .

---

(١) هو حبيب باشا السعد ، وكان يومئذ رئيساً لمجلس إدارة جبل لبنان ، وبعد إعلان لبنان الكبير جمهورية من قبل السلطات الفرنسية ، عين رئيساً للجمهورية .

٢ - بتاريخ ٢٧ آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ م ، أسندت إليه وظيفة مفتش في وزارة العدلية .

٣ - بتاريخ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٠ م ، أسندت إليه وظيفة المفتش العام للقضاء في سورية .

وخلال توليه هذا المنصب جرى انتخابه **عضواً في المجمع العلمي العربي** (مجمع اللغة العربية فيما بعد) ، كما كلف بتدريس علم الاجتماع السياسي في معهد الحقوق العربي بدمشق .

٤ - بتاريخ ١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨ م ، عين **مديراً للأمور الحقوقية** في وزارة العدلية ، وهو منصب يماثل المنصب الذي يطلق عليه اسم الأمين العام لوزارة العدل .

وظل عارف النكدي يشغل هذا المنصب حتى تاريخ ٢٢ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٠ م ، يوم اختلف بالرأي مع المستشار الفرنسي ورفض الموافقة على تولي منصب قضائي آخر ، فأصدرت السلطة نصاً تشريعياً تلغي بموجبه منصب مدير الأمور الحقوقية،واعتبر النكدي مصروفاً عن العمل الحكومي.

ولما قام بين الوطنيين السوريين والسلطة المنتدبة عام ١٩٣٦ ، نوع من التقارب في وجهات النظر ، جرى تكليف عارف النكدي بالوظائف التالية :

٥ - بتاريخ ٢٦ آذار (مارس) سنة ١٩٣٦ م ، أسندت إليه مهمة المديرية العامة للمعرض السوري ، فقام بالمهمة الموكولة إليه بما عهد فيه من إدارة وحزم ، حتى انتهت بنهاية أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٦ م .

٦ - بتاريخ ٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٧ م ، عاد عارف النكدي إلى تولي القضاء ، وأسند إليه منصب المدير العام لوزارة العدل ، وظل يمارس مهام هذا المنصب حتى تاريخ ٣١ تموز (يوليو) سنة١٩٤٦م.

وخلال شغل عارف النكدي للمنصب المذكور ، كلف بمهمتين إضافيتين ، استدعت تكليفه بالأولى الظروف الناجمة عن الحرب العالمية الثانية ، بينما دعت ضرورات الأمن تكليفه بالثانية ، وهاتان المهمتان هما :

أ : ـ **المديرية العامة للاعاشة** ، ومهمتها تأمين تموين البلاد والجيوش التي كانت فيها ، وكان تكليفه بها بتاريخ ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٤٥ م .

ب : ـ **المديرية العامة للشرطة والأمن العام** ، وقد تولاهـا النكدي بتاريخ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٤٥ م ، فأعطاها من حزمه وشدته في تطبيق القانون ، ما كفل للبلاد عهداً من سيادة القانون والناس أمامه سواسية .

٧ ـ بتاريخ ١ آب (أغسطس) سنة ١٩٤٦ م ، أسندت إلى الفقيد رياسة مجلس شورى الدولة ، وظل رئيساً لهذا المجلس حتى ٢١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨ م .

٨ - بتاريخ ٢٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٨ م ، عين **محافظاً لجبل العرب** (الدروز) ونائباً للحاكم العسكري فيه ، إلى أن بلغ السن القانونية فأحيل إلى المعاش بتاريخ ٢٠ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٩ م .

القضاء السوري في عهد الفقيد

كانت الدولة العربية التي أعلن عن قيامها في دمشق ، بعد جلاء الجيش التركي عنها في نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، حلم العرب الكبير الذي لمسوه بأيديهم وهو يتحقق ، ولكن فرحتهم بالوليد بعد طول مخاض ، لم تدم طويلاً ، فانهارت الدولة بعدوان بيتته الدول الأوروبية المستعمرة ، مدعية بأن « عصبة الأمم » عهدت إلى كل منها بالانتداب على قطر من أقطار العروبة ، لتأخذ بيد أبنائه نحو الاستقلال الذي ينشدونه .

وتولى العسكريون زمام الدفاع عن الدولة الجديدة ، بعد أن أخفق السياسيون في الحفاظ عليها ، ولكن الجيش الفرنسي احتل سورية بعد معركة ميسلون في ٢٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ م .

وأخذ الفرنسيون يسيطرون على مختلف أجهزة الدولة ، بعد أن جزأوا البلاد وأقاموا فيها حكومات موالية لهم ، ثم ألحقوا بكل وزارة أو مؤسسة عامة واحداً منهم باسم « مستشار » ، يقوم بالإرشاد وإعطاء الرأي لمن يفتقر إليه .

وقامت في سورية ، بعد أن خسرت معركتها العسكرية مع الجيش الفرنسي ، معارك إدارية ، في كل مؤسسة عامة أو مصلحة حكومية ، تحتدم بين موظفيها ، الذين كانوا يمارسون مهامهم قبل الاحتلال بجد ونشاط ، يحدوهم الأمل في تحقيق حلم الوطن في الاستقلال وإقامة دولة عربية عصرية ، وبين المستشار الفرنسي ومن يواليه من ذوي النفوس الضعيفة .

وكانت هذه المعارك الإدارية تختلف قوة وأثراً ، باختلاف طبيعة عمل المرفق العام ، والمزايا التي يتحلى بها القائمون عليه من جهة ، ومدى ما يتمتع به المستشار من حصافة وخلق ، وما يعتلج في نفسه من ميول استعمارية من جهة ثانية . فكان المرء يجد إدارات عامة المستشار فيها وزير ، بينما وجدت بعض الإدارات والمستشار الفرنسي فيها لا يتعدى المفهوم من اسمه .

وكان حظ وزارة العدل أن وجد على رأس إدارتها رجل مثل **عارف النكدي** استطاع بحزمه وحصافته ، أن يقف في وجه أي تدخل من قبل السلطات في سير العدالة ، كما استطاع أن يحمي كل قاض حر نزيه ، يقيم العدالة ، ولا ينحرف عن السبيل إليها بتأثير هوى أو سلطان .

على أنه من الإنصاف أن نسجل هنا بأن عارفاً النكدي لم يكن

ليستطيع الثبات في موقفه ، لولا ما كان يلقاه من دعم بعض كرام الفرنسيين من القضاة الأحرار ، الذين انتدبوا لتولي بعض المناصب في وزارة العدل السورية مستشارين أو قضاة حكم .

ولقد عثرنا على عدد من الوثائق التي تدعم ما سجلناه ، ومن أهمها الكتاب الصادر عن حاكم دولة دمشق بتاريخ ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٢٢ ، موجهاً إلى وزارة العدل وكان وزيرها قد أعطي اسم مدير العدلية العام ، وفيما يلي نصه :

« حضرة مدير العدلية العام المعظم :

علمت أن السيد عارف نكد مفتش العدلية الذي شخص إلى حمص بمهمة قد اتخذ حيال مستشار حمص موقفاً مغلوطاً وأنكر عليه حق الاشراف على المحاكم والادعاء العام ، وزيادة عما ذكر استلم من السجن ثلاث إضبارات : اثنتين تتعلقان بقضايا البدو الأولى باسم راغب أو نجيب بن حسين من عشيرة رزق بشأن مقتل أحد العلويين ودفع الدية ، والثانية باسم جاسم بن خالد الصبح من عشيرة بشاكم في سرقة فرس ، والثالثة باسم علاء الدين السبع المتهم بمحاولة إتيان القتل .

فالمرجو أولاً موافاتي بالإيضاحات اللازمة عن سلوك المومأ إليه حيال ممثل الدولة المنتدبة ، ثانيا بيان الأسباب التي حملته على أخذ الإضبارات بدون إشعار المستشار . والإيعاز إليه بإعادة الإضبارات فوراً ، وإعلامي بسرعة عن بياناته فيما ذكر ، وعن التاريخ الذي أعاد فيه الإضبارات ، والسلام عليكم مولاي .

١٤ تشرين الأول سنة ٩٢٢ — حاكم دولة دمشق

حقي العظم

صورة الكتاب السري الصادر عن حاكم دولة دمشق سنة ١٩٢٢
متضمناً حكاية الفقيد مع كل مستشار أيام الاحتلال الفرنسي

ولم تجد السلطة الفرنسية حيال موقف عارف النكدي ووقوف مستشار العدلية ، القاضي الفرنسي الكبير إلى جانبه ، بدّاً من الرضوخ إلى الحق وقبول الأمر الواقع ، ومن ثم الاعتماد على القضاء المختلط حيناً ، وعلى القضاء الاستثنائي أحياناً كثيرة ، في إعطاء هذا أو ذاك ولاية الفصل في القضايا والجرائم التي تتصل بالسياسة أو المصالح الأجنبية أو تمس الأمن العام مباشرة .

صفات الفقيد وأخلاقه

كان عارف النكدي من أبرز رجالات بلاد الشام في الإدارة والقانون ، تمثلت فيه طبيعة القاضي العادل والإداري الحازم ، تولى القضاء فكان عنواناً للعدالة في إحكامه ، وتولى الإدارة فكان فيها قاضياً مرهف الحس ، يفرق بين الحق والباطل في ضوء مصباح ، القانون فتيله ، والوجدان النقي زيته .

كانت سيرته في جميع المناصب التي تولاها ناصعة واضحة ، يلتزم الجادة ولا ينحرف عنها ، لا يحب الانحراف ، ولا يستطيع التعاون مع من يجد في سيرته أو خلقه انحرافاً .

كان عادلاً ، لا يخشى في قولة الحق لومة لائم ، ولا يحمله شنآن شخص على أن لا ينصفه .

كان إنساناً يحمل قلباً كبيراً يكره الظلم والإجحاف ، ولكن لا تأخذه بجرم شفقة لا يقرها القانون . قال لي مرة ، وقد أطلقتُ سراح بعض المتهمين بالاشتراك في محاولة اعتداء وقعت على شخصه ، وقد خاف أكثر زملائي من التسرع في ذلك : « **إني فخور بقاض كره أن يجامل مثلي على حساب حرية الأبرياء** » .

كان عارف النكدي شديداً ، يحب ربط الأمور والحزم فيها ، صلباً يكره اللدونة ، إذا مشي كره أن يقف فيرمى بالتخاذل .

كان صادقاً يكره التمثيل ويبغض المواربة ، صريحاً يمقت المجاملة في غير محلها . قال لقاض كبير جاء يبدي أسفه ويبكي خسارة القضاء له ، يوم أعلن استقالته ، لخلاف وقع بينه وبين الحكومة بشأن نقل بعض القضاة : « اقتصد في مجاملتك ، إذ لو لم أترك منصبي لما وجدت في نفسك أي دافع لمثل هذه الزيارة » .

كان عارف النكدي عالماً ، يشـيد بفضل العلم ، ويثني على العلماء من رجال القضاء والإدارة ، غير أنه كان شديد الكره للتعالم .

كان جريئاً يعترف بالخطأ إذا وقع فيه ، ولا يكره من مظلوم أن يجهر بصوته ، سهل الإذعان للحق . إذا وثق بإنسان استشـاره فيما يعلمه، ولا يتردد في إمضاء الرأي إذا اقتنع به ، وكثيراً ما سمع معاونوه ، من أهل الثقة ، صوته يرن في الهاتف : « أبلغْ المعنيين بالأمر ما اقترحته عليّ باسمي ، وفي البريد توقيعي » .

كان عارف النكدي سريع الغضب للحق ، شديد العنف على الباطل ، ولكنه لم يخرج يوماً في غضبه عن حدود التهذيب ، وكان يتجنب قولة السوء وحتى سماعها . لقي من قومه ، في أخريات حياته المديدة ، إيذاء شديداً ، ولكنه كان يبتسم كلما جاء الحديث عليه ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

كان عارف النكدي يلتزم بما ينص القانون عليه ، دون أن يكون عبداً لحروف النص ، فمنافذ التأويل المنطقي والمقارنة الواعية ، كانت دوماً مفتوحة لديه ، يعمل فكره فيها ليصل إلى النتيجة المقبولة التي تتفق والمصلحة العامة . حتى أنه كان يلتزم بالقواعد التي يضعها بنفسه ، ويرفض التحلل منها في غير علانية أو في غير تعميم ، وكثيراً ما كان يبذل جهوداً مضنية ، عندما

تتجمع لديه الأدلة على صلاح فرد لتولي القضاء ، في إقناعه بقبول الولاية ، ولكنه كان يسرع إلى رفض أي شرط يتناقض مع قواعد التعيين التي يعتمدها . سد عليّ يوماً منافذ الاعتذار عن قبول القضاء ، ثم دخلت عليه مستنكراً مطالبتي بتوقيع طلب للولاية ، محتجاً بأن « طالب الولاية لا يولّى » فابتسم مسروراً وقال : لا عليك إذهب واستعد للسفر . ولم ينس عارف النكدي هذه الحادثة ، فكان يذكرها وهو يفتخر بمخالفته يومئذ تطبيق شرط نص عليه القانون .

الفقير والسياسة

لم يخلق عارف النكدي ليكون من رجال السياسة ، لأن من أساليب السياسة مالا يأتلف وما جبل عليه من خلق ، ومع هذا فإنه شبّ في عصر بدء النهضة العربية الحديثة ، وعاش في خضم الظروف والملابسات التي مرّت بها البلاد العربية، خلال الحرب العالمية الأولى وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ، فلا عجب أن رأينا عارفاً النكدي شديد الصلة بالرعيل الأول من بناة النهضة والمشتغلين بالسياسة العربية والدولية .

لقد كان عارف النكدي موضع ثقة جميع السياسيين العرب ، ورجال الأحزاب الوطنية المنافحة عن الاستقلال والثائرة ضد الاحتلال الأجنبي ، فكانوا دائمي الاتصال به ، والإسترشاد برأيه فيما يحزبهم من أمور يمت إلى القانون بصلة .

وعندما اضطر عارف النكدي لترك الوظيفة في سنة ١٩٣٠ ، بسبب اختلافه في الرأي مع الحكومة ، عرض عليه رجال الكتلة الوطنية ، الذين كانوا يقومون على معارضة السياسة التي ينتهجها الفرنسيون في إدارة البلاد ، الاشتراك في إصدار جريدة سياسية فقبل ، وكانت « **الأيام** » جريدة يومية ،



الأيام

الأيـــــام

كيف يمثلون سوريا في المعرض

قسم سوريا ولبنان وجبل الدروز والعلويين

الموقف السياسي

صورة الصفحة الأولى من العدد الأول من جريدة « الأيام » وقد توجتها أسماء أصحابها زعماء الكتلة الوطنية : هاشم الأتاسي ، إبراهيم هنانو ، لطفي الحفار ، عارف النكدي ، سعدالله الجابري ، فخري البارودي . كما ظهر فيها اسم عارف النكدي مديراً لسياستها الجديدة واسم نجيب الأرمنازي مديراً مسؤولاً .

أقبل الناس عليها واتسع انتشارها للسياسة الوطنية الصريحة التي قامت عليها ، مما دفع السلطة إلى إغلاقها ، فأصدر النكدي جريدة باسم « **اليوم** » تابع فيها خط سير الجريدة الأولى ، فما كان من السلطة إلا أن اوقفتها عن الصدور أيضاً .

وكتب عارف النكدي في الجريدتين مقالات ودراسات وفصولاً من السياسة والأدب ، كان ينشر بعضها بتوقيعه الصريح وبعضها غفل من أي توقيع .

ولما ترك النكدي العمل الحكومي ، للمرة الثانية في أوائل سنة ١٩٣٩م ، عاد إليه أصدقاؤه من رجال السياسة ، وعندما احتلت جيوش الحلفاء سورية في عام ١٩٤١ م طاردة أنصار حكومة (فيشي) الفرنسية ، أسرعت السلطة العسكرية الإنكليزية إلى زج المئات من رجالات سورية ولبنان في المعتقلات ، بحجة الحفاظ على الأمن العسكري ، وكان عارف النكدي بين اولئك المعتقلين في سجن قرية « الميه والميه » في جنوبي لبنان . **وظل معتقلاً حتى قيام الحكم الوطني في** سورية ، وبعد الافراج عنه لم تجد الحكومة السورية أقوى منه ، للإشراف على تموين البلاد وقطع دابر الرشوة والاستغلال ، فعهدت إليه ، في ٢٢ من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٤٤ ، بمنصب « المدير العام للإعاشة » .

أعمال الفقيد الاجتماعية

لم يدخر عارف النكدي وسعاً ، رغم الأعباء التي كان يحملها ، في سبيل النهوض بقومه ونشر العلم بينهم ، وكان يعنى بخاصة بالأيتام فيهم ، يعمل ليل نهار ليحميهم من الفقر والتشرد والجهل ، وقد اتخذ شعاراً له الحديث الشريف : « **أحب البيوت إليَّ بيت فيه يتيمٌ يكرَّم** »(١).

(١) وردت صيغة الحديث في الجامع الصغير للإمام السيوطي : « أحب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر ، انظر ج ١ ص ٣٢ رقم ٢١٩ .

وبذل عارف النكدي جهوداً جبارة لنشر العلم بين أفراد الطائفة الدرزية في كل من سورية ولبنان ، وسعى لفتح عدد كبير من المدارس في مختلف القرى الدرزية في لبنان ، بعد أن وُلّي الإشراف على الأوقاف ، آخذاً على عاتقه تنظيم أموال الطائفة الوقفية وحسن استغلال العقارات منها .

وبلغ العمل على حماية اليتيم عند عارف النكدي ، حدّ الهوس — على حد تعبيره عن نفسه — فقد أنشأ في بيروت سنة ١٩٤١ م « بيت اليتيم » ثم أنشأ « بيت اليتيم » في السويداء ، وعندما ترك الإقامة في سورية تخلى للحكومة السورية عن هذه المؤسسة .

ولما عاد النكدي للإقامة في لبنان ، عمل على نقل بيت اليتيم في بيروت إلى بلدة « عبيه » بعد أن أقام بناء حديثاً خاصاً ، حشد له جهود عدد كبير من المهندسين ، وجمع الأموال اللازمة ، من أهل الخير من أغنياء الدروز في الوطن ومختلف المهاجر .

وإثر خلافات طائفية جسيمة ، تخلى عارف النكدي عن كل ما كان يشرف عليه أو يقوم على إدارته ، ماخلا « بيت اليتيم » في عبيه ، المؤسسة التي كانت حلماً له حققه ، فغدا عزيزاً عليه ، يخاف أن يتركه فيتبدد وهو على قيد الحياة .

لقد كتب عارف النكدي قبل بضع سنوات ، بخط يده ، والألم يعتصر قلبه :

« .. وإلى جانب هذا ، أردت أن أنهض بقومي بني معروف وأسلك بهم السنة الصحيحة ، فجددت لهم مدرسة قديمة كان أنشأها داود باشا أول متصرفي لبنان ونسبت إليه (الداودية) ، فوسعت بناءها وأحدثت لها دوائر عديدة وجعلتها مدرسة ثانوية ربطت بها ، في وقت من الأوقات ، ثلاثاً وثلاثين مدرسة ابتدائية في مختلف القرى اللبنانية . ذلك لما كنا نراه

من معاكسة السلطة الفرنسية في نشر العلم بين أبنائنا . وسعيت لدى الحكومة المصرية لمساعدتنا في نهضتنا ، فأرسلت إلينا بعثة مؤلفة من ثمانية معلمين ، كما أرسل إلينا **الجامع الأزهر ، شيخاً من شيوخه لتدريس القرآن والعلوم الاسلامية .**

وأنشأت مدرسة للبنات في عبيه ، أطلقت عليها اسم المدرسة التنوخية ، كما أنشأت في بيروت مدرسة مختلطة للبنين وللبنات ، أطلقت عليها اسم المدرسة المعنية ، إحياء لذكرى هاتين الأمارتين العربيتين ، اللتين حكمتا لبنان حكماً صالحاً فاضلاً مئتين من السنوات .

على أني لم أوفق ، فأصل إلى الغرض الذي أرمي إليه ، فظل القوم وأبناؤهم ، على ما قال الله تعالى في كتابه العزيز :

« إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُون »[١]

وقد تخليت للمجلس المذهبي عن الأوقاف وعن مدارسها ، كما تخليت من قبل للحكومة السورية عن بيت اليتيم الذي أنشأته في السويداء ، مكتفياً اليوم ، بالإشراف على بيت اليتيم في عبيه ، وهو مؤسسة خيرية تضم مايزيد على أربع مئة يتيم ويتيمة ، والذي كنت قد أنشأته في بيروت سنة ١٩٤١ ، ومن الحق أن نقول إنها مؤسسة من خيرة المؤسسات التي يمكن أن تقام في وطننا ، من حيث البناء وهندسته والنظام والترتيب وما يتعلق بهما . هذا ما شهد به جميع من زار هذه المؤسسة من وطنيين وأجانب » .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الزخرف .

غيرة الفقيد على الفصحى ونموذج من بعض كتاباته

عُرف الفقيد بغيرته الشديدة على العربية وسلامتها ، وباستنكاره القوي لمختلف المحاولات ، التي تقوم في جوانب الوطن العربي ، للنيل من مكانة الفصحى أو لتوسيع انتشار العامية ، ولقد كتب كثيراً وناضل طويلاً وهو يقف في وجه تلك المحاولات مبنياً مقاتل أصحابها بما أوتيه من قوة وجلد ، وليس أدل على موقفه هذا ، من مقال كتبه تحت عنوان « العربية بين الفصحى والعامية [1] » استهله بقوله :

« .. وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويغارون عليها ، أن يدافعوا عنها في كل مناسبة تعرض ، بعد أن استشرى داء بعض المستشرقين الاستعماريين في العمل على إفساد لغتنا ، **بالدعوة إلى العامية** ، وتفضيلها على الفصحى تمزيقاً للوحدتين : القومية واللغوية ، وبعد أن كثر بين الغرب من ينزعون نزعتهم ، **عن سوء نية** ، **أو سلامة طوية** .

وقد عدّدوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها إلى حرم العربية فيدنسوا مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويغيروا أشكالها ، فإذا سُدَّ عليهم باب ، وأعيتهم فيه حيلة ، **عمدوا إلى باب آخر** لعلهم يجدون فيه الثغرة التي أعوزتهم في محاولتهم تلك . ومن المؤلم : أن عدد هؤلاء الهدامين يزداد يوماً بعد يوم ، ويقبل الناس على الاستماع إليهم ، ومن يدري إذا تمادى بهم الأمر وظلّ رجال العربية ساكتين عنهم ـ سواء أكان سكوت ازدراء أو اعراض ـ أن يبلغوا في يوم من الأيام ما يريدون أو بعضه [2] ، **ومتى وجد الخرق فمن يضمن أن لا يتسع على الراقع** .

---

(١) انظر ص ٢١ من المجلد ٣٥ من مجلة المجمع بدمشق الصادر سنة ١٩٦٠ .

(٢) كثرت في الفترة الأخيرة الكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشعر إلى دركة ساوى فيها الزجل بل انحط عنه .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد ـ على زعمها ـ اصلاح الإملاء العربي . كأن هذا الإملاء السهل الواضح الصريح المبنى على أسس راسخة ، وقواعد ثابتة ، يحتاج إلى من يصلحه ، وأوجع ما كان من هذا ، أن نفراً ممن يوثق **بعربيتهم وبعروبتهم** ، لا يتهمون بعجز في اللغة ، وهم من أقطابها ، ولا تطالهم تهمة في غيرتهم على العربيـــة واخلاصهم لها ، قد ذهبوا .. هذا المذهب ، وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الإنسان في فهمه ، ولا يعرف كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمله ، وإذا كانت العربية يطعنها أعرف الناس بأسرارها ، ومن كان عليه أن يكون من أشد القوم حفاظاً على آثارها ، **فمـــا ظنك بالجاهلين والهدامين** ... » .

وصية عارف النكدي الاخيرة

يوم فوجئنا بنعي عارف النكدي ، فوجئنا بأنه ترك وصية يقول فيها بأن لا يندب ولا ينعى ، ثم اطلعنا على ما أوصى به فإذا هو ما يلي :

كتب عارف النكدي في مجلة « **الميثاق**[1] » كلمة ، تحت عنوان « **وصية شيـخ** » قال فيها :

---

(١) في الجزء الرابع من مجلد سنة ١٩٧٤ . ونقلنا الكلمة عن مجلة العرفان وقد نشرتها في الصفحة ٥٣٢ من المجلد ٦٣ في الجزء الرابع الصادر في نيسان سنة ١٩٧٥ ، ذيلاً لمقال رئيس تحريرها بعنوان « الكبير الكبير الذي فقدناه » وقدم لها بكلمة قال فيها : « هذه الوصية ، غداة انتقال النكدي الى ربه ، تبين أن الكاتب الفقيد اعتبرها له وشاء من أهله أن يتقيدو بها » .



وداع الشيخ عارف النكدي في لوحة بشرية منطلقة من بلدة « عبيه »

عاش ببساطة ومات ببساطة

« لا اريد ندبا ، ولا نعيا ، ولا اية مسيرة حزن . كل ما اريده هو الانتقال من فراشي الى لحدي بكل صمت ، حتى ومن غير نعش . وتكاليف ذلك كله وزهره على الفقراء ... وخصوا به بيت اليتيم الدرزي » .

هكذا كانت وصية الشيخ عارف النكدي قبل أن تصعد روحه الى باريها . توقع محبوه ، واصدقاؤه ، وتلاميذه ، وابناؤه (نسبة الى بيت اليتيم الدرزي) في حيرة لا يعرفون كيف يخرجون منها . فالوصية من جهة لا يجوز كسرها ، والرجل ، من جهة ثانية ، ليس مجرد رجل عادي . منذ ان كان واحدا من رجال الادارة في سوريا ولبنان ، الى ان خاض غمار السياسة ، وعف عن زيفها ، وهو رجل الملمات .. ولكن هناك حل وسط . يكون النعش بسيطا ، والوداع صامتا ، ولكن تقام جنازة ، ويكون وداع . وقد اشترك في الوداع وهو ينطلق من بلدة « عبيه » آلاف المشيعين ، بينهم الاستاذ غسان تويني ، والياس سابا .

وحدها الدولة غابت عن ... التشييع .

مجلة الحوادث العدد ٩٥٦ بيروت في ٢٨ آذار سنة ١٩٧٥

تشييع الفقيد إلى مثواه الأخير في بلدة « عبيه »

[قلنا لرجل تقدمت به السن : هل كتبت وصيتك ؟

قال : **أيجوز للمؤمن أن يبيت ليلته إلا ووصيته تحت وسادته .**

لقد أوصيت وأنا في شرخ الشباب ، أي في الحادية والعشرين ، فكيف بي وقد خنقت الثمانين وأشرفت على التسعين .

قلنا : وكيف أوصيت ، إننا لا نسألك بما أوصيت من مال ، فهذا شأنك ، ولكن **نريد أن نعرف ما يتعلق بالمراسم الاجتماعية والدينية وملابساتها** ، فلعله يكون إسوة لنا ؟

قال : هذا شيء خاص ارتضيته لنفسي وما أحسبكم تطيقونه .

قلنا : هات ونحن نسمع ونرى .

قال : رأيت الناس تزعجهم هذه المناحات وأكثرها لا موجب له . ينعى بشخص لا علاقة لهم به ، وقد يكونون لايعرفونه ، يجيء من يجيء متكلفاً مكرهاً ، ويعود متذمراً منزعجاً . **هذا شيء لا أريده** . فلا أريد أن أنعى فأزعج الناس . فمن جاء من ذات نفسه فله أجره .

قلنا له : هذا صعب .

قال : كل نفس وما اختارت .

قلنا : وبعد ؟

قال : وهذا الندب والصياح لا أحبها فلا أريدهما ، **فجلال الموت بالصمت** . وهذه التوابيت الضخمة الفخمة التي تراد للأبهة والعظمة ، ولم يكن لنا فيها عهد من قبل ، إنها مظاهر فارغة لا تعجبني ، **حسبي كفن ألف** به ، أو تابوت عادي يصنعه نجار على ما كان يقع من قبل هذه السنوات الأخيرة .



أعضاء المجمع سنة ١٩٢٤م وظهر الفقيد بينهم في أول الصف الثالث من يسار الصورة

قلنا : هذا قد يكون له وجه .

قال : وهذه « **الترجومة** » التي يسمونها صلاة ، **وليست صلاة ،** بل هي تأبين ، تقوم على غير أساس من أسس المذهب ، وفيها من المبالغات التي لا يستسيغها عقل ولا منطق ، **لا تعجبني بل أنا أمقتها** ، وكان لها زمن وانقضى .

قلنا : وبعد ؟

قال : يجمع ما كان ممكناً أن يصرف من مال ، **ويضاف إليه مثله** ، وينفق في سبيل من سبل الخير .

هذه وصيتي وهذا ما أريد ، وأشدد عليه ، راجياً العمل به تنفيذاً لرغبتي . ووصية المرء مقدسة واجبة التنفيذ والتحقيق .

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفي

عارف النكدي]

ولكن رغم هذه الوصية ، ورغم الخلافات الطائفية ، فقد تقاطر الدروز من مختلف البلاد والقرى ، في الرابع والعشرين من آذار ، بعد أن سمعوا الناعي ، والحزن والألم باديان على وجوههم وقد فقدوا رجلاً قلّ أن تحمل النساء بمثله ، ومشى الجميع مع وفود من مختلف الطوائف بمسيرة مشهودة ، يوارون فقيدهم ، فقيد العروبة ، الثرى في بلدة عبيه من جبل لبنان .

عارف النكدي المجمعي

في الجلسة التي عقدها أعضاء المجمع العلمي العربي المؤسسون ، بتاريخ

٢٠ من آذار (مارس) سنة ١٩٢٣ م [١] ، برياسة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وبترشيح منه ، أجمع الأعضاء على انتخاب **الأستاذ عارف الكندي** زميلاً لهم ، وكان يومئذ ، يتولى منصب المفتش العام للقضاء السوري ويدرّس علم الاجتماع في معهد الحقوق العربي بدمشق .

وأخذ عارف النكدي ، بعد أن اعتمد انتخابه ، يشارك زملاءه المجمعيين في خدمة العربية ، والدفاع عن سلامتها ، ودعم الفصحى حيث يستطيع ، كما أخذ يشاركهم في القاء المحاضرات التي اعتاد المجمع اقامتها أسبوعياً في ردهته الكبرى[٢] ، كما كان يقوم بتزويد مجلة المجمع ، كلما سنحت له الفرصة ، بفصول وكلمات ممتعة في التاريخ والنقد ، وفي والتعريف بما يطلع عليه من مؤلفات أو مترجمات .

ولما أقصي عارف النكدي عن منصبه سنة ١٩٣٠ م ، واضطر بعد ذلك إلى ترك الإقامة بدمشق ، أعتبر عضواً مراسلاً للمجمع ، حتى إذا ماعاد إلى اقامة بها سنة ١٩٤٤ ، أعيد انتخابه عضواً عاملاً ، واحتل الكرسي الذي كان قد شغر بوفاة الأستاذ رشيد بقدونس ، وقال الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وهو يشير إلى هذا الانتخاب ، إن الأستاذ النكدي **« من خيرة العلماء المشهود لهم بسعة الاطلاع ومواصلة العمل[٣] »** وصدر المرسوم الجمهوري الذي يعتمد هذا الانتخاب ، بتاريخ ٣١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٤٤ م .

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ص ٩٦ ج ٣ مج ٣ سنة ١٩٢٣ م .

(٢) يطلق عليها اليوم اسم « قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي » تخليداً لذكراه .

(٣) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ص ٤٧١ من الجزء ٩/١٠ من المجلد ١٩ الصادر في تشرين الأول ١٩٤٤ م .

وعندما اتحدت سورية ومصر ، واندمج مجمعاهما باسم « مجمع اللغة العربية » شارك عارف النكدي في أول مؤتمر عقده المجمعان في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٦١ م بالقاهرة ، وألقى في المؤتمر بحثاً قيما عنوانه : « **الوحدة العربية** »[١] .

وتم انتخاب عارف النكدي عضواً في **لجنة المطبوعات والمجلة** ، بتاريخ ٦/١٠/١٩٦٦ ، فقام خلال أربع سنوات بهذا التكليف بما عهد فيه من جد ونشاط .

وبتاريخ ١ من كانون الأول سنة ١٩٦٩ انتخب مجلس المجمع العلمي العراقي في بغداد عارفاً النكدي **عضواً مؤازراً** له .

وظل عارف النكدي ، طوال حياته يحضر جلسات مجلس مجمع دمشق الشهرية ، مشاركاً في الأعمال المجمعية ، غير متوان أو متغيب إلا لعذر ، وكان آخر عهدنابه يوم الخميس في الثالث عشر من شهر آذار (مارس) المنصرم ، أي قبل وفاته بعشرة أيام .

كما ظلّ يشارك في تحرير مجلة المجمع حتى العدد الماضي منها ، ومن غرائب المصادفات أن آخر جملة كتبها في تعريفه بكتاب « مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية » كانت : [**وللدولة ـ على ما قال ابن خلدون ـ أعمار** (**فاذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون**)[٢]].

(١) انظر ص ١٠١ من مجموعة « البحوث والمحاضرات » لمؤتمر مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ بالقاهرة .

(٢) انظر ص ١٧٤ من المجلد ٥٠ من المجلة الصادر في سنة ١٩٧٥.



أعضاء مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦١ في زيارة لقصر عابدين في القاهرة وظهر الفقيد في الصف الأول وعن يسراه الشيخ رضا الشبيبي والأستاذ الرئيس حسني سبح

آثار عارف النكدي العلمية

عني عارف النكدي باللغة العربية وبالتاريخ الإسلامي ، ودرّس علم الاجتماع ، واشتغل بالصحافة السياسية فأصدر جريدة « الإيام » ، كما أصدر مجلة شهرية باسم « الميثاق(١) » تبحث في الاجتماع والأدب والتاريخ والثقافة والعلم وكل ما يهم الطائفة الدرزية ، وإذا كنا لم نستطع الاطلاع على كامل مجموعة هذه المجلة ، ونحن نكتب هذه ترجمة ، ولا العودة إلى مجموعة جريدتي « الإيام » ، و « اليوم » التي صدرت بدلاً عنها ، لمعرفة مانشره الفقيد فيها ، فإننا نستطيع تصنيف آثاره العلمية المعروفة لدينا ، بما يلي :

أولاً : الكتب المطبوعة

١ ـ الموجز في علم الاجتماع

مجموعة المحاضرات التي ألقاها في معهد الحقوق العربي ، طبعت في مطبعة المفيد بدمشق سنة ١٩٢٥ م .

٢ ـ القضاء في الاسلام

أصله محاضرة ألقاها في بهو المجمع العلمي العربي ، ثم وسعها ، وأصدرتها المكتبة العربية بدمشق كتاباً مستقلاً سنة ١٩٢٢ م .

٣ ـ معضلة الشرق ـ الأقطار العربية المحررة : سورية ـ العراق ـ لبنان

كتاب وضعه بالفرنسية خير الله خير الله وطبع في بيروت . وهو يتناول لمحات تاريخية عن هذه الأقطار الثلاثة ، وفيه الوثائق الرسمية التي وضعها الحلفاء لاستقلال الشعوب ، وقد ترجمه الفقيد بموافقة مؤلفه كما ذكر لنا في ترجمته لنفسه ، ولم أطلع عليه لنفاده وعدم وجود نسخة منه في المكتبة الظاهرية .

---

(١) ابتدأت المجلة بالصدور سنة ١٣٨٤ ﻫ ـ ١٩٥٤م، باسم السيد شكيب النكدي في عبيه لبنان .

ثانياً : المحاضرات المنشورة

١ ـ القضاء في الإسلام

محاضرة ألقاها في بهو المجمع العلمي العربي في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢١ ، ونشرت في الصفحة ٧٥ من الجزء الأول من مجموعة « محاضرات المجمع العلمي العربي » دمشق ١٩٢٥ م .

٢ ـ الأندلس « عبرة وذكرى »

محاضرتان ألقاهما في بهو المجمع العلمي العربي في شهري آذار ونيسان (مارس وأبريل) سنة ١٩٢٩ م ، ونشرتا في الصفحة ٣٦٣ من الجزء الثالث من مجموعة « محاضرات المجمع العلمي العربي » دمشق ١٩٥٤ م .

٣ ـ العنصر العربي ـ القضاء اللبناني ـ الوضع الاجتماعي

محاضرة ألقاها في المؤتمر الأول للمحامين العرب المنعقد في دمشق ١٩٤٤م ، ونشرت في كتاب المؤتمر وفي المجلدين العشرين والحادي والعشرين من مجلة المجمع .

٤ ـ اللغة العربية بين الفصحى والعامية

محاضرة ألقاها في مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد بدمشق ، ونشرت في مجلة المجمع بدمشق سنة ١٩٥٧ وسنة ١٩٦٩ م .

٥ ـ الوحدة العربية

بحث ألقاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٦١ م ، ونشر في مجموعة البحوث والمحاضرات للمؤتمر .

ثالثاً : المؤلفات والمحاضرات المخطوطة

ذكر عارف النكدي في الترجمة لنفسه ، أن له مؤلفات لم تزل مخطوطة وهي :

١ ـ عمر بن عبد العزيز

كتاب يقع في قرابة مئتي صفحة من القطع المتوسط ، وفيها ترجمة تثبت أن الحاكم الصالح يستطيع أن يصلح أمور الدولة مهما استشرى فيها الفساد، إذا هو عفّ عن أموال الأمة ، وقطع اليد التي تمتد إلى جهاز الدولة ، سواء أكانت هذه اليد قريبة أو بعيدة .

٢ ـ الولايات الأوروبية المتحدة

بحث سياسي في هذه الوحدة التي نادى بها المسيو بريان ، وكان سبقه إليها بيار دوبوا في كتاب ألفه سنة ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦م بعنوان (استرداد الأرض المقدسة) ، وجاء بعد بيار دوبوا أميريك كرو وكان من دعاة التفاهم الشرقي والغربي الزمني والديني ، ثم جاء كروسيوس مؤلف كتاب (حقوق الحرب والسلم) ثم سوللي وزير هنري الرابع ، وبعد هؤلاء الأب سان بيار ، وكلهم بحث فيها .

٣ ـ الحركات اللبنانية الثلاث في سنوات (١٨٤١ و ١٨٤٥ و١٨٦٠م)

كتاب يؤرخ للحركات الثلاث ، وهي حركات طبقية بين قلة حاكمة وكثرة محكومة ، كان لابد من وقوعها ، كما وقعت في كثير من بلاد العالم . وهي حركات سياسية واجتماعية ألبست لباس الدين .

٤ ـ تاريخ الأمير السيد عبد الله التنوخي

كتاب يترجم للأمير المذكور ويبين أعماله ويدرس مبادئه الدينية والوطنية.

٥ ـ بنو معروف في لبنان

كتاب يؤرخ لدروز لبنان وحروبهم ومنازعاتهم واقطاعهم .

٦ ـ حياة محمد

كتاب مترجم عن مؤلف أميل درمانغام ، الذي سبق أن عرف النكدي به في المجلد التاسع من مجلة المجمع .

٧ ـ الحياة الاقتصادية

ترجمة لكتاب فريدريك باقي .

كما أشار الفقيد ، فيما كتبه عن نفسه ، إلى أنه كان ألقى بعض محاضرات لم تزل مخطوطة لديه ، وأردف قائلاً : « وقد فكرت في توسيع هذه الموضوعات فحال دون ذلك **الانصراف الى أعمال أخرى ، وزهد في اخراج الكتب وعجز عن تصريفها** » .

رابعاً : مانشر في مجلة المجمع

كادت مجلدات مجلة المجمع العلمي العربي ، مجمع اللغة العربية بدمشق المحسون ، لاتخلو من اسم فقيدنا عارف النكدي ، **باحثاً محققاً ومؤرخاً ناقداً** ، وفيما يلي ثبت بما نشرته المجلة للفقيد في مجموعتها كاملة :

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٢٤	٤/٣٣٩ ـ ٣٤٨	نقد وتعريف بديوان (**الوأوآء الدمشقي**) تحقيق المستشرق الروسي (أغناطيوس كراتشكوفسكي).
١٩٢٥	٥/٢٠٠	نقد وتعريف بكتاب (أصول استماع الدعوى الحقوقية) تأليف علي حيدر ، نقله إلى العربية فائز الخوري .
	٥/٢٣٥ ـ ٢٣٧	نقد وتعريف بكتاب (مقابلة بين الحقوق الرومانية والحقوق الإسلامية والإفرنسية والإنكليزية) تأليف فائز الخوري .
	٥/٤٣٨ ـ ٤٤٢	نقد وتعريف بكتاب (**خطط الشام** ج١) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
	٥/٥٣١ ـ ٥٣٣	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج٢) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
١٩٢٦	٦/٣٢٦ ـ ٣٢٨	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج ٣) تأليف الرئيس محمد كرد علي .

١٩٢٧	٦/٢٢٨ - ٢٣٠	نقد وتعريف بكتاب (المرأة في شرع الإسلام) تأليف عبد الله اليافي .
	٧/٥١٠ - ٥١٨	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج ٤) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
١٩٢٨	٨/٥٠٨	نقد وتعريف بكتاب (الصكوك الحقوقية) تأليف محمد مصباح محرم .
١٩٢٩	٩/١٢١ - ١٢٢	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج ٥) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
	٩/١٨٢	نقد وتعريف بكتاب (التربية الوطنية) تأليف عبد العزيز البشرى .
	٩/٢٥٧ - ٢٦٨	(**الأندلس - عبرة وذكرى**) محاضرتان القاهما عارف النكدي في بهو المجمع في شهري آذار ونيسان ١٩٢٩ .
	٩/٣٢٩ - ٣٤٠	(الأندلس عبرة وذكرى -٢) تتمة .
	٩/٤٤٣ - ٤٤٨	نقد وتعريف بكتاب (**حياة محمد**) تأليف أميل درمانغام .
	٩/٥٤٥ - ٥٥٧	(الاندلس - عبرة وذكرى - ٣) تتمة .
	٩/٥٧٠	تعريف بكتاب (ذيل الصكوك الحقوقية) لمحمد مصباح محرم .
	٩/٦٥٧ - ٦٦٠	تعريف ونقد (مشروع بكتابة الحركات بحروف عربية) لزهير الشهابي .

١٩٣٠	٥٩/١٠ - ٦١	نقد وتعريف بكتاب (خطط الشام ج٦) تأليف الرئيس محمد كرد علي .
	٥٠٧/١٠	نقد وتعريف بكتاب (الإمتيازات الأجنبية) تأليف محمد عبد الباري .
	٥٠٨/١٠	نقد وتعريف بكتاب(نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر) تأليف محمد بن يحي زبارة الصنعاني .
	٥٠٩/١٠	تعريف بكتاب (السوريون بمصر) للخوري بولس قرألي .
	٧٧٦/١٠	تعريف بكتاب (موجز في الصكوك الجزائية) تأليف فارس الخوري ومحمود النحاس .
١٩٣١	١٨٣/١١-١٨٧	نقد وتعريف بمعجم (**البستان**) تأليف عبد الله البستاني .
	٢٥٢/١١-٢٥٣	نقد وتعريف بكتاب (الشرع الدولي في الاسلام) تأليف نجيب الأرمنازي .
	٣٦٠/١٩	تعريف بكتاب (نظام عقد المعاهدات) تأليف محمد عبد المنعم مصطفى .
١٩٤٤	٤٧٣/١٩-٤٧٦	على ذكر « **الفند** » تحقيق لغوي، وانظر التصويب ص٩٥ من المجلد ٢٠.
١٩٤٥	٢٦٠/٢٠-٢٦٣	نقد وتعريف بكتاب « أصول القانون » تأليف عبد الرزاق السنهوري وأحمد حشمة أبو ستيت .

١٩٤٥	٢٠/٢٠٥-٣٠٩	« **العنصر العربي** » – ١ – ملخص محاضرة ألقيت في المؤتمر الأول للمحامين العرب المنعقد في دمشق سنة ١٩٤٤ .
	٢٠/٣٦٢ - ٣٦٣	نقد وتعريف بكتاب «النظرية العامة للإلتزامات» تأليف عبد الرزاق السنهوري .
	٢٠/٣٦٤	نقد وتعريف بكتاب « الموجز في النظرية العامة للإلتزامات » تأليف عبد الرزاق السنهوري .
	٢٠/٤٩٧ - ٥٠٢	« **القضاء اللبناني** » – ٢ – تتمة ملخص المحاضرة التي ألقيت في المؤتمر الأول للمحامين العرب .
	٢٠/٥٥٠ - ٥٥٣	نقد وتعريف بكتاب « شرح ديوان زهير بن أبي سلمى » صنعة ثعلب تحقيق أحمد زكي العدوي .
	٢٠/٥٥٣ - ٥٥٥	نقد وتعريف بكتاب « ديوان الهذليين » شرح السكري – نشر أحمد الزين وأحمد زكي العدوي .
	٢٠/٥٥٥ - ٥٥٦	نقد وتعريف بكتاب « الوجيز في الحقوق الرومانية » تأليف منير العجلاني .
١٩٤٦	٢١/١٦ - ٢٢	« **القضاء اللبناني – الوضع الاجتماعي** » – ٣ – تتمة ملخص المحاضرة التي ألقيت في المؤتمر الأول للمحامين العرب .
	٢١/١٦٣	نقد وتعريف بكتاب (نظام جديد وحياة جديدة – الأداة الحكومية) تأليف إبراهيم مدكور ومريت غالي .

١٩٤٦	٢١/١٦٧	نقد وتعريف بكتاب (العمل لمصر ـ بعث دولة وإحياء مجد) تأليف محمود كامل .
	٢١/١٧١	نقد وتعريف بكتاب (سياسة الغد) تأليف مريت بطرس غالي .
	٢١/١٧٣	تعريف بكتاب (تاريخ المشايخ اليازجيين وأصهارهم) تأليف عيسى إسكندر المعلوف .
	٢١/٣٥٢	نقد وتعريف بكتاب (موجز الإقتصاد السياسي) تأليف أحمد السمان .
	٢١/٣٥٤	نقد وتعريف بكتاب (الوقائع والنظريات الإقتصادية في العصر الحديث) تأليف أحمد السمان .
	٢١/٣٥٦	تعريف بكتاب (إلياذة هوميروس) تأليف ألفرد تشرشل ترجمة عنبرة سلام الخالدي .
	٢١/٣٥٧	تعريف بكتاب (المؤتمر الأول للمحامين العرب) إصدار نقابة المحامين بدمشق .
	٢١/٣٧٣-٣٧٦	(الدكتور حسني سبح) خطاب استقبال عضو جديد في المجمع .
	٢١/٥٥٤	نقد وتعريف بكتاب (ديوان ابن عنين) تحقيق الرئيس خليل مردم بك .
	٢١/٥٥٧	تعريف بكتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) تأليف الشيزري ـ تحقيق الباز العريني .
	٢١/٥٦٠	تعريف ونقد بكتاب (الجهاد السياسي) تأليف عبد الرحمن الكيالي .

١٩٤٦	٢١/٥٦١	تعريف بكتاب (محاضرات نقابة المحامين) أصدرته نقابة المحامين بحلب .
١٩٤٧	٢٢/٨٦ - ٩٥	**الأمير شكيب أرسلان** بمناسبة وفاته .
	٢٢/١٥٤-١٥٦	نقد وتعريف بكتاب (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس لابن دحية) تحقيق عباس العزاوي .
	٢٢/١٥٥	تعريف بكتاب (آراء وأحاديث في الوطنية والقومية) تأليف ساطع الحصري .
	٢٢/١٨٦	استدراك على ترجمة الأمير شكيب أرسلان .
	٢٢/٢٦١-٢٦٧	نقد وتعريف بكتاب (فلسفة التشريع في الإسلام) تأليف صبحي المحمصاني .
	٢٢/٢٦٧-٢٧٠	نقد وتعريف بكتاب (السلام الاجتماعي) تأليف عبد المجيد نافع .
	٢٢/٢٧٠-٢٧٢	نقد وتعريف بكتاب (ما لإنسان) تأليف مارك توين ترجمة أنور عمر .
	٢٢/٣٥٢-٣٥٤	نقد وتعريف بكتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزي) تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال .
	٢٢/٣٥٤-٣٥٦	نقد وتعريف بكتاب (نحل عبر النحل للمقريزي) تحقيق جمال الدين الشيال .
	٢٢/٣٥٦-٣٥٨	نقد وتعريف بكتاب (العناصر النفسية في سياسة العرب) تأليف شفيق جبري .
	٢٢/٣٥٨-٣٥٩	تعريف بكتاب (رفاعة الطهاوي) تأليف جمال الدين الشيال .

١٩٤٧	٣٦٠/٢٢	تعريف بكتاب (حسنات الاضطهاد) تأليف أديب الطيار .
	٤٤٣-٤٤١/٢٢	تعريف بكتاب (درس في الدولة اللبنانية ـ دفاعاً عن الوطن ـ الفوضى السياسية والإدارية في الجمهورية اللبنانية) تأليف عمر فروخ .
	٤٤٥-٤٤٣/٢٢	نقد وتعريف بكتاب (نحو التعاون العربي) تأليف عمر فروخ .
	٤٤٦-٤٤٥/٢٢	نقد وتعريف بكتاب (مجلس الدولة) الكتاب التذكاري بافتتاح دار مجلس الدولة في مصر .
	٤٤٧/٢٢	تعريف بكتاب (الناطقون بالضاد في أميركة) ترجمة يعقوب العودات .
	٥٥١-٥٤٩/٢٢	تعريف بكتاب (أحكام الأوقاف) تأليف مصطفى الزرقا .
	٥٥١/٢٢	تعريف بكتاب (القانون الدبلوماسي) تأليف محمد حسني عمر .
	٥٥٢/٢٢	تعريف بكتاب (موجز عن أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة) تأليف محمد حسين هيكل .
	٥٥٣/٢٢	تعريف بكتاب (جمال الدين الأفغاني) تأليف قدري القلعجي .
	٥٥٣/٢٢	تعريف بمحاضرة قدري حافظ طوقان عن (الأفغاني) .
	٥٧١/٢٢	تصويب أخطاء طباعية .
١٩٤٨	١٢١/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (عشائر الشام) تأليف وصفي زكريا .

١٩٤٨	١٢٢/٢٣	نقد وتعريف بكتاب(القضايا الإقتصادية الكبرى في سورية ولبنان) تأليف منير الشريف .
	٢٧٥-٢٧١/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (يقظة العرب) تأليف جورج أنطونيوس ترجمة علي حيدر الركابي .
	٢٧٧-٢٧٥/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة لابن الفراء) تحقيق صلاح الدين المنجد .
	٤٥٠/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (قضية العرب) تأليف علي ناصر الدين .
	٤٥١/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (نظام الحكم في العراق) تأليف مجيد خدوري .
	٥٩٩-٥٩٣/٢٣	نقد وتعريف بكتاب (ظهر الإسلام) تأليف أحمد أمين .
١٩٤٩	١٠٨-١٠٣/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (عبقرية الإسلام في أصول الحكم) تأليف منير العجلاني .
	١١٢-١٠٨/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (عائشة والسياسة)تأليف سعيد الأفغاني .
	٢٨٨/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (خزائن الكتب القديمة في العراق) تأليف كوركيس عواد .
	٢٩٠/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (المآصر في بلاد الروم والإسلام) تأليف ميخائيل عواد .
	٢٩٣/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابيء) تحقيق ميخائيل عواد .

١٩٤٩	٢٩٥/٢٤	تعريف بكتاب (معنى النكبة) تأليف قسطنطين زريق .
	٩٥٥/٢٤	تعريف بكتاب (محاضرات نقابة المحامين في حلب — ٣) .
	٢٩٧/٢٤	نقد وتعريف بكتاب (الاجتهاد في الشريعة الإسلامية) تأليف محمد معروف الدواليبي .
	٢٩٨/٢٤	تعريف بكتاب (المدخل إلى الحقوق الرومانية) تأليف محمد معروف الدواليبي .
١٩٥٠	١٢٢/٢٥	تعريف بكتاب (ولاة دمشق في العهد العثماني لابن جمعه ولابن القاري) جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد.
	١٢٣/٢٥	نقد وتعريف بكتاب (العالم العربي) إصدار الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
	١٢٤/٢٥	تعريف بكتاب (مقدمة في تاريخ صدر الإسلام) تأليف عبد العزيز الدوري .
	٤٥٠/٢٥-٤٥٤	نقد وتعريف بكتاب (الدبلوماسية) تأليف مأمون الحموي .
	٤٥٥/٢٥	نقد وتعريف بكتاب (عثرات اللسان) تأليف عبد القادر المغربي .
	٤٥٧/٢٥	تعريف بكتاب (محاضرات نقابة المحامين في حلب — ٤) .
	٤٥٨/٢٥	تعريف بكتاب (الروض الأزهر في تراجم آل جعفر) تأليف مصطفى الواعظ .

١٩٥٠	٢٥/٤٥٩	تعريف بكتاب (المساجلات الموصلية في الندوة العمرية) تأليف مصطفى الواعظ .
	٢٥/٤٥٩	تعريف بكتاب (خريجو مدرسة محمد) تأليف ابراهيم الواعظ .
	٢٥/٥٧٧	نقد وتعريف بكتاب (الرسالة الجامعة للحكيم المجريطي) تحقيق جميل صليبا .
	٢٥/٥٧٨-٥٨٢	نقد وتعريف بكتاب (ديوان الوأواء الدمشقي) تحقيق سامي الدهان .
	٢٥/٥٨٣	نقد وتعريف بكتاب (المشاكل الحقوقية في إدارة الجماعات الواقعة تحت الإنتداب) ألفه بالفرنسية مصطفى البارودى .
	٢٥/٥٨٥	تعريف بكتاب(الإدارة) تأليف منير الشريف.
١٩٥١	٢٦/١٤٠	تعريف بمجلة المجمع العلمي العراقي في سنتها الأولى.
	٢٦/١٤٢	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ العراق السياسي الحديث) تأليف عبد الرزاق الحسني .
	٢٦/١٤٤	تعريف بكتاب (العمدة في الفقه الحنبلي لابن قدامة) ترجمه إلى الفرنسية هنري لاوست .
	٢٦/١٤٥	تعريف بكتاب (زبدة كشف الممالك لابن شاهين) ترجمه إلى الفرنسية فانتور دوبارادي .
	٢٦/٣٠٠	نقد وتعريف بكتاب (أحمد شوقي) تأليف عمر فروخ .
	٢٦/٣٠٢	تعريف بكتاب (من أضواء الماضي) تأليف سامي الكيالي .

١٩٥١	٢٦/٣٠٣	تعريف بمجلة (ثقافة الهند) .
	٢٦/٤٣٣	نقد وتعريف بكتاب (في أصول النحو) تأليف سعيد الأفغاني .
	٢٦/٤٣٤	نقد وتعريف بكتاب (الوسائل إلى مسامرة الأوائل للسيوطي) تحقيق أسعد طلس .
	٢٦/٤٣٦	تعريف بكتاب (اليزيديون في حاضرهم وماضيهم) تأليف عبد الرزاق الحسني .
	٢٦/٦٠٦	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ الأزمنة للبطريك الدويهي) نشر افرديتان توتل .
	٢٦/٦٠٩	نقد وتعريف بكتاب (مفهوم الدولة) تأليف مصطفى البارودي .
	٢٦/٦١١	نقد وتعريف بكتاب (**شرح قانون العقوبات**) تأليف عدنان الخطيب .
١٩٥٢	٢٧/١٠٤	نقد وتعريف بكتب (آراء وأحاديث في القومية العربية) ،(آراء وأحاديث في التاريخ والإجتماع)، (محاضرات في نشوء الفكرة القومية) تأليف ساطع الحصري .
	٢٧/١٠٦	نقد وتعريف بكتاب(الوجيز في الحقوق الإدارية) تأليف مصطفى البارودي .
	٢٧/١١١	تعريف بمجموعة (المحاضرات العامة) لجامعة دمشق في السنة الجامعية ١٩٤٩ - ١٩٥٠.
	٢٧/١١٣	نقد وتعريف بكتاب (عبد الله بن المعتز – أدبه وعلمه) تأليف عبد العزيز سيد الأهل .

١٩٥٢	١١٥/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (هداية القرآن لبني الإنسان) تأليف يحيى الدرديري .
	١٥٧/٢٧	استدراك على ماسبق نشره .
	٢٦٤/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين) تأليف محمد المنوني .
	٢٦٧/٢٧	تعريف بكتاب (محنة في الفردوس كشمير) تأليف نور الدين داود .
	٢٧٠/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين) تأليف فيليب الطرازي .
	٢٧١/٢٧	تعريف بمجلة (ثقافة الهند) .
	٢٧٣/٢٧	تعريف بـ (مباحث في فن الطبخ عند العرب) وضعه بالفرنسية م . رودنسون .
	٢٧٤/٢٧	تعريف بكتاب (أمواج الروح) لرفائيل بابو إسحق .
	٤٤٠/٢٧	نقد وتعريف بـ (الأمرة في الشرع الإسلامي) تأليف عمر فروخ .
	٤٤٢/٢٧	نقد وتعريف بـ (كتاب تاريخ إفرنج) ألفه بالفارسية رشيد الدين فضل الله ونقله إلى الفرنسية كارل يان .
	٤٤٤/٢٧	نقد وتعريف بكتاب (أدب الإملاء والإستملاء تأليف السمعاني) نقله إلى الألمانية مكس ويسويلر.
١٩٥٤	٤٣٦-٤٣٢/٢٩	الشاعر القروي – في ديوانه الجديد .
١٩٥٥	١١٨-١١٤/٣٠	نقد وتعريف بكتب :

		١ ـ عمر بن عبد العزيز : الخليفة الزاهد .
		٢ ـ أبو طالب ; شيخ هاشم .
		٣ ـ جعفر بن محمد : الإمام الصادق .
		تأليف عبد العزيز سيد الأهل .
	٣٠/١١٩-١٢١	نقد وتعريف بكتاب (التبشير والاستعمار) تأليف مصطفى الخالدي وعمر فروخ .
١٩٥٧	٣٢/١٨٩-٢٠٣	**اللغة العربية بين الفصحى والعامية** ، محاضرة النكدي في مؤتمر المجامع اللغوية العلمية .
	٣٢/٦٧٢-٦٨٠	نقد وتعريف بكتاب (مقدمة ابن خلدون) طبعة بيروت ١٩٥٦ .
١٩٥٨	٣٣/١٣٥-١٣٩	نقد طبعة (مقدمة ابن خلدون ـ ٢) .
١٩٦٠	٣٥/١٢ - ١٩	**العربية بين الفصحى والعامية** وكتاب رد العامي إلى الفصيح لأحمد رضا .
	٣٥/١٥٤-١٥٩	(ديوان ابن عنين) تحقيق خليل مردم بك تعليق على استدراك ـ ١ ـ
	٣٥/٣٢٨-٣٣١	(ديوان ابن عنين) تحقيق خليل مردم بك تعليق على استدراك ـ ٢ ـ
	٢٥/٣٣٢	ملاحظة على مقال عبد الله كنون .
١٩٦١	٣٦/٤٣ - ٤٦	**الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام** تقديم مخطوطة الكتاب .
	٣٦/١٦٦-١٧٥	**استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس** تعليق على كتاب نحـــل عبر النحل للمقريزي تحقيق الشيال .

١٩٦١	٣٦/٢٩٩-٣٠٢	نقد وتعريف بكتاب (الإسلام في نظر الغرب) نقلها إلى العربية إسحاق موسى الحسيني .
	٣٦/٣١٦-٣٢٥	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٢ —
	٣٦/٥٠٦-٥١٥	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٣ —
	٣٥/٥٣٩-٥٣٦	**كتاب الوحشيات** وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام —٢—
	٣٦/٦٩٦-٧٠٢	**حول رسم الهمزة**
١٩٦٢	٣٧/١٧٠-٢٧٦	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٤ —
	٣٧/٢٩٥-٣٠٢	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٥ —
	٣٧/٣٨٩-٤٠٠	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٦ —
	٣٧/٤٩٠-٤٩١	نقد وتعريف بكتاب (جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار) تحقيق محمود محمد شاكر.
	٣٧/٥٢٤-٥٢٦	تصويبات لما نشر في الجزء الأول من المجلد .
	٣٧/٥٧١-٥٨٤	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٧ —
١٩٦٣	٣٨/٥٣ - ٦٨	استدراك وتعليق ونظرة إلى تاريخ بني العباس — ٨ —

١٩٦٣	٣٨/٢١١-٢٢٠	إستدراك وتعليق ونظـــرة إلى تاريخ بني العباس — ٩ —
	٣٨/٣٤٠-٣٤٣	**غير - الغير - المعاجم أم المعجمات** تحقيق لغوي .
	٣٨/٣٨٢-٣٩٢	استدراك وتعليق ونظـــرة إلى تاريخ بني العباس — ١٠ —
	٣٨/٥٠٥	تعريف بكتاب (قضايانا في الأمم المتحدة) تأليف خيري حماد .
	٣٨/٥٠٧	تعريف بكتاب (تحقيقات بلدانية — تاريخية أثرية) تأليف كوركيس عواد .
	٣٨/٧١١-٧٢١	**تسهيل الاملاء** تعليق على قرار لمجمع اللغة العربية في القاهرة .
١٩٦٥	٤٠/١٠٩-١١٦	مفعول - مفاعيل تحقيق لغوي .
	٤٠/٤١٦-٤٢١	**استدراكات ومقترحات على المجامع اللغوية .**
	٤٠/٧٩٧-٨٠٦	تعليق على مقال نشر في مجلة اللسان العربي لعبد العزيز بن عبد الله .
	٤٠/٨٦٩-٨٧٤	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ الأدب العربي) تأليف عمر فروخ .
١٩٦٦	٤١/١٦٢-١٦٦	نقد وتعريف بكتاب (رسوم دار الخلافة للصابىء) تحقيق ميخائيل عواد .
	٤١/١٦٧	تعريف بكتاب (الوزراء والكتاب — نصوص ضائعة) حققه ميخائيل عواد .

١٩٦٧	١٥٢-١٤٩/٤٢	نقد وتعريف بكتاب (التفاحة في النحو للنحاس) تحقيق كوركيس عواد .
	١٥٣-١٥٢/٤٢	تعريف بكتاب (لماذا أنا مسلم) تأليف راغب العثماني .
	٣٤٤-٣٤٢/٤٢	نقد وتعريف بكتاب (غادة أفاميا) تأليف عدنان مردم بك .
	٣٤٩-٣٤٥/٤٢	نقد وتعريف بكتاب (تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون) تأليف عمر فروخ .
	٥٧٤-٥٧٠/٤٢	نقد وتعريف بكتاب (دمشق تحت القنابل) تأليف أليس بوللو ترجمة إحسان هندي .
	٦٢٧-٦٢٤/٤٢	**ملاك - ملاكات** ، بحث لغوي .
	٨٤٥-٨٤١/٤٢	الدعابة والدعاوة ، بحث لغوي .
	٨٥٢-٨٤٦/٤٢	وصف كتاب (تحف الأنباء في تاريخ حلب الشهباء) تأليف بيشوف الجرماني ، طبع بيروت سنة ١٨٨٠ م .
١٩٦٨	٢١١-٢٠٩/٤٣	**المعرَض أم المعرِض** ، بحث لغوي .
	٤٣٤-٤٢٩/٤٣	نقد وتعريف بكتاب (عبد الرحمن الأوزاعي) تأليف طه الولي .
	٤٣٨-٤٣٤/٤٣	نقد وتعريف بكتاب (عشر سنوات في الدبلوماسية) تأليف نجيب الأرمنازي .
	٥٥٢-٥٤٤/٤٣	اللغة اللبنانية ، رد على دعاتها .
	٩٢٥/٤٣	عبد الغني النابلسي ترجمة ووصف مخطوطة عن رحلة الحجاز .

١٩٦٩	٤٤/٤٥ - ٦٠	**العربية بين الفصحى والعامية — ٢ —**
	٤٤/٦١٩-٦٢٣	نقد وتعريف بكتاب (مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين) تأليف صلاح الدين المنجد .
	٤٤/٦٢٣-٦٢٤	نقد وتعريف بمسرحية (الملكة زنوبيا) شعر عدنان مردم بك .
١٩٧٠	٤٥/١٦١-١٦٥	نقد وتعريف بكتاب (نور الدين زنكي) وضعه بالفرنسية نيكيتا إليسيف .
	٤٥/٦٤٩-٦٥٧	نقد وتعريف بكتاب (عروبة لبنان - تطورها في القديم والحديث) تأليف محمد جميل بيهم .
١٩٧١	٤٦/٣٨٠-٣٨٣	نقد وتعريف بكتاب (مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الصلت) تحقيق سامي حداد .
١٩٧٢	٤٧/٦٦٥-٦٧٠	نقد وتعريف بكتاب (**الشيخ طاهر الجزائري**) تأليف عدنان الخطيب .
١٩٧٣	٤٨/١٧٧-١٨١	نقد وتعريف بكتاب (معجم بني أمية) تأليف صلاح الدين المنجد .
	٤٨/٢٤٠-٢٤٣	**خمس كلمات** ، تحقيق لغوي .
	٤٨/٦٧٤-٦٨٢	نقد وتعريف بمسرحية (مصرع غرناطة) شعر عدنان مردم بك .
١٩٧٥	٦٠/١٧٣-١٧٤	نقد وتعريف بكتاب (مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية) تأليف سعدي أبو جيب .



نماذج من توقيعات الفقيد في مختلف المناصب التي تقلدها ، وفي الأسفل ظهرت آخر جملة نشرت له في هذه المجلة مع توقيعه الصريح

مصادر ترجمة الفقيد

إن المصادر التي اطلعت عليها قبل الترجمة للفقيد هي :

١ – الإضبارة المجمعية ذات الرقم ٨٩ / ٩ ، وفيها ترجمة ذاتية بقلمه .

٢ – كتاب « من هو » إصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية في سورية دمشق سنة ١٩٤٩ ص ٤٥٤ .

٣ – كتاب « من هم في العالم العربي » إصدار مكتب الدراسات السورية والعربية بدمشق سنة ١٩٥٧ ص ٦٢٨ .

٤ – « المجمعيون » لعدنان الخطيب الملف رقم ٢١ .

٥ – السجل العام لموظفي الدولة في سورية .

٦ – الملف الشخصي للمترجم له في مجلس الدولة .

هذا وتوجد للفقيد ملفات شخصية في كل من وزارة العدل والمديرية العامة للشرطة والأمن العام ، ولكني لم أتمكن من الإطلاع عليها .

رحم الله الفقيد جزاء بما أسداه من خير للعروبة وللوطن .

عدنان الخطيب

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

٦

ولكن الصورة الجديدة التي ظهر بها كتابا أبي عبيد وابن قتيبة لم تستطع أن تحجب أنماطاً أخرى في التأليف عرفها القرن الثالث نفسه .

أولها : النمط الذي اختطه ابراهيم الحربي :

١ — ولد أبو اسحاق (١) ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم الحربي ببغداد في سنة ١٩٨ هـ ، وكان أصله من مدينة مرو ، واستقبل الحياة في مفتتح عهد الخليفة العالم المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) وأتاحت له نشأته ببغداد ، موئل الحضارة ، وأم البلدان ، ومثابة العلماء ، أن يتلقى علومه على أيدي الصفوة من الأئمة الذين كانت تعج بهم بغداد . وفطر الحربيّ على حب العلم ، بدأ القراءة والسماع على الشيوخ صغيراً ، واتسع في الرواية ، وقويت صلته بالامام الكبير أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) اتصل به وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، وصحبه عشرين سنة صيفاً وشتاء ، وحراً وبرداً ، وليلاً ونهاراً ، وكان قدوته في الحياة : اهتدى بهديه واتبع طريقته حتى صار يقاس به في زهده وعلمه وورعه .

---

(١) انظر أبرز مصادر ترجمة الحربي في إنباه الرواة ١ : ١٥٥ (الحاشية) والأعلام ١ : ٢٤ — ٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١ : ١٢ ، وقد ترجم له الأستاذ حمد الجاسر ترجمة واسعة ضافية في مقدمة كتاب المناسك : ٧ — ٢٥٦

ـ وتلقى الحربي العربيـة عن أئمة اللغة في عصره ، روى عن أبي نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي فأكثر الرواية عنه ، وروى عن أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم صاحب أبي عبيدة ، وعن ابن نجدة صاحب أبي زيد الأنصاري ، وعن سلمة بن عاصم النحوي صاحب الفراء ، وعن العباس بن الفرج الرياشي ، وسعدان بن نصر ، وابي عدنان ، وعبـد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ، ومحمد بن الجهم السمري(٢٧٧هـ)[1] ، وابن الأعرابي ، وأبي الهيثم الرازي ، والمبرد ، وثعلب .

ـ كان الحربي مكباً على الدرس والتحصيل ، لايعنيه من أمر الدنيا غير العلم والمطالعة ، أنفق في طلب الحديث ثروته ، وكان كثير التقييد لما سمع ، كتب بخطه اثني عشر ألف جزء في اللغـة والغريب ، يقول أستاذه ثعلب : « مافقدت ابراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو ، خمسين سنة » ويقول الحربي نفسه : « بقيت على سور الرهينـة عشرين سنـة أكتب » حتى جمع كتباً كثيرة ؛ ولما سئل : كيف قويت على جمـع هذه الكتب قال : « بلحمي ودمي » . وغدا الحربي « اماماً في العلم ، رأساً في الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله ، قيّما بالأدب ، جماعا للغة » . روى عنه كثيرون نعدد منهم من أئمة اللغة أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٧ هـ) وأبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب (٣٤٥ هـ) . ومات الحربي ببغـداد في سنة ٢٨٥ هـ [2] .

---

(١) السمري : بكسر السين وتشديد الميم المفتوحة وفي آخرها الراء (اللباب ٢ : ١٣٨)

(٢) تاريـخ بغداد ٦ : ٢٧-٤٠ و٢ : ١٦١ ، إنباه الرواة ١ : ٣٦ ، ١٥٥ - ١٥٨ مقدمة تهذيب اللغة : ٤٩ - ٥٠ ، ٦١ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٨٦-٩٣ =

٢ — صنف أبو اسحاق الحربي كتباً كثيرة ، أشهرها كتابه في غريب الحديث ، وهو يعدّ من أجل كتبه ومن أكبر ماصنف في هذا الفن ، جمع فيه وبسط القول وشرح ، واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدها ، وأطاله بذكر متونها وألفاظها ، وإن لم يكن فيها الا كلمة واحدة غريبة ، فطال لذلك كتابه .

— وضع الحربي كتابه على أساس ترتيب الصحابة ، كان يورد من أحاديث الصحابي مافيه كلمة غريبة ، يعقد لها باباً ، ويورد في أعقاب الحديث أحاديث أخرى وآيات وأشعاراً ، تدور فيها الكلمة أو اخوات لها في الاشتقاق لينتقل من بعد الى شرحها جميعاً شرحاً وافياً مؤيداً قوله بالشواهد من الشعر ، ثم يقلب الكلمة الى صور أخرى لم ترد في شيء من الأحاديث التي سبقت ، فيعقد لها أبواباً ويسوق ما وردت فيه من الأحاديث والآي والشعر ، ليعود فيفسرها ويذكر معانيها . فإذا انتهى من ذلك كله انتقل الى حديث آخر من أحاديث الصحابي فيه كلمة غريبة يعقد لها باباً ثم يمضي على طريقته التي أخذ بها نفسه في الشرح والتفسير . فاذا أنهى غريب ماجاء عن ذاك الصحابي انتقل إلى غيره ، وهكذا . ويتخلل الكتاب استطرادات تتصل باللغة والأدب والفقه والقرآن والدين والتاريخ والبلدان .

وخرج من كتابه ، طبقاً لما ذكر ابن النديم في الفهرست ، مسند أبي بكر ، مسند عمر ، مسند عثمان ، مسند علي ، مسند الزبير ، مسند طلحة ، مسند سعد بن أبي وقاص ، مسند عبد الرحمن بن عوف ، مسند العباس ، مسند شيبة بن عثمان ، مسند عبد الله بن جعفر ، مسند المسور بن مخرمة الزهري ، مسند المطلب بن ربيعة ، مسند السائب المخزومي ،

=و٢ : ١٧ ، ٦٩ ، فوات الوفيات ١ : ٥ ٧ ، البداية والنهاية ١٠ : ٣٢٦ ، المناسك : ١٧٢ — ١٨٠

مسند خالد بن الوليد ، مسند أبي عبيدة بن الجراح ، مسند معاوية وغيره ، مسند عمرو بن العاص ؛ مسند عبد الله بن العباس ، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ، مسند الموالي ، وهو آخر ماعمل .

وذكر أبو بكر محمد بن خير الأشبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) أن أبا اسحاق الحربي مات ولم يتم الديوان ، ثم حدّ الموضع الذي انتهى اليه بالتأليف حسب نسخة الكتاب التي وقعت الى الأندلس ، وهو حديث ابن عمر : « ليت [شعري ، من] هذا الأشج من ولد عمر ، الذي في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلا » وفسره وذكر الشجاج . وبها تم الديوان . وهي تقل عن النسخة التي عرفها المشارقة والتي تنتهي بمسند الموالي .

وقد حفظت لنا المكتبة الظاهرية بدمشق المجلدة الخامسة من كتاب الحربي وهي آخر المجلدات الخمس من الكتاب ، وتشمل من مسند عبد الله بن عمر ختام الشروح المتصلة بالحديث التاسع والثلاثين ، والأحاديث الخمسة التي تليه ، وينتهي مسند ابن عمر بالحديث الرابع والأربعين ، ليعقبه غريب حديث عبد الله بن عباس ، فيورد من أحاديثه ثمانية وسبعين حديثاً ، وتختتم المجلدة بغريب أحاديث الموالي : زيد بن حارثة وأسامة بن زيد وثوبان وعمار وخباب وصهيب وأبي رافع وسفينة وعامر بن ربيعة وسلمان وعتبة بن غزوان والمقداد .

ـ اختار الحربي لكتابه هذا الترتيب ، فعرض لغريب الحديث مرتباً على الكلمات ، فكان بذلك أول من قام بهذا النوع من التصنيف في كتب غريب الحديث ، لم يسبقه إليه سابق . ونعم كتاب

الحربي بالقبول ، ذكره ابن خير في فهرسته ، والرعيني في برنامج شيوخه، وعده الصاغاني في التكملة من مصادره ، ونقل عنه البكري في معجم ما استعجم ، والجواليقي في المعرب ، وكان مصدراً هاماً لجميع من جاء بعد الحربيّ من المؤلفين في غريب الحديث واللغة ، سواء انقلوا عنه أم نقدوه وتعقبوه . وكان للكتاب الفضل الأول في أن عُـدّ الحربيّ من علماء اللغة ، فترجم له غير واحد ممن ألفوا في رجالها .

– ولكن طريقة الحربي في سوق الأحاديث بأسانيدهـــا ، وفي تقليب الكلمات شارحاً ومفسراً ، وفي استطراداته المختلفة يستمدهـــا من ثقافته الواسعة ـ وهو الامام الحافظ المتقن العارف بالفقه والحديث واللغة والأدب ـ قد أطالت الكتاب وشتتت فوائده ، وصعب ترتيبه وعسر ، فلا يوجد الحديث فيه إلا بعد كلفة وعناء ، حتى إن الامام مجد الدين أبا السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) صاحب النهايـــة سمح لنفسه أن يقول في كتاب الحربي : « وبسبب طوله ترك وهجر ، وإن كان كثير الفوائد ، جمّ المنافع » (١) .

---

(١) إنباه الرواة ١ : ١٥٥ – ١٥٨ ، النهاية (ح . الطناحي) ١ : ٦ ، ٨ و ٥ : ٣٧٧ ، فهرست ابن خير : ١٩٤ ، الفهرست لابن النديم (ط . إيران) ٢٨٧ ، معجم الأدباء ١ : ١٢٨ – ١٢٩ ، مقدمة كتاب المناسك : ١٨١ - ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، برنامج شيوخ الرعيني : ٤٤ ، التكملة للصاغاني ، المقدمة ١ : ٧ ، المعرب للجواليقي : ٤٠٩ ، وانظر من أجل نسخة الحربي في الظاهرية ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : (١) المنتخب من مخطوطات الحديث : ٢٥٤ (٢) علوم اللغة العربية : ١٠٦ – ١٠٧ ، وقد وصف الأستاذ حمد الجاسر هذه النسخة فأحسن وصفها في مقدمته التي حبرها لكتاب المناسك : ٢٣٢ - ٢٣٧

٧

١ ـ وكان النمط الثاني من أنماط التأليف في غريب الحديث التي عرفها القرن الثالث ، انما هو ذلك النمط الذي اتبع فيه أصحابه الطريقة الاولى التي نشأت على أيدى أئمة اللغة في أواخر القرن الثاني ، واستمر التأليف وفقها في النصف الأول من القرن الثالث ، والتي كانت تمثل النموذج الاول للتأليف في غريب الحديث ، وتداخلت من حيث الزمن ، مع المرحلة التي بدأها أبو عبيد في كتابه ، كما بينا سابقاً (١) .

ـ لقد بقي لهذا النمط من التأليف أنصاره والمتمسكون به ، مضوا على سنن أسلافهم ، يختلفون في مؤلفاتهم اطالة وايجازاً ، وتتلون أساليبهم في الشرح والتفسير بما تستمده من ألوان الثقافة التي لقفها كل مؤلف ، وقد ينظر بعضها الى شيء يسير من الطريقة التي أبدعها أبو عبيد ، وقفا فيها أثره ابن قتيبة ، ولكنها جميعاً تمضي في الطريق الأولى التي اختطها أئمة اللغة الأولون ، تتجاهل هذا الجديد الذي بدأه أبو عبيد ، أو لا تعرج عليه إلا قليلا .

كان هؤلاء المؤلفون أو أكثرهم من أئمة اللغة المنقطعين لها ؛ القائمين في محاريبها ، قد وقفوا أنفسهم على مدارستها ، والتعرف إلى دقائقها ؛ يرون أنهم وحدهم القادرون على التأليف في غريب الحديث ، ويتشككون أن يقوى على الغريب غير المتبحرين في اللغة أمثالهم ، أما المتطرفون الذين يلمون من كل علم بطرف ، ويشاركون في الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب من أمثال الحربيّ وابن قتيبة فهم أعجز من أن يبلغوا الغاية في ذلك ، حكى الامام الذهبيّ أنه لما صنّف

---

(١) انظر الفقرة الثالثة ، ص : ٨٠ (مجلة المجمع ـ الجزء السابق) .

الحربي كتابه في (غريب الحديث) قال أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب امام الكوفيين في اللغة والنحو في عصره : « ما لابراهيم [الحربيّ] وغريب الحديث ؟ ! رجل محدّث »(١) .

٢ ــ أعلى من عرفناه من مؤلفي هذا النمط من رجال القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الرابع : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ) وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (٢٩٩ هـ أو ٣٢٠ هـ) وكتابه في غريب الحديث نحو أربعمائة ورقة ، وأبو محمد القاسم بن محمد الأنباري (٣٠٥ هـ) وأبو موسى سليمان بن محمد الحامض (٣٠٥ هـ) وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١ هـ) وأبو عبد الله أحمد ابن الحسن بن اسماعيل السكوني(٢) الكندي النسابة ، أخذ عن ثعلب الأدب ، وكان له اختصاص بالخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) ثم بالخليفة من بعده المقتدر (٢٩٥ ــ ٣٢٠ هـ) وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧ هـ) ولم يتم كتابه في غريب الحديث(٣) .

ــ اننا ونحن نسلك هؤلاء العلماء في نسق واحد ، نرجح ذلك ترجيحاً ، بما عرفناه من مذاهبهم وكتبهم الأخرى ، وبما ذكره كتاب

(١) كتاب المناسك : ١٧٣ نقلاً عن سير أعلام النبلاء

(٢) في اللباب ٢ : ١٢٤ ــ ١٢٥ ، السكوني ، بفتح السين المهملة وضم الكاف وسكون الواو وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى السكون وهو بطن من كندة

(٣) الفهرست (ط مصر) : ١٠٠ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ــ ١٣٦ ، و (ط إيران) : ٩٦ ، إنباه الرواة : ٢ : ١١٣ ــ ١١٤ و ٣ : ٢٨ ، ٥٧ ــ ٥٩ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ١٥٢ ، ١٥٣ ، معجم الأدباء ٣ : ٨-٩ ، و ١٧ : ١٣٧ ــ ١٤١ ، مفتاح السعادة ١ : ١٣٨ ، بغية الوعاة : ٨ ، الوافي بالوفيات ٦ : ٣٠٩ ، لسان الميزان ١ : ١٥٣ ــ ١٥٤ ، ابن درستويه لعبد الله الجبوري : ٦٥

التراجم من دراساتهم وصلاتهم بعضهم ببعض تعلماً وتعليماً ، ومناظرة وردوداً ، وبالنقول القليلة التي تروى عنهم في كتب الغريب . إننا نرجح ذلك ولا نقطع به ، ذلك بأنه لم يصل إلينا ما ألفوه من كتبٍ في غريب الحديث .

٣ – ويذكر أصحاب التراجم أن أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد (٣٤٥ هـ) غلام ثعلب ، له كتاب في غريب الحديث ، صنفه على مسند الامام أحمد بن حنبل . وهو ، فيما يبدو ، لون جديد في التصنيف يلتزم فيه مؤلفه تفسير كتاب واحد شهير من كتب الحديث ، وقد فتح الزاهد الباب لهذا اللون من التصنيف ، فاقتدى به آخرون ألفوا في غريب الموطأ ، وغريب البخاري ، وغريب مسلم[1] .

– وذكر ابن النديم صاحب الفهرست أن أبا عمر الزاهد ألف كتاب غريب الحديث ، على الكلمات ، عمله للحصري ونحله إياه ، وترجم الكتاب : كتاب الحصري [في غريب الحديث] . وعاد ابن النديم فذكر مرة أخرى : كتاب غريب الحديث للحصري ، ألفه عن أبي عمر الزاهد ، ثم ذكر في موضع ثالث : أن ابن أبي أويس أحد الرواة للغة والأنساب والمآثر ، لقي فصحاء الأعراب ، وروى عن أبي سهل سعد بن سعيد ، ويعقب على ذلك بأنه استمدّ هذا الخبر من كتاب الحصري في الغريب[2] .

(١) إنباه الرواة ٣ : ١٧٤ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢ : ٦٨

(٢) الفهرست (ط إيران) : ٨٣ ، ٩٦ ، ١٢٠ ، وفي طبعة الفهرست المصرية جاء الاسم مرة : الحصري (ص : ١٢٠) ، ومرتين : الحضرمي (ص:١٣٥، ١٦٢) وفي معجم الأدباء ١٨ : ٢٣٢ ، ورد : (والكتاب الحضرمي في الكلمات !) وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٧٧

٤ ـ ويذكر المترجمون في عداد مؤلفي الغريب أبا العباس محمد بن علي بن الفضل الحافظ (٢٨٩ ﻫ) الملقب بفستقة ، صـــاحب الحسين بن علي الكرابيسي الفقيه (٢٤٥ ﻫ) ، وكان لفستقة كتاب غريب الحديث وتصحيح الآثار ، وهو كتاب كبير ، لم يتمه . ويذكرون أبا بكر محمد بن عثمان الشيباني المعروف بالجعد (بعد ٣٢٠ ﻫ) ، وأبا الحسين عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف القاضي الأزدي (٣٢٨ ﻫ) ، وله كتاب كبير في غريب الحديث ، لم يتمه [١] . ولا نملك مانستطيـع أن نصف به مؤلفاتهم .

٥ ـ ويتفرد أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (٢٧١ ـ ٣٢٧ ﻫ) . كان ابن الأنباري من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً ، وقد ذكرنا قبلُ ماقالوه في قوة حافظته [٢] ، وقد أملى أبو بكر كتاب (غريب الحديث) ، قيل : إنه خمس وأربعون ألف ورقة . ويقول الخطابي في صفته : « ولابن الانباري من وراء هذه الكتب مذهب حسن في تخريج الحديث وتفسيره ، وقد تكلم على أحاديث معدودة ، وقـع إليَّ بعضها ، وعامتها مفسرة من قبل إلا أنه قد زاد عليها وأفاد ، وله استدراكات على ابن قتيبة في مواضع من الحديث » [٣] .

٦ ـ كل هذه المؤلفات التي عددناها في أعقاب كتاب الحربي ، لم يصل الينا منها شيء ، غير نقول قليلة نجدها موزعـــة في كتب غريب الحديث التى بين أيدينا ، ولعل في كلمة الامام الخطابي التي عرض بهـا

(١) الفهرست (ط مصر) : ١٢٧ ـ ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٧٢ ، ٢٧١ ، تاريـخ بغداد ٣ : ٦٤ ـ ٦٥ ، الوافي بالوفيات ٤ : ١٠٧ ، بغية الوعاة : ٣٦٤ - ٣٦٥ ، معجم الأدباء ١٦ : ٦٩ و ١٨ : ٢٥٠ ـ ٢٥١

(٢) مجلة المجمع ، الجزء السابق ص ١٠٧ ـ ١٠٨

(٣) إنباه الرواة ٣ : ٢٠١ ـ ٢٠٨ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمـــة المصحح ، ص (و) ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢ : ٧٠ ، ٧١

لهذه الكتب مايقفنا على أظهر سماتها، قال: «إلا أن هذه الكتب ، على كثرة عددها، إذا حصلت كان مآ لها كالكتاب الواحد، إذ كان مصنفوها إنما سبيلهم فيها أن يتوالوا على الحديث الواحد، فيعتورونه فيما بينهم، ثم يتباروا في تفسيره، ويدخل بعضهم على بعض . ولم يكن من شرط المسبوق أن يفرج للسابق عما أحرزه ، وأن يقتضب الكلام في شيء لم يفسر قبله ، على شاكلة ابن قتيبة ، وصنيعه في كتابه الذي عقب به على كتاب أبي عبيد . ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيء منها على منهاج أبي عبيد.. ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة.. إنما هي أو عامتها إذا تقسمت وقعت بين مقصر لايورد في كتابه إلا أطرافاً وسواقط من الحديث ، ثم لا يوفيها حقها من إشباع التفسير ، وإيضاح المعنى ، وبين مطيل يسرد الأحاديث المشهورة التي لا يكاد يشكل منهـا شيء ، ثم يتكلف تفسيرها ويطنب فيها ، وفي بعض هذه الكتب خلل من جهة التفسير ، وفي بعضها أحاديث منكرة لا تدخل في شرط ما أنشئت له هذه الكتب »(١).

هذه جملة الكتب التي ألفت في غريب الحديث في مشرق الأرض العربية حتى منتصف القرن الرابع الهجري .

---

(١) النهاية (ح . الطناحي) ١ : ٧ ، غريب الحديث لأبي عبيد ، مقدمة المصحح ص (هـ - و) .

ب ـ طلائع كتب الغريب في الأندلس وكتاب الدلائل

١

كان أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (١) أول أندلسي ألّف في غريب الحديث وشرحه .

١ – ولد ابن حبيب في كورة إلبيرة (٢) موطن آبائه ، وانتقل من بعد إلى مدينة قرطبة دار الإمارة فسكنها (٣) .

وينتمي ابن حبيب إلى قبيلة سُليم بن منصور احدى قبائل قيس عيلان الشهيرة (٤) ، وكان جده الأعلى عباس بن مرداس السلمي أحد سادات قبيلة سليم وفرسانها ، وله صحبة (٥) .

واختلف الرواة في سنة ولادته ، فمنهم من يجعلها في احدى سنوات

(١) انظر مصادر ترجمته في إنباه الرواة ٢ : ٢٠٦ (الحاشية) ، ونفح الطيب (ح . الدكتور إحسان عباس) ١ : ٤٦ (الحاشية) ، والأعلام ٤ : ٣٠٢ ، المستدرك الثاني : ١٣٥ ، معجم المؤلفين ٦ : ١٨١–١٨٢ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمن (الترجمة العربية) ٣ : ٨٦–٨٧

(٢) إلبيرة : والألف فيه ألف قطع مكسورة ، بوزن إخريطة وكبريتة ، كورة كبيرة من كور الأندلس ، نزلها جند دمشق من العرب ، حاضرتها مدينة إلبيرة ، وكانت من قواعد الأندلس الجليلة فخربت في الفتنة سنة ٤٠٠ هـ فما بعدها ، وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فصارت حاضرة الصقع (معجم البلدان ـ رسم إلبيرة ، الروض المعطار : ٢٩–٣٠ ، الإحاطة ١ : ١١–١٣) .

(٣) ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، البيان المغرب ٢ : ١١٠ ، معجم البلدان (إلبيرة)

(٤) جمهرة ابن حزم : ٢٦٣ ، ابن الفرضي ١ : ٣١٢–٣١٣

(٥) انظر ترجمة العباس وأخباره في مقدمة ديوانه الذي جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري (بغداد ١٩٦٨)

(١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ هـ)[١] ، ومنهم من يرجع بها إلى سنة (١٧٤ او ١٧٥ هـ)[٢] .

٢ – تفقه ابن حبيب بالأندلس ، وسمع على شيوخ قرطبة : أبي عبد الله صعصعة بن سلام الشامي (١٨٠ هـ أو ١٩٢ هـ) وأبي محمد الغازي ابن قيس (١٩٩ هـ) وأبي عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي المعروف بزياد شبطون (٢٠٤ هـ)[٣] . ثم رحل للحج وطلب العلم سنة سبع أو ثمان ومائتين ، في أوائل أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ – ٢٣٨ هـ) فلقي أصحاب مالك وغيرهم وأخذ عنهم . سمع من أبي مروان عبد الملك بن الماجشون (٢١٤ هـ) ، ومن ابني اختي امام أهل المدينة مالك بن أنس وهما أبو مصعب مطرف بن عبد الله اليساري (٢٢٠ هـ) وأبو عبد الله اسماعيل بن أبي أويس (٢٢٦ هـ) ومن ابراهيم ابن المنذر الحزامي (٢٣٦ هـ) وأصبغ بن الفرج ، وأسد بن موسى (٢١٢ هـ) وعبد الله بن عبد الحكم ، وعبد الله بن موسى الكوفي ،

(١) لسان الميزان ٤ : ٦٢ ، نفح الطيب ٢ : ٧ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، مطمح الأنفس : ٣٦

(٢) ابن الفرضي ١ : ٣١٥ ، البيان المغرب ٢ : ١١٠ - ١١١ ، معجم البلدان (إلبيرة) ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩١ ، وفي كتاب العبر للذهبي (١ : ٤٢٨) ما يشير إلى أن ولادته في عام ١٦٤ هـ ، فقد ذكر أنه توفي في عام ٢٣٨ هـ وله أربع وسبعون سنة ، ويبدو أنه سبق قلم أو خطأ مطبعي صحته : أربع وستون سنة ، على ما جاء في المصادر الأخرى .

(٣) ابن الفرضي ١ : ١٨٢–١٨٣ ، ٢٤٠ ، ٣١٣ ، ٣٨٧ ، جذوة المقتبس: ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٢٧ ، ٢٦٤ ، ٣٠٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، لسان الميزان ٤ : ٦٠ – ٦١ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، الديباج المذهب : ١٥٤

وعلي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (٢١٠ هـ) وجماعة سواهم كثيرة من أهل الحجاز وأهل مصر ، ولا يصحّ ما رووه بصيغة التمريض من أنه لقي الامام مالكاً في آخر عمره ، لأن الامام مالكاً قد توفي سنة ١٧٩ هـ . ورجع ابن حبيب الى الأندلس سنة ست عشرة ومائتين وقد وعى علماً عظيماً ، كان قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغه والتصرف في فنون الآداب « كان نحوياً عروضياً شاعراً حافظاً للاخبار والأنساب والأشعار ، طويل اللسان ، متصرفاً في فنون العلوم » فكثر طلابه وانتشرت الرواية عنه ، حتى إنه كان يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلثمائة طالب (١) .

— ألّف ابن حبيب في الفقه والتاريخ والآداب كتباً حساناً كثيرة وذكروا أنه حين سئل : كم كتبك التي ألّفت ؟! قال : ألف كتاب وخمسون كتاباً . وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء عدة منها (٢) .

٣ — كان عبد الملك بن حبيب حافظاً للفقه على مذهب المدنيين (مذهب الامام مالك) ، نبيلًا فيه ، ذاباً عنه ، وله في كتب المالكية مذهب مسطور . وقد بلغ منزلة عالية لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط ، وأصبح مشاوراً مع الامامين العالمين ، يحيى بن يحيى الليثي وسعيد بن

(١) ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، ٣١٥ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٦٠ ، مطمح الأنفس : ٣٦ ، المغرب ٢ : ٩٦ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣٧ ، لسان الميزان ٤ : ٥٩ ، ٦١ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠-٣٩١ ، بغية الوعاة : ٣١٢ ، البلغة : ١٢٧ ، الديباج المذهب : ١٥٤ ١٥٥

(٢) ابن الفرضي ١ : ٢٤٠ ، ٣١٣ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٠ ، مطمح الأنفس : ٣٦ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٠٦ ، لسان الميزان ٤ : ٦١ . بغية الوعاة : ٣١٢ ، البلغة : ١٢٧ ، نفح الطيب ٢ : ٥-٦ ، الديباج المذهب : ١٥٥ ١٥٦ ، فهرست ابن خير : ٢٠٢ ، ٢٦٥ ، ٢٩٠

حسان . وكان الأمير يثق به ويركن إليه ، قبل قوله حين رُفع إليه عن يحيى بن يحيى أنه غير مأمون الجانب ، وأنه عزم على خلعه ، وأخذ برأيه حين أشار عليه ببناء سور إشبيلية حماية لها من هجمات الأردمانيين المجوس (النورمان) . وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس ، ويحيى بن يحيى عاقلها (أو راويها ومحدثها) وعيسى بن دينار فقيهها . وتوفي عبد الملك سنة ٢٣٨ أو سنة ٢٣٩ هـ بعلة الحصا (١).

٤ — رزق عبد الملك رواة علماء أخذوا عنه ورووا كتبه ، أبرزهم: بقي بن مخلد ، وأبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي ويوسف بن سلمة وعبد الرحمن بن أبي مريم ومحمد بن سعيد بن حسان ، ومحمد بن عبد الله ويوسف بن يحيي المغامي . وكان المغامي آخر الباقين من رواته (٢).

٥ ـ وقد ألف عبد الملك بن حبيب في شرح الحديث وغريبه كتاباً جعله عشرة أجزاء ، الأول منها : شرح الموطأ ، والثاني : شرح جامع الموطأ ، والجزء الثالث : ابتدأ فيه شرح حديث النبي عليه السلام . وأخذ كتب أبي عبيد القاسم بن سلام إلا أنه خلطها بتقديم وتأخير وانتحلها ، ورد على أبي عبيد في أشياء أكثرها تحامل فيها عليه .

ثم ذكر على هذا النحو أحاديث الصحابة والتابعين ، وختم كتب الشرح وهو العاشر منها بكتاب سماه : كتاب طبقات العلماء وشرح من

---

(١) قضاة قرطبة : ٨٠ ، ٨١ ، المغرب ١ : ٤٩ ، ١٤٨ و ٢ : ٩٦ ، ابن الفرضي ١ : ٣١٣ ، ٣١٥ ، جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، مطمح الأنفس : ٣٦ تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، نفح الطيب ٢ : ٦ ، ٧ ، ٩ ، الديباج المذهب : ١٥٤ لسان الميزان ٤ : ٦١ – ٦٢ ، معجم البلدان (إلبيرة ، طليطلة) البيان المغرب ٢ : ١١٠.

(٢) ابن الفرضي ١ : ٣٠٢–٣٠٣ ، ٣١٥ و ٢ : ١٧–١٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ جذوة المقتبس : ٢٦٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ ، ٥٣٧ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٠ ، لسان الميزان ٤ : ٦١ ، نفح الطيب ٢ : ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٥٢٠.

زَنْ منهم بالأهواء ، وهو كتاب صغير . وأخذ عليه فيه تصحيف قبيح . وهو أضعف كتبه [١] . لذلك لم ينل الكتاب منزلة عالية بين أهل الأندلس ، وإن كانوا قد قرؤوه وتداولوه بينهم . فابن الفرضي يقرأ شرح غريب الموطأ لابن حبيب على مجاهد بن أصبغ (٣٠٥-٣٨٢ هـ) ، وأبو بكر محمد بن خير (٥٠٢-٥٧٥ هـ) يذكره في مروياته ، وينتهي بسنده إلى سعيد بن فحلون عن يوسف بن يحيى المغامي عن عبد الملك بن حبيب [٢] .

٢

١ ـ وجاء في أعقاب عبد الملك بن حبيب أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني [٣] (بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين) . وكان الخشني من أهل كورة جيان [٤] وانتقل الى قرطبة فسكنها الى أن توفي بها . ينتهي

---

(١) فهرست ابن خير : ٢٠٢ ، الديباج المذهب : ١٥٥

(٢) ابن الفرضي ٢ : ١٤٨ ، فهرست ابن خير : ٢٠٢

(٣) انظر ترجمته وأخباره في : طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٨ ، وابن الفرضي ٢ : ١٦-١٧ ، وقضاة قرطبة : ١٨ ، وجذوة المقتبس : ٦٣ — ٦٥ وبغية الملتمس : ٩٢ — ٩٤ ، والمطمح : ٥٦ — ٥٧ ، والمغرب ٢ : ٥٤ ، وفهرست ابن خير : ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٦٤٩ ، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة : ١٦٧ ، وبغية الوعاة : ٥٢ ، ٦٧ ، والبلغة: ٢٢٦ ، وترجمته فيها مضطربة ، إذ اختلطت بترجمة ابن كناسة ، ونفح الطيب ٢ : ٢٣٦

وذكرت أكثر المصادر أن اسم أبيه عبد السلام إلا المطمح والمغرب فقد سماه عبد الله ، ومن أجل ذلك ترجم له السيوطي في البغية في موضعين .

(٤) جيان : بالفتح ثم تشديد الياء وآخره نون ، كورة واسعة بالأندلس تجمع قرى كثيرة وبلدانا ، حاضرتها مدينة جيان . وهي من أشرف كور الأندلس في طيب بقعتها ، ووفور غلتها وكثرة خيرها ، تتصل بكورة إلبيرة ، ومن أمثال العامة « يذكر البلدان ، ويسكن جيان » (معجم البلدان — جيان ، الروض المعطار : ٧٠ — ٧٢) .

بنسبه الى أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول الله ، وخشين (بالتصغير) التي ينتمى إليها قبيلة من قضاعة كانت دارها بالأندلس جيّان وأعمال إلبيرة ، وقطن عدد منهم بكورة لبلة [١] .

- رحل الخشني الى المشرق قبل الأربعين ومائتين فحج ، ودخل البصرة وبغداد ومكة ومصر ، ولا وكد له إلا لقاء العلماء والأخذ عنهم ، ولقي من أئمة اللغة أبا عثمان المازني وأبا حاتم سهل بن محمد السجستاني والعباس بن الفرج الرياشي وأبا اسحاق الزيادي ، فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية الأصمعي . وكتب ببغداد كتب أبي عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن وهب المسعري راوية أبي عبيد ، ويذكر أبو بكر محمد ابن الحسن الزبيدي الأندلسي أن سماع الخشني من المسعري كان في سنة سبع وأربعين ومائتين [٢] ، وأقام الخشني في رحلته ، طبقاً لرواية الحميدي ، خمساً وعشرين سنة ، متجولاً في طلب الحديث والعلم ، ولما رجع أدخل الأندلس كثيراً من حديث الأئمة وكثيراً من اللغة والشعر الجاهلي رواية [٣].

٢ - وكان الخشني فصيح اللسان ، جزل المنطق ، بصيراً بكلام العرب ، عالماً ، حافظاً ، وكان الغالب عليه علم النسب واللغة والأدب ورواية الحديث . وكان ثقة مأموناً ، خيراً ديناً ، قد رزق محبة الناس

---

(١) جمهرة ابن حزم : ٤٥٥ ، اللباب ١ : ٤٤٦ - ٤٤٧ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٤٩ - ٥٠ ، تاج العروس (خشن) ، وفي كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٣١١ : « خشينة : بطن من قضاعة » .

(٢) وهم المقري حين قال إن الخشني سمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام (نفح الطيب ٢ : ٢٣٦) .

(٣) ابن الفرضي ٢ : ١٦ ، طبقات الزبيدي (ط٢) : ٢٦٨ ، جذوة المقتبس : ٦٣ - ٦٤ ، المزهر ١ : ٨٣

وتقديرهم . وكان إلى ذلك ، صارماً أنوفاً ، منقبضاً عن السلطان ، لم يتشبث بدنيا ، ولم يتطلع إلى جاه أو مال . ولما دعاه الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) لولاية القضاء أبى وقال : « أبيت كما أبت السماوات والأرض إباية اشفاق لا إباية عصيان . لي ولد وأنا أحبه ، لي ولد وأنا أحبه » فأعفاه الأمير . وتوفي الخشني في سنة ٢٨٤ هـ وهو ابن ثمان وستين سنة ، وانفرد الذهبي إذ قال : توفي وهو في عشر الثمانين [1] .

٣ - أخذ عن الخشني بالأندلس جماعة جمة نبلاء حدثوا عنه ورووا له، منهم أسلم بن عبد العزيز ، وأحمد بن خالد ، ومحمد بن قاسم ، وقاسم بن أصبغ البياني وكان من المكثرين عنه ، وابنه محمد بن محمد بن عبد السلام (٣٣٣هـ) ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد بن عبد الملك ، وعفير بن مسعود ، وأبو عثمان سعيد الأعناقي ، وطاهر بن عبد العزيز [2] .

٤ - لم يكن الخشني أول من اطلع على كتب أبي عبيد القاسم بن سلام ونقلها إلى الأندلس ، فالصلة الوثيقة التي كانت تربط الأندلسيين بالمشرق ، وحب الرحلة في طلب العلم أتاحا للاندلسيين أن يطلعوا على كتب أبي عبيد في وقت مبكر . وقد ذكر من قبل مارواه محمد بن خير في فهرسته ، وابن فرحون في ديباجه من أن عبد الملك بن حبيب السلمي قد انتحل في تأليفه كتاب أبي عبيد في غريب الحديث . ومهما يكن من شيء

---

(١) قضاة قرطبة : ١٨ ، ابن الفرضي ٢ : ١٦ - ١٧ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٨ ، مطمح الأنفس : ٥٦ - ٥٧ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٤٩ ، نفح الطيب ٢ : ٢٣٦ و ٣ : ٥٥٧

(٢) ابن الفرضي ١ : ٢٤٣ ، جذوة المقتبس : ٣٦ ، ٦٤ ، طبقات الزبيدي (ط٢): ٢٧٥ ، نفح الطيب٢ : ٥٢ ، ٢٣٧ ، ٦٣٣

فإن في البقية الباقية من النصوص التي بأيدينا ما يقطع بأن أبا عبد الملك عثمان بن المثنى (١٧٤ – ٢٧٣ هـ) كان يقرىء شرح الحديث لأبي عبيد القاسم ابن سلام بأرض الأندلس ، وأن وهب بن نافع الأسدي (٢٧٣ هـ) قد أخذ كتب أبي عبيد عن راوييه : علي بن ثابت وأبي جعفر محمد بن وهب المسعري ، وأنه أول من أدخلها الأندلس وأول من أخذت عنه . ثم أدخلها الامام الخشني . ورحل طاهر بن عبد العزيز (٣٠٥ هـ) فروى كتب أبي عبيد عن علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد ، وعـــاد الى الأندلس ليقرىء الناس بها كتب أبي عبيد وليحمل إليهم علمه وروايته ، والخشني حيّ باق [١] .

– ولئن دل هذا على شيء ، إنه يدل على شدة تعلق الناس بأبي عبيد ، وتقديرهم له ، وعنايتهم بكتبه ، حتى جعل الأندلسيون كتبه اللغوية مقياساً لهم يحتكمون إليها ويوازنون بها ما يؤلفونه من أشباهها ، فهم يقولون : كان لحصيب الكلبي مصنف في اللغة نحو مصنف أبي عبيد ، وعندما أخطأ العجلي احتكم عفير إلى كتاب أبي عبيد : الغريب المصنف ، في تقويه وتصحيح ماغلط فيه . وكان أبو عمر موسى بن أزهر الإستجي (٣٠٦ هـ) يقرأ عليه شرح الحديث والغريب المصنف لأبي عبيد ظاهراً [٢].

(١) ابن الفرضي ١ : ٢٤٣ ، ٣٤٦ و ٢ : ١٦٠ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٧٣ .

(٢) ابن الفرضي ٢:١٤٦ ،طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

وقد هيأت هذه المكانة الرفيعة التي نزلها أبو عبيد من نفوس الأندلسيين لمثل الامام الخشني ، وهو المتمكن من اللغة ، المتضلع بدقائقها وأسرارها أن يتصدى لتأليف كتاب في غريب الحديث يباري به كتاب أبي عبيد، ويأخذ إخذه ، فألف كتابه (غريب الحديث) ، جعله اثنين وعشرين جزءاً . شرح حديث النبي عليه السلام في أحد عشر جزءاً ، وحديث الصحابة في ستة أجزاء ، وحديث التابعين في خمسة أجزاء . وقد تداوله الأندلسيون وقال الزبيدي في طبقاته يصفه : « فيه من الغريب علم كثير » وكان من مرويات أبي بكر محمد بن خير ، انتهى بسنده إلى محمد بن محمد ابن عبد السلام الخشني عن أبيه الخشني المؤلف[1] .

— للبحث صلة —

(١) فهرست ابن خير : ١٩٥ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٦٨ ، وشهر بالخشني عدة علماء ، ومن هنا التبس على بعض المؤلفين أمرهم فذكروا واحداً بدل الآخر . من ذلك ما أشار إليه الحميدي في جذوة المقتبس ، من وهم أبي محمد عبد الغني بن سعيد حين نسب إلى محمد بن عبد السلام الخشني كتاب « تاريخ الأندلس » ، والحق أنه لمحمد بن الحارث الخشني (٣٦١ هـ) ، ومن ذلك ماوقع فيه المقري صاحب نفح الطيب حين ذكر أن الحكم المستنصر سمع من محمد بن عبد السلام الخشني ، وإنما سمع المستنصر من محمد بن الحارث الخشني (جذوة المقتبس : ٦٤ - ٦٥ ، نفح الطيب ١ : ٣٩٥) .

عبد الرزّاق بن حمّادوش الجزائريّ
ورحلته « لسان المقال »

الدكتور أبو القاسم سعد الله

من المخطوطات النادرة عن الجزائر والمغرب، خلال القرن الثاني عشر الهجري والثامن عشر الميلادي رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة (لسان المقال ، في النبأ عن الحسب والنسب والآل) . وقد رأيت من المناسب أن أقدم عنها وعن مؤلفها خلاصة لهذا المؤتمر الذي خصص لتاريخ المغرب العربي وحضارته (*) . وأقول « خلاصة » لأنني في الواقع قد أنجزت دراسة مطوّلة عن حياة ابن حمادوش ورحلته وأعماله الأخرى قد أنشرها قريباً . ولنبدأ بحياة المؤلف .

ا ـ حياة ابن حمادوش :

والظاهر أن أول من اكتشف ابن حمادوش هو الدكتور لوسيان ليكايرك الذي ترجم له كتابه (كشف الرموز) إلى الفرنسية[1] . كما

(*) ألقى هذا البحث في المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته الذي انعقد بتونس بين ٢٤ — ٢٩ ديسمبر ١٩٧٤

(١) باريس ، ١٨٧٤ . والكتاب غير كامل ، وبعد اكتشاف الرحلة يظهر أنه القسم الرابع من كتاب (الجوهر المكنون في بحر القانون) الذي ألفه ابن حمادوش . والمراد بالقانون هو كتاب القانون لابن سينا . وقد طبع (كشف الرموز) ناقصاً بالعربية أيضاً عدة طبعات على يد رودسي قدور ، أولها بالجزائر سنة ١٩٠٣ . وقد أشرف على هذه الطبعة السيد عبد الرزاق الأشرف .

أشار في نهاية الترجمة إلى كتاب آخر لابن حمادوش وهو (تعديل المزاج)[1] ولكن الدكتور ليكليرك لم يطلع على رحلة ابن حمادوش التي نحن بصدد التعريف بها ، ولذلك كان حديثه عن حياة المؤلف مختصراً مبنياً على الظن لا على اليقين .

وفي سنة ١٨٨٦ ذكر المؤلف الاسباني قونز اليز في كتابه (مشاهير مسلمي مدينة الجزائر)[2] حوالي ثلاثة أسطر عن ابن حمادوش ، ضمنها تاريخ ميلاده الصحيح ؛ وهو تاريخ لم يهتد إليه ليكليرك ولم يرد إلا في (لسان المقال) مما جعلنا نرجح أن قونز اليز قد اطلع على الرحلة [3] . أما الدكتور غبريال كولان[4] فقد اعتمد في كتابه على ليكليرك ولم يأت بجديد عن حياة المؤلف . وعندما أصدر أبو القاسم الحفناوي كتابه أورد كلام قونز اليز عن حياة ابن حمادوش دون ذكر اسمه مشيراً إليه فقط

(١) كتيب في كراسة أو نحوها وصفه الدكتور ليكليرك وصفاً قصيراً في آخر ترجمته (لكشف الرموز) ص ٣٨٠ . والظاهر أن ابن حمادوش قد ألفه بمدينة رشيد بمصر ، لأن الكتاب يحمل هذه الإشارة ، وكان ذلك سنة ١١٦١ هـ ١٧٤٨ م .

(٢) الجزائر ، ١٨٨٦ . والكتاب عبارة عن رسالة صغيرة ضمنها النص العربي مع ترجمته بالفرنسية . وقد قدمه له بالعربية مفتي الحنفية بالجزائر عندئذ الشيخ أحمد بوقندورة .

(٣) ذكر السيد قونز اليز في بداية كتابه أن ابن حمادوش من مصادره الأساسية ، وأشار إليه باسم « عبد الرزاق » فقط ودون ذكر اسم الكتاب ، ويغلب على الظن أنه نقل من (لسان المقال) . وقد نقل عنه أيضاً أسماء ولاة الجزائر وبعض علمائها .

(٤) كتب رسالة دكتوراه في الطب عن « الطبيب العربي عبد الرزاق الجزائري » وطبعها بالجزائر سنة ١٩٠٥

باسم « مؤلف اورو باوي » [١] . وهكذا يتضح أن حياة ابن حمادوش ظلت مجهولة ، لأن جزءاً كبيراً من ترجمته الشخصية يوجد في رحلته التي لم يطلع عليها – حسبما نعتقد – سوى السيد قونز اليز . أمّا المتأخرون فقد اعتمدوا على هذا مثل السيد نور الدين عبد القادر [٢] ، أو نقلوا عن الرحلة مباشرة دون ترجمة لمؤلفها مثل السيد محمد داود [٣] .

ولد عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش سنة ١١٠٧ هـ ١٦٩٥ م في مدينة الجزائر على الأرجح ومن ثمة نسبته إليها « الجزائري » ، وكانت أسرته من طبقة الحرفيين التي كانت تمارس التجارة ولا تهتم بالسياسة والرياسة إلا قليلاً . وكانت حرفة أسرته هي الدباغة حسبما فهمنا من رحلته ، لأنه ذكر والده وعمّه في بعض العقود موصوفين بكلمة « الدباغ » . وعند زواجه الأول صاهر ابن حمادوش عمّه الذي زوجه ابنته البكر وأسكنه في داره. أما في زواجه الثاني فقد تزوج ثيّباً هي ابنة أمين الصفارين (النحاسين) . وكان لابن حمادوش ولدان على الأقل من زوجه الثانية مات أحدهما صغيراً . ولا ندري ما إذا كان له أطفال من زواجه الأول . ولم يكن ابن حمادوش سعيداً مع زوجه الثانية ولا مع أسرته الباقية كأمه وأخته لانشغاله بالكتب والعلم من جهة ولفقره من جهة أخرى . ولا ندري إلى الآن

---

(١) (تعريف الخلف برجال السلف) ، الجزء ٢ – الجزائر ، ١٩٠٧ ، ص ٤٧١

(٢) (صفحات من تاريخ مدينة الجزائر) ، الجزائر ، ١٩٦٤ ، ص ١٩٤ ، وقد نقل عبارة قونز اليز حرفياً دون ذكر اسمه .

(٣) (تاريخ تطوان) ، القسم الأول ، المجلد ٣ ، تطوان ، ١٩٦٢ ، ص ١٤٨ – ١٥٢ ، وقد لخص ما كتبه ابن حمادوش عن المغرب وخصوصاً مدينة تطوان وعلمائها .

متى ولا أين توفي ابن حمادوش، لكن بعض المراجع تشير ظنياً إلى أنه قد تجاوز التسعين سنة (١).

عاصر ابن حمادوش أحداثاً وتطورات سياسية واجتماعية وثقافية. فقد دون في رحلته أنه عاصر عهد الباشوات الذين استبدوا بالحكم في الجزائر عن السلطان العثماني، وكان ما يزال طفلاً عندما استعاد الجزائريون مدينة وهران من يد الاسبان (٢)، ولكنه كان واعياً لاحتلال اسبانيا لها من جديد (٣). وذكر في رحلته بعض الثورات الداخلية مثل ثورة أهل زواوة على قائد سباو، وتحدث عن توقيع الصلح بين الجزائر والدغارك، كما سجل فيها حادثة فرار ابن أحمد الريفي المغربي ومحمد باي التونسي إلى الجزائر في وقت واحد واجتماعهما مع داي الجزائر عندئذ، إبراهيم باشا. أما في المغرب فقد شاهد عياناً ثورة أحمد الريفي، حاكم إقليم تطوان، على السلطان مولاي عبد الله، وروى أحداثها بشيء من التفصيل والتأثر، ووصف آثار هذه الثورة على الحياة المغربية سياسياً واقتصادياً (٤). ولا شك أن ابن

(١) كولان، ص ٣٥، ضبط هو اسمه (حمادوش) دون أن نعرف ما إذا كانت الميم مخففة أو مشددة.

(٢) كان ذلك على يد الباشا محمد بقطاش (بكداش)، سنة ١١١٩ هـ ١٧٠٨ م، وهو الباشا الذي ألف فيه محمد بن ميمون، أستاذ ابن حمادوش، كتابه (التحفة المرضية في الدولة البكداشية) تمجيداً له. وقد نشر هذا الكتاب السيد محمد بن عبد الكريم، الجزائر ١٩٧٢.

(٣) احتلوها من جديد سنة ١١٤٥ هـ — ١٧٣٢ م، وظلوا فيها إلى سنة ١٢٠٥ هـ ١٧٩١ م حينما افتتحها الباي محمد الكبير وأعادها للدولة الجزائرية.

(٤) سنفصل القول في هذه المسائل، وكذلك المسائل الاجتماعية والثقافية في نهاية البحث.

حمادوش قد عاصر أحداثاً أخرى في تونس ومصر وبلدان الشرق الأخرى التي زارها أو أقام فيها أثناء حجه وأسفاره ، ولكنه على كل حال لم يذكرها في الجزء الذي بين أيدينا من الرحلة .

كما عاصر ابن حمادوش تطورات اجتماعية وثقافية لا شك أنها أثرت على مجرى حياته . فحديثه عن عقود الزواج في وقته (وهي عقود كانت تختلف مهورها من طبقة إلى أخرى) ومعاناته في البحث عن موارد الرزق سواء في الجزائر أو في المغرب ، واحتماؤه بالشرف والعلم بدل الجاه والسياسة والمال ، وكثرة تعرضه للأسعار في أسواق الجزائر والمغرب ، كلها تعكس الجو الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يعيشه . ومما لا ريب فيه أن أسفاره الأخرى قد أمدته بتجارب أخرى في هذا الميدان ، ولكننا على كل حال لا نملك الآن دليلاً عليها .

وتثقّف ابن حمادوش على شيوخ بلاده وعلماء المغرب وتونس والمشرق ، كما قرأ عدداً كبيراً من الكتب في مختلف العلوم والفنون [1] . وإن كنا لا نجد أثراً لشيوخه الأولين . لفقدان الجزء الأول من رحلته في الوقت الحاضر ، فإننا نعرف من الجزء الثاني منها أنه قرأ في الجزائر على الشيخ محمد بن ميمون [2] ، كما عاصر فيها علماء وأدباء ما تزال أسماؤهم وبعض أعمالهم تشهد لهم بالحذق والمكانة في مجتمع عصرهم ، أمثال أحمد بن عمار صاحب (نحلة اللبيب) ، والمفتي الشاعر ابن علي ، وعبد الرحمن الشارف ،

---

(١) ذكر المؤلف في الجزء الذي ندرسه من الرحلة الكتب التي قرأها واقتناها ، وجميعها تعكس اتجاهه العلمي أكثر من غيره .

(٢) نحيل إلى المقدمة التي كتبناها للقصيدة السياسية -- الأدبية التي عثرنا عليها والتي هي من نظم ابن ميمون ، في (الثقافة) الجزائرية ، عدد ١٥ سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٧ - ٤٢

وأحمد الزروق البوني ، وعدد آخر من المفتين وأصحاب الجاه كمحمد بن حسين ، والحاج محيي الدين الزروق ، وعبـــد الرزاق المرتضى ، ومحمد المسيني . وممن قرأ عليهم ابن حمادوش في المغرب وأجازوه محمد بن عبد السلام البناني الفاسي ، وأحمد الورززي التيطواني ، وأحمد السرائري ، وأحمد ابن المبارك (١) . أما من تونس فلم يذكر فيما بين أيدينا من وثائق سوى الشيخ محمد زيتونة (٢) الذي يسميه « شيخنا » ، والشيخ محمد الشافعي الذي التقى به في الجزائر يوم جاء هارباً من حاشية محمد باي المذكور .

ورغم أن ابن حمادوش قد درس على طريقة عصره فإن اهتمامه كان منصباً خاصة على الكتب العلمية . ولذلك نجده قد درس ابن سينا ، واقليدس ، والقلصادي ، والانطاكي ، وابن البيطار ، وغيرهم من علماء المسلمين واليونان . وكان لا يقرأ نظرياً بل يحاول أن يطبق ما قرأه ويؤلف فيه ، ويجري التجارب الشخصية عليه . وهكذا وجدناه يجري تجارب على النباتات ويركب المعاجين الطبية ، ويختبر موازين المياه ، ويرسم الرخامة الظلية ، ويضع دائرة لبيان اتجاه الرياح ، وغير ذلك من التجارب التي لم تكن محل اهتمام من علماء عصره عامة ، وعلماء بلاده خاصة . وقد لخص هو اهتمامه عندما قال في رحلته إنه أصبح عشابا وصيدلياً وطبيباً في بعض الأمراض (٣) .

* * *

(١) سنذكر بعض التفاصيل عن علاقته بعلماء المغرب .

(٢) الظاهر أنه قرأ عليه في تونس أو في المشرق . ولعل ذلك كان أثناء حجته الأولى سنة ١١٣٠ هـ — ١٧١٨ م . وقد توفي الشيخ زيتونة بتونس سنة ١١٣٨ هـ — ١٧٢٥ م .

(٣) التجارب المشار إليها مفصلة في الرحلة . ولعل هذا الاهتمام بالتجارب العلمية ، والطب خاصة ، هو الذي جعل الدكتور ليكليرك ينعته بآخر ممثل للطب

وهذا الاهتمام هو الذي جعل مؤلفات ابن حمادوش يغلب عليها الطابع العلمي أكثر من الطابع الفقهي أو الأدبي الذي شاع لدى علماء عصره. ولنذكر الآن بعض مؤلفاته في هذا الميدان (١):

١ — شرح على قصيدة الربع على كردفر.

٢ — تأليف على الروزنامه.

٣ — تأليف في الأعشاب (لعله هو كشف الرموز المطبوع).

٤ — تأليف في علم الفلك (ذكر فيه سبعة تواريخ تعلمها جميعاً).

٥ — تأليف في الاسطرلاب والربع المقنطر.

٦ — تأليف في القوس لرصد الشمس.

٧ — تأليف عن الرخامة الظلية بالحساب.

٨ — تأليف في صورة الكرة الأرضية.

٩ — تأليف في علم البلوط (معرفة الطرق البحرية).

١٠ — الجوهر المكنون (في الطب).

١١ — بغية الأديب من علم التكعيب (واسمه أيضاً فتح المجيب في علم التكعيب).

١٢ — تأليف في علم البونبة.

١٣ — تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج.

١٤ — تأليف في الطاعون.

العربي. انظر كتابه (تاريخ الطب العربي) ج ٢، باريس، ١٨٧٦ ص ٣١٠ وقد اعتبره الدكتور كولان صاحب عقلية بعيدة عن الخرافات في عصر سادت فيه الشعوذة وضعف استخدام العقل، انظر كولان، ص ٣٩

(١) هذه الكتب مذكورة كلها في الرحلة، ما عدا الثالث عشر والرابع عشر. وقد ذكر عناوين بعضها، ولكنه أهمل عناوين الباقي مشيراً إلى موضوعه فقط، فيقول مثلاً بعد ذكر الفرع العلمي المقصود «ولي تآليف فيه».

ولابن حمادوش تآليف أخرى في المنطق مثل (الدرر على المختصر) الذي تحدث فيه على مختصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي ، وهو الكتاب الذي وافقه عليه وأطراه كل من الشيخ أحمد الورززي المغربي (١) والشيخ أحمد بن عمار الجزائري ، وفي النحو مثل (السانح) وهو شرح على ألفية ابن مالك ، وفي الأدب (ديوان) شعر ، قال إنه بنـــاه على الغزل والنسيب والمراثي ومـدح الرسول ﷺ . كما ترك ابن حمادوش بعض المقامات الأدبية (٢) . وهو في أشعاره وأدبه لا يرقى إلى مصاف أدباء بلاده المعاصرين له كابن ميمون وابن عمار وابن علي . وقد أشرنا إلى أن الجزء الذي سنتحدث عنه من الرحلة هو الجزء الثاني ، ومعنى هذا أن له جزءاً أول لهذه الرحلة التي قد يكون لها جزء ثالث أو أكثر . ونحن لا نشك في أن تآليف ابن حمادوش أغلبها ضائع ، وأن معظمها صغير الحجم، بالإضافة إلى أنها في جملتها كتب علمية . وليس معنى هذا أنه لم يؤلف في الفقه ونحوه ، ولكن غلب عليه الاتجاه الأول كما لاحظنا .

وقد تجول ابن حمادوش في العالم الإسلامي من تطوان إلى الحجاز . وإذا كنا نعرف من الرحلة بعض التفاصيل عن تجواله في المغرب فإننا لا نعرف عن تجواله في الأقطار الأخرى سوى إشارات طفيفة . فقد جاء

(١) كان الشيخ الورززي يتردد على الجزائر . وقد صحح عليه ابن حمادوش الكتاب المذكور أثناء زيارته للجزائر سنة ١١٥٩ هـ - ١٧٤٦ م ، ويبدو أنه زارها مرة أخرى على الأقل سنة ١١٦٢ هـ - ١٧٤٩ م ، وخلالها مدحه المفتي الشاعر ابن علي بقصيدة ؛ انظر محمد داود (تاريخ تطوان) القسم الأول ، المجلد ٣ ، تطوان ١٩٦٢ ، ص ٩٠ ، وقد ترجم محمد داود ترجمة وافية للشيخ الورززي في المصدر نفسه ، ص ٨٥ - ٩٢ ، وذكر أنه توفي سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م .

(٢) ذكر منها ثلاثاً في الرحلة ؛ اثنتان منها عن أفكار عرضت له في المغرب أما الثالثة فالظاهر أنه ألفها في الجزائر .

في رحلته أنه كان بتونس حاجاً عام ١١٣٠ هـ - ١٧١٨ م. ووجد بعض الباحثين أن ابن حمادوش كان في مدينة رشيد بمصر سنة ١١٦١ هـ - ١٧٤٨ وأخبر هو في رحلته أيضاً أنه زار بلاد العرب والعجم والترك بدون تحديد. ومما وصل إلينا من آثاره رحلته التي نحن بصدد التعريف بها.

ب — **الرحلة**:

ويغلب على الظن، كما أشرنا، أن أول من نقل عن رحلة ابن حمادوش دون ذكر اسمها هو السيد قونز اليز. فهو أول من أرخ لميلاد المؤلف بالتاريخ الذي ورد في الرحلة، ونقل عنه قائمة ولاة الجزائر. وفي سنة ١٩٣٥ كتب الشيخ عبد الحي الكتاني عن الرحلات المغربية (١) وذكر اسم رحلة ابن حمادوش، ثم جاء السيد محمد داود ونقل عنها بعض الفقرات في وصف ثورة الريفي التي كان ابن حمادوش شاهد عيان لها (٢). وأكد الشيخ الكتاني أهمية رحلة ابن حمادوش في رسالة بعث فيها إلى السيد الحاج صادق أثناء كتابة هذا بحثاً عن المولد النبوي في (نحلة اللبيب) لابن عمار (٣). ومنذئذ بدأ اهتمامي بهذه الرحلة. فقد كنت أعدّ مادة كتابي (تاريخ الجزائر الثقافي) وأصبحت هذه الرحلة تشكل إحدى المخطوطات الأساسية التي كان عليّ أن أطّلع عليها لمعرفة أحوال القرن الثامن عشر في

(١) انظر تقريظه لكتاب (دليل الحج والسياحة) تأليف أحمد بن محمد الهواري، الرباط، ١٩٣٥ ص ٢٩٥

(٢) (تاريخ تطوان) القسم الثاني، المجلد الثاني، تطوان، ١٩٦٣، ص ٢٢٤ — ٢٢٦

(٣) (المولد النبوي عند ابن عمار مفتي مدينة الجزائر وشاعرها) مقتطف من (الأبحاث المقدمة إلى لويس ماسينيون) نشر المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٧، ص ٢٧٠ — ٢٩٢، والدراسة بالفرنسية.

الجزائر . وسعيت للحصول على نسخة منها فأسعفني صديق مغربي كريم[1] . بصورة منها . وخلال رحلتي إلى المغرب في صيف ١٩٧٣ اطلعت بنفسي على الأصل في الخزانة العامة بالرباط ، وهي ضمن مكتبة الشيخ الكتاني رقم ٤٦٣ [2] .

وتقع مخطوطة الرحلة في ٣٨٧ صفحة من الحجم المتوسط[3]، ومسطرتها ١٦ × ١٢ وتحتوي كل صفحة على حوالي ٣٢ سطراً . وبيدو لي بعد البحث أن عبارة ابن حمادوش فيها تنتهي عند الصفحة ٢٢٦ ، أما الباقي فلا نقطع الآن بنسبته إليه . وتدل افتتاحية الصفحة الأولى على أن المخطوطة تمثل بداية الجزء الثاني . فهي تبدأ بعد الحمدلة والبسملة والتصلية وذكر اسم المؤلف هكذا : « الجزء الثاني من رحلته ... » ولم يرد اسم الرحلة في المتن وإنما أضيف في الحاشية وكتب هكذا : « لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل»[4] . وبداية تاريخ هذا الجزء هو غرة عام ١١٥٦هـ الموافق ١٤ فبراير سنة ١٧٤٣ م ، ويمثل التاريخ المذكور بداية رحلته إلى

(١) هو الدكتور عباس الجراري الذي يجب عليّ أن أسجل هنا اعترافي له بالجميل .

(٢) رغم حرصنا فإننا لم نهتد إلى وجود نسخة أخرى من رحلة ابن حمادوش. وإذا ثبت أن السيد فونز اليز قد استعمل الرحلة كما أشرنا فمن المحتمل أن يكون قد اطلع على نسخة أخرى منها .

(٣) أرقام الصفحات مضافة بقلم الرصاص ، وهي المعروفة بالأرقام العربية .

(٤) الكلمة الأخيرة غير واضحة في الرسم ، وقد أثبتناها « الآل » لمناسبة معناها إلى ما قبلها . ومن الممكن قراءة رسمها « المال » وبه أخذ محمد داود ، (تاريخ تطوان) القسم الأول ، المجلد ٣ ، تطوان ١٩٦٢ ، ص ١٤٨ ، وقد رأى محمد داود ، كما رأى الكتاني من قبل ، بأن الرحلة مكتوبة بخط مؤلفها الذي وصفه هكذا « الفقيه المدرس المؤلف المشارك التاجر المتجول » . ويمكن قراءة الكلمة أيضاً « الحال » .

المغرب . وآخر تاريخ مذكور فيها (على فرض صحة القسم الذي لم نقطع بنسبته إليه) هو سنة ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م ، ذلك أننا نجده في السنة الموالية بمصر . وعلى أية حال فإن الرحلة مبتورة الآخر ، ومن ثمة لانعرف بالتدقيق اسم كاتبها أو ناسخها ولا مكان ذلك .

و (لسان المقال) مكتوبة بخط واضح وحبر أسود باستثناء بعض العناوين والأسماء فإنها كتبت بالحبر الأحمر ، وهي مكتوبة بأسلوب بسيط غير مسجوع ، ماعدا المقامات المشار إليها . وقد رتبها المؤلف على السنوات والشهور والأيام . ومن الطبيعي أن تظل بعض الأيام والشهور أحياناً غير واردة في الرحلة ؛ وهي في شكل مذكرات أو يوميات كان المؤلف يسجل فيها الأحداث والمشاهدات بصيغة الماضي في غالب الأحيان . وقد أكثر فيها الحشو والاستطراد والنقول من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين . والغالب على الظن أن الرحلة ماتزال بخط مؤلفها[1] وأنها كذلك ما تزال في شكل مسودة . ولا ندري إلى الآن متى ولا أين كتب ابن حمادوش هذا الجزء . وتوجد تعاليق على المخطوطة يعود بعضها إلى منتصف القرن الماضي[2] ، ويدل بعض هذه التعاليق على أن المخطوطة كانت عندئذ في في الجزائر قبل انتقالها إلى المغرب . كما يوجد على صفحتها الأولى اسم مالكها الأول ، على مايظهر لنا ، وهو السيد « الحاج علي بن الحاج سعيد » الذي لانعرف الآن من أمره شيئاً .

(١) بذلك قطع عبد الحي الكتاني ، انظر (دليل الحج والسياحة) ، ص ٢٩٥

(٢) آخر تاريخ مذكور في التعاليق بالنسبة للجزائر هو سنة ١٢٣٣ هـ ١٨١٧ — ١٨١٨ م عن وفاة الداي علي باشا ، وبالنسبة للدولة العثمانية عند وفاة السلطان محمود الثاني سنة ١٢٥٥ هـ — ١٨٣٩ م ، وتولية ابنه عبد المجيد في العام نفسه ، أما بالنسبة لروسيا فقد ذكر المعلق أن نقولا الأول (سماه نكول راى الموسك) قد توفي سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٥ م .

ويمكن تقسيم المحتوى العام للرحلة إلى ثلاثة أقسام هي :

١ - قسم المغرب وهو من صفحة ٢ - ٧٥ ، وهذا القسم هو الذي يصح أن نسميه « رحلة » .

٢ - قسم عن المؤلف نفسه في الجزائر ، وهذا القسم ترد أخباره مفرقة ضمن قصص واستطرادات ، وهو عبارة عن مذكرات وحوادث يومية عن قراءاته وملاحظاته ونشاطه .

٣ - قسم يتضمن نقولاً كثيرة من كتب ووثائق المتقدمين والمعاصرين : مثل الاكتفاء لابن الكردبوس ، وكتاب تاريخ الدول للملطي وأنس الجليل للعليمي ، بالإضافة إلى مجموعة من عقود الزواج على عادة أهل مدينة الجزائر ، وكذلك مجموعة من الأسانيد والإجازات والقصص العامة كقصة الفيل وقصة العنقاء .

والمنهج الذي سار عليه ابن حمادوش يجعل عمله غير منسجم وغير متماسك . ذلك أنه لايكاد يربط بين أجزاء الرحلة سوى الترتيب الزمني . وقد لاحظنا أنه قد اتبع طريقة السنوات . وإذا أخذنا بالنص الموجود عندنا فالرحلة لاتكاد تتجاوز خمس أو ست سنوات من عمر المؤلف الطويل الذي تجاوز بحسب بعض الآراء ، تسعين سنة . وعلى كل حال فإنه كان يحشو كل سنة بأخبار ووقائع تتعلق بشخصه في الغالب ، وإذا ما أفاض في الحديث عن قضايا أخرى فإنه يفعل ذلك إما عن طريق المصادفة كما فعل بذكره أسماء ولاة الجزائر وأسماء سلاطين آل عثمان ، وإما لعلاقتها بشخصه كحديثه عن ثورة أحمد الريفي التي كانت لها عواقب على سير رحلته ، فالمحور إذن هو شخص المؤلف .

وقد اعتاد ابن حمادوش أن يؤرخ بالتاريخين الهجري الذي يسميه العربي ، والميلادي (الشرقي أو الفلاحي) . وكان يؤرخ نادراً بالتاريخ

الاسكندري . ولكن سنوات الانتقال التي تشكل في الواقع أبواب الرحلة أو فصولها ، كانت بالتاريخ العربي . ويجهد المؤلف نفسه في الأمانة والدقة ، وإذا أعوزه ذلك يذكره دون تحرّج ، فإذا نسي حادثة أو تاريخاً عاد إلى كناشه ويكتب بعد ذلك هكذا « وجدته مقيداً » ، وإذا نقل ونسي العبارات المنقولة قال « هذا ماتعلق بذهني وإن كان عبرت بعبارة غير عبارة المؤلف » ، وإذا كان غير متأكد من خبر سمعه عن فلان سجل ذلك بأمانة قائلاً : « ولم أدر كيف كتب ولا ماصنع إنما بلغني » . وحين عجز عن أن يأتي بجواب لإحدى المسائل ترك بياضاً في النص مضيفاً « فمن وجده « يعني الجواب » فليلحقه هنا في هذا البياض ، وما تركته بياضاً إلا لأجله » ومع ذلك فإن ابن حمادوش كان يفتخر أحياناً بمعارفه وشرفه على معاصريه . فكثيراً ما كان يذكر النوازل التي شارك فيها برأيه ، وينتهي فيها بتسجيل انتصاره على مخالفه بشيء من الزهو ، واصفاً مخالفه بادعاء العلم وضعف المارضة وقصر النظر ، وكان يذكر مناظرته ومناقشته لشيوخ عصره حتى الذين أجازوه منهم . وقد بالغ في الافتخار بشرفه أمام المفتي الحنفي ابن علي ، مخاطباً له بشعر ركيك لايرقى أبداً إلى مكانة شعر خصمه البليغ .

ومصادر ابن حمادوش نوعان : التجربة الشخصية والنقل ، وقد غلب عليه الأول . ذلك أن أكثر ماروى من أحداث في رحلته قد شاهده عياناً أو عاشه . فالتطورات الاجتماعية والسياسية والعلمية التي تحدث عنها في المغرب والجزائر كان مصدرها بالدرجة الأولى التجربة الشخصية . أما النقل فإن ابن حمادوش كان يأخذ بالمشافهة والسماع أو بالاعتماد على الوثائق المكتوبة . فهو كثيراً ما يقول عن أخباره إنها بلغته أو سمعها . وقد أكثر من النقل عن صحيح البخاري ، وتاريخ ابن الكردبوس ، وتاريخ العليمي ، والقانون لابن سينا ، وتاريخ الملطي ، ومقالات اقليدس ، ومنطق السنوسي وغيرها .

كما نقل كثيراً من فهرس البناني المغربي ، ومن أسانيد الصباغ الاسكندري (إذا صحت نسبتها إلى الرحلة) ، ومن عقود النكاح التي كتبها علماء الجزائر .

* * *

وبالإضافة إلى الأضواء التي تلقيها الرحلة على حياة المؤلف فإن الجزائر والمغرب تحتلان فيها مكاناً بارزاً . وقد سبق لنا أن ذكرنا شيئاً منها بخصوص النقطة الأولى (حياة المؤلف) ، وبقي علينا أن نفصل الحديث قليلاً عن النقطة الثانية . ولنبدأ بالجزائر .

أورد ابن حمادوش مجموعة من الأخبار الهامة عنها ، تساعد الباحثين في في أوضاعها السياسية والاجتماعية والثقافية خلال القرن الثامن عشر . من ذلك ما أورده من أن النصارى (دون تحديد ، ولعله يقصد الاسبان) رفضوا قبول فدية المسلمين الذين كانوا أسرى عندهم ، ولا سيما مشاهير الرياس مثل ابن الحاج موسى ، وأدّى هذا الموقف إلى غضب الباشا الذي قرّر غلق كنيستهم وهدّد بهدمها إن لم يقبلوا بالصلح . ولم يخبر ابن حمادوش بما وقع بعد ذلك ، واكتفى بالقول : « وهانحن منتظرون مايقع » . ومما رواه بشأن علاقة باشوات الجزائر بالسلطان العثماني أنّ الأخير قد أرسل مندوباً عنه إلى الجزائر ، فلم يرحب به المسؤولون ولم يستقبلوه فبات ليلته في المرسى ثم دخل المدينة وحده . ورغم أن الباشوات قد استبدوا بالحكم ، كما ذكر ابن حمادوش ، فإنهم ظلوا يهادون السلطان ويسترضونه . وآخر من فعل ذلك هو إبراهيم باشا المعاصر للمؤلف ، فهو الذي أرسل سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٥) إلى السلطان أربعين نصرانياً وثمانية مكاحل وأشياء أخرى ثمينة انتظاراً أن يرسل له السلطان بالفرمان .

وإبراهيم باشا هو آخر سبعين باشا من الولاة العثمانيين بالجزائر الذين أورد ابن حمادوش قائمة بأسمائهم ، مبتدئاً بإسحاق باشا سنة ٩١٥ هـ

١٥٠٩ م ومروراً بعبد الله بيلك باش الذي قال عنه إنه أول من استبد بالملك سنة ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣). ومن أخبار هؤلاء الباشوات في الرحلة: رفع الأعلام الخضر على الصوامع عند تولية أحدهم، وحمل جثمان الميت منهم إلى الجامع الكبير للصلاة عليه وقراءة القرآن، وشيوع الفساد بينهم حتى إن إبراهيم باشا المذكور كان مع أهله على سفاح قبل التولية، وبعده نصحه مستشاروه بافشائه مخافة إشاعة الفسوق بين الناس، واتباعهم قاعدة الحجر الصحي على الحجاج، وتوقيعهم الصلح مع الدانمارك سنة ١١٥٩(١٧٤٦) ووقوع ثورة ضدهم في بلاد زواوة سنة ١١٥٨ (١٧٤٥)، وفرار باي معسكر إلى الإسبان بوهران سنة ١١٥٩ (١٧٤٦) بتوريط من أحد أثرياء اليهود بمدينة الجزائر، ولجوء ابن الثائر أحمد الريفي ومحمد باي ومحمود باي التونسيين إلى الداي إبراهيم باشا.

ويمكن للباحث الاجتماعي أن يجد في الرحلة مادة ثرية أيضاً. فقد ذكر المؤلف صيغة صلوات وأدعية معهودة عند أهل الجزائر عند ختم صحيح البخاري، يرش أثناءها الخدم ماء الورد على الحاضرين بالجامع الكبير، كما ذكر عاداتهم ليلة القدر وليلة المولد النبوي. فقد كان متولي الجامع الكبير يفرغ ليلة القدر قنطاراً أو أكثر من الشمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضراء، ثم يطاف بهذه الشموع في اتجاه دار المفتي أو الوكيل، ومنها إلى دار الإمارة عبر الشوارع المزينة، وهم يرفعون أصواتهم بالأناشيد الدينية، ثم يعودون إلى الجامع من طريق أخرى. وكان يقام مثل ذلك في ضريح عبد الرحمن الثعالبي أيضاً. وعقد المؤلف مقارنة بين عادات المولد النبوي في الجزائر والمغرب. ومن العقود التي أوردها نعرف نوع العملة السائدة عندئذ، ونوع الصداق، وإمكانيات كل طبقة في ذلك. ويجد دارسو الحياة النسوية والمنزلية ضالتهم في القفاطين الملفية أو الأطلسية وأنواع الجواهر، وإماء السودان، وقناطر الصوف، وغيرها مما كان

يقدم صداقاً للزوج حسب حالها الاجتماعي ، وحسب سنها أيضاً بكراً أو ثيّباً. وهذه الجوانب من الحياة الاجتماعية هي التي ما يزال يفتقدها الباحثون في تاريخ الجزائر.

وقد تكون أخبار ابن حمادوش الثقافية أكثر أهمية من أخباره السياسية والاجتماعية. ومن حسن الحظ أن المؤلف قد أورد طائفة منها حول هذا الموضوع تعتبر نادرة في بابها لأنه المصدر الوحيد الذي يكشف عنها. ومن العلماء الذين أطال ابن حمادوش الجلوس إليهم وأكثر من القراءة عليهم محمد بن ميمون قاضي المواريث في وقته ، وهو الذي كان ، حسب راي تلميذه ، يتقرب إلى السلطة الحاكمة ، ويجعل من داره منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء (١) .

وقد أشرنا إلى الخصومة التي وقعت بين ابن حمادوش والمفتي ابن علي. ولم نذكر أن الأول قد يكون افتخر بشرفه عليه لأن ابن علي كان من أصل كرغلي. وسبب الخصومة على ما يذكر ابن حمادوش غضب ابن علي من عدم قيام ابن حمادوش احتراماً له.

وبينما كانت علاقة ابن حمادوش بابن علي غير حسنة كانت علاقته بالأديب الشاعر أحمد بن عمار جيدة. فهذا هو الذي كتب له تقريظاً ، نثراً وشعراً ، لكتابه (الدرر على المختصر) ؛ كما كانت علاقة ابن حمادوش حسنة مع العالم عبد الرحمن الشارف الذي كتب له (لابن حمادوش) شهادة على تصحيحه الكتاب المذكور على الشيخ أحمد الورززي

(١) ابن ميمون هو الذي أشهر زواج الباشا إبراهيم بعد أن كان سرياً ، وكان عندئذ قاضي المواريث ، فكان الأمر لا يعنيه لأنه ليس من اختصاصه بل من اختصاص قاضي القضاة. وقد أعلن ابن حمادوش بعد هذه القصة بأن شيخه ابن ميمون أراد بذلك التقرب من الباشا. وكانت دار ابن ميمون هي التي وقعت فيها الخصومة بين ابن حمادوش والمفتي ابن علي.

المغربي (١) . ولا نريد هنا أن نطيل في أخبار علماء عصره الذين وردت أسماؤهم في الرحلة ، وحسبنا ذكر بعضهم سريعاً ، فمنهم : المفتي محمد ابن حسين (٢) ، وقاضي قسنطينة محمد الحنفي (٣) ، والمفتي عبد الرحمن المرتضى (٤) ، والمفتي الحـــاج محيي الدين الزروق (٥) ، (وهو آخر المفتين المالكية الذين يرد اسمهم في الرحلة) ، والقاضي ابن المسيسني ، وهناك بالإضافة إلى ذلك عدد آخر من القراء والأدباء الذين لم يكونوا عندئذ أصحاب مناصب ، ولكن كانوا من رجـــال العلم ، نذكر منهم : أحمد العمالي ، ومحمد بن سيدي الهادي ، وأحمـد البوني ، وابنه أحمد الزروق ، ومحمد بن المسيسني (أخو القاضي المذكور) وأبو القاسم بن يوسف الحسني ، وعبد الملك بن إبراهيم ، والحاج أحمد بن مسعود . وكان ابن حمادوش يقرأ مع بعض هؤلاء ، ويتراسل مع آخرين منهم ، وكانوا جميعاً يكونون في الواقع نوعاً من الطبقة المثقفة التي تتعايش وتتصاهر وتتنافس طموحاً إلى السلطة والجاه .

* * *

واحتل المغرب كذلك مكاناً بارزاً في رحلة ابن حمادوش . فقـد

(١) صححه عليه أثناء زيارة الورززي الأولى لمدينة الجزائر سنة ١١٥٩ انظر التعليق في هامش ١ ص ٣٢٩ .

(٢) هو الذي كتب لابن حمادوش رسالة تعزية في ولده ، وقد أوردها ابن حمادوش حرفياً في الرحلة ، وهي من جيد الرسائل في بابها .

(٣) جاء مدينة الجزائر وقـرأ على ابن حمادوش شرح المبـارك في الاسطرلاب للسنوسي .

(٤) كان صهراً للمفتي سعيد قدورة ، وقد أورد ابن حمادوش نص عقد زواجه كنموذج لما كتب الشيخ العالم الأديب محمد بن عبد المؤمن سنة ١٠٨٧ هـ - ١٦٧٦ م

(٥) من الذين سمعوا (بتشديد الميم) ابن حمادوش صحيـح البخـاري بالجامع الكبير .

سجل فيها بعض نواحيه السياسية والاجتماعية والثقافية . والظاهر أن المؤلف كان يتردد على المغرب للتجارة وطلب العلم . فقد أشار في رحلته الحالية التي بدأها سنة ١١٥٦ هـ ١٧٤٣ م إلى أنه كان في المغرب سنة ١١٤٥ هـ[١] - ١٧٣٢ م . ونحن هنا تهمنا الرحلة الثانية لأنها هي التي ترك لنا فيها وصفاً حياً لأحوال المغرب . والظاهر أن إقامته هناك لم تكن رغدة هنية ، فقد سجل بعد عودته إلى الجزائر مايلي : « وكنت تعبت ... في المغرب من مرض وخسارة وضيق ، ولم أر قط ما رأيت فيه من ضيق العيش والخسارة ، والعياذ بالله ، حتى أيقنت الهلاك »[٢] . ولعل من أسباب ضيقه وخسران تجارته انتظاره أكثر من أربعة أشهر لإحدى السفن التي تقله إلى الجزائر[٣] .

وأهم حادث سياسي طغى على قلم ابن حمادوش في المغرب هو ثورة أحمد الريفي ، باشا تطوان ، على مولاي عبد الله سنة ١١٥٦ هـ ١٧٤٣م ويعود اهتمامه بهذه الثورة إلى سوء معاملة رجال الريفي له عند نزوله بمرسى تطوان . فقد اشتطوا ، في نظره ، في طلب المكوس منه على سلعته التي جاء بها من الجزائر . كما يعود اهتمامه بها إلى أنه عانى من آثارها أثناء مروره في الطريق من تطوان إلى مكناس ، ثم من هذه إلى فاس والعودة . وهناك سبب آخر يعود إلى أن الريفي قد ادعى الشرف ،

(١) أشار إلى ذلك أثناء حديثه عن سوء معاملة حرس السلطان مولاي عبد الله له (في ولايته الأولى) عندما أراد أن يتقدم بين يديه بقصيدة مدح ، فعدل عن ذلك .

(٢) الرحلة ٧٦

(٣) في كل مرة تصل السفينة التي ستقلهم تتحطم . وقد ذكر أن ميناء تطوان عندئذ مشهور بحوادث تحطم السفن . ومما يذكر أن ابن حمادوش قد ذهب إلى المغرب وعاد منه في سفينة فرنسية كان قد اكتراها التجار الجزائريون.

وثار على شريف أصيل ، في نظر ابن حمادوش ، وهو السلطان الشرعي ، بينما هو (ابن حمادوش) كان يتمسك كثيراً بالشرف ، كما مرّ بنا . ولما كان ابن حمادوش شاهد عيان لأحداث ثورة الريفي (أسبابها ، ومراحلها ، ونتائجها ، وآثارها) فقد وصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً ، وكانت عواطفه في أحكامه ضد أحمد الريفي . فقد وصفه « بالنطفة الفاجرة المفسدة في الأرض » ، واعتبر هزيمتـه ومقتله من الألطاف (التى حلَّت) بهـذه البلاد . وقد تضمن وصفه أيضاً الحديث عن جيش مولاي عبـد الله وأنصار الفريقين ، والغنائم التي حصل عليها السلطان بعد مقتل الثائر الريفي .

وتحـدث ابن حمادوش عن بعض العادات والتقاليد التي شاهدها بالمغرب . من ذلك عادة المكس بميناء تطوان التي اعتبرها عادة قبيحة ، وتحدث عن زيارته لقبر سيدي علي الريفي وأخذه العهد من خادم الضريح ، ووصف الطريق من تطوان إلى فاس عبر مكناس ، وشاهد هناك الطيور التي لا تلد إلا فوق الماء ، وحصاد الشعير في شهر ابريل ، واستعمال قوارب البردي للنقل النهري ، وسجّل إعجابه بنظام توزيع مياه مدينة فاس وجمال بساتينها ودورهـا ، وقارن بين عادات الفاسيين وعادات الجزائريين في الاحتفال بالمولد النبوي كاستعمال قباب الشمع ، وتحدث عن عادة أهل فاس يوم العنصرة بأكلهم ألية الضأن بالقرفة والكسكي ، وعن لباس النساء والرجال هناك أثناء الاحتفال ، كما وصف لباس السلطان الذي قال إنه كلباس أهل مكة . ولم يخل حديثه من نقد لاذع لبعض العادات التي كانت في نظره غير مستحسنة .

وتضم الرحلة أسماء وأعمال مجموعة من علماء المغرب ، بعضهم التقى بهم وقرأ عليهم وأجازوه ، وبعضهم سمع بهم أو أخـذ عنهم بطريق غير مباشر . وفي طليعة هؤلاء محمد بن عبد السلام البناني . فقد حمل إليه

ابن حمادوش أمانة (لم يكشف عنها) من الجزائر وحضر دروسه وخاطبه بقصيدة ، وحصل منه على إجازة . ودرس كذلك على الشيخ أحمد الورززي في تطوان والجزائر وأجازه هذا في المدينة الأولى . والظاهر أن الشيخ الورززي كان يتردّد على الجزائر ، كما كان ابن حمادوش يتردده على المغرب ، وقد أثبت ابن حمادوش أن الورززي كان معتزلياً ، تقليداً لرأي البناني في مواطنه . وقد تدخل الشيخ الورززي لصالح ابن حمادوش لدى سلطات الميناء عند مغادرته تطوان (١) .

ومن أجازوه أيضاً أحمد السرائري (٢) الذي نزل ابن حمادوش بفندقه . وأقرأ ابن حمادوش في تطوان الشيخ عبد الله جنان . أما في مكناس فقد التقى بالشيخ عبد السلام القباب والشيخ عبد القادر الفاسي ، لكن خاب ظنه في علم الاثنين فلم يحصل منهما ، حسب رأيه ، على طائل ، غير أنه قد أعجب ببعض علماء فاس ومن هؤلاء الحكيم عبد الوهاب أدراق (٣) ، طبيب مولاي إسماعيل وأولاده . وأثنى على الشيخ أحمد المبارك واستجازه ففعل . وعندما توفي ابن المبارك رثاه ابن حمادوش بقصيدة ضعيفة لكن صادقة ، وقد اعتبر نفسه أول من رثاه . وشهد له على إجازة ابن المبارك له الشيخ القاضي عبد القادر بن العربي بوخريص . ولا نشك في أن ابن حمادوش قد التقى بعلماء آخرين من المغرب واستفاد منهم سواء في رحلته التي نحن بصدد الحديث عنها أو رحلاته الأخرى .

* * *

(١) بفضل تدخل الورززي أعفيت سلعة ابن حمادوش من الضرائب .
(٢) وجده ابن حمادوش قد توفي إثر عودته من فاس إلى تطوان .
(٣) حضر ابن حمادوش مجلسه الذي قال عنه إنه يشبه مجالس الملوك ، وقدم له قصيدتين من سخيف الشعر .

وإذا كانت أخبار الرحلة تكاد تقتصر على الجزائر والمغرب وشخص المؤلف فإنها لا تخلو من معلومات أخرى عامة. ومن ذلك نقوله عن المتقدمين في تاريخ الإسلام وتاريخ القدس وتاريخ الأطباء والقصص الطريفة التي جاء بها عرضاً. ومنه أيضاً ماجاء في الرحلة عن فرار محمد باي من ابن عمه صاحب تونس، وحديثه عن إمام أحد مساجد سوسة وهو يشرح لصاحبه أصل اختراع العود والنغمات الموسيقية (١). واستطرد أثناء الحديث عن ولاة الجزائر فذكر أيضاً «ملوك آل عثمان» مبتدئاً بعثمان خان سنة ٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م، ومنتهياً بمحمود خان عام ١١٤٣ هـ - ١٧٣٠م مشيراً إلى أنه «باق إلى الآن»، وهو يعني بذلك سنة ١١٥٨ هـ - ١٧٤٥م.

* * *

إن أهمية رحلة ابن حمادوش لا تحتاج إلى طول نظر. فهي أولاً جزء هام من تراث الجزائر العربي الإسلامي الذي طالما نفاه الدارسون الأجانب أو شككوا في قيمته. وهناك علماء جزائريون آخرون عاصروا ابن حمادوش قد تركوا رحلات، مثل ابن عمار صاحب (نحلة اللبيب) (٢) والورثلاني صاحب (نزهة الأنظار) (٣)، ولكن رحلة ابن حمادوش تمتاز بأنها رحلة مغربية لامشرقية، وهي خالية من الصنعة الأدبية التي لجأ إليها ابن عمار والخرافة والكرامات التي امتلأت بها رحلة الورثلاني. كما أن ابن حمادوش كتب بأسلوب سهل بسيط يكاد يقترب من أسلوبنا اليوم، وقلما

(١) بناء عليه أن أصله يعود إلى أن ساقاً لشخص آدمي قد توفي وظل بالعراء، فيبست الساق وتلاشى اللحم منها لكن بقيت العروق فهبت نسمة فحركت العروق فأحدثت نغمات موسيقية.

(٢) طبع في الجزائر، سنة ١٩٠٤

(٣) حققها ونشرها محمد بن أبي شنب، الجزائر ١٩٠٨

التجأ إلى التصنع ، ومع ذلك فهو لم يسف إسفاف ابن المفتي في (تقييداته)[(١)] ، ولم يبالغ مبالغة ابن سحنون في الثغر الجماني[(٢)] ولم يتأنق تأنق ابن ميمون في (تحفته) . وكل هؤلاء كانوا معاصرين له .

ورغم ضعف المنهج الذي اتبعه ابن حمادوش وكثرة الحشو والاستطراد في الرحلة ، فإن عمله سيظل مصدراً لاغنى عنه لدراسة الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية في مجتمع الجزائر والمغرب خلال القرن الثامن عشر . وقد تعرضنا إلى نماذج من هذه النواحي في الرحلة . وتزداد قيمة الرحلة عند الباحثين باعتبارها أيضاً مصدراً من مصادر حياة المؤلف ، بل لعلها المصدر الوحيد المعروف عنه إلى الآن وقد ظلت حياته مجهولة قبل اكتشاف هذه الرحلة . ولو أمكن الإطلاع على الأجزاء المفقودة منها لعرفنا ، لا الجوانب المجهولة من حياة المؤلف فقط ، ولكن تفاصيل إضافية عن تطورات المغرب العربي والمشرق أيضاً خلال القرن الثامن عشر . وتضم الرحلة بالإضافة إلى ذلك مادة كبيرة من أسماء الأماكن وبعض

---

(١) صاحب هذه التقييدات مجهول الاسم ، ويعرف فقط بابن المفتي (وكان والده مفتياً وهو حسين بن رجب شاوش) . وهي مكتوبة بلغة هي إلى الدارجة أقرب منها إلى الفصحى حسب الذين اطلعوا على نصها . انظر نور الدين عبد القادر (صفحات) ، ص ٢٧٤ — ٢٨٦ وقد ترجمها إلى الفرنسية السيد ج . ديلفان ونشرها في (المجلة الآسيوية) المجلد ١٩ (أبريل – جوان ١٩٢٢) ، ص ١١٦ — ٢٣٣ . انظر أيضاً السيد ديفوكس (المجلة الأفريقية) (١٨٦٩) ص ٤٥٩ — ٤٦٠

(٢) نشرها الشيخ المهدي البوعبدلي باشراف وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، ١٩٧٣

التراكيب العامية ، كما تحفل بأخبار العلماء الذين لانجد عنهم في غيرها سوى النزر اليسير مثل ابن عمار وابن ميمون ، ولعل منهم بعض علماء المغرب أيضاً . وستظل النقول والإجازات والعقود والأسانيد التي أوردها ابن حمادوش في الرحلة مصدراً كبير الأهمية لدراسة الأدب والتاريخ وتراجم الرجال ، كما ستظل مادة المقارنة والدرس .

وهذه الأهمية لرحلة ابن حمادوش هي التي جعلتنا نقدم على دراستها وتحقيقها ، كما جعلتنا نسهم بهذا المختصر عنها وعن حياة صاحبها في هذا المؤتمر .

غرة ذي القعدة ١٣٩٤
الجزائر في ١٥ نوفمبر ١٩٧٤

أبو القاسم سعد الله
كلية الآداب - جامعة الجزائر

دِيوَان الوَفاء في مَراثي النِسَاء

الدكتورة عاتكة الخزرجي

« قال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟ قال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة »[1] .

« وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذي الرمّة :

لعل انحدار الدمع يُعقب راحة   من الوجد أو يشفي نجيّ البلابلِ

« وذكروا أن البكاء لا يكون إلا من فضل قوّة ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء »[2] .

والرثاء في الشعر من الأغراض ذات الصدارة ذلك لأنه من صميم الشعر ، فالرثاء الأصيل لا ينبعث إلا من عمق وجدان الشاعر وهو غرض باق ما بقيت إنسانية الإنسان فإن هو إلا ترجمان الوفاء وصلة الحي بالميت ، وقد خلف لنا الشعر العربي في هذا الباب كل مأثور ، وأظلك تذكر معي في هذا الباب عينيّة متمم بن نويرة في أخيه مالك ، وسينية الخنساء في أخيها

---

(١) انظر ابن عبد ربه العقد الفريد ٣/٢٢٨

(٢) المصدر نفسه ٣/٢٣٤ - ٢٣٥

صخر ، وبائية مالك بن الريب في نفسه (١) ، وتائية أبي الحسن الأنباري في الوزير المصلوب ، ورائية أبي تمام في محمد بن حميد الطوسي ، ورائية البحتري في المتوكل على الله ، وميمية المتنبي في جدته ، وبائيّته في أميرته خولة ، ونونية المعري في أبيه ، وهمزية الشريف الرضي في أمه ، وداليّته في صديقه الصابي وداليّة ابن الرومي في ابنه الأوسط و . . .

ولا أريد أن أحدثك في تاريخ هذا الغرض أو فيمن جوّد فيه ، فليس هذا من طبيعة البحث الذي أود خوضه ، إنما أنا أجتزىء فأقول : إن الرثاء ركن أصيل من أركان الشعر العربي ، كان عمادَه في جميع عصوره وقد كان له شأن أي شأن في عهد بني أمية ، حتى إن المراثي كان يُناح بها على الموتى والقتلى نوحاً ، ولعل « الغريض » أشهر من عُرف بالنوح إذ ذاك ومن قبله « ابن سريج » المغني ، ثم عدلا متتابعين بعد ذلك عن النوح إلى الغناء . . ! وحسبك من دليل على تبوّىء هذا الغرض مكانته في عهد بني أمية أن الأمويين أنفسهم كانوا يشترطون في تقريب الرواية أن يكون أحفظ لمراثي العرب . . فتأمل . . ! ولعل شعراء الطالبيين ومن نبغ منهم بعد ذلك خير مَنْ عارض بني أمية في الولع بهذا الغرض من أغراض الشعر(٢).

---

(١) جاء في العقد الفريد : « يقول ابن قتيبة : أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره يزيد بن خذّاق في أبيات أولها :

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ أم هل له مِنْ حمام الموت من راق ؟

ووصف أبو ذؤيب الهذلي حفرته في أبيات

وناجى الطرماح بن حكيم ربه بأبيات حين دنت منيته ، وأوصى أبو العتاهية أن تكتب على قبره أبيات له أربعة ، صنعها وهو يحتضر . ولعل القائمة تطول .

(٢) انظر الرافعي : تاريخ آداب العرب ٣ : ١٠٨

وعناية الشعر العربي لم تقف بغرض الرثاء عند الأناسيّ إنما تجاوزتها إلى مدى أبعد ، فقد رثى الشعر العربي الدواب ، وربما رثى بعض المتاع وما يستعمل من أدوات ! وإخالني في غنى عن أن أشير إلى قصيدة ابن العلّاف الشهيرة أريد « الهِرِّيّة » التي رثى بها الشاعر هِرًّا كان يأنس إليه رثاءً زخر بعواطف جياشة مما حدا ببعضهم أن يقول إنه إنما قيل في الخليفة القتيل عبد الله بن المعتز ويتستر بالهر دفعاً للحقيقة وطمساً لها خوف العقبى ! والقصيدة هذه طويلة وهي من نفائس الشعر وتقع في خمسة وستين بيتاً (١) .

وما إخالك ناسياً أمر الصاحب بن عباد وقد أوعز إلى بعض ندمانه المقربين أن يُعزّوا أبا عيسى المنجم في برذونه وقد نفق ، وأن الندماء قال كلٌّ منهم في هذا البرذون قصيدة فريدة (٢) وأن هذا النوع من الشعر شاع بعد ذلك وافتن الناس فيه فنونهم . . !

المرأة تحتل الصدارة في الشعر العربي :

وأنت تعلم بعد ذلك أن المرأة كان لها مكان الصدارة في الشعر العربي من قديم ، وحسبنا من دليل هذا النسيب الذي يتصدر القصائد على اختلاف أغراضها ، فالمرأة إذن من العربي فاتحة قصيده ، وأول سطر في كتاب إلهامه ، ولا عجب فالمرأة كانت - وما تزال - من العربي موضعاً للنخوة والكرامة ، وعنواناً للعزة والشرف ، فهو يستمد منها وبها القوة ويستوحي من معانيها كل معاني حياته الكريمة ، وكما كان النسيب العربي دليل اعتزاز وتكريم كذلك كان رثاء المرأة دليل صدق على حب العربي لها وإبقائه عليها حية وميتة ، وقد كانت أفانين في الشعر في هذا المجال من قديم .

---

(١) انظر المختار من القصيدة في وفيات الأعيان وفي اليتيمة ٣ : ٢٣

(٢) انظر يتيمة الدهر ٣ : ٥٥

والحق أننا لا نرى في بكاء الأطلال منذ الجاهلية إلا بكاء للحبيبة :

وما حبُّ الديار ملكْن قلبي ولكن حبّ مَنْ سكن الدّيارا

فهو عندنا رثاء عميق للحبائب سواء منهن الظاعنات أو اللاتي رحلن عن الحياة . وبكاء الأطلال يحمل معنى من معاني الوفاء يقصر عن تبيانه البيان . . .

ولله در الملك الضليل إذ يقول :

كأني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحيّ ناقف حنظلِ
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلِك أسىً وتجمّلِ

وابن أبي سُلمى :

ودار لهـا بالرقمتـين كأنها مراجيع وشم في نواشر مِعصم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيـاً عرفت الدار بعد توهم
فلمـا عرفت الدار قلت لربعهـا ألا انعم صباحاً أيّها الربع واسلم

وأبي الطيب المتنبي إذ يقول :

بليتُ بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

ويقول :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نُلِمّ به ركبا
نذم السّحاب الغُرّ من مغلهـا به ونُعرض عنها كلما طلعتْ عَتْبـا

رثاء الحلائـل

جـريـر :

ونحن إذا تخطينا هذا الرثاء الضمني أو البكاء الذي أدخلناه قسراً أو تجوزاً باب الرثاء ، فأبيات جرير لعلها أول ما تطالعنا وهي ، على قلتها ، عميقة مؤثرة تؤكد لنا أن حليلة الشاعر إنما هي حبيبة ومن يدري ! فلعل

خالدة هذه أو أمّ حزرة هي الملهمة لجرير رقائق نسيبه ؟ وعمق العاطفة يبدو لنا خلال معاني الأبيات الحزينة المستمدة من قلب العاشق الأيّم ...

لولا الحياءُ لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولقد نظرتُ . . وما تَمتُّعُ نظرةٍ في اللَّحْدِ . . حيث تمكَّن المِحْفارُ ؟!

ولك أن تتأمل معي بصمت خاشع البيت الثاني إذ ينقل لك بأمانة وصدق حال الشاعر الحزين وهو يودع حبيبته لآخر مرة . . . وصورة الحبيبة الزوجة ملازمة أبداً الشاعر لا تبرحه وهي تملي عليه قوله :

أرعى النجوم وقد مضت غورية عصب النجوم كأنهن صوارُ
ولقد أراك كُسيت أجمل منظرٍ ومع الجمال سكينة ووقار
وإذا سريتُ رأيت نارك نوّرت وجهاً أغرّ يزينه الإسفار

ولعل الألم الرزين هو الذي أملى على الشاعر هذين البيتين اللذين تقرأ فيهما اللوعة الحزينة في قالب التأسي الحكيم . . .

كان الخليط هم الخليط فأصبحوا متبدلين وبالديار ديار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكرّ عليهم ونهار

وتتألق رائيّة أبي صخر الهذلي (١) بعد أبيات جرير هذه . . .

أبو صخر الهذلي :

ورائية أبي صخر هذه فيما يبدو لنا مرثية من أفجع المراثي ، بل ومن أروعها وأعمقها أصالة وجدة ، وهي قوية الانفعال بالغة الأثر لذا سارت مسير الأمثال وتمثل بسائرها الزمن . . .

---

(١) عبد الله بن سلم الهذلي الشاعر الإسلامي الأموي ، كان متعصباً لبني مروان موالياً لهم ، وهو صاحب المدائح لعبد الملك وأخيه عبد العزيز ، وقد حبسه ابن الزبير إلى أن قتل . الأغاني ٢١ : ٩٤ - ١٠٠ ، الخزانة ١ : ٥٥٥
الأمالي ١ : ١٤٦ - ١٤٧ ، ديوان الحماسة ٣ : ١٢٣١

والذي يعزز رأينا في كونها مرثية خاتمتها :

فيا حبّذا الأحياءُ ما دمتِ فيهم ويا حبذا الأموات ما ضمّكِ القبر ..!

إذ لا يسوغ لشاعر أن يخاطب امرأة ، فضلاً عن حبيبة ، قيد الحياة بمثل هذا العجز الذي ختم به قصيدته (١) .

هذا إلى أن وقفته أول القصيدة ليست وقفة شاعر أمام أطـــلال الظاعنين ، إنما هي وقفة تشعر برحيل الأحباب ليس بعده رجعة ، كما أنها تشعر بوقفة كانت للشاعر بعد عهد عهيد بالأحباب . . !

وقفت برسمها فعيَّ جوابهـــا فقلتُ وعيني دمعها سَرَبٌ هَمْرُ
ألا أيها الركب المُخِبُّون هل لكم بساكن أجزاع الحمى بعدنا خُبر
فقالوا طوينا ذاك ليلاً فان يكن به بعض من تهوى فما شعر السَّفْرُ

إن الشاعر في مرثيته هذه يسترجع عهداً بعيداً . ألا تراه يحدثك وكأنما يقلب كتاباً طوي منذ زمن فيستعيد أيامه على ضوء الذكريات..؟

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت لا عرف لدي ولا نكــر
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها كما قد تُنسّي لبَّ شاربها الخمر
وإني لتعروني لذكراكِ هـــزة كما انتفض العصفور بلّله القطـر

والشاعر في رائيّته هذه حزين واله ، منكر لحاله ساخط عليـه سخطاً فيه رزانة الإيمان .

---

(١) لانشارك السيدة صاحبة المقال في رأيها بأن هذه القصيدة مرثية، فهي لاتخرج عن كونها شكوى غرام ، وأنها تصف مايلاقي من عنت حبيبته وشدة قسوتها عليـه ، وشدة حبه لها بالرغم من كل ذلك ، وأن مخاطبته لأطلالها لاتختلف عن مساءلة الأطلال التي قالها جميع الشعراء قبله (لجنة المجلة) .

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

وما دام كذلك فالشاعر آلى على نفسه عهداً بالإبقاء على ذكراه إلى الحشر ...

وياحُبَّها زدني جوىً كلَّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيام موعدك الحشرُ

إنّ هذه الرائية النفيسة تتربع عندنا على قمة رثاء الحبائب في الشعر العربي قديمه وحديثه لما تتمتع به من أصالة وعمق وسموّ بيان..

محمد بن عبد الملك الزيات :

وتتألق بعد هذه الرائية الفذّة نونية محمد بن عبد الملك الزيات (١) تألقاً يرفعها إلى المرتبة الأولى في غرض الرثاء لما فيها من عواطف إنسانية وصور حقيقية ليس فيها زيف ولا إغراق .. ولك أن تقرأ أولها لترى إلى هذه اللوحة الإنسانية الدامعة التي يرسمها لك الشاعر من حال الصغير بعد أمّه الميّتة :

ألا مَنْ رأى الطفلَ المفارقَ أمَّه بعيد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أمٍّ وابنها غيرَ أمّه يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً في الفراش تُجِنُّه بلابل قلبٍ دائمِ الخفقان

ثم استمع بعد ذلك إلى نواحه على المرأة هذا النواح المقطع لنياط القلوب لأنه بقايا قلب مقطع النياط ..!

(١) محمد بن عبد الملك الزيات ، هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان ، كان أبوه تاجراً كبيراً من تجار الكرخ إلا أنه ـ أعني محمداً ـ سار في طريق الأدب وقرض الشعر ، ومدح الكبراء والوزراء كالحسن بن سهل ، ولمع نجمه فوزر ثلاث دفعات ، وخدم المعتصم والواثق إلا أنه حبس وقتل في عهد المتوكل على الله « انظر جميل سعيد ، مقدمة ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات .

ألا إنّ سجلًا واحداً إن هرقته من الدمع أو سجلين قد شفياني
فلا تلحياني إن بكيت فإنما أداوي بهذا الدمع ما تريان
وإنّ مكاناً في الثرى خُطّ لحدُه لمن كان من قلبي بكل مكان
أحقّ مكانٍ بالزيارة والهوى فهل أنتما إن عجت منتظران ؟

ويراوح الشاعر بين نواحه على المرأة وبين توجعه لليتيم الصغير :

فهبني عزمت الصبر عنها لأنني جليد فمن بالصبر لابن ثمان ؟
ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبة ولا يأتسي بالناس في الحدثان !

ويفتقد الشاعر في الراحلة الزوج الصالحة الرشيدة ، والقلب الحنون المخلص ، فيتبرم بالقدر ويعجب لصرفه .. !

ألا مَنْ أمنيّه المنى وأعدّه لعثرةِ أيّامي وصرف زماني
ألا مَنْ إذا ماجئت أكرم مجلسي وإن غبت عنه حاطني وكفاني
فلم أر كالأقدار كيف تُصيبني ولا مثلَ هذا الدهر كيف رماني !

الطغرائي :

وتحتل مراثي الطغرائي لزوجه القمة إلى جوار هذه النونية لما فيها من صدق العاطفة وحرارة اللوعة وبراعة الصور (١) ؛ والحق أن رائيته ونونيته أعجوبتان في الأعاجيب استكملتا أسباب الإجادة من جميع الأطـــراف وتكادان تكونان جميعاً من مختار القول .. وإلا ماتراك تقول في مثل هذا الدر النظيم .. ؟

أذمّ جفوني أن تضنّ بذخرها وأمقتُ قلبي وهو يهدأُ في صدري
ألا ليتنـا لم نصطحب عُمْرَ ليلة ولم نجتمع من قبل هذا على قدر
ويا موتُ ألحقني بهـا غير غادر فإنّ بقائي بعدها غاية الغــــدر

(١) للزميل الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر مثل هـذا الرأي . انظر الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ص ١١١

ويا صبر زل عني ذميماً وخلّني ... ولوعةَ وجدي والدموعَ التي تجري
ولا تعدني الأجر عنهـا فإنهـا ... ألذ وأحلى في فؤادي من الأجر
بنا أنتِ من مهجورة لم أرد لهـا ... فراقاً ولم تطو الضلوع على هجر
وقد كان ربعي آهلاً بك مدة ... أحن إليه حنـة الطير للوكـر
فمذ بنت عنه صار أوحشَ من لظًى ... وأضيقَ من قبرٍ وأجدب من قفر
برغمي خـــلا ربعي وأُسكنتِ خاطري
وغُيبتِ عن عيني وأُحضِرتِ في فكري (١)

أما القافيّة فحدث عنها ولا حرج فهي عروس هذا الباب، وهي دون أدنى ريب أحسن ما تهيأ للسابقين في هذا الباب، وقد لا يلحق بشأوهـا متأخر، وسآتيك بها كاملة لأنها من النفاسة بحيث يتعذر علي أن آخذ منها أو أن أدع . . .

استمع إلى الطغرائي يرسم لنا بريشته الحبيبة الزوجة تحتضر :

ولم أنسَها والموت يقبض كفَّها ... ويبسطها والعـــين ترنو وتطرق
وقد دممت أجفانهـا فوق خدها ... جنى نرجسٍ فيه النّدى يترقرق
وحلَّ من المقدور ما كنت أتقي ... وحُمَّ من المحـذور ما كنت أفرق
وقيل فراقٌ لا تلاقيَ بعـــده ... ولا زاد إلاّ حسرةٌ وتحـــرّق
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها ... قضت حسراتٍ كانت الروح تزهق
هلال ثوى من قبل أن تمّ نوره ... وغصن ذوى فينانه وهـو مورق
فواعجبا أنّي أتيـح اجتماعنـا ... ويا حسرتي من أين حُمّ التفـرّق
أحنّ إليهـا إن تراخى مزارها ... وأبكي عليها إن تدانى وأشهق

---

(١) يقول الشريف الرضي :

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري ... كأنك من عيـني نقلت إلى قلـــبي

وأبلس حتى ما أبين كأنما تدور بيَ الأرض الفضاء وأصعق
وألصقها طوراً بصدري وأشتفي وأمسحها حيناً بكفّي فتعبق (١)
وما زرتها إلا توهمت أنها بثوبيَ من وجدي بها تتعلّق
وأحسبها والحجب بيني وبينها تعي من وراء الترب قولي فتنطق
وأشعر قلبي اليأس عنها تصبراً فيرجع مرتاباً به لا يصدق

ويورد زميلنا الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر في رسالته القيمة عن الشعر العربي في العراق وبلاد العجم إبان العصر السلجوقي بيتين هما الغاية في النفاسة والإحسان لعلي بن أبي الفوارس الرازي - وهو ممن عاصر الطغرائي - في رثاء زوجه :

وكانت حياةً لي فلما توفيت تمنيت ألقى الموت قبل مماتها
عجبت لعمري من بقائي بعدها وكيف بقاء النفس بعد حياتها! (٢)

ويروي لنا المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه الطريف : مدامع المشاق ، بيتين رائعين ينسبها « لأحد الفتيان في بكاء امرأته » :

أطأ التراب وأنت رهن حفيرة هالت يداي على صداك ترابها
إني لأعذر من مشى إن لم أطأ بجفون عيني ما حييت جنابها (٣)

رثاء الجواري

هناك أبيات ثلاثة في ديوان العباس بن الأحنف في رثاء هيلانة جارية

(١) يقول أبو صخر الهذلي في رائيته آنفة الذكر :
تكاد يدي تندى إذا مالمستها وينبت في أطرافها الورق النضر
(٢) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ٢ : ١١١
(٣) مدامع العشاق ٣٤٨

الرشيد وهي مكتوبة على لسان الرشيد إلا أن الأبيات يبدو عليها الافتعال ولا قيمة فنية لها على الإطلاق . . (١) .

وليعقوب بن الربيع في وصف « مُلْك » جاريته وهي تحتضر أبيات ثلاثة فيها صورة وجيعة للاحتضار أرويها لك فيما يلي :

حتى إذا افترّ اللسان وأصبحت ... للموت قد ذبلتْ ذبولَ النرجس
وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثّه بتنفس
رجع اليقين مطامعي يأساً كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس (٢)

ولعل الفائية التي رثى بها مُعَلّى الطائي جاريته « وصفاً » من عيون المراثي لأنها صدرت ومعينها الصدق ، وكتبت بدم قلب الشاعر ، وإلا ما تراك تقول في مثل هذه الزفرة :

يا موت كيف سلبتني وَصْفا ... قدّمتها وتركتني خَلْفا
هلاّ ذهبت بنا معاً فلقد ... ظفرت يداك فسمتني خسفا
يا موتُ ما أبقيت لي أحداً ... لمّا زففت إلى البلى وصفا
خليتني فرداً وبنت بها ... ما كنت قبلك حاملاً وكفا
فتركتها بالرغم في جدث ... للريح تنسف تربه نسفا
أسكنتها في قعر مظلمة ... بيتاً يصافح تربه السقفا
فكأنها والنفس زاهقة ... غصن من الريحان قد جفّا
يا قبر أبقِ على محاسنها ... فلقد حويت النور والظرفا (٣)

ويروي لنا تاريخ الشعر العربي لأبي تمام الطائي أبياتاً في رثاء بعض الجواري ، أروي لك واحداً منها هو غاية في الجودة :

(١) انظر طبعتنا المحققة لديوان العباس بن الأحنف ص ٥٩ ـ ٦٠
(٢) انظر الكامل ٣ : ١٢٥٥ ـ ١٢٥٧
(٣) انظر العقد الفريد ٣ : ٢٧٩

لها منزل تحت الثرى وعهدتها   لها منزل بين الجوانح والقلب

وله ، من قطعة أخرى في الغرض نفسه ، بيتان بلغ بهما القمة :

يقولون : هل يبكي الفتى لخريدة   إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها

وهل يستعيض المرءمن خمس كفه   ولو صاغ من حر اللجين،بنانها ؟

ولعل ابن الرومي في رثائه « بستان » المغنية أقل هؤلاء جميعاً أثراً في النفس لما يبدو عليه من قلة التأثر ووضوح الافتعال . . وأنت تعلم علم اليقين أن الشاعر كالاسفنجة يعطي قدر ما فيه ، وربما زاد أو نقص قليلاً حسب قدرته على التصوير . إن ابن الرومي في رثائه « بستان » بارع الصنعة ولكنه بارد الانفعال ، والرثاء خاصة بل ، الشعر عامة ، قوامه العاطفة لا القدرة على افتعال المعاني أو العبث بالألفاظ .

استمع إلى ابن الرومي يرثي « بستان » بمثل هذا الكلام البارد :

يا غضة السن يا صغيرته   أمسيت إحدى المصائب الكبر

أبعد ما كنت باب مبتهج   للنفس أصبحت باب معتبر

كل ذنوب الزمان مغتفر   وذنبه فيك غير مغتفر

أليس هذا افتعالاً للمعنى على حساب اللفظ أو افتعالاً للفظ على حساب المعنى ؟ ألا ترى إلى هذه المطابقات المفتعلة تلازم الشاعر في أبياته ملازمة تامة ، وتأبى إلا أن تترك آثارها عليه باردة باهتة ؟

وقد يبدو لنا الشاعر أبعد ما يكون عن روح الرثاء وهو يرثي ـ في زعمه ـ هذه الحسناء :

لله ما ضمنت حفيرتها   من حسن رأي وطيب مختبر

أضحت من الساكني حفائرهم   سكن الغوالي مداهن السرر

لو علم القبر من أتيح له   لانحفر القبر غير مُحتفر

إن للمرحوم زكي مبارك رأياً في هذه الأبيات يخالف رأينا فهـــو يعجب بمعانيها[١] إلا أننا لا نرى فيها إلا أبياتاً تشكو انعدام اللوعة وافتعال الانفعال والبعد عن واقع الفجيعة . .[٢] .

وعلى أن ديك الجن « محمد عبد السلام بن رغبان الكلبي الحمصي » عاش أواسط القرن الثاني للهجرة « المولود سنة ١٦١ هـ »[٣] فقد رأينا أن نذيل به هذا الجزء من بحثنا متخطين الترتيب التاريخي ، ذلك لأن مراثيه الجارية الزوجة ـ نظراً للظروف الخاصة التي أحاطت بمقتلها ـ تحيلها شيئاً قائماً بذاته مميزاً عن سواه لأن ديك الجن هذا على ما نعلم ممن خبله العشق وأضلته الغيرة فقتل زوجه ثم أحرقها وصنع من رمادها كوزاً يمزج به الماء بالدموع . .

فمراثيه إذن نوع خاص قائم بنفسه تسيطر عليه حسرة الندم أكثر من لوعة الرثاء ، وهي خليط بين بين : ندم ورثاء وجريمة وتوبة ، ومهما يكن من شيء فهي قصائد في رثاء حبيبة فقدها محبها إلى الأبد ، ورثاها بشعره:

فقتلته وله علـيّ كرامة ملء الحشا وله الفؤاد بأسره
لو كان يدري المَيْتُ ماذا بعده بالحيِّ حلَّ مكانه في قـــبره
غصص تكاد تفيض فيها نفسه وتكاد تخرج قلبه من صدره

ولك أن تلحظ الندم يأكل قلب الشاعر أكلاً في أبياته التاليـــة يخاطب بها القتيلة :

(١) انظر مدامع العشاق .
(٢) لمحمود الوراق أبيات في هذا الغرض . انظر العقد الفريد حـ ٣
(٣) انظر الوزراء والكتاب ، ثم انظر ديوان ديك الجن صنع أحمد مطلوب والجبوري

أما والله لو عـاينت وجدي إذا استعبرتُ في الظلماء وحدي
وجدّ تنفسي وعلا زفـيري وفاضت عبرتي في صحن خدي
إذن لعلمت أني عن قـــريب ستحفر حفرتي ويشقّ لحـدي

وككلمة أخيرة ننهي بها هذا الجزء من البحث ، يوسعنا أن نقول : إن الشعر العربي القديم ضرب مثلاً عالياً في تكريم المرأة وإعطائها الصدارة من قلبه وحسّه ووجدانه حيّة وميتة : نسب بها حسناء ، وبكى ديارها ظاعنة وأطال البكاء ، ورثاها ميتة فأوجـع الرثاء ، وترك لنا من وراء ذلك كلّه ثروة ثرة في أدب الوفاء . .

مراثي النساء في الشعر المعاصر :

أما وقد بلغنا في حديثنا هذا الموضع ، فما علينا إلا أن نحدثك فيما كتب الشعر المعاصر في هذا الباب .

للبارودي داليّة عدّتها سبـع وستون بيتاً في رثاء زوجه قالها وقـــد تأدّى إليه نعيّها وهو متَنْفِيّ بسرنديب « من جزر الهند » مطلعها :

أيَدَ المنون قدحتِ أيّ زناد وأطـرت أية شعلة بفـــؤادي

وهي على طولها لا نـكاد نختار منها إلا بضعة أبيات ! ذلك لأن الشاعر أطال وحشا ولم يسلم من هنات ، بعضها ركة في التعبير ، وافتعال في المعاني ومحاكاة سقيمة للقديم ، وإقحام للحكم الباهتة ، وإدخال الألفاظ الحربيّة حرم الرثاء ، وإقحام التاريخ في صميم الموضوع العاطفي ، بالإضـافة إلى عيوب فنية كثيرة ، أهمها : قلق القوافي ، وبرودة الجو الشعري ، وفقدان روح الرثاء ، ولولا أبيات معدودات لأهملنا القصيدة ولما عددناها في شعـر الرثاء في شيء ! (١)

(١) ديوان البارودي ١٥٦ — ١٦٧

أمّا سينيّة علي الشرقي : « شمعة العرس » التي رثى بها عروسه وقد دهمتها المنون ليلة الزفاف ، إن هذه القصيدة لا تكاد تمتّ إلى الشعر بسبب لأنها قصيدة باردة جامدة باهتة ، ونحن إنما سميناها قصيدة تجوزاً إذ هي لا تمتّ إلى روح الشعر الأصيل بسبب ، فهي تشكو فقدان الروح أعني الانفعال ، وهي باردة المعاني باهتة السمت ، ليس فيها ما يستوقف الباحث ، وهذا غريب لأن الأستاذ الشرقي شاعر جليل القدر ، له باع طويل في الحكم والفلسفة ، فكيف يكبو في مثل هذا ؟

شاعران وديوانان :

يبقى لنا بعد ذلك شاعران ، نظما في الوفاء ديوانين كاملين ، هما خير من صوّر الحليلة الحبيبة تصوير صدق ، ليس فيه أدنى افتعال ، ولا بعض صنعة ، الشاعران هما عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقي .

بلدهما واحد « مصر » وبلواهما واحدة ، فكلٌّ منهما فقد الحبيبة الزوجة إبان الشباب وكل منهما صور وأحسن ووفى وأجزل في الوفاء . .

لقد خلّف ـ كما ذكرنا ـ كلٌّ منهما في صاحبته ديواناً كاملاً ليس فيه إلاّها ، والحق أن هذين الديوانين بمثابة سجلين لحياة الرجل والمرأة بكل دقائقها وأسرارها وانفعالاتها ، ولعمري فهذا فتح جديد في أدبنا المعاصر يُعتز به ويُعتدّ .

وقوام هذين الديوانين الصدق والتلقائيّة فهما خير ميسم يوسم بها شعر الرجلين ، ولا تسل عن شعرٍ ميسمُه الصدق وطابعه السماحة ، وما نعرف قبلهما أحداً قصر شعره كله على واحدة اللهم إلا إذا استثنينا العباس بن الأحنف صاحب فوز ، فقد كتب هو الآخر ديواناً كاملاً من وحي المرأة ، والفارق بينهما يقوم في أنهما رثيا المرأة بهذا الديوان في حين أن العباس رثى قلبه بهذا الديوان !

وقد يكون من المؤسف أن يُولي الشعراء العرب ، في نسيبهم ، أوصاف المرأة الجسدية عنايتهم أكثر بكثير من أوصافها المعنوية ، ويكاد يكون هيكل المرأة الجسدي في الشعر العربي واحداً على توالي العصور لا يلحظ عليه ولو أثارة من تغيير ، فهي أبداً وحفاء الشَّعر ، وضاحة الطلعة ، وضّاءة الجبين ، نجلاء العينين ، وطفاء الهدب ، زجّاء الحاجبين ، عذبة الثغر ، في شفتيها حُوّة ، وبين أسنانها بريق ، وهي جيداء غيداء هيفاء لمّاء ، مسكيّة الروح ، رقيقة الخطو ، ساحرة الحديث . . .

وجاء أباظة فعزّز المرأة وارتفع بها من دمية تلهي الرجل ساعة أو بعض ساعة إلى رفيق كريم ، ونصيح رشيد ، ومجير أمين .

ولم يبك أباظة في ديوانه الزوجة والأم ، إنما هو يبكي فيه الحب والحياة والأمل الذي أفلت ، و لما تزل بعد في يديه من خيوطه الواهية بقية ..!

ولكم بكى أباظة وأبكى ، وافتقد في بكائه الفكر النير والقلب الرحيم يلوذ بها ساعة المحنة :

يا ملاذي إذا افتقدت ملاذي وصديقي إذا تجنّى صديقي
كيف خلّفتني ، وقد كنت روحاً وسلاماً ، أصلى عذاب الحريق
مَنْ يُسَرّي عني إذا شفّني الهمّ ويشفي نفسي ويهدي طريقي !

وزوج أباظة سيدة فضلى تعيش للإحسان والبر ، تسد حاجة المحتاج وترعى الضعيف وتغيث الملهوف . . .

رعاك الله كم بيت كريم أصيب فكنت ملجأه الأمينا
أسوت جراحه ودفعت عنه وواسيت الحزينة والحزينا
وأقسم كنت تخفين العطايا وتولين الجميل وتكتمينا
وقد تهبين ممّا ليس فضلاً وتعطين الكثير وتؤثرينا !

ثم هو يبكي فيها البرّة التقيّة القانتة الطاهرة الورعة التوابة .. المرأة التي كانت تقوم الليل في مُصلاّها دامعة الطرف ، وسمّارها في الليل الصلاة والمصحف .. إن أباظة كان يبكي في ديوانه المرأة القديسة ...

وأقسم كانت لليتامى دريئـــة تذود الأسى عنهم وتأسو وتُنصف
وكانت تقوم الليل إلاّ أقــلّه وسُمّـارهـا فيه مُصلّى ومصحف
مدامعها من روعة الذكر ذُرّفٌ وأوصالهـا من خشية الله رُجّف
تهجد أوّاب وتسبيح قانت فـلله ذاك القـانت المتخـوف

والشاعر عائش في ديوانه بذكرى المرأة ، ترجع به ذكرياته القهقرى فيتمثلها تارة طفلة غريرة ، وأخرى « كاعباً منضرة الحسن » ، ومرة عروساً « وضاءة السنى » ، فزوجاً وأماً رحيمة ، فمحمولة على الأيدي إلى غير عودة .. !

تمثّلُ لي منضورة الحسن طفلة يُضيء الدجى منها جبينٌ ومبسمُ
وطاوية عهد الدراسة كاعباً تروعـك منهــا نضرة تتوسم
ومجلوّة للعرس وضّـاءة السنى تأوّد في وشي الشباب وتنعــم
وجامعة في بيتها شمــل بيتها توسطهم كالبدر حفّتــه أنجــم
فمحمولة منه إلى ساح منعم يثيب ويعفـو عن كثير ويرحـم

والمفجع الموجع للقلوب والمبدع الممتع في البيان أن نرى المرأة خلل الديوان حيّة في نفس شاعرها ، قائمة في قلبه ووجدانه ، لا تكاد تبرحه لحظة في الليل أو في النهار . ولعمري أية صورة هذه التي يعرضها أباظة في هذا البيان السمح الجميل ؟

إذا سكن الصباح فأنت همي وإن سكن المساء فأنــت أنسي
جمعت على الهوى طرفي نهاري كأني لم أُرَعْ بنــواك أمس
رعاك الله ما فارقت روحي وإن فارقت بعض الوقت حِسّي
أراك كما رأيتــك يوم كنا على حرم الصبا نُضحي ونُمسي

نذوق رحيقه طفلين شبّا على ورد وأحلام وقدس

ثم انظر معي إلى هذه الصور الحيّة التي يجسدها الشاعر بيراعه هذا التجسيد الأليم :

تذكرني بك الصور التوالي فينشطر الفؤاد بها انشطارا
إذا قمنا لمائدة مساء وإن قمنا لمائدة نهارا
يطالعنا مكانك وهو خال فتبتدر الدموع له ابتدارا
نحيط به فنوسعه حنينا وتقديساً لذكرك وادكارا
نرى بصحافك الجَدّ المثارا وفي كرسيك الأمل القفارا
وما يَفري فؤادَ أبٍ حزين كأطفال له نكبوا صغارا

ولعلّ أهول ذكرى وأفجعها وأقساها على قلب الشاعر تلك التي تطالعه فيشهد فيها زوجه في النزع .. ويحيطك الشاعر بجو من الهول والرهبة وجلال الموت وأنت تقرأ له هذه القطعة التي ما أراها إلا أنها ُقدّت من صميم كبد الشاعر :

ثم قالت في أنة تتهاوى أزفت ساعة الفراق السحيق
ومضت تنزع الحياة وتلقي في زفير آصارها وشهيق
في سنىً لامح وعَرْف ذكيّ وابتسام عذب ووجه طليق
لو تراها تقول قد مسّها البهـ... ـر فمالت إلى سبات رقيق
ووقفنا مُروعين نُجيل الطـ رف بين التكذيب والتصديق
ثم عدنا للحقّ عانين صرعى من مفيقٍ يهذي وغير مفيق

ترى .. أكان أباظة ينظر إلى قافية الطغرائي الآنفة الذكر حين كتب؟

ويقف أخيراً الشاعر بين يدي ربّه في البيت العتيق يذكر زوجه أحسن الذكر ويسأله سبحانه أن ُيثيبها وُيجزل لها ...

وقفت أناجي الله عند المشاعر ... وقدخشعت نفسي وجاشت خواطري
وقلت له يا رب أقسم صادقاً ... وأنت عليم ربنـــا بالسرائر
فما برمت يوماً بداء ولا شكت ... لغيرك ما قـدّرته من مقـادر
وما فترت من شكر نعماك عندها ... ورب صحيح ناعم غير شاكر
فأجزل لهـا يا رب نعمة منعم ... لديك وطالعها بغفران غـافر

إلى جوار كل ما تقدم يبدو لنا الشاعر في أنّاته الحائرة العاشقَ الغزل إلى جنب كونه الرائية المفجوع ، وهو في بعض معاني نسيبه متأثر بإمامة أمير الشعر العربي أحمد شوقي(١) حتى لكأنه ينقل عنه نقلاً وما به ذلك ، إنما هو إعجاب التلميذ بالأستاذ والمريد بالشيخ . . ولا عجب . . فشوقي شاعر الجيل ، وأباظة واحد ممن اقتفى الأثر وترسّم الخطى وما حاد عن النهج ...

وتأثر الشاعر بشوقي أظهر ما يكون في كافية له في ديوانه إخالها من نفائس هذا الديوان ، بل إن شئت فهي من نفائس الشعر العربي المعاصر . . إذ هو صورة بارعة ماتعة لحياة الزوجين السعيدين وفيها تحليل معجب للزوجة الحكيمة تغضي عن الهفوات وتدير الدفة بكياسة اللبق ...

وإذا هَفَتْ نفسي لغير كريمة ... جرّدتِ حزمك طَبّة ونهـــاك
فكففتها في حكمة ولباقة ... وبلغت بالمس الرفيق منـاك
وإذا النفوس إلى توائمها اهتدت ... سعدت وتلك مراتب الأملاك

---

(١) يقول أباظة : وهصرت في عطفيك عود أراك .
ويقول شوقي : وتأودت أعطاف بانك في يدي .
يقول أباظة : ويداي في ذهبيّ شعرك ضلتا .
ويقول شوقي : ودخلت في ليلين شعرك والدجى .
كما أن النفس والجو الشعريين إنما هما جو شوقي ، فلتراجع .

ورائعة أباظة هذه يجب أن أنقل إليك منها ما يعنيني أن تقرأه وتشاركني الإعجاب به ، والإيمان بأنه شيء نفيس فريد في أدبنا العربي المعاصر . . وإلا مَنْ مِن الشعراء قدامى ومحدثين ، باستثناء المرحوم عبد الرحمن صدقي خاطب زوجه الميتة بمثل هذا ؟

ولقد دخلت عليك في وشي الضحى روضاً تنفّس فيه طيب شذاك
أسعى إلى مثواك مشبوب الهوى وأكاد أومن أنني سأراك
وأفضت حتى جئت رفرف مضجع طهر كأركان البنيَّة زاك
وكأنما انجاب الرخام عن الثرى فأهلّ من خلل الرخام ضياك
فشهدت في حَلْيِ العروس وعطرها نفسي التي ودعتُ يوم نواك
تلك الصباحة والطلاوة والصبا أضفى عليهن الجلالَ كراك
والماء في قسمات وجهك لامح صاف وسحرك ساكب وسناك
ونهلت من عينيك سحراً لم يزل تحت التراب تُشِعُّهُ عيناك
وجلوت في فوديك بدر دجنّةٍ وهصرت في عطفيك عود أراك
ويداي في ذهبيّ شعرك ضلتا وتنهنه الشوق الجموح يداك !

إن الحبيبة تكاد تغالب الميتة في نفس أباظة فتنعكس في شعره نسيباً عالي الطبقة يباري نسيب الفحول من صاغة البيان ، ولك أن تلحظ من بعد كيف أن الشاعر « نضّد اللفظ وجوّد المعنى وروّض القافية ، وهي صفات لا تكتسب إلا بسعة الاطلاع وطول المعاناة وقوة الملكة » كما يقول الأستاذ أحمد حسن (١) الزيات طيب الله ثراه ، وأكرم مثواه .

وإخالك تتفق معي من بعد في أن هذا الديوان فردٌ في شعرنا العربي وهو شيء جليل في وقت معاً .

(١) أنات حائرة : ١٢١

ولنقف أخيراً أمام عبد الرحمن صدقي في ديوانه الرائع من وحي المرأة:

وعبد الرحمن هذا مسك الختام من بحثنا في شعر الوفاء . . .

وهو عندنا أحسن من بكى المرأة وجسّدها تجسيداً يعصمها عن الفناء . . . ! وإن شئت الموازنة بينه وبين أباظة فهو عندنا خيرٌ من صاحبه لأسباب : أهمها أنه أرقّ لغة وعاطفة وأقدر على تحايل الصور الحسّية والمعنوّية وتصويرها تصويراً بارعاً مؤثراً ، كما أنه أمعن في النفاذ إلى كل خلجة من خلجات حسه ووجدانه ، ويكاد ينقل إليك كل خاطرة من خواطر نفسه ، فكأنك منه أمام عدسة روحانية — إن جاز لنا التعبير — أو أشعة كاشفة تجلو لك الدفائن وتظهر لك الخفايا ، إنه أعمق وأدقّ وأرقّ من أباظة ، كما أنه أعلق من أباظة بكثير بتجسيد الحياة الزوجية ولا سيما الجانب الفكري والروحاني منها ، ثم هو بعد كل ذلك أقدر على استدرار الدموع من مآقيك ونقلك بالرغم منك إلى عالمه هو . . .

وإخالك تعلم أن زوج صدقي هذه سيّدة أجنبية عميقة الثقافة ، وهي شريكته في الفكر تعمل وإياه في مكتبه وتحثه على البحث والتتبع ، وربما تقرأ له وتُعينه في بعض ما يكتب ، فهي إذن تمتلك عليه كل جوانب حياته جسداً وفكراً ووجداناً « ومن هنا كانت مصيبته بها عظمى وكان الفراغ الذي أحدثه موتها هائلاً » فكانت من بعدُ ضيعة الشاعر وكان من ثم موته المعنوي . . !

شريكةَ درسي ، تلك أسفار مكتبي خرسن وكانت في جوارك تنطق
فما لي إلى الأسفار بعدك نهضة ولا متعة فيما يشوق ويونق
وكنت جعلت القفر حوليَ جنةً وقام من الفوضى نظام منسق

ولنتأمل معي بخشوع ضيعة العالم الفكرية في مكتبه وبين كتبه مصورة بريشته الحزينة أوجع تصوير وأصدقه :

وتمتد كفي نحو سفر أريده فترجع كالملدوغ مسّته عقـرب
فهذا كتابي ، ربّ ، هذا كتابها قرأناه نستقصي معـــاً وننقّب
مجاميـع أبحاث متون تفلسف بهن حواش وهي ذاك المنقّـب

وضيعة الشاعر مبثوثة أثناء الديوان أوجع ما تكون ، ولك أن تقرأ لاميته « بعد أيام » :

جمعتِ ليَ الدنيا فأغنيتِ معدمي وأمتمت محرومي وزينت عاطلي
أدور بعيني كالشريد بلا هوى ولا منزل مثل الهوى والمنازل
وما منزلي إلا الذي أنت ملؤه وما من هوى إلّاك بين المقـائل
ويوحشني أني وحيـدٌ وأنني مع الناس أبغي الأنس في غير طائل!

أرأيت إلى هذا البيان المعجز وهذا التقسيم البارع في البيت الأول الذي تلحظ عليه أثراً من آثار القرآن ؟ : « ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى » .

ثم أرأيت إلى هذا الأسلوب السمح السهل المواتي الذي صدر عن القلب ثم استقر فيه ؟

وإلى جوار القرآن الكريم ، يبدو أثر العذريين في شعر الرجل ، فأنت إذ تقرأ له مثلاً قوله :

فقدتك يا إلفي وكنا كأنما عرفتك مذ خلقي ومن قبل نخلق

تذكر قول جميل :

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن قبل ما كنّا نطافاً وفي المهـد

أو ربّما هيمنت على الشاعر بعض أجواء المتصوفة فيطالعنا « ابن عربي » خلل بعض قصائد الديوان مطالعة حقيقية ، ولك أن تقرأ « الله أكبر » وأن تقف منها عند هذا البيت :

تجمع فيهـــا كل جنس وملّة   تفاريق أديان وأخلاط أوثان

أو ليس هذا رجع ابن عربي ? أو ليس هذا رُوحَه ونَفحتَه ?

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة   فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن (١)

ولا عجب فحالُ مثل حاله كفيلة بأن تحيطه بمثل هذا الجوّ القدسي الذي تختلط فيه المذرية بالتصوف ، وإن هي إلا النار المقدسة تصهر النفوس في بوتقتها لتعود بيضاء من غير سوء :

عكفت على التفكير يومي وليلتي   وأشربت قلبي بالخشوع ووجداني
وطهرت نفسي بالبكاء عشيةً   وطهرت جسمي بالوضوء وأرداني
كأني على عزم الوقوف على مِنىً   وأنّ حمى البيت المحــرّم ناداني

والخطرات الروحانيّة لا تني تطالعك بين ثنايا الديوان من هنًا وهنا :

شقيقة روحي قد ضحكت غيورة   وأوعدت إمّا متّ كنت رقيبي
تؤوبين لي روحاً تقضّ مضاجعي   وتزعـــج أحلامي فما لك أوّبي
ليشتد إيماني وتقوى عقيدتي   بأن تلتقي(٢) الروحان بعد شعوب !

وزوج الشاعر بعد ذلك صورة مجسَّدة للكمال لأنها ممَّن جمع الحسن من أطرافه :

رأيت الغواني وهي لهو ومظهر   وأنت مزاج من جميل وكامل
ورقة إحساس وعفة لفظـــة   ولحظ وتفكير وحفل فضائل

أما براعته في تصوير دقائق « عالم الأنثى » فليشهد الشعر العربي أنه عالم انفرد به صدق وحده بين شعرائنا قدامى ومحدثين :

(١) ابن عربي : ديوان ترجمان الأشواق ص ٤٣
(٢) الواجب أن ينتصب الفعل بعد أن إلا أن ضرورة الوزن تقتضي التسكين

هنا عالم الأنثى ثياب وزينة ... يكظّ بها تختٌ وزدان مشجبُ
أرى المطف الشاتي تريكاً وطالما ... أفاض عليه الحسنَ عطف ومنكب
وألمح مرآة الجميلة عندها ... تفانين حَلْي بَهْرَجٌ ومُذَهَّبُ
وثمّ قوارير تضوّع عرفها ... قوارير كانت لي بها تتطيب
هنا الطيب والأبراد والحلي كلّه ... فأين التي كانت بها تتحبّب؟

أما صورة الزوجة الميتة فلا أهول منها صورة ! وهي عين الصورة التى نقلها الكسندر دوماس الابن في روايته الشهيرة سيدة الكاميليا Dame aux Camélias من البطلة مرغريت ، وقد أخرجها البطل أرمان من حفيرة القبر ليراها للمرة الأخيرة ، استمع إلى الصورتين العربية ومن ثم الفرنسية :

خيالك في التابوت أثلج لي دمي ... وأحرق أعصابي وهدّ مفاصلي
وغيّض دمعي أنْ رأيتُك جثة ... وجسمك معروق الذرى والأسافل
ووجهك شمع ذو شحوب وصفرة ... كرسمٍ عتيقٍ في التصاوير حائل.. !

ولك أن تقف أمام « ذكرى » الشاعر لتروعك هي الأخرى بحرارة عواطفها وبراعة الصور الإنسانية فيها . . وإني على ثقة من أنك لن تمتلك نفسك من الإعجاب بها والبكاء لها ، ويكاد يكون الديوان كله على هذا النحو من الأصالة والواقعية وعمق التأثير . . .

« C'était horrible à voir , C'était horrible à raconter . Les yeux ne faisaient plus que deux trous , Les lèvres avaient disparu et les dents blanches etaient serrées les unes contre les autres . Les longs cheveux noirs et secs ètaient collés sur les tempes et voilaient un peu les cavités vertes des jours et cependant je reconnaissais dans ce visage le visage blanc , rose et joyeux que j'avais vu si souvent » . (1)

---

(1) **La Dame Aux Camélias Alexandre Dumas Fils, E. Athène, p.59.**

وبوسعي أن أقول لك بكلمة موجزة إن هذا الديوان تاريخ عمر كامل ، وتحليل بارع للزوجة الفضلى التى تشارك زوجها فكراً ووجداناً ، قبل أن تكون متعة جسد يلهو بها ساعة أو بعض ساعة ، إلى جوار أنه تحليل بارع لنفسية الرجل الوفي الذي يحسن معاشرة المرأة ويقدسها جسداً ووجداناً ، ويفي لها ويجزل الوفاء حيّة وميتة . .

والديوان مكتوب بلغة سمحة سهلة مواتية ، وهو صورة عالية للسهل الممتنع القريب البعيد المطمع المعجز ، لولا أنه يقع أحياناً بما يشبه النثرية والمباشرة ، وهي نتيجة طبيعية حتمية للتلقائية . . .

وككلمة ختامية ننهي بها هذا البحث الذي إن هو إلّا جمع نقدي لمراثي النساء في الشعر العربي قديمه وحديثه ، نرجو أن نكون بلغنا به بعض الغاية ، فإن لم نكن فحسبنا أننا سعينا لها مخلصين ، والله - عزّ شأنه - من وراء القصد .

في ٢٠ / ١٢ / ٧٤

الدكتورة عاتكة الخزرجي
كلية الآداب - جامعة بغداد

أهم مراجع البحث

ابن خلكان	وفيات الأعيان	القاهرة ١٩٤٩
أبو تمّام	ديوان أبي تمّام	القاهرة دار المعارف ١٩٧٢
	ديوان الحماسة (شرح المرزوقي)	القاهرة ١٩٥٣
ابن عبد ربّه	العقد الفريد ط ٢	القاهرة ١٩٥٢
ابن عربي	ديوان ترجمان الأشواق	بيروت دار صادر
أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري	ديوان ديك الجن	بيروت ٩٦٤

امرؤ القيس	ديوان امرىء القيس شرح حسن السندوبي	القاهرة ١٩٥٩
البارودي	ديوان البارودي	القاهرة ١٩٥٤
الثعالبي	يتيمة الدهر	القاهرة ١٩٣٧
جرير	ديوان جرير	بيروت (صادر) ١٩٦٤
جميل سعيد	ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات	مصر ١٩٤٩
الجهشياري	الوزراء والكتاب ط١	مصر ١٩٣٨
الرافعي (مصطفى صادق)	تاريخ آداب العرب	القاهرة ١٩٤٠
زكي مبارك	مدامع العشاق	مصر الجديدة ١٣٥٣هـ
الطغرائي	ديوان الطغرائي ط١ قسطنطينية ، الجوائب	١٣٠٠هـ
عاتكة الخزرجي	ديوان العباس بن الأحنف دار الكتب المصرية	القاهرة ١٩٥٣
عبد الرحمن صدقي	ديوان من وحي المرأة	القاهرة ١٩٤٥
عزيز أباظة	ديوان أنات حائرة ط٣	القاهرة ١٩٤٣
علي جواد الطاهر	الشعر العربي في العراق وبلاد العجم	بغداد ١٩٦١
علي الشرقي	ديوان علي الشرقي عواطف وعواصف	بغداد ١٩٥٣
القالي (أبو علي)	الأمالي	القاهرة ١٣٤٤هـ
المبرد (أبو العباس)	الكامل	
المتنبي	ديوان المتنبي ط٢	١٩٣٨

نظرة إجمالية في

حركة التأليف باللغة العربيّة في الهند

وخاصّة الإقليم الشمالي منها

الدكتور جميل أحمد

أقدمُ العوامل الرئيسية التي تمهّد بها السبيل للصلة اللسانية بين شبه القارة الهندية الباكستانية والعرب : الملاحةُ العربية في المياه الهندية ، قبل الإسلام بمئات عديدة نتج عنها التفاهم على تبادل البضائع والسلع . ثم خطت اللغة العربية خطوة أخرى نحو الانتشار في جنوب الهند في فجر الإسلام عندما اتخذ التجار العرب جاليات لهم بساحل ملبار (كيرالا) . ولكن الذي عمل نهائياً لانتشار اللغة العربية ورواج علومها في شبه القارة الهندية الباكستانية شيئاً فشيئاً هو الحركة الإسلامية التي قادها محمد بن القاسم . وبعدما توطدت قواعدها في السند كلّها من ديبل إلى تخوم كشمير تقدمت موجتها إلى دهلي ومنها إلى الإقليم الشمالي (يوبي) حتى عمت نواحي الهند ، فحدثت نهضة علمية وظهرت ثمارها التي سنقطف بعضهـــا لنجعلها موادّ مقالتنا هذه .

بقي الحكم للعرب في السند قرنين ونصف قرن ، فظهرت جاليات العرب وقوي اختلاطهم بالوطنيين على مرّ الزمن . ولذلك الاختلاط سهمٌ كبير رائع في تمكين اللغة العربية وتشييد آدابها الإسلامية في البلاد المفتوحة .

أمّا تمكن اللغة العربية في السند وأدنى البنجاب فيشهد المقدسي أن

« ديبل بحرية قد أحاط بها نحو من مائة قرية أكثرهم كفار كلهم تجار ، وكلامهم سندي وعربي » (١) .

وهكذا يشهد الإصطخري أن لسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية (٢) .

وأما تاريخ الآداب العربية والعلوم اللسانية خلال هذه المدة فهو في ظلام دامس ، حتى لا نكاد نسمع عن حلقات الدرس لنشر علوم القرآن والحديث والفقه التي كان المسلمون يهتمون بها حينذاك في جميع الأراضي المفتوحة ، كما لا نسمع عن الكتب التي كانت تدرس فيها ، أو التي ألفت في تلك الحقبة من الزمن . مع ذلك تتوفر لدينا بعض الأدلة على نشاط العرب في هذا المضمار ومنها ما يلي :

من المعلوم أن المسلمين كلما استتب أمرهم في بلد أسسوا فيها مسجداً يجتمعون فيه في غير أوقات الفرائض ، للتشاور في أمور دينهم ودنياهم . يعقدون فيه حلقات درس القرآن والحديث والفقه والقضاء . وأول مسجد بني في السند كما ثبت في التاريخ هو المسجد الذي بناه محمد بن قاسم بالديبل بعدما فتحت عنوة . ففي البلاذري :

« واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً وأنزلها أربعة آلاف » .

وبجانب هذه الحقيقة نجد قوماً من العلماء وردوا أرض السند ، ونجد قوماً من الرواة نسبوا إلى ديبل ولكل منهم مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي وكذلك نقرأ عن مدينة المنصورة في معجم البلدان :

« مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج » (٣) .

---

(١) أحسن التقاسيم ٤٧٩

(٢) المسالك الممالك ١٠٥ . وانظر أيضاً ابن حوقل (ليدن) ٢٣٢

(٣) البلدان (ط. بيروت) ١٨ / ٢١١

وقد وجدها المقدسي عامرة بأهل العلم عندما زارها فقال :

« العلم وأهله كثير »[١] .

وقد سجّل التاريخ أيضاً أن محمداً لما فتح الرور صلحاً بنى بها مسجداً[٢] وولّى الفقيه موسى بن يعقوب الثقفي القضاء والخطابة بها وأن أولاده توارثوهما ، احدهم الفقيه الخطيب إسماعيل بن علي الثقفي اجتمع به صاحب « جچ نامه » سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م .

ووجود هذه المساجد وهؤلاء الرواة والفقهـاء يدلّ على أن حلقات الدرس كانت ولا بد تنتظم عند ذلك ، وكان الاهتمام فيها بالحديث والفقه أكثر من غيرهما ، ولكن من المؤسف أن التاريخ لم يحتفظ بأسماء الكتب التي كانت تدرس فيها ، بل أوضح الشواهد على ما نحن بصدده قول المقدسي :

« أكثرهم (أهل السند) أصحاب حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري . . . وله تدريس وتصانيف . . . ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة »[٣] .

وأما المؤلفات في عهد الحكم العربي فربما ألف بعض الرواة كتباً عديدة في الحديث ، و « سارت بمصنفاتهم الركبان إلى الآفاق » كما يقول

(١) أحسن التقاسيم ٤٧٩

(٢) البلاذري ٥٣٨

(٣) أحسن التقاسيم ٤٨١ . أما أبو محمد المنصوري فهو أحمد بن محمد القاضي الداوودي المنصوري الذي ذكره ابن النديم وياقوت الحموي والذهبي « بأبي العباس » . فمن الممكن أن يكون له كنيتان أو وقع السهو من المقدسي . انظر الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦ ، و (الاستقامة) ٣٢٠ ، و البلدان (بيروت) ٢٦٧/١١ وميزان الاعتدال ٦٦/١ برقم ٥٣٨ و ٦٢/١ برقم ٥١٧ في ترجمة أحمد بن محمد أبي روق .

صاحب الثقافة [١] ولكننا مع الأسف لا نعرف عنها شيئاً حتى لا نكاد نعثر على أسمائها غير أسماء مؤلفات أبي العباس أحمد بن محمد المنصوري قاضي المنصورة، وهي كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير[٢].

إن الكتاب العربي الوحيد الذي وصل إلينا في حلة اللغة الفارسية هو « جج نامه » أقدم مصدر ألف في تاريخ فتوح بلاد السند. كتبه آباء الفقيه إسماعيل بن علي الثقفي السندي القاضي بمدينة الرور، ورآه علي بن حامد الكوفي السندي عندما اجتمع به في عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م فنقله إلى اللغة الفارسية. لا نستطيع أن نضبط تاريخ تأليفه ولكن من الأغلب أنه ألف حوالي ٢٢٥ هـ إذ أكثر رواياته عن أبي الحسن علي المدائني. والمدائني توفي إما سنة ٢١٥ هـ أو سنة ٢٢٥ هـ.

(١) الثقافة الإسلامية في الهند ١٣٥. « اعلم أن محمد بن القاسم الثقفي فتح بلاد السند . . . . وتمكنت فيها دولة العرب كسائر البلدان ودخلها أتباع التابعين . . . وتتابع الناس بعد ذلك من أهل العلم . . . . وأخذوا الحديث ورووه بالحفظ والإتقان مدة أربعة قرون. وسارت بمصنفاتهم الركبان إلى الآفاق. أشهرهم إسرائيل بن موسى البصري نزيل الهند، ومنصور بن حاتم النحوي، وإبراهيم بن محمد الديبلي، وأحمد بن عبد الله الديبلي، وأحمد بن محمد المنصوري أبو العباس، كان قاضي المنصورة، وله مصنفات على مذهب الإمام داود بن علي الظاهري، وخلف بن محمد الديبلي، وشعيب بن محمد الديبلي، وأبو محمد عبد الله المنصوري، وعلي بن موسى الديبلي، وفتح بن عبد الله السندي، ومحمد بن إبراهيم الديبلي، وخلق آخرون ».

وفي السمعاني ٢٣٦ أن شعيب بن محمد الديبلي « قدم مصر وحدث بها، وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه ». وفي المصدر نفسه ٥٤٣ أن الخطيب البغدادي كتب عنه. فيظهر من هاتين العبارتين أن بعض الناس جمعوا روايات علماء السند في الدفاتر.

(٢) الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦، و (الاستقامة) ٣٢٠.

لقـد فتح العرب السند وجانباً من الهند فلم تتعدّاهما اللغة العربية ، ثمّ مدّ الفتحَ الإسلامي إلى أكثر بلاد الهند السلطانُ شهاب الدين محمد الغوري (٥٨٢ – ٦٠٢هـ/ ١١٨٦ . ١٢٠٥م في الهند) ، ومماليكه (٦٠٢ – ٦٨٨هـ/ ١٢٠٦ – ١٢٩٠م) ، وغيرهم من ملوك الأسرة الخلجية (٦٨٨ - ٧٢٠هـ/ ١٢٩٠ – ١٣٣٠م) والأسرة التغلقية (٧٢٠ – ٨١٧هـ/ ١٣٢٠ – ١٤١٤م) . فانتشرت اللغة العربية في بقية أنحاء الهند كلغة دين وعلم وثقافة في ظل الإسلام إذ لم تبق بعد الحكم الحوري كلغة الدولة الرسمية . في عهد الغوري وعهد مماليكه تأسست المدارس لأول مرة برعاية الدولة[١] ووفد إليها طائفة من العلماء الأعاجم البارعين في اللغة والنحو والفقه وأصول الفقه والكلام والتصوف ، فعكفوا في المدارس جادّين على ترقية هذه العلوم كما يظهر ذلك من منهاج الدراسة الذي رتبه صاحب الثقافة (السيد عبد الحي اللكنوي) بعد تصفح الكتب الكثيرة بشق النفس والجهد البليغ ، لم يزل متداولاً من أوائل القرن السابع إلى أوائل القرن التاسع أي من عهد المماليك إلى عهد التغلقيين[٢] .

ولم تزل المدارس تزداد بازدياد المتخرجين والمثقفين .فإن مـدينة دهلي وحدها كانت حافلة بألف مدرسة في أيام محمد بن تغلق (٧٢٥ – ٧٥٢هـ/ ١٣٢٤ – ١٣٥١م)[٣] .

وفي هذا العصر الذهبي (من القرن ٧ إلى القرن ٩) بدأت تأتي ثمرات علمية ناضجة من المتون والشروح . ناهيك بما يلي من أسماء بعض الكتب في الفنون المختلفة :

(١) طبقات ناصري ١٨٨ – ١٨٩ ؛ هندوستان كي درسكاهين ١٦ – ١٧
(٢) انظر الثقـــافة ١١ – ١٢ ؛ النـدوة : فبراير ١٩٠٩ ص ٧ ؛ هندوستان كي درسكاهين ٩٠ - ٩٢
(٣) صبح الأعشى ٦٩/٥

اللغة : كتاب الأضداد . أسماء الأسد . أسماء الذئب . أسماء الفأر . العباب الزاخر واللباب الفاخر في ١٢ مجلداً . مجمع البحرين في ٢٠ مجلداً كلها للرضي الدين الحسن بن محمد الصّغاني اللاهوري (ف ٦٥٠هـ/١٢٦٢م)[١].

القرآن : تبصير الرحمن وتيسير المنّان لعلي بن أحمد المهائمي (ف ٨٣٥هـ / ١٤٣٢ م) وقد طبع مرتين [٢] .

الحديث : مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية (المطبوع مرارا) . مصباح الدجى من صحاح أحاديث المصطفى . الشمس المنيرة . الرسالة في الأحاديث الموضوعة (رامبور برقم ١٢٠) . وشرح صحيح البخاري وغير ذلك للصغاني اللاهوري [٣] .

الفقه : صوان القضاه لمحمد بن إسماعيل الخطيب نزيل دهلي (كان حيّاً في ٦٤٠هـ/ ١١٤٢م) [٤] . كتاب الحج والمناسك لأبي بكر إسحاق بن تاج الدين أبي الحسن المعروف بابن التاج (توفي بعد ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) [٥] . وخلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام لابن التاج المذكور [٦] . والبحار الزاخرة لحسام الدين الدهلوي (ف سنة ٧٧٠ هـ) [٧] .

---

(١) الثقافة ٣١ . زبيد: India's ContriBution to Arabic hit: ٤٥٢

(٢) طبع بالمطبعة المجتبائية بدهلي أولا سنة ١٣٨٦/١٨٦٩ ، ثم طبع في بولاق بمصر سنة ١٢٩٥/١٨٧٨

(٣) الثقافة ١٤٢ . زبيد ٢٩٢ — ٢٩٣

(٤) آصفية ٢/١٠٥٠ برقم ١٠

(٥) برلين ٤٠٦٤ كما في زبيد ٣١٢

(٦) برلين ١٧٩٨ و ١٧٩٩ نقلا عن زبيد

(٧) آصفية ٢/١٠٧٢ برقم : ١٥٠

وشرح المغني ، وغيره من الكتب العديدة لأبي حفص سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي (ف ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) [١] . والفتاوي التتارخانية لعالم بن العلاء الحنفي الاندربتي (في عهد فيروز شاه تغلق) . وشروح متعددة على الهداية ، منها شرح للقاضي حميد الدين مخلص الدهلوي (ف ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) [٢].

وفي عام ٨٠١ هـ/١٣٩٨ م شنّ تيمورلنك (الأعرج) غارة على ثغور الهند ، فلجأ بعض العلماء المدرسين إلى جونبور (بالإقليم الشمالي) عاصمة المملكة الشرقية المستقلة عن دهلي (٧٩٦ — ٨٨١هـ/ ١٣٩٤ — ١٤٧٦م) . وكرسوا حياتهم لنشر الفنون والعلوم فألفوا هم وتلاميذهم كتباً عديدةً فراجت اللغة العربية وآدابها في بلاد الإقليم الشمالي ولم تزل تزدهر بها حتى برزت مكانة الإقليم الشمالي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر / الثامن عشر والتاسع عشر .

وفي أوائل القرن العاشر / السادس عشر ازدادت رغبة علماء الهند إلى العلوم العقلية وذلك بعد ماخربت ملتان ، وغادرها عبد الله بن الهداد التلبني الملتاني (ف ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م) إلى دهلي مصحوباً بأخيه عزيز الله (ف ٩٣٢ هـ) وكلاهما كان راسخ القدم في العلوم العقلية . أما عبد الله فتقرب لدى السلطان سكندر اللودهي (٨٩٤ — ٩٢٣ هـ / ١٤٨٨ — ١٥١٧م) وحظي عنده إلى حدّ أن السلطان كان نفسه يزوره ويسلم عليه [٣] . وأما أخوه فسار إلى سنبهل بالإقليم الشمالي وتهافت الناس على كل منهما فانتشر المنطق والحكمة والكلام في الهند إلى مدى بعيد ، ولم يكن يدرس فيها من قبل

---

(١) انظر زبيد ٣١٣

(٢) الثقافة ١٠٥

(٣) مآثر الكرام ١٩١ ؛ النزهة ٢٠٣/٤ — ٢٠٥

غير شرح الشمسية في المنطق، وشرح الصحائف في الكلام [١].ثم ورد الهند بعض علماء فارس كالخطيب أبي الفضل الكازروني (ف ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) أستاذ الشيخ مبارك الناكوري [٢] . وأبي الفضل الحسيني الاستر آبادي [٣]، وهما من تلاميذ المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني (ف ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) والعلامة فتح الشيرازي (ف ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م) الذي دخل آكره (بالإقليم الشمالي) سنة ٩٩١هـ وتقرب إلى سلطان الهند أكبر التيموري وقرر مؤلفات المحقق جلال الدواني والصدرا الشيرازي وغيرهما من علماء فارس في الدروس حتى تلقاها علماء الهند بالقبول [٤] . فراجت الحكمة والمنطق في أكثر أنحاء الهند ، وبقي رواجها فيها إلى تغلب بريطانيا على الهند ولا سيما في بلاد الإقليم الشمالي ، فإن علماءها شغفوا بالحكمة والمنطق إلى حد الإضراب عن العلوم الدينية كما يظهر من منهاج الدراسة المتداولة في المدارس الغربية والمؤلفات العربية .

وفي العصر نفسه شاءت الحكمة الإلهية أن تمنّ على الهند بالحديث ، فورد إليها بعض العلماء بالحديث كأمثال محمد بن أبي بكر المعروف بابن الدماميني (ف ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) [٥] ، والشيخ رفيع الدين المحدّث الشيرازي

---

(١) في منتخب التواريخ ٣٢٣/١ -- ٣٢٤ : « وازجملة علماء كبار درزمان سلطان سكندر شيخ عبد الله طلبني دردهلى وشيخ عزيز الله طلبني درسنبهل بودند واين هردو عزيز هنكام خرابي ملتان بهندوستان آمده علم معقول رادر آن ديار رواج دادند وقبل ازين بغير از شرح شمسية وشرح صحائف از علم منطق وكلام در هند نبود » انظر أيضاً مآثر الكرام ١٩١ — ١٩٢

(٢) آئين أكبرى ٢٠٣/٣ ؛ النزهة ١٢/٤ — ١٣

(٣) ترجمته وردت في النزهة ١٣/٤

(٤) مآثر الكرام ٢٣٦ — ٢٣٨

(٥) ترجمته في الضوء اللامع ١٨٤/٧ — ١٨٧

(ف ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م) الذي كان أخذ المنطق والحكمة عن المحقق الدواني ، والحديث عن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري (ف ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) ، والذي قدم أكره بالإقليم الشمالي في أيام **السلطان سكندر** اللودهي ، والشيخ ضياء الدين الحسيني الذي درس صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث خمسة أعوام وأربعة أشهر في كاكوري بالإقليم الشمالي [١] ، ودفن هناك ، والسيد مير مرتضى الشريفي الشيرازي (ف ٩٧٢هـ / ١٥٧٤م) أحد تلاميذ ابن حجر المكي (ف ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) [٢] ، والمحدث محمد سعيد الخراساني المشهور بمير كلان (ف ٩٨٣ هـ) [٣] أحد أساتذة الشيخ علي القادري الهروي (ف ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) فانتشر الحديث في بلدة أكره [٤] ، وتوفرت رغبة العلماء الهنديين في الحديث ، إلى أن رحل طائفة منهم إلى الحرمين الشريفين حيث أخذوه عن علمائها ثم رجعوا إلى الهنـد ونشروه إلى حد الإعجاب [٥] ، فقد اعترف السيد محمـــد رشيد رضا منشيء مجلة « المنار » بخدماتهم بقوله :

« ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق ، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة » [٦] .

---

(١) النزهة ٤/١٩٢

(٢) ترجمة السيد وردت في النزهة ٤/٣٥٠ ؛ إسحاق ٩٩ (وفيه سنة وفاته ٩٧٤/١٥٦٦)

(٣) ترجمته في الأبجد ٩٠٤ ؛ النزهة ٤/ ٣٣١ — ٣٣٢ (وفيه سنة وفاته ٩٨١ هـ) .

(٤) انظر تفصيل تطور الحديث في هـذا العصر في اسحاق India's Contribution to Hadith ٨٥ — ١٠٠ .

(٥) انظر التفصيل في إسحاق ١١٧ — ١٣٣

(٦) مفتاح كنوز السنة (مقدمة الكتاب) ص « ق »

واعترف بها الشيخ محمد زاهر الكوثري (ف ١٣٧١ ﻫ) بقوله :

« ثم بعد انقراض الدولة المصرية في أوائل القرن العاشر للهجرة توزعت الأقطارُ النشاطَ العلمي وكان حظ إقليم الهند من هذا الميراث – منذ منتصف القرن العاشر – هو النشاط في علوم الحديث ، فأقبل علماء الهند عليها إقبالاً كلياً ، بعد أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرد والعلوم النظرية . ولو استعرضنا ما لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث من ذاك الحين – مدة ركود سائر الأقاليم - لوقع ذلك موقع الإعجاب الكلي والشكر العميق . . . . . [1] .

ولكن لم يعم الحديث الإقليم الشمالي إلى أن تصدى لهذا الهدف النبيل الشيخ حسن علي الصغير المحدّث اللكهنوي (ف ١٢٥٩ﻫ / ١٨٣٩م) الذي تتلمذ عليه بعض علماء فرنكي محل ، فتسرب الحديث إلى مدرسة فرنكى محل ؛ والشيخ محمد قاسم النانوتوي (ف ١٢٩٧ﻫ / ١٨٨٠م) مؤسّس دار العلوم بديوبند ، والنواب صديق حسن خان (ف ١٣٠٧ﻫ / ١٨٨٩م) الذي شمّر عن ساق الجد لنشره ، والشيخ عبد الحي الفرنكي محلي (ف ١٣٠٤ﻫ / ١٨٨٧م) الذي درس وألف فيه .

لنتوجه الآن إلى الإقليم الشمالي الهندي الذي كانت اللغة العربية به مزدهرة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر / الثامن عشر والتاسع عشر ، وكان لآدابها بهجة ونضارة بفضل العلماء المدرسين المؤلفين الذين أوقدوا مشاعل العلم التي تضاءلت في النواحي الأخرى في البلاد الهندية التي سبقت الإقليم الشمالي في مضمار اللغة والعلم والأدب . ومن الطريف أنها دخلت هذا الإقليم الشمالي النائي عن موطنها وموطن الإسلام في زمن متأخر على أيدي الأعلام الذين لم تكن اللغة العربية لغتهم الأولى . ومع ذلك نالت مكانة مرموقة

(١) مقالات الكوثري ٧٣

فيه ، وفي المعاهد ومناهج الدراسة العليا وفي حقول التصنيف والتأليف، ومن الطريف أيضاً أن مستواها في التأليف لم يزل يتحسَّن يوماً فيوماً ، فالمآثر التي تركها العلماء الذين عاشوا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الذي أصبح فيه للاستعمار البريطاني النفوذ الكامل في الإقليم الشمالي تمتاز عما سبقها من التآليف بالمعرفة الواسعة في موادّ اللغة وسهولة الأسلوب وإرسال العبارة على الطبيعة . لنلفت أنظارنا مثلاً إلى عالمين كبيرين تركا في الفنون المختلفة آثاراً خالدة باللغة العربية ، أحدهما الشيخ عبد الحي الفرنكَي محلي (ف ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) الذي خدم العلم وأضاف إلى المكتبة العربية دراسات وأبحاثاً قيمة ، وثانيهما السيد نواب صديق حسن خان الذي أنتج إنتاجاً ضخماً ، وقدم إلى شتى الأقطار الإسلامية مادة غزيرة في الأدب والشريعة .

ومما يدلّ على تقدم الثقافة العربية في الإقليم الشمالي أن روادها لم يتزعموا الحركة العلمية ، فحسب بل الثورة السياسية أيضاً . وبما أن الجانب السياسي خارج عن موضوعنا فإننا نكتفي بذكر أسماء مولانا محمد قاسم النانوتوي (ف ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م) الذي بنى دار العلوم بديوبند ، والسيد أحمد خان (ف ١٨٩٨ م) مؤسس جامعة علي كره ، ومولانا شبلي النعماني (١٩١٤ م) أحد المهتمين بأمور دار العلوم ندوة العلماء بلكهنو ، وشيخ الهند محمود حسن النانوتوي وغيرهم من رجال السياسة الذين لعبوا دوراً فعالاً في إنهاض العلم والأدب . فهذا دليل واضح على أن اللغة العربية استمرّت نهضتها وتنوّع نشاطها في مختلف حقول الثقافة والدراسة .

لنتكلم هنا بإيجاز عن أصناف المؤلفات التي ظهرت في العصر الذي حددناه لمقالنا هذا أي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر . أما القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ممتداً إلى الثورة الهندية (١٨٥٧ م) فقد عُني فيه علماؤنا بتأليف الكتب في المنطق والحكمة وتعليق الشروح والحواشي على الكتب التي اعتنوا بشأنها بالدرس والإقراء ، فمنها :

١ ــ مسلّم الثبوت في أصول الفقه للشيخ محب الله البهاري (ف ١١١٩ﻫ/١٧٠٧م) الملقّب بفاضل خان .

ومن أشهر الشارحين له الملا" نظام الدين السهالوي(ف١١٦١ﻫ/٨ ١٧٤٧م) ، والشيخ أحمد عبد الحق الفرنكي محلي (ف ١١٨٧ ﻫ/ ١٧٧٤م) ، والملا حسن الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١١٩٩ﻫ/ ١٧٨٤م) ، وبحر العلوم عبد العلي (ف ١٢٢٥ﻫ/ ١٨١٠م) ، والملا" محمد مبين (١٢٢٥ﻫ/ ١٨١٠م) ، والشيخ أمين الله الفرنكي محلي (١٢٥٣ﻫ/ ١٨٣٧م) ، وولى الله اللكهنوي (ف ١٢٧٠ﻫ / ١٨٥٣م) ، ومحمد بركة الإله آبادي (من رجال ١٨) .

٢ ــ شرح العقائد العضدية لجلال الدين محمد بن أسعد الدوّاني (ف ٩٠٧ﻫ/ ١٥٠١م) .

ومن الشروح والحواشي عليه شرح لأمان الله البنارسي (ف ١١٣٣ﻫ/ ٢١ ــ ١٧٢٢) وشرح لنظام الدين السهالوي ، وحاشية معروفة بالعروة الوثقي عليه لكمال الدين الفتح بوري (ف ١١٧٥ﻫ/ ١٧٦١م) ، وحاشية لأبي الخير الفاروق الجونبوري (ف ١١٩٨ﻫ/ ١٧٨٣م) ، وحاشية لمحمد بركة الإله آبادي (من رجال ١٨) ، وحاشية للسيد محمد قائم الإله آبادي (من رجال ١٨) .

٣ ــ حاشية مير زاهد على الأمور العامة من شرح المواقف في الكلام :

ومن محشيها القاضي مبارك الفاروقي الكوباموي (ف ١١٦٢ﻫ/ ١٧٤٨م) ، والشيخ أحمد عبد الحق الفرنكي محلي (ف ١١٨٧ ﻫ) ، ومحمد ولي بن غلام مصطفى السهالوي الفرنكي محلي (ف ١١٩٨ﻫ/ ١٧٨٣م) ، والملا محمد حسن (ف ١١٩٩ ﻫ) ، والشيخ أحمد علي السنديلي (ف ١٢٠٠ﻫ/ ١٧٨٥م) ، وبحر العلوم عبد العلي اللكهنوي ، والملا محمد مبين اللكهنوي (ف ١٢٢٥ﻫ/ ١٨١٠م) ، والشيخ حيدر علي السنديلي (ف ١٢٢٥ﻫ/ ١٨١٠م) ، وأمين

الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٣هـ / ١٨٣٢م) ، والشيخ ظهور الله اللكهنوي (ف ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م) ، والشيخ ولي الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) ، وارتضاء علي خان الكوباموي (ف ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) ، ومحمد عظيم الكوباموي الملاوي (من رجال ١٨) ، ومحمد قائم الإله آبادي (من رجال ١٨) .

٤ - شرح هداية الحكمة المعروف بالصدرا :

ممن علقوا عليه الشروح والحواشي حمد الله السنديلي (ف ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م) والملا نظام الدين السهالوي ومحمد أعلم السنديلي (ف ١١٩٨هـ / ١٧٨٣ م ،) والملا محمد حسن الفرنكي محلي اللكهنوي ، وبحر العلوم عبد العلي ، والملا محمد مبين ، والسيد دلدار علي الشيعي اللكهنوي (ف ١٢٣٥هـ/ ٢ - ١٨١٩م) ، والشيخ محمد معين اللكهنوي (ف ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) وولي الله اللكهنوي ، ومحمد ارتضا علي خان الكوباموي ، ومحمد أمجد القنوجي ، (من رجال ١٨) ، ومحمد عظيم بن كفاية الله الفاروقي ، وعماد الدين العثماني اللبكني ، (من تلاميذ الملا حسن المتوفى ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م وبحر العلوم عبد العلي المتوفى ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) .

٥ - حاشية مير زاهد على شرح التهذيب لجلال الدين الدواني المعروفة في الهند بـ « مير زاهد ملا جلال » .

من مؤلفي الشروح والحواشي عليها القاضي مبارك ، ومحمد وارث رسول نما البنارسي (ف ١١٦٦هـ / ١٧٥٣م) ، والملا كمال الدين الفتحبوري (ف ١١٧٥هـ / ١٧٦١م) ، والشيخ محمد ولي بن القاضي غلام مصطفى اللكهنوي (ف ١١٩٨هـ / ١٧٨٣م) ، ومحمد أعلم السنديلي (ف١١٩٨هـ/١٧٨٣م) والملا حسن الفرنكي محلي ، وأحمد علي السنديلي (ف ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م)، وبحر العلوم عبد العلي ، وحيدر علي السنديلي (ف ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م) ، والملا محمد مبين ، والعلامة فضل إمام الخير آبادي (ف ١٢٤٣هـ / ٨ -

١٨٢٧م) وأمين الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٣ ﻫ / ١٨٣٧م) والمفتي ظهور الله الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٢٥٦ﻫ / ١٨٤٠ م) والقاضي محمد ارتضا علي خان ، وولي الله الفرنكي محلي ، وفتح علي القنوجي (ف في أواخر القرن ١٨) ومحمد قائم الإله آبادي ، والشيخ محمد عظيم بن كفاية الله .

٦ – حاشية المير زاهد على الرسالة القطبية المعروف في الهند بـ « مير زاهد رسالة » .

ومن الذين علّقوا الشروح والحواشي عليها الشيخ أحمد عبد الحق ومحمد ولي اللكهنوي ، والملا حسن ، وأحمد علي السنديلي ، وبحر العلوم ، والملا مبين ، وحيدر علي السنديلي ، ورستم علي الراتبوري (ف ١٢٤٠ﻫ / ٦ - ١٨٢٥م) ، والعلامة فضل إمام الخير آبادي ، وأمين الله الفرنكي محلي ، والمفتي ظهور الله ، والقاضي محمد ارتضا علي خان ، والشيخ عماد الدين اللبكني ، ومحمد عظيم بن كفاية الله ، والشيخ محمد بركة الإله آبادي.

٧ – شرح ضابطة التهذيب :

من الشروح عليه شرح للعلامة بحر العلوم ، وشرح لعالم علي المراد آبادي (ف ١٢٩٥ﻫ / ١٨٧٨م) ، وشرح للمفتي سلطان حسن البريلوي (ف ١٢٩٨ﻫ / ١٨٨١م) ، وشرح لمحمد قائم الإله آبادي .

٨ – سلم العلوم للشيخ محب الله البهاري (ف ١١١٩ﻫ / ١٧٠٧م) :

من الذين شرحوه العلامة حمد الله الشيعي السنديلي (ف ١١٦٠ﻫ / ١٧٤٧م) ، والقاضي مبارك ، وأحمد عبد الحق الفرنكي محلي ، والشيخ محمد ولي اللكهنوي ، والملا حسن ، وأحمد علي السنديلي ، وبحر العلوم عبد العلي ، والملا محمد مبين ، وحيدر علي السنديلي ، والسيد دلدار علي

الشيعي (له حاشية على شرح السلم لحمد الله) ، والعلامة فضل حق الخير آبادي ، والمفتي شرف الدين الرامبوري (ف ١٢٦٨هـ / ٢ – ١٨٥١م) والقاضي ارتضاء علي خان ، ومحمد قائم الإله آبادي ، ومحمد عظيم بن كفاية الله ، والشيخ أحمد حسين بن محمد رضاء بن قطب الدين الشهيد السهالوي .

وفضلاً عن ذلك فإن للقرن الثامن عشر أربع ميزات على الأقل ينفرد بها الإقليم الشمالي وهي :

أ – تأليف أول كتاب مستقل كدائرة المعارف في الموادّ الفنية المستعملة في العلوم وهو : كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد أعلى الفاروقي التهانوي . وقد فرغ التهانوي من تأليفه سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م [١]) كفى تقديراً لمكانته أن المثقفين الافرنج والعرب اعتنوا بنشره .

ب - تأليف كتابين لم يسبقهما مثيل في أي إقليم من أقاليم الهند . أحدهما التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية مع تعريفات المسائل الفقهية ، للعلامة أحمد بن أبي سعيد الأميتهوي المعروف بملاّجيون (ف ١١٣٠هـ / ١٧١٧م) وآخرهما نجوم الفرقان في استخراج الألفاظ والآيات من القران ، لمصطفى بن محمد سعيد الجونبوري ثم الأورنك آبادي (كان حياً في عهد أورنك زيب) .

ج – نبوغ أول شاعر في الهند تيسر له ديوان بالعربية وهو السيد غلام علي آزاد البلكرامي (ف ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م) . فله عشرة دواوين سوى « مظهر البركات » في البحر الفارسي على وزن المثنوي باللسان العربي

(١) ألـف كتاب آخـر في الموضوع نفسه بعده بأعوام في جنوب الهند وهو دستور العلماء للملاّ عبد النبي بن القاضي عبد الرسـول الأحمد نكرى في سنـة ١١٧٣ / ١٧٥٩ . انظر زبيدي ٤٦٥

وسوى « مرآة الجمال » في وصف أعضاء العشيقة من الرأس إلى القدم .

د – أهم ميزة يحق لهذا العصر أن يفتخر بها هي[1] منهاج الدراسة الذي وضعه الشيخ نظام الدين السهالوي الفرنكي محلي (ف ١١٦١هـ/ ١٧٤٨ – ١٧٤٧م) فتلقاه علماء العصور التاليـة بالقبول وقرروه في معاهدهم ومدارسهم في جميع أنحاء شبه القارة الهندية الباكستانية باسم « درس نظامي » بعد شيء من التعديل والإضافة[2] .

بعد الثورة الهندية اكفهر جو الإقليم الشمالي من جميع النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية ، بل جرفت الهند بأسرها حينذاك موجات الانحراف الديني والانحـلال الثقافي . على الرغم من ذلك ومن تغلب الانجليزية والفنون الحديثة على اللغة العربية والعلوم اللسانية والدينية خطت حركة التأليف بالعربية خطوات واسعة نحو تعميم أصناف العلوم من الحديث والتفسير وما يتعلق بها ، والكلام واللغة والأدب خارجة من إطار تعليق الشروح والحواشي على الكتب في الحكمة والمنطق والفقه . ففي أثناء هذه الفترة القصيرة أي من الثورة الهندية إلى أواخر القرن التاسع عشر التي تستغرق حوالي أربعين سنة ارتفعت آداب اللغة العربيـة فظهرت مؤلفات مهمة في المواضيـع المتعلقة بالتفسير والحديث وفي الكلام واللغة والأدب ، وألفت كتب في التحريض على العمل بالكتاب والسنة الذي كان مهملا قبل الثورة .

---

(١) راجع الثقافة ١٦ المنهاج Sufi : al - Minhaj , Lahore ٧٣ – ٧٥

(٢) انظر الصورة التي كان عليها الدرس النظامي في أيام دراسة سرسيد أحمد خان في المنهاج ١٢٠ – ١٢٤ نقلا عن تهذيب الأخلاق ٢/٤٠٨ – ٤٠٩ ومنهاج الدراسة الرائج في دار العلوم بديوبند والمدارس التي أنشئت على غرارها في المنهاج ١٨٢ – ١٣٢

فيما يلي نشير إلى بعض الكتب التي تمتاز عما تقدمها من المؤلفات بغزارة العلم الديني ووفرة الأدب العربي ، فتداولتها الأيدي في البـــلاد الإسلامية حتى عني بنشر بعضها علماء البلاد العربية . وهذه ميزة حرمت منها مؤلفات قبل الثورة .

المؤلفات في المواضيع الدينية :

١ - « فتح البيان في مقاصد القرآن » للنواب صديق حسن خان (ف ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) . طبع أولاً في المطبعة الكبرى الميرية بالقاهرة في عشرة أجزاء خلال ١٣٠٠ - ١٣٠٢ هـ .

٢ - « نيل المرام من تفسير آيات الأحكام » للنواب المذكور . مطبعة المدني بمصر ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

٣ - « الدين الخالص » حثّ فيه النواب صديق حسن خان على العمل بالكتاب والسنة . مطبعة المدني بمصر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .

٤ - « حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة » هـــذا الكتاب للنواب المتقدم الذكر وحيد في نوعه في الإقليم الشمالي . الجوائب بالآستانة ١٣٠١ هـ

٥ - « الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد » . الجوائب ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م .

٦ - « الغنة ببشارة أهل الجنة » في التصوف . بولاق ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م

٧ - « الرفع والتكميل في الجرح والتعديل » للشيـــخ محمد عبد الحي الفرنكي محلي اللكهنوي (ف ١٣٠٤هـ / ١٧٨٧م) . حققه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة [1] ونشره مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب سنة ١٣٨٣ هـ .

(١) يقول عبد الفتاح في « التقدمة » إن الإمام محمد زاهـد الكوثري كان يوصي بكتب الإمام اللكهنوي ويحض عليها » . انظر ص ٩ . وذلك مما يدل على مكانة كتبه العالية في آداب اللغة العربية .

٨ - « الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة » للشيخ الفرنكي محلي لكهنو ١٣٢٤ هـ .

٩ - « النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير » يشتمل على ذكر طبقة مؤلف الجامع الصغير الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ف ١٨٩هـ / ٨٠٥م) وشيخيه وطبقات الفقهاء ، وطبقات تصانيفهم ، وتفاوت مؤلفاتهم وتراجم شراحه ، وغيره من الفقهاء . طبع مراراً في بهوبال ولكهنو .

١٠ - « الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة » قد نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب إعلاناً في آخر « الرفع والتكميل في الجرح والتعديل » أنه سيطبع قريباً وقال : « وهو كتاب جامع ، نادر في بابه ، يتمم موضوع هذا الكتاب ، ويسد فراغ علوم الحديث ، لم يقم بمثله أحد قبل الإمام اللكهنوي رحمه الله تعالى . وقد حققه وخرج نصوصه ، وأتمم مقاصده ، وعلق عليه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة » .

١١ - « الشريعة الغراء » للمفتي مير محمد عباس التستري اللكهنوي (ف ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) . طبع في جزئين ضخمين في مطبعة صبح صادق بعظيم آباد .

١٢ - « منابر الإسلام » للمفتي المذكور ، في المواعظ والحث على الأخذ بالإسلام . طبع مرتين في جزئين في لكهنو .

١٣ - « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله العثماني الكيرانوي (ف ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م) في مباحث المسائل الخمس التي تعتبر بمثابة أمهات المسائل المتنازع فيها بين المسيحيين والمسلمين ، أي النسخ ، والتحريف ، والتثليث ، وحقيقة القرآن ، ونبوة خاتم النبيين محمد ﷺ . هذا الكتاب الجليل من أهم الكتب التي ألفت في هذا الباب في العالم الإسلامي وعديم النظير

وفقيد المثيل في القارة الهندية الباكستانية كلتيها . لا أدل على ما يحمله هذا الكتاب من المعرفة الواسعة ، والبراهين الساطعة في إبطال المسيحية ، وعلى سكانته في الآداب العربية ، أنه طبع مراراً في الآستانة ومصر ، وأخيراً عنيت بنشره الحكومة المراكشية في سنة ١٣٨٤ ﻫ .

وقد أشار أولاً العلاّمه أحمد بن زيني دحلان على الشيخ الكرانوي أن يتجه إلى تأليفه ، ثم أمره السلطان عبد العزيز بذلك ، فألفه وعزاه إلى العلامة أحمد دحلان دون السلطان ، خوفاً من أن يخطر بباله الطمع في الدنيا فيحبط عمله الصالح هذا [1] .

اللغة والأدب وما يتعلق بهما :

١ ـ « القول المأنوس في صفات القاموس » للمفتي سعد الله المراد آبادي (ف ١٢٩٤ﻫ / ١٨٧٧م) انتقد فيه المفتي القاموس لمجد الدين الفيروزآبادي . وقد أثنى عليه أحمد فارس في مقدمـــة الجاسوس على القاموس بقوله :

« وهو كتاب صغير الحجم لكنه جم الفوائد ، ولولا أنه وصلني بعد الفراغ من التأليف لأدرجته فيه بتمامه » .

٢ ـ « البلغة في أصول اللغة » يشتمل على بيان اللغة وحدهـــا ووضعها ومبدئها وغير ذلـــك ، لنواب صديق حسن خان : الجوائب (١٢٩٦ﻫ / ١٨٧٩م) .

٣ ـ « خير الكلام في تصحيح كلام الملوك ملوك الكلام » في النحو للشيخ عبد الحيّ الفرنكي محلي : مطبعة علوي خان بلكهنو .

(١) « بائبل سي قرآن تك » ص ١ – ٢

٤ - « إزالة الجمد عن إعراب الحمد لله أكمل الحمد » للشيخ عبد الحي الفرنكي محلي : مطبعة علوي خان بلكهنو .

٥ - « العلم الخفاق من علم الاشتقاق » ، للنواب صديق حسن خان . الجوائب ١٢٩٦ هـ ، مصر ١٣٤٦ هـ .

٦ - « لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط » . بهوبال ١٢٩١ هـ و ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م .

٧ - « التحفة الوزيرية » للشيخ عبد الحق العمري الخير آبادي (ف ١٣١٦هـ/١٨٩٦م) لم يطبع إلى الآن . ولكني رأيت نسخة خطية منه عند محمود البركاتي الطبيب بكراتشي ووجدته على غرار الكافية في مسائل النحو وترتيبها ، ولكنه أسهل منه بياناً وتناولاً .

٨ - « غصن البان المورق بمحسنات البيان » ، في البيان والمعاني والبديع للنواب صديق حسن خان : الجوائب بآستانة .

٩ - « نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان » في الأدب للنواب المذكور : الجوائب ١٢٩٦ هـ .

١٠ - « روائع القرآن من مجاز » في الأدب ، للمفتي مير محمد عباس التستري : طبع مراراً في لكهنو .

١١ - « أجناس الجناس » منظوم للمفتي مير محمد عباس التستري. يحتوي على حوالي ألفي بيت وكل بيت منه مرصع بنوع من التجنيس : مطبعة بستان مرتضوي بلكهنو ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م

١٢ - « ظلٌ ممدود » في الأدب للمفتي المذكور آنفاً . طبع مرتين في لكهنو .

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى الشاعر الشيخ أوحد الدين البلكرامي الذي لم يكن مغرماً بالمحسنات اللفظية كغيره من الشعراء في البقاع الإسلامية ، فشعره يجمع بين الرقة والمتانة . وإلى فيض الحسن السهارنبوري « ف ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م » الذي امتلك ناصية اللغة وتفنن في قول الشعر . وقد طبع ديوانه في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٤ هـ .

فهذه إلمامة موجزة بتطور الثقافة العربية الإسلامية في الهند وامتدادها إلى الإقليم الشمالي الهندي .

الدكتور جميل أحمد

محاضر في اللغة العربية بجامعة كراتشي

آثار حُبَيْش التَّفْليسيّ (*)

الحكيم الطبيب اللغويّ المنسيّ

الدكتور حسين علي محفوظ

هو كمال الدين أبو الفضل حبيش بن إبراهيم بن محمد ، الكمالي التفليسي ، الحكيم ، المتطبب ، نزيل قونية ، المتوفّى (ظ) سنة ٦٢٩ ﻫ (بها) .

كان من أعلام العلماء في القرن السادس للهجرة ، ومن المتصلين بالبلاط السلجوقي ، ولا سيما قلج أرسلان من سلاجقة الروم (٥٥١ — ٥٨٨ ﻫ) فقد صنف له بعض الكتب مثل كتاب كامل التعبير في تفسير الأحلام وقانون الأدب في اللغة وكتاب القوافي .

كان حبيش لغوياً أديباً نحوياً عروضياً فلكياً حكيماً طبيباً صيدلانياً مصنفاً ، ألّف كتباً في الطب والأدوية والصحة والعلاج والأغذية والنجوم والتصريف والتعبير واللغة والحكمة والعروض والملاحم .

وقد ترك زهاء ثلاثين كتاباً في تلك العلوم والفنون والمعارف هي :

١ — اختصار فصول بقراط .

٢ — أصول الملاحم وهو ملحمة دانيال (ظ) .

٣ — أودية الأدوية ، في الأدوية المفردة ، وكيفية أخذها وصيغتها (كذا) .

(*) دراسة قدمت إخلاداً لذكرى العلامة اللغوي المحقق تيسير تيللي « ١٩٠٤ — ١٩٧٣ » من قدماء المهتمين بدراسة اللهجات العربية في آسيا الوسطى وتحقيقها وضبطها ، وقد بلغت دراساته وأبحاثه ومقالاته الثمانين .

٤ – بيان التصريف ، بالعربية .

٥ – بيان الصناعات ، في الحيل والصنائع ، بالفارسية . وقد طبع بطهران سنة ١٣٣٦ ش .

٦ – بيان الصناعة في الطب ويشتمل على ١٢ فصلاً من كليات الأدوية وخواصها .

٧ بيان الطب ، مختصر مفيد في علم الطب ، بالفارسية ، نقله من الكتب العربية .

٨ – بيان النجوم ، بالفارسية ، يحتوي ثلاثة مباحث في الهيئة والنجوم والاسطرلاب ، في عشرة أبواب و ٢١٠ فصول .

٩ – تحصيل الصحة بالأسباب الستة .

١٠ – ترجمان قوافي ، بالفارسية ، وهو كتاب القوافي . ألفه بأمر عزالدين أبي شجاع قلج أرسلان الثاني ابن مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي سلطان بلاد الروم .

١١ – تقويم الأدوية في جداول المفردات . أهداه إلى نقيب النقباء الوزير الصاحب شرف الدين أبي القاسم علي بن طراد الزينبي .

١٢ – التلخيص في علل القرآن .

١٣ – جوامع البيان در ترجمان قرآن ، بالفارسية ، في غريب القرآن .

١٤ – رسالة فيما يتعلق بالأغذية المطلقة والأدوية .

١٥ – الرسالة المتعارفة بأسماء المترادفة .

١٦ – رموز المنهاج وكنوز العلاج .

١٧ – شرح بعض المسائل من الأسباب والعلامات منتخبة من القانون في الطب لابن سينا .

١٨ - صحة الأبدان .

١٩ – قانون أدب ، أو قانون الأدب في ضبط كلمات العرب ، بالفارسية ، ألّفه سنة ٥٤٥ هـ . وهو مرتب على الحروف مبوّب على الأوزان وقد صنّفه في أربع سنين .

٢٠ – قانون اللباب ، في الحكمة (؟) .

٢١ – كامل التدبير .

٢٢ – كامل التعبير ، بالفارسية ، في تعبير الرؤيا ، صنفه لقلج أرسلان . وقد طبع مراراً في طهران سنة ١٢٦٥ هـ ، و ١٢٨٤ هـ ، و ١٣٠٢ هـ ، و ١٣٤٦ هـ ، و١٣٥٢ هـ ، و ١٣٥٥ هـ ، و ١٣٣٢ ش . وفي الهند أيضاً في مدينة بمبي سنة ١٣٠٢ هـ .

٢٣ – كتاب القوافي وهو ترجمان القوافي (ظ) .

٢٤ – كفاية الطب ، بالعربية ، ألفه لقطب الدين أبي الحارث ملكشاه بن قلج أرسلان ، سنة ٥٥٠ هـ .

٢٥ – لباب الأسباب .

٢٦ – مجموعة رسائل طبية .

٢٧ – المدخل إلى علم النجوم ، بالفارسية .

٢٨ – ملحمة دانيال ، بالفارسية ، جمعه وصنفه من الكتب والمصادر العربية ، وقد طبع في طهران باسم « ملهمة » سنة ١٣٤٠ هـ .

٣٠ – نظم السلوك .

٣١ – وجوه القرآن ألّفه بالفارسية سنة ٥٥٨ هـ في الوجوه والنظائر والمشترك في القرآن . وقد ذكر فيه معاني ٢٧٨ كلمة من الوجوه مرتبة على الحروف مع الأمثلة من الآيات وتعيين السور .

بيان الصناعات

صنف حبيش كتاب بيان الصناعات بالفارسية وقد نقل مادته من الكتب العربية ورتبه على عشرين باباً هي :

الباب الأول — في صناعة علم الكيمياء ، والتلويح والتركيب ،وعلم الأجساد والأرواح ، وعمل الأدوية كالسفيذاب ، والشنجرف ، والمرداسنج ، والسرنج ، والزنجار ، وملح القلية ، ودهن البيضة ،وطين الحكمة ، وتبييض الأدوية كالكبريت ، والمرقشيشا . والتحليلات كحل الذهب والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والقلعي ، والجواهر ، والطلق ، والزئبق ، وكلس البيضة ، والتنكار ، والبورق ، والشب ، وجلد البيضة ؛ والتكليسات مثل كلس جلد البيضة ، والنورة ؛ والتعقيدات ، عقد الزئبق ، وعقد المياه ؛ والتلويحات ، تلويح القمر ، وتلويح الشمس ، وتقوية الاكسير ، وتنعيم الذهب والفضة . والتركيبات كتركيب الشمس ، وتركيب القمر ، والتركيب السباعي (من الأجساد السبعة) ، وتعتيق الذهب الجديد ، وتفليذ الزماهن ، والكتابة على النحاس ، وتبييض النحاس ، وتبييض اللؤلؤ الأسود .

الباب الثاني — في صناعة الجواهر ، وعمل اللؤلؤ ، والفص الأحمر والأصفر ، واللاجوردي ، والفص شبيه الفيروزج .

الباب الثالث — في تلوين الجواهر ، تلوين الياقوت الأبيض ، وتصفير الياقوت الأبيض ، وتحمير الياقوت الأصفر ، وتخضير الزمرد الأبيض ، وتبيض اللؤلؤ الأسود ، وتصفية اللؤلؤ ، وتبييض العقيق ، وتصفية البجاذي ، وتحمير العقيق الأصفر ، والكتابة والنقش على العقيق .

الباب الثالث — في تلوين البلّور والمينا ، تلوين البلور من كل نوع

تحمير الباور ، صبغ البلور باللون الآسمانجوني ، تخضير البلّور ، تلوين المينا من كل نوع ، عمل كورة هذه الصناعة .

الباب الرابع – في تلوين الزجاج ، تصفير الزجاج ، تصفيره بلون الذهب ، تحمير الزجاج ، تخضير الزجاج ، تبيض الزجاج كالفضة ، صبغه بلون الآسمانجوني ، صبغه بلون اللاجورد ، تلوينه كمثل الياقوت ، والفستقي ، والعنابي .

الباب الخامس – في سقي الجواهر ، سقي اليـــاقوت والعقيق ، والفيروزج ، والزمرد ، واللعل ، والكهرباء ، والبجاذي .

الباب السادس – في سقي الموسى وآلات السلاح ، سقي السيف ، سقي السيف حتى يحمر ، سقي السيف حتى يصفر ، سقي السيف حتى يخضر ، سقي الصمصام ، سقي السكين ، سقي الحربة ، سقي السنان ، سقي المقراض ، سقي الطبر والطبرزين ، سقي الموسى ، وسقي الموسى حتى لايزنجر .

الباب السابع في الصناعات المختلفة . عمل الجلد المذهب البغدادي ، والجلد المذهب الخراساني ، وطبخ لون ينفع في دهن الجلد المذهب ، وعمل دهن للممطر ، وعمل القلم البغدادي ، وعمل وصل الزجاج والغضـــار والقدر من الحجارة ، وعمل تحمير الأديم ، وتبيض الأديم ، وتسويد الأديم ، وإزالة اللون من الأديم .

الباب الثامن — في مزج الألوان المختلفة ، الزنجاري ، والشنجرفي ، واللاجوردي ، والزرنيخي ، والاسفيذابي ، واللاجوردي الأبيض ، والأدمي ، والجلجون ، والآجوجون ، والزنجاري الأبيض ، ولون البنفسج ، وطريق المزج ، والنيلجون ، والتصوير ، والخضارب ، وتلوين القندس .

الباب التاسع - في مزج الحبر ، وحبر النشا والمداد ، والمداد الذهبي ، ومزج الأنفاس الفارسية وتلوين الكاغذ .

الباب العاشر — في الكتابات : إزالتها عن الكاغذ وإظهارها .

الباب الحادي عشر - في خاصية الحيوانات من كل جنس : منافع الطائر المتنوط ، والهدهد ، والطوطي ، وآكل السمك ، والبوم ، والجمل ، والباز ، والديك ، والحمام ، والطاووس ، والعصفور ، والعقعق ، والإنسان ، والظبي ، والأرنب ، والثعلب ، والقط ، والفار ، والقنفذ ، وابن عرس ، والفرانق ، والسنجاب ، والداق ، والضفدع ، والذباب ، والسرطان ، والسلحفاة ، والنمل ، والحية ، والعقرب ، والكلب ، والذئب ، والدبّ ، والأسد ، والضبع ، والنمر ، والفهد ، والخزير ، والقرد ، والنعامة ، والفيل ، والخفاش ، والخطاف .

الباب الثاني عشر - في الأشياء التي تدفع بها الحيوانات وغيرها : ما يدفع الحية ، والعقرب ، والفار ، والنمل ، والذباب ، والزنبور ، والخنفسة ، والبعوض ، والسوس ، والبرغوث ، والسباع ، والكلب ، والقط ، والحصان ، والحمار ، والقمل ، والدود ، والطيور ، والكركي ، والسمك ، والجراد ، والضفدع ، والبقر ، والأسد ، والخنزير ، والدب ، والضبع ، والبَرد ، والبرْد .

الباب الثالث عشر - في خواص الجواهر والفواكه وغيرها . اللعل ، والبجاذي ، والفيروزج ، واللؤلؤ ، والزبرجد ، والألماس ، والزمرد ، والمرجان ، والعقيق ، والبلور ، والكهربا ، واليشم ، والذهب ، والفضة ، والارزيز ، والنحاس ، والرصاص ، والحديد ، والزجاج ، والشنجرف ، والاسرنج ، والزعفران ، والزرنيخ ، والزنجار ، واللاجورد ، والنيل ، والاسفيذاب ، والكحل ، والبورق ، والسنبازج ، والعظام ، ودهن الآس ، والفرفخ .

الباب الرابع عشر - في استعمال المياه من كل جنس .

الباب الخامس عشر - في استعمال النار وعلوم النور .

الباب السادس عشر - في علوم الشراب ولعبه .

الباب السابع عشر - في علوم مختلفة .

الباب الثامن عشر - في غسل القصب وإزالة العلامات عن الثياب، غسل القصب ، غسل الديباج ، غسل الخز ، تبييض الثياب الملونة ، إزالةالسواد عن الثياب إزالة الحبر عن الثياب ، إزالة المواد عن الثياب ، إزالة الوسخ عن الثياب ، بلا ماء ، إزالة النيل عن الثياب ، إزالة القير عن الثياب ، إزالة الانقاس عن الثياب ، إزالة القطران عن الثياب ، إزالة النفط عن الثياب ، إزالة الغالية عن الثياب ، إزالة الشمع عن الثياب ، إزالة الزعفران عن الثياب ، إزالة المعصفر عن الثياب ، إزالة ماء الاهليلج عن الثياب ، إزالة المني عن الثياب ، إزالة الدم عن الثياب ، إزالة ماء دهن الآس عن الثياب ، إزالة الدهون عن الثياب ، إزالة الدهون عن الكاغذ ، إزالة الدهن عن الأديم ، إزالة ألوان الفواكه عن الثياب ، إزالة الدهون عن الثياب التي ما ينبغي أن تغسل .

الباب التاسع عشر - في أسرار الجماع والحمل ، في تكبير القضيب ومنع الحمل ، والحمل ، في عسر الولادة ، في ألقاط الطفل ، في السقط أو المشيمة .

وجوه القرآن

ألّف حبيش التفليسي كتاب وجوه القرآن في اللغة والتفسير . والوجوه في مصطلح اللغة هى اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، أو اللفظ الواحد الدالّ على معنيين فأكثر ، وهو في علوم اللغة « ما اتفق لفظه واختلف معناه » و « ما اتفق لفظه وافترق معناه » و « ما اشتبه لفظه واختلف معناه » ، وكما يسمّى

« الأجناس » و « الوجوه والنظائر » و « المشترك » . والكتاب مرتب على الحروف ، وقد أحصى فيه ٢٧٨ كلمة من الوجوه فصّل معانيها المختلفة ، وأورد الأمثلة من الآيات وعيّن السور التي ذكرت فيها وهي : الآخرة ، الآل ، الآية ، الإثم ، أحد ، الأحزاب ، الأخ ، الأخت ، الأخذ ، الأدنى ، الأذان ، الأذن ، الإذن ، الأرض ، الاستضعاف ، الاستطاعة ، الاستغفار ، الاستواء ، الإسلام ، الاشتراء ، الإصباح ، الاطمئنان ، الإظهار ، الاعتداء ، الأعمى ، ألا ، إلى ، الإلقاء ، الامام ، الأمة ، الأمر ، أم ، الأم ، الإناث ، الإنشاء ، أنى ، أن ، أهل ، أو ، الأول ، الايمان ، البأس ، الباطل ، البرزخ ، البر ، برهان ، بشر ، البصير ، البطش ، البعل ، البغي ، البلاء ، البلد ، البوء ، التأويل ، التسبيح ، التفصيل ، التقطيع ، التقوى ، التلقي ، التوقي ، التولي ، الثقيل ، الثياب ، الجار ، الجبار ، الجدال ، الجعل ، الجنب ، الجنة ، الجهاد ، الحاجة ، الحبل ، الحجر ، الحديد ، الحوب ، الحرث ، الحرج ، الحساب ، الحسبان ، الحي ، حسنا ، الحسنة ، الحسنى ، الحشر ، الحفيظ ، الحق ، الحكيم ، الحياة ، حين ، الخبيث ، الخزي ، الخسران ، الخشوع ، الخطأ ، خلف ، الخلق ، الخوف ، الخيانة ، الخير ، دأب ، الدار ، الدعاء ، الدين ، الذرو ، الذكر ، الرأي ، الرجاء ، الرجز ، الرجس ، الرجم ، الرحمة ، الرقيب ، الرَّوْح ، الرُّوح ، الرؤوس ، الرهق ، الريب ، الريح ، الزبر ، الزخرف ، الزكاة ، الزوج ، الساق ، سبحان ، السبب ، السبيل ، السعي ، السكون ، السلام ، السلطان ، السماء ، السمع ، سواء ، السوء ، السوى ، السيئة ، السيد ، الشاهد ، الشجرة ، الشرك ، الشقاق ، الشكر ، الشهيد ، الشيعة ، الشيء ، الصادقون ، الصاعقة ، الصدود ، الصراط ، الصرف ، الصف ، الصلاة ، الصلاح ، الصيحة ، الضحى ، الضراء ، الضرب ، الضر ، الضلال ، الطاغوت ، الطائر ، الطبق ، الطعام ، الطعم ، الطغيان ، الطهور ، الطيب ، الطيبات ،

ظل ، الظلم ، الظلمات ، ظن ، الظهور ، العالمين ، العبادة ، العدة ، العدل ، العدوان ، العرض ، العزة ، العفو ، العلم ، العهد ، العين ، الغاشية ، الغليظ ، الغمرة ، الفاحشة ، الفتح ، الفرار ، الفرح ، الفرض ، الفرقان ، الفريق ، الفساد ، الفسق ، الفضل ، فلولا ، فوق ، في ، قبل ، القدر ، القدم ، القذف ، القرآن ، القصد ، القضاء ، القلب ، قليل ، القنوت ، القوة ، كان ، الكبير ، الكتاب ، الكرة ، الكريم ، الكفر ، الكلام ، الكلمة ، اللباس ، اللسان ، اللغو ، لما ، لمّا ، اللهو ، لئلا ، الماء ، بما ، المتاع ، ، المثل ، المثوى ، المحصنات ، المد ، المدخل ، المرض ، المس ، المستقر والمستودع ، المشي ، المضاجع ، المعروف ، المقام ، المكان ، من ، الموت ، المودة ، المولى ، الميت ، الميزان ، الميل ، النار ، الناس ، النجم ، النسيء ، النشر ، النشور ، النشوز ، النصر ، النفس ، النور ، الهدى ، الهلاك ، هل ، هود ، الهوى ، الوجه ، الوحي ، وراء ، الوزر ، الوكيل ، الولي ، اليد ، اليسير ، اليقين ، اليمين ، اليوم .

وقد اعتمد حبيش كتاب مقاتل بن سليمان(١) ، في العربية بالوجوه ، وعول على تفسير الثعلبي(٢) ، وتفسير السورابادي(٣) ، وتفسير النقاش(٤) ، وتفسير شابور(٥) ، وتفسير واضح(٦) ، وكتاب مشكل القرآن لابن قتيبة(٧) ، وكتاب غريب القرآن للعزيزي(٨) ، وزاد على وجوه القرآن لمقاتل كلّ الفائت مما فيها .

قانون أدب

ألف حبيش كتاب قانون الأدب في الألفاظ العربية ومعانيها بالفارسية في ٢٩ كتاباً(٩) ، مبوّبة على الأواخر ، بحسب حروف المعجم . وفي

كل باب ٩ أوزان وفق حركة ماقبل آخر الكلمة ونوعه ورتّب كل وزن على الثلاثيّ والرباعيّ والخماسيّ والسداسيّ ، ثم الكنى وما هو بزيادة الهاء .

وفي ختام الكتاب ثلاثة فصول : فصل أسماء الشعراء ، وأعلام العرب من الرجال والنساء ، وفصل الأوزان القياسية والسماعية والمصادر ، وفصل أوزان الجموع .

وقد صنفه في أربع سنين واعتمد أكثر من خمسين مصدراً من كتب اللغة والأدب هي :

أبنية الأسماء والأفعال(١٠) ، وأبواب الأدب ، وأدب الكاتب لابن قتيبة المتوفّى سنة ٢٧٦ ﻫ ، والإرشاد في اللغة ، والاشتقاق(١١) ، والإصلاح ، وإصلاح المنطق لابن السكّيت المتوفّى سنة ٢٤٤ ﻫ ، وألفاظ(١٢) ابن السكيت ، وألفاظ عبد الرحمن(١٣)(١٤) ، وألفاظ مجموع (كذا) ، والبذلة ، والبلغة ، وبيان اللغة ، وترجمان القرآن للزوزني المتوفّى سنة ٤٨٦ ﻫ (ظ) ، وتسمية الأشياء ، والجمهرة لابن دريد المتوفّى سنة ٣٢١ ﻫ ، وحقائق اللغة ، والخلاص للنطنزي المتوفىّ سنة ٤٩٧ ﻫ ، ودستور اللغة للنطنزي أيضاً ، وديوان الأدب للفارابي المتوفّى قرب سنة ٣٥٠ ﻫ ، والروضة (١٥) ، والسامي في الأسامي للميداني المتوفّى سنة ٥١٨ ﻫ ، والسلامة ، وشرح الحماسة (١٦) ، وشرح السبع الطوال(١٧) ، وشرح فصيح الكلام(١٨) ، وصحاح اللغة للجوهري المتوفّى سنة ٣٩٣ ﻫ ، والعين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة ١٧٥ﻫ ، وغريب(١٩) أبي عبيدة (٢٠) ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، والغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني المتوفّى سنة ٢١٠ ﻫ ، والغنية لمحمد بن إبراهيم البيهقي (ظ) ، وفقه اللغة للثعالبي المتوفّى سنة ٤٢٨ ﻫ ،

ولبّ الأدب ، ومبادىء اللغة للخطيب الاسكافي المتوفّى سنة ٤٢١ هـ ، ومتخير الألفاظ لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، ومثلث قطرب [٣١] ، ومجمل اللغة لابن فارس ، ومجموع الآداب للثعالبي (ظ) ، والمداخل لأبي عمر الزاهد المطرز غلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ هـ ، والمدخل في اللغة [٣٢] ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ، ومشكل اللغات ، ومصادر القاضي الزوزني ، ومقامات الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، ومقدمة الأدب للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، والمقصور والممدود [٣٠] ، ونسيم السحر للثعالبي (ظ) ، والنهار ، والواسط .

التعليقات

١ ـ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي ، المتوفّى سنة ١٥٠هـ .

٢ ـ أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، النيسابوري المتوفّى في المحرم سنة ٤٢٧ هـ ، صاحب كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، والعرائس في قصص الأنبياء .

٣ ـ أبو بكر عتيق بن محمد السورابادي الهروي ، من المعاصرين لألب ارسلان (٤٥٥ ـ ٤٦٥ هـ) صاحب التفسير المعروف بتفسير الهروي والسورابادي .

٤ ـ أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، الموصلي ، البغدادي ، النقاش ، المقري ، المتوفى في شوال سنة ٣٥١هـ ، صاحب كتاب الإشارة في غريب القرآن ، وشفاء الصدور في التفسير ، والموضح في القرآن ومعانيه .

٥ ـ شهفور ، أبو المظفر ، طاهر بن محمد الاسفراييني المتوفّى سنة ٤٧١ هـ ، صاحب تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم .

٦ - الواضح في تفسير القرآن تأليف ابن محمد علي بن محمد بن مبارك الدينوري المتوفى سنة ٣٠٨ هـ (ظ) .

٧ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى في شهر رجب سنة ٢٧٦ هـ ، صاحب كتاب « مشكل القرآن » و « المعارف » و « أدب الكاتب » و « عيون الأخبار » .

٨ - أبو بكر محمد بن عُزير السجستاني العُزيري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ أو مادونها ، صاحب كتاب غريب القرآن .

٩ - الكتاب - هنا - هو القسم والباب .

١٠ - لأبي منصور محمد بن عمر الأصفهاني النحوي من أهل القرن الخامس كتاب اسمه أبنية الأفعال ربما كانه .

١١ - المعروف المتداول من كتب الاشتقاق كتاب ابن دريد المطبوع .

١٢ - هو الكتاب المطبوع المتداول المسمّى (تهذيب الألفاظ) .

١٣ - هو الكتاب المنشور المسمّى الألفاظ الكتابية .

١٤ - هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني الكاتب المتوفّى سنة ٣٢٠ هـ .

١٥ - أشار علي نقي المنزوي أن الروضة هي من مراجع تهذيب الأسماء للنووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، ومهذب الأسماء لمحمود بن عمر بن محمود بن منصور القاسي الزبنجي السجزي .

١٦ - الحماسة لأبي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ . وقد شرحها المرزوقي المتوفّى سنة ٤٢١ هـ ، والخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، وآخرون .

١٧ - السبع الطوال هي القصائد المعلّقات السبع من أشعار الجاهليين ، وقد شرحها جمهرة من العلماء والأدباء واللغويين .

١٨ ـ فصيح الكلام تأليف ثعلب المتوفّى في سنة ٢٩١ هـ . وقد شرحه ونظمه وذيّله جماعة من أهل اللغة .

١٩ ـ هو أول كتاب في الغريب .

٢٠ ـ هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري العلامة اللغوي النحوي المتوفى سنة ٢١٠ هـ .

٢١ ـ هو محمد بن المستنير اللغوي النحوي المعروف المتوفى سنة ٢٠٦ هـ .

٢٢ ـ ظنه علي نقي المنزوي المدخل إلى كتاب العين للنضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، ولعله المدخل إلى سيبويه لأبي نصر إسحاق بن أحمد بن شبيب الصفار البخاري المتوفى بعد سنة ٤٠٥ هـ .

٢٣ ـ المقصور والممدود لابن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢ هـ . ولابن دريد منظومة في معرفة مايمد ويقصر عدتها ٥٧ بيتاً أيضاً .

المصادر

١ ـ الأبنية عن حقائق الأدوية ـ أبو منصور موفق بن علي الهروي / طهران ١٣٤٦ ش .

٢ ـ إنباه الرواة ـ القفطي / مصر ١٩٥٢

٣ ـ بغية الوعاة ـ السيوطي / مصر ١٣٢٦ هـ

٤ ـ برهان قاطع ـ محمد حسين بن خلف التبريزي ، برهان / إيران ١٣٣٦ ش .

٥ ـ بروكلمن .

٦ ـ تاريخ أدبيات در إيران ـ دكتر ذبيح الله صفا / طهران ١٣٣٦ ش .

٧ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي / مصر ١٩٣١

٨ ـ تاريخ نظم ونثر در إيران ودر زبان فارس ناپايان قرن دهم هجري ـ سعيد نفيس / طهران ١٣٤٤ ش

٩ ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ـ ابن البيطار / مصر ١٢٩١هـ

١٠ ـ الجماهر في معرفة الجواهر ـ البيروني / حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ .

١١ ـ ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي / مصر ١٩٤٦

١٢ ـ سبك شناسي ـ محمد نقي بهار ملك الشعراء / طهران

١٣ ـ طبقات المفسرين ـ السيوطي / ليدن ١٨٣٩

١٤ ـ فرهنك إيران زمين / طهران ١٣٣٦ ش

١٥ ـ فرهنكنامه هاي عربي بفارس ـ علي نقي منزوي / طهران ١٣٣٧ ش

١٦ ـ فرهنك نفيس ـ ناظم الأطباء / طهران ١٣٣٤ ش

١٧ ـ الفهرست ـ ابن النديم / مصر ١٣٤٨ ش

١٨ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزآبادي / مصر ١٣٣٢ هـ .

١٩ ـ كشف الظنون حاجي خليفة / استانبول ١٩٤٣

٢٠ ـ مؤلفين كتب چاپي فارس وعربي ـ خان بابا أمشار / طهران ١٢٤٠ ش .

٢١ ـ مختار الصحاح ـ الرازي / مصر ١٣٤٥ هـ .

٢٢ ـ المزهر ـ السيوطي / مصر ١٢٨٣ هـ

٢٣ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت الحموي / مصر ١٩٣٨

٢٤ - معجم المطبوعات العربية والمعربة - يوسف الياس سركيس / مصر ١٣٤٦ هـ

٢٥ - المعرب - الجواليقي / مصر ١٣٦١ هـ

٢٦ - مقدمة الأدب - الزمخشري / طهران ١٩٦١ هـ

٢٧ - هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - إسماعيل باشا البغدادي / استانبول ١٩٥١

٢٨ - الوافي بالوفيات - الصفدي / طهران ١٩٦١

٢٩ - وجوه قرآن - حبيش التفليسي / طهران ١٣٤٠ ش

٣٠ - وفيات الأعيان - ابن خلكان / مصر ١٩٤٨

بغداد - العراق

الدكتور حسين علي محفوظ
عضو المجامع العلمية - رئيس قسم
الدرات الشرقية في كلية الآداب

التعريف والنقد

مختار من كتاب اللهو والملاهي

لابن خرداذبة

المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت، نشره عن نسخة «يتيمة»

الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي

مدير مجلة « المشرق »

الدكتور إبراهيم السامرائي

هو كتيّب صغير يقع في ٦٦ صفحة تشتمل على مقدمة، من الصفحة ٧ إلى الصفحة ١١ ، ثم يبدأ نصّ الكتيّب من الصفحة ١٢ إلى الصفحة ٥٥ ، ثم تبدأ الفهارس من الصفحة ٥٦ إلى آخر الكتاب .

قرأت الكتاب فبدا لي أن محققه الأب مدير مجلة المشرق لم يُعْنَ العناية الواجبة ولم يرع النسخة « اليتيمة » رعاية هي مفتقرة إليها أشد الافتقار. ومن أجل ذلك كان عمل الأب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي بعيداً عن أن يقدم فائدة كبيرة .

إن نشر المخطوط وتحقيقه أمر جدّ صعب إذا كان وحيداً كنسخة الأب « اليتيمة » ، ذلك أن المحقق ممتحن مرزوء بما يعرض لهذه النسخة الوحيدة من آفات . ومن أجل ذلك يكون جهده كبيراً في التنقيب عن موادّ هذا الأصل الوحيد في جملةٍ من المصادر والمراجع ليرمَّ بناءه ويصلح من شأنه ، ليجيء شيئاً مفيداً .

أقول : لم يفعل المحقق شيئاً كبيراً من ذلك . وقد خفي عليه وجه

الصواب ، في كثير من موادّ الكتاب ، وكان في طوقه أن يصلح النقص ويرأب الصدع . وكأني بالمحقق قد واجه هذا العمل وليس له من مادة الكتاب كبير علم . ومن البديهي أن يكون المحقق خبيراً بأي كتاب يتصدى إلى تحقيقه ، ومعنى هذا أن كتاباً في اللغة لابد أن ينهض به لغوي ضليع ، وكتاب في التاريخ محتاج إلى مؤرخ غزير العلم مكتمل الأدوات يخرج منه بزاد شهيّ ، وقل مثل ذلك في سائر كتبنا القديمة . وإلى القارىء الكريم ما وجدته في هذا الكتاب .

أقول : إن المقدمة لم تكن مستوفية لما يجب أن تشتمل عليه فلم يتحدث المحقق عن المؤلف حديثاً وافياً شافياً ، فقد كان ذلك نبذة قصيرة معوزة . ثم إن الكلام على الكتاب ومادته مقتضب غاية الاقتضاب ، وكان ضرورياً أن يكون هذا الجزء من المقدمة وافياً ، ذلك أن مادة اللهو والملاهي ، وهي مادة موسيقى ، من موضوعات أهل الجد والعلم والفلسفة ، فهي مستحقة أن تبحث بحثاً عميقاً جادّاً لا أن تكون المقدمة عن المؤلف والكتاب صفحتين ونصفاً من كتيّب من القطع المتوسط .

ثم ما معنى أن يعقب المحقق هذه النبذة الموجزة بسردٍ لمحتوى الكتاب وكأنه أعاد شيئاً من الفهارس التي أثبتها في آخر الكتيب !

قلت : إن الكتاب هو « مختار من كتاب اللهو والملاهي » فإذا كان هذا القدر من هذه المادة الغنائية الموسيقية « مختاراً » فهلاّ كان من واجب المحقق أن يتكلم على أصل الكتاب الذي اجتزىء منه هذا المختار ؟ وماذا قيل في أصل الكتاب في مطولات كتب التراث القديم ؟ . كل هذا قد أغفله المحقق وترك القارىء غير عارف ببعض المواد التي كان يحسن أن يعرفها .

● والآن أبدأ نصَّ الكتاب فأقرأ في الصفحة ١٢

مختار من كتاب اللهو والملاهي

تصنيف ابن خرزادبه (كذا)

وكأن الأب المحقق أراد أن يكون دقيقاً فأثبت في الحاشية (١) :

يقرأ على الجهة الشمالية من صفحة العنوان : من فضل الله الغني سنة ٩٤٣ من كتب الفقير إليه تعالى إبراهيم عيسى الشامي . غفر الله له سنة ١٠٨٥

أقول : ليس مكان هذه النبذة أن تثبت في الحاشية من الصفحة الأولى من النص ، وذلك لأن حقها أن تثبت عند الكلام على المخطوط في المقدمة ، ولكن المحقق لم يفعل ذلك فترك مقدمته فقيرة معوزة ولم يصف « يتيمته » وصفاً وافياً مفيداً .

ثم ما معنى التحقيق ؟ أليس هو إثبات حقيقة النص كما وضعه مصنفه ؟ فإذا كان الأمر على هذا فلم أثبت المحقق الخطأ المصحّف في النص كما حدث في « خوزادبه » وأشار إلى الصحيح « خرداذبة » في الحاشية ؟ والصحيح أن يثبت العكس فيعطي القارىء الكلمة الصحيحة ويشير في هامشه إلى الوجه المصحّف .

● وبعد البسملة والصلاة على النبي وآله أجمعين زاد المحقق بين معقوفتين [مقدمة المؤلف] .

أقول : ليس من حاجة إلى إثبات هذه الزيادة ، ذلك أن المادة التي وليت البسملة والصلاة هي مادة الكتاب وليست فاتحة له أو « مقدمة » كما توهم المحقق . إن هذه المادة تبدأ على النحو الآتي : « روي عن محمد بن حاطب أن رسول الله ﷺ قال : فصل ما بين الحلال والحرام الصوت وضرب

الدف . وعن عائشة قالت . . . » . وهذا النص ليس مقدمة أو فاتحة بل هو مادة الكتاب .

● وقد تابع المحققُ الناسخَ الجاهلَ في رسمه للحروف وطريقة الكتابة ومن ذلك ما ورد في الصفحة ١٢ : « فقال النبي ﷺ : يا با بكر (كذا) » . وحذف همزة « أبا » دونما سبب أو وجه مقبول في الخط وطريقة الرسم . وجاء في الصفحة نفسها : « وعن الشعبي قال : مرّ رسول الله ﷺ بأصحاب الدنكلة وهم يلعبون فقال : خذوا يا بني أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة » .

أقول : إن من واجب المحقق أن يعرف النص المراد تحقيقه ليثبت الصحيح ، لا أن يثبت الخطأ الذي يحجب المعنى . وقد أثبت المحقق النص المصحف ولم يسأل نفسه ما معنى « الدنكلة » ؟ وإذا كانت غير معروفة فهلاّ كان عليه أن يشير إلى صعوبتها وأنها من الكلام الذي استغلق عليه . ؟ ثم ألم يسأل نفسه من هم أصحاب « الدنكلة » ؟ ثم ما معنى « خذوا يا بني أرفدة » ؟ . فلم يعرف وجه الأمر وما هو « المأخوذ » .

أقول : الصواب : « أصحاب الدِّرَكْلة » . جاء في « اللسان » مادة « دركل » : الدِّرَكْلة لعبة يلعب بها الصبيان ، وقيل : هي لعبة للعجم معرب ، قال ابن دريد : أحسبها حبشية معربة ، وقال أبو عمرو : هو ضرب من الرقص . الأزهري : قرأت بخط شمر قال : قُرِىء على أبي عبيد وأنا شاهد في حديث النبي ﷺ أنه مرّ على أصحاب الدِّرَكْلة فقال جِدّوا (لا خذوا) يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فُسْحة .

لقد صحف المحقق « جدّوا » فأثبت « خذوا » ولم يفطن إلى أن المعنى انبهم .

وقد أثبت ابن الأثير في « النهـــاية » الحديث فقال في « الدِّرَكْلة » :
هـــذا الحرف يروى بكسر الدال وفتح الراء وسكون الكاف بوزن الزِّبَحْلة ، ويروى بكسر الدال وسكون الراء وكسر الكاف وفتحها ، ويُروى بالقاف عوض الكاف « الدِّرَقْلة » .

وقد أشار الخفاجي في « شفاء الغليل » إلى « الدِّرَكْلة » فقال : لعبة للحبشة معربة عن لغتهم .

● ثم إن في الحديث : « أصحاب الدركلة وهم يلعبون » .

أقول : كان من المفيد أن يشير المحقق إلى « يلعبون » ليدل على أن معناها « يرقصون » وهو معنى جدير بالإثبات ، ذلك أن هذا المعنى مما يصح أن يستدرك به على معجمات اللغة . ومما يقوي هـذا ما جاء في الصفحة نفسها : « وعن عكرمة قال : ختَنَ عبدُ الله بن عباس بنيه فأمرني فاستأجرت له لعّابين بأربعة دراهم » . إن « اللعابين » من غير شك الرقاصون ومن صنعتهم الرقص فهم يُستأجَرون على عملهم .

● وجاء في الصفحة نفسها . فأخذوا « يلعبون » ويقولون : « أبو القسم الطيب أبو القاسم الطيب » .

أقول : ما الحكمة أن المحقق أثبت طريقتين في رسم القاسم الأولى كخط المصحف بحذف الألف ، والثانية على الوجه المشهور ؟

لعله ظن أن « أبا القسم » الأولى غير « أبي القاسم » الثانية . ثم إذا كان الناسخ للمخطوط قد سلك هذا المسلك فهل يجوز ذلك للمحقق ؟ والقاعدة المشهورة تقول : « خطان لا يقـاس عليها : خط العروضيين وخط المصحف » .

● وجاء في الصفحة ١٣ : . . . . أنه سمع مالك بن أنس في عرس ابن حنظلة يغني :

سليمى أجمعت بينا فأين تقوله أينـــا

أقول : والخبر في الأغاني (دار الكتب ٢٣٨/٢) وقد رجع المحقق إلى « الأغاني » فوجد الوجه الصحيح ، ولكنه لم يعبأ به وترك النص على حاله وأشار إلى رواية « الأغاني » في حواشيه . نعم ، لا بد من الإشارة إلى « الأغاني » ولكن إذا ثبت أن النص مُصَحَّف أو عرض له من التشويه والخطأ ما عرض ، فينبغي إصلاحه بما هو مثبت في كتب الأدب ثم يشار إلى الوجه الذي جاء في المخطوط الرديء .

إن رواية « الأغاني » للبيت على النحو الآتي :

سُلَيمى أزمعت بينا فأين تقولها أينا

و « الإزماع » في البيت هو المناسب المراد لا « الإجماع » . و « تقول » بمعنى « تظن » . والبيت لعروة بن إذينة .

● وجاء في الصفحة نفسها :

« وعن عطاء قال : لا بأس بالغناء والحداء للمُحرم . وذكر الغنا فشدد فيه عمرو بن عبيد ... » .

أقول : ما الغرض أن يكون « الغناء » مرةً ممدوداً وأخرى مقصوراً « الغنا » ، والمعروف فيه المدّ لا القصر إلا في الشعر ، وذلك لأن المقصور هو « الغنى » المرسوم بالياء للدلالة على الثراء .

وأود أن أشير هنا أن عدم رسم الهمزة للممدود كثير في الكتاب ، وذلك لأن المحقق لم يهتم إلا بما رآه في نسخة المخطوط . ومن المعلوم أن النساخ كانوا لا يلتزمون بكثير من قواعد الرسم ، وقد أكثروا من إهمال رسم الهمزة للممدود ، فقصروا كثيراً كما سأشير إلى ذلك .

● وجاء في الصفحة نفسها :

« ... إن الله يقول : ما يلفِظ من قَول إلاّ لديه رقيب عتيد » . وقد أثبت المحقق في حاشيته اسم السورة فقال : سورة ق عدد ١٨

أقول : إن قوله : « عدد ١٨ » إشارة لرقم الآية غـــيرُ معروف للدارسين ، وكان الأولى أن يقول : « الآية ١٨ » والآية والسورة من مصطلحات القرآن لدى المسلمين .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فأخبرني من يكتبه لصاحب اليمين أم صاحب الشمال » .

أقول : إن الصواب : « فأخبرني مَن يكتبه ، أصاحب اليمين أم صاحب الشمال ؟ » . إن وجود « أم » للمعادلة تقتضي الاستفهام قبلها ، لا اللام الجارّة كما أثبت المحقق .

● وجاء في الصفحة نفسها : « ومعرفة الأغاني أحد الفلسفة الأربعة ، وهي : حدود المنطق ومعرفة الطب وعلم النجوم والموسيقى وهو الألحان » .

أقول : والصواب : « ومعرفة الأغاني أحد حدود الفلسفة الأربعة ، وهي : حدود .. » . لقد سقطت كلمة « حدود » من الناسخ أو المحقق فبان الخلل في العبارة .

● وجاء في الصفحة نفسها : وقال الاسكندر : « من فهم اللحون استغنا عن سائر اللذات » .

أقول : الوجه أن تكتب الألف المقصورة في « استغنى » برسم الياء لا الألف القائمة .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وقالت الفلاسفة : إن النغم والأغاني فضيلة شريفة كانت خفيت على المنطق ، ليست في قدرته فلم يقو على إخراجها » .

أقول : إن الشق الثاني من عبـــارة الكتاب مستغلقة ، ولم يشر المحقق إلى ذلك .

وأقول : والصواب الذي ينجلي به المعنى هو : « إن النغم والأغاني فضيلة شريفة كانت خفيت على المنطق لأنها ليست في قدرته فلم يقو على إخراجها »[1] .

(١) هل انجلى الغموض بهذا التعديل « لجنة المجلة » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فالوم الأمور للنفس سمـاع النغم الحسان الممازج لأوتار العيدان » .

أقول : والصواب : « فالأم الأمور للنفس سماع النغم الحسن الممازج لأوتار العيدان » ، وإلا كيف يكون النغم حساناً بصيغة الجمع ثم يوصف بـ « الممازج » بصيغة المفرد ؟

● وجاء في الصفحة ١٤ : « [فضل الغناء] : فضل الغنا (كذا) على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرز علي السقم » .

أقول : من غير شك أن « البرز » هو البرء ، و « علي » هو على ، وأظن أن هذا من خطأ الطبع ، ولكن المحقق لم يشر إلى أخطاء الطبع في آخر كتابه اعتماداً على معرفة القارىء .

● وجاء في الصفحة نفسها : « قال الحمدوي :

وناطق بلسان لا ضمـير له كأنه فخذ نيطت إلى قدم

أقول : والذي في « مروج الذهب ٨/٨٨ - ٨٩ طبعة باريس » ، وكذلك في طبعة مصر ٤/١٥٧ : قال الحمدوني . ولم يكلف المحقق نفسه فيشير إلى الخلاف ، ولمَ اختار « الحمدوي » وعدل عن « الحمدوني » ؟

● وجاء في الصفحة نفسها : وعمل توبل بن لمك الطبول والدففة (كذا) وعملت صلا ابنة لمك المعازف ... ثم اتخذ الرعا (كذا) والأكراد أنواعاً يصفر به ... » . ثم رجع المحقق في حواشيه إلى « مروج الذهب » وحسناً فعل ، فقد نقل المسعودي عن ابن خرداذبة شيئاً كثيراً ، وأظنه قد نقل من كتابه الكبير لا المختار الذي بين أيدينا . وفيما أثبته المحقـق من « المروج » في حواشيه يبدو ما تصحف فأثبته في « يتيمته » . ومن ذلك : الدففة جمع دُفّ ، والذي في « المروج » : الدفوف وهو الصحيح المعروف ،

ولم يسمع الدففة جمعاً لدف ، وليس في جموع التكسير قياس ، كأن يقال هي مثل دُبّ ودببة ، ولم يُنص على الدففة إذن جمعاً لدف .

ثم قوله : « الرعا » ، والذي في « المروج » : الرعاة جمع راع ، ويصح أن يكون « الرعاء » أيضاً جمع راع كما في الآية : « حتى يصدر الرعاء » ، ولكن المحقق أهمل رسم الهمزة خطأً فانبهم المعنى .

ثم قوله : « واتخذ « الرعا » (كذا) أنواعاً يصفّر به » . والذي في « المروج » : .. نوعاً يصفر به . وهو الصحيح ويدل عليه الضمير المذكر في « به » فهو « نوع » لا « أنواع » .

● وجاء في الصفحة ١٥ : « ثم سوّت الفلاسفة العود » .

لم أجد هذه العبارة في « المروج » ، وأغلب الظن أن « سوّت » مصحفة عن شيء آخر لعله « صنعت » أو كلمة أخرى ، ولم يعلق على ذلك المحقق .

● وجاء في الصفحة نفسها : « جُعِلت الأوتار الأربعة بإزاء الطبائع الأربعة » .

أقول : الصواب : بإزاء الطبائع الأربع . وهو أمر واجب معروف . أما في « المروج » فلم ترد « الأربع » وإنما كانت : « بإزاء الطبائع » ليس غير .

● وجاء في الصفحة نفسها : « .. والبمّ للسبابة ووزنه ثلثه (كذا) أضعاف وزن الزير » .

والصواب : ثلاثة . لقد نقل المحقق رسم الناسخ القديم فكتب « ثلاثة » بلا ألف على طريقة المصحف ، ثم أهمل إعجام التاء فأصبحت « ثلثه » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « واتخذت الفُرس النايَ للعود والزنامي للطنبور والسرناي للطبل والمستج للصنج » .

أقول : والذي في « المروج » : « واتخذت الفرس الناي للعود ... والسرياني للطبل والسنج للصنج » . ولا أستطيع أن أجزم فأقول : السرياني

هو الصحيح والسرناي مصحف عنه ، لأني لا أعلم ذلك ، ولكني أستطيع أن آخذ رواية « المروج » في « السنج » الذي عربه العرب بلفظة « الصنج » لا « المستج » كما أثبت المحقق .

● وجاء في الصفحة ١٦ : « وقال كسرى : العود أجلّ الملاهي ، ووددت أني افتديت إصلاحه بماية ألف درهم » .

أقول : من المفيد أن يشار إلى أن المراد بـ « الملاهي » آلات الطرب وهذا شيء مهم . ثم إن المحقق أثبت بـ « ماية » بالياء ويريد بها « مئة » التي تكتب « مائة » ، ولما كان الناسخ لا يرسم الهمزة في خطه كما فعل في « غنا » ويريد بها « غناء » أثبت المحقق الياء في « مائة » فكانت « ماية » كما هي الحال في الاستعمال العامي الدارج . قلت : إن المحقق قد أهمل رسم الهمزة كثيراً ولا أرى فيَّ حاجة إلى التنبيه على ذلك باستيفاء تلك المواضع :

مثل هذا « فايقاً » ص ١٦ والصواب فائقاً ، « وإنهايه » في الصفحة نفسها وصوابها : وإنهائه ، والتهنية وصوابها : والتهنئة ، ومثل هذا كثير .

ومثل الخطأ في الهمزة ما عرض من رسم الألف المقصورة التي ترسم ياءً نحو : « عتسا » وصوابها عتسى ، و « غطّا » وصوابها « غطّى » وكلاهما في الصفحة ١٦ ، ومثل هذا كثير في سائر الكتاب .

● وجاء في الصفحة نفسها : « قال : أراه هبّ من نومه فرأى ثوبي عليه فعرفه فأجله فنزعه ونزع قباه [أي قباءه] فبسطه ... » .

أقول : لا معنى لـ « أجله » ولعلها : أزاله أو فأجلاه .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وأقطعه برازالروز وقطائعاً بالريّ » .

والصواب : وقطائعَ من غير تنوين .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فغنّى النّصب وتمنّ نساء العرب على موتاهن » . والصواب : وتحنَّن نساء العرب على موتاهن » .

● وجاء في الصفحة ١٩ : « ثم غنى جذيمة الخزاعي ابن سعد ابن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ... وكان من أحسن الناس صوتاً ، فسمي المصطلق وهو الحسن الخلق في كلام العرب غناء النصب » .

أقول : ولعل الجملة تكون أفضل لو غيرنا في ترتيبها على النحو الآتي : « ثم غنّى جذيمة الخزاعي . . وكان من أحسن الناس صوتاً غناء النصب فسمي المصطلق ، وهو الحسن الخلق في كلام العرب » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « والغناء من أكبر اللذات ... ويزيد في العقل ، ويفتح في الرأي ، وله مع النبيذ تعاون على الحزن الماد للبدن » .

أقول : والصواب : « الهادم للبدن » ولا معنى « للمادّ » وهي كذلك عند المسعودي في « المروج » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « قال عبد الله بن جعفر : إن للطرب لأريحيّة لو لقيت عندها لأبليت ولو سألت لأعطيت » .

أقول : والصواب : ولو سُئلت (بالبناء للمجهول) .

● وجاء في الصفحة ٢٠ : « فلله دَرّ حكيم استنبطه [الكلام على الغناء] وفيلسوف استخرجه ، أيّ غامض ومكنون كشف ، وعلى أي دفين ومكتوم دلّ ، وإلى أيّ علم وفضيلة سبق ، فذاك نشيج وحده وقريع دهره » .

الكلام على « نشيج وحده » التي أشار إليها المحقق في الحاشية فقال : كذا في الأصل ، وعند المسعودي : ونسيج وحده .

قلت : وواضح أن هذا هو الصحيح ، ولا معنى للنشيج هنا .

● وجاء في الصفحة نفسها « نرى الشجعاء وأبناء الحروب قد احتالوا »

أقول : لا بدّ أن يكون الشجعانَ ، جمع شُجاع ، وما أظن أن المصنف أراد الشجعاء ، مثل رحماء ، جمع شجيع وهو صحيح أيضاً [1] .

---

(١) مادام صحيحاً،فلا ضرورة للتأكيد بلفظه «لا بدّ» في صدر الكلام . «اللجنة المجلة»

● وجاء في الصفحة نفسها : « النبي عليه السلم (كذا) » .

ولا أدري لمَ التزم المحقق هذه الطريقة القديمة مرات وتركها مرات أخرى . فهو يثبت أحياناً « عليه السلام » ، ثم يعود فيثبت « عليه السلم » ، كما أثبت في الصفحة نفسها « ثلثين » وأراد ثلاثين .

● وجاء في الصفحة نفسها : « ورووا أنه كان يزمر بزمارةٍ » ، والكلام على النبي داود عليه السلام .

أقول : والصواب : بزماره بالهاء لا بالتاء .

● وجاء في الصفحة ٢١ :

اليـــوم يوم بكورٍ على تمام السرورِ
ويوم عزف قيـــانٍ مثل التماثيـل حور
ولا تـكاد جيـــاد تروا بغير صفـير

وأثبت المحقق هنا لأول مرة أنها من « المجتث » على حين لم يكن يذكر عروض الشعر في الأبيات التي سبقت هذه المقطوعة . ثم ما معنى « تروا بغير صفير » ؟ والصواب . « تنزو بغير صفير » من النزوان .

● ثم ذكر في الصفحة نفسها بيتين لأبي نواس :

وجـــدت ألذّ عارية الليالي قران النغم بالوتر الصحـيح
ومسمعه (!) إذا ماشئت غنت متى كان الخيام بذي طلوح

أقول : كان الأولى أن يحصر عجز البيت الثاني بقوسين لأنه مأخوذ من قول جرير ، فقد ضمن أبو نواس بيته بقول جرير ، ومطلعه : « بسمعة » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فإنه خاصة يدنوا (كذا) من الضرب والزمر » .

أقول : ومثل هذا التجاوز في طريقة الرسم (الإملاء) كثير ، فإنه يضع الألف مع الفعل المضارع كما لو كان مسنداً لواو الجماعة .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وتُغنّيه المغنيّون » . فكان المفرد لدى المحقق « مغنيٌّ » ولذلك جمعها « مغنيّون » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « حتى ولي الوليد بن يزيد فرغب الناس في الغناء فرغب فيه الناس (فيه) فعلموه الحسان وأعرقوا فيه » .

أقول : إن من غير شك أن (فيه) المحصورة بين قوسين مكررة لا حاجة بها . ثم إن المعنى يقتضي أن يكون النص : فتعلموا اللحن ، لا « الحسان » ، وأغرقوا فيه لا « أعرقوا » ، فالتعلم والإغراق هما المرادان ليستقيم الكلام ، لأنه لا وجه أن يعلموا الوليد بن يزيد ، كما لا يوجد وجه للإعراق .

● وجاء في الصفحة ٢٥ في الكلام على سِياط المغني : « وكان رواية يونس وهو علّم إبرهيم الموصلي » .

أقول : والصواب : وكان راوية يونس، لا (رواية) ، وهو معلم إبراهيم الموصلي لا (علم) إبرهيم (كذا) . جاء في الأغاني (طبع الدار ٦/١٥٢) : « سياط أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي » .

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان :

وكأن من زهر الخزامى والندى والأقحوان عليه ريطة معرسِ
فإذا يريم ذبابة أصغى لهـا يومـاً بسمعِ خائف متوجّس

أقول : لعل الصواب :

فإذا ترنْ ذبابـة أصغى لها يوماً بسمعَيْ خائف متوجّسِ

● وجاء في الصفحة ٢٨ البيت :

وتمنَّيت سليمى أنهـا بنت عمر من لهاميم العرب

أقول : الصواب بنت عمرو ، لأن بنت عمر لا يستقيم معها الوزن .

● وجاء في الصفحة ٣٠ البيت :

فلما بدا جرمانها الصيف لم يكن   علي مناخ السوء ضربة لازب

أقول : والصواب « فلما بدا حيرمانُها الضَّيْف لم يكن »

● وجاء في الصفحة ٣١ : « فقال : الله انك أذهبت جمالي ، وقطعت نسلي ، وأفسدت دنياي ، لا والله إذا أفسد عليك آخرتك فخصي الدلال . . »

أقول : والصواب : فقال الله : إنك أذهبت جمالي . . وأفسدت دنياي ، والله إذاً أفسد عليك آخرتك . . » وهذا يعني أن « لا » زيدت ولا يستقيم معها المعنى .

● وجاء في الصفحة ٣٢ البيتان :

ولا الدلال ولا طويس ولا ابن الشوتري ولا الغريضُ

لاخت النخل خنث يحيى   ولا حاضوا كما يحيى يحيض

أقول : البيتان غير مستقيمين وزناً ومعنى ولم يشر المحقق إلى ذلك

● وجاء في الصفحة ٣٣ البيت :

أقسمت ما أجبت حبكم   لاثيباً خُلِقَت ولا بكرا

أقول : والصواب : ما أحببت .

● وجاء في الصفحة نفسها :

يا عمرو شيخك وهو ذو شرف   يحمي الذمار ويُكرم الصّهرا

وعلق المحقق في حاشيته بقوله : « ياعمرو هو ترخيم عمرو » .

أقول : لا معنى لتعليق المحقق فالكلمة منادى ، وهو غير مرخَّم .

● وجاء في الصفحة ٣٥ : « لهنّ أغاني منها » .

والصواب : « لهنّ أغانٍ منها » .

● وجاء في الصفحة ٣٧ البيت :

تكلم جميلة زين النساء   إذا هي تزدان للمخرج

أقول : والصواب : « وتلكم جميلة زين النساء » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « فدخل عليهم فرحّبوا به ، وقاموا إليه وقالوا له : جُعِلن فداك كيف دخلتَ بغير إذن » ؟

أقول : والصواب : « جُعِلنا فداك . . . » .

● وجاء في الصفحة ٣٨ : « حبّابة جارية يزيد بن الوليد بن عبد الملك كانت لابن مسا فأعطاه بها يزيد قبل خلافته خمسة ألف دينار » .

أقول : الصواب : خمسة آلاف دينار .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

لقد فتنت ريا وسلاّمة القسّا فلم تتركا للمقسي عقلاً ولا نفسا

أقول : البيت شهير لابن قيس الرقيات وقد ورد في الأغاني وفي ديوانه وهو :

. . . . . . فلم تتركا للقسِّ عقلاً ولا نفسا

ولا أدري من أين جاء المحقق بـ « المقسي » وهو القس الذي عرفت به سلامة فقيل لها سلامة القس . ثم إن الوزن لا يستقيم بما أثبت المحقق وهو « المقسي » .

● وجاء في الصفحة ٣٩ : « . . . . قال : صدرت إلى ذي خشب فلما كنت بحيض إذا قبّة . . . » .

أقول : والصواب : محيص بالصاد المهملة ، وهو موضع بالمدينة .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

سلكوا بطن محيض ثم ولّوا أجمعونا

والصواب : بطن محيص بالصاد المهملة أيضاً .

● وجاء في الصفحة نفسها : « سعدة : أحد المحسنات القدما » .

أقول : والصواب : « إحدى المحسنات القُدْمَى » لأن « إحدى » صفة لمؤنث وهو (سعدة) والقُدمى مؤنث أقدم ، وحقها أن ترسم ألفها المقصورة بالياء .

● وجاء في الصفحة ٤٠ : « جارية امرأة ابن أبي عتيق مدنية . لها بشعر مولاتها عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية في ابن أبي عتيق » .

أقول : لا بد أن يكون الفعل « غنت » قد سقط قبل « لها » ليستقيم المعنى .

● وجاء في الصفحة نفسها : « يونس الكاتب : أبو سليمان بن سليمان ابن كود من ولد هرمز الجري » .

أقول : والصواب : ابن كُرد بالراء المهملة . ولا معنى « للجري » المذكور بعد هرمز ، وليس من إشارة إلى هذا في الأغاني (٣٩٨/٤ ط . دار الكتب) .

● وجاء في الصفحة ٤١ : « وفيه (أي في يونس الكاتب) يقول أبو سعود بن خلد (كذا) » .

أقول : والصواب : وفيه يقول أبو مسعود بن خالد كما في (الأغاني) .

● وجاء في الصفحة نفسها الأبيات :

يا يونس الكاتب يا يونسُ طاب لنا اليوم بك المجلسُ
إن المغنّين إذا ما هُمُ جاؤوك حتى بهم الملبوس
تنشر ديباجاً وأشباهه وهم إذا ما نشروا كربسوا

أقول : البيت الثاني قد عرض له شيء من التصحيف ثم اختل وزنه بسبب ذلك والصواب :

. . . . . جارَوْكَ أخنَى بهمُ المقبسُ

وكذلك ورد في (الأغاني) .

● وجاء في الصفحة نفسها مقطوعة لامرىء القيس منها :

يا دار ماويّ بذي الحبائل فالشط من دمدن فالقائلِ
صم سداها وعفــا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

وقد أشار المحقق إلى وزن المقطوعة أنها من « السريع » ولم يفطن إلى التصحيف الذي عرض لصدر البيت الأول فأحاله من السريع إلى الرجز .

ورواية البيت في الديوان وبها يستقيم بحر السريع :

يا دارَ ماويّةَ بالحــائل فالسهب فالخبتين من عاقـل

كما أن عجز البيت قد عرض له التصحيف أيضاً ورواية الديوان هي الصحيحة .

وفي البيت الثاني : « صم سداها » والصواب : « صداها » .

● وجاء في الصفحة ٤٢ : « والأشعار فيها لابن دُهَيمة المزني » .

والصواب كما في (الأغاني ٤/٤٠٥) ابن رُهَيمة .

● وجاء في الصفحة ٤٣ البيت :

قولا لزينب لو رأيـ ت تشوقي لك واشتيـاقي

أقول : والصواب : رواية « الأغاني ٤/٤٠٤ »: تشوقي لك واشتراقي .

والاشتراف : التطلع .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

وَجَدَ الفــؤاد بزينبٍ وجـداً شديداً مُتعبــا

وقد علق المحقق على « زينب » بقوله في الحاشية : « كذا في الأصل ، ولعل الصواب زينباً (كذا) تمشياً مع القاعدة المتعلقة بجوازات الشعر » .

أقول : إن في قوله « لعل الصواب زينباً » ضعفـاً وخطأ . أما الضعف فلا معنى لـ « لعلّ » هذه في حين أن الكلام محتاج إلى القطـع

والفصل . أما الخطأ ففي الفتحتين على ألف زينب للتنوين لأن « زينب » لا تنون لأنها علم مؤنث ، والصواب أن تمدّ الفتحة وهي علامة الجر على « زينب » فتؤول إلى ألف مطلقة ، وبذلك يتم التصريع في البيت لأنه مطلع المقطوعة ، والتصريع شائع في مطالع القصائد في الشعر القديم .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

يا زينبُ الحسناء يا زينبُ يا أكرمَ الناس إذا نسبت

أقول : لا يناسب وزن الصدر وزن العجز ذلك أن الصدر من السريع والعجز من الرجز ، وهذا مما لا يمكن أن يحدث . والذي حوّل إلى هذا التجاوز المرفوض ما عرض من التصحيف للعجز ، فالصواب : « يا أكرمَ الناس إذا تُنسَبُ » .

فالكلمة « تنسب » تحولت إلى « نسبت » خطأً .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

قل للذي يلحا على زينب المنى تعلقه مما ضمنت عشير

أقول : إن وزن الطويل يقتضي أن يكون الصدر : « فقل للذي يلحى على زينب المنى »(١) .

ثم إن « يلحى » قد رسمت فيها الألف المقصورة ألفاً قائمة وهذا شيء لم يرد في المقبول من قواعد الرسم ، ذلك أن الألف أصلها ياء فحقها أن ترسم ياءً . وأظن أن رواية الأغاني ٤/٤٠٥ هي الصحيحة وهي :

فليت الذي يلحى على زينب المنى تعلّقه مما لقيت عشير

● وجاء في الصفحة نفسها في حاشية المحقق قوله : الديوان ص ٣٠٩ وفيها اختلاف رواية . ولم أدر كيف نسب هذين البيتين (كذا) للاحقي المتقدم ذكره .

---

(١) وزن الطويل يبيح حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت . ويسمونه الخرم ، ويسمون البيت أثلم « لجنة المجلة »

أقول : إن هذا التعليق جاء على بيتين للأعشى هما وردا في نص الكتاب على النحو الآتي :

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيـ ـدٍ أثيل تزينه الأطـواقُ
وشتيب كالأقحوان جلاه الطـ ـلّ فيه عذوبـة واتساق

وقد كتب في أعلى البيتين : وفيها يقول اللاحقي [أي زينب] وقد كتب في أسفل البيتين لأعشى قيس .

وهما كما أشار المحقق الأعشى ، ولكني أسأل لمَ لم يسأل المحقق نفسه عن « اللاحقي » هذا ، وكيف أثبتت النسبة الثانية ؟ ثم إن الصواب : وفيهما اختلاف ، إشارة إلى البيتين .

● وجاء في الصفحة ٤٤ : « الأبجر غلام ابن سريج ، واسمه عبيد ابن القسر أبو ظبية ، ولقبه الحسحاس ، مكيّ مرصع مولى ابني ليث ، وكان يتيماً لعطاء بن أبي رباح ، ولم يكن بمكة أحد أطر (كذا) ولا أحسن هيئة من الأبجر » .

قلت : لم يرع الأستاذ المحقق نسخته اليتيمة ومثله حقيق برعاية اليتيم . فهذا النص يشكو من التصحيف والخطأ الذي سأبينه :

الأبجر (وهو مغنٍ مشهور) واسمه عبيد الله بن القاسم لا « القسر » . فقد رأى الأب المحقق رسم « القاسم » على هيئة خط المصحف « القسم » ثم انحرف رسم الميم الأخيرة قليلاً فتولد « القسر » وهو أمر عجيب . وهو « ابن ظبية » لا « أبو ظبية » ، كما هو مشهور في كتب الأدب كالأغاني (ط الدار ٣/٣٤٠) وغيرها .

ولا أدري ما معنى « مكيّ مرصع » وأظن أن الصواب : مكيّ ، وهو مَوّلى لبني ليث لا « مرصع » ، فقد تصحف (وهو) إلى شيء آخر ، فمسخت الحقيقة .

وعطاء هذا ابن أبي رباح (بالباء الموحدة) لا الياء المثناة .

ثم إن النصّ ينتهي بـ « ولم يكن بمكة أحد أظرف » لا « أطر » . وليس لـ « أطر » معنى البتة . وكأن المحقق قد فطن إلى هذا فعلق في الحاشية بقوله : « كذا في الأصل ولعله أطرف » .

أقول : ولا معنى للطرافة في هذا السياق ذلك أن الظرف هو المتطلب المقصود ، فالصواب ما أثبتناه وهو « أظرف » .

● وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على « أبجر » : « وكانت حلته بماية دينار وفرسه بماية دينار » .

أقول : والصواب بمائة بالهمزة لأن تسهيل الهمزة في « مائة » من نطق العامة . وتحسن كتابة « مائة » على « مئة » حتى يُتخلص من ألف المد .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وكان يقف بين المازمين » والصواب : المأزمين ، وهو موضع ، ومن حق أسماء المواضع أن تضبط ضبطاً كافياً .

وجاء أيضاً : « فجلس على قريب من النعيم » والصواب : التنعيم وهو موضع بمكة .

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان :

سألني الناس أين يغمد بهذا قلت يأتي في الدار قوماً سترياًّ
ما قطعت البلاد اسموا ولا أمَّـ ـت الا اليك يازكـريا

أقول : وقد لحق البيتان من التصحيف والخطأ ما سآتي عليه : « سألني الناس أين يعمد هذا » لأن قوله « بهذا » يقتضي تسكين الدال في « يغمد » ولا وجه لتسكينها فهي ليست مجزومة . وهي بالعين المهملة لا الغين المعجمة . أما العجز فينبغي أن يكون : « قلت آتي في الدار قوماً سريا » ، وهو رواية الأغاني . أما البيت الثاني :

ماقطعت البلاد «أسري» ولا يـ ـممتُ إلا إياك يازكـريا

فقد تصفحت «أسري» إلى «اسموا» (كذا). و«إياك» خير من «إليك».

● وجاء في الصفحة ٤٥ الأبيات وهي للعرجي:

رأتني خضيب الرأس شمرت ميزري وقد عهدتني أسود الرأس مسبلا

. . . .

حطوطاً إلى اللذات أجررت ميزري كاجرارك الحبل الجواد المجللا

أقول: والصواب: مئزري بالهمز، وذلك لأن المحقق وجد الناسخ لا يرسم الهمزة فظنها ياءً على طريقة التسهيل. أما البيت الثالث ففيه «ميزري» أيضاً والصواب رواية الديوان: مقودي، والقرينة دالة واضحة.

● وجاء في الصفحة نفسها: «ابن صاحب الوضوء واسمه محمد أبو عبدالله، مدني مولى أبي بكر».

أقول: والصواب كما في الأغاني (طبع الدار ٣/١٣٣): محمد بن عبدالله . . . . مولى بني أمية.

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان وهما للنابغة:

خطاطيفُ حُجْنٌ في حبال متينة تمدّ بها أيدٍ إليـك نوازعُ

فإن كنت لا ذا الضِّغن عني مكذباً فـلا حلفي يوماً على البر نافـع

لقد علق المحقق في الحاشية بقوله: «في مخطوطنا حجى. وهو خطأ نسخ. في الديوان ٧١ والأغاني ٣/١٣٣: حجن وعنه نقلنا».

أقول: لقد خالف المحقق طريقته فأثبت الصواب في النص مأخوذاً من كتب الأدب، وأشار إلى الخطأ في الحاشية وهو كما ورد في المخطوط، وهذا المنهج هو الصحيح في التحقيق وحبذا لو اتبعه في سائر مادة الكتاب، فكثيراً ما أثبت الخطأ وترك الصحيح مشيراً إليه في الحاشية. وقد جاء البيت الثاني مخالفاً الرواية الصحيحة وهي:

فإن كنت لاذي الضغن عني مكذباً   فلا حلفي يوماً على البرء نافع

فإن « لا » هذه عاملة عمل ليس ، كما وردت في بيت المتنبي :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى   فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

ثم إن « البرء » قد تصحف إلى « البر » في نص الكتاب ، وهذا كله في الديوان .

● وجاء في الصفحة ٤٦ : « فقال شمراً وسأل سنان » .
أقول : والصواب : وسأل سناناً .

● وجاء في الصفحة نفسها : « عمر الوادي : هو عمر بن داوود بن راذان » . وصوابه : عمر بن داود بن زاذان .

● وجاء في الصفحة ٤٧ أبيات للوليد بن يزيد :

سليمى يسلم سلمي !   كنت للقلب عذابا
سليمى ابنت عمي   بود الليل وطابا

. . . .

ريقها في الصبح مسك   باشرت عذباً رضابا

أقول : إن صدر البيت الأول غير مستقيم معنى ووزناً . والصواب : رواية الأغاني ٧/٤٠ والديوان ص ٣٥ وهي :

يا سليمى يا سليمى   كنت للقلب عذابا

وإن صدر البيت الثاني غير مستقيم وزناً ، والصواب : « يا سليمى ابنة عمي » ، وإن عجز البيت الرابع لا يستقيم مع صدره ، والصواب : « باشر العذب الرضابا » كما هي الحال في الديوان ص٣٥ وكذلك في الأغاني ٧/٤٠

● وجاء في الصفحة نفسها الأبيات :

أنا حنين ومنزلي النجف   وما نديمي إلا الفتى النصف
أغرف بالطاس وسط باطية   مترعة تارة وأغترف

من قهوةٍ باكر التجار بها بنت يهودٍ قرارها الخزف
فالعيش غضٌّ ومنزلي خصيبٌ لم تغرني شقوة ولا عنف

أقول : كان الأولى أن يأخذ رواية الأغاني :

أقرع بالكأس ثغر باطيةٍ مترعة تارةً وأغترف

لأنه لا يستقيم أن يجتمع « أغرف » في أول البيت و « أغترف » في آخره ، كما أن عجز البيت الثالث غير مستقيم بقوله « بنت يهود » والصواب : « بيت يهودٍ » . وقد جاء في البيت الرابع « تغرني » والصواب « تغوُني » .

● وجاء في الصفحة ٤٨ البيت :

أيها الشامت المعيِّر بالدهـ ـر أأنت المبرّ الموفور

أقول : والصواب : « أأنت المبرَّأ الموفور » .

● وجاء في الصفحة نفسها « وجدت له أحد وثلثين صوتاً » .

أقول : والصواب : وجدت له أحداً وثلاثين صوتاً .

● وجاء في الصفحة ٤٩ : دحمان الأشقر « ودحمان لقب ، واسمه عبدالرحمن أبوعمرو »

أقول والصواب : عبدالرحمن بن عمرو كما في الأغاني (ط . الدار ٦/٢١)

● وجاء في الصفحة نفسها « فقال :إنه مغنّي يعلم الجواري الغناء » .

والصواب إنه مُغنٍّ .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

كنت فحولاً فصرتم يوم حلبتكم لما انبرى لكمُ دحمان خصيانا

أقول : والصواب : كنتم فحولاً . . . . .

● وجاء في الصفحة ٥٠ البيت :

وقالت لأتراب لها شبه الدما يبكّين شجواً والدموع شجوم

أقول : والصواب : والدموع سُجوم .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

تأوّبني همٌّ نخـل فأسهــدا فبتُّ كأني بتُّ للحزن أرمدا

أقول : ولا وجه لـ « نخل » ولعلها مصحفة عن « ثقيل » .

● وجاء في الصفحة نفسها البيتان :

زَمّ الخليط الجمال فانجردوا بل ليت شعري لأيّةٍ قصدوا

وقد أشير إلى أن الوزن من « السريع » . والصواب أنه من المنسرح .

● وجاء في الصفحة ٥٢ : « وكان عبداً للعبلات مواليات الغريض » .

والصواب : متوْليات .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

اعتادها حزنها بل عاودت سهدا من ذكر هذا الذي لايثقلني أبدا

أقول : والصواب : « من ذكر هذا الذي لا ينجلي أبدا » .

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

تؤرّقني الهمومُ وأنت خلواً لعمرك ماتؤرّقُك الهمومُ

أقول : والصواب : وبتُّ خلواً .

● وجاء في الصفحة ٥٣ : « الدجاني واسمه عاصم . . . . كان شاعراً مايح الرفض »

أقول : ولا معنى للرفض ، وهو من غير شك « الرقص » .

● وجاء في الصفحة نفسها : « وكانت الفرس تقول : من لم يكره السماع الحسن والصوت المطرب إلا مصرٌّ على المآثم حسود للناس » .

أقول : ولا يستقيم المعنى إلا على النحو الآتي : « لا يكره السماع الحسن والصوت المطرب إلا مُصرٌّ على المآثم حسود للناس » . ويدل على ذلك وجود « إلاّ » المفيدة للحصر والقصر .

● وجاء في الصفحة نفسها :

« تغنّيك من فم مُناك تقبيله ، بشعر عكاشة بن عبد الصمد المغني لعبيد الصواب »
ولا أدري ما معنى « لعبيد الصواب » ؟

● وجاء في الصفحة نفسها البيت :

سقياً لمجلسنا الذي كنا به   يوم الخميس عشيّة أجابا

والصواب : أحبابا

هذه مسائل وجدت من المفيد إثباتها في هذا الكتيب الصغير لأشير بها إلى أن العمل في حاجة إلى مزيد من العناية والتحقيق .

بغداد ـ كلية الآداب
الدكتور إبراهيم السامرائي

فاجعة مارلنغ

مسرحية شعرية من أربعة فصول

للأستاذ عدنان مردم بك

١٢٠ صفحة ـ منشورات عويدات ـ بيروت ١٩٧٥

الدكتور شكري فيصل

في المكتبة العربية من آثار الأستاذ عدنان مردم مجموعتان قيمتان : مجموعة من المسرحيات الشعرية ومجموعة من الدواوين . كان ديوان نجوى ١٩٥٦ أول ما صدر له من شعره في كتاب ، ثم جاء بعد ذلك ديوانه الثاني : صفحة ذكرى ١٩٦١ ، وديوانه الثالث : عبير من دمشق ١٩٧٠ .. ومضى الشعر متناثراً بعد ذلك في المجلات الأدبية . ومضت المسرحيات متتابعة ، مسرحية كلّ عام تقريباً .. ففي سنة ١٩٦٧ صدرت غادة أفاميا ، وفي التي تليها كانت العباسة ، وفي ١٩٦٩ كانت زنوبيا .. ثم كانت الحلاج في ١٩٧١ ، ورابعة العدوية في ١٩٧٢ ، ومصرع غرناطة في ١٩٧٣ ، وفلسطين الثائرة ١٩٧٤ .. وكانت أخيراً هذه المسرحية الجديدة : فاجعة مارلنغ عامَنا هذا .

وكذلك يمضي عمل الأستاذ عدنان مردم أو نشره لأعماله متواتراً منتظماً .. إنه صورة أخرى لحياة منظمة ، يبدو منها للناس سطحها الهادىء ، وتنفجر أعماقها بالعنيف من الإحساس ، والنيّر من الفكر ، والقوميّ من الاهتمامات ، والإنساني من النزعات .. وينصاغ ذلك كلّه على هذا النحو أو ذاك .. ينصاغ شعراً هو مقطوعات وقصائد ، وينصاغ عملاً هادئاً طويلاً في هذه المسرحية أو تلك .

- ١ -

وليس العمل المسرحي بعامة بالعمل الهيّن .. إنه يحتاج إلى كثير من الجهد الفني : في التقاط الموضوع ، وتصوّر الوقائع ، وتعاقب الأحداث ، ونموّ العقدة والانتهاء إلى الحلّ .. إنه يحتاج إلى هذه القدرة الكبيرة على إحكام العمل وإدارة الحوار ودفعه ، كما يحتاج قبلُ وبعدُ إلى هذا التنوع المتكامل في الشخصيات التي تنهض بأحداث المسرحية وتتحدث بعواطفها وأفكارها ، وتبدي للقارىء نماذج من هذه النماذج الإنسانية التي يتحدث عنها الشاعر أو ينفعل بها أو يقرأ في سيرتها أطرافاً من سيرة الإنسان ، ويرى في نوازعها بعض نوازعه ، وفي تطلعاتها ومعاناتها بعض تطلعاته ومعاناته .

وإذا كان ذلك بعض مايحتاج إليه العمل المسرحي النثري ، فإن العمل المسرحي الشعري يحتاج بخاصة إلى جهد فني آخر ينضاف إليه . هو هذا الأداء الشعري .. بكل ما يحتاج إليه الأداء الشعري من حسّ موسيقي مرهف ، وخيال مجنح ، وتصوير حيّ ، وأداء بياني رفيع ، وقدرة على تطويع الشعر لكل هذه الأشياء الكثيرة التي يحتاج إليها العمل المسرحي .

ومن هنا كانوا قلة أولئك الذين أقبلوا على المسرح الشعري .. أعني الذين روّضوا الشعر للمسرح ، ولاءموا بين المسرح وبين الشعر ، أو استطاعوا أن يمضوا شوطاً بعيداً في هذا الميدان الصعب .

لقد فجّر شوقي هذه النبعة الثرّة الغزيرة .. ولعلّ مسرحياته أن تكون واحدة من أبرز مظاهر التجديد في مسيرة الأدب العربي .. ثم تتابعت بعد شوقي الأجيال من الشعراء .. كان في مقدمها جيل الأستاذ عزيز أباظة ، ثم الجيل المعاصر الذي يليه .. وما من شك في أن الأستاذ عدنان مردم يقف في مقدمة هذا الجيل المعاصر الذي آثر هذه الدروب الصعبة المجدّدة .

— ٢ —

فاجعة مايرلنغ آخر ماظهر للأستاذ مردم من مسرحيات . . ولكنها لم تكن آخر ماكتب . . إنها على النقيض ، من أول ما أنشأ من هذه المسرحيات الشعرية . . وقد كان الأستاذ مردم جدّ أمين حين أبان عن ذلك في المقدمة فقال : (إنه نظمها وله من العمر تسعة وعشرون عاماً ، وإنه احتفظ بها ـ على حين تجاوز مسرحياته الأخرى التي نظمها في سنّ مبكرة ، وإنه يقدمها للطبع دون أن يزيد عليها شيئاً أو ينقح منها شيئاً) .

إن تأريخ النتاج الفني هو من الأهمية بمكان بالقياس للناقد الأدبي . . وما من شيء يستطيع أن يساعد على رسم خط التطور في حياة الشاعر أو الفنان بعامة مثل أن نعرف كيف مضى ينشيء هذه الأعمال الفنية عملاً بعد عمل . . إن تلك أكبر المشكلات التي نعانيها في دراسة تراثنا الأدبي . . فنحن نجد بين أيدينا دواوين كاملة أو مبتورة لبشار وابن الرومي والبحتري وأبي تمام ولأضرابهم ولـِمَنْ هم دونهم ، ولكننا نحاول أن نعرف بدايات ممارستهم للعمل الشعري ، والخطوات التي تقدموا بها ، وتطوّر هذه البدايات إلى نهاياتهـــا فيعجزنا ذلك . . ولولا ارتباط ما بين بعض قصائد المديح وبين الأحداث التي استثارت المدح لما استطعنا أن نجد أي تاريخ لأية من القصائد في تراثنا الشعري .

من هنا كانت هذه الإشارة في المقدمة إلى تاريخ المسرحية إشارة قوية الدلالة . . إنها هي التي تضيء أبعاد الطريق الطويلة منذ بدأ الأستاذ عدنان مردم معاناة المسرح الشعري وقدم هذا الإنتاج الخصب فيه .

ومن هنا أيضاً كان الأستاذ مردم حريصاً على أن يوضح مافعله حين حدّد تاريخ المسرحية وحين قدمها على هذا النحو من غير تحوير (حتى يتاح لنقدة الأدب الذين يهتمون بدراسة المسرحية الشعرية الحديثة الدراسةَ الموضوعية لأعماله المسرحية في فترة الشباب وفترة ما بعد الشباب) .

— ٣ —

لا ترتبط فاجعة مايرلنغ بهذه المرحلة المبكرة من حياة الشاعر وإنتاجه .. ولكنها ترتبط قبل ذلك بالحدث الذي استثارها .. إن عدنان مردم يقدّم لنا في وضوح ودقة وصراحة ، ماذا كان وراء اختيار المسرحية من أحداث ذاتية فجّرت عنده هذا العمل الفني .. وذلك حين يردّ الأمر إلى أنه (فجع عام ١٩٤٢ بشقيقه هيثم قبل أن يكمل العشرين ربيعاً ، وحين يقص علينا ما كان عانى من ألم شديد في سنواته الأخيرة وهو صابر ، وكيف نقل إلى المستشفى الأميركي في بيروت ، وظل يعالج سبعة أشهر كان والده – أستاذنا الخليل ، رحمه الله – ملازماً لسريره لا يتركه إلا لماماً ، ويشاركه الشاعر هذه الملازمة حتى وقع أمر الله الذي لا يردّ) .

هنالك إذن هذا الحدث الضخم في حياة عدنان مردم العائلية .. ونحن نعرف من أمر هذا الحدث نحواً مما قصّه علينا حين قال : (كانت الفاجعة أكبر من أن يحتملها قلب الوالد المفجوع لأنها طحنته طحناً وكانت السبب في سوء صحته وتعجيل وفاته) – هذا إن كان في القدر تأجيل أو تعجيل .. ولكننا لم نكن نعرف أن وفاة هذا الشقيق (غالت كل مرح وجعلتني أستيقظ مرة واحدة من حلم الشباب العابث إلى تأملات الكهولة الرصينة إذ كان لي من العمر حينذاك خمس وعشرون)

وأيّاً كان مانعرف أو نجهل فنحن متفقون على أن العمل الفني لابدّ وراءه من حدث كبير يثير مثل هذا الانفعال الكبير .

ما الذي يربط بين فاجعة مايرلنغ وبين فجيعة عدنان مردم بأخيه .. ما هي الخيوط التي تصل بينهما .. كيف « انقلب » هذا الحدث الذاتي الفردي إلى عمل فني .. ماهي هذه السلسلة من « التحوّلات » الداخلية العميقة التي « صيّرت » الفجيعة بالأخ مسرحية شعرية نابضة ؟ .

هاهنا ، في هذا التحول ، نجد الفنان . . نجد الشاعرَ والقاصَّ والمسرحيَّ . ان ضمير هذا الفنان هو الوعاء الذي يتم فيه هذا التفاعل .. وأحاسيسه ومشاعره هي التي تنضجه ، ونزعاته وآراؤه هي التي تقوده ، وبيانه هو الذي ينشئه ، وقدرته الفنية هي التي تسير به نحو الإبـداع : تقرّبه منه ، أو تقعد به عنه .

وهل من خلاف بين الناس وبين الشعراء إلا في هذا الخلاف الكبير .. وهل يفترق مابين المنشىء والملتقي إلا في هذا ؟ .. كلّنا : منشئين ومتلقّين ، نواجه ذات الأحداث ، ونرى بأعيننا مثل الذي يراه غيرنا ، ونسمع مثل الذي يسمع ، ونكابد مثل الذي يكابد .. غير أن الشعراء ـ أو الفنانين بعامة ـ هم الذين ينهضون بهذا العمل السحري .. الذي يحيل عمورية إلى آبـدة أبي تمام ، ومعاناة بشار إلى هذا الغزل الحادّ ، وخمر أبي نواس إلى أنهار من الضوء ، ومواجد ابن الفارض إلى هذه التسابيح .. إن الشعراء هم السحرة .. ألم يكن فيما اتهم به النبي ﷺ ـ حين واجه العرب القرآن الكريم المعجز ـ أنه شاعر وأنه ساحر ... وهل من هدف الدراسات الأدبية الحديثة إلا أنها تحاول أن تتابع حركات السحر والساحر في شيء من الإدراك لها والتقصي لظواهرها والرصيد لتطورها ؟ .

— ٤ —

ولم يبخل عدنان مردم على القارىء في محاولة الربط بين فاجعة مايرلنغ وفاجعته بأخيه .. ومن الطبيعي أن يتحدث الشاعر عن الحبل الكبير الذي يبدو أنه يربط بين هذين الأمرين .. ولكن ذلك لا يعدو أن يكون إيضاحاً ، أن يكون دلالة على الحادثة والحادثة ... أما الخيوط الدقيقة الرفيعة التي تشبه أن تكون الشعيرات والتي تنسج هذا الأثر الفني فأمرها إلى النقاد .

من هنا كان لابد لعدنان مردم من أن يكتفي بالقول : (أردت

في مسرحية مايرلنغ أن أبكي الشباب الذاوي في مطامحه العالية وفي مباذله التافهة ، وأن أصف أحاسيس الشباب المتناقضة من غيرية مثالية إلى أثرة هي غاية في الأنانية) .

ولكن عدنان مردم لا يفلح في أن يخدعنا في ذلك ، وأحسبه لا يريد ، لأننا في العمل الفني لا نقيم هذه المطابقة بين الحادثة والحادثة . . الحادثة الذاتية تفجير والحادثة التاريخية تنوير . . إنها بمثابة المشجب الذي نعلق عليه عواطفنا وتطلعاتنا . . وليس هنالك هذان الحدثان المتساويان . . فاجعة مايرلنغ هزت النمسا من أدناها إلى أقصاها . . ووراءها تاريخ ومجتمع وأحداث وعلاقات وبلاط وقصر ومطامح وشهوات . . ولكن فجيعة عدنان مردم ليس وراءها مثل ذلك . . . وإن كان وراءها ما يعدل ذلك من التفاصيل الذاتية الخاصة .

قلت : إنه ليس هنالك حادثتان متساويتان . والمسرحي الذي يقتبس من التاريخ لا يفتش عن الحادثة المساوية ، وإنما هو يستثمر الحادثة التاريخية ليقول ما يقوله . . ليحيل أحزانه أناشيد ، وبكاءه قصائد ، وهمومه حواراً ، وأحداثه الخاصة أحداثاً مشتركة ، وتطوره الفكري تحت وطأة هذه الأحداث رصداً لتطور النفس الإنسانية والفكر الإنساني .

— ٥ —

وفي تقديري أن أبرز ما استطاع عدنان مردم أن يفعله أنه استطاع أن يجمع في عمله الفني بين هذين : بين تصوير الأسى الذي يخالج النفس ويدمي كل ذرة من كيانها ، وبين تصوير هذا التحول الفكري الذي عبر عن جانبه النفسي بالجملة السابقة : (أردت أن أبكي الشباب الذاوي . .) ، والذي عبّر عن جانبه العقلي بهذه الجملة : (كنت شكاكاً لا مبالياً فأصبحت رواقياً

صارماً ، أنظر إلى الحياة بحذر وتأمل ، مقدراً عبء الرسالة التي يحملها الإنسان تجاه الانسانية من دَيْن عليه ، لها) .

- ٦ -

وما من شك في أن عدنان مردم وقع في فاجعة مايرلنغ على فيض من المادة الأولية التي أفاد منها في عمله المسرحي .

إن مايرلنغ دارة ريفية قريبة من فيينا عاصمة النمسا .. ولكن المكان ليس شيئاً ذا بال دائماً في العمل المسرحي . . إنك تستطيع أن تضع مسرحك في أية من بقاع الأرض على النحو الذي يأتلف مع الموضوع . . في الواحة والدارة وعلى مقاعد طائرة في السماء أو في بيت حقير في الأرض . وإنما هي الشخصيات التي تتحرك فوق هذا المكان ، والأحداث التي تتعامل معها أو تتفاعل بها .

وفي شخصية « ودلف » وجد عدنان مردم - وكان يمكن أن يجد كذلك - هذه الثروة الكبرى في العلاقات والصلات والمقارنات .. وبكلمة موجزة ، وجد هذه الجملة من التناقضات التي تصلح في كل جزئية من جزئياتها لاستثمار كبير .

هو نيّر الفكر حرّ الضمير في ذاته ، ولكن عيون القصر المحافظ العنيد تحتاطه دائماً . . وهو محبوب من الناس لطيب سريرته ولكنه موضع حذر من البلاط ، وهو يريد تحرير المجر من ربقة النمسا ولذلك يحبه الأحرار على حين يخالف في سياسته سياسة الامبراطورية .. ثم هو متزوج ولكن حوله عدداً من العشيقات .

وراء هذه المتناقضات يطلّ (القَدَر) دائماً في هذه المأساة في كل مرحلة من مراحلها . . ألم يكن انصراف رودلف عن الحياة الجادة إلى

الحياة اللاهية من تصاريف القدر ؟.. ألم يكن وقوعه في حب النبيلة آغايا من صور القدر الحاكم ؟

في حسباني أن هذا القدر الذي نجده في مأساة مايرلنغ هو الذي نجده ، على نحو مواز ، في المأساة الفجيعية بالشاب هيثم .. إنه هو - في حياة كل إنسان -- هذه الضربةُ تقع منه موقع الإثارة أو التنبيه .. إنها تلفت الإنسان لما حوله .. إن القدر هو الذي يحيل المتشكك مؤمناً ، والرجل الذي لا يبالي بشيء مفكراً في كل شيء .. إن القدر ليس قصة الغنى والفقر ، والسعادة والشقاء .. ولكنه - قبل ذلك ومع ذلك - قصة الوجود والفناء ، والحياة والموت ، واليقين والشك ؛ والطمأنينة والقلق ، والاستسلام والحذر .

* * *

أما كيف استخدم عدنان مردم هذه المتناقضات ، وكيف أفاد من هذا القدر .. كيف بنى عمله المسرحي ، وكيف قاد أحداثه ، وكيف استوت له هذه القدرة البيانية فذلك أمر أرجو أن أعرض له في مجال آخر .

شكري فيصل

كتابان في إعراب القرآن

الأستاذ حاتم صالح الضامن

الكتاب الأول هو : مشكل إعراب القرآن (١) لمكي بن أبي طالب المغربي المتوفّى سنة ٤٣٧ هـ . والكتاب الثاني هو : البيان في غريب إعراب القرآن (٢) لأبي البركات الأنباري المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ .

ولا يخفى أن كتاب مُشكل إعراب القرآن من الكتب الهامة ، إذ أنّه جمع أقوال كثير من النحويين واللغويين وآراءهم ، ونبّه على كثير من القراءات فكان منهلاً لكثير من المؤلفين ، أخص بالذكر منهم ابن عطية في تفسيره المحرّر الوجيز ، وابن الشجري في أماليه ، وأبا البركات الأنباري في أسرار العربية ، والإنصاف ، والبيان في غريب إعراب القرآن ، والعكبري في إملاء ما منّ به الرحمن ، والعزّ بن عبد السلام في الفوائد في مشكل القرآن ، وابن عصفور في شرح الجُمَل ، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، وأبا حيان في تفسيره : البحر المحيط ، والسفاقسي في المجيد في إعراب القرآن المجيد ، والسمين الحلبي في الدرّ المصون ، وابن هشام في مغني اللبيب ، ومسائل في إعراب القرآن ، والفيّومي في المصباح المنير ، وابن جماعة في حاشيته على الجاربردي ، وغيرهم .

(١) ظهر ، في جزئين ، ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الأستاذ ياسين محمد السواس .

(٢) طبع في القاهرة بتحقيق د . طه عبدالحميد طه .

والذي يعنينا هنا هو أثر هذا الكتاب في : البيان في غريب إعراب القرآن ، إذ أنّ أبا البركات الأنباري قد تأثر مكيّاً تأثراً مباشراً ، وأخذ عنه مشكله ، وتابعه في أخطائه . والفرق بين مشكل إعراب القرآن ، والبيان في غريب إعراب القرآن ، هو إهمال الأنباري للاستطرادات التي تميّز بها المشكل ، والإضافة في مواضع قليلة خاصة في الشواهد الشعرية ، والإحالة على كتابه الإنصاف في عدة مواضـع . أمّا الآراء وأمّا الأدلة وأمّا الحجج وأمّا القراءات فهي هي في المشكل والبيـان . ليس هذا فحسب ، بل حتى الانتقال من آية إلى أخرى ، وتقديم آية على سابقتها ، هو هو في المشكل والبيان .

وهذه أمثلة تبين لنا تشابه الألفاظ والطريقة والعرض :

١ ــ قال مكي[١] في قوله تعالى : « الم » (البقرة ١) : أحرف مقطعة محكية لا تعرب إلا أن تخبر عنها ، أو تعطف بعضها على بعض ، فتقول : هذا ألف وألفك حسنة ، وفي الكتاب ألف ولام وميم. وموضع « الم » نصب على معنى : اقرأ الم . ويجوز أن يكون موضعها خفضاً على قول من جعله قسماً . **والفرّاء** يجعل « الم » ابتداء ، و « ذلك » الخبر تقديره عنده : حروف المعجم : يا محمد : ذلك الكتاب ، وأنكره **الزّجاج** .

وقال أبو البركات[٢] : « الم » أحرف مقطعة مبنية غير معربة ، وكذلك سائر حروف الهجاء في أوائل السور ، وقد تعرب إلاّ أن يُخبَرَ بها أو عنها ، أو تعطف بعضها على بعض ، فالإخبار بها نحو أن تقول : هذه ألف ، والإخبار عنها نحو أن تقول : الألف حسنـة ، والعطف نحو

(١) مشكل إعراب القرآن ١/٥١

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١/٤٣

أن تقول : في الكتاب ألف ولام ، وموضعها من الإعراب نصب بفعل مقدر ، وتقديره : اقرأ الم . ويجوز أن يكون رفعاً على تقدير مبتدأ ، والتقدير : هذا الم ، وقد أجاز **الفرّاء** أن يكون « الم » مبتدأ و «ذلك» خبره وأنكره **أبو إسحاق الزجاج** .

٢ — قال مكي (١) في قوله تعالى : « مُصَدِّقاً » (البقرة ٩١) : حال من الحق مؤكدة ، ولولا أنها مؤكّدة لما جاز الكلام ، كما لا يجوز : هو زيد قائماً ، لأنّ زيداً قد يخلو من القيام وهو زيد بحاله ، والحقّ لا يخلو أنْ يكون مصدّقاً لكتب الله .

وقال أبو البركات (٢) : نصب « مصدّقاً » على الحال من الحق ، والعامل فيها معنى الجملة ، ألا ترى أنّه لا يجوز أنْ يقال : هو زيد قائماً ، لأنّ زيداً قد يفارق القيام وهو زيد بحاله ، والحق لا يجوز أن يفارق التصديق لكتب الله عز وجل ، ولو فارق التصديق لها لخرجت عن أن تكون حقاً .

٣ — قال مكي (٣) في قوله تعالى : « يقيموا الصلاةَ » (إبراهيم ٣١) : تقديره عند **أبي إسحاق** : قل لهم ليقيموا الصلاة ، ثم حذف اللام لتقدم لفظ الأمر . وقال **المبرد** : « يقيموا » جواب لأمر محذوف تقديره : قل لهم : أقيموا الصلاة يقيموا . وقال **الأخفش** : هو جواب قل ، وفيه بُعْدٌ لأنّه ليس بجواب له على الحقيقة ، لأن أمر الله لنبيه ليس فيه أمر لهم بإقامة الصلاة .

(١) مشكل إعراب القرآن ٦٢/١
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١٠٩/١
(٣) مشكل إعراب القرآن ٤٥/١

وقال أبو البركات[1] : يقيموا مجزوم ، وفي جزمه ثلاثة أوجه : **الأول:** أن يكون جواباً للأمر ، وهو (أقيموا) وتقديره : قل لهم أقيموا يقيموا . وإليه ذهب **أبو العباس المبرد** . **والثاني** : أن يكون مجزوماً بلام مقدّرة وتقديره : ليقيموا ، ثم حذف لام الأمر لتقدم لفظ الأمر . وإليه ذهب **أبو إسحاق** . **والثالث** : أن يكون مجزوماً لأنّه جواب « قل » وإليه ذهب **الأخفش** . وهذا ضعيف لأنّ أمر الله تعالى لنبيه بالقول ليس فيه أمر لهم بإقامة الصلاة .

٤ - قال مكي[2] في قوله تعالى : « فتلكَ بيوتُهم خاويةً » (النمل ٥٢) : « خاوية » نصب على الحال . ويجوز الرفع في « خاوية » في الكلام من **خمسة أوجه** : **الأول** : أن تكون « بيوتهم » بدلاً من « تلك » ، و « خاوية » : خبر البيوت . **والثاني** : أن تكون « خاوية » خبراً ثانياً . **والثالث** : أن ترفع « خاوية » على إضمار مبتدأ ، أي : هي خاوية . **والرابع** : أن تجعل «خاوية» بدلاً من البيوت . **والخامس** : أن تجعل « بيوتهم » عطف بيان على تلك و « خاوية » خبر « تلك » .

وقال أبو البركات[3] : « خاوية » : منصوب على الحال من « بيوتهم » ، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وتقديره : أشير إليها خاوية . والرفع في خاوية من **خمسة أوجه** : **الأول** : أن يكون « بيوتهم » بدلاً من « تلك » و « خاوية » خبر للبيوت . **والثاني** : أن يكون « خاوية » خبراً ثانياً . **والثالث** : أن يكون مرفوعاً بتقدير مبتدأ والتقدير : هي خاوية . **والرابع** : أن يجعل « خاوية » بدلاً من البيوت . **والخامس** : أن يجعل « بيوتهم » عطف بيان على تلك و « خاوية » خبر « تلك » .

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٩

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/١٥٢

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٢٢٥

وهذه أمثلة أخرى تبين محاكاته لمكي في الانتقال من آية إلى أخرى :

١ - انتقل مكي من الآية (١١٧) إلى الآية (١٣٢) من الأعراف وتابعه أبو البركات [١] .

٢ - انتقل مكي من الآية (٤٧) إلى الآية (٦٤) من يوسف وتابعه أبو البركات [٢] .

٣ - انتقل مكي من الآية (٢٠٩) إلى الآية (٢٢٧) من الشعراء ، وتابعه أبو البركات [٣] .

٤ - انتقل مكي من الآية (٦١) إلى الآية (٨١) ثم الآية (٨٨) من الزخرف وتابعه أبو البركات [٤] .

وهذه أمثلة أخرى تبين متابعته لمكي في تقديم بعض الآيات :

تقدّمت الآية (٢٥) على الآية (٢١) من التوبة عند مكي وكذا عند الأنباري [٥] .

وتقدمت الآية (٤٨) على الآية (٤٧) من الكهف عند مكي وكذا عند الأنباري [٦] .

وبدأ مكيّ في سورة الدخان بالآية (٥) ثم (٦) ثم (١٣) ثم (٧) ثم (١٦) وكذا عند الأنباري [٧] .

---

(١) المشكل ١/٣٢٦ ، والبيان ١/٣٧٠ - ٣٧١

(٢) المشكل ١/٤٣١ ، والبيان ٢/٤٢

(٣) المشكل ٢/١٤٢/١٤٣ ، والبيان ٢/٢١٧

(٤) المشكل ٢/٢٨٤ ، والبيان ٢/٤٨٠ - ٤٨٢

(٥) المشكل ١/٣٥٩ ، والبيان ١/٣٩٦

(٦) المشكل ٢/٢٨٧ - ٢٨٨ ، والبيان ٢/١١١

(٧) المشكل ٢/٤٣ ، والبيان ٢/٣٥٧ - ٣٥٨

وجاءت الآية (٤) ثم (١٥) ثم (٥) ثم (٦) من سورة (هل أتى) عند مكي وكذا عند الأنباري [١] .

ومن متابعته لأخطاء مكي أنّ الآية (٥) من سورة المجادلة وردت عند مكي [٢] : « ولهم عذابٌ مهين » . وكذا وردت عند الأنباري [٣] . وصوابها : « وللكافرين عذاب مهين » .

كل ذلك يدلّك على أنّ أبا البركات الأنباريّ كان عيالاً على مكيّ ، ولا بأس في أن يتأثره الأنباريّ ، أو يتابعه ، أو ينقل نصوصاً كاملة من كتابه ، إلاّ أنّ عرض هذه الأقوال غفلاً وعدم نسبتها إليه ، مما لا يقره العلم الذي يقتضي العالم أن يكون أميناً في تحمل الأمانة ، مبرّءاً من مظنة الجحود وتهمة التدليس .

بغداد – كلية الآداب

حاتم صالح الضامن

---

(١) المشكل ٢/٤٣٦ – ٤٣٧ ، والبيان ٢/٤٨٠ – ٤٨٢

(٢) المشكل ٢/٣٦٤

(٣) البيان ٢/٤٢٦ . وهناك أخطاء أخرى تابع فيها أبو البركات مكياً ذكرها الأخ محمد خير الحلواني في : كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٢١ . . .

آراء وأنبـاء

تقـــرير
عن مؤتمر مجمع اللغة العربية
في دورته الحادية والأربعين

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الحادية والأربعين ، في المدة الواقعة بين تاريخ ١٣ صفر سنة ١٣٩٥هـ الموافق ٢٤ شباط سنة ١٩٧٥ م وتاريخ ٢٧ صفر ١٣٩٥ هـ الموافق ١٠ آذار سنة ١٩٧٥ م ، وعقد خلالها تسع جلسات علمية بالإضافة إلى جلستي الافتتاح والاختتام ، وفيما يلي موجز لأهم ما عرض على المؤتمر وما انتهى إليه :

أولاً : جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث عشر من صفر سنة ١٣٩٥ هـ الموافق للرابع والعشرين من شباط سنة ١٩٧٥ م ، واستمع المؤتمرون والمدعوون إلى هذه الجلسة من رجال الفكر والأدب ، إلى كلمات كل من : وزير الثقافة الأستاذ يوسف السباعي ، ورئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور ، والأمين العام الأستاذ عبد الحميد حسن ، وعضو المجمع من تونس الأستاذ الحبيب بن الخوجة ممثلاً لأعضاء المجمع الوافدين من الأقطار العربية .

وختمت الجلسة على أن تعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى المجمع نفسه .

ثانياً : المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش المصطلحات العلمية التي انتهت إليها اللجان المختصة والمحالة إليه من مجلس المجمع في القاهرة ، وقد أقر الكثير منها وعدّل بعضها وأعاد بعضها الآخر إلى مصدرها لاستيفاء دراستها . وفيما يلي عدد المصطلحات التي أقرها المؤتمر في كل من العلوم والفنون المختلفة :

ا ـ ٣٢٢ مصطلح في علم المياهيات (الهيدرولوجيا)
ب ـ ٢٦٥ مصطلح في علوم الأحياء والزراعة
ج ـ ١١٧ مصطلح في علم الحيوان
د ـ ١٧٥ مصطلح في الجيولوجية (علوم المعادن والصخور والحفريات)
هـ ـ ٤٣ مصطلحاً في التاريخ الحديث والمعاصر
و ـ ١٠٤ مصطلح في كيمياء النفط (البترول)
ز ـ ١٥٩ مصطلح في الكيمياء والصيدلة
ح ـ ٤٦ مصطلحاً في فن العمارة القديمة
ط ـ ١١٨ مصطلح طبيّ
ي ـ ٧٩ مصطلحاً في ألفاظ الحضارة الحديثة

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون إلى البحوث والدراسات اللغوية والعلمية والأدبية والتاريخية ، التي ألقاها أعضاء المؤتمر وناقشوها وعلّقوا عليها وأقروا نشر أكثرها ، وأحالوا بعضاً منها على اللجان المختصة لإبداء الرأي فيها ، وهي المبينة فيما يلي :

ا ـ نظم « **مثلث قطرب** » وشرحه : بحث للأستاذ عبد الله كنون عضو المجمع من المغرب .

ب ـ ظاهرة **الاختصار** في اللغة : بحث للأستاذ موسى إسحاق الحسيني عضو المجمع من فلسطين .

جـ ـ معجم الألفاظ **التركية** المأخوذة من العربية : بحث الأستاذ محمد الفاسي عضو المجمع من المغرب .

د ـ البناء على الشاهد **الأبتر** : بحث للأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع المراسل من سورية .

هـ ـ رحلة « **طه حسين** » مع الشعر العربي : بحث للأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع من مصر .

و ـ **الإحصاء اللغوي** : بحث للدكتور إبراهيم أنيس عضو المجمع من مصر .

ز ـ من إيجاز الحذف في القرآن الكريم ، حذف المقابل لما بعد (**لا**) النافية : بحث للدكتور أحمد الحوفي عضو المجمع من مصر .

حـ ـ **التنبيه** في القرآن الكريم : بحث للأستاذ علي النجدي ناصف عضو المجمع من مصر .

ط ـ الحركة الأدبية في عهد الدولة **الحفصية** في تونس : دراسة للدكتور الحبيب بن الخوجة عضو المجمع من تونس .

ي ـ التقاء **الساكنين** في العربية : بحث للدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان .

ك ـ الحركة **الانقلابية** الأخيرة في نظام الشعر العربي : بحث للأستاذ أنيس المقدسي عضو المجمع من لبنان .

ل ـ **الثقافة والحضارة** : بحث الدكتور عثمان أمين عضو المجمع من مصر .

م ـ أثر اللغة العربية في **التركية** : دراسة الدكتور حسين علي محفوظ عضو المجمع المراسل من العراق .

ن ـ **العاطفة** في الشعر العربي : بحث للأستاذ إبراهيم اللبان عضو المجمع من مصر .

رابعاً : المعجم الكبير

نظر المؤتمرون فيما أنهته لجنة المعجم الكبير من موادّ ، وبعد المناقشة والبحث والنظر في التعديلات التي اقترحها الأعضاء ، أقرّ المؤتمر جميع موادّ حرف (**التاء**) من المعجم .

خامساً : الأرقام الغبارية

نظر المؤتمرون في ردّ لجنة الرياضة على موضوع استعمال الأرقام العربية الأصلية المسماة (**بالأرقام الغبارية أو الإفرنجية** ... 1 ، 2 ، 3) وهي مستعملة ومنتشرة في بلاد المغرب العربي ، بحجة أن استعمالها في المشرق العربي ينفع في أختام البريد ، واستخدام الحسابات الالكترونية ، إضافة إلى أن إحياءها يعدّ إحياء لتراث قديم .

وكانت لجنة الرياضة ذكرت في ردّها : أنها لم تطلع على أية مخطوطة دونت فيها الأرقام الغبارية ويرجع تاريخها إلى ما قبل سنة ١١٠٠م ، بينما ثبت لديها بأن الخوارزمي أبا علم الحساب استخدم في مخطوطه الذي يرجع إلى القرن الثاني الهجري (التاسع الميلادي) الأرقام التي يطلق عليها اسم (**الأرقام الهندية**) وهي المنتشرة في جميع بلاد المشرق العربي ، مما حمل اللجنة على عرض الموضوع على المؤتمر لأن البتّ فيه يعتبر من الموضوعات المتروكة للملاءمة .

وبعد المناقشة أقر المؤتمرون عرض الأمر على اتحاد المجامع اللغوية ، بغية دراسة موضوع تنسيق طريقة كتابة الأرقام في مختلف البلاد العربية .

سادساً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة على المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، ودار بينهم النقاش حول بعضها ، فمنها ما قبل ومنها ما أجل البت فيه ، ومنها مالم يتخذ أي قرار نهائي بشأنه . وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر وما انتهى إليه بعد المناقشة :

أ ـ **الأساليب**

١ ـ (من على المنابر)

كانت اللجنة قررت : « يخطّىء بعض النقاد (نحو) قول القائل : من على المنابر ، متوهمين أن مثل هذا ممتنع ، لامتناع دخول حرف الجر على حرف الجر .

وقد بحثت اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى أن الأسلوب جائز للأدلة الآتية :

أولاً ـ أن (على) هنا اسم بمعنى فوق ، كما ذهب إلى ذلك فريق من كبار النحاة وفي مقدمتهم سيبويه .

ثانياً ـ وروده في شعر من يحتج بكلامه ، مثل قوله مُزاحم العُقيلي :

غدتْ من عليه بعدما تمّ خِمْسُها   تَصِلُّ وعن قيضٍ بِبيْداءَ مَجْهل

ثالثاً ـ إن بعض الكوفيين لا يرون مانعاً من دخول حرف جر على آخر .

وبعد عرض الأمر على التصويت أقر المؤتمر سلامة التعبير ، على أن (على) اسم ، مستبعداً رأي من قال بدخول الحرف على الحرف

٢ ـ (كاد الأمر لا يتم)

كانت لجنة الألفاظ والأساليب قررت تحت هذا العنوان ما يلي :

« يشيع هذا الأسلوب في لغة المعاصرين ، وقد يُظن أنه مخالف لما تعرفه العربية من أن أداة النفي تتقدم (كاد) ولا تتأخر عنها . وترى اللجنة أنه صحيح مقبول على أنه نوع من المبالغة . . . » .

وعند عرض الأمر على مجلس المجمع في القاهرة أقره مع استبدال **الادعاء بالمبالغة** ، وأصبح القرار الذي عرض على المؤتمر بالنصّ التالي :

« ما كدت أدخل حتى استقبلني رب البيت بالترحاب »

يشيع في أقوال المعاصرين هذا القول وأمثاله ، مما تأتي فيه حتى بعد خبر كاد المنفية .

وترى اللجنة أن هذا الأسلوب صحيح على أنه يقوم على **الادعاء** ، لأن معناه أن الترحيب لقوته قد قارن الدخول » .

وبعد مناقشات حامية اشترك فيها الأساتذة : محمد بهجة الأثري ، وشوقي أمين ، وعلي النجدي ناصف ، وسعيد الأفغاني ، وأحمد الحوفي ، وعباس حسن ، أقر المؤتمر بالأكثرية **إعادة الاقتراح** إلى اللجنة لزيادة البحث في جوانبه .

٣ — **(سافر عبر البحار أو الصحاري)** .

(كان النصر حليف العرب في معاركهم عبر التاريخ)

كانت اللجنة اتخذت القرار التالي : « تجري الأقلام في لغة العصر بمثل هذين التعبيرين ، وقد درستهما اللجنة فانتهت إلى أنهما جائزان صحيحان ، أولهما على الحقيقة ، والثاني على المجاز ، بتشبيه زمن التاريخ بالمسافة البعيدة التي يقطعها المسافر .

أما لفظ (عبر) فيهما فهو : إما ظرف حلّ محلّه المصدر ، وإما حال على التأويل باسم الفاعل » .

وأقر المؤتمر بعد النقاش الطويل صحة التعبيرين على أن لفظة (عبر) **مصدر أخذ معنى الظرفية** ، رافضاً التعليل الثاني .

٤ — **(فلان أحسن من ذي قبل)**

كانت اللجنة بعد دراستها لهذا التعبير رأت أن الأصل الفصيح له

هو « فلان أحسن من قبل » وهي ترى أن (ذي) فيه يمكن أن تكون اسم موصول معرباً على لغة طيىء .

والكلام على حذف مضاف ، والتقدير : حال فلان أحسن من التي قبل .

وعلى ذلك قررت اللجنة : « **أن هذا التعبير جائز في الاستعمال** » .

وبعد مناقشة ما توصلت إليه اللجنة أقر المؤتمر جواز استعمال التعبير على اعتبار أن (ذي) **زائدة** .

٥ — (**كل عام وأنتم بخير**)

كانت اللجنة اتخذت القرار التالي : « يخطّىء بعض النقاد ما يشيع من قول الناس في أعيادهم : كل عام وأنتم بخير ، بناء على أنه لا موضع للواو هنا ، والصحيح عندهم أن يقال : **كل عام أنتم بخير** .

وقد درست اللجنة هذا التعبير وانتهت إلى أنه جائز من وجهين : أحدهما : أن تكون (كل) فاعلاً حذف فعله لكثرة الاستعمال ، والتقدير: يُقبلُ كلُّ عام وأنتم بخير .

والآخر : أن تكون (كلّ) مبتدأ حذف خبره ، والتقدير حينئذ : كل عام مقبل وأنتم بخير .

وفي كلتا الحالتين تكون الواو حالية ، والجملة بعدها حالاً » .

وانتهى المؤتمرون بعد مناقشة قرار اللجنة إلى **الموافقة عليه** .

ب ـ الألفاظ

١ — (حسب)

كانت لجنة الألفاظ والأساليب اتخذت القرار التالي : « يستعمل الكاتبون لفظ حسب على هذه الصور : قبضت عشرة فحسبِ ـ قبضت عشرة وحسبِ ـ قبضت عشرة حسبِ .

٤ ـ (التعبوي والتربوي)

قالت اللجنة في قرارها : « شاع في هذه الأيام استعمال كلمة تعبوي في النسبة إلى تعبية المخفّفة عن تعبئة ، ومن قبلها شاعت كلمة التربوي نسبة إلى التربية .

ولما كان من النحاة من يجيز قلب الياء واواً عند النسب إلى الرباعي الذي ثانيه ساكن وآخره ياء ، سواء أكانت الياء أصلية أم منقلبة عن همزة ، رأت اللجنة ـ استناداً إلى هذا الرأي ـ أن لفظتي التعبوي والتربوي صحيحتان لا حرج في استعمال كلتيهما » .

وبعد المناقشة أقر المؤتمر ما أوصت به اللجنة .

٥ ـ (المَلاك)

جاء في قرار اللجنة المحال إلى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة :

« يشيع استعمال لفظ المَلاك على الرغم من إغفال المعاجم العربية له في القديم والحديث .

وقد بحثت اللجنة هذه اللفظة ، ورأت أنه يمكن قبولها على واحد من الأسس الآتية :

أولاً ـ أن الأصل فيها (مَلأك) كما ورد في معاجم اللغة ، نقلت حركة الهمزة إلى اللام ثم سهلت بقلبها ألفاً فصارت مَلاك ، ونظيره كمأة ومرأة ، نسمع فيهما كماة ومراة .

ثانياً : ورد (المَلاك) على هذه الصورة من قديم في اللغة السريانية ، ومن الممكن أن يكون أول من استعملها في العربية قد نقلها عن السريانية .

ثالثاً ـ أن تكون هذه اللفظة نتيجة اشتقاق من الفعل (لاك) الذي هو مُسَهَّل الفعل (لأك) كما يحدث في سأل ورأف ، يسهلان إلى

وترى اللجنة : أنها كلها صحيحة ، وأن معنى (حسب) مع الفاء هو لا غير ، أما معناه مع الواو فلا يكون إلا بمعنى كاف ، وكذلك يكون معناه إذا كان بغير فاء أو واو »

وبعد المناقشات التي اشترك فيها عدد من أعضاء المؤتمر ، وكان الأستاذ سعيد الأفغاني من أشد المتحمسين لرفض قرار اللجنة ، قبل المؤتمرون القرار بالأكثرية .

٢ - (الكفاءة والكفء)

كانت اللجنة اتخذت القرار التالي : « يشيع على ألسنة المعاصرين نحو قولهم : فلان كفء أو من أهل الكفاءة ، على حين أن نصوص اللغة والمعجمات في هذا المقام تقضي أن يقال : هو كاف أو من أهل الكفاية .

وترى اللجنة أن معنى قول القائل : هو كفء ، أو من أهل الكفاءة ، أنه يجانس العمل ويرتفع إلى مستواه .

ولهذا ترى اللجنة : أنه لا مانع من استعمال الكفء حيث يستعمل الكافي، والكفاءة حيث تستعمل الكفاية » .

وبعد المداولة التي اشترك فيها الكثير من الأعضاء بين مؤيد ومنكر ، تقرر بالأكثرية إعادة الموضوع لدراسته مجدداً .

٣ — (سداد الدّين)

كانت اللجنة قررت ما يلي : « يستعمل كثير من الناس لفظ السداد في معنى قضاء الدين أو أدائه .

وترى اللجنة أن هذا الاستعمال جائز : إما على أنه مصدر لسدّ ، كما في ملّ ملالاً ، وجلّ جلالاً ، وإما على أنه اسم مصدر لفعل سدّد ... ومثله : كلام وطلاق ، وسراح وسلام ، في كلّم ، وطلّق ، وسرّح ، وسلّم » .

وقد أقر المؤتمرون ماجاء في القرار المذكور .

سال وراف ، ومضارعها المسموع يسال ويراف .. وعلى هذا يكون (الملاك) « مَفْعَلًا » من (لاك) على القياس .

ويكون إذن لفظ (الملاك) **صحيحاً جائز الاستعمال** » .

وتناقش المؤتمرون في الموضوع مناقشات حادة انتهت إلى : **إقرار النتيجة** ، مع استبعاد التعليلين الثاني والثالث .

٦ — (الأقصوصة)

ذكرت اللجنة في قرارها : « شاعت كلمة الأقصوصة مفرداً لأقاصيص ، في معنى القصة القصيرة .

وترى اللجنة — بعد البحث والدراسة — أنها كلمة مقبولة ، وتوصي بأن تضاف إلى معجمنا الحديث بمعناها الذي يستعملها المعاصرون فيه » .

وبعد المناقشة **أقر** المؤتمر إدخال كلمة (أقصوصة) في المعجم الحديث بالمعنى المشار إليه على أنها (**مولدة**) .

٧ — (الوقائع)

قالت اللجنة في قرارها : « يخطّىء بعض النقاد كلمة الوقائع على أساس أن مفردها (وقيعة بمعنى الحرب) فلا تؤدي معناها الذي تساق فيه .

وترى اللجنة تصحيح اللفظ على أن المفرد (وقعة) حملا على نظائره من مثل : رخصة ورخائص ، حلبة وحلائب ، كنة وكنائن » .

واحتدم النقاش بين المؤتمرين حول التعليل الذي أوردته اللجنة ،وانتهت الكثرة من الأعضاء إلى قبول : الواقع الشائع **وإثبات لفظ الوقائع** بمعنى الحوادث مع تجاوز تعيين مفردها .

٨ — (مليء بمعنى الممتلىء)

وجاء في قرار اللجنة : « يخطّىء بعض النقاد استعمال مليء ومليئة بمعنى الامتلاء .

وترى اللجنة إجازة ذلك : إما على أن صيغة فَعيل مسموعة بوفرة في الصفة المشبهة ، وإما على أن تحويل (مفعول) إلى (فعيل) قياسي عند بعض النحاة » .

وبعد مناقشات طويلة حول التعليل الذي أخذت به اللجنة ، أقرّ المؤتمر النتيجة التي توصلت إليها .

٩ – (المنتزه)

اتخذت اللجنة بشأن شيوع كلمة منتزه القرار التالى :

« يعترض النقاد على استعمال كلمة المنتزه بحجة أن الصواب فيها هو **المتنزه** .

وترى اللجنة صواب استعمال المنتزه أيضاً ، استئناساً بوروده في شعر الفحول من مثل قول بشار :

وكل منتزه للهو منتقد . . . »

وأبدى الأستاذ الأثري رفضه لتعليل اللجنة وشاركه أعضاء آخرون في رأيه ، وبعد مناقشات حادّة أقر المؤتمر **بالأكثرية قبول** صحة استعمال كلمة منتزه بشيوعها ، متجاوزاً التعليل .

١٠ – (الشرق والشرقي)

جاء في قرار لجنة الألفاظ والأساليب المحال إلى المؤتمر من قبل مجلس المجمع في القاهرة ما يلي : « يرى بعض النقاد أن استعمال أسماء الجهات منسوبة ، يدل على المكان الخارج عما أضيف إليه اسم الجهة .

درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى أنه : لا فرق في استعمال المنسوب من أسماء الجهات ، بين كونه جزءاً من المضاف إليه وكونه خارجاً عنه ، وأن المدار في تعيين ذلك إنما هو على القرينة وسياق الكلام » .

وأضافت اللجنة إلى هذا : إن الموضوع كان أعيد إليها من المؤتمر **في** الدورة الماضية ، وأنها بعد دراسته مجدداً : « لم تجد دليلاً تستند إليه في **العدول عن قرارها الأول** ، لذا فهي تترك الأمر للمؤتمر » .

وبعد مناقشة طويلة ، اشترك فيها عدد من الأعضاء ، استحسن المؤتمر **تخصيص أسماء الجهات المنسوبة بما يدخل في تحديدها** ، وغير المنسوبة بما يخرج عنها .

سابعاً : أعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الأصول وما قررته ، ودارت مناقشات في أكثر مقترحاتها ، وفيما يلي تلخيص للمسائل التي كان مجلس المجمع في القاهرة أحالها على المؤتمر :

١ — (الرتابة)

كان الأستاذ أنيس المقدسي عضو المجمع من لبنان ، طلب إضافة كلمة « الرتابة » إلى المعجم بمعنى الثبات والاستقرار والاستمرار ، مما يقابل في التعبير المصري كلمة « روتين » .

وقد رأت لجنة الأصول : « جواز استعمال هذه الصيغة بناء على جواز تحويل كل فعل إلى صيغة فَعُلَ لإفادة المدح أو الذم أو الالتحاق بالغرائز ، وعلى هذا تكون الرتابة مصدراً قياسيّاً لفَعُل ، طوعاً لقرار المجمع في تكملة مادة لغوية » .

وبعد المناقشة أقر المؤتمر الاقتراح المعروض عليه .

٢ — (شمّع ومطاوعه تشمّع)

نجم عن مناقشات تمت أثناء النظر في مصطلحات علم النباتات ، أن أحال مجلس المجمع على لجنة الأصول فعل (شمّع ومطاوعه تشمّع) وبعد أن درست اللجنة الموضوع ارتأت ما يلي : « جواز أن يقاس شمّع وتشمّع ،

بناء على أن فعَل محركة العين، يجوز تحويلها إلى "فعّل" ، مشدد العين ، لإفادة التكثير ، أو المبالغة ، أو التعدية ، وأنه يجيء المطاوع منها على تفعّل ، بالعين المشددة » .

وقد أقر المؤتمرون ذلك بعد المناقشة :

٣ ـ صيغة (فَعول)

كان الأستاذ محمد شوقي أمين ، عضو المجمع من مصر ، قدّم مذكرة تتضمن : أن جمهرة النحاة يتناقلون قياس صوغ « فَعول » بمعنى فاعل من الثلاثي المتعدي ، للدلالة على المبالغة والكثرة ، مقترحاً إقرار ذلك ، محتجاً عليه بحجج بينة ، وعندما نظرت لجنة الأصول في المقترح ، ارتأت ما يلي :

« الشائع من أقوال النحاة منع مجيء صيغة فَعول من الفعل اللازم للمبالغة أوالصفة المشبهة ، بناء على أن أمثلة المبالغة إنما تجيء من المتعدي ، وأن صيغ الصفة المشبهة ليس من القياس فيها صيغة « فَعول » . ونظراً لما استظهرته اللجنة من ورود أمثلة تزيد على المائة لفَعول من الأفعال اللازمة ، فهي ترى .

قياسية صوغ « فَعول » للدلالة على المبالغة أو الصفة المشبهة بحسب مقامات الكلام ، وتشير اللجنة في ذلك أيضاً ، إلى ما سبق للمجمع إقراره لقياسية صيغة فعّال ، وفعّيل ، وفُعَلة للكثرة والمبالغة من الأفعال اللازمة أو المتعدية على السواء ، وما كتب في الاحتجاج لذلك من بحوث ومذكرات » .

وبعد المناقشة ، أقر المؤتمرون جواز استعمال صيغة فَعول من الفعل اللازم ، على أنها للمبالغة أو صفة مشبهة ، وأضافوا إلى توصية اللجنة جملة « حين الحاجة » .

٤ ـ (مشروع العربية الأساسية)

عرض على المؤتمر التقرير الذي رفعه الأستاذ عمر فروخ عضو المجمع

من لبنان ، متضمناً ما يسمّى بمشروع العربية الأساسية [١] ، وخبر المؤتمر الذي عقد في بلدة « برمانا » من جبل لبنان تأييداً له .

وبعد أن ناقش المؤتمرون طويلاً ، المحاولات المتعددة التي تتعرض لها العربية في أقطار عربية مختلفة ، وما تخفي وراءها من مؤامرات على الفصحى ، أقر المؤتمر وجوب العمل على التصدي لجميع تلك المحاولات وتوجيه نداء إلى المسؤولين في الجمهورية اللبنانية ، أن يقدروا ما يترتب على مشروع تحديد اللغة العربية الأساسية من خطر جسيم على وحدة اللغة في العالم العربي ، وأهاب المؤتمرون بلبنان الشقيق وهو معقل من معاقل العروبة ، ولأهله فضل يذكر في خدمة الفصحى وإعلاء شأنها ، أن لا يتخلف عن ركب العروبة في تنشئة أبنائه ، بحيث يوحد بينهم لسان عربي مبين .

٥ — (اللغة العربية وما تتعرض له في الظروف الحاضرة)

جرى إطلاع المؤتمرين على مقال ترجمه عن الفرنسية الأستاذ علي أدهم ، ونشرته مجلة « مصباح الفكر » التي تصدرها بالعربية منظمة « اليونسكو » في عدد أيار سنة ١٩٧٤ ، وقد تضمن بحثاً في اللغة العربية زعم فيه كاتبه ، بأنها ليست لغة للعلم الحديث ، ولا أداة للتعبير الحضاري .

وقد شكر المؤتمرون للأستاذين محمد شوقي أمين عضو المجمع ، والدكتور عبد الصبور شاهين الخبير بالمجمع صنيعهما ، فقد تكفل ردّهما على كاتب المقال ، بدفع الوصمة التي أراد لصقها بالعربية افتراءً .

---

(١) سبق لمجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، أن نشرت للدكتور عمر فرّوخ عضو المجمع ، مقالاً عن هذا المشروع وتبيان خطره على الفصحى ، في الجزء الرابع من المجلد الثامن والأربعين الصادر في تشرين الأول سنة ١٩٧٣

ثامناً : ذكرى الدكتور طه حسين

بمناسبة انعقاد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، انتهزت وزارة الثقافة المصرية الفرصة فدعت المؤتمرين ونخبة من رجال العلم والفكر والأدب من عرب ومستعربين ، إلى الاحتفال بذكرى عميد الأدب العربي الراحل ، الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية في القاهرة **الدكتور طه حسين** (١٤/ ١١ / ١٨٨٩ — ٢٨ / ١٠ / ١٩٧٣) .

أقيم الاحتفال في قاعة الاحتفالات الكبرى في جامعة الدول العربية ، خلال أمسيات الأيام التالية : ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ شباط (فبراير) سنة ١٩٧٥ ، كما أقيم معرض لمؤلفات الفقيد وما كتبه ، وما كتب عنه في جوار قاعة الاحتفالات ، وفيها استمع جمهور كبير من رجال العلم والأدب من مختلف أقطار العربية وبعض البلاد الأجنبية ، إلى كلمات وقصائد وأبحاث المشاركين في الاحتفال من رسميين وشعراء ومفكرين عرب ومستعربين .

تاسعاً : ختام المؤتمر ومقرراته

كان انعقاد الجلسة الختامية المؤتمر ، صباح يوم الاثنين في العاشر من من آذار (مارس) سنة ١٩٧٥ ، واستمع أعضاء المؤتمر خلالها إلى بعض المقترحات وإلى تقرير السيد الأمين العام ، ثم اتخذوا المقررات والتوصيات التالية :

١ — في إذاعات العالم العربي وصحافته محاولات ملحوظة لاستعمال الفصحى والأخذ بها ، ويرجو المؤتمر لهذه المحاولات الاطراد والتأكيد .

٢ — الكتاب والمدرس وسيلتان ناجعتان لنشر اللغة وتمكين استعمالها ، ولا يزال الكتاب المدرسي في حاجة إلى مزيد من العناية اللغوية . وفي وسع المدرس أن يؤدي كل ما يريد بلغة سهلة سليمة .

٣ — آن الأوان لأن تنسق الجهود المبذولة لتعليم اللغة العربية وتيسير نشرها ، ولأن تعالج على مستوى العالم العربي بأسره .

٤ - يرحب المؤتمر بالجهود التي تبذل لتوحيد المصطلح العلمي عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أو عن طريق اتحادات المجامع والجامعات .

٥ - يرحب المؤتمر أيضاً بما تبذله البلاد الإسلامية عامة في صون التراث العربي ونشره ، ويأمل أن تتبادل الهيئات العلمية ودور النشر في العالم العربي معها مطبوعاتها ، وأن تعاونها في ذلك ما وسعها .

٦ - يسعد المؤتمر أن المنظمات الدولية عرفت للعربية منزلتها في اللقاءات والمؤتمرات الدولية ، وانتهت إلى اعتبارها واحدة بين اللغات العالمية الكبرى ، ويثق بأن العالم العربي سيغذيها بما تدعو إليه الحاجة من مترجمين ومختزلين .

٧ - تبلّغ قرارات المؤتمر إلى جامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات الثقافة ، والتربية ، والتعليم العالي ، والمجامع ، والجامعات .

وبعد الاستماع إلى كلمات وداع وشكر تبادلها الأعضاء ، أعلن الرئيس اختتام أعمال المؤتمر .

عدنان الخطيب
نائب الرئيس

حسني سبح
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، بمناسبة اشتراك جميع أعضائه في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، جلسته الثامنة يوم الاثنين في العشرين من صفر سنة ١٣٩٥ هـ الموافق للثالث من آذار سنة ١٩٧٥م ، بحضور الدكتور عبد العزيز السيد المدير العام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن جامعة الدول العربية .

ابتدأت الجلسة بالترحيب بالأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع بالقاهرة المنتخب ممثلاً له في الاتحاد خلفاً المرحوم الدكتور طه حسين .

ثم أجمع أعضاء الاتحاد ، بناء على اقتراح الدكتور عدنان الخطيب عضو مجمع دمشق ، على اختيار **الدكتور ابراهيم مدكور** رئيساً للاتحاد ، المنصب الشاغر بوفاة المرحوم الدكتور طه حسين ، كما أجمعوا على اختيار **الأستاذ محمد خلف الله أحمد** أميناً عاماً للاتحاد ، خلفاً للدكتور إبراهيم مدكور .

وبعد اعتماد الحساب الختامي لعام ١٩٧٤ ، نوقشت الترتيبات اللازمة لعقد ندوة لدراسة موضوع تيسير النحو العربي ، وتم الاتفاق على عقد هذه الندوة في مدينة الجزائر في الخريف القادم .

استـــدراك

على أسماء أعضاء مجمع اللغة العربية

نشرت المجلة في العدد الماضي أسماء أعضاء المجمع العاملين والمراسلين في الأقطار العربية والأجنبية. وقد سقط في تعداد الإخوة الزملاء أعضاء مجمع اللغة العربية من الجمهورية العراقية الأسماء التالية :

١ – الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	رئيس المجمع العلمي العراقي
٢ – الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	وزير التربية
٣ – الدكتور إبراهيم شوكة	أستاذ بكلية الآداب – بغداد
٤ – الدكتور عبد اللطيف البدري	أستاذ بكليـة الطب – بغداد
٥ – الدكتور جميل الملائكة	أستاذ بكلية الهندسة – بغداد
٦ – الدكتور عبد العزيز الدوري	أستاذ بالجامعة الأردنية – عمان
٧ – الدكتور محمود الجليلي	المجمع العلمي العراقي – بغداد
٨ – الدكتور فاضل الطائي	المجمع العلمي العراقي – بغداد
٩ – الدكتور جميل سعيد	أستاذ بكلية الآداب – بغداد
١٠ – الدكتور سليم النعيمي	المجمع العلمي العراقي – بغداد
١١ – الدكتور عبد العزيز البسام	وزارة التربيـــة – بغداد
١٢ – الدكتور صالح أحمد العلي	أستاذ بكلية الآداب – بغداد
١٣ – الدكتور يوسف عز الدين	» » » »
١٤ – الأستاذ محمد تقي الحكيم	كلية الفقه بالنجف
١٥ – الأستاذ كمال إبراهيم	كلية الآداب – بغداد
١٦ – الأستاذ طه باقر	مشاريع المياه والغاز – الشويخ ص . ب ٥١٦ الكويت
١٧ – الدكتور صالح مهدي حنتوش	مشاريع المياه والغاز – الشويخ ص . ب ٥١٦ الكويت

والذين يمارسون أمر الإشراف على الطباعة يعرفون من هذه الشجون ما لا نحتاج معه إلى اعتذار. ولكن المجلة حريصة على أن تعتذر من الزملاء ومن القراء عن ذلك .

نداء إلى الحكومات العربية :

الأدب العربي المغترب في حالة احتضار (*)

لم نعد ننتظر من الأدب العربي في الأرجنتين أن يتدفق بروائع تُضاف إلى دفتر المجد الذي كتب سطوره الأولى منذ ستين سنة تقريباً ، بل أمسى قصارى أملنا أن تنبثق من نفسه قوة تمدّ البقية الباقية من حياته التي تتلاشى يوماً فيوماً .

إن القصائد التي تسيل بها القرائح في المهاجر - اليوم - هي لُمَعٌ تظهر دون انتظام وعلى غير ميعاد ، وكانت قديماً أشعة متواصلة لا ينبتر لها بريق .

لا ننكر أن الأدب عامة ، والشعر خاصة قد انخفض في معظم أنحاء العالم مقامُه الرفيع القديم بداعي طغيان المادة على مرافق الحياة بعد أن قلبت الاكتشافات العلمية الأخيرة كثيراً من أوضاع الفكر الإنساني رأساً على عقب . ولكن الأدب العربي في المغتربات لم يخبُ نورُه لهذه الأسباب إذ كان تأثيرها عليه طفيفاً . وثمة أسباب أخرى أثرت عليه ، أهمها في رأينا :

أولاً - جفاف المهاجرة العربية وعدم اغتراب أي أديب ناشىء أو ناضج .

ثانياً - احتجاب عددٍ كبير من المجلات والجرائد وتضاؤل عدد قراء الصحف العربية الباقية ، فالذين كانوا يطالعونها من المهاجرين القُدامى قد انتقل أغلبهم إلى رحمة الله . ولا ندحة لنـا من ربط الصحافة العربية بالأدب فهي التي كانت ميداناً - رئيسياً - له تنشر بدائعه .

نعم ، إن الشباب المتحدر من أصل عربي ، غدا بعد أن استقلت الأقطار العربية وأصبح لها وزنها في تعديل المقررات الدولية ، يفاخر بأرومته

(*) تلقينا هذا النداء من الشاعر العربي الكبير الأستاذ الياس قنصل . وإنا لنرجو أن يكون الأدب العربي والحرف العربي واللغة العربية في المهاجر موضع اهتمام الحكومات العربية والمؤسسات الثقافية .

ويعلن على رؤوس الأشهاد اعتزازه بانتسابه إلى أمة الضاد ، غير أن هذا الشباب لا يفهم — بأكثريته الساحقة — من اللغة العربية إلا الكلمات البسيطة المهلهلة ، فغيرته لا تفيد في دعم الأدب العربي .

ثالثاً — انصراف أغلب الأدباء عن الأدب العربي واقتصار انتاجهم على قصائد تُنظم للمناسبات وتتلى في الحفلات .

رابعاً — عدم اهتمام الحكومات العربية بالأدباء المغتربين وهم الذين حافظوا ويحافظون على النَفَس العربي في العالم الجديد .

فإن سأل سائل : وما تستطيع الحكومات أن تفعل ؟

كان الجواب : تستطيع أن تصنع كل شيء — إن هؤلاء الأدباء كانت لهم سُهمة طيّبة فيما وصلتْ إليه البلدان العربية من تقدم ونجاح ، وكانوا في كل وقت بوقَ العروبة وراء البحار ، فمن النَصفة أن ينالوا نصيباً من الجزاء .

في وسعها أن تدعو الأدباء إلى زيارة البلدان العربية ، فإن رؤية أوطانهم حرة مستقلة تذكي نيران الحماس في قلوبهم وتجدّد نشاطهم .

في وسعها أن تتولى طبع دواوين الشعراء ومؤلفات الكتّاب .

في وسعها أن تفعل ذلك وغير ذلك .

إننا نوجه هذا النداء إلى الحكومات العربية الجليلة وإلى وزارات الثقافة والإرشاد والإعلام . فلعلها تعيد إلى الأدباء الذين لا يبرحون في المضار ثقةً تؤكد لهم أن جهودهم تجد من إخوانهم المقيمين بعض التقدير وأن تضحياتهم في سبيل الأدب والعرب لم تذهب أدراج الرياح .

عاصمة الأرجنتين **الياس قنصل**

كتاب « ذهبية العصر في شعراء المئة الثامنة »

لابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى)

(صورة الورقة الأولى من الكتاب)

كتب إلينا السيد الأستاذ علي العسلي صاحب المكتبة العتيقة (تونس العاصمة نهج جامع الزيتونة رقم ٦١) أن بين يديه جزءاً من هذا الكتاب وأنه يرغب في نشره . ولذلك فهو يرجو الذين يعرفون، معرفة إطلاع أو معرفة تملك،أجزاءه أو أجزاء منه أن يرشدوا إلى ذلك وأن يكتبوا إليه به عن طريق مجمع اللغة العربية بدمشق أو إلى عنوانه في تونس

محمد بن تاويت الطنجي

افتقد الوطن العربي والعاملون في الدراسات العربية والإسلامية عالماً كبيراً من جلّة العلماء ، ومحققاً ثبتاً من أكابر المحققين الذين كانوا يعملون في صمت ، ويدأبون في إيمان ، ويتابعون جهودهم بعيداً عن مواقع الشهرة والضجيج ، هو الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

والفقيد الكريم من طنجة ، بدأ حياته العلمية في المغرب ، ثم تابعها بعد ذلك في القاهرة خلال هذه السنوات – أواخر الثلاثينيات – التي توافد فيها جيل من شبان المغرب على جامعة القاهرة ومعاهدها لمتابعة الطلب والمضي في الدراسات العليا .

ولم يعد ابن تاويت مع الذين عادوا إثر الاستقلال ، ذلك لأن حياته العلمية التي أخذت تنضج وتنمو في القاهرة أكرهته على البقاء فيها لمتابعة بحوثه ودراساته .

وظلّ في القاهرة سنوات كثيرة وجهاً بارزاً في ميدان العمل على تحقيق التراث ، وشارك في كثير من اللجان التي ألفت لهذا الغرض ، وأدّى لمعهد المخطوطات مساعدات قيمة ، وشارك في إعداد بعض فهارسه وتوجيه بعض أعماله . وكان وجوده في القاهرة في بيته هذا الذي كانت تعمر غرفه كلّها الكتب والمصوّرات و (الأفلام) نقطةَ اجتذاب لكثير من الباحثين ، كما كان وفاؤه لأصدقائه وحرصه على مساعدتهم في ذلك نقطة تفريع لجهوده وتنويع لها . وحين عاد إلى المغرب بعد ذلك أشرف على القسم الثقافي في وزارة الأوقاف ، فأعدّ العدّة لإحياء مختارات التراث المغربي وأصدر الجزء الأول من ترتيب المدارك للقاضي عياض ، وقطعة صغيرة من كتاب العين للخليل .

وكان على أشد صلة وأقواها بالتراث الفكري في خزائن استانبول وكان منذ أيام الطلب ، في سنوات الإجازة « الليسانس » في القاهرة ، ينفق ماعنده كله ارتحالاً إليها وتصويراً منها وصلات بها ، ولذلك كان إليه رجوع أكثر المهتمين بهذا التراث والمنقبين عنه . ولذلك أيضاً أفاد المغرب من خبرته فوكل إليه بعض المهمات الوطنية التي تتصل بتاريخ المغرب ووثائقه .

وصدر للفقيد عدد من الكتب المحققة ، منها رحلة ابن خلدون ، ومنها أخلاق الوزيرين الذي صدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

وقد عمل في السنوات الطوال الأخيرة في استانبول وأنقرة أستاذاً لعلوم الثقافة الإسلامية في كلية الإلهيات ، فأتاح له ذلك إتقان التركية والتدريس بها .

وكان أكثر ما استبد بجهود المرحوم ابن تاويت عملان ضخمان : أحدهما تحقيقه لمقدمة ابن خلدون ، والآخر تحقيقه لكتاب الفهرست لابن النديم ، وذلك هو الذي اتجه به إلى هذا الانكباب على فروع الثقافة الإسلامية وممارسة علومها ومصطلحاتها ، لتحقيق المقدمة ، كما اضطره لهذا التواصل الدائب مع المخطوطات العربية لتحقيق الفهرست

والمجمع إذ يسأل الله للفقيد أطيب الرحمة ولآله أجمل العزاء ، يتمنى أن تتضافر الجهود في المغرب الشقيق على صيانة هذا العمل النادر الذي ينهض به في تحقيق هذين الأمرين الجليلين وعلى إخراجها للناس ضناً بالجهود أن تضيع ، ووفاء للفقيد الكريم والتراث العظيم .

رشـاد عبد المطلب

١٩١٧ - ١٩٧٥

نعى معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية أحد كبار موظفيه الأستاذ رشاد عبد المطلب أثر نوبة مفاجئة .

وقد رافق الأستاذ رشاد معهد المخطوطات منذ كان إنشاؤه ، وظل يعمل فيه على تتابع العهود ، يسافر مشاركاً في البعثات الكثيرة التي أوفدها المعهد إلى الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية ، ويقيم دائباً على إعداد قوائم فهارسه و « أفلامه » ، وتنظيم مصوراته والمشاركة في إصدار مجلته .

وقد تميزت حياة الأستاذ رشاد بأمرين : أحدهما معرفته العريضة بهذه المخطوطات وذاكرته القادرة على اختزان ما يتصل بها . وذلك الذي مكّن لعقد هذه الصلات بينه وبين جمهرة الباحثين والدارسين . فما أكثر الباحثين الذين كانوا يعودون إليه يستشيرونه ، وما أكثر ما قدم المدارسين من عون .

والأمر الآخر سلوكه الذي كانت تمازجه دماثة نادرة وخلق رضيّ . فقد كان هانىء النفس حريصاً على الوفاء بحق إخوانه ، لا يكاد يضارع في صورة إقباله عليهم واستقباله لهم .

ومن هنا ، من عمله المتواصل في المعهد ، ومن نهوضه بحق الذين يستشيرونه في المعهد ويزورونه ، ومن متابعته للتراث المخطوط والمطبوع ، واهتمامه بها وحرصه على إذاعتها ، لم يستطع الفقيد الكريم أن يتفرغ للعمل العلمي الشخصي ، وما أكثر ما كان ينوي في ذلك . ولهذا اقتصر ماخلّفه على مقالاته في مجلة معهد المخطوطات ومشاركته في صنع فهارسه وتحقيقه ونشره لكتاب ذيول العبر للذهبي والحسيني الذي صدر عن وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت .

وكان من آخر رحلاته العلمية أن لبّى دعوة الجامعات ومعاهد الاستشراق في الولايات المتحدة «١٩٦٤» وفي انكلترا «١٩٧٢» للمحاضرة عن المخطوطات والإفادة من معلوماته الغزيرة عنها .

والمجمع الذي عرف الفقيد من خلال عمله الطويل في المعهد ، ومن خلال ما كان يبذل من جهد لتزويده بالنادر من المصوّرات ، ما اتصل بما يطبعه أو ينوي طبعه أو يفيد في عمله ، يحتفظ له بأكرم الذكريات ويستمطر له أطيب الرحمات .

رحمه الله وأحسن إليه في آخرته وفي عقبه جزاء ماقدم من جهد ، وعوّض التراث والعاملين فيه خيراً .

تصويبات في مقال : نظرة في معجم المصطلحات الطبية

المنشور في هذا العدد

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٢٤٦	١٣	Percnssion	Percussion
٢٤٦	٢١	Dictianary	Dictionary
٢٤٨	١٩	الجهد الكهربائي	القياس
٢٤٨	٢٣	isoelectic	isometric
٢٤٨	٢٤	contraction	systole

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الجغرافية العملية والخرائط	الدكتور أحمد نجم الدين فليجة	الاسكندرية ١٩٦٩
ثورة الربيع	ضياء الدين الخاقاني	البصرة ١٩٧١
موازين الشعر العربي باستعمال الأرقام الثنائية	الدكتور محمد طارق الكاتب	البصرة ١٩٧١
الآثار الخطية في المكتبة القادرية (الجزء الأول)	عماد عبد السلام رؤوف	بغداد ١٩٧٤
الإطار النظري للجغرافية	الدكتور عبدالرزاق عباس حسين	〃 ١٩٧٠
الأكراد (دراسة جغرافية اثنوغرافية)	الدكتور شاكر خصباك	〃 ١٩٧٢
الألمانية للمبتدئين	الدكتور نوال سيد	〃 ١٩٧٢
تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير	الدكتور بدري محمد فهد	〃 ١٩٧٣
تولستوي فناناً	الدكتورة حياة شرارة	〃 ١٩٧١
خيري الهنداوي (حياته وديوان شعره)	الدكتور يوسف عز الدين	〃 ١٩٧٤
داود باشا ونهاية المماليك في العراق	〃 〃 〃	〃 ١٩٦٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى	ف.ف بارتولد.ترجمة عزيز حداد	بغداد	١٩٧٣
الدولة الحمدانية في الموصل وحلب (الجزء الثاني)	الدكتور فيصل السامر	«	١٩٧٣
ديوان عمرو بن قميئة	تحقيق خليل إبراهيم المطية	«	١٩٧٢
الشعر الجاهلي(خصائصه وفنونه)	الدكتور يحيى الجبوري	«	١٩٧٢
عبقري من البصرة	الدكتور مهدي المخزومي	«	١٩٧٢
العراق الشمالي	الدكتور شاكر خصباك	«	١٩٧٣
العيون والحدائق في أخبار الحقائق (الجزء الرابع ـ القسم الثاني)	تحقيق نبيلة عبد المنعم داود	«	١٩٧٣
كنز البخيل ـ التوأمان	بلاوتوس . ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم أبو زيد	«	١٩٦٩
المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع للهجرة	عبد اللطيف عبد الرحمن الراوي	«	١٩٧٤
المحاجاة بالمسائل النحوية	الدكتورة بهيجة باقر الحسيني	«	١٩٧٣
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (القسم الأول والثاني)	طه الباقر	«	١٩٥٥-١٩٥٦
ملحمة كلكامش	« «	«	١٩٧١
ملوك كندة من بني آكل المرار	جونار اولندر . ترجمة الدكتور عبد الجبار المطلبي	«	١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأسرة في الشرع الإسلامي	عمر فروخ	بيروت ١٩٧٤
حرب حزيران (الجبهة المصرية)	العميد الركن حسن مصطفى	« ١٩٧٣
« « (الجبهة الشرقية)	« « «	« ١٩٧٣
الخلافة الأموية	الدكتور عبد الأمير عبد حسين دكسن	« ١٩٧٣
ديوان الخريمي	حققه علي جواد الطاهر ـ محمد جبار المعيد	« ١٩٧١
شعر عبدة بن الطيب	جمعه الدكتور يحيى الجبوري	« ١٩٧١
العباسيون الأوائل (الجزء الثاني)	الدكتور فاروق عمر	« ١٩٧٣
العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨	حبيب قهوجي	« ١٩٧٢
لغة الأبراج الطينية	حميد سعيد	« ١٩٧٠
مروج الذهب (الجزء الخامس)	المسعودي	« ١٩٧٤
مناهج بلاغية	الدكتور أحمد مطلوب	« ١٩٧٣
الجديد في أدب الجريد	أحمد البختري	تونس
أساسيات تربية الحيوان	الدكتور محمد علي الصقال	حلب ١٩٧٢
تجارب مخبرية في الكيمياء العضوية	« صالح القادري	« ١٩٧٤
تمارين في الفيزيولوجية النباتية	« حمزة قاسم حمزة	« ١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف او الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الكيمياء العضوية لطلاب شهادة الكيمياء	الدكتور صالح القادري	حلب ١٩٧٤
علم الحيوان العام (قسم الدروس العملية)	الدكتور جمعة خليل إبراهيم	ـ ١٩٧٣
علم الحيوان العام	» » » »	ـ ١٩٧٤
العملي في أساسيات تربية الحيوان	الدكتور محمد علي الصقال	ـ ١٩٧٣
محاضرات في الفيزيولوجية النباتية	الدكتور حمزة قاسم حمزة	ـ ١٩٧٤
القبول في التعليم العالي	فرانك باولز . ترجمة هشام دياب	دمشق ١٩٧٤
مشاهير علماء نجد وغيرهم	عبد الرحمن آل الشيخ	الرياض ١٩٧٤
نشرة الإضافات الجديدة لمكتبات الجامعة	جامعة الرياض	ـ ١٩٧٤
القاموس العلمي (عربي ـ كردي)	كمال جلال غريب	السليمانية ١٩٧٤
في النحو العربي (نقد وتوجيه)	الدكتور مهدي المخزومي	صيدا ١٩٦٤
أعلام الجغرافية الحديثة	ج . ر . كرون . تعريب الدكتور شاكر خصباك	القاهرة ١٩٦٤
دليل الهيئات ومراكز البحث في مجال التربية والثقافة والعلوم في الوطن العربي	جامعة الدول العربية	ـ ١٩٧٤
المدخل في دراسة الجغرافية	الدكتور ج . م . موغي . تعريب الدكتور شاكر خصباك	القاهرة ١٩٦٤
الأدب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين	الدكتور عناد إسماعيل الكبيسي	النجف ١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف او الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
التعازي	علي المدائني	النجف	١٩٧٢
التكملة لوفيات النقلة (الجزء الثالث والرابع)	عبد العظيم المنذري	«	١٩٧١
دمية القصر وعصرة أهل العصر	الباخرزي تحقيق الدكتور سامي العاني	«	١٩٧١
شعر الطرد عند العرب	عبد القادر حسن أمين	«	١٩٧٢
شعر اليزيدين	جمعه وحققه الدكتور محسن غياض	«	١٩٧٣
لمحة عن الأكراد	تومابووا. ترجمة محمد شريف عثمان	«	١٩٧٣
مراجع تراجم الأدباء العرب (الجزء الخامس)	خلدون الوهابي	«	١٩٧٢
مروان بن أبي حفصة وشعره	قحطان التميمي	«	١٩٧٢

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخمسون

الصفحة

المقـــالات

التعريف والنقـــد

آراء وأنبـــاء





جمادى الآخرة ١٣٩٥ ه
تموز « يوليو » ١٩٧٥ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خواطر في اللغة

الأستاذ شفيق جبري

أقلّب النظر من حينٍ إلى آخر في معجمٍ من معجمات اللغة ، والمعجم الذي ألِفته من سنين طويلة إنما هو القاموس المحيط للفيروزابادي ، ولقد تخطر ببالي خواطر في خلال هذا التقليب فأدوّن بعضها ، من هذه الخواطر مروري بطائفةٍ من بقايا الفصاح أو بصورٍ لطيفةٍ قد بطل استعمالها في عصرنا هذا ، أو بكثرة المصادر وغلبة بعضها على بعض ، أو بتناقض المعاني في بعض مشتقّات مادّة من الموادّ ، أو بشقاوة بعض الألفاظ وسعادتها ، أو بموت بعض الألفـــاظ ، أو بغير ذلك من الأمور التي لا سبيل إلى إحصائها ، وإني لأسف الأسف كلّه على أني لست من علماء اللغة حتى أهتدي إلى الوقوف على أسرار اللغة وخصائصها ؛ وإذا عجزت عن مثل الوقوف فقد يرضيني أن أدوّن خواطري مكتفياً بالإعراب عنها من ناحية وبالإعراب عن عجزي في هذا المجال من ناحية ثانية .

من بقايا الفصاح مادّة تشيطن ، فالشيطان معروف ، وهو كلّ عاتٍ متمّردٍ من إنس أو جنّ أو دابّة ، وتشيطن فعل فعله ، فهذه المادّة فصيحة وقد بقي استعمالها في لغة العامّة حتى يومنا هذا ، وأكثر ما تطلق على الصبيان الصغار فإذا قالوا في صبّي : يتشيطن ، أرادوا بذلك أنه مثل الشيطان ، وقد اشتقّوا من هذه المادّة صورة لطيفة فقالوا : شيطان الفلا

وهم يريدون بذلك : العطش ، إلاّ أن هذه الصورة لم تبق بنا حاجة اليها في يومنا ، فالماء في الفلا عادةً قليل نادر ، فإذا كنّوا عن العطش بشيطان الفلا فالكناية في محلّها ، فكأنّ العطش في الفلا إنما هو عاتٍ ، متمرّدٌ مثل الشيطان . أمّا في عصرنا فالسفر في الفلا قليل ، وإذا لم يكن قليلًا فقد يكون بالسيّارات ، والمسافر يستطيع أن يقطع الفلوات الطويلة ومعه الماء في سيّارته ليشرب منه إذا عطش . وهكذا نجد أن بعض الصور الشعرية تبطل ببطلان الحاجة إلى استعمالها ، حتّى لو كانت هذه الصور طريفة .

وإذا انتقلنا من بقايا الفصاح ومن بعض الصور اللطيفة إلى كثرة المصادر وجدنا أن من مصادر قرأ : قَرْءاً وقراءة وقرآنا . فالقرء كاد يختفي في الاستعمال فنكاد لا نجد له أثراً في كتابتنا ، والقرآنُ غلب على كتاب الله عزّ وجلّ فهو التنزيل ، وقد جاء بمعنى القراءة في آية من محكمات الآيات : «فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه[1]» أي قراءته ، كما جاء في شعر رُثي به عثمان رضي الله تعالى عنه :

ضحّوا بأشمطَ عنوان السجود به يقطّع الليل تسبيحاً وقـــرآنا

إلاّ أن هذا الاستعمال قد انفرد به الذكر الحكيم ، فلا يقول أحدنا في هذا اليوم : فلان حسن القرآن ، أي القراءة ؛ على أنا إذا قلنا هذا القول فقد يزداد قولنا شرفاً لأنه مقتبس من كتاب الله . فلم يبق من مصادر قرأ الثلاثة مصدر مستعمل إلاّ القراءة .

وما دمنا نتكلم على مصادر قرأ فلا بأس بذكر مصادر كتب ، يقال : كتبه كَتْباً وكِتاباً ، هذا مادوّنه صاحب القاموس المحيط ، فالكَتْب قلّ استعماله حتى كاد يختفي كما قلّ استعمال القَرْء . بقي الكتاب ، وهو المصدر الثاني وقد غلب هذا المصدر على ما يكتب فيه ، على أنه قد جاء في كتاب الله تعالى بمعنى الفَرْض : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً[2] » كما

(١) القيامة ١٨/٧٥ (٢) النساء ١٠٢/٤

جاء بمعنى المكتوب على نحو ماذكره بعض المفسّرين : « وكلّ شيء أحصيناه كتاباً »(١) وقد استُعمل الكتاب بمعنى الكتابة في بعض العصور على نحو ما جاء في شعر المتنبي :

حتّى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم
فاكتب بنا أبداً بعدالكتاب به فإنّما نحن للأسياف كالخدم

أي بعد الكتابة به ، والضمير في به يرجع إلى السيف . أمّا اليوم فلا نجد من يقول : فلان حسن الكتاب أي الكتابة ، فهذا المصدر استقلّ في معناه وانفرد فأصبح له معنى خاصّ .

ومن هذا القبيل على ما نعتقد مادّة : الحياة ، فالحيوان والحياة في اللغة بمعنى واحد فهما نقيض الموت ، إلاّ أن الحياة انفردت بمعنى ولفظة الحيوان انفردت بمعنى آخر ، فلا نجد من يستعمل الحيوان بمعنى الحياة ، وقد وردت في التنزيل بمعنى الحياة ، ولا أذكر الآية الشريفة التي وردت فيها (٢) ، فالحيوان يطلق في المصطلح على جنس الحيّ ولا يرضى أحد أن يقال فيه إنه حيوان فهذه اللفظة غايةٌ في الذمّ ، وهكذا نجد أن اللفظتين : الحياة والحيوان ، قد انفردت كل واحدةٍ منها بمعنى خاص على الرغم من اشتراكها في الأصل في معنى واحد .

فالذي يتبيّن لنا أن تنازع البقاء يجري على المصادر فيخفي منها بعضها ، ويغلّب منها بعضاً على بعض ويجعل لأحدها معنى مستقلاً لايشاركه فيه أخوه . ولسنا نعلم هل بحث علماء اللغة في القديم عن السرّ في كثرة المصادر ، فهل نعرف ماهو السبب في أن لبعض الأفعال أكثر من مصدر ، فإذا لم يبحثوا هذا البحث فهل يرشدنا علماء اللغة في عصرنا إلى أسرار هذا الامر .

وإذا فرغنا من كثرة المصادر ومن غلبة بعضها على بعض فلننتقل إلى

(١) النبأ ٢٩/٧٨

(٢) الآية هي : « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » سورة العنكبوت ، الآية : ٦٤ «المجلة»

الكلام على تضادّ المعاني في مشتقات مادّة من الموادّ ، يقال : الهشم كسر الشيء اليابس أو الأجوف أو كسر العظام أو الرأس خاصّة أو الوجه أو الأنف أو كل شيء ، يقال : هشمه يهشمه بالكسر فهو مهشوم وهشيم ، كل هذا واضح لا إشكال فيه . ولكن الإشكال يأتي إذا علمنا أن معنى تهشّم فلاناً : أكرمه وعظّمه كهشّمه ، فما هي الصلة بين كسر الشيء اليابس وبين الإكرام والتعظيم ، أفلا نرى شيئاً من التناقض بين هذين المعنيين المشتقين من مادة واحدة وهي الهشم ؟ من هنا نرى حاجتنا إلى معجم يبيّن لنا تاريخ الألفاظ وميلادها أو موتها ، ويبيّن لنا ارتباط معاني هذه الألفاظ بعضها ببعض ، فنحن نمرّ بقولنا : تهشّم فلاناً أي أكرمه وعظّمه ولكنا لا نهتدي إلى سرّ هذا المعنى وأصله . وكيف كان الأمر فما نظن أن أحداً في هذا العصر يستعمل : تهشّم فلاناً بمعنى أكرمه وعظّمه ، وإنما نستغني عن هذه المادّة ونكتفي بقولنا : أكرمه وعظّمه .

والطريف بعد هذا كله انتقال بعض الألفاظ من سعادتها إلى شقاوتها ، فالعصابة في اللغة كالعصبة ، بالضم ، من الرجال والخيل والطير مابين العشرة إلى الأربعين . وقد وردت في شعر حسّان :

لله درّ عصابـــة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأوّل

إلاّ أن العصابة التي وردت في هذا الشعر كانت تطلق على ملوك غسّان ، وما أدرانا بمجالس أولئك الملوك ، فجبَلة بن الأيهم وهو آخر ملوكهم كان مجلسه ـ على نحو ما جاء في الأغاني ـ يضم خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط ، وخمساً يغنين غناء أهل الحيرة ، وكان يفد إليه من يغنيه من أهل العرب من أهل مكة وغيرها ، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضّة والذهب ، وأتي بالمسك الصحيح في صحاف الفضة ، وأوقد له العود المندّى إن كان شاتياً

وإن كان صائفاً بطّن بالثلج ، إلى آخر ما جاء في هذا الوصف ، مع حسن الوجه وحسن الحديث . . فعلى مثل هذه الطبقة أُطلقت العصابة في القديم . أمّا اليوم فإنها تطلق على جماعة من المجرمين والقتلة واللصوص وأصحاب السيرة المذمومة ، فإذا قلنا في عصرنا : قبضت الحكومة على العصابة فنحن نفهم أن هذه العصابة من الذين قتلوا أو سرقوا أو عاثوا في الأرض فساداً . على أن العصابات قد تطلق أيضاً على جماعة من الثوّار والمتمردين الذين يدافعون عن حقوق أوطانهم وليس من الضروري أن يكونوا من المجرمين ولكن الغالب على هذه اللفظة : العصابة أنها سعدت في عصر من العصور ثم شقيت في عصرٍ آخر . فما أغرب اللغة وما أعجب حياتها ؟ .

وأخيراً فلنشهد موت بعض الألفاظ ، يقال : تغضّفت علينا الدنيا : كثر خيرها وأقبلت ، فهل نجد أحداً في هذا العصر يستعمل : تغضّفت علينا الدنيا ، وهل السبب في ذلك ثقل هذه اللفظة أم غرابتها ؟. إن العصر الذي نعيش فيه إنما هو عصر السرعة ، فلا يتسع وقت أحدنا لفتح المعجمات والتفتيش عن معنى مادّة غريبة وإنما نميل إلى أسهل الألفاظ وأقربها من فهمنا ، فإذا قال أحدنا في هذا اليوم كثر خير الدنيا وأقبلت ، فهم الناس هذا القول من أيسر الطرق ، أمّا إذا قلنا : تغضّفت علينا الدنيا أشكل عليهم فهمُ هذه المادة ، فالعصر عصر الإيجاز في كل شيء ولا سيّما في الأدب . وإذا قابلنا بين الخطب في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وبين الخطب والرسائل التي حُبّرت في عصر اتساع مذاهب البيان كالرسائل التي جاءت على لسان صلاح الدين مثلاً في فتح بعض الأمصار عرفنا مبلغ البساطة في التعبير والإيجاز في البيان .

ما أكثر الخواطر التي تخطر بالبال في مطالعة معجمات اللغة !

« شفيق جبري »

الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة

المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

قَزْمَه : من التركية kazma ، من المصدر (قازمق kazmak = حَفَرَ) . اسم لأبسط أنواع آلات الحفر القديمة . الصغيرة من أنواعها تسمى باللهجة الشامية (حافورة) وتستعمل لبحث التراب في حديقة البيت .

قِشْلاق : بالتركية ، هي المشتى عامة . أما الثكنة العسكرية فهي (قيشلة أو قشلا kisla = البناء العظيم للجيش خاصة) .

قَلاوُظ : بالتركية بالحروف القديمة (قلاغوز وتلفظ قلاوز بالواو kulavuz) والمعنى الأصلي : دليل ، قائد / من تتوسط بين أهل الخاطب والمخطوبة في شأن الزواج . أما لمعنى دليل السفينة في المضائق البحرية فهو (ليمان قلاغوزى liman klavuzu) تخصيصاً بذكر (ليمان = المضيق) وباللهجة المصرية شاعت (قلاوظ) بحذف (ليمان) لكثرة الاستعمال في الشؤون البحرية . والمعاجم التركية لاتذكر لكلمة (قلاغوز) معنى لأنثى المسمار الملولب . فهو إطلاق خاص باللهجات العربية (بين الحدادين وبائعي الخُردة) استعارة من معنى التوسط الآنف الذكر على مايبدو . ولقد اشتقوا منها (قَلْوَظ ، مُقَلْوَظ) . وفي سورية تلفظ القاف ألفاً مفخمة (آلاووظ) .

قَنال : بالتركية عن الفرنسية canal وهذه عن اللاتنية canalis . في اللغة العربية (قناة) وتعني مجرى يحفر في باطن الأرض بين بئرين ج قنوات وقناً ، وقُنِيّ ، وقَنَيات . أفلا تكون اللاتينية مأخوذة عن العربية ؟

قِنْبِلَة : من التركية (kumbara محرفة عن الفارسية خُمْبَرَه ، بالخاء والراء) . ففي المعجم التركي أن (خمبره) فارسية معناها (گلّه ، بالكاف الفارسية) مجْوفة . و (گله) هذه تركية تطلق على مرمى المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس . أما (خمبره) فمركبة من (خُم ، خاء مضمومة) أي (حُقّ) دِنّ خمر / وباره = قطعة) . فالترك يلفظونها (قومبارا) ولا يزالون إلى يومنا هذا يطلقونها على (حُقّ) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (قرش مثلاً) ، يَجمع (يصمّد) فيه أولادهم مايأخذونه من آبائهم أو أقاربهم من النقود . والحُقّ الصغير هذا كرويّ يشبه القنبلة الصغيرة ويسمى باللهجات السورية (مطمورة) وفي الكتب المدرسية (حَصّالة النقود) .

وفي كتب التاريخ التركي تمر كلمة (خمبره) في سياق الوقائع الحربية ويلفظونها (هومبارا) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خمبره‌جي) أي ملقي القنابل أو صاحب القنابل . فإذا لفظوها (هومبارا) أرادوا بها القنبلة الحقيقية ، وإذا لفظوها (قومبارا) بالقاف أرادوا بها ذلك (الحُقّ) الصغير الذي يجمع فيه صغارهم النقود [مما كتبته بعنوان (حول القنبلة) في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٦ المجلد ٢١ ص ٢٨٧] .

قَوْرمَه : من التركية (قاوُرمه kavurma) مصدر تخفيفي من (قاوُرمق kavurmak = قلى) ، اسماً . تطلق الكلمة على اللحم المفروم والمقلي بدهنه يُحفظ في أوعية مناسبة من الزجاج (قطرميز) أو من (تَنَك) ليؤكل شتاءً ، خاصة . وباللهجة السورية تلفظ (آورِمه) بالألف المفخمة بدلاً من القاف .

قُوزي : من التركية (قوزي) وتلفظ (قوزو kuzu = خروف) . والعامة باللهجة الشامية تلفظه (اوزي) بالألف ، لطعام يصنع من لحم الخروف والأرز ، وهو (الخروف المحشي . kuzu dolmasi) .

(ك)

كارْ : من التركية عن الفارسية (كار) بمعنى صنعة ، مهنة ؛ عمل ؛ فائدة.

كَرْخانَة : بالتركية عن الفارسية (كار = عمل ، صنعة الخ / خانه = دار ، محل) تطلق الكلمة على (المصنع) في لبنان لمعمل الحرير (دود القز) وباللهجة الحلبية كانت تطلق على معمل نسيج خاص يعمل بأنوال قديمة . وقد حلّت كلمة (معمل / مصنع) مقابل هذه الكلمة التركية . أما بمعنى (الماخور / بيت الدعارة) فهو خاص باللهجة التركية ، وغير شائع في اللهجة السورية ألبتة .

كِرْباج : الأصل بالتركية (قرباج) بالقاف والجيم العربية . لكنهم يلفظونها بالجيم الفارسية المثلثة التحتية (kirbaç) ، لسوط مصنوع من الجلد (= مِقْرَعَة) .

گرْدان : من التركية محرفة عن الفارسية (كردن = العنق ، الجيد) . وبالتركية يلصقون بالكلمة وسمة (لِق ، بمعنى لأجـــل) gerdanlik وهو حلي للعنق ، للجيد : القلادة التي تتزين بها النساء

تعليقاً على أجيادهن . باللهجة السورية تسمى (بُخْنُق) محرفة عن (مِخنقة) الفصحى وهي القلادة الضيقة . [قلت : التِقْصار ، للقلادة القصيرة اللاصقة بالعنق . يقابلها المُرْسَلة ، للقلادة الطويلة التي تقع على الصدر] .

كيرِيكْ : تحريفاً من التركية (كُورَكْ kürek) ومعناها = مجرفة ، رفش / مجذاف) . تطلق باللهجة السورية على المجرفة خاصة .

كَسْتَنا : من التركية محرفة (كستانه kestane) عن اللاتينية castanea . باللهجة المصرية (أبو فروة) ، وباللهجة الحلبية (أبو فريوة) على على التصغير . وباللهجة الشامية (كَسْتَنَة) .

كِشْتِبان: محرفةٌ عن الفارسية (أنگشت ـ بان) : (أنگشت بضم الكاف الفارسية = اصبع / بان – اداة فاعِلة بمعنى حافظ ، واق) أي واقي الاصبع : لما يضعه الخيّاط (أو الخياطة) في اصبعة وقاية لها من وخز الإبرة حين دفعه لها فيما يخيطه .

كِشْك : بالتركية (كوشك بالواو kosk عن الفارسية ، لقصر ، أو بيت صغير يُعدُّ خاصة للاصطياف) . باللهجة الشامية ، يطلق على ذلك البناء الخشبي أو المعدني الصغير يقام على الأرصفة لأغراض شتى (كبيع أوراق اليانصيب ، وعلب الدخان ، والطوابع الخ) والعجيب أنهم جمعوه على (أكشاك) .

كَفْتَه : من التركية (كوفته kofte لطعام يصنع من اللحم المفروم ، بأشكال مختلفة) باللحم المفروم والصرف شيّاً ، مع البرغل ، مع الكمون الخ) بالحاق كلمة تدل على الشكل . أما باللهجة السورية واللبنانية فتطلق على اللحم المفروم المشوي منظوماً بالسفود .

وباللهجة الحلبية هو (الكباب) على خلاف المعنى التركي للكباب الدال على لحم منظوم بالسفود قُطيعات ويشوى ، وهو (التِكّة) باللهجة العراقية وهي فصحى .

كَبْشَه : محرفة عن التركية (كبچة kepçe) المحرفة هي نفسها عن (كفچه kefçe ، الفارسية) ومعناها (الكف الصغيرة) للأداة المستعملة لغرف الطعام (= المغرفة) . وباللهجة الشامية (كبجايه) بالجيم بدلاً من الشين وبزيادة (يه) . وباللهجة الحلبية (جمجايه) من التركية (جمجه Çemçe) محرفة عن (كپچه ، الفارسية) .

كَفْكير : من الفارسية (كف الفارسية = زَبَد / گير الفارسية أمر من مصدر گرفتَن = أخذَ ، قبضَ) ومعنى الكلمة قابضة الزَّبدَ . تطلق على أداة المطبخ التي تشبه الكف ، ذات ثقوب ، والتي تؤخذ بها الشوائب (زَبَد وسواه) من المقلاة . ولا أعلم لها كلمة خاصة بالتركية. وقديقال (دليكلى كپچه delikli kepçe) أي كبجايه مثقبة : ذات ثقوب .

كمَر : من التركية عن الفارسية (kemer) . باللهجة السورية واللبنانية يطلق على الحزام الذي يتمنطق به . أما المعنى الثاني (حديدة السقف) أو بمعنى جسر السقف أو طوق الشباك الخ تشبيهاً مجازاً فلعله خاص بغير اللهجتين المذكورتين .

كنَار : من التركية عن الفارسية (kenar) ومعناها الأصلي : نهاية الشيء ؛ منتهاه . ومن هنا كان استعمال الكلمة في التركية للأطراف النهائية من كل شيء إطلاقاً فإذا أريد التخصيص أضيفت الكلمة المناسبة للغرض . فيقال مثلاً (كنار الثوب ، كنار الشرشف الخ) بمعنى حافة ، (حاشية) الثوب أو الشرشف .

كُنْدُورَة: من التركية (قوندوره ، وتلفظ kundura للحذاء المعروف) . باللهجة الشامية (كِنْدرَه) . أما باللهجة الحلبية فتلفظ (قِنْدِرة) بالقاف الحلبية (= ألف مفخَّمة).

كَهْنَة : من التركية عن الفارسية (كُهنه kohne ـ كُهن kohen) تطلق على الشيء العتيق البالي .

كوبْري : في الأصل التركي (kopru) الباء المثلثة التحتية لما هو (الجسر) بالفصحى ، وباللهجة المصرية جمعت على (كباري) . أما باللهجة السورية فلا تستعمل سوى الفصحى حتى في العهد العثماني السابق (الجسر).

لِغيـــم : من التركية . فبالحروف القديمة (لَغْم بفتح فسكون) . وبالحروف الجديدة lagim بتحريك الغين حسب لفظها المتطور . ويظن أن أصلها من اليونانية (lacoma بمعنى مجرى تحت الأرض) للمياه القذرة وهو (الكَهْرِيس المعرَّبة عن الفارسية كاريز) . وغلب استعمال (اللغم) باللهجات العربية بالمعنى التركي الثاني الذي هو مكان أو وعاء مملوء بمواد متفجرة للاستعمال في الحروب أو في المناجم والحفريات لأجل التخريب والتدمير ، أو الهدم . وجمعوها (ألغام).

لَكَن : بالتركية عن الفارسية (لَگَن بالكاف الفارسية legen) بإشمام الكاف الفارسية ياءً (leyen) بالتركية . وتطلق عندهم على وعاء معدني كالطست (أو الطشت بمعنى) للغسيل ، وباللهجة السورية كذلك . أما إطلاقها على المقلاة فهو خاص بريف مصر كما يقول الأستاذ عبد الرحيم .

لُوكانْدَه : بالتركية (لوقنطه lokanta ، من الليتالية بمعنيين : المطعم ، والنُزُل) . فباللهجة اللبنانية = فندق ، نُزُل . أما باللهجة الحلبية . فبمعنى = المطعم مثلما هي بالتركية تماماً . وباللهجة اللاذقية هي (أوتيل hôtel . من الفرنسية).

(م)

ماسُورَة : بالتركية (masura) عن الفارسية (ماشورة وماسورة ، بالسين والشين المعجمة) ، بمعنى مغزل مصنوع من عقدة من القصب ، الذي يلف عليه خيط للنَّسْج . وبالتركية زيادة عن هذا المعنى تطلق على حنفية القسطل ، والأنابيب التي يجري فيها الماء ، وعلى وحدةٍ لمقدار الماء المستهلك . وفي اللهجات السورية : تطلق على أنابيب المياه (والشائع عنها : حنّيات الماء ، بدمشق) . وتخصيصاً لانبوبة التدخين في اللهجة اللبنانية كما يقول الأستاذ عبد الرحيم .

ماشَه : بالتركية (masa) للآلة المعدنية التي تلقط بها النار . والمعاجم التركية لاتذكر أنها من الفارسية مما يدل على أنها تركية النّجار (وهي الملقط بالفصحى) .

ماهِيّه : من الفارسية من (ماه = الشهر ، القمر) ففي مصر والسودان أضيف إليها ياء النسبة ، كما يظن الأستاذ عبد الرحيم فجمعوها على (مهايا ، ومواه) . وبرأيي أنها محرفة عن كلمة فارسية بمعنى الراتب ، المشاهرة وهي (ماهيانه = المعاش / الراتب الشهري) . والأتراك يقولون آيلق aylik للمعاش الشهري . من (آي ay = شهر / لق lik أداة تخصيص) .

مَزَه : بالتركية (meze بالزاي) من الفارسية (مَزَه) بمعنى لذة الطعام فيقال (بي مزه = عديم اللذة ، بلا طعم / وخوش مزه = طعم لذيذ) . وأكثر ماتستعمل هذه الكلمة بمعنى (النُّقْل) الذي يتعلل به مع المشروبات الروحية . في اللهجة المصرية واللبنانية كلمة (ماظة) بالظاء بهذا المعنى أي النُّقْل محرفة عن

(المُاظة) الفصحى للمعنى نفسه وهي بالفرنسية amuse - bouche (المهيِّئة الفم) اصطلاحاً سمعتُها من بعض الزملاء ، وبالفرنسية الفصحى تسمى (Hors - d'oeuvre) .

مَسْطُول: في التركية (مسطور ، من السطر أي ماسُطِّر) ولاذكر لها عندهم بمعنى (السكران) ألبتة . وبرأيي هي من (مست) الفارسية أي (سكران) وجملتها اللهجة العربية وزان مفعول (مستول = سكران) وبالإبدال صارت (مسطول) . أم هل هي (نحتاً) من (مست على طول ؟ !) . وهنالك كلمة عربية (الميسْطار) وهي الخمر الصارعة لشاربها . فالمسطور - عاميّاً - هو (المخمور) وبالابدال صار (مسطول) أي (مخمور مصروع) .

مَكوَجي: باللهجة المصرية ، من (مكواة) العربية و (جي ، التركية) اصطلاح خاص لمن يقوم بتنظيف الثياب وكيّها . أما باللهجة السورية فهو (كَوَّى) . وباللهجة العراقية هو (اوتيجي) من (اوتو utu) التركية بمعنى (كيّ) و (جي) التركية ، أي من يقوم بتنظيف الثياب وكيّها بالمكواة .

(ن)

نِشان،نيشان: بالتركية (Nisau) عن الفارسية (نيشان) والمعنى الأصلي: (علامة ، أثر) . ومن معانيها : هدف / وسام/ ندبة الجرح أو أثره أو علامته . ومنها اشتقت اللهجة العربية (نَيشَنَة) بمعنى تنفيذ حكم إعدام رمياً بالرصاص (عسكرياً) كأن المحكوم هدف للرماية . ومن معانيها الخاصة عند الترك : الخطوبة ، إذ

يقدّم الخاطب خاتماً أو سواه من الحلي الثمينة هديةً علامة موافقته على من وقع الاختيار عليها لتكون زوجته بعد إتمام العقد الشرعي .

نِشَانْكاه : بالتركية عن الفارسية ، بمعنى مكان الرماية ؛ جهاز في الأسلحة النارية لتسديد البصر من أجل الرمي (وقلت لعلها الشعيرة أو القمحة).

(و)

وابُور : بالتركية (وابور vapur) من الفرنسية (vapeur) للآلة البخارية وبخاصة للمركب البخاري (= الباخرة) . باللهجة السورية هي (بابور) بالباء . و (بَبُّور) للموقد البترولي المسمى (بريموس primus) .

(ي)

ياقَه : بالتركية yaka (كلمة تركية النّجار) . ببعض اللهجات العربية تلفظ القاف ألفاً مفخمة (يا آ) بالفصحى هي (البنيقة) .

يَخْني : بالتركية yahni بالهاء كما هي عادتهم في لفظ الحروف الحلقية. عن الفارسية (يخني ومعناها الأصلي : مايدخر لأجل الأطعمة من حبوب وبقول . ومن معانيها : طعام مطبوخ ، طبيخ على الإطلاق ، وطبيخ من لحم مع البصل خاصةً) أما إطلاقها على نوع من (الشوربة) فهو في بعض اللهجات العربية على مايبدو .

يـكي : بالتركية القديمة (ايكي iki ألف بعدها ياء) . ومعناها اثنان . باللهجة السورية في لعبة النرد (الطاولة) تلفظ (إيكي) كما يلفظها الترك تماماً فيقولون (ايكي - بير) إذا كان أحد الزهرين علي الاثنين والآخر علي الواحد لأن (بر pir = ١) .

يَمْخانَه : إنها تلفظ (يمه خانه) بتحريك الميم وبحذف الكاف من (يمكخانه) باللهجة المصرية ، محرفة عن (يَمَك خانه) لأن (يمك yemek) بالتركية هو الطعام اسماً ومصدراً . هذه الكلمة كانت شائعة في المدارس التركية الليلية التي كان فيها طلاب ليليون = داخليون . وقد اختفت هذه الكلمة من ألسنة العامة في سورية وحلت محلها ، الفصحى : المَطعَم .

يَفْطَه : بالتركية (يافته yafta) بالتاء ، قلبت طاء باللهجة المصرية. وكنتُ قد عربتها (يَفْتج) بحيث يسهل الاشتقاق منها (يفتجَ ، يفتجة ، ميفتَج الخ) .

يُوزْباشي : بالتركية (يوز = مئة / باشي = رئيس) بمعنى ضابط أو قائد المئة . ولم يعد لها استعمال في اللهجة السورية .

— للبحث صلة —

محمد صلاح الدين الكواكبي

دمشق في دواوين أعلام من الشعراء (١)

دمشق في ديوان الأثري

الدكتور عدنان الخطيب

الشاعر وديوانه

إن قوارير الطيب إنما تغلو بقدر ما فيها من عطر ، والعطر يغلو مع ندرة الزهر الذي استخلص منـه ، أفرأيت إلى قارورة **من ذهب خالص مُلئت بأغلى العطور** ؟

بين يديّ الآن ما هو أثمن من أي قارورة طيب ، إنه ديوان صدر حديثاً ، تقرأ فيه شعراً بلغة سليمة مشرقة ، شعراً متألق القسمات ، فتان الرؤى ، يتيه بأبراد موشاة بأروع الصور ، تحسُّ معها صنعة من يتذوق الجمال ، ويحسن اختيـار الألفاظ ، وتشمُّ وأنت تقرؤه شذى الريحـان وعبق النرجس وأريج الياسمين .

إنه ديوان جديد ، ديوان شعر يعربي السمات ، في نشـره فخر للعربية أي فخر ، وهو لعشاقها خمر ، وأية خمر تسكر بلا غول ولا إثم ،

هذا هو ديوان «**ملاحم ... وأزهار**» لشاعر بغداد الكبير وذخر العربية الجليل الأستاذ **محمد بهجت الأثري**[١] .

لقد امتاز شعر الأثري بصفات بوّأته المكانة الرفيعة التي يحتلها اليوم بين شعراء العربية ، وهو الذي أغنى الأدباء والنقاد بشعره عن تعريف الشعر وبيان حقيقته ، فحدّد بنفسه معالمه ووصف سماته وعدّد بواعثه ، مشيداً بالنبيل من غاياته ومقاصده ، فاستهل ديوانه بقصيدة من عيون الشعر خطّها بيده ، سلمت يده ، وقال في مطلعها [٢] :

الشِّعرُ ... ما روّى النُّفوسَ معينُه ... وجرت برقراق الشُّعور عيونُهُ
وصفَتْ كلألاءِ الضياء حروفُه ... وزهت بوُضّاءِ البيان متونُهُ
متألّقَ القسماتِ ، فتّان الرُّؤى ... يزهو صبا الفصحى الطّريرَ رصينُه
حرٌّ المذاهب ... لا يشوب أصولَه ... كدَرٌ ، ولا واهي اللغاتِ يشينُهُ
ابن الحقيقة والحقيقةُ نهجُهُ ... والصدق في أرَب الحياة خدينُهُ
تجري على سَنَن الجلال خلالُه ... ويرود أوضاحَ الجمال يقينُهُ
غردٌ .. كصدّاح الكنار ، مُساوِقٌ ... نغمَ الطبيعة ، راقصٌ موزونُهُ

ويمضي الشاعر في تحديد أوصاف الشعر الأصيل ، ثم يتساءل في ختام قصيدته قائلاً :

---

(١) ظهر الديوان في أواخر عام ١٩٧٤ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهو من منشورات وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية بتوصية من لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وقد كتب مقدمة رائعة له رئيس اللجنة شاعر مصر الكبير وفقيد العربية الأستاذ عزيز أباظة .

(٢) القصيدة في ثمانية وثلاثين بيتاً ، وهي مثبتة أيضاً بدءاً من الصفحة ٢٦٣ من الديوان .

أين الجديدُ البكرُ . . ليس بظالع مشياً ، وليس بناصلٍ تلوينُه ؟
الواثبُ الرَّوحِ ، الأصيلُ شعورُه وخيالُه ، ونُزوعُه ، ويقينُهُ
تمتصّ من نبع البيان عروقُهُ ويجلّه إيقاعُهُ ، وتَزينُهُ
زاه بأبكار التخيّل ثوبُهُ لا غورُه تتناشُه ، أو عونُهُ
يَستنّ سحرُ الحسن في أعطافه ويتيهُ منه رقيقُه ومتينُهُ
وكأنّما سُقِيَ الرّحيقَ مُمَثّلاً فتوردّتْ وجناتُهُ وعيونُهُ

إن شعر الأثري متعدد الأغراض متنوع المقاصد ، وديوانه « ملاحم.. وأزهار » سجل حافل بمختلف المقاصد والأغراض ، فمن شعر **النضال والجهاد** إلى شعر **الفخر والتغني بالمجد التليد** ، إلى **وصف الطبيعة ورسم الظلال** ، ومن شعر **الغزل** ووصف مختلف النوازع إلى **الرثاء وبكاء الأحباب**.

وما أنس لا أنس يوماً من أيام عام ١٩٤١ ، وقفت فيه في بغداد مع فتية أعدوا أنفسهم للاشتراك في حرب التحرير العراقية ، نستمع إلى الشاعر الأثري يخاطب العراق ، بصوت حمله الأثير إلى سمع الملايين في مختلف أرجاء الوطن العربي ، قائلاً من قصيدة طويلة (١) :

عمزوا إباءكَ ، فاضطرمت أباءَ وحشدت جوّك ، والثّرى والماءَا (٢)
راموك الذّلّ المقيم ، وقد مضى دهرٌ تسامُ به الشعوبُ سِباءَا

ثم عرّض الشاعر بالإنكليز ، الذين غلبوا على أعصابهم بسبب من هزائم جيوشهم أمام الجيوش الألمانية ، فقال :

يا ويحهمْ ! غُلبوا على أعصابهم فتحرّشوا بك سكرةً وغباءَا

ثم أشار إلى الجيش العراقي ، وإلى الجماهير التي تدفقت لتحيته ، قائلاً :

---

(١) القصيدة في ٤٦ بيتاً ومنشورة بدءاً من الصفحة ٨٤ من الديوان .
(٢) الأباء : بفتح أوله : القصب وهو سريع الاحتراق .

أنظرْ إلى الأبطال كيف تواثبت ... وإلى الثنايا كيف تُحْنَ وِضاءَا
وإلى الحميّة كيف أجَّ لهيبُها ... وسرت كألسنة اللّظى حمراءَا
وإلى الجموع الهاتفات . كأنها ... تستقبل الأعراسَ والنّعماءَا

وختم الشاعر قصيدته قائلاً :

يا ساعةَ التّحرير ! عُرسُكِ قد أتى ... إنّ البشائرَ تُحْنَ والبشراءَا
سقياً ليومكِ في الزّمان ، فإنّه ... عن ليلة القدر الرّجيّة ضاءَا

وخرجت بغداد يومئذٍ عن بكرة أبيها تلبي نداء الجهاد ، حتى إذا ما جرت الرياح بغير ما تشتهي السفن ، كان الشاعر الأثري في جملة من اعتقل ، وحمل إلى المنفى جزاء ما جرى على لسانه من دعوة إلى استخلاص حق مهدور وثورة على باطل قائم .

ولم يستكن الشاعر الحرّ ولم يهن ، بل رحب بالنفي وأخذ يهتف من أعماق سجنه في « الفاو[1] » للحرية التي ينشدها قومه بروائع من الشعر الخالد . وفي قصيدة منها يقول[2] :

مُبلِغي نفيي إلى « الفاوِ » الشطيرِ ... مرحباً بالنَّفْيِ والسِّجنِ الضريرِ [3]
مطمحُ الثّائرِ آفاقُ السَّما ... وكذا مطمحُ رُوّادِ النسورِ
أتراه ، إنْ هوَى ، يُضرِعُهُ ... نبأ السجن وإيغالِ المسيرِ ؟

ثم يشير الشاعر إلى ما صنعه فكان جزاؤه النفي ، معتزاً بما قدّم شامخاً بأنفه لصدقه وإبائه قائلاً :

---

(١) الفاو : بلدة في أقصى الجنوب من العراق .

(٢) القصيدة تبلغ ٣٥ بيتاً وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٣ من الديوان .

(٣) وصف للسجن الذي سدت نوافذه .

كان شعري في مآسي أمتي عن أماني رسولي وسفيري
بين أيديها تغنّى ، ومشى بالمنسم الجرحى ومسلاة الصدور
صادح .. تُذكي أغانيه المُنى ، أو تثير الشوق في القلب الكسير
صدق الأمّة ، إذ غنّى لها رائد الأمة ذو صدق وخير
لم يزغ عنها ، ولم يكذب ، ولا سار في موكب مُثرٍ أو أمير

ثم يصيح الشاعر بسجانيه متوعداً :

لا أرى ثورتنا أبعد من قاب قوسين ، وتأتي بالثبور !

وفي قصيدة أخرى هتف بها للعزة الوطنية من أعماق السجن فقال(١):

ألا في سبيل الله والوطن الغالي بعادي عن داري وعرسي وأطفالي
عصافير .. لا ساعٍ يروح عليهم سواي ، ولا راعٍ يحوط ، ولا والِ

ثم يستدرك الشاعر قائلاً :

ولكنّ أوطاناً، نعمت بخيرها ، سأوثرها حتى على النفس والآل
إذا ورّث الآباء أبناءهم غنى فإنّي قد أغنيت بالمجد أنسالي

* * *

وإذا كان شعر الأثري يمتاز بجزالة اللفظ ومتانة الصياغة ، فإن من أهم ميزاته توافر « الغنائية » فيه ، فهو مطبوع بها وبجمال الصور ، وببراعة انتقاء الألفاظ مع عذوبة جرسها ، وكيف لا تكون « الغنائية » طابعاً لشعر الأثري ، وهو القائل في أحلك ليالي محنته من قصيدة عنوانها « سأغنيّ .. وأغنيّ »(٢) :

(١) تبلغ أبيات هذه القصيدة الثانين ، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ٩٧ من الديوان .

(٢) القصيدة في ٢١ بيتاً ، وهي منشورة بدءاً من الصفحة ١١٤ من الديوان .

دولةٌ ضـاقتْ بفرد ، واتّقتْـهُ بمجنٍّ ؟
أحرامٌ أن يطير الـطّيرُ من غصنٍ لغصن ؟
عجباً .. والرّوض روضي زاهياً ، والوَكن وَكني
أنا للحرية ِ ـ الدّهـرَ ـ أغنّي ما أغنّي
ما لهم قد نقَموا منّـيَ تغريدي ولحـني ؟
وابتغوا ذليّ وإسـكا تي بنفـيي وبسَجْني
سأغنّي .. كلما يُنْـكأ جرحي ، وأغنّي
ليس بالحُرّ الذي يجـزَع ، أو يبكي لغبن

* * *

دمشق في الديوان

الشاعر في ديوانه واضح الاتجاه في الدعوة إلى التمسك بمبادىء الإسلام، **شديد الاعتزاز بقومه والفخر بعروبته** ، تراه في الكثير من شعره يتغنّى بمحبة الأوطان ويشيد بوحدة الأقطـار العربية ، وهو يستحثّ قومه على النضال في سبيل إنقاذ بيت المقدس واسترداد فلسطين .

ويبرز ، في زحمة الأغراض التي نظم فيها الشاعر **وجه دمشق مشرقاً متلألئاً** ، إذ ينزلها من نفسه منزلة خاصة ، يتغنّى بمفاتنها ويشيد بأبنائها وقد أصفوه الود ، ومنحوه من حبهم وإجلالهم .

أتيحت للشاعر فرصة زيارة دمشق للمرة الأولى ، وهو في عنفوان شبابه لم يجاوز العشرين إلا قليلاً ، كان ذلك في صيف سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) ، وكان اسم الأثري قد سبقه إليها بفضل علمه وأدبه **وماقدمه به أستاذه علامة العراق الكبير محمود شكري الألوسي** أحد أعضاء المجمع

العلمي العربي القدامى ، فلقي الشاعر الشاب من رئيس المجمع ومن أعضائه والشباب من أدباء دمشق الحب والتقدير .

كانت دمشق يومئذ حفيـة **بأمير الشعراء أحمد شوقي** ، فهيىء الأثري أن يكون في عـداد المدعوين إلى حفلات التكريم ، فإذا به يلفت بأدبه وحسن روايته قلب أمير الشعراء ، فقرَّبه منه وجعله موضع رعايته ، ممـا ترك أعظم الأثر في نفسه ، حتّى إذا كانت سنة ١٩٣٢ نعي أحمد شوقي ، فجاشت الذكريات في نفس الأثري **وذكر دمشق لأول مرة في شعره المنشور** ، فقال من قصيدة يرثي بهاأمير الشعراء (١) :

وكلُّ قريض غير ما أنتَ قائلٌ ... أحِسّ كأني منه في السَّبَرات
وما نقموا إلاّ غِناءَك بالهـدى ... حثيثاً ، وإلاّ هدمَك الشُبُهات
وبعثك أمجادَ العروبة في ثرى ... (دمشقَ) وفي(الحمراءِ)مؤتلقات
رَزَأْت حَصَاةً، فاعتدلت مقالةً ، ... وأنصفت مجداً جلّ عن غمَزات

ثم ذكر اجتماعه به على ضفاف بردى وما خلفـه في نفسه من أثر طيب فقال :

إلا لستُ أنسى منك مجلسَ حكمة ... على (بردَى) قد مرَّ مذ سنوات
أخذَت هوى نفسي ببشرِك طافحاً ... وآنستني باللّطفِ والبسـمات
ومنَّيتُ نفسي بعـدَه بالتِقـاءَة ... تروّي جَناني أو تبُلُّ لهـاتي
ولكن أبتْ أيامنا غير ما ترى : ... فراقَ حبيبٍ ، وانطفاءَ حيـاةِ !

وفي آذار سنة ١٩٣٦ زار وفد من النواب العراقيين مصر ، فأقام السوريون المقيمون في القاهرة حفل تكريم احتفـاءً بهم ، أنشد الأثري

(١) القصيدة طويلة في ٧٨ بيتاً ومنشورة بدءاً من الصفحة ٢٤٩ من الديوان .

فيه قصيدة أشاد فيها بالوحدة التي كانت الأمل الذي يدغدغ النخبة من مفكري العرب في مختلف أصقاعهم ، قال فيها (١) :

شهد الله . لم تكن « مصرُ » إلا بنت « عدنان » دارةً وقبيلا
اسأل الضادَ .. من رعاها حقوقا ؟ واسألِ الذكر .. من سقاه أصولا
لست في نداء « بغداد » روحاً يعربيّـاً فأوسعته قبولا
تلك « بغداد » في ذَراها و « نجد » وبلاد « الشّآم » عرضاً وطولا
إن ما كان أمسِ حلما تجلّى واقعياً ، وصدّق التأميلا
يكذبُ المرجفون . . ماثمّ إلا أمّةٌ ، وُحّدتْ هَوىً وسبيلا

ومرّ وفد النواب العراقيين ، العائد إلى بغداد ، بدمشق وكانت في محنة من المحن التي انتابتها خلال الاحتـلال الفرنسي ، فوقف الشاعر في حفل تكريم أقيم للوفد ينشد الأبيات التالية (٢) :

أفَقنا على صوتٍ يَروع مجلجل فقلنا : دمشقُ الشام في القيد تزأرُ
يحزّ بساقيها الحديدُ ، ومالَه إذا هي َلم تغضب على القيد ،مكسِرُ

ونسب الشاعر دمشق إلى معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية في الشام وتساءل قائلاً :

معاويّةٌ .. لم تعرف الذلّ ساعةً فكيف على الذلّ المطاوِل تصبر ؟
أسيّدةٌ يستامها العِلج مركبا من الذلّ ؟ هذا الحادث المُتنكّر !

(١) القصيدة في ٤٣ بيتاً منشورة بدءاً من الصفحة ١٨٦ من الديوان تحت عنوان « أمة وحدت هوى وسبيلا » .

(٢) القصيدة في الصفحة ١٩٠ من الديوان .

ثم أشار الشاعر إلى جنات دمشق ينعم بها المستعمر المحتل وأهلها بين منفي ومشرد فقال :

بنفسيَ من جنّات عَدْنٍ خمائلاً على «بردى» من نعمة الحُسن تُزهر
أيطرُقُها من مارد الإنس عابثٌ ويغمُرها من مائر النّقع أكدر ؟
وداغِلُها في كلّ روضٍ مُنَعَّمٌ وآهلُها في كل منفىً مُعَفَّر

وختم الشاعر قصيدته بحثّ العرب في مختلف أقطارهم على الاتحاد والتمسك بمبادىء الإسلام قائلاً :

لعمرُ العلى لن يبلغَ «العربُ» العلى وهم فِرقٌ شتّى وشملٌ مدمّر
ألا فاسلكوها وحدةً عربيّة لهامن هُدى الإسلام روحٌ ومظهر

* * *

وليس من عجب في أن نرى الشاعر ، الذي أحب دمشق وأهلها وافتتن بطبيعتها وجمالها وغرد مع بلابلها وغنى مع خرير مياهها ، يسجل لهذه المدينة صنيعها ، يوم زحفت لتودع ياسين الهاشمي ابن بغداد ، وقد ضنت حكومتها على ثراها أن يضم رفاته ، فحنت عليها دمشق ، وكرمت جهاده في سبيل العروبة والوحدة العربية ، وجعلت مثواه في أكرم بقعة منها إلى جانب بطل الإسلام منقذ القدس صلاح الدين الأيوبي . قال الشاعر (١) :

---

(١) من قصيدة طويلة عنوانها « ملحمة الانقلاب الشعوبي » أنشدها في احتفال كبير مشهود ، أقامه الساسة المخلصون ببغداد في سنة ١٩٣٧ ، بعد أن دال الحكم الشعوبي الذي دهم العراق في أواخر عام ١٩٣٦ ، وشاركت فيه — إلى جانب ساسة العراق وخطبائه الوطنيين . وفود رسمية وشعبية من الأقطار العربية ، بينها نفر من أعيان الخطباء وكبار الشعراء . والقصيدة في ١٢١ بيت ، وقد نشرت في الديوان بدءاً من الصفحة ٧٣ .

بات « العراقُ » على شجوٍ يكابدُه رهنَ السلاسل، يشكو ليلَ محيارِ
وباتتِ «الشامُ» في أوجاعِ مكتئبٍ يمشي بها الحُزن في سهلٍ وأوعارِ
شجا « بني عبدِ شمسٍ » أن مضى قمرٌ من « هاشم » لم يخنه كسفُ أنوارِ
كأنَّ «مروانَ» خلفَ النعش منجزعٍ أصيب في ملكه الغالي بمُنهارِ
من حوله زمرُ الأملاك في حشدٍ كأنما هي في تشييع « عمّارِ »
في موكبٍ يحسِرُ الأبصارَ مائجُه تخالُه طافياً في دمعه الجاري
كلُّ البلادِ مناحاتٌ وأرديةٌ سودٌ على أبيض الأثواب معطارِ
ملهوفةٌ، تتوافى للعزاء به قوافلاً بين وُرّادٍ وصُدّارِ

* * *

لئن حُرِمتَ ثرى « بغدادَ » تنزلُه وما كمثل ثراها طيبَ أبشارِ
لقد نزلت ثرى أهلٍ ذوي رحمٍ، كَرْفرف الخُلد.. لم يدنسْ بأوضارِ
زاكٍ ثوى السُّمحاءُ الطاهرون به من كلّ خيِّرِ قومٍ وابنِ أخيارِ
من نازليهِ «صلاحُ الدين».. أيُّ فتىً صانَ الحِمَى من صليبيين خَتّارِ
جاورتَهُ، فتباهَى أنْ غدوتَ له جاراً، ويفرحُ مِسعارٌ بمسعارِ (١)
جاران.. فاخرتِ «الشامُ» السماءَ بأنْ باتا بها قمرَيْ سارِينَ نُظّارِ
يُستهديانِ إلى سُبْل العلى أبداً، فيهديانِ، وما هادٍ كغرّارِ
يُريد للخيّرينَ الأرذلونَ أذىً، ويُكرمُ الخيّرينَ الخالقُ الباري

* * *

تعددت زيارات الشاعر لدمشق يقضي فيها فصل الصيف، يتمتع بهوائها العليل وبمناظرها الخلابة متنقلاً بين رياضها ومنتزهاتها محاطاً بنخبة

(١) مسعار: شجاع يسعر الحرب دفاعاً عن قومه.

من أبنائها المقدرين لفضله وأدبه ، حتى إذا كان صيف سنة ١٩٣٩ أقام الأستاذ الرئيس محمد كرد علي حفل تكريم للشاعر ، **وكان المجمع العلمي العربي قد انتخبه عضواً فيه** ، وفي هذا الاحتفال أنشد رائعته في « دمشق » (١) :

مَنْ عذيرٌ من الهوى ومُجيرُ ؟ فضحَ الشوقُ ما أجنَّ الضميرُ
أنا في قبضة الجمال . . فخَودٌ تستبيني ، وروضةٌ ، وغديرُ

وبعد هذا الاستهلال الرائع الذي غلب الشاعر فيه شوقه إلى دمشق وبواعث حبه لها ، أخذ يصف مفاتن الطبيعة فيها والجمال الآسر قائلاً :

هذه « جِلِّقٌ » .. تبارك ربّي ! بـلدٌ طيّبٌ ، وربٌّ غفورُ
الهوى ، والهواء ، والجدول الرَّقـ راقُ ، والروضُ ، والسنا ، والحورُ
حيثما تغتدي ، فروضٌ أريضٌ عنبريُّ الشذا ، وماءٌ نميرُ
وظلالٌ ممدودة وهي تندى وشعاعٌ يرفُّ وهوَ منيرُ
من سنَا الشمس فوقها ومن الزهـ ـر . دنانيرُ عسجدٍ ، وعبيرُ

ويبدع الشاعر في وصف جو دمشق وما تورثه في نفوس عشاقها قائلاً :

يُقْتَلُ القيظُ في ذَراها . ولكنْ في ذَراها يحيا الهوى ويسورُ
جئت آوي من الحَرُور إليها فإذا في الحشا يَشِبُّ الحَرورُ
أنا . . منها ، ومن مَهاها اللواتي يَتقتَّلْنَ رقَّةً ، مسحورُ
كلُّ بيضاءَ في لواحظَ سُودٍ رَفَّ في خدها الدمُ المستجيرُ
في قوامٍ لدنٍ المجسَّةِ ريَّا نَ ، وخصرٍ من الضنى يستجيرُ
وصباً ناضرِ الشباب . . غذاه ترفُ العيش ، والنعيمُ الوثيرُ

---

(١) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ٣٢٤ .

وأديمٍ مُنَمْنَمٍ في جَبين ... يومُ المين ماؤه والحَبيرُ
لَمَعا.. كالسَّراب شفَّ، فلم تَدْ ... رِ أماءٌ لألاؤه أم نور ؟
تنفثُ السِّحرَ في الحليِّ فيشْجي ... وتثيرُ الهوي به فيثورُ
ولقد زانها النفُورُ، وحسْنُ الـ ... حُسنِ في الغادةِ العَرُوبِ النفُورُ
كرَّم اللهُ وجهَ كلِّ نوارٍ ... صانَها الطهرُ والحياءُ الوَقورُ
لِيَ من هيكلِ الجمالِ المعاني، ... ولغيري ألفاظُهُ والقشورُ

يمضي الشاعر بعد هذا الوصف البديع لما فعله الجمال في نفسه، إلى تحديد منتزهات دمشق التي ملكت عليه لبَّه فيقول :

وطنُ العُربِ، جنَّةٌ.. و«دمشقٌ» ... رفرفٌ أقدسُ الطافِ طهورُ
شرِقَتْ بالرُّؤى مسارحُها الخُضْـ ... ـرُ، وروَّى نعيمَهُنَّ السُّرورُ
رُبَّ نادٍ، تخِذتُهُ في الرَّوابي ... أقرأ الحسنَ منه وهو سُطورُ
فعلى «الغُوطتينِ» والشمسُ تبدو ... وعلى «النيرَبَينِ» وهي تغُورُ
فإذا «جلِقٌ» رياضاً ودوراً ... كالمصابيحِ حفَّها الدَّيجور
عالمٌ.. من زَبَرجَدٍ، طاف بالـ ... ـدُّرِّ، وذكّاه بالرُّواء النُّورُ
ساجِرُ المُجتلى.. أطلَّ عليه ... «قاسيون» كأنَّهُ مذعورُ
يغرَق الحِسُّ في سناه، ويَفنى ... في تهاويل سحرِهِ التفكيرُ

ويصف الشاعر ليالي دمشق بعدئذٍ فيقول :

أنا إن أنسَ لستُ أنسى لياليَّ ... إذِ البدرُ ضاحكٌ والثُّغُور
وكأنَّ الأكوانَ في دافق النُّو ... رِ بحُورٌ قد أغرقتها بُحورُ
يمرَحُ القلبُ في سَناها كما يَمـ ... ـرَحُ في الماء سابحاً عُصفورُ

قد تفرّدن بالصباحة ، لولا … وجنات نازعتها ونحورُ

ثم يخص الشاعر ما حبا الله دمشق من طبيعة فاتنة بهذه الأبيات :

حبّذا « الشامُ » ماؤها وهواها … ومساري أنهارها والقصورُ
وميادينُ حسنها وهي شتّى … ومغاني اللذّات وهي كثيرُ
جادها الغيثُ من معاهدَ .. لا الأشـ … ـطف عداها ، ولا النعيمُ الحبيرُ
محسنات الأوقات ، حتى ضحاها … وشّحته بلطفهنّ البكورُ
وبنفسي خريرُ أنهارها السّبـ … ـعة دوّامةً عليها الطيورُ
تتلوّى كالأينِ ريعَ ، وتهتـ … ـزّ ارتعاشاً ، وترتمي ، وتمورُ
وهيَ آناً في السهل تعدو ، وآناً … في الروابي المسلسلات تغيرُ
تغمرُ « الغوطتين » بشراً وزهواً … مثلما يغمرُ النفوسَ الحبورُ
وعلى صوتها الطيورُ تغنّى … ربّما يطربُ الطيورَ الخريرُ
عشقت لحنهُ ، والماء لحنٌ … يُسكر السمعَ جرسُهُ المخمورُ
حيثُ تغدو يلهيك منها سماعٌ … ومن الروض مؤنقٌ منضورُ
عرسٌ . قام للطبيعةِ فيها … يستخفُّ الإنسانَ وهوَ وقورُ
تهزجُ الطيرُ والأناسيُّ فيه ، … ويمورُ السّنا ، ويذكو العبيرُ

وبعد هذا الوصف المترف لجنات دمشق وأنهارها وغناء طيورها ، **يقف الشاعر لحظة** ويقول :

قفْ تمتّعْ مما تراه قليلاً ، … وقليلٌ مما تراه كثيرُ
للأنوف الشذا أريجاً ، وللسمـ … ـع الأغاني ، وللّحاظ البدورُ !

* * *

وحين كانت أعراس الشام سنة ١٩٤٧ ، بعد أن مضى عام كامل على جلاء المستعمر عن ثراها الطيب ، أحب شاعرنا الكبير أن يهنيء دمشق في أعيادها ويشكر لأبنائها حفاوتهم به ، فأعدّ خريدته « دمشق .. في ذكرى الجلاء[1] » وأنشدها في « دار المجمع العلمي العربي » :

يانسمةً خطوت من أرض «جَيْرونِ» حُيِّيتِ عاطرةً ، جاءت تُحيّيني
بكرتِ ، والفجر في أوضاح فاتنةٍ تبرّجت لفتىً هَيْمانَ مفتونِ
هل أنتِ للوافد المشتاق حاملةٌ من رَوْح أهلكِ أنفاسَ الرَّياحينِ ؟
اللين واللطْف والربُا التي انبعثت رُسْلُ الأحبــة تلقاني وتدعوني
« بنو أميَّةَ » .. مازالوا كما خُلِقوا بني المكارم والآداب واللـينِ
لاقيتُ منهم كلألاء الضُّحَي غُرراً هشّــت إليَّ تُحيّيني وتُحْييني
من كلّ ناصيةٍ زهراء لامعــةٍ كَعَسْجَدٍ ، تحتَ وَقْدِ الشمس ، مفتونِ
أصبحت فيهم تَهاداني سَراتُهُمُ كأنني مُصْحفٌ في بيت ذي دينِ
أنا المُفَضّلُ بالنُّعمى ، ومن عجبٍ أن جاء يشكرني من بات يَقْريني
عُوّدتُ كلّ جزيل من فواضلهم قِدماً ، وكلَّ ودادٍ غير مظنونِ
أنا المشكورُ على ماقد خُصصْتُ به من الأيادي ، وما شكري بمنونِ
سيذكر الدهر عني كلّ سائرة من الثنّــاء عليهم في الدواوينِ
قد أوسعوني إجلالاً وتكرمةً فجئت أوسعهم مــدحي وتلحيني

ثم غفر الشاعر للدهر مالاقاه من صروفه ، تكرمة لدمشق ذاكراً مقامه في جبل قاسيون المطل عليها ، واصفاً روعة تلك المناظر قائلاً :

---

(١) القصيدة منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ١٩٢ .

غفرت للدّهر أياماً .. سلفنَ له ... لمّا أتانيَ في «الفيحاء» يُشكيني
لي في خمائلها الخُضر التي حسُنت ... عُليا المقاصير من سُكنى الميامينِ
من تحتها «بَرَدى» نشوانُ مُطّرِدٌ ... بدافق من رَحيق الخُلد مَضْنُوني[١]
كأنّه، وشعاعُ الشمس يضربــه ... فِرِنْدُ سيفٍ صقيل الوجه مسنونِ
تنضّرت حوله الدّنيا به، وزهت ... بزخرفٍ من لباس الحسن مَوضونِ
ماأجملَ الأيْكَ في شطّيْه حانيةً ... من الحفـاوة في أثوابها الغينِ
تلك المفاتنُ .. شاقت كلّ ساجعة ... فهيجتهـا بألحـانٍ أفانينِ
أكرمْ به مُنبتاً زهراً، وفاكهةً ... شتّى، ومُسْديَ خيراتٍ وماعونِ

ثم تساءل الشاعر عن مفاتن دار النعيم التي تخلو منها دمشق قائلاً:

أيُّ المفاتن في دار النعيم.. خلت ... منها«دمشق»؟ وأيّالرَّبْرَبِ العينِ؟
خميلةُ الله.. ما اهتزّ الثّرى طرباً ... بمثل ما طاف فيها من تزايينِ
كلّ ضحوكٌ على ضاحي مَشارفها ... زُهرُ السماء وأزهارُ البساتينِ
كأنّها الجوّ، إذ يندى بها عبقاً ... لطيمةٌ نُثِرَت من عطر «دارينِ[٢]»

ثم هنأ الشاعر دمشق بجلاء الغاصب عنها قائلاً:

يادارَ «مَرْوانَ».. دامالبِشرُ مؤتلقاً ... على جبينك لمّاحَ التلاوينِ
كرُمت مجدَكأنْ لمْ تَعْتقِدِي عَلَماً ... إلاّ على فَرْقِ برٍّ منك ميمونِ
ستذكر الدّولةُ الرّعناءُ مُعْتَركاً ... تَعَضُّ منه يَدَيْ نَدمانَ محزونِ

(١) مضنوني: نسبة إلى «مضنونة»، وهي بئر زمزم في بيت الله الحرام بمكة.

(٢) اللطيمة: وعاء المسك. دارين: فرضة «ميناء» بالبحرين، يجلب إليها المسك من الهند.

خرجتِ منه كنصلِ السيف منصلتاً يزهو ، وباءت بخذلانٍ وتوهينِ
ياليت عينيَ ، لما أجليتْ ، شهدت بِشْرَ الجنانِ بإجلاء الشياطينِ
من كلِّ أصهبَ..كان الكبرُ شارته يرمي ببنيكِ بطرفٍ منه مسنونِ
فنكّسَ اللهُ بالإذلال هامتهُ وعاد خزيانَ يمشي مشيَ مغبونِ
لا يرفعُ اللحظَ إلا وهوَ يخفضُهُ أعجِبْ بلحظ..بخدِّ الأرضِ مقرونِ

وأنهى الشاعر قصيدته مخاطباً دمشق داعياً إياها إلى التمسك بعروبتها وإسلامها لتصون جمالها الذي يفتديه بنفسه قائلاً :

ياحُرّةً .. لم تدِنْ يوماً لآسرها ويافتـــاةَ المطاعيم المطاعيـــنِ
إنّ العروبة والإسلامَ .. مافتِئا هنا بواديكِ في عزٍّ وتمكيـــنِ
في جبهة الفلك الأعلى مقامهُما منه ، وفي مربإ الشُّمّ العرانينِ
هما جناحاكِ .. مدَّ اللهُ ظِلَّهما على البريَّة من دنيا ومن ديـــنِ
صُوني جمالك في الدُّنيا بسرِّهما يصُنْكِ من دَرَكاتِ الخسفِ والهونِ

* * *

مايبتغي «الغربُ» من فيحاءَ وارفةٍ تعيش في كنفٍ للدَّهرِ مأمونِ ؟
شمّاءُ .. ما يبنيها غيرُ مأبيةٍ على الدّنايا ، وهمات السلاطيـــنِ
وقتْ «دمشقَ» الرّزايا رحمةٌ برأت «دمشقَ» من نفحات اللطف واللينِ
نفسي فداءُ جمالٍ .. طالما نعمت نفسي به في ليالي عيشيَ الجُونِ

ولما وقعت حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، تفجّر الألم الذي استولى على الشاعر قصيدةً طويلةً ذكر فيها دمشق مشيداً بجهادها مشيراً إلى دخول القائد الفرنسي « غورو » مدفن صلاحِ الدين الأيوبي ومخاطبته الضريح قائلاً :

«نحن حفدة الصليبين هنا ياصلاح الدين» . قال الشاعر[١] :

وأين في «الشام» «غورو» في جحافله يُغير وهو يـدكُّ السلم تذليلا ؟
بل أين في «القدس» «ألَلنْبي» وقد رعبت رعوده جنباتِ «القدس» تهويلا[٢] ؟
نشوان من صلفٍ ، ملآن من حنق يجـر سيفاً على الغبراء مصقولا
ياشاهرَ السيف مزهواً بباطله وعارضَ الجيش بعد الجيش تحفيلا
خلّ الغرور . . فإن الحقّ مابرحت شباهُ تُرجعُ حدّ السيف مفلولا
قضى له الله بالعقبى . . إذا صحب الـ إيمانَ والصبرَ ، وعداً منه مكفولا
يرمي به باطلاً منه فيدمغـه يا . . طالما دمغ الحقّ الأباطيلا
إنّ الحروبَ سجالٌ بيننا أبداً كأنها الدَّينُ في اللأواء ممطولا
إن لم تكونوا لنا سلماً ، نكن لكم حرباً . . تبادركم بالموت تعجيلا
إنّا سنلحق بالماضين حاضرَكم ممن يجيءُ حنيقَ الصدرِ مشكولا
لنصبرنّ كآباء لنا صبروا صبراً . . يُعيد سوادَ الليل تحجيلا
نحن الجواهر . . ماهانت معادننا على الزمان كماةً أو معازيلا

* * *

هذا هو الشاعر البغدادي الكبير الذي محض دمشق الخالدة الحبّ كله ، وهذه هي دمشق بجمالها ومفاتنها **تزينها غلالة من حب الشاعر وإعجابه** .

---

(١) من قصيدة طويلة جاوزت ١٥٠ بيتاً عنوانها : «حرب حزيران ١٩٦٧» وهي منشورة في الديوان بدءاً من الصفحة ١٦٣ .

(٢) أللنبي قائد الجيش الانكليزي الذي فتح القدس في الحرب العالمية الأولى ، وقال في معرض الفخر : «اليوم انتهت الحروب الصليبية» .

إن شعر الأثري نموذج حديث للشعر العربي الأصيل في ألفاظه المنتقاة ولغته المشرقة وأسلوبه القويم وجرسه المطرب . وشعره في دمشق خير دليل على ما حبا الله الشاعر من رهافة الحس ورقة الشعور وتذوق للجمال ، ودليل ناصع على مايملكه الشاعر من أدوات استطاع معها الابداع في وصف الجمال وتصوير مايفعله في نفوس المحبين .

حفظ الله شاعرنا الكبير ذخراً للضاد أم اللغى .

وحفظ الله دمشق مصدراً للحب والإلهام .

عدنان الخطيب

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

٣

١ — وكان أبو محمد القاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرّف ابن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي(١) ثالث الأندلسيين الذين تصدوا لشرح غريب الحديث ، والتأليف فيه .

— ولد أبو محمد القاسم سنة ٢٥٥ هـ ، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) خامس أمراء البيت الأموي بالأندلس . وكان مولده بمدينة سرقسطة (٢) : المدينة التي شهدت من قبل مولد أبيه

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٢ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٣٧ — ٢٣٨ ، ٤٣٤ ، الصلة ١ : ١٢٤ ، التكملة ١ : ٢٣٦، معجم البلدان (سرقسطة) ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، ٣٧٦ ، طبقات ابن قاضي شهبة (مخطوط) : ٢٣٦ ، الديباج المذهب : ١٠٢ . وجاء في طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، « ثابت بن عبد العزيز » وأظنه سبق قلم ، تابعه عليه القفطي في إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، والفيروزابادي في البلغة : ٤٦، ١٨٥ ، واضطرب الأمر على ابن قاضي شهبة : ٢٣٦ — ٢٣٧ ، ٤٧٥ فظنهما اثنين وترجم لهما . وجاء في فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وفي مخطوطتي الدلائل في المكتبة الظاهرية بدمشق وفي مكتبة متحف الأوقاف باستانبول : « عبد الرحمن بن غانم بن يحيى بن سليمان » .

(٢) ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، وذكر في بغية الملتمس : ٤٣٥ ، أنه ولد في سنة ٢٤٧ هـ

ثابت . وكان ثابت أبو القاسم من العلماء الأجلاء ، ولد سنة ٢١٧ ﻫ أو نحوها ، وأقبل على الدرس والتحصيل ، وسعى لهما في سرقسطة وغيرها من مدن الأندلس ، حتى عرف بالعلم وعدّ من أهله ، وبان فضله ، وكان حين ولد له ابنه القاسم في نحو الثامنة والثلاثين من عمره(١) .

– وينتمي أبو محمد القاسم إلى بني عوف من قبيلة غطفان ، إحدى قبائل قيس عيلان المشهورة ، ذكر ذلك ابنه ثابت بن القاسم (٢٨٩ - ٣٥٢ ﻫ) حين سأله الحكم المستنصر عن نسبه ، ولكن الحكم المستنصر لم يكتف بما سمع ، لما عرف به من حب التثبت والتوثق ، فسأل أبا يحيى زكريا بن خطاب الكلبي التطيلي(٢) عن صحة النسب ، وكان زكريا ثقة مأموناً ، استقدمه الحكم ، وهو ولي عهد ، إلى قرطبة ، وسمع منه أكثر روايته ، فذهب زكريا بن خطاب إلى أن القاسم بن ثابت من البربر ، وأنه مولى لبني زهرة بن كلاب من قريش ، مولى علاقة(٣) ، وأن انتماء البربر إلى ولاء زهرة بن كلاب في سرقسطة وجهاتها كثيرٌ جداً ، لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة إلا الشاذ منهم ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي

---

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقسطة) ، بغية الوعاة : ٢١٠

(٢) تطيلة : بالضم ثم الكسر ، وياء ساكنة ولام ، مدينة بالأندلس من أعمال الثغر الأعلى ، بينها وبين سرقسطة سبعةعشر فرسخاً ، خرج منها العرب سنة ٥٢٤ ﻫ ، (معجم البلدان – تطيلة ، تقويم البلدان : ١٨٠ – ١٨١ ، الروض المعطار : ٦٤ ، نفح الطيب ١ : ١٦٦ و ٤ : ٤٥٥) .

(٣) قال ثابت بن قاسم بن ثابت : سمعت جدي يقول : الولاء ولاءان : ولاء عتاقة ، وولاء علاقة (فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطة الظاهرية) .

رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري أقام بتلك الجهات وقت افتتاح الأندلس . ثم يفسر زكريا بن خطاب نسبة العوفي التي عرفت بها أسرة قاسم ، بأن أبا القاسم وقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام ، فحلف ألا ّ ينتمي إليهم ، ثم ندم وتذمّم من ذلك فكتب : العوفي ، ولما قيل له : ما هذا يا أبا القاسم ؟ أجاب : أليس عبد الرحمن : ابنَ عوف ، وأنه من والى ولد عبد الرحمن فهو مولى عبد الرحمن(١) .

٢ – تقع مدينة سرقسطة(٢) مسقط رأس القاسم وأبيه في شرق الأندلس ، وكانت تعرف بالمدينة البيضاء ، لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض ، وتصفها كتب البلدان بأنها مدينة كبيرة ، من أطيب بلدان الأندلس بقعة ، وأكثرها ثمرة ، حسنة الديار والمساكن ، واسعة الشوارع ، متصلة الجنات والبساتين « ناهيك من مدينة بيضاء ، أحدقت بها من بساتينها زمردة خضراء ، والتفت عليها أنهارها الأربعة » . وكان الأندلسيون يطلقون على سرقسطة وجهاتها اسم الثغر الأعلى (الثغر الأقصى) ، وقد توسطت سرقسطة مدن الثغر ، وكانت أعظمها مدينة ، والمقصودة من جميع جهاتها ، فاستحقت بذلك أن تعدّ أمّ ذلك الثغر وقاعدته(٣) .

---

(١) ابن الفرضي ١ : ١٧٦ – ١٧٧ ، فهرست ابن خير : ١٩٣ ، مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ١ : ٣٩٥ و ٢ : ٦٣٢ ، طبقات ابن قاضي شهبة : ٢٣٦

(٢) سرقسطة : بفتح السين المهملة والراء ، وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة (معجم البلدان – سرقسطة ، تقويم البلدان : ١٨٠).

(٣) العذري : ٢١ – ٢٥ ، ٣٠ ، ١٨٥ ، البيان المغرب ٢ : ١٠٥ ، المغرب ٢ : ٤٣٤ ، الروض المعطار : ٩٦ – ٩٨ ، نفح الطيب ١ : ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ٢٧٣ و ٤ : ٤٦٠ ، المقتبس (ط . باريس) : ٢٠ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، تقويم البلدان : ١٨٠ – ١٨١

- خبّت سرقسطة وجهاتها في الفتنة أيام بني مروان ، وكثر المنتزون بها ، وكان من أقوى ثوار سرقسطة في القرن الثالث الهجري موسى بن موسى ابن فرتون من بني قسيّ ، المتوفى سنة ٢٤٨ ﻫ ، وثار من بعده ولده لب بن موسى القسويّ الذي تغلّب على الثغر سنة ٢٥٧ ﻫ ، وملك سرقسطة وتطيلة وغيرهما ، وأسر عمال الإمام محمد بن عبد الرحمن ، وقتل عرب سرقسطة من قبائل شتى ، أخرجهم إلى بقيرة ، فقتلهم بها ببرج يعرف ببرج العرب ، وذلك في سنة ٢٦٠ ﻫ ، وخالفه في الفتنة أخوه إسماعيل بن موسى الذي جدّد بنيان مدينة لاردة سنة ٢٧٠ ﻫ ، وكانت جيوش بني مروان تغاديه القتال وتراوحه ، وكان بنو تجيب آخر من تداول حكم سرقسطة حتى قام أمير المؤمنين الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠ ﻫ) فأطفأ نيران الفتنة ، واستنزل أهل العصيان ، واستقامت له الأندلس في سائر جهاتها ، فأقرّ بني تجيب في ولاية سرقسطة بعد أن نزعوا إلى الطاعة ، واستجابوا للجماعة(١) .

٣ — لم تقتصر الفتنة على سرقسطة وماحولها ، بل عمّت أرجاء الأندلس كلها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ولكنها ، على اتساعها واستشرائها ، لم تُلق ظلالها الثقيلة البغيضة على الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، ومضى العلماء الأندلسيون يتابعون الخطا ليتموا البناء الذي أسسه لهم من سبقهم ، وكانت حلقاتهم ومجالسهم حافلة بالطلاب ، عامرة بفنون

---

(١) العذري : ٢٩ — ٤٢ ، البيان المغرب ٢ : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٨٤ — ١٨٥ ، المقتبس (ط . باريس) : ١٦ — ١٧ ، ٢٠ — ٢١ ، ٨٥ — ٨٧ ، ١٠٥ — ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ، الروض المعطار : ١٦٨ ، نفح الطيب ١ : ٣٥١ ، ٣٥٣

العلم وضروب المعرفة . ولقد عُني أبو القاسم ثابت بن حزم بابنه القاسم أتم عناية : أشرف على تنشئته ، وسهر على تعليمه ، وهيأ له أن يتزود من علوم عصره بخير زاد ، حتى إذا استكمل حظه من الثقافة في حاضرة الثغر ، عزم الأب وابنه على الرحلة في طلب العلم ، وقصدا إلى المشرق فعل العلماء الأندلسيين الذين كانوا يتشوفون أبداً إلى المشرق ، يردون منه المنهل العذب .

كان ذلك في سنة ٢٨٨ هـ ، وثابت الأب في نحو الحادية والسبعين من عمره ، وابنه أبو محمد القاسم في الثالثة والثلاثين من عمره . حقاً أنهما قد نالا من ضروب الثقافة والعلم ما نالا ، وافتنّا في المعرفة ، ولكنهما كانا يؤثران فنّي الحديث واللغة ، يخصانها بمزيد من العناية ، ويبالغان في طلبها والتحفّي بها ، وهاهما ذان يقصدان إلى المشرق ليبلغا من هذين الفنين الغاية التي ما بعدها غاية .

كان أول خروجهما إلى الحج ، فمكة مقصد كل أندلسي توجه إلى المشرق ، وقد لقيا بمكة العلماء والجلة ، وسمعا منهم ، وأخذا عنهم . نعد منهم : أبا محمد عبد الله بن علي بن الجارود (٣٠٧ هـ) ومحمد بن علي بن زيد الصائغ (الجوهري) (٢٩١هـ) وأبا العباس مكي بن محمد بن أحمد ، وأبا عمران موسى ابن هارون الحمال (٢١٤ - ٢٩٤ هـ) وأبا الحسن علي بن محمد بن عبد الحميد السياري الهروي ، ومحمد بن القاسم بن عبد الرزاق الجمحي ، وأبا بكر جعفر بن محمد الفاريابي القاضي (٣٠١ هـ) وأحمد بن زكريا العابدي ، وإسحاق ابن أحمد الخزاعي (٣٠٨ هـ) وأحمد بن عمرو بن مسلم الخلاّل ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد بن عامر الشعبي المعروف بالجَنَدي (٣٠٨ هـ) وخلف بن عمرو العكبري (٢٩٦ هـ) وإبراهيم بن سعيد

ابن عثمان بن مسلم بن الوليد بن رباح الحذّاء المكي[1] .

وجاءا مصر وسمعا من جماعة من علمائها ، منهم : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٢٢٥ - ٣٠٣ هـ) وأبو بكر محمد بن جعفر الربعي البغدادي المعروف بابن الإمام (٣٠٠ هـ) ومحمد بن أحمد بن الهيثم التميمي، وأبو سعيد عبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن مرداس الجرجاني ، وأحمد ابن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (٢٩٢ هـ) وأحمد بن حمزة بن محمد ابن هارون[2] ، وإبراهيم بن حميد بن العلاء الكلابزي البصري (٣١٢ أو ٣١٦ هـ)[3] .

وسمعا بالأندلس من محمد بن عبد السلام الخشني (٢٨٦ هـ) وعبيد الله ابن يحيى (٢٩٨ هـ) ومحمد بن وضاح (٢٨٧ هـ) ومطرف بن قيس ، وعبد الله بن مسرة (٢٨٦ هـ) ومحمد بن عبد الله بن الغاز (٢٩٦ هـ) وأبي

---

(١) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ،نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، فهرست ابن خير : ١٩١ - ١٩٣ ، بغية الملتمس : ٤٣٤

(٢) عد ابن الفرضي (١ : ١١٩) أحمد بن حمزة من شيوخ قاسم وأبيه بمكة ، وتبعه ياقوت (معجم البلدان — سرقسطة) وابن فرحون (الديباج المذهب : ١٠٢) .

(٣) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، نفح الطيب ٢ : ٤٩ ،الديباج المذهب : ١٠٢، بغية الملتمس : ٤٣٤

عثمان سعيد بن خمير (٣٠١ هـ) وأبي بكر يحيى بن أصبغ بن خليل (٣٠٥ هـ)[(١)] .

وانفرد ثابت بن حزم بالرواية عن أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد (٢٧٦ هـ) ويحيى بن إبراهيم بن مزين (٢٥٩ هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (٢٥٥ هـ)[(٢)] .

وسمعا بالثغر من محمد بن سليمان بن تليد (٢٩٥ هـ) وإبراهيم بن نصر الجهني السرقسطي (٢٨٧ هـ) ومحمد بن أبي النعمان[(٣)] . وانفرد ثابت بالرواية عن أحمد ويحيى ابني محمد بن عجلان ، وكان أحمد ممن روى عن مالك[(٤)] .

ويبدو من عبارة ابن الفرضي وياقوت أن قاسماً وأباه قد سمعا من الأندلسيين قبل بدء رحلتها في المشرق . وإن وفيات بعض شيوخهما الأندلسيين لتؤكد هذه الرواية[(٥)] .

– قضى الأب وابنه في الرحلة ست سنوات ، لقيا فيها من لقيا من الشيوخ وكبار العلماء ، ورويا من ضروب المعرفة والعلم ما أشبع شغفهما وتطلعهما،

(١) مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٢٥٦ و ٢ : ١٨٤ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، ووهم ابن الفرضي (١ : ٢٥١) حين جعل قاسماً وأباه يرويان ويسمعان من عبد الله ابن الغازي بن قيس (٢٣٠ هـ) .

(٢) مخطوطة الظاهرية .

(٣) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٢٠ ، ١١٩ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

(٤) مخطوطة الظاهرية ، ابن الفرضي ١ : ٣٤ و ٢ : ١٨٠ ، الديباج المذهب : ٣٧ ، ٣٥٥

(٥) ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

ولكنها عُنيا ، في هـذه الرحلة ، أكثر ما عُنيا بجمع الحديث واللغة ، ولقاء رجالها ، وانصرفا إلى الثغر سنة ٢٩٤ هـ ، وقد أدخلا إلى الأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنهما أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمـد ، وكانا قد انتسخاه بمكة(١) .

٤ – انصرف قاسم إلى العلم الانصراف كلّه ، لا يشغله عنه شيء ، وفتحت له رحلته وأسْمِعَتُه(٢) آفاقاً من العلم رحيبة ، وكان ، إلى علمه وأدبه ، ورعاً تقياً ناسكاً ، عزف عن مباهج الدنيا ، وأشاح بوجهه عن مناصبها ، ولم يرض لعلمه أن يكون وسيلة يتقرب بها إلى السلطان : أريدَ على أن يلي قضاء سرقسطة فامتنع ، وتأبّى ، ولما ألح عليه وكاد يُكره على قبوله وافاه الموت منقذاً . وقد أتاحت له فطرته تلك أن يتفرغ للهدف الذي قصد إليه ونصب نفسه له : كان عالماً بالحديث والفقه ، متقدماً في معرفة الغريب والنحو والشعر ، واسع الرواية ، اطلع على صنيع أبي عبيد القاسم ابن سلاّم ، وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبـة في غريب الحديث ، فرأى أن ينهض بعبء إكمال مابدآه ، واستيفاء مافاتهما وغاب عنهما ، فألف كتاب الدلائل في شرح الحديث ، مما ليس في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٣) . وبلـغ فيه الغاية في الإتقان

(١) مخطوطتنا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٣ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، المزهر ١ : ٨٣

(٢) درج علماء الأندلس على جمع « سماع » على « أسمعة » .

(٣) وهم صاحب بغية الملتمس : ٢٣٨ ، إذ وصف عمل قاسم في الدلائل بأنه ذكر فيه ما لم يذكر أبو عبيد ولا الخطابي ، والدلائل قد ألف قبل تأليف الخطابي كتابه في غريب الحديث .

والتجويد ، حتى حسد عليه ، وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق . وإذ كانت رحلته ورحلة أبيه واحدة وسماعهما واحداً ، فقد ذكر آخرون أنهما اشتركا في تأليفه ، واتفقا على جمعه . وفي الحق أن ثابتاً الأب « كان عالماً متفنناً ، بصيراً بالحديث والفقه ، والنحو والغريب والشعر » ، وأن الأب وابنه كانا من أهل الفضل والورع والعبادة ، ولكن الموازنة بينهما انتهت بأصحاب التراجم إلى أن يروا أن « القاسم بن ثابت كان أعلم من أبيه وأنبل وأورع » وأن قاسماً هو الذي تصدى لتأليف كتاب الدلائل ، وفاجأ الموت القاسم بسرقسطة في شوال سنة ٣٠٢ ﻫ ، وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وهناك رواية تفردت بها مخطوطة الأوقاف تذكر أنه توفي في سنة ٣٠٦ ﻫ ، ولم يكن القاسم قد أكمل كتابه الدلائل حين وافاه الأجل ، فأكمله من بعده أبوه ثابت ، وقد طال به العمر حتى أقرأ الدلائل وحُمِل عنه ، فقد عاش حتى الخامسة والتسعين أو نحوها ، وتوفي بسرقسطة في رمضان سنة ٣١٣ ﻫ ، وفي رواية : أنه توفي في سنة ٣١٤ ﻫ[1] .

٥ — عرف كتاب الدلائل في الأندلس وانتشر برواية ثابت بن قاسم بن ثابت .

(١) مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، فهرست ابن خير : ١٩١ — ١٩٣ ، جذوة المقتبس : ١٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٣٨ ، ٤٣٤ — ٤٣٥ ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٤ — ٢٨٥ ، معجم البلدان (سرقسطة) ، إنباه الرواة ١ : ٢٦٢ ، الديباج المذهب : ١٠٢ . والعجب أن ابن فرحون قد ترجم لحفيده ثابت بن عبد الله المتوفى سنة ٥١٤ ﻫ وجعل من تصانيفه كتاب الدلائل (الديباج المذهب : ١٠٢ ، الصلة ١ : ١٢٤ — ١٢٥) .

ولد ثابت بسرقسطة ، بلد أبيه وجده ، سنة ٢٨٩ هـ ، ولم يشهد أبوه ولا جده ولادته ، إذ كانا قد بدآ رحلتهما إلى المشرق في سنة ٢٨٨ هـ ، وحين عادا من الرحلة إلى سرقسطة كان ثابت في نحو الخامسة من عمره ، فأشرفا على تعليمه ، وسمع منهما وأفاد . وفقد ثابت أباه قاسماً في سنة ٣٠٢هـ ، وهو في الثالثة عشرة من عمره ، فأوى إلى ظلال جده لينعم برعايته وليغترف من معين علمه ، ونعم بجواره أحد عشر عاماً ، أخذ عنه فيما أخذ كتاب الدلائل الذي ألفه أبوه قاسم : قرأه عليه قراءة تدبر وتمحيص ، وصار من بعدُ يرويه عن أبيه إجازةً وعن جده قراءةً عليه . وكان ثابت في الرابعة والعشرين حين فارق جده الدنيا ، ليتفرد برواية كتاب الدلائل .

وكان ثابت بن قاسم مليح الخط ، جيد الكتاب ، إلا أنه كان مولعاً بالشراب ، فضعّف . كان شديد الاعتزاز بكتاب الدلائل ، فأكب عليه يُقرئه ويرويه ويكتب نسخاً منه ، ويذكر الحميدي أن له في كتاب أبيه زيادات. توفي ثابت في سنة ٣٥٢ هـ لسنتين خلتا من حكم أمير المؤمنين المستنصر ، ودفن بسرقسطة وقد بلغ من السن ثلاثاً وستين سنة (١) .

---

(١) ابن الفرضي ١ : ١٢٠ : مخطوطتا الظاهرية والأوقاف ، طبقات الزبيدي (ط ٢) : ٢٨٥ ، جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتمس : ٤٣٤ فهرست ابن خير : ١٩٢ ، ١٩٣ ، معجم البلدان (سرقسطة) . وفي فهرست ابن خير ١٩١ ، ١٩٢ ، أن قاسماً مات وترك ابنه ثابتاً صغيراً فلم يسمع منه الدلائل ، وإنما أجازه به . وعاش أبوه ثابت بن حزم حتى سمع منه حفيده ثابت ابن قاسم كتاب الدلائل قراءة منه عليه . بينما يذكر ابن الفرضي (١ : ١٢٠) أن ثابتاً سمع من أبيه [القاسم] ومن جده [ثابت بن حزم] ، ويمكن الجمع بين روايتي ابن الفرضي وابن خير بأن السماع في رواية ابن الفرضي لا يقصد به سماع كتاب الدلائل .

٦ – احتل كتاب الدلائل منزلة عالية بين كتب الغريب في الأندلس، فقد احتفل له مؤلفه القاسم بن ثابت أيّما احتفال، يعينه على ذلك تمكنه من ناصية اللغة معاني وشواهد، ووقوفه على أسرارها. واطلاعه الواسع على الحديث وفقه مشكلاته. ومن هنا فقد أورد في كتابه الدلائل من اللغة مالم يورده أحد من أهل الأغربة[١]. ويذكر الحميدي أنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن القاسم، ثم يعلل ذلك بقوله: «ولعله من أجل روايته إياه، وزياداته فيه نسب إليه، وإلا فالكتاب من تأليف قاسم بن ثابت أبيه». ويعيد الضبي في كتابه رواية الحميدي ليعقب بأنه رأى من ينسب الكتاب إلى ثابت بن حزم، وأن قاسماً روى هذا الكتاب عن أبيه ثابت[٢]. ومن هنا نجد في الكتب الأندلسية أمثال هذه العبارات: «روى عن ثابت بن قاسم كتاب الدلائل من تأليف جده»[٣] بل نجد بعض المؤلفين يتسمحون فينسبون الكتاب إلى قاسم تارة والى أبيه تارة أخرى[٤]

– مهما يكن فقد صح لنا من الروايات الثابتة الراجحة أن قاسم بن ثابت هو مؤلف كتاب الدلائل، وأنه مات قبل أن يتمه، فأكمله أبوه ثابت، ثم رُوي الكتاب من طريق ثابت بن قاسم بن ثابت[٥].

وتطلب الأندلسيون الكتاب، وتدارسوه بينهم. يذكر أبو علي

---

(١) بغية الملتمس : ٢٣٨

(٢) جذوة المقتبس : ١٧٤، بغية الملتمس : ٢٣٨، وعبارة الضبي في في الأصل مضطربة.

(٣) الصلة ٢ : ٤٣١

(٤) التكملة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠، تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٥) جذوة المقتبس : ٢٩٩، فهرست ابن خير : ١٩١

القالي (٣٥٦هـ) إمام اللغة في عصره أنه أخذ كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم، إعجاباً منه بالكتاب، ولم يكن ثابت عنده أهلاً للأخذ عنه. وطلب الحكم المستنصر من ثابت بن قاسم، وكان حسن الخط، أن ينسخ له بخطه كتاب الدلائل، ففعل ثابت وأجاز للحكم روايته(١).

— ولعله يحسن بنا أن نورد في صفة الكتاب وبيان فضله كلمة الإمام اللغوي الكبير أبي علي القالي، يقول أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩هـ) صاحب طبقات النحويين واللغويين: «سمعتُ إسماعيل بن القاسم البغدادي [أباعلي القالي] يقول: لم يؤلَّف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب [القاسم بن] ثابت في شرح الحديث، وقد طالعتُ كتباً ألفت فيما لديكم، ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعتُه، فما رأيته صنع شيئاً، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب». ثم يعقب الزبيدي على كلمة أستاذه القالي فيقول: «ولو قال إسماعيل [أبو علي القالي]: إنه لم ير بالمشرق كتاباً أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددتُ مقالته، على أن لأبي عبيد [القاسم بن سلام] في هذا الفن فضل السبق عليه»(٢).

— وذكر أبو الفضل عباس بن عمرو الوراق أنه سمع إسماعيل بن القاسم البغدادي [أبا علي القالي] يقول: كتبتُ كتاب الدلائل، وما أعلم وضعاً بالأندلس مثله، ثم يعقب على ذلك بأن القالي تعصب للمشرق، ولو قال: إنه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد(٣).

(١) طبقات الزبيدي (ط ٢): ٢٨٥، نفح الطيب ١: ٣٩٥، مخطوطة الاوقاف

(٢) طبقات الزبيدي (ط ٢): ٢٨٥، إنباه الرواة ١: ٢٦٢، مخطوطة الاوقاف

(٣) ابن الفرضي ١: ٣٤٣، ٤٠٣، معجم البلدان (سرقسطة).

– وعرض للكتاب أبو محمد علي بن أحمد بن حزم فأثنى عليه وقال : ما شآه أبو عبيد [القاسم بن سلام] إلا بتقدم العصر(١) .

وأصبح الكتاب أثمن تراث في أهل بيت قاسم بن ثابت ، يتوارثه الأبناء عن الآباء ، يروونه ويقرئونه في بلدهم بسرقسطة :

خلف سعيد بن ثابت أباه ثابت بن قاسم في إقراء الكتاب وروايته ، ثم قام مقامه ابنه أبو إسحاق ثابت بن سعيد بن ثابت بن قاسم ، فحدث عن أبيه سعيد بكتاب جده المعروف بالدلائل عن سلفه ، ثم جاء أبو محمد عبد الله بن ثابت بن سعيد ، فحدث بالدلائل (من تأليف جده الأعلى قاسم بن ثابت) عن أبيه متصلاً ذلك في سلفه إلى مؤلفها . ثم كان آخرَ من حدث من أهل بيته القاضي أبو القاسم ثابت بن عبد الله ، روى عن أبيه عن سلفه . فلما سقطت سرقسطة بلده وبلد أهله من قبله ، في عام ٥١٢هـ(٢)، وتغلب عليها العدو ، خرج عن وطنه ، وتوفي بقرطبة في سنة ٥١٤هـ ، وكان نبيه البيت والحسب ، يفاخر أهل الأندلس بأوائل سلفه لعلمهم وفضلهم(٣) .

– واعتمد الأندلسيون الأصل الذي كتبه ثابت بن قاسم للحكم المستنصر، فكانوا يرجعون إليه : يقابلون به ، أو يقابلون بأصل مقابل عليه(٤) .

– أما أعظم الرواة الذين انتشر كتاب الدلائل عن طريقهم فاثنان،

---

(١) جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتمس : ٤٣٤ ، والشأو : السبق ، شأوت القوم شأواً وشأيتهم شأياً : سبقتهم .

(٢) نفح الطيب ١ : ٤٤١ و ٤ : ٤٧٢ و ٧ : ٢٨ ، معجم البلدان (سرقسطة) .

(٣) الصلة ١ : ١٢٤ — ١٢٥ ، التكملة ١ : ٢٣٦ و ٢ : ٨٠٠

(٤) مخطوط الظاهرية ، التكملة ٢ : ٨١٦

أولها : أبو الفضل عباس بن عمرو بن هارون الصقلي الوراق الزاهد ، (٢٩٥ - ٣٧٩ هـ) وكان قد روى الدلائل قراءة عن ثابت بن قاسم بن ثابت(١) والثاني : غالب بن عمر المعروف بابن التياني ، من أهل قرطبة . وهو والد الأديب اللغوي أبي غالب تمام بن غالب(٢) ، ويذكر ابن الفرضي(١ :١٢٠) أنه أخبره بعض الشيوخ عن ثابت بن قاسم بالدلائل إجازةً .

وانتشر كتاب الدلائل في الأندلس : كان مرجعاً للمحدثين واللغويين والأدباء والفقهاء ، فتداولوه بينهم وقدروه حق قدره . ويكفي أن نقرأ ماخصه به ابن خير في فهرسته(٣) لتتراءى لنا صورة الدلائل في الأندلس ، ومارزق من عناية الأندلسيين وعظيم اهتمامهم .

وكان أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار (٣٣٨ - ٤٢٩ هـ) : قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحبُ الصلاة والخطبة بجامعها ، من أشهر الرواة الذين رووا كتاب الدلائل عن أبي الفضل عباس بن عمرو الوراق ، وكان الإمام العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) من أشهر رواة الدلائل عن أبي الوليد يونس بن عبد الله . وذكر الحميدي الأندلسي (٤٨٨ هـ) في كتابه جذوة المقتبس ، وقد ألفه ببغداد بعد رحيله عن الأندلس(٤) ، سماعه لكتاب الدلائل في الأندلس من أبي محمد بن حزم ،

(١) ابن الفرضي ١ : ٣٤٣ ، ٤٠٣ ،جذوة المقتبس : ١٧٤ ، ٢٩٩ بغية الملتمس ٣١٧ - ٤١٨ . فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢ ، جمهرة ابن حزم : ٧٩ ، ووقع فيها عباس بن محمد ، وصوابه : عباس بن عمرو .

(٢) الصلة ١ : ١٢٢ و ٢ : ٤٣١ ، فهرست ابن خير : ١٩٢

(٣) فهرست ابن خير : ١٩١ - ١٩٤ .

(٤) رحل الحميدي عن الأندلس إلى المشرق عام ٤٤٨ هـ (جذوة المقتبس ١٢٨ ، ٣٤٦ ، بغية الملتمس : ١١٣) .

قال : « وأخبرنا أبو محمد [ابن حزم] بكتاب الغريب [الدلائل] كله لفظاً بالإسناد المذكور إلى قاسم بن ثابت المصنف له[1].

٧ - لم يقدر لكتاب الدلائل ، وقد بلغ هذا الشأو في تأليفه ، أن يصل مبكراً إلى أسماع المشارقة ، ونهض الخطابي في المشرق في القرن الرابع الهجري فألف في الغريب كتاباً يتم به كتابي أبي عبيد وابن قتيبة ، ولو اطلع على الدلائل لعلم أنه قد سبق ، وظل الدلائل أمداً طويلاً مجهولاً في المشرق ، لم يفد منه أحد من مؤلفي الغريب واللغويين المشارقة . ولعل أول إشارة إليه نقع عليها في كتب المشارقة ما ذكره شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (٦٦٥ هـ) فقد نقل عنه في كتابه المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز[2] ، ثم نجد نقولاً عنه في كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية تأليف جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (٧٦٢ هـ)[3] ، ونعثر من بعد على الإشارة تلو الإشارة في كتب المتأخرين : ذكره الحافظ محمد بن أبي بكر ابن ناصر

(١) جذوة المقتبس : ٢٩٠ - ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٣ ، الصلة ٢ : ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ٦٤٦ - ٦٤٧ ، بغية الملتمس : ٤١٧ - ٤١٨ ، ٤٩٨ - ٤٩٩ ، فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢ والإسناد الذي عناه الحميدي : « ابن حزم ، عن ابن مغيث ، عن العباس بن عمرو ، عن ثابت بن قاسم بن ثابت السرقطي عن أبيه » . (جذوة المقتبس : ٢٩٩)

(٢) المرشد الوجيز : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٣

(٣) نصب الراية ١ : ٢٣٩ ، ٢٨٦ و ٢ : ١٩٧ ، ٣١٨ و ٣ : ١٦٥ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٣٦٦ و ٤ : ١٥٥ ، ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٤٠٨

الدين الدمشقي (٨٤٢ هـ) في كتابه التوضيح[١] ، والحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني : ابن حجر (٨٥٢ هـ) في كتابيه :تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير[٢] والاصابة[٣]

٨ — انفردت مخطوطة الأوقاف في الترجمة التي خصت بها قاسماً بذكر كتاب ثان ألفه قاسم وهو كتاب الرطب[٤] ، جمع فيه من أشعار المتقدمين والمحدثين نحواً من أربعة آلاف قطعة في أنواع شتى من المعاني . وتناول هذا الكتابَ محمد بن أفلح مولى أمير المؤمنين الحكم المستنصر ، فاحتمل فيه على طريقة اسحاق بن إبراهيم الموصلي (٢٣٥ هـ)[٥] في كتابه المعروف بالأغاني من تسمية شعراء تلك الأشعار وموالدهم وبلدانهم وأخبارهم وما تضمنت تلك الأشعار من المعاني والآثار .

- للبحث صلة —

(١) الإكمال لابن ماكولا ١ : ٩٣ ، فقد نقل مصححه الشيخ عبد الرحمن اليماني في هامش الصفحة عن التوضيح حديثاً حدث به القاسم بن ثابت العوفي في كتابه الدلائل .

(٢) تلخيص الحبير ٢ : ١١٨ و ٣ : ٥٧

(٣) الاصابة ٥ : ٥٥ (ترجمة عيينة بن حصن)

(٤) رجحت هذه القراءة ، وقد تحتمل الكلمة وجهاً آخر .

(٥) انظر ترجمة أبي محمد اسحاق بن إبراهيم الموصلي في كتاب الاغاني لأبي الفرج ٥ : ٢٦٨ — ٤٣٥ وتاريخ بغداد ٦ : ٣٣٨ — ٣٤٥

هل كتب التنوخي كتاباً في التاريخ

الدكتور قاسم السامرائي

لقد عرفنا التنوخي أبا علي المحسّن بن علي التنوخي القاضي (٣٨٤ ﻫ) من كتابه النشوار الذي وصل إلينا مبتوراً ومن كتابيه : الفرج بعد الشدّة والمستجاد من فعلات الأجواد ، وعرفنا ابنه أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي (٤٤٧ ﻫ) من رواياته الكثيرة المبعثرة في تاريخ بغداد والمنتظم وغيرهما ، وعرفنا أن التنوخي الأب قد صنف كتاباً آخر هو كتاب عنوان الحكمة والبيان الذي لم يزل ينتظر من ينشره[١] ، عرفنا ذلك كلّه من المقالات الكثيرة والكتب القليلة التي صنفت بالعربية وغير العربية عن النشوار أو الفرج وصاحبها وما فيها[٢] ، بيد أن أحداً من هؤلاء أو من أصحاب كتب التراجم لم يذكر أن أحد التنوخيين قد صنف كتاباً في التاريخ. والسؤال الآن : هل صنف التنوخي الأب أو الابن كتاباً في التاريخ ؟

في سنة ١٩٥٨ اشترت مؤسسة بريل للنشر في لايدن مجموعة المستشرق الفرنسي هنري باسيه (المتوفى سنة ١٩٢٦) المخطوطة والمطبوعة ، وقد غفت المجموعة الخطية في قبو المؤسسة حتى سنة ١٩٧٣ حين عرض قسم منها للبيع فاشترتها مكتبة جامعة لايدن ، وأضافتها إلى مالديها من مخطوطات عربية وغير عربية . وتحتوي هذه المجموعة على أربعة وخمسين مخطوطاً[٣] أكثرها عن تاريخ شمال إفريقية العربي الإسلامي مثل : أربع نسخ من كتاب فتوح

إفريقية للواقدي ، وهي تختلف اختلافاً بيّناً مع ما نشر من هذه الفتوح ، وكتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا الورجلاني (٤٧١ ﻫ) وهو تاريخ الإباضية في شمال إفريقية ، ومع أن هذا الكتاب قد ترجمه مسكوري إلى الفرنسية في سنة ١٨٧٨ م ونشر في الجزائر فإن أهمية هذا الكتاب تقع في أنه لم ينشر بالعربية بعد ، وإن ترجمة مسكوري اعتمدت على نسخة ناقصة من الكتاب استنسخت له من نسخة قديمة كانت في مزاب ، وكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب لابن أبي زرع الفاسي (بعد ٧٢٦ ﻫ) ويبدو أن هنري باسيه كان قد أعدّ ترجمة فرنسية وتحقيقاً للنص العربي مع تعليقاته على النّص إلاّ أن تحقيق باسيه لم يصلنا كاملاً ، وما وصلنا منه محفوظ الآن مع المخطوط ، وكتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أبي راس بن أحمد بن عبد القادر الناصري (١٢٣٨ ﻫ) وهو شرح لقصيدته عن سقوط مدينة وهران .

وفي هذه المجموعة كتاب في تاريخ الدولة العباسية ويحمل العنوان « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم » . ومن هذا الكتاب نسخة أخرى ناقصة (تنتهي عند خلافة المأمون العباسي) في الجزائر برقم ١٥٨٧ ، باسم « تاريخ العبابسة » .

أول المخطوط : « قال أكثم بن صيفي : حججت مرة فرأيت بني عبد المطلب كأنهم بروج فضة ، وكأن عمائمهم ألوية ، وكأن العباس من بينهم طلعة البدر . . . »

تقع مخطوطة لايدن من هذا التاريخ في ١٦٠ ورقة من القطع الكبير ٢٢ × ٣٠ سم وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطراً وكتبت بخط مغربي حديث واضح ، إلا أن النص كثير التحريف والتصحيف ومؤرخ في « اثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين وألف » . والتشابه واضح بين نسخة الجزائر ونسخة لايدن لتشابه التصحيفات ومواقع

البياض فيها ، إلاّ أن ناسخ نسخة الجزائر كان أكثر دقة وعلماً من رفيقه محمد ابن عمر الجزيري ناسخ نسخة لايدن . ويبدو أيضاً أن النسختين قد استنسختا من نسخة مشتركة بينها ، لم تصلنا بعد ، ولعلها لم تزل في مكان ما من شمال إفريقية .

تبدأ النسخة في سرد فضائل العباس وولده عبد الله وما قيل فيها ، أورد مصنف هذا التاريخ كل ذلك ليثبت أحقيَّة وأهليَّة بني العباس للإمامة دون ولد أبي طالب ، ويظهر التشابه واضحاً هنا بين روايات النص وبين النص الذي نشره أستاذنا الفاضل الدكتور عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، باسم « أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده » فلعلّ مصنفيها اعتمدا على كتاب « فضائل العباس » حين كان الخلفاء العباسيون يعنون به عناية زائدة لصلته بهم وتأكيده على إمامتهم [تاريخ بغداد ٨/٣٧٩] .

يتحدث المصنف عن الدعوة العباسية وظهورها وما لابس هذه الدعوة من حروب طويلة ذكرها أصحاب التواريخ والتي انتهت بإعلان الخلافة العباسية ، ومن ثم اندحار مروان بن محمد الأموي ومقتله ، ثم يتناول الخلفاء العباسيين واحداً واحداً ويورد أخبارهم ولُمَعاً من الحكايات التي تتصل بكل واحد منهم حتى ينتهي بمقتل المقتدر بالله في سنة ٣٢٠ هـ على ماهو معروف عند المؤرخين فيقول : « . . . ورثاه في الوقت الأمير أبو العباس الراضي ولده حيث يقول :

بنفسي ثرًى ضاجعتَ في ساحة البلى   لقد ضمَّ منك الليثَ والغيثَ والبدرا

وليكن هذا آخر ما بلغنا من أخبارهم والله سبحانه وتعالى أعلم . . . . »

يعوِّل المصنف على كثير من كتب التاريخ والأدب المعروفة منها والمفقودة، فمنها ما يذكرها صراحة مثل كتاب الوزراء للجهشياري ، وكتاب السّمار والندامى لابن جمهور العمّي ، أو يورد أقوال مصنفي الكتب مثل : قال

أبو الفرج الأصفهاني ، أو قال أبو الحسين المسعودي ، أو قال المسعودي ، أو قال المدائني ، أو قال علي بن محمد المدائني . ولما كان المسعودي ينقل أقوال المدائني فقد نقل المصنف كثيراً من هذه الأقوال أو الأخبار دون نسبة . ومن مقارنة النص مع التواريخ الموجودة بأيدينا ظهر لنا أنه نقل من المصادر الآتية :

١ - مروج الذهب المسعودي
٢ - تاريخ اليعقوبي
٣ - تاريخ المدائني (رواياته أوردها المسعودي)
٤ - كتاب الوزراء للجهشياري
٦ - كتاب الأوراق أو كتاب الوزراء للصولي

وقد ظهر أنه نقل من مروج الذهب في أكثر من ١١٢ موضعاً ، وذكر اسم الصولي صراحة في ١٨ موضعاً ويبدو أنه نقل من كتاب الصولي حرفياً من أول خلافة المعتمد حتى نهاية خلافة المقتدر . وذكر اسم ابن واضح [اليعقوبي] ثلاث مرات ، وذكر كتاب السمار والندامى لابن جمهور مرة واحدة ، وذكر كتاب الجهشياري مرة واحدة ونقل منه في أكثر من ١٨ موضعاً (ولما كان كتاب الجهشياري ناقصاً فإن بعض النصوص في المخطوط تكمل كتاب الجهشياري مثل خبر خدابوذ المجوسي الذي كان الفضل ابن سهل ينزل عليه إذا دخل مدينة السلام أثناء خموله ، فهو أكمل هنا وناقص في كتاب الجهشياري (٣١٨ - ٣٢٠) وورد هذا الخبر بالنصّ في كتاب الفرج بعد الشدّة (مخطوط لايدن ٢٩٦ - ٢٩٩) ، ولم يرد في النسخة المطبوعة (سنة ١٩٥٥ بالقاهرة) .

أما المصادر التي لم يذكرها صراحة ونرجح أنه عوّل عليها لوجود التشابه الحرفي بينها وبين ما أورد فهي :

١ ـ كتاب الأغاني لأنه أورد بعض النصوص مصدرة بـ : قال أبو الفرج الأصبهاني . وأكثر هذه النصوص وردت إما في الأغاني ، أو كتاب المستجاد ، أو الفرج بعد الشدة ، وكلاهما للتنوخي .

٢ ـ كتاب الكامل للمبرّد في أكثر من سبعة مواضع

٣ ـ كتاب بغداد لابن طيفور في أكثر من أربعة مواضع

٤ ـ كتاب الفرج بعد الشدة (المطبوع والمخطوط لأن بعض الحكايات التي وردت في المطبوع لم ترد في المخطوط ، وكثير مما ورد في المخطوط لم يرد في المطبوع) نقل منه في ١٧ موضعاً .

٥ ـ كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، نقل منه في ٢٨ موضعاً نقلاً حرفياً .

ولما كان المخطوط خالياً من المقدمة واسم الكتاب والمصنف فإننا لانشك أن هناك جزءاً سبق هذا وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ في الحديث عن عبد الحميد الكاتب وأنه حين جيء به إلى المنصور قال له : « استبقني يأمير المؤمنين ، فإنني كاتب مجيد فاستبقاه ووصله ،وهو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، وهو أول من طوّل الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب ، فاستقفى الناس أثره ، **وقد ذكرت من بعض فصوله في مامضى من هذا الكتاب . . .**»(ورقة ٣٧ ب وورقة ٥٩ أ من نسخة الجزائر) .

٢ ـ في الحديث عن أن كل سادس من الخلفاء يُخلع ويُقتل : « ... وآخرهم عبد الله بن الزبير فخُلع ابن الزبير وقتل ــ رحمة الله عليه ــ **وهو الذي ذكرت أنه لم يستنّ كاستنان ما قبله ولا ما بعده . . .** (ورقة ١٥٢ ب) . أي أن ابن الزبير ــ رحمه الله ــ لم يسر مسيرة من جاء قبله أو بعده .

وقد ورد في نهاية المخطوط نصٌّ يوحي أنَّ هناك جزءاً ثالثاً وبه يكمل الكتاب ، فقد ورد في حديثه عن كل سادس من الخلفاء : قلت : وكان سادس من ولي بعد المقتدر الطائع لله وهو المسترشد بالله خلع وقتل . فالظاهر في هذا النص أن : [وهو المسترشد] مقحمة هنا فلعلها كانت في حاشية النسخة التي استنسخت هذه منها فأدرجها الناسخ جهلاً وغفلة ، وذلك لأن المسترشد بالله لم يخلع ، وإنما اغتيل وهو أسير عند السلطان السلجوقي مسعود في سنة ٥٢٩هـ وذكرُ ذلك مستوفىً في كتب التاريخ ، ومن ثم فإن الطائع لله غير المسترشد بالله ، وقد خلع الطائع لله سنة ٣٨١هـ خلعه بهاء الدولة أبو نصر خسروفيروز بن عضد الدولة السلجوقي ، ومكث الطائع لله بعد خلعه مستظهراً عليه بدار الخلافة إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ ولم يقتل على كثير من الروايات ، (مختصر التاريخ لابن الكازروني ١٩٥ ، تاريخ ابن العمراني ١٨٢ وغيرهما) . فإذا كان النص صحيحاً فإن مصنف الكتاب كان حيّاً سنة ٣٩٣هـ ، وتوفي بعد هذا التاريخ ، وهذا يتنافى مع الأدلة التي سوف نتعرض لها حين نحاول أن نثبت نسبة هذا التاريخ لأبي علي المحسّن التنوخي المتوفّى سنة ٣٨٤هـ ، إلا إذا اعتبرنا الجملة : قلت . . .خُلع وقتل ، إلى آخرها مقحمةً وليست من أصل النص ، ومثل هذا كثير الحدوث ويعرفه دارسو المخطوطات . أما إذا كانت الجملة غير مقحمة فتعني أن هناك جزءاً ثالثاً يحوي تراجم الخلفاء بعد مقتل المقتدر سنة ٣٢٠هـ وإلى ما بعد سنة ٣٩٣هـ وأن وفاة المصنف كانت بعد إنجازه الكتاب .

أما عن عبدالحميد الكاتب فقد اختلفت الروايات في مصيره والمشهور أنه قتل مع مروان ، أو جيء به إلى السفاح أو إلى المنصور ، وأورد ابن خلكان حكاية عبدالحميد الكاتب وسلام الحادي والبعلبكي المؤذن ، مع المنصور ، حيث استبقى البعلبكي والحادي وأمر بقتل عبد الحميد الكاتب :

وقال له عبد الحميد الكاتب : استبقني يا أمير المؤمنين . قال : وما بلغ من كتابتك ؟ قال : أنا أبلغ أهل زماني في الكتابة . فقال له المنصور : أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي ! فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم ضرب عنقه . وقال ابن خلكان : والله أعلم أيّ ذلك كان . والحكاية التي أوردها ابن خلكان منقولة عن محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره (٤) وردت بالنص في المخطوط إلاّ في مصير عبد الحميد الكاتب الذي ذكرناه .

لقد ذكرنا أن مصنف هذا التاريخ قد نقل من كتاب المستجاد في ٢٨ موضعاً ، ومن كتاب الفرج بعد الشدّة في ١٧ موضعاً ، وأن بعض هذه الأخبار مشتركة بين الكتب الثلاثة في الإسناد أو الرواية الحرفية للنص ، فمثلا : قصة إبراهيم بن المهدي واستتاره من المأمون ، فقد وردت في المستجاد صفحة ٧٤ بالإسناد : قال أبو الفرج الأصفهاني : أخبرني أحمد بن محمد البزّاز الأطروش قال : حدثنا أبو مسكين جعفر بن المحرز بن الوليد عن أبيه قال الواقدي : كان إبراهيم قد ادّعى الخلافة لنفسه بالريّ وأقام مالكها سنةً وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً ، وله أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاه لي قال : لما دخل المأمون الريّ وطلبني أشدّ طلب . . . وقد وردت هذه الحكاية الطويلة بالنص الحرفي في مخطوط التاريخ ورقة ٨٦ أ — ٨٩ ب إلاّ أن مصنفه اكتفى من الإسناد السابق بقوله : قال الواقدي ، كما في نشرة باولي من المستجاد (صفحة ٥٨) ، وقد ورد قسم كبير من الحكاية في مخطوطة الفرج (٣٦٦ — ٣٦٩ ، مخطوطة لايدن رقمها ٦١ شرقي ومؤرخة في ٨٩٠هـ ومرقمة حسب الصفحات) ولم ترد في النسخة المطبوعة من الفرج بعد الشدة (القاهرة ١٩٥٥) . ومن إشارات محمد كردعلي في المستجاد يبدو أنها وردت في النسخة من الفرج التي اعتمد عليها في تحقيقه كتاب المستجاد (صفحة ٧٧) . لقد حوى كتاب الفرج المطبوع سنة ١٩٥٥ قصتي استتار

كلٍّ من الفضل بن الربيع وإبراهيم بن المهدي من المأمون والحوادث التي مرت بكل واحد منها ، غير أن هذه الحوادث قد تشابكت في قصة اختفاء واستتار الفضل بن الربيع مع قصة استتار إبراهيم بن المهدي في النسخة المطبوعة من كتاب الفرج ، بينما رويت القصتان منفصلتين وبإسهاب في المخطوط من التاريخ ، إلا أن الحجّام الذي آوى إبراهيم بن المهدي في المستجاد ومخطوط التاريخ صار مُزيّناً في كتاب الفرج ، وأن هذا المزين آوى الفضل بن الربيع (صفحة ٣٥٦ — ٣٥٩) . أما القسم الذي يروي غناء الحجام لإبراهيم وغناء إبراهيم له والأبيات التي غنَّوا بها فلم يرد في مخطوطة الفرج ولا في المطبوع سنة ١٩٥٥ ، وإن رواية الفرج تشبه رواية المسعودي (مروج ٦٣/٧ — ٧٢) حيث لم يذكر حكاية الجندي الذي رام القبض على إبراهيم بن المهدي فدفعه فزلق الجندي ، وعندها تمكن من الهرب واللجوء إلى دار تعود للجندي فآوته امرأة الجندي ثلاثة أيام ، ثم خرج منها إلى مولاة له أسلمته لإسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب شرطة المأمون . والغريب في الأمر أن اسم إسحاق بن إبراهيم المصعبي ورد : إبراهيم الموصلي في كل من المستجاد (صفحة ٨١ ونشرة باولي ٦٥) ومخطوط التاريخ (ورقة ٨٧ ب) . أما في المطبوع من كتاب الفرج (صفحة ٣٥٨) فقد ورد في حكاية الفضل بن الربيع : فما شعرت إلا وإسحاق نفسه في خيله ورجله قد أحاط بالدار ثم كبسها فاستخرجني منها ، حتى أوقفني بين يدي المأمون حافياً حاسراً . . . .

وفي المستجاد (صفحة ٨١) : فما شعرت إلا بإبراهيم بنفسه في خيله ورجله وحفله والمولاة معه حتى سلمتني إليه فرأيت الموت عياناً . . . ومثل هذا في مخطوط التاريخ . فما تعليل هذا الخطأ التاريخي المشترك بين مخطوط التاريخ و كتاب المستجاد ؟ والجواب أن أحدهما نقل من الآخر

فتواتر الخطأ . والظاهر أن مصنف المستجاد قد نقل من كتاب التاريخ هذا دون تصحيح الخطأ لتعويله على أمانة مصنف الكتاب واطمئنانه لكل ما أورد .

قلنا إن مصنف هذا التاريخ قد عوّل على كثير من كتب التاريخ والأدب ولو تتبعنا وَفَيات مصنفي هذه الكتب فإننا لا نجد أيّاً منهم كان حيّاً بعد التنوخي المتوفّى سنة ٣٨٤ هـ ، وإننا لا نجد في الكتاب أية إشارة توحي أن هذا الكتاب كتب بعد وفاة التنوخي ، وهناك بعض الأدلة التي وردت في الكتاب تؤكد أصالته للتنوخي وهي :

١ ـ دليل الرواية

٢ ـ تشابه روايات كتاب التاريخ مع روايات الفرج والمستجاد .

٣ ـ أن التنوخي لم يكن معتزلياً

١ ـ دليل الرواية :

في الورقة ٦٩ب ، روى حكاية جعفر البرمكي حين أراد شراء جارية في البصرة فقد رويت بالنص الحرفي في كتاب الفرج بعد الشدة .

في المطبوع من الفرج ٣٩٣/٢ جاء الإسناد : حدثني أبو الفرج علي ابن الحسين المعروف بالأصبهاني إملاءً من حفظه قال : حدثني الحسن بن يحيى الرقاشي قال : حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي المخطوط من الفرج ٥٢٠ جاء الإسناد : وعن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني أبي قال : لما دخل الرشيد ...

وفي مخطوط التاريخ جاء الإسناد : قال إبراهيم الموصلي : لما دخل الرشيد ...

وفي نهاية الخبر في ورقة ٧١أ جاء : ذكر أبو علي محمد بن الحسين ابن جمهور العمي البصري الكاتب في كتاب السمار والندامى « فزعم أن الرشيد لما حجّ معه إبراهيم الموصلي وساق الخبر عن قريب مما ذكرناه . . » فقد ورد بالنص الحرفي في كتاب الفرج المطبوع ٣٩٦ ، ننقله مع تصحيفاته وتحريفاته : « ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره أبي علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي البصري الكاتب في كتابه كتاب (السمّار والندماء) فزعم أن الرشيد لما حجّ كان معه إبراهيم الموصلي ، واقتصّ الخبر على قريب مما ذكرناه » .

وفي المخطوطة من الفرج ٥٢٥ « وقد ذكر في هذا الخبر زيادة من وجه آخر ذكره أبو علي في كتاب السمّار والندماء وأن الجارية غنت بصوت إبراهيم ... » . وأبو علي هذا هو محمد بن الحسن أو الحسين بن جمهور العمي شيخ المحسّن التنوخي الذي قال فيه : « كان محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثيرَ الملازمة لأبي ، وحرّر خطي لما قويتُ على الكتابة لأنه كان جيد الخط ، حسن الترسل ، كثير المصنفات لكتب الأدب ، فكثرت ملازمتي له » (معجم الأدباء ٤٩٨/٦) . وقال عنه في النشوار « حدثنا أبو علي محمد بن الحسن ابن جمهور العمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة (إشارة إلى جاريته المغنية زادمهر) المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب » (٢٥٨/٣ نشرة الشالجي) .

وعن ابن جمهور هذا قال الشابشتي المتوفّى سنة ٣٨٨ﻫ في كتاب الديارات : « كان أبوه من رواة أهل البيت صلوات الله عليهم وحاملي الأثر عنهم ، وكان أبو علي ظريفاً متأدباً مليح الشعر والكتابة ، وقد سافر في طلب العلم وتطوّح في مواطن اللعب ، وعاشر أهل الخلاعة ، وطرق

الحانات والديارات ، ثم أقام بالبصرة وحسنت حاله بها وصارت له نعمة كثيرة » . (صفحة ١٧٢ نشر كوركيس عواد – بغداد ١٩٥١) . وذكره ابن النديم في فهرسته (صفحة ٢٢٣) فقال : « بصريّ ، ويعدّ من خاصة أصحاب الرضا عليه السلام ... وقد روى كتاب الأمل والرجاء لابن يقطين الشيعي ، وهذا الكتاب يذكر فيه أشـياء مما يرجو الشيعة من فضائلهم ومنزلتهم . » وقد عدّه أصحاب الرجال من الشيعة من رجالهم ، كرجال النجاشي ٦/٤٩٨ ، ومنهج المقال في أحوال الرجال لمحمد بن إسماعيل ص ٣٥٧ ، وتنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقاني ٣/١٠٠ - ١٠١ . ولعلّ هذا الظرف وما تبعه من ملاحة في الأدب والشعر هو الذي قرّب بينه وبين والد المحسّن ، فكثرت ملازمته له ، لما كان يجمعها من الظرف وحسن المنادمة وطيب العشرة ، على تباين مشربيهما ، فالتنوخي كما وصفه بعض المؤرخين كان حنفياً معتزلياً ، وابن جمهور كان شيعياً ، ولعل اتصال والد المحسن ، ومن ثم المحسن نفسه ، بابن جمهور هذا ، ورواية كتاب قضاة بغداد عن طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد المعتزلي الذي كان يذهب إلى الاعتزال ويدعو إليه ، حدا ببعض أصحاب التراجم أن يصفوا ابنه أبا القاسم علياً بالرفض والاعتزال معاً [٥] ، ولاندري كيف يكون معتزلياً ، وقد روى نفسه ما يسيء إلى ابن أبي دؤاد وهو رأس من رؤوس الاعتزال . فقد روى الخطيب [٦] : « أخبرني علي بن المحسن التنوخي ... قال أنشدني أبو الحجاج الأعرابي :

نكست الدين يا بن أبي دؤادٍ فأصبح من أطاعك في ارتدادِ
زعمتَ كلام ربك كان خلْقاً أما لك عند ربك من معادِ »

ولعل قولَ أبي الفضل بن خَيْرون : قيل كان رأيه الرفض والاعتزال . وقولَ شجاع الذهلي : إنه كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال على ما روى

ابن حجر العسقلاني[٧] ـ مردّه إلى الحكاية التي رواها ابن الجوزي ، (المنتظم ١٤١/٨ - ١٤٢) : « وفي يوم عيد الفطر ثارت الفتنة بين أهل الكرخ [من الشيعة] وأهل القلائين [من السنة] فاشتدت ووقع بينها جرحٌ وقتل ... وانهى إلى الخليفة أن القضاة أبا الحسن السمناني ، وأبا الحسن البيضاوي ، وأبا علي الدامغاني ، وابن الواثق وابن المحسن الوكيلين ، حضروا عند القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وجرى ذكر أهل الكرخ وما عملوا فقال التنوخي : هذه طائفة نشأت على سبّ الصحابة وما مُنعت منه إلا جدّت به ، ولا كان لدار الخلافة أمرٌ عليها ، فما تحاول الآن منها ؟ ... » وهنا تعريض واضح بالخليفة وضعفه ، وقد نقل قوله هذا للخليفة فأمر قاضي القضاة بالتوقف عن قبول شهادته وملازمة بيته لأنه قال صدقاً وأبان حقيقةً وكان هذا كافياً لأن يوصم بالرفض .

وقد نقل قول ابن الجوزي الذي قال فيه : « وكان محتاطاً صدوقاً إلا أنه كان معتزلياً ويميل إلى الرفض » (المنتظم ١٦٨/٨) كلُّ من جاء بعده ، مع أن تلميذه الخطيب البغدادي لم يذكر ذلك عنه على أن ديدنه ذكر مذاهب الرجال .

ومن دليل الرواية ماورد في ورقة ٩١ أ من مخطوط التاريخ : [حدثني طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد قال : حدثني ابن أبي حسان الزيادي [قال : حدثني أبي عن أبيه] قال : ضقت ضيقة شديدة ...

وحدثني هذا الحديث أيضاً أبو الفرج جعفر بن محمد ولد صاحب المصلّى قال : حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي حسان الزيادي وكان محدثاً ببغداد مشهوراً ثقة قال : حدثني أبي عن أبيه قال : كنت وليتُ القضاء من قبل أبي يوسف القاضي ثم صرفت وتعطلت سنين فضقت ضيقة

شديدة . . وذكر الحديث على نحوماذكر ، قال أبو الفرج في حديثه : فلما بلغ بي حماري مربعة الخُرْسي استقبلني موكب فيه مهرجان والنفاطات قد أضاءت الطرق . . . فإذا رجل من الموكب يقول لي : أبو حسان والله ، وتأملت فإذا هو دينار بن عبد الله . . . وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في أخبار دينار أنه لقي أبا حسان في الطريق . . .

وحدثني أبي بهذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكَره وأنسيتُه أنا عن أبي حسان بنحو ما ذكره محمد بن جعفر . . .]

هذه الحكاية وردت بالنص الكامل مع الإسناد في الفرج بعد الشدّة ١٦٠ إلاّ أنه روى بداية الحكاية عن القاضي أبي طالب محمد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي فيما أجاز له « لي روايته عنه بعد ما سمعته منه »، ثم قال : ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد ، قالوا : حدثنا أبو حسان . . . إلى أن قال : « وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو القاسم بن أبي حسان . . . وذكر الحديث على نحو ماذكره طلحة إلا أنه قال : فلما بلغت بغلتي مربعة الخُرْسي . . . وحدثني أبي هذا الحديث في المذاكرة قال : حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا عن أبي حسان الزيادي بنحو ماذكره محمد بن جعفر . . . »

إن قوله : « على نحو ماذكره طلحة » يدلّ أن الحديث كان حديث طلحة ، وأن اسم طلحة سقط من الإسناد الذي جاء كاملاً في مخطوط التاريخ . وأن رواية المحسّن التنوخي عن طلحة هذه ليست فريدة ، فقد روى عنه مرة أخرى في الفرج فقال : « حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد » (١/١٩٣) ، غير أن ابنه أبا القاسم كان أكثر حديثاً عن طلحة منه . ولعله هو الشاهد الذي طلب من التنوخي أن لا يذكر اسمه حين روى في النشوار خبر خلع المطيع لله نفسه من الخلافة (٣/٢٠٦ الشالجي) فقال : « وأخبرني

شاهد من الشهود المقبولين ببغداد ، وسألني أن لا أذكر اسمه » ، فقد ورد اسمه مع الشهود الأربعة في تاريخ ابن الكازروني (صفحة ١٨٩ - ١٩٠) وخلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي الذي نقل رواية ابن الكازروني دون نسبتها له (٢٥٨) . وقد فعل مثل هذا كثيراً . وطلحة بن محمد بن جعفر الشاهد ولد سنة ٢٩١ هـ وتوفي سنة ٣٨٠ على ماروى الخطيب البغدادي وأنه كان المتقدم في وقته على الشهود ويذهب مذهب الاعتزال (٣٥١/٩) .

أما أبو الفرج محمد بن جعفر ولد صاحب المصلّى فقد ولد سنة ٢٩٦هـ وتوفي ٣٧٤هـ (تاريخ بغداد ١٥٤/٢ - ١٥٦) وقد رآه المحسّن التنوخي وحدثه وحدث ابنه أبا القاسم أيضاً ، قال الخطيب البغدادي : « أخبرنا التنوخي (أبو القاسم علي بن المحسن) قال : سمعت أبا الفرج محمد بن جعفر بن الحسن بن سليمان بن علي بن صالح صاحب المصلّى وسأله أبي عن سبب تسمية جدّه بصاحب المصلى فقال . . . » (٤٣٨/١١)

وأما أبو القاسم بن أبي حسان الزيادي فهو عمر بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن حسان بن عبد الرحمن بن يزداد ، قال عنه الخطيب : « كان ثقة وتوفي سنة ٣١٤ هـ » (٢٢٤/١١) .

إن حكاية أبي حسان الزيادي لم ترد في مخطوط التاريخ والفرج بعد الشدة فحسب ، بل إن قسماً منها ورد في النشوار الذي وصلنا أيضاً . قال المحسن التنوخي : « حدثني أبي بإسناد ذكره أن أبا حسان الزيادي كان من وجوه فقهاء أصحابنا ومن غلمان أبي يوسف ، وكان من أصحاب الحديث وكان قد تقلد القضاء قديماً ثم تعطل فأضاق فلزم مسجداً حيال داره يفتي ويدرس الفقه ويؤمّ ويحدث ، وإضاقته كلّ يوم تزداد . . . » (٢٢٣/١ - تحقيق مارجليوث) ثم روى الحكاية كما وردت في كلٍّ من الفرج بعد الشدّة ومخطوط التاريخ .

٢ ـ تشابه روايات المخطوط مع كلٍّ من الفرج والمستجاد :

وإليك بعض الأمثلة من هذا التشابه :

١ ـ بلغ إسراف خالد في المال فعزله وألزمه ثلاثة آلاف ألف درهم . . .

مخطوط التاريخ ورقة ٣٨ب ، الفرج ٢/٢٨٧ ، وأوردها ياقوت في إرشاده ٦/٨ والجهشياري في كتاب الوزراء ١٩٧ وقالوا : إن المهدي ألزم يحيى بن خالد ألف ألف درهم . . .

٢ ـ حكاية المهدي حين انتبه ليلاً وطلب من صاحب شرطته أن يطلق علوياً في السجن بسبب رؤيا رآها .

مخطوط التاريخ ورقة ٥٣ أ ، الفرج ١/١٦٥ ، وروى المسعودي هذه الحكاية وأنها حدثت للرشيد حين أطلق موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ (مروج الذهب ٦/٣٠٦ ـ ٣١١) .

٣ ـ حكاية الزنادقة الذين حملوا للمأمون من البصرة وانضمام طفيلي لهم وتدخل إبراهيم بن المهدي لإنقاذه حين روى للمأمون حكايته إذ تطفل وما جرى له .

مخطوط التاريخ ورقة ٨٤ أ ، المستجاد ٥٣ ـ ٦٣ ، فقد رويت في كليهما عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم ، وأوردها المسعودي عن ثمامة بن أشرس (٧/١٢ ـ ٢٥) .

ومثل هذا التشابه يصحّ على كثير من الروايات المشتركة بين كتاب التاريخ والفرج والمستجاد ، مثل حكاية عمرو بن مسعدة مع الصيرفي البغدادي فروى التنوخي في الفرج (صفحة ٢٤٤) قصة الكاتب المتعطل ثم أردفها بقوله : « قال مؤلف هذا الكتاب : بلغني لعمرو بن مسعدة في زلاله خلاف حدثني به عبد الله بن الحسن العبسي وهو يذكر . . ان عمرو بن مسعدة

كان مصعداً من واسط إلى بغداد . . . » فقد رويت قصة الصيرفي البغدادي حرفياً في كتاب التاريخ إلا أن مصنفه أو لعل ناسخه اكتفى بـ : « حدّث عبيد الله بن محمد بن الحسن الحنفي العبسي قال . . . » بدلا من : « حدثني . . . » (ورقة ٩٥ ب) .

٣ ـ هل كان المحسن التنوخي معتزليا ؟

لقد ذكر مارجليوث وتبعه كلُّ مَنْ كتب عن التنوخي أنه كان معتزليا لأنه أورد في النشوار حكايات عن المعتزلة أو عن صبيانهم وأسندها إلى جماعةمن أصحابه ممايدل على قبوله لها ، وان أثر الاعتزال واضح في كتب التنوخي حيث أورد أخبار بعض المعتزلة وبعض قصصهم التي تظهر فيها المبالغات والتي لايتقبلها سوى صاحب الميل كقوله : « سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن » . ذكر هذا كلّه بدرى محمد فهد في كتابه : القاضي التنوخي و كتاب النشوار (بغداد١٩٦٦ ، صفحة ٢٣) ولكي يُمين قوله هذا بحجة فقد أحال على كتاب الفرج (صفحة ٣٤٦) والنشوار (١/٢٧٠) ، ولما تصفحنا الفرج وجدنا التنوخي يروي قصة العتابي منقولة من كتاب الوزراء للجهشياري : « ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء قال حدثني . . . حدثني يموت بن المزَرّع قال : كان العتابي يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد(٨) . . . » فيا عجبي ! كيف نصف المحسن التنوخي بالاعتزال لأنه أورد أخبار بعض المعتزلة ولا نصفه بالزندقة لأنه أورد حكايات بعض المجوس والزنادقة ؟ ولو يصحّ مثل هذا القياس لتغيرت معالم العلماء ونِحَل المصنفين . والتنوخي نفسه روى في حكاية إبراهيم بن عبد الله الهبيري الذي كان يلتمس تصرفاً من الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقال : « وكان ابن الزيات » يرى أي المعتزلة ويقول إن الأرزاق بالاكتساب » مع أن مدلول القصة يعني أن الرزق بالتقدير الإلهي وليس اكتساباً لأن الهبيري أخذ رزقه رغم أنف الزيات .

(مخطوطة الفرج ٣٤٠ - ٣٤١ ، ولم ترد في المطبوعة[٩]) . فلو كان الرجل معتزلياً لأعرض عن مثل هذا القدح في رأي يراه مع أن أحداً من أصحاب التراجم لم يصمه بالاعتزال كما وصموا أباه أو ابنه ، ولعل السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ كان أول من قال في أبيه : « وكان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة ، ويعرف النجوم وأحكامها معرفة ثاقبة » (ورقة ١١٠ب) فحرّف ابن الأثير هذا القول فقال عنه : « وكان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم» (الكامل ٣٨٠/٨) . وشتان ما بين الكلامين ، ولكنهما يتفقان مع غيرهما من أصحاب التراجم في أن والد المحسن كان فقيهاً حنفياً . وقول السمعاني إنه كان يعرف الكلام في الأصول على مذهب المعتزلة وقول ابن الأثير : إنه كان عالماً بأصول المعتزلة ، لا يجعلان منه معتزلياً ، بله ابنَه المحسِّن الذي قال فيه ابن الأثير : « وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه » (الكامل ١١/٩) . ولكن ابن الأثير لم يُعد كلامه هذا في سنة وفاة التنوخي واكتفى بقوله : « وكان فاضلاً » (٧٤/٩) ، والأدلة كثيرة على تحنف المحسن في كتبه ، نورد واحداً منها .

قال التنوخي في النشوار (٥٢/٣ - ٥٣ نشر الشالجي) : « حدثني عبد الله بن أحمد بن داسة . . . كان أبو زهير الجبائي الفقيه ورعاً حاذقاً بمذهب أبي حنيفة . . . قال لي عبد الله بن داسة : إن أبا زهير هذا هو أستاذ أبي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب أصحابنا . وكان محمد بن عبدل أستاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل وما سمعت منه هذه الحكاية » .

فلو صح افتراضنا في أن هذا الكتاب للتنوخي المحسن فإن فيه أكثر من دليل يثبت ان التنوخي لم يكن على الإطلاق معتزليا إلا إذا اعتبرنا هذه الأخبار (وكلها في نهاية خلافة المعتصم) مقحمة في أصل النص وأنها كانت على الحاشية فأضافها الناسخ إلى الأصل ، ولما كانت هذه النسخة الوحيدة (هذا

القسم سقط من نسخة الجزائر) فإننا لا نستطيع أن نثبت أو ننفي أصالة هذه الأخبار (وهي خمسة أخبار تحتل صفحة من المخطوط) وإن كنت لا أشك في أن أكثر من واحد منها مقحم في النص :

١ - جاء في الورقة ١١٤ أ : « وكان المعتصم مع خلاله الحميدة وأفعاله السديدة قد أغواه الشيطان ، وقال بخلق القرآن ، تقليداً لغاوٍ أغواه ، وفاسق أثبته حتى اشتمل عليه واحتواه ، وحمل الناس عليه وندبهم بالسيف وضربهم بالسياط ، ليقولوا بهذا الخباط ، وبلغ به الجدّ في ذلك والاغتباط ، على أن يضرب الإمام أبا جعفر (كذا : وهو أبو عبد الله) أحمد بن حنبل ، فأحضره في شهر رمضان وضربه نحو ثلاثين [سوطاً] وهو عريان فمالت عنقه ، فظنوا أنه قد ذهب رمقه ، فترك وطرحت عليه ثيابه ، وسبب الله له السلامة انسباب (كذا) وعصم الله الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من اتباعه على الضلال ، وقوله بهذا المقال » ، فإن في هذا النص تكلفاً لغوياً وحماسة مذهبية حنبلية ظاهرة ، والتنوخي بعيد عن مثل هذا التكلف والتعصب.

٢ - وفي الورقة نفسها جاء : « قال أبو شعيب الحرّاني : كنا مع أبي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم ، وأحمد بن حنبل يضرب ، فجعل أبو عبيد يقول : أيضرب سيدنا الأمير ، أيضرب سيدنا الأمير ، فقال أبو شعيب :

ضربوا ابنَ حنبل بالسياط بجهلهمْ بغياً فثبت بالثبات الأنور
قال الموفق حين مدّد بينهم مدّ الأديم على الصعيد القرقر
إني أموت ولا أبوء بفجره تصلى بوائقها محل المفتري

٣ - وفي الورقة نفسها وردت حكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل وقد دخل على أبيه فأشهده على عفوه عن المعتصم فقال : « وإني أشهدك أني جعلت المعتصم في حلّ » .

٤ ـ وفي الورقة نفسها ب : وردت حكاية أحد أصحاب أحمد بن حنبل حين رآه في النوم فقال له : مافعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ورحمني وحباني وقال لي : يا أبا عبدالله إنما أعطيتك لأنك قلت القرآن غير مخلوق ».

٥ ـ وفي الورقة نفسها : وردت الحكاية الأخيرة : « وروى عن علي ابن الموفق قال : حدثني أبو عمرو التمار قال: كان لنا جار مجوسي يقال له بهرام فمات فرأيته في أقبح صورة فقلت : بهرام ! فقال بصوت ضعيف: نعم بهرام يا أبا عامر ، فقلت له : إلى أي شيء صرت ؟ فقال : إلى قعرها ، فقلت: أيحبكم أحد ؟ قال : هؤلاء الذين يقولون : القرآن مخلوق » .

وفي خلافة الواثق بالله أورد مؤلف الكتاب خبرين أحدهما عن المسعودي وكلاهما في الرد على من قال بخلق القرآن :

١ ـ قال عبادة المخنث : دخلت على الواثق أمير المؤمنين والناسُ يمتحنون، بعضهم بضرب ، وبعضهم بقتل، وبعضهم بحبس ،قال عبادة : . . . فقلت : أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين ،فقال لي : ويحك في من ؟ قلت : يامولاي في القرآن ، فقال لي : والقرآن يموت ؟ فقلت : يامولاي أليس كل مخلوق يموت ؟ فإذا مات القرآن في شعبان بمَ تصلي في الناس في رمضان ؟ فقال : أخرجوه . وقيل : إنه رجع عن القول بخلق القرآن من ذلك اليوم .

٢ ـ الحكاية التي رواها المسعودي في مروجه (٢٢/٨ - ٢٧) وهي حكاية الشيخ الذي قدم على الواثق من أدنة ، وما جرى له مع أحمد بن أبي دؤاد (ورقة ١١٥أ وما بعدها) . وأعاد ذكر هذه الحكاية في خلافة المهتدي محمد بن الواثق بالله (ورقة ١٣٥ ب) حين همّ صالح بن علي الهاشمي أن يسأله فقال المهتدي : « كأني بك وقد استحسنت مارأيت من مجلسنا؟ فقلت : أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول بخلق القرآن . . . فقال : قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخٌ طوال

حسن السيلة من أهل الفقه والحديث من أهل أدنة . . . فرجعت من ذلك الوقت عن تلك المقالة ، ورجع الواثق عنها » .

فنحن بين أمرين لا ثالث لهما ، إمـا أن نقبل افتراضنا في أن هذا الكتاب هو من تصنيف المحسن التنوخي فيتعين عندنا أنه لم يكن معتزلياً وإن عدّه ابن المرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ) وعدّ أباه من المعتزلة ، لأن ابن المرتضى عدّ محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة والإمام الشافعي ودعبل الخزاعي في من عدّ من القائلين بالعدل ، وكلٌّ واحد من هؤلاء له مشربه المعروف به ، ثم قال في ترجمة دعبل الخزاعي : « ونظراؤه من فحول الشعراء من القائلين بالعدل أكثر من أن يُحصَوْا ، كالكميت في المتقدمين ، وعلي بن محمد التنوخي وابنه وغيرهم » (طبقات المعتزلة ١٣٢) فقد عدّهم في الشعراء ، والشعر أقلّ شيء عرفوا به ، هذا إذا قلنا : إنه أراد بهذين الاسمين المحسّن وأباه .

والأمر الثاني : أو أن نرفض نسبة هذا الكتاب له ، وهنا يتعين علينا أن نجد تفسيراً معقولاً للأدلة التي أوردتها في نسبة الكتاب له ، وهي أقوى من دفعه عنه .

إضافةً إلى كل ما ذكرت من الأدلة فإن هناك إشارتين وردتا في الكتاب:

الأولى : في كلامه على الوزير أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري ، وزير المهدي قال : « وهو جد محمد بن عبد الوهاب الكاتب » ، ورقة ٥١ ب.

الثانية : في خلافة المقتدر ، ورقة ١٥٧ ب ورد ما يأتي : « وفي سنة أربعة عشر وثلاثمائة عزل المقتدرُ أحمدَ بن إسحاق بن البهلول القاضي وكان على قضاء مدينة المنصور أحمد بن سهل الأشناني ثم ندم على ذلك ، فأنفذ بقهارمته مهلة وأم موسى وغيرهما ،يأمره بالرجوع إلى القضاء فقال :

قد كبر سني وفي رقبتي علمٌ أحبّ أخرجه إلى الناس وإلقاؤه إليهم ، وأنا أسأل أمير المؤمنين إعفائي منه ، ثم أخرج رقعة من تحت وسادته فقرأها عليهن وأنفذها مع الذي كتبه من المسألة له في الإعفاء عن القضاء وفيها :

تركت القضاء لأهل القضاء وأقبلت اسموا إلى الآخرة
فان يك فخراً يعيد الثناء فقد نلت منه يداً فاخرة
وان يك وزراً فأبعدْ به فلا خير في نعمة وازرة »

لقد نقلت هذا النص بما فيه من أخطاء بأنواعها ، فإن المشهور عند أصحاب التراجم أن القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول صرف عن القضاء بمدينة المنصور سنة ست عشرة وثلاث مائة بأبي الحسين عمر بن الحسن بن علي بن الأشناني الذي عزل بعد ثلاثة أيام من توليه القضاء(١٠) ، وأن أحمد ابن سهل الأشناني لم يكن قاضياً وإنما كان أحد القراء المجوّدين كما يقول الخطيب (١٨٥/٤) ، فلا بد أن شيئاً سقط من النص وهذا ظاهر بيّن ، لأن أحمد بن إسحاق بن البهلول هو الذي كان قاضياً على مدينة المنصور ، ولأن أحمد بن سهل الأشناني كان قد توفي سنة ٣٠٧ ﻫ وقبل أن يعزل ابن البهلول ، فلعل الساقط من النص كان : . . . قضاء مدينة المنصور [بأبي الحسين عمر بن الحسن الأشناني وهو صهر ، ختن] أحمد بن سهل الأشناني ، أو شيء من هذا حتى يستقيم النص تاريخياً في الأقل . وقد رويت حكاية هذا العزل في مصادر عديدة كتاريخ بغداد ، والمنتظم ومعجم الأدباء ، وكلها روت الحكاية عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن طلحة ابن محمد بن جعفر الشاهد ، وأضاف ياقوت أن ابن عبد الرحيم التنوخي سمع الحكاية من أبي القاسم علي التنوخي وكان له بأمره (أحمد بن إسحاق ابن البهلول) الخبرة التامة لما يجمعها من النسب في الصناعة (معجم الأدباء

٩٢/١) . أما الخطأ في تاريخ العزل فلعله خطأ من الناسخ .

أوردت هذه الحكاية لأنها الحكاية الوحيدة في المخطوط تذكر شيئاً عن قاضٍ عباسي ، وأهمية هذه الحكاية تأتي من أن ابن البهلول يتصل بالنسب مع التنوخيين .

أما محمد بن عبدالوهاب الكاتب فلم أعثر على ذكر له في ما لديّ من مصادر ، فلعل أحداً من الإخوة القراء له علم بـه ، فإن فوق كل ذي علم عليم .

وبعد ، ألا يحق لنا أن نقول : إن أبا علي المحسن بن علي التنوخي صنف كتاباً في التأريخ ؟ .

الدكتور قاسم السامرائي

لايدن — هولندا .

التعليقـــات

(١) مثله نسخة في مكتبة بودليان باكسفورد ، ذكر هذا بروكلمان في الملحق ٢٥٣/١ ، رقم ٤

(٢) من هؤلاء : رشدي فكار كتب رسالة جامعية عن التنوخي وكتابه الفرج بعد الشدة ، وبدري محمد فهد كتب كتاب القاضي التنوخي وكتاب النشوار ، وشكري فيصل كتب مقالاً طريفاً عن النشوار ورحلته في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وقبله كتب أحمد تيمور عن ألفاظ النشوار في المجلة نفسها ، وكتب المستشرق الألماني فينر عن أدب الفرج بعد الشدة في مجلة در إسلام الألمانية ، وباريت في الموسوعة الإسلامية وغير هؤلاء . وانظر كتاب بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ملحق ٢٥٢/١ — ٢٥٣ عمن كتب عن التنوخي .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ذكر بني العباس وسبب ظهورهم

قال [illegible] بن صفوان حضرت مرة فرأيت بني عبد المطلب كأنهم بروج
فضة وكان عما يعصم الزينة وكان العباس رضي الله عنه من بينهم كطلعة
البدر فسألت عنهم فقيل لي هؤلاء بنو عبد المطلب فقلت إن الله إذا أراد أن
يبني دولة أسس لها مثل هؤلاء هذا غرس الله لا غرس البشر وحج فمر بي
ساعة له براهيم فقلت والله ليكونن لهؤلاء نبأ عظيم وأمر جسيم
وكان العباس رضي الله عنه وكنيته أبو الفضل كان رئيسا
في الجاهلية وكان يقوم بالسقاية والرفادة في الجاهلية فأقره رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك في الإسلام وكانت له عمارة المسجد الحرام
ولا يقول فيه هجرا فكان يحملهم على عمارته في الخير لا يستطيعون لذلك
امتناعا لأن ملأ قريش اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانا
عليه وسلموا ذلك إليه وكان رضي الله عنه من أوسع الناس صدرا وأكرمهم
أخلاقا وأحلمهم وكان له ثياب لعاري قريش وجفنة لجائعهم وسلسلة
لعاصيهم وجاء الإسلام وهو كذلك ففي ذلك قال عمر رضي الله عنه
هذا والله هو الشرف يطعم الجائع ويكسي العاري ويؤدب الجاهل
وفيه وفي جفنته وكسوته وسلسلته يقول الشاعر

نموذج الصفحة الأولى من كتاب « ذكر بني العباس وسبب ظهورهم »

انظر وصف المخطوطة في ص ٥٢٩

(٣) نشر صديقي شورد فان كوننكزفلد فهرساً لطيفاً لهذه المجموعة مع وصف مقتضب لها في مجلة :

Bibliotheca Orientalis , Sept - Nov . 1973 , No : 5 - 6 , PP . 370 - 385

Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten , Leiden — Holland .

(٤) وفيات الأعيان ، نشر وستنفلد ، رقم الترجمة : ٤١٦ ، وحكاية عبد الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن والحادي لم ترد في مخطوطة الوفيات المحفوظة في لايدن برقم ١٥٩١ شرقي* ، ورقة ٤٨٤ ، ولا في تلك التي نشرها محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله بالقاهرة ١٩٤٨ ، ٣٩٤/٢ — ٣٩٥ ، لكنها وردت عند الثعالبي في كتابه : ثمار القلوب ١٩٨ — ١٩٩ ، ٣٥٩

(٥) النجوم الزاهرة ٢١٨/٢ ، المنتظم ١٦٨/٨

(٦) تاريخ بغداد ١٥٣/٤

(٧) لسان الميزان ٢٥٢/٤ — ٢٥٣

(٨) أما في النشوار ٢٧٠/١ ، فهناك ثلاث حكايات ولعله أراد التي فيها : أخبرني غير واحد من أصحابنا ... أو قوله الآخر : سمعت جماعة من أصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة ... إذ ليس في هذين القولين دليل على اعتزاليته ، فكم روى عن متكلم شيعي أو حنبلي أو متزندق أو شاعر أو أمير أو وزير فإن قوله : سمعت جماعة من أصحابنا لا يعني إطلاقا : من أصحابنا المعتزلة .

(٩) وقد ذكر التنوخي حكاية الهبيري في النشوار (٢١١/١ — ٢١٤) إلا أنه ذكر أن الوزير كان ابن أبي خالد الأحول ، ولم يذكر في الحكاية ماسبق أن نقلناه من كتاب الفرج المخطوط ، بيد أن قصد القصة واحد في الحكايتين .

(١٠) تاريخ بغداد ٢٧٨/١ ، ٣١/٤ ، ٢٣٧/١١ ، المنتظم ١٤٦/٢ ، ١٦٦ ، ٢٣٢ ، معجم الأدباء ٨٢/١ — ٩٤ ، وكيع ٢٨٥ ، مروج الذهب ٣١٠/٤ ، الجواهر المضية ٥٧/١ — ٥٩

(*) وردت الحكاية في نشرة الدكتور إحسان عباس للوفيات ج ٣ ص ٢٣٠ ومابعدها . وانظر تعليق الاستاذ المحقق .

كتاب المتوارين

للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي

٣٣٢ - ٤٠٩ هـ

تحقيـــق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

من الرسائل الصغيرة التي أثارت اهتمامي وأنا أتصفح فهرست المجاميع المخطوطة التي تضمها دار الكتب الظاهرية بدمشق : رسالة « المتوارين » تأليف الحافظ المصري عبد الغني بن سعيد الأزدي ، المتوفّى سنة ٤٠٩ هـ .

والرسالة — كما يرشد اسمها — تُعنى بأخبار عددٍ من المشاهير اضطرتهم السلطة إلى التواري والتخفي والتنكر والهروب عن أعين الناس . وقد وردت تلك الأخبار فيها مدعمةً بأسانيد رواتها فرداً فرداً ، وبأنباء أولئك المتوارين أثناء تواريهم وما جرى عليهم خلالها من شؤون وشجون .

ولم يجهد الأزدي نفسه في استيعاب أخبار المتوارين في التاريخ الإسلامي ، وإنمـــا اقتصر على خصوص مَنْ توارى في فترة الحجاج بن يوسف الثقفي

والروايات التاريخية تدلنا على أنَّ المؤلـف قـد ذاق مـرارة

التواري بعض الوقت خوفاً من جبار مصره في عصره ، لأنه « كانت بينه وبين أبي أسامة جنادة اللغوي وأبي علي المقري الأنطاكي مودة أكيدة ، واجتماع في دار الكتب ومذاكرات ، فلما قتلها الحاكم صاحب مصر استتر بسبب ذلك الحافظ عبد الغني خوفاً أن يلحق بهما لاتهامه بمعاشرتهما . وأقام مستخفياً مدة حتى حصل له الأمن فظهر »[1] ، وقد يرجح في الظن أن تأليف الكتاب قد تمّ خلال هذه المدة التي أقام فيها مستخفياً ، وكانت — على وجه التحديد — سنة ٣٩٩ هـ ، وهي سنة مقتل صديقَيْه السالفي الذكر .

وعندما يجمع كتابٌ ما طرافة الموضوع وأهمية المؤلف ومعاناته التي أملتْ عليه التأليف يكون — في ظني — أهلاً للتحقيق والنشر ، ليطلع عليه المعنيون ويستفيد منه المتتبعون ، ويُضَمّ — من ثَمّ — إلى مجموعة التراث الخالد .

إنّ مؤلف الرسالة هو الحافظ الشهير أبو محمد ، عبد الغني بن سعيد ابن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، الأزدي ، الحَجْري ، المصري .

ولد لليلتين بقيتا أو خلتا من شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين . وتوفي والده سعيد — وكان من كبار الفرضيين — سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

سمع من عثمان بن محمد السمرقندي ، وأحمد بن بهزاذ السيرافي ، وإسماعيل ابن يعقوب الجراب ، وعبد الله بن جعفر بن الورد ، وأحمد بن إبراهيم بن جامع ، وأحمد بن إبراهيم بن عطية ، ويعقوب بن مبارك ،

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٩٠

وحمزة بن محمد الحافظ . وبالشام من أبي بكر الميانجي ، والفضل بن جعفر المؤذن ، وأبي سليمان بن زَبْر ، وطبقتهم .

روى عنه محمد بن علي الصوري ، ورَشأ بن نظيف ، وأبو عبد الله القضاعي ، وعبد الرحمن بن أحمد البخاري ، وأبو علي الأهوازي ، وأبو إسحاق النعماني الحبال ، وخلق كثير .

أثنى عليه لفيف من علمـــاء عصره كأبي الوليد الباجي والبرقاني والدارقطني والطرسوسي والطيوري والعتيقي وأضرا بهم .

وله من المؤلفات :

١ ـ كتاب إيضاح الإشكال في الرواة

٢ ـ كتاب الرباعيات في الحديث .

٣ ـ كتاب الغوامض والمبهمات .

٤ ـ كتاب الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقات .

٥ ـ كتاب كشف الأوهام .

٦ ـ كتاب المتوارين « وهو هذا الذي نقدم له » .

٧ ـ كتاب مشتبه النسبة « طبع بالهند سنة ١٣٢٧ هـ » .

٨ ـ كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال « طبع بالهند مع الكتاب السابق في مجلد واحد في سنة ١٣٢٧ » .

توفي في سابع شهر صفر ، ليلة الثلاثاء ، سنة تسع واربعمائة ، بمصر ، وفي رواية السمعاني : سنة نيف وعشرة واربعمائة ، وكانت له جنازة عظيمة تحدّث بها الناس [1] .

* * *

(١) رجعنا في ترجمة المؤلف إلى الكتب الآتية :

الأنساب : ١/١٨١ ، والمنتظم : ٧/٢٩١ ، ومرآة الجنان : ٣/٢٢ ، والبداية والنهاية : =

تحتفظ دار الكتب الظاهرية بدمشق بأصل الرسالة[1] ضمن المجموع ذي الرقم (٧١) . تبدأ الرسالة من الورقة ٢١/أ وتنتهي مع سماعاتها بالورقة ٢٨/أ ، قياس كل صفحة ١٦ × ١٢ سم ، ٢٠ سطراً في المعدّل . خط الرسالة تعليق وكتب بالقلم الأحمر على أوائل الأبواب . ليس فيها ذكر لاسم الناسخ ولا لتاريخ النسخ ولكنّ أقدم سماع فيها مؤرخ ٥٩٨ هـ . أهمل الناسخ إثبات الهمزة كما أهمل إثبات الألف في كثيرٍ من الأسماء فكتب « خلد » يعني خالد ، وكذلك أهمل النقط في أكثر الكتاب .

والرسالة موقوفة بدار الحديث بالضيائية ، ويقول مفهرس قسم التاريخ من مخطوطات الظاهرية إن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي هو صاحب النسخة وواقفها .

وقد وُشِّحَتْ الصفحة الأولى من الرسالة بخط نصر الله بن الصفار (وهو أحد أصحاب السماعات ، وسيأتي ذكره) ويوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩ هـ .شذرات الذهب : ٤٣/٨) .

* * *

حفلت النسخة في آخرها بعدة سماعات كتبها بخطه عدد من المحدّثين المعروفين ، وتلك ميزة ذات أهمية كبرى في تعزيز قيمة الرسالة وتصحيح روايتها وتثبيت نصّها واضفاء القيمة العلمية عليها . ونسرد في أدناه نص تلك السماعات كما وردتْ في الكتاب :

● « بلغتْ قراءةً لجميعه على الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن حامد

= ٧/١٢ — ٨ ، وتذكرة الحفاظ : ١٠٤٧/٣ — ١٠٤٩ ، ووفيات الأعيان : ٣٩٠/٢ — ٣٩١ والنجوم الزاهرة : ٢٤٤/٤ ، وشذرات الذهب : ١٨٨/٣ — ١٨٩ وتاريخ الأدب العربي « الترجمة العربية » ٢٣٠/٣ — ٢٣١ ، وتاريخ التراث العربي « الترجمة العربية » ٥٤٩/١ — ٥٥٠

(١) فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم التاريخ : ٩٦)

الارتاحي [ت ٦٠١ هـ . شذرات الذهب : ٦/٥] ، فسمع الإمام الحافظ المتقن ضياء الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي [ت ٦٠٠ هـ . شذرات الذهب : ٣٤٥/٤] والفقيه أبو الحرم مكي بن عمر بن نعمة الحنبلي [ت ٦٣٤ هـ . شذرات الذهب : ١٦٩/٥] وأبو القاسم عبد الغني بن قاسم [ت ٦١٨ هـ . شذرات الذهب : ٨١/١٥] والشيخ عشير بن أحمد بن ثابت وعبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن وولده محمد . وذلك يوم الأربعاء الثامن من شهر الله رجب سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وصلّى الله على محمد وآله . »

« قرأتُ هذا الجزء على الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الارتاحي ، بإجازاته من الفرّاء ، فسمعه أبو عبد الله بن عبد الرحمن العسقلاني ، في يوم الأحد سابع عشري محرم سنة ستمائة .

كتبه عبد الله بن عبد الغني المقدسي [ت ٦٢٩ هـ . شذرات الذهب : ١٣١/٥] » .

● « سمع جميع هذا الجزء على الشيخ الفقيه الإمام العالم الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، بسماعه فيه ، بقراءة الإمام أبي موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك الرعيني [ت ٦٣٢ هـ . شذرات الذهب : ١٥٦/٥] : الإمام الأوحد نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني الصفّار [ت ٦٥٦ هـ . شذرات الذهب : ٢٨٥/٥] وسيف الدولة أحمد ابن حمدان بن مرزبان الهدبالي(١) وحسين بن فارك بن باد الهدبالي وكاتب السماع

(١) الكلمة في الأصل غير منقوطة ، ولم نقف في كتب الأنساب المعروفة على هذا الاسم ، وفي شذرات الذهب : ٢٧٤/٥ « الهذباني » ولكن المفهرس كتبها في الفهرست « الهدباني » . والله العالم .

إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز بن الحسن بن علي القرشي [ت ٦٦٣ هـ . شذرات الذهب : ٥/٣٢١] عفا الله عنه . وذلك في يوم الخميس خامس عشري شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، بمسجد المسمع ، بمدينة دمشق، والحمد لله ، وصلاته على محمد وآله » .

● « قرأت جميع هذا الجزء على الشيخ ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود بن حمزة المقدسي [ت ٧٩٩ هـ . شذرات الذهب : ٦/٣٦٢] ، باجازاته من القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة [ت ٧١٥ هـ . شذرات الذهب : ٦/٣٥] ، باجازته من الحافظ جمال الدين أبي موسى [عبد الله بن عبد الغني المذكور في السماع السابق] : يوم الثلاثاء ، سلخ [ذي] الحجة ، سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، بمنزل المسمع بدير الحنابلة. وكتب محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي [ت ٨٠٣ هـ . شذرات الذهب : ٧/٣٦] » .

وإلى القارىء الكريم أصل الرسالة(١) :

(١) يجد القارىء على الصفحة التالية صورة الورقة الأولى من الرسالة بوجهيها : الأول الذي يتضمن عنوانها والثاني الذي يتضمن بدايتها .

الجزء فيه من :

[٢١/أ] كتاب المتوارين

جَمْـــع

عبد الغني بن سعيد الأزدي الحافظ

رواية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال وأبي زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري ، عنه .

رواية أبي الحسن علي بن الحسين بن عمر الفراء الموصلي .

رواية الشيخ أبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الارتاحي .

سماع سيدنا الشيخ الحافظ الناقد أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي .

[٢١/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يَسِّرْ وأعِنْ

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمد بن حامد[1] ، قراءةً عليه ، قال : أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر ، الفراء[2] ، قال :

(١) الارتاحي ، المصري ، المولود حوالي سنة ٥٠٧ هـ والمتوفى سنة ٦٠١ هـ بمصر. شذرات الذهب ٥/٦

(٢) الموصلي ثم المصري ، المولود سنة ٤٣٣ ، والمتوفى سنة ٥١٩ هـ . شذرات الذهب ٤/٥٩

أنبأني الشيخان أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال[١] وأبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد البخاري[٢] ، قالا :

أنبا عبد الغني بن سعيد ، الأزدي ، الحافظ ، قال :

هروب أبي عمرو بن العَلاء[٣] من الحجاج بن يوسف[٤]

وتواريه منه باليمن

حدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد[٥] إملاءً ، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن حميد البصري القاضي[٦] ، ثنا أبو حاتم سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني[٧] ، ثنا الأصمعي[٨] ، عن أبي عمرو بن العلاء قال :

« أخافني الحجاج فهربتُ إلى اليمن ، فولجتُ في بيتٍ بصنعاء ، فكنت

(١) النعماني ، المصري ، المتوفى سنة ٤٨٢هـ عن تسعين سنة . شذرات الذهب ٣/٣٦٦

(٢) الحافظ ، المتوفى سنة ٤٦١هـ عن تسع وسبعين سنة . شذرات الذهب ٣/٣٠٩

(٣) التميمي ، المازني ، البصري ، المتوفى سنة ١٥٤هـ عن أربع وثمانين سنة ، المترجم في طبقات النحويين ٢٨ - ٣٤ ، ونور القبس ٢٥ - ٣٧ ، ووفيات الأعيان ٣/١٣٦ - ١٣٩ ، وفوات الوفيات ١/٣٣١ - ٣٣٢ ، وشذرات الذهب ١/٢٣٧ - ٢٣٨

(٤) الثقفي ت سنة ٩٥هـ . شذرات الذهب ١/١٠٦

(٥) ت ٣٥١هـ . شذرات الذهب ٣/٨

(٦) لعله إبراهيم بن حماد القاضي المتوفي ٣٢٣هـ كما في تاريخ بغداد ٦/٦١

(٧) ت ٢٥٠هـ . شذرات الذهب ٢/١٢١

(٨) ت ٢١٦هـ . شذرات الذهب ٢/٣٦

أظهر بالليل على سطحه وأكمن بالنهار فيه . قال : فإني لفي غدوةٍ من الغدوات على سطح ذلك البيت إذْ سمعتُ رجلًا ينشد :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلِّ العقالِ

قال : فقلت « فَرْجَة » ! ، قال : فسررتُ بها . قال : وقال آخر : مات الحجاج ، قال : فوالله ماأدري بأيها كنتُ أسرّ ؟ بقوله : « فَرْجَة » أو بقوله : مات الحجاج » .

حدثنا أبو علي الحسن بن الخليل بن قوام الحميري ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة(١) ، ثنا أحمد بن أبي عمران(٢) ، ثنا أبو نصر أحمد بن حاتم(٣) ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء قال :

استعمل الحجاج أبي على بعض أعماله ، فنقم عليه ، فخرج أبي إلى بادية قومه فتوارى بها وأنا معه ، فبينا نحن في سحرٍ من الأسحار إذْ أقبل راكب وهو يقول :

ربما تجزع النفوس من الأمـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلِّ العقالِ

قال : قلت : وماذاك ؟ قال : مات الحجاج . فوالله ماأدري بأيها كنت [٣٢/أ] أشدّ فرحاً ! بقوله : « مات الحجاج » أو بقوله : « فَرْجَة(٤) » .

(١) ت ٣٢١هـ . شذرات الذهب ٢/٢٨٨

(٢) ت ٢٨٠هـ . شذرات الذهب ٢/١٧٥

(٣) ت ٢٣١هـ ، طبقات النحويين ١٩٨

(٤) الروايات مختلفة في كون الهارب أبا عمرو أو أباه ، وتراجع في قصة بيت الشعر : المصادر التي أسلفنا ذكرها في الإشارة إلى ترجمة أبي عمرو ، كما يراجع أيضاً التصحيف والتحريف ٢١٣

ذكر تواري الحسن بن أبي الحسن البصري[١]

من الحجاج بن يوسف

وكان تواري الحسن في منزل أبي خليفة الحجاج بن عتاب[٢]، وكان من التابعين، وله ولد يُحدّث يقال له عمر بن أبي خليفة[٣] يحدث عن محمد ابن زياد أبي الحارث الجمحي[٤].

حدثنا هشام[٥]، ثنا أبو جعفر الطحاوي[٦]، ثنا أحمد بن داود[٧]، ثنا ابن عائشة[٨]، ثنا حماد بن سلمة[٩]، عن حميد[١٠] قال:

قرأتُ القرآنَ كلَّه على الحسن وهو متوارٍ في بيت أبي خليفة،

(١) توفي سنة ١١٠هـ، وله ترجمة مفصلة في وفيات الأعيان ١/٣٥٤ – ٣٥٦، وتذكرة الحفاظ ١/٧١ – ٧٢، وتهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ – ٢٧٠ وشذرات الذهب ١/١٣٦ – ١٣٧

(٢) المذكور في تهذيب التهذيب ٧/٤٤٣

(٣) ت ١٨٩هـ. تهذيب التهذيب ٧/٤٤٣

(٤) المترجم في تهذيب التهذيب ٩/١٦٩

(٥) الرعيني، ت ٣٧٦هـ. المشتبه ٢٢٠

(٦) هو أحمد بن محمد بن سلامة السابق الذكر.

(٧) لعله السراج، ت ٢٨٦هـ. تاريخ بغداد ٤/١٤٠

(٨) عبيد الله بن محمد، ت ٢٢٨هـ. شذرات الذهب ٢/٦٤

(٩) ت ١٦٧ هـ. شذرات الذهب ١/٢٦٢

(١٠) الطويل، ت ١٤٣ هـ. شذرات الذهب ١/ ٢٢١ وقد ورد خبره هذا عن قراءة القرآن على الحسن وتفسير الحسن له على الإثبات – أي إثبات القدر – في تهذيب التهذيب ٢ /٢٧٠

ففسَّره لي على الإثبات ، وكان مالك بن دينار[١] يغشى الحسنَ في ذلك التواري . يُصدِّق[٢] ذلك حديثٌ حدثني بـه الوليد بن القاسم ، ثنا الحسن بن علي بن موسى النخاس[٣] ، ثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب[٤] ، ثنا جعفر بن سليمان الضبعي[٥] قال :

كنّا عند الحسن - رحمة الله عليه - عند أبي خليفة العبدي قال : فجاءه رجل فقال : ياأبا سعيد ! رأيتُ على أبي حمزة[٦] جبة خزّ ، فقال الحسن : لأنْ أقطّع مسيحي[٧] فألبسه أحبُّ إليَّ من أنْ ألبس جبة خزّ .

حدثنا محمد بن جابر الحجري[٨] ، ثنا إسحاق بن أحمد بن جعفر القطان[٩] ، ثنا أبو سعيد الأشج[١٠] ، ثنا عيسى بن يونس[١١] ، ثنا العلاء ابن المغيرة البندار قال :

بشرتُ الحسن بموت الحجاج فسجد .

---

(١) ت ١٢٧ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٣
(٢) الكلمة في الأصل مشوشة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٣) المذكور في المشتبه ٦٣٣
(٤) ت ٢٤٤ هـ . شذرات الذهب ٢/١٠٥
(٥) ت ١٧٨ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨٨
(٦) أظنه : أنس بن مالك نزيل البصرة ، ت ٩٣ هـ . شذرات الذهب ١/١٠٠
(٧) كذا في الأصل ، والمَسِيح : المنديل الأخشن، والمُسَيَّح من العباء: المخطط.
(٨) المذكور في الإكمال ٣/٨٩ ، والمشتبه ٢١٩
(٩) ت ٣١٥ هـ . تاريخ بغداد ٦/٣٩٣
(١٠) عبد الله بن سعيد ، ت ٢٥٧ هـ . شذرات الذهب ٢/١٣٧
(١١) ت ١٨٨ هـ . شذرات الذهب ١/٣٢٠

حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد، ثنا علي بن محمد بن حيّون[١] ثنا محمد بن هشام[٢]، ثنا سفيان بن عيينة[٣]، عن أبي عثمان[٤] قال:

قال الحسن حين بلغه موت الحجاج: اللهم أنتَ قتلتَه فاقطعْ سنّتَه. وكان يقول: أتانا أُخَيْفِش أعَيْمِش له جُمَيْمَةٌ ينقضها[٥]، شقي من الأشقياء، لا والله ماعرق تحت ثيابه غبارٌ قــط في سبيل الله[٦] [٢٢/ب].

قال عبد الغني: أبو عثمان هو عمرو بن عبيد[٧]، والله أعلم.

تواري عبد الله بن الحارث الهاشمي «بَبَّه»[٨] عن الحجاج بن يوسف

قال محمد بن سعد[٩] كاتب الواقدي:

---

(١) لعله علي بن عبد الله بن محمد بن حيون، ت ٢٨٧ هـ. الإكمال ٢/٥٨٠

(٢) ت ٢٤٥ هـ. شذرات الذهب ٢/١٠٩

(٣) ت ١٩٨ هـ. شذرات الذهب ١/٣٥٤

(٤) سيأتي ذكره.

(٥) ولعلها: ينفضها وفي أمالي المرتضى «يرجلها».

(٦) كلام الحسن، مع بعض الاختلاف، في الموفقيات ١٠٤ وأمالي المرتضى ١/١٥٥ وفيها: «ماعرق فيها عنان في سبيل الله».

(٧) ت ١٤٢ هـ. شذرات الذهب ١/٢١٠

(٨) ت ٨٤ هـ. له ترجمة في الإكمال ١/١٨٢، وتهذيب التهذيب ٥/١٨٠ — ١٨١، وشذرات الذهب ١/٩٤، ويرجع في أخباره إلى تاريخ الطبري ٥/٥١٢ — ٥١٤ و ٥١٧ و ٥٢٩ و ٥٦٧ و ٦١٥

(٩) ٢٣٠ هـ. شذرات الذهب ٢/٦٩

عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم . يُكنى أبا محمد ، وهو الذي لقّبه أهل البصرة « بَبَّه » . هلك بعُمان عند انقضاء فتنة [ا] بن الأشعث ، وكان خرج إليها هارباً من الحجاج. وولد في زمن النبي صلّى الله عليه وسلم ، وسمع من عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطبته بالجابية[1] .

تواري إبراهيم بن يزيد النخعي ، أبي عمران ، الفقيه[2] من الحجاج

حدثنا هشام بن محمد الرعيني ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، ثنا محمد بن علي بن داود[3] ، أنبا سعيد بن سليمان[4] ، عن أبي شهاب[5] ، حدّثني الحبر بن عمرو [6] قال :

خبأنا إبراهيم في داره[7] حين توارى من الحجاج ، وكان لا يصلي في جماعة مخافة من الحجاج .

---

(١) الترجمة مقتبسة من طبقات ابن سعد ٥/١٥ — ١٦

(٢) ت ٩٥ أو ٩٦ هـ . له ترجمة في وفيات الأعيان ١/٦ ، وتذكرة الحفاظ ١/٧٤ ، والوافي بالوفيات ٦/١٦٩ ، وشذرات الذهب ١/١١١

(٣) ت ٢٦٤ هـ . تاريخ بغداد ٣/٦٠

(٤) سعدويه ، ت ٢٢٥ هـ . شذرات الذهب ٢/٥٦

(٥) عبد ربه بن نافع ، ت ١٧١ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨٠

(٦) كذا في الأصل ، وأظنه تصحيف : الحسن بن عمرو الفقيمي الراوي عن إبراهيم النخعي ، المتوفى ١٤٢ هـ . تهذيب التهذيب ٢/٣١٠

(٧) كذا في الأصل ، ولعل في العبارة سقطاً أو تصحيفاً .

حدثنا هشام بن محمد ، ثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، ثنا ابن أبي داود[١] ، ثنا سعيد بن منصور[٢] ، ثنا مهدي بن ميمون[٣]، عن شعيب بن الحبحاب[٤] قال :

كان إبراهيم متوارياً من الحجاج ، فتوفي ، فدفن ليلاً ، فحضرت الصلاة عليه ثم أتيتُ الشعبي[٥] فقال : لقد توفي في هذه الليلة رجل ماترك بعده مثله ، قلتُ : بالكوفة ؟ ، قال : لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالمدينة ولا بمكة ، قال : وكان إذا تكلّم يسجع .

وفي مشافهة علي بن عمر[٦] إياي بإجازاته لي ، عن عثمان بن أحمد ابن السماك[٧] عن حنبل[٨] ، عن محمد بن داود[٩] ، عن عيسى بن يونس ، عن الأعمش[١٠] قال :

رأيتُ على إبراهيم خفتاناً [١١] وقباءً أعور[١٢] ، كأنه نبطيٌّ قدم من الرُّستاق

(١) إبراهيم بن سليمان ، ت ٢٧٢ هـ . شذرات الذهب ٢/١٦٢

(٢) ت ٢٢٨ هـ . شذرات الذهب ٢/٦٢

(٣) ت ١٧٢ هـ . شذرات الذهب ١/٢٨١

(٤) ت ١٣٠ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٧

(٥) ت ١٠٤ هـ . شذرات الذهب ١/١٢٦

(٦) الدارقطني ، ت ٣٨٥ هـ . شذرات الذهب ٣/١١٦

(٧) ت ٣٤٤ هـ . شذرات الذهب ٢/٣٦٦

(٨) ابن إسحاق ، ت ٢٧٣ هـ . شذرات الذهب ٢/١٦٣

(٩) لعله ابن أبي ناجية ، ت ٢٥٠ هـ . وتهذيب التهذيب ٩/١٥٣

(١٠) ت ١٤٨ هـ .شذرات الذهب ١/٢٢٠

(١١) في الأصل : خفتان أ والظاهر أن الألف في الأخير متصل بالنون علامة لنصب الكلمة . ويراجع في خفتان: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ١٣٣

(١٢) الأعور : الرديء من كل شيء ؛ والعوار - بفتح العين وضمها - خرق أو شقّ في الثوب وقيل هو عيب فيه . اللسان (عور)

[٢٣/أ] ، قال : وذلك أن الحجاج كان يطلبه .

حدّثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سالم ، ثنا إسحاق بن أحمد ابن جعفر - هو القطّان - ثنا زياد بن أيوب[١] ، ثنا إسماعيل بن علّية[٢] ، عن ابن عون[٣] قال :

بشرتُ إبراهيم بموت الحجاج فبكى[٤] ، وما ظننتُ أحداً يبكي من الفرح . بَيَّنَ هذا أنّ موت إبراهيم كان بعد موت الحجاج ، وهو صحيح .

تواري مجاهد بن جبر أبي الحجاج[٥] وأبي عياض[٦] من الحجاج

حدثنا أبو الطاهر السدوسي[٧] ، حدثني أبي[٨] ، حدّثني أيوب بن

---

(١) ت ٢٥٢ هـ . شذرات الذهب ١٢٦/٢

(٢) ت ١٩٣ هـ . شذرات الذهب ٣٣٣/١

(٣) ت ١٥١ هـ . شذرات الذهب ٢٣٠/١

(٤) الخبر في تذكرة الحفاظ ٧٤/١ ، ونصه هناك : « فسجد وبكى من الفرح ».

(٥) ت ١٠٣ هـ ، له ترجمة في طبقات ابن سعد ٣٤٣/٥ - ٣٤٤ ، وطبقات خليفة ٧٠٢/٢ ، وتذكرة الحفاظ ٩٢/١ ، وتهذيب التهذيب ٤٢/١٠ - ٤٤

(٦) عمرو بن الأسود ، المذكور في طبقات خليفة ٧٠١/٢ ، والمترجم في تهذيب التهذيب ٤/٨ - ٦ و ١٩٤/١٢ - ١٩٦

(٧) محمد بن أحمد ، ت ٣٦٧ هـ. تاريخ بغداد ٣١٤/١

(٨) أحمد بن عبد الله ، ت ٣٢٢ هـ. تاريخ بغداد ٢٢٩/٤

الوليد[١] ، نا يحيى بن السكن[٢] ، أنبا شعبة[٣] ، ثنا الحكم[٤] قال :

كان مجاهد وأبو عياض متواريين من الحجاج ، فلمّا كان يوم الفطر أمّهم[٥] أبو عياض .

تواري سليمان بن مهران ، أبي محمد ، الأعمش[٦] من الحجاج

حدثنا محمد بن أحمد بن جابر ، ثنا إسحاق بن أحمد بن جعفر ، ثنا أبو سعيد الأشجّ ، ثنا ابن فضيل[٧] ، عن الأعمش قال :

كنّا نختبىء أيام الحجاج في الآجام ، وكنتُ في أجمة كثيرة الطير ، وكنت افرّج القصب وآخذ الصيد فأذبحه بالقصب ، فسألت إبراهيم[٨] والشعبي[٩] عن ذلك فقالا : لا يضرك بأي شيء ذبحتَ إذا ذكّيت .

(١) ت ٢٦٠ هـ . تاريخ بغداد ٧/١١

(٢) ت ٢٠٢ هـ . تاريخ بغداد ١٤/١٤٦

(٣) ت ١٦٠ هـ . شذرات الذهب ١/٢٤٧

(٤) ت ١١٥ هـ . شذرات الذهب ١/١٥١

(٥) كذا ورد بضمير الجمع في الأصل

(٦) ت ١٤٨ هـ . له ترجمة في تاريخ بغداد ٩/٣ – ١٣ ، ووفيات الأعيان ٢/١٣٦ – ١٣٨ وتذكرة الحفاظ ١/١٥٤ ، وشذرات الذهب ١/٢٢٠ – ٢٢١

(٧) محمد . ت ١٩٥ هـ . شذرات الذهب ١/٣٤٤

(٨) النخعي ، المارّ الذكر .

(٩) عامر بن شراحيل ت ١٠٤ هـ . شذرات الذهب ١/١٢٦

تواري سعيد بن جبير[١] من الحجاج وفراره منه إلى أنْ ظفر به

حدّثنا أبو علي الوسي[٢] ، ثنا أحمد بن عبد الله بن شابور[٣] ، ثنا واصل وهو ابن عبد الأعلى[٤] ، ثنا أبو بكر بن عياش[٥] ، عن أبي حصين[٦] قال :

أتيتُ سعيد بن جبير بمكة فقلتُ إنّ هذا الرجل قادم - يعني خالد ابن عبد الله[٧] - ولِمَ يقدم ، ولا آمنه عليك ، فأطعني واخرج ، قال : واللهِ لقد فررتُ حتى [٢٣/ب] استحييتُ من الله عزّ وجل ، فقلتُ : واللهِ إني لأراك كما سمَّتْكَ أمُّك[٨] .

قال أبو بكر بن عيّاش : وأخبرني يزيد أبو عبد الله[٩] قال :

(١) ت ٩٥ هـ . وله ترجمة في وفيات الأعيان ٢/١١٢ — ١١٦ ، وتذكرة الحفاظ ١/٧٦ ، وتهذيب التهذيب ٤/١١ — ١٤ ، وشذرات الذهب ١/١٠٨ — ١١٠

(٢) الكلمة في الأصل مطموسة لم نهتد إلى الصواب فيها .

(٣) ت ٣١٣ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٦٦

(٤) ت ٢٤٤ هـ . تهذيب التهذيب ١١/١٠٤

(٥) ت ١٩٣ هـ . شذرات الذهب ١/٣٣٤

(٦) عثمان بن عاصم ، ت ١٢٨ هـ . شذرات الذهب ١/١٧٥

(٧) القسري ، والي مكة ، ت ١٢٦ هـ . شذرات الذهب ١/١٦٩

(٨) الخبر — مروياً عن حصين أيضاً وبتفصيل أكثر — في الطبري ٦/٤٨٨

(٩) ابن أبي زياد ، ت ١٣٧ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٣٣٠

أتينا سعيد بن جبير حين جيء به ، فإذا هو طيب النفس وبُنَيّة له في حجره ، فنظرتْ إلى القيد فبكتْ ، قال : فشيّعناه إلى باب الحبس[١] ، قال له الحرس : أعطنا كفيلاً[٢] فإنّا نخاف أنْ تغرق نفسك ، قال يزيد : فكنتُ فيمن كفل به[٣] .

قال أبو بكر : قال سلمان[٣] : قال بعض أصحابنا قال : قال الحجاج حين قتل سعيد بن جبير :

إئتوني بسيف رغيب[٤] - يعني عريضاً - اضربوا قُصاص[٥] المنكبين، قال : ثم ركب ساعةَ ضَرْبِ عنقه . فمرّ به رجل من قريش ، فطرح عليه جِذْمَ حائط ، يعني سعيد بن جبير .

حدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد ، ثنا يحيى بن أيوب[٦] وعبد الرحمن بن معاوية العتبي[٧] قالا : ثنا عمرو بن خالد[٨] قال : سمعتُ

---

(١) في رواية الطبري ٦/٤٨٩ إلى الجسر ، وهو الذي ينسجم مع خوف إغراق نفسه .

(٢) في الأصل : « كفلا »، وما أثبتناه من الطبري .

(٣) ابن فيروز، ت ١٣٨ هـ . شذرات الذهب ٢٠٧/١

(٤) والنص نفسه في لسان العرب (رغب) منسوبا للحجاج لمّا أراد قتل سعيد بن جبير .

(٥) قصاص كتفيه : منتهاهما حيث التقيا . أساس البلاغة (قصص)

(٦) ت ٢٨٩ هـ . شذرات الذهب ٢٠٢/٢

(٧) المذكور في المشتبه ٤٤٣

(٨) ت ٢٢٩ هـ . تهذيب التهذيب ٢٦/٨

عتاب بن بشير[١] ، عن سالم الأفطس[٢] قال :

أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج وفي رجله قيود ، فلمّا دخل عليه أمر بضرب عنقه ، فما قام الحجاج من مجلسه حتى خلط وجعل يقول : قيودنا قيودنا[٣] .

حدّثنا أبو الطاهر ، ثنا إبراهيم قال[٤] :

قيل لسعيد بن جبير : [ما تقول في][٥] مايقول الحسن : إذا أخذ الحجاج الرجل فيقول له اكفرْ ، فرخَّص له أنْ يقول ذاك ؟ فقال سعيد ابن جبير : يرحم الله الحسن ، لاتقية في الإسلام .

حدّثنا الحسن بن رشيق[٦] ، ثنا علي بن سعيد[٧] ، ثنا ابن أبي عمر[٨] ثنا سفيان[٩] ، عن سالم بن أبي [٢٤/أ] حفصة[١٠] قال :

---

(١) ت ٢٨٨ هـ . شذرات الذهب ٣٢٠/١

(٢) ت ١٣٢ هـ . شذرات الذهب ١٨٩/١

(٣) الخبر – مروياً عن عتاب عن سالم مع بعض الاختلاف – في الطبري ٢٩٠/٦ .

(٤) هكذا ورد السند في الأصل ، وربما كان فيه سقط .

(٥) زيادة يستدعيها السياق .

(٦) ت ٣٧٠ هـ . شذرات الذهب ٧١/٣

(٧) ت ٢٩٩ هـ . لسان الميزان ٢٣١/٤

(٨) محمد بن يحي ، ت ٢٤٣ هـ .شذرات الذهب ١٠٤/٢

(٩) ابن عيينة ، ت ١٩٨ هـ. شذرات الذهب ٣٥٤/١

(١٠) ت حوالي ١٤٠ هـ . تهذيب التهذيب ٤٣٤/٣

لما دخل سعيد بن جبير على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ابن جبير ، قال : شقي بن كسير ، قال سعيد : إني أعوذ منك بما عاذتْ به مريم بنت عمران بالرحمن إن كنتَ تقياً ، قال : لأقتلنَّك ! ، قال : أنا إذن كما سمَّتْني أمي . فلما ذهب به للقتل قال : دعوني أصلي ركعتين ! قال الحجاج : وجهوه لقبلة النصارى ، فلما وُجّه قال : فأينما تولّوا فثَمَّ وجه الله[١] .

قال محمد بن عمر الواقدي[٢] :

في سنة أربع وتسعين كتب الحجاج بن يوسف إلى خالد بن عبد الله : أن ابعث إلي سعيد بن جبير وطلق بن حبيب[٣] ، فبعث بهما إليه[٤] .

هذا في الكتاب الذي أعلمني علي بن عمر أنه سمعه من محمد بن عبد الله المستعيني[٥] عن العباس بن عبد الباكسائي[٦] ، عن محمد بن محمد بن عمر الواقدي[٧] ، عن أبيه ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين[٨] ، عن ابن أبي مليكة[٩] .

(١) الخبر بالتفصيل في وفيات الأعيان ١١٤/٢ – ١١٥

(٢) ت ٢٠٧ هـ . شذرات الذهب ١٨/٢

(٣) ت قبل ١٠٠ هـ . تهذيب التهذيب ٣١/٥ – ٣٢

(٤) يراجع في هذا الخبر تاريخ الطبري ٤٨٨/٦

(٥) ت ٣٢٥ هـ . اللباب ١٣٦/٣

(٦) ت ٢٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٢٠/٥

(٧) المترجم في تاريخ بغداد ١٩٦/٣

(٨) في الأصل « عمر بن سعيد بن جبير » . وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه ، ويراجع تهذيب التهذيب ٤٥٣/٧

(٩) عبد الله ت ١١٧ هـ . شذرات الذهب ١٥٣/١

قال : وحدثني ابن [أبي] سبرة[١] ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم[٢] قال :

رأيت سعيد بن جبير وطلق بن حبيب يطوفان بالبيت في كبول حين خرج بهما إلى الحجاج .

وقال : ثنا عبد الله بن جعفر[٣] ، عن زكريا بن عمرو قال :

أخذ خالد[٤] سعيد بن جبير فقال : أنتَ ممّن يطلب أمير المؤمنين وأنتَ مقيم في جواري ؟ ! ، فبعث به إلى الحجاج .

حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن خلاد التميمي الجوهري القاضي ابن بنت نعيم بن حماد ، ثنا محمد بن زبان[٥] ، ثنا سلمة بن شبيب[٦] ، ثنا عبد الرزاق[٧] ، أنبا معمر[٨] ، أخبرني الزهري[٩] قال[١٠] :

---

(١) أبو بكر ت ١٦٢ هـ . شذرات الذهب ٢٥٦/١ ، والزيادة على الأصل منه .

(٢) ت ١٣٢ هـ . شذرات الذهب ١٨٩/١

(٣) لعله المخرمي المتوفى ١٧٠ هـ أو المديني المتوفى ١٧٨ هـ . تهذيب التهذيب ١٧٢/٥ و١٧٥

(٤) في الأصل جلد ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) ت ٣١٧ هـ . شذرات الذهب ٢٧٦/٢

(٦) ت ٢٤٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٤٧/٤

(٧) ابن همام ت ٢١١ هـ . تهذيب التهذيب ٣١٤/٦

(٨) ابن راشد ت ١٥٣ هـ . تهذيب التهذيب ٢٤٥/١٠

(٩) محمد بن عبد الله ، ت ١٢٤ هـ . شذرات الذهب ١٦٢/١

(١٠) تكررت كلمة « قال » في الأصل مرتين .

حججتُ مع عمر بن عبد العزيز - وحجّ بالناس في خلافة الوليد - ، فلمّا كنّا بمنى أتاني [٢٤/ب] سعيد بن جبير ليلاً وهو متوارٍ من الحجاج ، قال : فقال لي : أتخاف عليّ صاحبك هذا ؟ قال : قلتُ لا ولن آمن .

حدّثنا أبو أحمد السعدي[١] ، ثنا جعفر بن أحمد العبدي[٢] ، ثنا إسحاق ابن أبي اسرائيل[٣] قالا[٤] : ثنا هشيم[٥] ، عن أبي بشر[٦] قال :

قال لي سعيد بن جبير : إنّ الحجاج قاتلي ، قال : قلتُ : ولمَ ذاك ؟ قال : رؤيا رأيتُها .

حدّثنا هشام بن [أبي] خليفة محمد بن قرة الرعيني[٨] ، ثنا أبو جعفر أحمد بن سلامة ، ثنا محمد بن جعفر بن [محمد] بن حفص[٨] قال : سمعتُ الرمادي[٩] يقول : سمعتُ مسدداً[١٠] يقول سمعتُ يحيى القطان[١١]

(١) لعله ابن الناصح المتوفى بمصر ٣٦٥ هـ .أو الحاكم المتوفى ٣٧٨ هـ أو السامري المتوفى ٣٨٦ هـ . شذرات الذهب ٥١/٣ و ٩٣ و ١١٩

(٢) لعله الغافقي المصري المتوفى ٣٠٤ هـ .لسان الميزان ١٠٨/٢

(٣) ت ٢٤٠ هـ . تهذيب التهذيب ٢٢٤/١

(٤) كذا في الأصل ، والتثنية لاوجه لها إلا إذا كان هناك سقط

(٥) ابن بشير ، ١٣٨ ت هـ . تهذيب التهذيب ٦٢/١١

(٦) جعفر بن إياس ت ١٢٣ هـ . تهذيب التهذيب ٨٤/٢

(٧) مر ذكره ، والزيادة من الأنساب ٧٤/٤ ، والمشتبه ٢٢٠

(٨) ت ٣٠٠ هـ . تاريخ بغداد ١٣١/٢

(٩) أحمد بن منصور ، ت ٢٦٥ هـ . شذرات الذهب ١٤٩/٢

(١٠) ابن مسرهد ، ت ٢٢٨ هـ . شذرات الذهب ٦٦/٢

(١١) ت ١٩٨ هـ . شذرات الذهب ٣٥٥/١

يقول : سمعتُ سفيان الثوري[1] ذكر سعيد بن جبير فقال :

ما أعدلُ به من التابعين أحداً ، مازال على بصيرةٍ من أمره حتى قُتِل ، ما أشبِّهُه إلا بعمّار .

حدّثنا هشام ، ثنا أبو جعفر ، ثنا روح بن الفرج[2] ، ثنا عبد الله ابن محمد الفهمي[3] ، ثنا عبد الرحمن بن القاسم[4] ، عن مالك بن أنس[5] قال .

أخرج الحجاج سعيد بن جبير وطَلْق بن حبيب من الكعبة فذبحها ذبحاً[6] .

حدّثنا الحسن بن رشيق ، ثنا أبو بشر الدولابي[7] ، ثنا إبراهيم ابن يعقوب الجوزجاني[8] ثنا الحسن بن واقع[9] ، ثنا ضمرة[10] ، عن ابن

---

(١) ت ١٦١ هـ . شذرات الذهب : ٢٥٠/١

(٢) ت ٢٨٢ هـ . تهذيب التهذيب : ٢٩٧/٣

(٣) لعله عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم ، المترجم في تاريخ بغداد : ٨٦/١٠

(٤) ت ١٩١ هـ . تهذيب التهذيب : ٢٥٣/٦

(٥) ت ١٧٩ هـ . شذرات الذهب : ٢٨٩/١

(٦) وفي رواية الطبري : ٤٨٨/٦ : أن طلقاً قد مات في الطريق .

(٧) محمد بن أحمد ، ت ٣٢٠ هـ . اللباب : ٤٣١/١

(٨) ت ٢٥٩ هـ . شذرات الذهب : ١٣٩/٢

(٩) ت ٢٢٠ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٢٤/٢ . وفي الأصل : نافع ، والصواب ما أثبتناه .

(١٠) ابن ربيعة ، ت ٢٠٢ هـ . تهذيب التهذيب : ٤٦١/٤

شوذب[١] قال :

أعْظَمَ الناسُ أخْذَ سعيد بن جبير بمكة ، وكان القسري أخذه فصعد المنبر وهو جانب الكعبة فقال : لو أنَّ أمير المؤمنين كتب اليَّ أن انقض هذا حجراً حجراً - ووضع يده على الكعبة - لنقضتُه حتى أدعه غديراً ترده الإبل .

حدّثنا الحسن ، ثنا أبو بشر ، ثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدّثني إبراهيم بن موسى[٢] ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا أبي[٣] ، قال : سمعتُ شمر بن عطية[٤] يقول :

لمّا ثقل الحجاج جعل يقول [٢٥/أ] : مالي ولسعيد بن جبير[٥].

حدّثنا أبو أحمد السمدي ، ثنا محمد بن جعفر بن أعين[٦] ، ثنا ابن أيوب المقابري[٧] ، ثنا خلف بن خليفة[٨] ، ثنا رجل من الحرس - يعني حرس الحجاج - :

---

(١) عبد الله ، ت ١٥٦ هـ . شذرات الذهب : ٢٤٠/١

(٢) ت بعد ٢٢٠ هـ . تهذيب التهذيب ١٧١/١

(٣) يونس بن إسحاق ، ت ١٥٩ هـ . شذرات الذهب ٢٤٧/١

(٤) المترجم في تهذيب التهذيب ٣٦٤/٤

(٥) الخبرفي الطبري ٩١/٦ ؛

(٦) ت ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ١٢٩/٢

(٧) يحيى ، ت ٢٣٣ هـ . شذرات الذهب ٧٩/٢

(٨) ت ١٨١ هـ . شذرات الذهب ٢٩٥/١

أنْ سعيد بن جبير لمّا سقط رأسه إلى الأرض قال : لاإله إلا الله ، ثلاث مرات ، قال مرّتين كلاماً بيّناً ، وقال الثالثة بلسانٍ منكسر[١] .

تواري عمران بن حطان السدوسي[٢]

من الحجاج بن يوسف

سألتُ أبا الحسن الحطابي عن خبره ، وكانتْ تمسّه منه ولادة من قبل بناته ، فكتبه لي بخطه ، وقال فيه :

ذكر بعضُ أهله أنه لما اشتدّ طلبُ الحجاج لعمران ، وأخاف قومه وراءهم بسببه ، فاختلفوا عليه وذكروا له خوف عبد الملك وعمّاله والحجاج وغيره[٣] ، فارق قومه وتنقّل من حيٍّ إلى حيٍّ ، إلى أنْ نزل برَوْح بن زِنباع الجُذامي[٤] ، فبينا رَوْح ذات ليلة في سمر عبد الملك إذْ قال عبد الملك : هل تدرون مَنْ يقول هذا البيت وفيمن قيل :

أكرِمْ بقومٍ بطونُ الطير أقبرهم لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

---

(١) الخبر – مروياً عن خلف بن خليفة – في الطبري ٤٨٩/٦ ونصه فيه : « مرة يفصح بها وفي الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها » .

(٢) ت ٨٤ هـ . وله ترجمة في الأغاني ١٠٩/١٨ – ١٢٠ ، والمؤتلف والمختلف ٩١ ، وتهذيب التهذيب ١٢٧/٨ – ١٢٨ ، وخزانة الأدب ٤٣٦/٢ – ٤٤١

(٣) في الأصل : « وعيره » . ولعل صواب الجملة ، عبد الملك وأعماله والحجاج وغيرَه .

(٤) ت ٨٤ هـ . شذرات الذهب ٩٥/١

هل تدرون مَنْ قاله ؟ وهل أحد منكم يزيدنا عليه أبياتاً ؟ فقالوا : لا ، قال : فمن أتاني بعلم ذلك فله عندي ماسأل بعد[١] ، ألاّ يشطط ، فخرج روح حتى أتى منزله فقال لعمران[٢] : ياعبد الله ! هل تدري مَنْ يقول هذا الشعر ؟ وأعاده ، فقال : عمران بن حطان ، وأنشد القصيدة بطولها، فلما غدا رَوْح على عبد الملك أنشده [٢٥/ب] الشعرَ الذي أنشده عمران، فقال له عبد الملك : من أين أصبتَ هذا الشعر ؟ فقال : من ضيفٍ لي مارأيتُ أحفَظَ منه بشيء قط ، مارويتُ له شيئاً إلاّ وسابقني إليه وزادني منه مالا أعرفه ، ورأيتُ نعته ونعته[٣] ، ورأيتُ رجلاً عابداً كثير الصلاة ، واني لأظنه من الحرورية أهل العراق . قال عبد الملك : ياغلام ائتني بطومار الحجاج ، فأتى به ، فإذا رقعة ، فقرأ حليته فإذا حلية عمران، فقال عبد الملك : فانطلقْ فاتني بضيفك وأعلمه أنه آمن ليحدّثني مجلساً واحداً فلمّا رجع روح إلى منزله قال له : أيها الشيخ ! إنّ أمير المؤمنين استزارك فَزُرْه ، فقال : مالي وللأمير ؟ قال : إنه قد أحبّ ذاك ، قال : فخُذْ لي كتاب أمانٍ بخط يده أسكن إليه ، قال : نعم ، ثم أتى روح عبد الملك فقال : يا [أ] مير المؤمنين ! إنه قد أحبّ أن يكون معه كتاب أمانٍ بخط يدك وخاتمك ، قال عبد الملك : هذه بعض خدع أهل العراق، ذهبَ الرجل وتركك ، أما أنـّي أراك سترجع ولا تجده .

فانصرف روح إلى منزله ، وقد خرج عمران وخلـّف في منزله رقعة فيها أبيات شعر ، وهي :

(١) كذا في الأصل .
(٢) في الأصل « عمران » ، والسياق يستدعي إضافة اللام .
(٣) كذا في الأصل .

يارَوْح كم من أخي مثوًى نزلتُ به   قد ظنّ ظنّك من لخم وغسانِ
حتى إذا خفته زايلتُ منزلـــه   من بعد ماقيل : عمران بن حطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حيناً لايؤرقني   فيه طوارقُ من إنس ومن جانِ
حتى أردتَ بيَ العظمى فأوحشني   مايوحش الناس منجور ابن مروانِ
[٢٦/أ]فاعذر أخاك ابن زنباعٍ فإنّ له   في الحادثات هناتٍ ذات ألوانِ
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ   وإنْ لقيتُ معدّيّاً فعدناني
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيـــةٍ   كنتُ المقدّمَ في سري وإعلاني
لكن أبتْ ليَ آياتٌ مطهرة(١)   عند الولاية(٢) في طه وعمرانِ(٣)

وسار حتى أتى زفر بن الحارث الكلابي فأقام عنده زماناً وهو ينتسب إلى الأوزاع - حيٍّ من اليمن - ، وهم أخوال زفر ، وقدم رجل ممّن كان في ضيافة روح إلى زفر ، فلما رأى عمران عرفه ، فقال له زفر : أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم ، قال : وأين عرفته ؟ قال : عند روح ابن زنباع ، قـــال زفر : فممّنْ هو ؟ قال رجل من أزد شنوءة ، قال : فإنه قد زعم أنه من الأوزاع . قال : ونظر اليه زفر متعجباً فقال: أزديٌّ مرة وأوزاعي مرة ! لو صدقتنا عن خبرك ! أخْبِرْنا ممّن أنت ؟ فإنْ كنتَ خائفاً آمنّاك وإنْ كنتَ طريداً آويناك ، قال : فنظر إليه عمران فضحك فقال : إن الله عزّ وجل هو المؤوي الساتر . وأولعَ

(١) في الأصل : « مقطعة » . وماأثبتناه من الكامل والأغاني والخزانة .
(٢) في الأصل : « عنك الولاه » ، وما أثبتناه من الكامل والخزانة .
(٣) الأبيات وقصتها — مع بعض الاختلاف — في الكامل ١٦٩/٣ ، والأغاني ١١٠/١٨ ، والخزانة ٤٣٨/٢

به فتيان زفر وشبابٌ من بني عامر ، وكان كثير الصلاة ، وكان إذا صلّى يهزأون[١] ويقولون : أخْبِرْنا يرحمك الله[٢] ، فلما أكثروا عليه ارتحل عنهم وقال :

إنَّ التي أصبحتْ يعيا[٣] بها زفرٌ ... أعيا عَياها على روح بن زنباعِ
مازال يسألني حولاً لأخبره ... والناس ما بين مخدوع وخدّاعِ
حتى إذا انجذمتْ منّي حبائله ... كَفَّ السؤالَ ولم يولع بإهلاع
فاكففْ كما كفَّ رَوْحٌ إنني رجل ... إمّا صريحٌ وإما فقعة القاعِ[٤]
واكففْ لسانك عن شتمي ومنقصتي ... ماذا تريد إلى شيخٍ لأوزاع[٥]
[٢٦/ب] أكرِمْ بروحِ بن زنباع وأسرته ... حيّاً إذا مادعاهم للهدى داعِ
جاورتُهم سنةً فيما ذعرتُ[٦] به ... عرضي صحيحٌ ونومي غير تَهْجاعِ
أمّا الصلاة فإني لستُ تاركَها ... كل امرىءٍ بالذي يُعنى به ساعِ
إعملْ فإنّك معنيٌّ[٧] بحادثةٍ ... حسب اللبيب بهذا الشيب من داعِ[٨]

---

(١) في الأصل ، « يهزلون » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .

(٢) كذا في الأصل ، والجملة لاتخلو من تشويش أو سقط .

(٣) في الكامل والأغاني والخزانة « يعيا » .

(٤) في الأصل : « إما صريح وإما نقعة العاع » وما أثبتناه من الأغاني ، ويقال لمن لا أصل له : فقعة القاع .

(٥) في الأصل : « لأوزاعي » ،

(٦) في الأصل : « دعرت » ، وفي الأغاني : « دعوت » .

(٧) في الكامل والأغاني والخزانة : « منعي » .

(٨) في الكامل والأغاني والخزانة : « من ناعي » . وقد وردت الأبيات وقصتها — مع بعض الاختلاف — في الكامل ٣/١٧١ — ١٧٢ ، والأغاني ١٨/١١٣ ، والخزانة ٢/٤٣٩

ثم خرج فنزل بالسراة بحيّ من الأزد يرْونَ رأيه ، فسرَّه ما رأى عندهم وقال :

نزلتُ بحمد الله في خير أسرةٍ أسَرُّ بما فيهم من الانس والخَفَرْ[١][٥]
نزلتُ بحيٍّ يجمع الله شملهم فليس لهم عود سوى الحق يُعتَصَرْ
من الأزد ، إنَّ الأزد أكرمُ أسرةٍ يمانيةٍ يوماً إذا انتسب البشرْ
فأصبحتُ فيهم آمناً لا كمعشرٍ عَدَوْالي[٢] فقالوا: من ربيعة أو مضر
أو الحي قحطانٍ ، وتلك سفاهةٌ كما سالني[٣] رَوْحٌ وصاحبه زُفَرْ
ونحن بنو الإسلام والدين واحدٌ وأوْلى عباد الله بالله مَنْ شكَرْ
وما منهُمُ[٤] إلاّ يُسَرُّ بنسبةٍ تقر بني منه وإنْ كان ذا نَفَرْ

وهذا ما كان من خبره .

حدَّثنا أبو الطاهر السدوسي قاضي مصر ، أخبرني محمد بن الحسن بن

---

(١) في الأصل : « اسربها من الخفر » وفي الوسط بياض ، وقد أثبتنا نص الأغاني .

(٢) كذا في الأصل ، رلها وجه من الصحة ، وربما كان المقصود « غدوالى » ورواية الأغاني : « بَدَوْني » ، والكامل الخزانة « أتوني » .

(٣) في الأغاني والخزانة : « كما قال لي » .

(٤) في الأصل : « وحامبهم » ، وفي الكامل : « ومامنها » .

(٥) الأبيات وسبب نظمها – عدا الأخير – في الأغاني ١٨/١١٤ وبأجمعها في الكامل ٣/١٧٢ ، والخزانة ٢/٤٣٩

دريد[١] ، ثنا أبو حاتم[٢] ، عن أبي عبيدة[٣] قال :

أطرد الحجاجُ عمرانَ بن حطان ـ وكان ببلاد بكر بن وائل بين الكوفة والبصرة يحرض ولا يشهد القتال ـ فقدم بريد من الشام من عند عبد الملك يريد الحجاج ، فصحبه عمران ببعض الطريق ، فرآه فصيحاً عالماً ، فأعجب البريدَ فقال له : إن لي ناحيةً من الأمير أفلك حاجة أكفيكها وأقوم لك بها ؟ قال : نعم ! تبلغه هذا الكتاب ، وأعطاه كتاباً . فلمّا صار إلى الحجاج وقضى حوائجه أخبره خبر الرجل ، وقد حملني كتاباً [٢٧/أ] فإذا فيه :

أسدٌ عليَّ وفي الحروب[٤] نعامة   فتخاء تفزع من صفير الصافرِ
هلاّ برزتَ إلى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جوانح طائرِ
ذعرتْ غزالةُ قلبَـه بفوارسٍ   تركتْ فوارسَه كأمسِ الغابرِ[٥]

فقال له الحجاج : أتدري مَن هو ؟ قال : لا ولكنّي أعجبني ما رأيتُ من طُرَفهِ[٦] ، قال ذاك عمران بن حطان .

(١) ت ٣٢١ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٨٩

(٢) هو سهل السجستاني المار الذكر .

(٣) معمر بن المثنى ، ت ٢١٠ هـ . شذرات الذهب ٢/٢٤

(٤) في الأصل : الحروف .

(٥) الأبيات ـ مع بعض الاختلاف ـ في الأغاني ١٨/١١٦

(٦) كذا في الأصل ، ولها معنى مقبول ، وربما كان المقصود « ظرفه » .

هرب عون بن عبد الله[1] من الحجاج

ذكر محمود بن محمد الأديب في تاريخه [2] : أن هلال بن العلاء[3] حدّثهم ، ثنا سعيد بن سلم بن قتيبة[4] قال :

خرج عون بن عبد الله مع ابن الأشعث [5] ، فطلبه الحجاج ، فهرب إلى محمد بن مروان[6] بالجزيرة ، فأجاره وضمّ إليه ابنه يزيد ابن محمد يؤدبه ، وسأله عنه بعد حين فقال : إن أتيته[7] حجب وإن

---

(١) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ت ١١٠ هـ . له ترجمة في تهذيب التهذيب ١٧١/٨ — ١٧٣ ، وشذرات الذهب ١٤٠/١ ، ووردت شذرات من أخباره في البيان والتبيين ٢٣٣/١ و ٢٦١

(٢) لم نعرف هذا التاريخ ولا مؤلفه ، وتاريخ الرقة المعروف إنما هو تأليف أبي علي محمد بن سعيد القشيري الحراني ؛ الراوي عن هلال بن العلاء أيضاً . انظر تذكرة الحفاظ ٨٤٦/٣ ، وشذرات الذهب ، ٣٧٧/٢ ، وكشف الظنون ٢٩٥/١ . أما تاريخ الجزيرة فقد صنف فيه علي بن علان الحراني المتوفى ٣٥٥ هـ والحسن بن محمد الحراني المتوفى ٣١٨ هـ وغيرهما ممن لم نعرف اسمه ، ويراجع معجم البلدان ٢٤٣/٣

(٣) ت ٢٨٠ هـ . تهذيب التهذيب ٨٤/١١

(٤) ت ٢١٧ هـ . تاريخ خليفة ٧٨٠/٢

(٥) في الأصل : « أبي الأشعث » ، والصواب ماأثبتناه ويعني به عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث ، الثائر ، قتل ٨٤ هـ . شذرات الذهب ٩٤/١

(٦) أمير الجزيرة ، ت ١٠١ هـ . شذرات الذهب ١٢١/١

(٧) في الأصل : « ابنته » ، والتصويب من البيان والتبيين ٢٦١/١

بعدْتَ عنه عتب ، وإن عاتبته غضب ، وإن جاوبته صخب . ثم ولاه نصيبين ، وتزوج بها امرأة ، ثم قدم عليه فسأله : كيف نصيبين ؟ قال : قليلة الأقارب كثيرة العقارب (١) .

هرب بني العباس من بني أمية
قبل مصير الأمر اليهم

في كتاب محمود بن محمد الأديب الذي صنّفه في تاريخ أهل الجزيرة : أنّ أبا وهب عبيد اللهَ بن المثنى بن عبيد الله بن عمرو(٢) حدّثه عن أبيه عن جده قال :

أقبل أبو العباس(٣) وأبو جعفر(٤) وعمرومها(٥) من الحُمَيْمَة يريدون الكوفة فنزلوا بدير القائم غربي الرقة خوفاً من زائدة بن أبي يحي مولى الوليد وهو يومـ [ـئذٍ] يخلف عثمان بن سفيان بن حرب العامري [٢٧/أ] على الرقة ، وكان متشدداً على الهاشميين وشيعتهم ، فعلم بهم جماعة من أهل الرقة ، قال : فدفعوا إليّ صِلة وسألوني أن أؤديها إليهم وأعتذر لهم في

(١) النص في البيان والتبيين ١/٢٣٣

(٢) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد ، مفتي الجزيرة ، ت ١٨٠ هـ . تذكرة الحفاظ ١/٢٤١

(٣) السفاح ، الخليفة ، ت ١٣٦ هـ . شذرات الذهب ١/١٩٥

(٤) المنصور ، الخليفة ، ت ١٥٨ هـ . شذرات الذهب ١/٢٤٤

(٥) كذا في الأصل ، ولم أهتد لقراءتها ، ولعلها « هروبهما » أو « مسيرهما » أو « ومواليها »

التخلف من تشدُّد[١] زائدة وكثرة أنصاره بالرقة وانحرافهم عن بني هاشم، ففعلت ، وحذَّرتهم أن يعلم بهم أحـد ، وعرَّفتهم أنَّ الحزم في سرعة رحيلهم ، فسمعتُ أبا جعفر يقول لأبي العباس : إن أفضى الأمر إلينا لم ننتفع بالجزيرة أو نبني إلى جانب الرقة مدينة وأوما إلى موضع الرافقة. فلما استخلف أبو جعفر بناها سنة خمس وخمسين ومائة[٢] .

آخره : والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله .

(١) في الأصل : « متشدد » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .
(٢) معجم البلدان ٤/٢٠٨

فهرست المراجع

١ ـ أساس البلاغة : للزمخشري — القاهرة ١٣٧٢ هـ

٢ ـ الأغاني : للأصبهاني ، جـ ١٨ — القاهرة ١٣٩٠ هـ

٣ ـ الإكمال : لابن ماكولا — الهند ١٣٨١ هـ

٤ ـ أمالي المرتضى — القاهرة ١٣٧٣ هـ

٥ ـ الأنساب : للسمعاني — الهند ١٣٨٥ هـ

٦ ـ البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي — القاهرة ١٣٥١ هـ

٧ ـ البيان والتبيين : للجاحظ — القاهرة ١٣٥١ هـ

٨ ـ تاريخ خليفة — دمشق ١٩٦٨ م

٩ ـ تاريخ الطبري — القاهرة ١٩٦٢ م

١٠ ـ تاريخ الأدب العربي : لبروكلمان ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٦١ م

١١ ـ تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي — بيروت طبعة مصورة

١٢ ـ تاريخ التراث العربي : لسزكين ـ الترجمة العربية ـ القاهرة ١٩٧١ م

١٣ ـ تذكرة الحفاظ : للذهبي — بيروت طبعة مصورة

١٤ ـ التصحيف والتحريف : للعسكري — القاهرة ١٣٨٣ هـ

١٥ ـ تهذيب التهذيب : لابن حجر — بيروت طبعة مصورة

١٦ ـ خزانة الأدب : للبغدادي — بيروت طبعة مصورة

١٧ ـ شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي — القاهرة ١٣٥٠ هـ

١٨ ـ طبقات ابن سعد — ليدن ١٣٢١ هـ

١٩ ـ طبقات خليفة — دمشق ١٩٦٧ م

٢٠ ـ طبقات النحويين : للزبيدي ... القاهرة ١٣٧٣ هـ

٢١ ـ فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي ... القاهرة ١٩٥١ م

٢٢ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية ـ قسم التاريخ ـ : دمشق ١٣٦٦ هـ
ليوسف العش

٢٣ ـ الكامل : للمبرد ... القاهرة (دار نهضة مصر)

٢٤ ـ كشف الظنون : لحاجي خليفة ... تركية ١٣٦٠ هـ

٢٥ ـ اللباب : لابن الأثير ... القاهرة ١٣٥٧ هـ

٢٦ ـ لسان العرب : لابن منظور ... بيروت ١٩٥٥ م

٢٧ ـ لسان الميزان : لابن حجر ... بيروت طبعة مصورة

٢٨ ـ المؤتلف والمختلف : الآمدي ... القاهرة ١٣٥٤ هـ

٢٩ ـ مرآة الجنان : لليافعي ... بيروت طبعة مصورة

٣٠ ـ المشتبه : للذهبي ... القاهرة ١٩٦٢ م

٣١ ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : لدوزي ـ
الترجمة العربية ... بغداد ١٣٩١ هـ

٣٢ ـ معجم البلدان : لياقوت ... القاهرة ١٣٢٤ هـ

٣٣ ـ المنتظم : لابن الجوزي ... الهند ١٣٥٨ هـ

٣٤ ـ الموفقيات : للزبير بن بكار ... بغداد ١٩٧٢ م

٣٥ ـ النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي ... القاهرة طبعة مصورة

٣٦ ـ نور القبس : لليغموري ... بيروت ١٩٦٤ م

٣٧ ـ الوافي بالوفيات : للصفدي ... طهران طبعة مصورة

٣٨ ـ وفيات الأعيان : لابن خلكان ... القاهرة ١٩٤٨ م

أشعار اللصوص وأخبارهم[1]

القسم الثالث

[١٠]

السَّمْهَرِيُّ بنُ بِشْرٍ العُكْلِيُّ

أخبـــاره وأشعاره

جمع وتحقيق

الأستاذ عبد المعين الملوحي

ترجمتـــه :

جاء في مختار الأغاني لابن منظور (ط . دمشق) ٦ : ٩٨ ـ ١٠٣:
هو السمهري بن بشر بن أويس[2] بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي ، ويكنى : أبا الديلم ، لقي هو وبهدل ومروان ابنا قرفة الطائيان ، وقرفة أمها ، وأبوهما حبان الطائي ، عونَ بن جعفر بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لأي بن غالب ، ومعه عدة من أعوانه ، خاله أحـدُ بني حارثة بن

(١) نشر القسم الأول من هذا البحث في ج٢ م ٤٩ .

(٢) وورد أقيش

لأم من طيىء ، بالثعلبية صادراً ، وهو يريد الحج أو يريد المدينة ، فقالوا له : العُراضة (١) ، أي : مُر لنا بشيء ، فقال : يا غلام جفّن (٢) لهم ، فقالوا : لا والله ما الطعامَ نريد ، فقال : عرضهم (٣) ، فقالوا : ولا ذاك نريد ، وعلم أنهم لصوص ، فارتاب بهم ، وأخذ السيف فشدّ عليهم وهو صائم ، وكان بهدل لا يسقط له سهم ، فرمى عوناً فأقصده ، فلما قتلوه ندموا فهربوا ولم يأخذوا إبله ، فتفرقت فنجا خاله الطائي ، إما عرفوه وكفّوا عن قتله ، وإما هرب . ولم يُعرف القتلة ، فوجُد بعض إبله في يدي شافع بن واتر الأسدي . وبلغ عبد الملك بن مروان الخبرُ ، فكتب إلى الحجاج بن يوسف ، وهو عامله على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل ، وهو عامله على المدينة ، وإلى عامل اليمامة : أن يبالغوا في طلب قتلة عون ، وأن يجعلوا لمن دلّ عليهم جعالة (٤) ، وانشام (٥) السمهري في بلاد غطفان ما شاء الله .

سجنه :

ثم مرّ بنخل ، فقالت عجوز من بني فزارة : أظن والله هذا العكلي الذي قتل عوناً ، فوثبوا عليه فأخذوه ، ومرّ أيوب بن سلمة المخزومي بهم ، فقالت له بنو فزارة : هذا العكليّ الذي قتل عوناً ابن عمك

(١) العراضة : الهدية يقدمها القادم من السفر .
(٢) جفن لهم : ضع لهم جفان الطعام .
(٣) أي أعطهم شيئاً
(٤) جعالة : مكافأة
(٥) انحاز ودخل .

فأخذه منهم ، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عاملَ عبد الملك على المدينة فجحد ولم يقرّ ، فحبسه .

هربه من السجن :

فألحوا على بهدل في الطلب ، وضيقوا على السمهري في القيود والسجن ، بالمدينة فأيقن السمهري أنه غير ناجٍ ، فجعل يلتمس الخروج من السجن ، فلما كان يوم جمعة ، والإمام يخطب ، وقد شغل الناس بالصلاة كسر إحدى حلقتي القيد ، ثم رمى بنفسه من فوق السجن ، والناس في صلاتهم ، فقصد الحرة ، فولج غاراً في الحرة ، وانصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم اتباعه . وغلقوا أبوابهم . وقال لهم الأمير : اتبعوه . فقالوا : وكيف نتبعه وحدنا ؟ فقال لهم : أنتم ألفا رجل ، فكيف تكونون وحدكم ؟!

فقالوا : أرسل معنا الأبليين ، وهم حرس وأعوان من الابلة . فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى ، [ثم همس(١) ليلته طلقا] وأصبح وقد قطع أرضاً بعيدة ، فبينما هو يمشي إذ نعب غراب عن شماله فتطير ، فإذا بالغراب على شجرة بانٍ ينشنش ريشه ويلقيه ، فاعتاف شيئاً في نفسه ، فمضى وفيها ما فيها ، فاذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك ، فسأله : من أنت ؟فقال: رجل من لهب أنتجع أهلي ، فقص عليه حاله ، وخبره عن الغراب والشجرة . فقال اللهبي : هذا الذي فعل ما فعل ، ورأى الغراب على البانة يطرح ريشه ، سيصلب ، فقال السمهري : بفيك الحجر . فقال اللهبي : بفيك أنت الحجر(٢) ، استخبرتني فأخبرتك ، ثم تغضب . فمضى حتى أتى أرض بني عذرة

(١) همس : بلافتور

(٢) لاحظ تقارب الروايات في القبض على اللصوص .

ابن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكراً ، ويستحلب الرعيان اللبن فيحلبون له ، ولقيه عبد الله الأحدب بن بغيض السعدي ، أحد بني مخزوم ، من بني عبد شمس ، وكان أشد منه وألص ، فجنى جناية فطلب، فترك بلاد بني تميم ، ولحق ببلاد قضاعة وهو على نجيبة لأتُسَايَر[1] ، فبينا السمهري يماشي راعياً لبني عذرة ، ويحدثه عن خيار إبلهم ويسأله السمهري عن ذلك ، وإنما يريد أنه يستدله على أنجاهن[2] ليركبها فيهرب بها ، لئلا يفارق الأحدب ، فأشار له إلى ناقة ، فقال السمهري : هذه خير من التي تفضلها ، هذه لا تُجارى ، فتحين الغفلة ، فلما غفل وثب عليها ثم صاح بها ، فخرجت تطير به ، وذلك في آخر الليل فلما أصبحوا فقدوها وفقدوه فطلبوه في الأثر .

وخرجا حتى استقبلتهما سعة وهي أوسع من الطريق ، فظنا أن الطريق فيها ، فسارا ملياً ، فلما عرفا أنهما جائران[3] والتقت الجبال أمامهما ، ووجد الطلبُ أثر بعيريهما ورأوه قد سلك النقب في غير الطريق ، عرفوا أنه سيرجع فقعدوا له بفم النقب ، ثم كرا راجعين ، وجاءت الناقة وعلى رأسها مثل الكوكب من لُغامها وأبصر القوم ، فهم أن يعقر ناقتهم ، فقال له الأحدب : ما هذا جزاؤها . فنزل ونزل الأحدب ، فقاتلها القوم حتى كادوا يغشون السمهري فهتف بالأحدب ، فطرد عنه القوم حتى توقلا في الجبل ، وفي ذلك يقول الأحدب :

---

(١) لاتساير : لاتلحق

(٢) أسرعهن .

(٣) جار عن الطريق : ضل .

لما دعاني السمهري أجبته بأبيض من ماء الحديد صقيلِ
وما كنت ما اشتدت على السيف قبضتي
لأسلم من حب الحياة زميلي

القبض عليه مرة ثانية :

فرجع إلى صحراء منعج ، وهي إلى جنب أضاخ ، والحلة قريب منها ، وفيها منازل عكل ، فكان يتردد ولا يقرب الحلة ، وقد كان أكثر الجعل فيه ، فمر بابني فائد بن حبيب ، من بني أسد ، ثم من بني فقعس ، فقال : أجيرا متنكراً فحلبا له فشرب ، ومضى ولا يعرفانه ، وذهبا هما ، ثم لبث السمهري ساعة وكر راجعاً ، فتحدث إلى أخت ابني فائد ، فوجداه منبطحاً على بطنه يحدثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدحة(١) وإذا كدوح طرية . فأخبر بذلك أخاه ، فنظر فرأى ما أخبره به أخوه ، فقال أحدهما : هذا والله السمهري الذي جُعل فيه ما جُعل ، فوثبا عليه ، فقعد أحدهما على ظهره ، وأخذ الآخر برجليه ، فوثب السمهري فألقى الذي على ظهره تحت إبطه ، وعاجل الآخر ، فجعل رأسه تحت إبطه أيضاً ، وجعل الرجلان يعالجانه ، فناديا أختهما أن تعينهما ، فقالت : لي الشرك في جعلكما ؟ قالا : نعم . فجاءت بجرير فجعلته في عنقه بأنشوطة ، ثم جذبته حتى رنحته ، وهو مشغول بالرجلين يمنعهما ، فلما استحكمت العقدة ، خلى عنهما ، وشد أحدهما ، فجاء بحبل فألقاه في رجله ، وهو يداور الآخر . والأخرى تخنقه . فخر لوجهه فربطاه ، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المري ، أمير المدينة وأخذا ما جُعل لأخذه .

---

(١) مكدحة : فيها خدوش من آثار القيد .

قتـــله :

فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون ، فدفع إليه ، فقـال له السمهري أتقتلني وأنت لا تدري أقاتلُ عمك أنا ، أم لا ؟ أدنُ أخبرك ، فأراد الدنو منه فنودي : إياكَ والكلبَ . وإنما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله .

مصير رفيقيه بهدل ومروان :

وأما بهدل ومروان فإن طيئاً أخذت بها أسداً فقالوا : إن حبسنا لم نقدر عليها ونحن محبوسون ، ولكن خلوا عنا حتى [نتحسس[٢] عنهما] فنأتيكم بهما وكانا قد تأبدا مع الوحش ، يرميان الصيد ، فهو رزقهما ، فلما طال ذلك على مروان ، هبط إلى راعٍ فتحدث إليه فسقاه وبسـطه حتى عرفه ولم يخبره أنه عرفه ، فجعل يأتيه بين الأيام فلا ينكره ، حتى إذا جاء مروان إليه كما كان يفعل سقاه وحدثه فلم يشعر حتى أطافوا به فأخذوه ، فأتوا به عثمان بن حيان أيضاً فأعطى الذي دل جُعله وقتله .

وأما بهدل فإنه كان يأوي إلى هضبة سلمى ، فبلغ ذلك سيداً من سلمى فقال : قد أخيفت طيىء ، وشردت من أجل هذا الفاسق الهارب ، فجاء حتى حل بأهله أسفل تلك الهضبة . ومعه أهلات[١] من قومه ، فقال لهم : إنكم بعيني الخبيث فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت ، وليخلوا النساء ، فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب ، وطلب الحاجة ، فكانوا يخلون الرجال نهاراً ، فإذا أظلموا ثابوا إلى رحالهم أياماً ، فظن

(١) نبحث :

(٢) جماعة .

بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل نابهم فانحدر إلى قبة السيد ، وقد أمر النساء : إذا انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه . وفي قبة السيد بنتان له ، فسألها : من أنتما ، فأخبرتاه وأطعمتاه ، ثم انصرف ، فلما راح أبوهما أخبرتاه ، فقال : أحسنتما إلى ابن عمكما ، فجعل ينحدر إليهما حتى اطمأن ، وغسلتا رأسه ، ودهنتاه ، فقال الشيخ لابنتيه : افلياه إذا أتاكما هذه المرة ، واعقدا خُصل لمته إذا نعس رويداً بخمل القطيفة ، ثم إذا شددتما عليه ذلك فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ، ففعلتا ، وشدوا عليه فربطوه ، فدفعه إلى عثمان ابن حيان فقتله ، فقالت ابنة بهدل ترثيه .

فيا ضيعة الفتيـان إذ يعتُلُونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المُسدم
دعـا دعوة لما أتى أرض مالك ... ومن لا يُجب عند الحفيظة يكلم
فيَقتُل جبراً في فتى لم يكن له ... بواءً [1] ولكن لا تكايل بالدم

أي : لا يكون الدم مثل الدم في الكثرة ، والقلة . وجبر هـذا : هو الذي أخذ بهدلاً وحمله إلى السلطان حتى قتل ، وهو جبر بن عبيـد من بني مالك بن نبهان .

ويورد صاحب الأغاني بعد ذلك أخبـار رثاء ابن دارة للسمهري ، وأخذ أخيه مالك لثأره من قتلة السمهري في شعر كثير وحوادث مفصلة ، يرجع إليها من يشاء .

(١) البواء : الكفء

أشـــعاره

— ١ —

قال ، وهو سجين (*) :

١ ـ فَمَنْ مُبْلِغٌ عني خليليَ مالِكاً رسالَةَ مشدودِ الوَثاقِ غَريبِ
٢ ـ ومَنْ مُبْلَغٌ حَزْماً وتَيْماً ومالِكاً وأربابَ حامي الجفرِ رهطَ شبيبِ
٣ ـ لِيَبْلوا التي قالتْ بصحراءِ مَنْعجٍ لي الشِّرْكُ يا ابنيْ فائدِ بنِ حبيبِ
٤ ـ لتضربَ في لَحْمي بسهمٍ ، ولم يَكُنْ
لها في سهامِ المسلمينَ نصيبُ

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٤

١ و ٢ — مالك وحزم وتيم : أصدقاؤه .

الجفر ، في معجم ما استعجم : مفتوح الأول ، ساكن الثاني موضعان ، أحدهما في رسم جفاف ، والثاني في رسم جنفاء .

٣ — منعج ، بكسر العين : واد في رسم ضرية وخزاز حيث قبض على السمهري .

ابنا فائد بن حبيب : الرجلان اللذان قبضا عليه وأسلماه مع أختهما التي عاونتهما لقاء اشتراكها في الجعل عند القبض عليه .

ومعنى الأبيات : يشير إلى حادثة القبض عليه ، وقد اشتركت فيها أخت ابني فائد مع أخويها ، فهو يستصرخ في السجن أصدقاءه للانتقام له منها ، فقد أرادت أن تأكل من لحمه ، وليس لها حق في لحوم المسلمين .

– ٢ –

قال (*)

١ – لَقَدْ جَمَعَ الحَدَّادُ بَيْنَ عِصابَةٍ تَساءَلُ في الأَسْجانِ : ماذا ذُنُوبُها؟
٢ – مُقَرَّنَةُ الأَقْدامِ في السِّجْنِ تَشْتَكي ظَنابِيبَ قَدْ أَمْسَتْ مُبيناً عُلُوبُها
٣ – بِمَنْزِلَةٍ أَمَّا اللَّئِيمُ فَآمِنٌ بِها ، وكِرامُ القَوْمِ بادٍ شُحُوبُها

(*) تخريج الأبيات :

الأبيات السبعة ما عدا الخامس في الوحشيات : ٢٢٢

وفي الأغاني ٢١ : ٥٤ (بولاق) وفي الخالديين : ٢٢٩

والأبيات ١ و ٣ و ٤ في مجموعة المعاني ١٣٨ – ١٣٩

وزادت بيتاً تفردت به وهو الخامس .

١ – الحداد : السجان ، وروي تساءل في الأقياد .

٢ – الظنابيب : جمع ظنبوب : حرف العظم اليابس من الساق .

وفي الوحشيات : الظنانيب ، وهو تصحيف أو خطأ مطبعي .

العلوب : ج علب : أثر الضرب ، والجمع علوب . يقال ذلك في أثر الميسم وغيره .

ومعنى الأبيات : جمع السجن فئات شتى من الناس ، تتساءل ماذا جنت حتى تسجن ، وقد قرنوا أرجل المساجين بعضها ببعض ، حتى اشتكت عظام الأقدام ، وظهرت عليها آثار القيود .

ان هذا السجن يأمنه اللئيم أن يدخله ، أما الرجال الكرام فهو مأواهم .

٤ ـ إذا حَرَسِيٌّ قَعْقَعَ البــابَ أرْعِدَتْ
فَرائِصُ أَقْوام ، وطــارَتْ قُلوبُهــا

٥ ـ نَرى البابَ ، لا نسطيعُ شَيْئاً وَراءَهُ
كَأَنَّا قَنِيٌّ أَسْلَمَتْهــا كُعُوبُهــا

٦ ـ ألا لَيْتَني مِنْ غَيْرِ عُكْلٍ قَبيلَتي
وَلَمْ أُدْرِ ما شُبَّانُ عُكْلٍ وشِيبُهــا

٧ ـ قُبَيِّلَةٌ لا يَقْرَعُ البــابَ وَفْدُهــا
بِخَيْرٍ ولا يَــأْتِي السَّدادَ خَطيبُهــا

٨ ـ فَــإنْ تَكُ عُكْلٌ سَرَّهــا ما أَصابَني
فَقَدْ كُنْتُ مصْبُوباً على مَنْ يَرِيبُهــا

---

٤ ـ الحرسي : الحارس والسجان .

٥ ـ القني : ج قناة . الكعوب : ج كعب وهو عقدة ما بين الأنبوبين من القصب والقنا .

ومعنى البيتين : إذا حرّك السجان الباب سرت فينا رعدة ، وطارت قلوبنا خوفاً ، ونحن ننظر إلى الباب في حسرة ، فلسنا نستطيع أن نتجاوزه ولا نستطيع أن نفعل شيئاً وراءه ، فكأنا قناة قد تكسرت الأنابيب التي تجمع بين عقدها ، فهي عاجزة جوفاء .

٧ ـ في الأغاني : ولا يهدي الصواب خطيبها .

ومعنى الأبيات : ينعي السمهري على قبيلته عكل خذلانها له ، وإسلامها إياه ، فليت له بقبيلته قبيلة تنصره ، فقبيلته لا تفعل الخير ولا تهتدي إلى صواب ، ولئن سرها ما أصابني من أسر وقيد وتهديد بالقتل فطالما دافعت عنها وردت كيد أعدائها .

- ٣ -

وقال (*) :

١ - تَمَنَّتْ سُلَيْمى أنْ أُقيم بأَرْضِها
وأنَّى ، لِسَلمى ، - ويْبَها - ما تَمَنَّتِ

٢ - ألا ليتَ شِعري ! هَلْ أَزُورَنَّ ساجِراً
وقد رَوِيَتْ ماءَ الغوادي وعَلَّتِ

٣ - بني أسدٍ هل فيكمُ من هَوادَة فَتعفوا، لَو اَن كانتْ بِيَ النَّعْلُ زَلَّتِ

(*) التخريج : البيتان ١ و ٢ في معجم البلدان (ساجر) للشاعر . والثلاثة في الأغاني (بيروت) ٢٦٤

الويب : كلمة مثل ويل . ويباً لهذا الأمر : عجباً له .

الغوادي : ج : غادية : السحابة المطرة .

١ و ٢ - ساجر في المعجم : ماء في بلاد بني ضبة وعكل ، وهما جيران .

ومعنى البيتين : تمنت سليمى أن أبقى معها في أرضها ، وأنى لها أن أحقق لها ما تمنت ، ويحها ألا تدري أني أضرب في الآفاق طلباً للرزق ولست غنياً لأقيم في دارنا كما يقيم الأغنياء في ديارهم .

ليت شعري ! متى أزور أرض بلادي وقد روتها السحب ، وأخصبت .

٣ - يرقق بني أسد عليه ، لعلهم يعفون عنه .

ثم جاء في الأغاني : وبنو تميم تزعم أن هذا البيت لمرة بن محكان السعدي ، وروي في المطبوع من الأغاني (سامي) فتغفرَ إن كانت ...

— ٤ —

وقال يذكر سجنه في اليمامة (*) :

١ ـ كانَتْ منازِلُنـــا الَّتي كُنَّـــا بِهِا
شَـتَّى ، فَــأَلَّـفَ بَيْنَنَـــا دَوَّارُ

— ٥ —

وقال (*) :

١ ـ ألا أيُّها البيتُ الذي أنا هاجِرُهُ فلا البيتُ مَنْسِيٌّ، ولا أنا زائِرُهْ
٢ ـ ألا طَرَقَتْ ليلىٰ ، ورِجْلي رَهينةٌ
بأَشهَـبَ مَشْدودٍ عَـــليَّ مســـامِرُهْ

تخريج البيت : لم أجد غير هذا البيت فيما راجعت من مصادر ، ووجدته في معجم ما استعجم . قال : دوار : مفتوح الأول ، وهو اسم سجن في اليمامة ، وكذلك قال ياقوت ، ولم يورد هذا البيت ، وأورد أبياتاً كثيرة للصوص آخرين يشتكون فيها هذا السجن الرهيب .

ومعنى البيت :

كانت منازلنا مختلفة متفرقة ، فجمع سجن دوار بيننا ، فنحن فيه من كل قبيلة ، ومن كل أرض .

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٣ (بيروت) ٢١ : ٢٦٣

ومعنى الأبيات : ورد هذا المعنى مراراً في شعره ، ووردت الألفاظ نفسها مكرورة .

٣ ـ فإنْ أَنْـجُ يا لَيْلىٰ ، فَرُبَّ فتىً نَجا
وإنْ تَكُنِ الأُخرىٰ ، فَشَيءٌ أحاذِرُهْ

٥ ـ وما أَصْدَقَ الطيرَ الّتي بَرَحَتْ بنا
وما أَعْيَفَ اللِّهْبِي ، لا عَزَّ ناصِرهْ

٦ ـ رأيتُ غُراباً ساقطاً فوقَ بانةٍ
يُنَشْنِشُ أعْلى ريشِهِ ويُطايِرُهْ

٧ ـ فقالَ : غُرابٌ باغترابٍ مِنَ النَّوىٰ
وبانٌ ببَيْنٍ مِنْ حَبيبٍ تُحاذِرُهْ

٨ ـ فكانَ اغترابٌ بالغُرابِ ونِيَّةٌ
وبالبانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لَكَ طائِرُهْ

يا بيت الحبيبة ، أنا أهجرك ، لا أني أنساك ، ولكني لا أستطيع زيارتك . لقد زارني طيف ليلى وأنا في السجن ، والقيود تثقل رجلي ، وأنا أمام الموت ، فإما أن أنجو ، وقد ينجو الفتى من المهالك ، وإما أن أموت ، ولا مفرّ من الموت رغم كل حذر .

(٣) الأخرى : يريد القتل أو البقاء في السجن

٥ و ٨ — برحت : بفتح الراء مرت عن اليمين ، وهي البارح .

ينشنش : ينتف .

النية : الرحلة والسفر .

ومعنى الأبيات واضح .

- ٦ -

وقال (*) :

١ ـ نَجَوْتُ ، ونَفْسي عنـــدَ ليلىٰ رَهِينَةٌ
وَقَدْ عَمَّني داجٍ ، من الليـــلِ ، دامِسُ

٢ ـ وغامَسْتُ عَنْ نفسي بأَخلَقَ مقْصِلٍ
ولا خيرَ في نفسِ امرىءٍ لا تغـــامِسُ

٣ ـ ولَوْ أَنَّ ليلىٰ أَبْصَرَتْني غُدْوَةً
وَصَحْبِيَ ، والصَّفَّ الذينَ أُمـــارِسُ

٤ ـ إِذَنْ لَبَكَتْ لَيْلىٰ عَلَيَّ ، وَأَعْوَلَتْ
وما نالتِ الثَّوْبَ الّذي أنـــا لابِسُ

(*) التخريج : في الحماسة الشجرية (تحقيقنا) ص : ١٤٢ ، وذكر ابن الشجري السمهري العكلي ، وقال : وهو من اللصوص . وفي الأغاني (بيروت) ٢١ : ٢٦١

١ - في بعض النسخ : غمنى . بالغين المعجمة .

٣ - في الأغاني : ومطواي .

ومعنى الأبيات : نجوت من السجن في ليل داج ، ولكن نفسي ما تزال رهينة عند ليلى ودافعت عن نفسي بسيفي ،ولا خير فيمن لا يدافع عن نفسه ، ولو رأتني ليلى وما أكابد من أهوال ، وما أعالج من حراس وأقفال لبكت علي ولم تستطع أن تنال ثوبي ، وتحتفظ به من أثري .

وقال يرثي نفسه (*) :

- ٧ -

١ ـ ألا طَرَقَتْ لَيْلى ، وسـاقي رَهِينَةٌ
بأسمرَ ، مَشْدودٍ ، عَـلَيَّ ثقيلِ

٢ ـ فما البينُ يا سلمى بأنْ تشحطَ النَّوى
ولكنَّ بَيْناً مـا يريـدُ عَقِيلُ

٣ ـ فانْ أَنْجُ مِنْها ، أَنْجُ منْ ذي عَظيمةٍ
وإن تكنِ الأُخرى ، فتلكَ سَبيـلُ

٤ ـ وما كُنْتُ مِحياراً ، ولا فَزِعَ السُّرى
ولكنْ حـذا حُجْراً بغير دليـلِ

(*) التخريج : وردت الأبيات الثلاثة في الأغاني (ساسى) ٢١ : ٥٤ وورد البيت الرابع فيها ٢١ : ٥٢ ، ويظهر أنها من قصيدة واحدة أو من قصيدتين ففي الأبيات بيتان فيهما إقواء .

١ ـ الأسمر يريد القيد . ٢ ـ تشحط : تبعد .

٣ ـ محياراً : كثير الحيرة والتردد .

٤ ـ حجر : بفتح الحاء : مدينة باليمامة وبضمها : قرية باليمن .

ومعنى الأبيات : زارتني ليلى في نومي فلم أستطع السير إليها ، لأنني موثق بالقيود الثقيلة .

يا ليلى ! ليس بعدنا ، ونحن حيان ، بالبعد ولكنِ البعد أن يفرقِ بيننا الموت .

- ٨ -

وقال أيضاً وهو طريد (*) :

١ ـ فلا تَيْأَسا من رَحْمَــةِ اللهِ وانظُرا
بوادي جَبُونــا أنْ تَهُبَّ شَمــالُ

٢ ـ ولا تَيْأَسا أَنْ تُرْزَقا أَرْحَبِيَّةً
كَعينَ المَهــا أَعْناقُهُنَّ طِــوالُ

٣ ـ من الحارِثيينَ ، الذينَ دِمــاؤُهُم
حَرامٌ ، وأَمّــا مالُهُمْ فَحَــلالُ

فإن أنج منه فقد نجوت من أمر عظيم ، وإن قتلت فسبيل الموت طريق الناس جميعاً .

لم أكن في حياتي متردداً أخاف الأهوال ولكني كنت أقطع الفيافي دون دليل فضللت .

(*) التخريج : الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٣ (بيروت) ٢١ : ٢٦٥ — ٢٦٦

١و٢و٣ - جبونا : لم أجدها في البلدان ولا في معجم ما استعجم ، ووجدت جبوب . ولعله جبوب بدر أو حصن باليمن . الأرحبية : الإبل التي تنتسب لقبيلة أرحب ، أو إلى فحل بعينه .

لعله في الأبيات يخاطب صديقيه المتشردين بهدلاً ومروان يدعوهما إلى الثقة برحمة الله ، وبكرم بني الحارث .

- ٩ -

وقال (*) :

١ ـ أعاذلُ! بَكِّيني لأضيافِ لَيْلةٍ نَزورِ القِرى، أمْسَتْ بليلٍ شَمالُها

٢ ـ أعامرُ مهلاً لا تَلُمْني، ولا تَكُنْ خَفِيًّا إذا الخيراتُ عُدَّتْ رِجالُها

٣ ـ أرى إبلي تَجزي مَجازي هَجْمَةٍ كَثيرٍ ، وإنْ كانَتْ قليلاً إفالُها

(*) التخريج : الأبيات في الحماسة (شرح المرزوقي) ص : ١٧٠٧- ١٧٠٩ ورقمها : ٧٥٤ ، وفيها وقال آخر . وقال التبريزي : وقال العكلي : وذكر الأبيات .

١ - ورد في التبريزي في شرح البيت مختصراً : أكثري البكاء من أجل أضياف ليلة قليلة القرى ، لإمساك الناس عن الإنفاق .. وقد أمست ريح الشمال فيها ذات بلل وبرد .

٢ - في التبريزي مختصراً : جمع على نفسه لائمة ولائماً ، فيقول : يا عامر ! رفقاً في عتبك علي ، ولومك إياي ، واقتد بي في طلب السموّ والاعتلاء على الأقران ، وفعل الخيرات .

٣ - الهجمة : القطعة من الإبل بين الستين إلى المائة . الإفال : ج أفيل : صغار الإبل .

ومعنى البيت : إن إبلي قليلة ، مفجعة بأولادها ، ومع ذلك فهي تغني غناء الإبل الكثيرة عند بخيل لا يصرفها إلى الحقوق والضيفان .

٤ ـ مثاكيلُ ، مـا تَنْفَكُّ أرْحلَ جُمَّةٍ
تُرَدُّ عليهـمْ نوقُهـا وجِمالُهـا

- ١٠ -

قال (*) :

٤ ـ مثاكيل : ج مثكال ، التي تثكل أولادها . جمة : الجماعة من الناس .

ومعنى البيت : إن إبلي لا يعيش أولادها إلا ريثما تنمو للأضياف، وهي ما زالت مثوى الجماعة الكثيرة من الناس ، تصرف إليهم إناثها للحلب واللبن ، وذكورها للنحر واللحم .

(*) التخريج : الأبيات ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ في الأغاني (ساسي) ٢١ : ٥٤ ، ومختار الأغاني لابن منظور ٦ : ١٠١ — ١٠٢

والبيتان ٦ - ٧ في الأمالي ١ : ٤٤ ، والسمط ١٧٨ ، والحماسة الشجرية : ٦٧٣ - ٦٧٤ ، ونسبت تصحيفاً للنمري ، والبيتان ١١ - ١٢ في مجموعة المعاني : ١٣٩

والأبيات ٨ - ٩ - ١٠ في معجم البلدان (الغوريان) و (بيشة) وزادت الحماسة في التخريج : التشبيهات : ١٠٧ - الحماسة البصرية ٢ : ١٦٠ ومنتهى الطلب : ١٥٤ كما زاد السمط الخزانة ٣ : ٤٨٣ ، والبيت ٧ في قواعد الشعر لثعلب : ١٦

١ ـ ألا حَيِّ لَيْلَى ، إذْ أَلَمَّ لِمَامُها وكانَ مَعَ القَومِ الأعادي كَلامُها

٢ ـ تَعَلَّلْ بلَيْلَى ، إنَّما أَنْتَ هامَةٌ من الغَدِ ، يَدنُو كُلَّ يَوْمٍ حِمامُها

٣ ـ وبادِرْ بلَيْلَى أوبةَ الرَّكْبِ ، إنَّهُمْ
مَتَى يَرْجِعوا يَحْرُمْ عَليك لِمامُها

٤ ـ وَكَيْفَ تُرَجِّيها ، وَقَدْ حِيلَ دونَها
وأَقْسَمَ أقوامٌ مَخُوفٌ قَسامُها

٥ ـ لأَجْتَنِبَنْها أوْ لَيَبْتَدِرُنَّني
بِبِيضٍ ، عليها الأَثْرُ ، فُقْمٌ كِلامُها

---

١ ـ اللمام : الزيارة في الأحايين .

ومعنى الأبيات : ألمت بك ليلى ، في سجنك ، وتوسلت إلي الحراس من أعدائك ، لتستطيع مقابلتك ، فحيها وتعلل بها حيناً فأنت غداً ميت ، وعجل لقاءها قبل أن يعود الركب فلا تراك ولا تراها .

٤ ـ القسام من القسم : والقسامة اليمين .

٥ ـ الأثر : في السيف فرنده ورونقه . الفقم : الواسعة . الكلام : الجروح .

ومعنى البيتين : وكيف ترجي لقاءها وبينك وبينها أقوام أقسموا ، وقسمهم مخيف ، لأتركنها أو ليقتلنني بسيوف عليها آثار الضراب ، جراحها واسعة قاتلة .

٦ ـ وبَيْضاءَ ، مِكسالٍ ، لَعوبٍ ، خَريدةٍ
لذيذٍ ، لَدى ليلِ التَّمامِ ، شِمامُهـا

٧ ـ كَأَنَّ وميضَ البَرْقِ ، بَيْني وبَيْنَهـا
إذا حانَ ، مِنْ خَلْفِ الحِجابِ ، ٱبتسامُها

٨ ـ ونُبِّئْتُ لَيْلىٰ بالغَرِّيْنِ سَلَّمَتْ
عَلَيَّ ودوني طَخْفَـةٌ ورِجامُهـا

٩ ـ فإنَّ التي أَهْدَتْ ، علىٰ نَأْي دارِهـا ،
سَلامـاً ، لَمَرْدُودٌ عَلَيْهـا سَلامُهـا

١٠ ـ عديدَ الحَصىٰ والأثْلِ مِن بَطْنِ بيشةٍ
وطَرْفائِهـا ، مـا دامَ فيهـا حَمامُها

٦و٧ ـ معنى البيتين : ليلى فتاة بيضاء ، مترفة ، لعوب ، يلذ شمها وضمها في الليالي المقمرة ، كأن بسمتها وراء الحجاب ، وميض البرق .

٨ ـ الغريان : مثنى الغري ، وهو المطلي ، والغريان بناءان كالصومعتين.

٩ ـ طخفة : في معجم البلدان ، مكان في البصرة إلى مكة .

١٠ ـ بيشة : قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن ، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد .

ومعنى الأبيات : علمت أن ليلى ، وهي قاطنة في الغريين ، سلمت علي وبيني وبينها طخفة وأحجارها ، فعليها سلامي مكروراً ، عدد الحصى وأشجار الأثل والطرفاء في وادي بيشة ، وقد غنت حمائمه على الأغصان.

١١ ـ لَقَدْ طَرَقَتْ ليلىٰ ، ورِجْلي رهينةٌ
فما راعَني ، في السِّجْنِ ، إلا سَلامُها

١٢ ـ فَلَمَّا ارتفقتُ للخيالِ الّذي سَرىٰ
إذِ الأرْضُ قَفْرٌ ، قَدْ عَلاها قَتامُها

١٣ ـ فإلا تَكُنْ لَيْلىٰ طَوَتْكَ فَانَّهُ
شبيهٌ بِلِيلىٰ حُسْنُها وقَوامُها

١٤ ـ ألا لَيْتَنا نَحْيا جَميعاً بِغِبْطَةٍ
وتَبْلىٰ عِظامي ، حِينَ تَبْلىٰ عِظامُها

١٥ ـ لذلكَ ما كانَ المحِبُّونَ قَبْلَنا
إذا ماتَ مَوْتاها تزَاوَرُ هامُها

١١و١٢و١٣ ـ ارتفق : اتكأ على مرفقه أو على وسادة .

معنى الأبيات : زارتني ليلى ، وأنا في السجن ، ففاجأني سلامها علي ، وانتبهت وحاولت القيام لتحيتها ، فإذا هي حلم ، وإذا السجن مظلم ، وإذا الأرض يغطيها الليل . لعمري لئن لم تكن ليلى هي التي زارتني وضمتني ، فإن من زارتني تشبهها في جمالها وقوامها .

١٤و١٥ ـ ومعنى البيتين : ليتني أنجو من الموت ، وأحيا مع ليلى في سرور وغبطة ، فإذا متنا متنا في يوم واحد . فأما إذا مت قبلها فلها علي أن تزورها هامتي في قبري ، وكذلك كان المحبون قبلنا يتزاورون بعد الموت .

- ١١ -

وقال (*) :

١ ـ أَقولُ لأَدْنى صـــاحِبَيَّ نَصِيحةً
وللأَسْمَرِ المِغْوارِ : مـا تَرَيانِ ؟!!

٢ ـ فقالَ الذي أبدى لي النُّصْحَ مِنهما :
أرى الرأيَ أنْ تَجتـــازَ نَحْوَ عُمانِ

٣ ـ فـإن لا تَكُنْ في حاجِبٍ وبلادِهِ
نجـاةٌ ، فَقَدْ زَلَّتْ بِـكَ القَدَمانِ

٤ ـ فَتًى من بني الخَطّـابِ يَهْتَزُّ للندىٰ
كما اهْتَزَّ عَضْـبُ الشَّفرتينِ يَمـانِ

(*) تخريج الأبيات : الأمالي ٣ : ٧٧

قال : وأنشد رجل من عكل يقال له : السمهري بن بشر . وفي ذيل السمط ٣٨ : وهو ابن بشر (لا ابن أسد . كما قال الشيباني) ... شاعر لص خبيث ...

الأسمر في الأمالي : رجل من طيىء .

٣ ـ حاجب هذا ـ في الأمالي ـ هو حاجب بن خشينة العبشمي .

٥ ـ هُوَ السَّيْفُ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مَسُّهُ
وغَرْبَاهُ إنْ خاشَنْتَهُ خَشِنانِ

- ١٢ -

وقال (*) :

١ ـ أَعِنِّي على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَهُ
يَشُوقُ ، إذا اَسْتَوْضَحْتَ بَرْقاً يمَانِيا

---

٥ ـ الغرب : حد كل شيء .
وورد في ذيل السمط : ٣٨ :
والبيت الأخير ـ أي هذا البيت ـ سائر .
ونسبه ابن سعيد لليلى الأخيلية وقبله :
كريم يغض الطرفَ فضلَ حياته ويدنو ، وأطراف الرماح دوان
ومعنى الأبيات : ينصحه صديقه أن يهرب إلى عمان .

(*) التخريج : جمعت المقطوعة بيتين وردا في معجم البلدان (طمية) وأبياتاً خمسة وردت في الأغاني ٢١ : ٥٥ (الساسي) و ٢١ : ٢٦٦ (بيروت) وأظن أن الأبيات السبعة من قصيدة واحدة .

١ ـ في معجم البلدان : ورد : إذا استوضحتُ برقاً عنانيا
وأظن فيه تصحيفاً ، ولذلك أوردته كما أرى .
ومعنى البيت : إذا كنت يا صاحبي تستوضح برقاً من اليمن فدعني أرقب برقاً نجديًا يشوقني وميضه .

٢ ــ أَرِقْتُ لَهُ ، والبَرْقُ دُون طَمِيَّةٍ
وذي نَجَبٍ ، يا بُعْدَهُ من مَكانِيا !

٣ ــ أَلَمْ تَرَ أَنِّي وابنَ أَبْيَضَ قَدْ خَفَتْ
بنا الأَرضُ ، إلا أَنْ نَؤُمَّ الفيافيا

٤ ــ طَرِيدَيْنِ من حَيَّيْنِ شتى ، أَشَدَّنا
مَخافَتُنا ، حتى عَلِلْنا التّصافِيا

٢ ــ طمية : جبل لبني فزارة ، وهو من نواحي نجد بالإجماع .
ذو نجب : واد قرب ماوان في ديار بني محارب .

ومعنى البيت : لقد أرقنى البرق يلمع ما بين أرض فزارة وأرض بني محارب . فما أبعدك عني يا برق بلادي .

٣ ــ خفت الأرض : سكنت وهدأت .

أنا وابن أبيض نمشي في الأرض خفاتاً جزعين ساكنين ، إلا أن ندخل الفيافي والقفار فتعود إلينا أصواتنا وحركاتنا .

٤ ــ نحن طريدان من عشيرتين مختلفتين ، ولكن الذي جمع بيننا السجن والهرب واللصوصية ، حتى أصبحنا صديقين مخلصين .

٥ ـ وما لمْتُه في أمرِ حزمٍ ونَجْــدةٍ
ولا لامني في مِرَّتي واحتياليــا

٦ ـ وقلتُ له ـ إذ حلَّ يسقي ويَسْتقي ـ
ـ وقد كان ضَوْءُ الصبح لليلِ حاديا ـ :

٧ ـ لعمري لقد لاقتْ رِكابُك مَشْرَباً
ـ لئن هي لمْ تصبــحْ عَلَيْهِنَّ ـ عاليا

عبد المعين الملوحي

● ● ●

ـ للبحث صلة ـ

---

٥ ـ المرّة : الشدة والقوة .

وفي الأبيات الثلاثة يصف تعاونه مع صديقه ، وصفاءَ الأخوة بينهما ، ومعناها واضح .

تاريخ وفاة ابن النديم

الدكتور رودولف زلهايم

تعريب الأستاذ حسام الصغير

ما الماضي إلا حياة غابرة ، وما أسرع ما يقلب الموت الذي نخشاه على أنفسنا حاضرنا إلى ماضينا . لقد وجد المسلمون عزاءهم عن ذلك في إيمانهم العميق بأن الموت باب الحياة الآخرة (١) ، يعبره كل مخلوق حي في هذه الدنيا . وما إن أخذت القبائل العربية بعد وفاة الرسول ﷺ وفي موجة الفتوحات الكبرى بالاستقرار في مدن بلاد الشرق الأوسط ذات

(*) يعتمد هذا التعريب على مقال للمؤلف نشر في الكتاب التذكاري لوفاة المستشرق S. M. Stern باللغة الألمانية قبل سنين ، وعلى حواشي نسخته الشخصية ، وبذا فقد غدا أصلاً جديدا ، قرأه المؤلف وأجازه ، كما أجاز من قبل تعريبي لمقاله الموسع « فتنة عبد الله بن الزبير » ، والذي نشر في هذه المجلة ٤٩/١٩٧٤/٨٢٩ — ٨٧٠ (المترجم) .

(١) قارن مثلاً : « الموت باب الآخرة » في كتاب الآداب لابن المعتز ، تحقيق I. Kratchkovsky في مجلة المستشرقين الإسكندنافيين Le Monde Oriental ، ١٨/١٩٢٤/٧٣

الحضارات العريقة ، حتى بدأت ضمن نمو وتطور مجالات حضارتها الإسلامية العديدة بتدوين تاريخ وفاة موتاهـا على أحجار القبور باليوم والشهر والعام تبعاً للتقويم الإسلامي (١) لم يؤرخوا وفقاً لأي تقويم ما ، وإنمـا حسب ذلك التقويم الذي ابتـــدأ بهجرة الرسول ﷺ إلى مدينة يثرب ، وارتبطت الأحداث به بعد دعوة خاتم الأنبياء إلى الإسلام في طريقها إلى يوم القيامة. إن هذا التصور الزمني ، كوحدة قياسية للبعد بين الدنيا والآخرة ، هو الذي أمدّ المؤرخين بالإطار الذي رتبوا فيه أخبارهم عندما تقيدوا بشكل الحوليات. وكذا انطلق مصنفو تراجم الرجـال من النبي ﷺ ونظروا إلى صحابته وتابعيه وأولادهم وأحفادهم تبعاً لتدرجهم عنه وترتيبهم الزمني والمكاني : أي تبعاً لطبقاتهم (٢) . ولما اتسعت المادة وأدى غناهـــا إلى ترتيبها على حروف الهجاء ، ازدادت أهمية تاريخ الوفاة ، وأضاف المصنفون عمر المترجم له وتاريخ ولادته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، كما ذكروا في تراجم العلماء أسماء أساتذتهم وتلاميذهم .

(١) قارن : Catalogue Général du Musée Arabe du Caire Stèles Funéraires ، ١ — ١٠ . القاهرة ١٩٣٢ — ١٩٤٢ ؛ أيضاً : Répertoire (Musée National de l'art Arabe) Chronologique d. épigraphie Arabe ١ - ١٦ ، القاهرة ١٩٣١-١٩٦٤ (publications de l' Institut Français d' Archéologie Orientale

(٢) قارن O. Loth في مقاله : Ursprung und Bedeutung der Tabakat , Vornchmlich der des Ibn Sa'd في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft ٢٣/١٨٦٩/٥٩٣ — ٦١٤

وفي عام ٣٧٧ هـ/٩٨٧ – ٩٨٨ م صنف الوراق والناسخ البغـدادي أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم كتاب الفهرست الشهير ، والمعتمد في الماضي والحاضر . كما تدلنا مخطوطاته الموجودة (١) فقد جعله على شكلين ، مقتضب ومطول ، وأثبت فيه التراث العربي الذي وصل إليه ، أو تناهى إليه وصفه عن طريق الثقـــات (٢) . لقد وجه ابن النديم اهتمامه في الدرجة الأولى لأسماء الكتب ، وكثيراً مـا وصف محتواها ومقدمتها وحجمهـا أو أعطى لمحات حول فرع من فروع الآداب والعلوم ؛ وإلى ذلك كله فقد جمـع وأورد قسماً من تراجم العلماء وضمنها

---

(١) قارن J. Fueck في مقاله: Eine Arabische Literaturgeschichte aus dem 10. Jahrhundert n. Chr. Der (Fihrist des Ibn an - Nadim) ، في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية المذكورة ٨٤/١٩٣٠/ ١١١ – ١٢٤ ، وخصوصاً ص ١١٣ ومايليها .

(٢) راجع : كتاب الفهرست ١ (النص) — ٢ (التعليق) ، حققه وعلق عليه G. Fluegel ، ليبزج ١٨٧١ – ١٨٧٢ ، الجزء الأول ، مقدمة ص ٢٠ ؛ راجع أيضاً J. Lippert في مقاله : Ibn al - Kufi, ein Vorgaenger Nadim's, ، في مجلة المستشرقين النمساويين Wiener Zeitschrift fuer die Kunde des Morgenlandes ١١/١٨٩٧/١٤٧ – ١٥٥ ؛ وقارن مقال V. V. Polosin بعنوان About one of the Written sources of the « Fihrist » by Ibn an - Nadim وقـد طبـع باللغة الروسية في نشرات معهد موسكو للدراسات الشرقية Pis' mennyje Pamjatniki Vostoka ، ١٩٧١ (موسكو ١٩٧٤) / ٨٦ – ١٠٨ ، (وهو يعني بهذا المصدر المكتوب كتاب الورقة لابن الجراح) .

تواريخ حياتهم ووفاتهم (راجع مقدمته) . وما أشدّ ما تثير هذه الأخبار بالذات اهتمام الباحثين في تاريخ الأدب العربي ، وخصوصاً لأن بعضها أحياناً هو الشاهد الوحيد المتوفر لما دُوّن بالعربية في القرون السابقة لعصر ابن النديم .

وبعد ، أليس من المدهش حقاً ، أن يستبين لنا أن أخبار حياة ابن النديم نفسه تكاد تكون معدومة ، إن استثنينا بعض إشارات عابرة نثرها في كتابه [1] . كما أننا نكاد لا نعلم — كما يبدو — سنة وفاته علم اليقين ، مع أن المصنفين العرب لتراجم الرجال لم يغفلوا عنه [2] ، وهم الدقيقون عادة في مثل هذه الأمور . وإن رجعنا إلى كتاب بروكلمن « تاريخ الأدب العربي » (الذيل الأول ١٩٣٧ ، ص ٢٢٧) ، أي إلى أكثر المراجع الحديثة استعمالاً ، لما وجدنا أكثر من العبارات التالية : لقد صنف ابن النديم كتاب الفهرست سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، ووسّعه في العام ذاته وظل يلحق به بعدها إضافات وصلت إلى بداية القرن الخامس الهجري ،

---

(١) راجع J. Fueck في مقاله المذكور آنفاً ، ص ١١١ — ١٢٤ ؛ وراجعه أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) Encyclopaedia of Islam ٣ (١٩٧١) ، مادة ابن النديم » التي نشرت في العدد الصادر ١٩٦٨ ، (حيث تفسر « دار الروم ») الواردة في الفهرست ٣٤٩/١ سطر ١٧ (صواباً بالمحلة الرومية في بغداد ،) وليس بالقسطنطينية كما لدى Fluegel في الفهرست ، الجزء الأول ، مقدمة ص ١٣ ، والجزء الثاني ص ١٨٤ ملاحظة رقم ٩ ، أو في مقال Fueck المذكور ص ١١٧) .

(٢) راجع : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٩٦٠/٩/٤١ وما بعدها ؛ ومراجع تراجم الأدباء العرب لخلدون الوهابي ١ /١٩٥٦/ ١٢٩ — ١٣١

أما « عام وفاته فمجهول »[١]. إن هذه المعلومات ترجع إلى أقوال مماثلة لمحقق كتاب الفهرست G. Fluegel (عام ١٨٧١ م) وذلك في مقدمته للجزء الأول ص ١٢ و ١٣ ، والتي ذكر فيها أن ابن النديم قد صنف – كما قال بنفسه – كتاب الفهرست سنة ٣٧٧ ﻫ على شكلين ، مقتضب ومطول ؛ ولا بد وأنه عاش طويلاً بعد ذلك ، إذ أن المحقق عثر في كتابه هذا على تواريخ تتجاوز ذلك العام وتصل إلى سنة ٣٩٩ أو ٤٠٠ ﻫ[٢]. أما حاشية مخطوطة مكتبة ليدن رقم ١٩ (or. 1221)[٣]، والتي تستند إلى ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » ، وتنص على وفاة ابن النديم يوم الأربعاء في ٢٠ شعبان ٣٨٥ (!) ، فلم ير فيها Fluegel أهمية تذكر ، لما وجده

(١) وفي كتاب « تاريخ التراث العربي للأستاذ فؤاد سزكين ، والذي يعتبر محوراً جديداً للدراسات العربية ، نرى المؤلف يتعرض لمسألة الاختلاف حول تاريخ وفاة ابن النديم ، واحتمال حياته حتى مطلع القرن الخامس الهجري أيضاً ، ولكنه لايتخذ موقفاً إزاءها ويقول : « إن سنة ٣٧٧ ﻫ التي صنف فيها كتاب الفهرست هي التاريخ الوحيد الثابت » ، راجع Fuat Sezgin Geschichte des Arabischen Schrifttums الجزء الأول ، ليدن ١٩٦٧ ، ص ٣٨٥

(٢) راجع أيضاً G. Fluegel في مقاله Ueber Muhammad bin Ishak' s Fihrist al - ulum ، في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية المذكورة ١٣/١٨٥٩/٦٠٠ ، ملاحظة رقم ١ ، حيث يقول : « وتدل أقوال متفرقة على أن ابن النديم كان لايزال على قيد الحياة بعد عام ٤٠٠ ﻫ/١٠٩٩ م » .

(٣) ١٩ وليس ٢٠ كما لدى Fluegel في الفهرست ، الجزء الأول ، مقدمة ص ١٦ و ١٨ (إقرأ تبعاً لذلك ٢١ عوضاً عن ٢٢ و ٢٠ عوضاً عن ٢١ ، وذلك في المقدمة ص ١٦ ومايليها) .

في كتاب الفهرست من تواريخ تتجاوز هذا العام (الفهرست : الجزء الأول ، مقدمة ص ١٢ ملاحظة رقم ٢ ، وص ١٩) [1] . أما J. Fueck فلم يجزم بذلك أولاً في مقاله في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى : الجزء الثالث ١٩٣٦ ، مادة : النديم) ، وترك مجالاً لاحتمال إضافة هذه

---

(١) لقد نشر Fluegel هذا التاريخ – تبعاً للحاشية القديمة في مخطوطة ليدن ١٩ (or. 1221) : « ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ (راجع ملاحظة رقم ١٦ في هذا المقال) – وذلك في Jahresbericht der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaf t fuer 1845 - 1846 ليبزج ١٨٤٦ ، ص ٥٩ ، فتقبله الجميع غرباً وشرقاً ؛ ففي الغرب مثلاً : D. Chwolsohn في كتابه Die Ssabier und der Ssabismus ، الجزء الثاني (١٨٥٦) مقدمة ص ١٩ ؛ J. Fueck ، في مقاله المذكور في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ٨٤ / ١٩٣٠/١١٦ ؛ ذاته أيضاً في مقاله Neue Materialien zum Fihrist ، في المجلة المذكورة آنفاً ٩٠/١٩٣٦/٣٠٠ ؛ أو أخيراً ذاته أيضاً في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) ، الجزء الثالث ١٩٧١ ، مادة ابن النديم (التي نشرت في العدد الصادر عام (١٩٦٨) . وفي الشرق مثلاً : إسماعيل باشا (١٨٣٩–١٩٢٠) في هدية العارفين (فرغ منه ١٩٠٧) ، الجزء الثاني ص ٥٥ ، (وتبعه ناشراً كشف الظنون لحاجي خليفة ، طبعة استانبول ١٩٤٢/٢/١٣٠٣ ، مادة : فوز العلوم) ؛ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني (الطبعة الثانية) ١٩٣٠ ، ص ٣١٥ ؛ فهرست ابن النديم ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، بدون تاريخ ، مقدمة ص ٣ ؛ محمد علي مدرس ١٨٧٩ – ١٩٥٣ : ريحانة الأدب (الطبعة الثانية ١٣٤٩ شمسي) ٢٥٢/٨ ومايليها ، بمادة ابن النديم .

التواريخ بيد أخرى ؛ ولكنه قطع في هذا الأمر في طبعة دائرة المعارف الإسلامية الجديدة (١٩٦٨) ، حيث قال : « كل تاريخ يتعدى سنة ٣٨٥ ﻫ [عام وفاة ابن النديم المزعوم] هو إضافة من الناسخ ، مثلاً : ص ٨٧ سطر ٦ ؛ وص ١٦٩ سطر ١٣ ، وكلاهما ساقط من مخطوطة ب [أي مخطوطة Chester Beatty والتي سيأتي ذكرها] »[1] .

لعمري لقد علمتنا الخبرة في مصنفات التراجم العربية الوافرة ، أنه يمكن الوثوق عموماً بتاريخ السنة إذا رافقه تاريخ الشهر واليوم ، ولاسيما إذا عُيِّن اسم اليوم أيضاً ؛ فلطالما صدرت هذه التواريخ عن تقييدات مباشرة كملاحظات كتبها أصدقاء وزملاء ، أو أقارب ومعارف على ظهور كتبهم المختلفة ، أو أوراقهم المتفرقة ، أو على أحجار القبور ، كما يمكن البرهنة على ذلك[2] . ولربما حصل ابن النجار (٥٧٨ ﻫ / ١١٨٣ م - ٦٤٣ﻫ ١٢٤٥ م) على التاريخ الصحيح لوفاة ابن النديم عن هذا الطريق . ومن

---

(١) قارن : الفهرست ، الجزء الأول : مقدمة ص ١٣ ، حيث يرد على Fluegel O. Loth الذي سبقه في هذا الرأي ، أي في احتمال إضافة هذه التواريخ بيد أخرى ، وذلك في كتابة Das Classenbuch des Ibn Sa'd ليبزج ١٨٦٩ ، ص ٣ ملاحظة ٨

(٢) راجع أمثلة على ذلك في فهرس المواد من كتابنا حول المخطوطات العربية في ألمانيا (تحت الطبع) ؛ وكذلك مقالنا حول أحجار القبور في مكة ، والذي سيصدر في مجلة Oriens ؛ كما نود أن نشير إلى كتاب أبي الحسن القفطي « نهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن مانقل من ظهور الكتب » ، والذي لم يصل إلينا كما يبدو ، (قارن مجلة Oriens ٨ / ١٩٥٥/٣٤٩) .

المؤسف أن ما يدعى « بالذيل » لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) لما يصل إلينا منه إلا قطع قليلة ، وعلى قدر ما تبين لنا فهي لا تتضمن ترجمة لابن النديم [١] .

وفي الآونة الأخيرة جاءنا B . Ddge بدليل آخر على التاريخ الصحيح لوفاة ابن النديم ، وذلك في مقالة « حياة ابن النديم » (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٥/١٩٧٠/٥٤٥ – ٥٥٥) والذي ترجمه عن الانكليزية الدكتور أ . ج . شوريز ، معتمداً على مقدمة Dodge في ترجمته لكتاب الفهرست إلى الإنكليزية الصادرة في نفس العام أيضاً . لقد وجد Dodge في مخطوطة الفهرست الأصلية الموجودة في مكتبة Chester Beatty تحت رقم ٣٣١٥ [٢] ، أن المقريزي قد أضاف بخطه عام ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م الحاشية التالية : « توفي يوم الأربعاء لعشر بقيت من شعبان سنة ثمانين وثلثمائة » مقال Dodge المذكور آنفاً ص ٥٥٥) .

---

(١) راجع Caesar E. Farah في مقاله : Ibn - al - Najjar a neglected Arabic historian في المجلة الأميركية Journal of the American Oriental Society ٨٤/١٩٦٤/٢٢٠ – ٢٣٠ خصوصاً ص ٢٢٣ و ٢٢٧ ومايليها ؛ إن كتاب المستدرك على تاريخ الخطيب المذكور ص ٢٢٤ تحت رقم ٢١ ، هو قسم من « الذيل » كما يبدو ، وله عنوان آخر أيضاً وهو « تأريخ لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من علماء الأنام » .

(٢) لقد وصف Dodge هذه المخطوطة مستفيداً بذلك من سابقه A. J. Arberry في مقدمة ترجمته للفهرست The Fihrist of al - Nadim a tenth - century survey of Muslim Culture والتي نشرها في مجلدين عام ١٩٧٠ (نيويورك – لندن) ونشر فيها صورة لصفحة عنوان =

إن الفرق الأساسي بين هذا التاريخ والتاريخ الذى يقرره Fluegel تبعاً لحاشية ابن النجار هو في تاريخ السنة : أي ٣٨٠ هـ عوضاً عن ٣٨٥هـ . فإذا ما راجعنا النص الذي اعتمده Fluegel ودققنا في أصله – وهو مخطوطة ليدن رقم ١٩ (or. 1221) [1] – وجدنا أن في الأمر تصحيفاً سببه اعتبار

= هذه المخطوطة وعليها حاشية المقريزي ؛ وهناك أمثلة أخرى لخط المقريزي ، راجع من أجلها : بروكلمن في « دائرة المعارف الإسلامية » (الطبعة الأولى) مادة المقريزي ؛ الزركلي في الأعلام ١٧٢/١ لوحة ١١٨ ؛ هذا وقد نقد S. D. Goitein ترجمة Dodge المذكورة ، وذلك في المجلة الأميركية The Middle East Journal ، ٨٧/١٩٧٢/٢٦ ومايليها . كما نقد الأستاذ محمد جواد مشكور طبعة الفهرست الجديدة التي نشرها الأستاذ رضا تجدد في طهران ١٣٥٠ شمسي ، وذلك في المجلة الإيرانية « راهنماى كتاب » ١٥ / ١٣٥١ شمسي /٢٦٣ – ٢٧٣ و ٤٤٩ – ٤٦٠ . وإنه لمن المؤسف حقاً أننا لانزال نفتقر إلى تحقيق يستوفي جميع الشروط العلمية لهذا المؤلف القيّم ، فالمستشرق الألماني J. Fueck والأستاذ العربي محمد بن تاويت الطنجي رحمهما الله لم يكتب لهما إتمام عملهما في تحقيقه . فقد توفي Fueck في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٤ في مدينة Halle بعد أن جاوز الثانين من عمره ، وكانت جمعية المستشرقين الألمانية قد كلفته في الثلاثينيات بتحقيق كتاب الفهرست لسلسلة « النشرات الإسلامية » التي تصدرها ؛ وكما يبدو فإن عمله لم يتعد جمع جزازات وافرة لعناوين كتب واسماء مؤلفين . أما محمد الطنجي فقد بدأ في إعداد التحقيق في الخمسينيات وتوفي في شباط ١٩٧٥ في أنقرة بعد أن درّس فيها أكثر من عشرين عاماً ؛ وإننا لاندري مدى ما خلفه وراءه من هذا العمل .

(١) راجع من أجل هذه المخطوطة مقال P. S. Van Koningsveld في المجلة الألمانية Der Islam ٢٩٤/١٩٧٢/٤٩ ومايليها .

الصفر في هذا الرقم خمسة (١) . إن تعيين يوم الأربعاء يؤيد صحة تاريخ الوفاة في سنة ٣٨٠ هـ . فالعشرون من شعبان قد وقع ذلك العام حقاً في يوم الأربعاء ، أما في سنة ٣٨٥ هـ فقد صادف يوم الخميس . كما أننا نجد تاريخ السنة ٣٨٠هـ مكتوباً بالكلمات لا بالأرقام لدى الصفدي (ت ٧٦٤هـ ١٣٦٣ م) وذلك في كتاب الوافي بالوفيات ٢ (١٩٤٩) ، ص ١٩٧ رقم ٥٦٨) . أما ما نراه في لسان الميزان (٥/٧٢ رقم ٢٣٧) لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) تبعاً لأبي طاهر الكرجي (في الطبعة : الكرخي) من أن ابن النديم « مات في شعبان سنة ثمان وثلاثين » ، فهو لا شك خطأ مطبعي أو سهو في نسخ « ثمانين وثلثمائة » (٢) والله أعلم .

(١) إن نقطة الصفر كبيرة نسبياً ، ولكنها صفر قطعاً ، فهي نقطة وليست دائرة ؛ راجع أعلاه ملاحظة رقم ١١ . كما أود في هذا الموضع أن أكرر شكري لمكتبة جامعة ليدن لإرسالها نسخة مصورة عن الصفحات الأولى لهذه المخطوطة .

(٢) لقد عدل الزركلي في الأعلام (٦/١٩٥٥/٢٥٣) الرقم المصحف ٣٨ إلى ٤٣٨ ، مبتعداً بذلك عن الصواب . أبو طاهر الكرخي الذي يعتمده ابن حجر ، هو أبو طاهر أحمد بن الحسن الكَرَجي (ت ٤٨٩ هـ/١٠٩٦ م) ؛ راجع : الأنساب للسمعاني ورقة ٤٧٧ ب ؛ المنتظم لابن الجوزي ٩/٩٨ ، حيث يروي « الكرخي » . تذكرة الحفاظ للذهبي (الطبعة الثانية) ص ١٢٢٧ : حيث يروي « الكرخي » ، والعبر للذهبي أيضاً ٣/٣٢٤ ، حيث يروي « الكَرْجي » ؛ الوافي بالوفيات للصفدي ٦/٣٠٦ ويروي« الكرجي » شذرات الذهب لابن العميد الحنبلي ٣/٣٩٢ ويروي « الكَرَخي » ؛ ومن المعلوم أن ابن النجار قد اعتمد أبا طاهر الكرجي وكتبه كمصدر من مصارده ، انظر : G. Makdisi في كتابه باللغة الإفرنسية Ibn Aqil دمشق ١٩٦٣، ص ٤١

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن لدينا حجة أخرى تدعم تاريخ وفاة ابن النديم يوم الأربعاء في العشرين من شعبان سنة ٣٨٠هـ/١٢ تشرين الثاني ٩٩٠م[1] . فلقد دون ابن النديم نفسه (الفهرست ١٣٢/١ ،سطر ٧ وما يليه) أن المرزباني ولد « في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين ويحيا إلى وقتنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة » ومن المدهش أن يلي ذلك مباشرة « وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة » . لا بد وأن هذه الكلمات الخمس حاشية تداخلت مع النص ويجب حذفها منه ، كما سبق وأشرت إلى ذلك عام ١٩٦٤ في مقدمة تحقيقي لكتاب المقتبس للمرزباني باختصار الحافظ اليغموري والمسمى بنور القبس . ما أبعد تاريخ الوفاة هذا عن الصواب ، فقد توفي المرزباني في بغداد في الثاني من شوال سنة ٣٨٤/٩ تشرين الثاني ٩٩٤م ، ولا أظن أن ابن النديم قد كتب هذه الحاشية الخاطئة ، وهو الذي كان يعرف المرزباني معرفة شخصية ويقدره حق قدره ، وما كان أحرى به أن يضيف تاريخ وفاته الصحيح ، وأن يعدل النص لو لم يكن نفسه قد فارق الحياة قبله[2] . ومن الواضح أن ابن النديم قد اعتزم بعد إنهائه لمؤلفه عام ٣٧٧ هـ / ٩٧٨ — ٩٨٨ م أن يضيف

---

(١) لقد أخطأ مترجم مقال Dodge ، إذ ذكر (ص ٥٥٥) : ١٢ تشرين الأول ، والصواب : ١٢ تشرين الثاني .

(٢) هناك موضع آخر في الفهرست ٢٨٣/١ ومايليها (مادة : الكوهي) قد يدل أيضاً على أن ابن النديم لم يعش بعد عام ٣٨٠ هـ ؛ راجع مقال Dodge المذكور ، ص ٥٥٣

إليه تباعاً ، ولعله نظر إلى صحته وعمره [١] ، فتوجه إلى الناظر في كتابه (الفهرست ١ / ١٩٣ ، سطر ١٧) طالباً منه أن يلحق به ما يتناهى إليه من معلومات جديدة : « ... فإن رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها إن شاء الله تعالى » .

ترجمة : حسام الصغير

(١) ولاتذكر المصادر تاريخ ولادة ابن النديم أو عمره ؛ ويعتبر J. Fueck عام ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ - ٩٣٧ م أقرب نقطة يمكن تحديدها كتاريخ لولادته ، مستنداً بذلك إلى موضع الفهرست ٢٣٧/١ ، سطر ٦ ، وذلك في مقاله المذكور في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ١١٦/١٩٣٠/٨٤ ، كما في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة) ، مادة : ابن النديم . هذا وإنا لم نستطع الاهتداء إلى مصدر عباس القمي (بروكلمن Gal ، ذيل ٨٤٠/٢) في الكنى والألقاب ٤٣٢/١ ، حيث يعتبر جمادى الآخرة عام ٢٩٧ هـ تاريخاً لولادة ابن النديم (راجع أيضاً : ريحانة الأدب للمدرس ٢٥٣/٨ ، الطبعة الثانية) ، وهذا التاريخ هو تاريخ ولادة المرزباني .

رُوّاد شرح الشِعر

الدكتور فخر الدين قباوة

عندما نشطت حركة التدوين خرج العلماء إلى البادية ، يجمعون الشعر القديم ، محلّى بما يقتضيه من أخبار وأنساب [1] وتفسير لما أشكل من غريبه ومعانيه . ولهذا كان أبو عمرو بن العلاء يجمع ، طوال حياته ، أشعار العرب القدماء ، ملحقاً بها شروحاً مع بعض الملاحظات اللغوية [2]. وكذلك كان يفعل معاصروه ، أمثال حمّاد الراوية ، والمفضّل الضبّي، وخلف الأحمر ، الذين ألحقوا بما رووه أو دوّنوه من أشعار العرب إشارات سريعة من تفسير لغريب ، وشرح لمعنى ، وبسط لخبر أو نسب ، ونقد لشاعر.

ففي أمثال العرب ، المفضّل الضبي [3] أن قيس بن زهير أغار على إبل بني زياد ، واستاقها ، حتى قدم بها مكة ، وباعها . « فقال قيس في ذلك :

أَلَمْ يَبْلُغْكَ ، والأنباءُ تَنْمِي   بما لاقَتْ لَبُونُ بَني زيادِ ؟

(١) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٢٦ ، والعصر الجاهلي ص ١٤٨

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ : ١٢٩ حيث نسب المؤلف إلى أبي عمرو الشرح المنشور على ديوان الخرنق . والراجح أنه لشارح آخر نقل عن أبي عمرو في ص ٦ و ٧ وعن أبي مرهب في ص ٧ ، وانظر ص ٩ منه أيضاً .

(٣) أمثال العرب ص ٣٨ — ٣٩

ومَحْبِسِها ،لدَى القُرشيِّ،تُشْرَى بأدراعٍ ، وأسيافٍ ، حِدادِ

ألم يَعـلمْ بَنُو الميقابِ أنّي كـريمٌ ، غيرُ مُعتلثِ الزّنـادِ

أي : ليس بفاسد الأصل . الوقب : الأحمق . والميقاب مثله ، وقالوا : التي تلد الحمقى . ومعتلث : لاخير فيه .

أطوِّفُ مـا أطوِّفُ ، ثم آوِي إلى جارٍ ، كجارِ أبي دُؤادِ

جار قيس بن زهير : ربيعة بن قرط بن غيلان بن أبي بكر بن كلاب . ويقال : جار أبي دؤاد : الحـارث بن همّام بن مرّة بن ذهل ابن شيبان . وكان أبو دؤاد في جواره ، فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير ، فغمسوا بُنَيَّ أبي دؤاد ، فمات . فخرج الحارث ، فقال : لا يبقى في الحيّ صبيٌّ إلا غرّقتُـه في الغـدير . فودى ابنَ أبي دؤاد ، بذلك عدّة ديات » .

وإذا كان أكثر ما دوّنه رجال هذه الطبقة لم يصل إلينا ، خالصاً مجرّداً صرفاً كما أثبتوه ، لنستطيع أن نتبيّن مدى أثرهم الشخصي فيه ، فإن المتأخّرين ، من علماء القرنين الثاني والثالث ، قد استوعبوا في مصنّفاتهم نبذاً كثيرة من تلك الجهود تقدّم للدارس أمثلة حيّة من آثار أسلافهم ، في تقريب الشعر القديم إلى الأفهـام ، وحفظه من الاندثار بين طيـات الغموض والإبهام .

ثم كان الجيل الثاني ، من أمثال الأصمعيّ ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ، والأخفش الأوسط ، وأبي عمرو الشيبانيّ ، وابن الأعرابيّ ، فتلقف أبناؤه تراث شيوخهم وأضـافوا إليه ، من جهودهم ، ثروةً غنيّة من التفسير والشرح والنقد . وبذلك اتسع ميدان الشروح ، وتكوّن من نتاج صنيعهم

خطوة واضحة للشروح الأدبية المقصودة ، محتفظة بالبساطة القائمة على الإيجاز ، والدقّة ، والإجمال ، خلا ما يورد أحياناً من أخبار مطوّلة مسهبة .

كان همّ الطبقة الأولى هو جمع الشعر العربي وحفظه من الضياع ، فانصبّت جهود رجالهـا في روايته وتدوينه [١] . أمّا ما ضمّوه إليه من تعليقات ، فقد كان عنصراً ثانوياً ، عارضاً غير مقصود لذاته . ذلك لأنّ حماداً ، والمفضّل ، وخلفاً ، وأضرابهم ، كانوا رواة للشعر والأخبار أكثر منهم رجال لغة ومعان ، في حين أنّ تلاميذهم كانوا أصحاب رواية ، ولغة ، وتفسير ، ونقد . فظهرت في مصنّفاتهم أصداء هذه الجوانب ، متعاونة منسجمة ، وإن كانت الرواية قد لبثت في آثارهم محتفظة بسيادتها وظهورها .

وبين رجال هاتين الطبقتين تطوّرت حركة الشروح تطوّراً ظاهراً في الإملاء والتصنيف . وقد كان أكثر مدوّني المصنّفات الأولى يثبتون ـ أو يملون ـ القصيدة ، أو المقطوعة ، كاملة ، ثم يُتبعونها تعليقاتهم . ولكن منتصف القرن الثاني استطاع أن يدفع العلمـاء إلى تعديل تلك الطريقة بحيث يتيسر للقارىء والسامع الفهم وصحة الاستفادة . ذلك أنّ إثبات التفسير في ذيل القصيدة ، أو المقطوعة ، يتطلب من السامع حفظَ الأبيات المفسّرة كلّها ، ومن القارىء الرجوعَ إلى الأبيات مراراً ، ليتم استيعاب المعاني . وهذا أمر يعسر تحقيقه على الشادين والضليعين [٢] . وقد أحسّ العلماء ، بضرورة إيجاد سبيل يزيل ذلك العسر . فكان أن أثبت

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٤١ وشرح ديوان أبي تمام ص ١٠ من مقدمة الناشر .

(٢) انظر شرح الحماسة للتبريزي ١ : ٦

الأخفش تحت كل بيت من الشعر تفسيره .

وقد اختلف في تحديد الأخفش الذي خطا هذه الخطوة بالشروح ، فقيل : هو أبو الخطّاب الأخفش الأكبر . وقيل : هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ، قال السيوطيّ [١] : « أبو الخطّاب أوّل من فسّر الشعر تحت كلّ بيت . وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة فسّروها » . وقال أبو العباس أحمد بن يحيى [٢] : « أوّل من أملى غريبَ كلّ بيت من الشعر تحته الأخفش – وكان ببغداد – وكان الطوسيُّ مستمليه . ولم أدْرِكْه ، لأنه كان قبل عصرنا ، وكان يقال له: الأخفش الراوية » .

وإذا كان لا بدّ لنا من الخوض في هذا الخلاف ، فإننا نرجّحُ قول أبي العبّاس ثعلب ، على قول السيوطيّ ، للأسباب التالية :

١ – ثعلب من علماء القرن الثالث ، والسيوطي من علماء القرن التاسع . وللقِدم في مثل هذا الموضوع حقّ الترجيح ، ولا سيّما إذا علمنا أن ثعلباً قد ولد [٣] في عصر الأخفش الأوسط ، وعاصر أصحابه وتلاميذه ، وأخذ عنهم أخباره . أما السيوطي فقد كان ينقل عن الكتب التي وقف عليها ، وليس بعيداً أن يكون قد تعجّل النقل فنسب إلى الأخفش الأكبر ما هو للأخفش الأوسط .

---

(١) المزهر ٢ : ٤٠٠ ، وبغية الوعاة ص ٢٩٦ وانظر : الأعلام ٤ : ٥٩ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢ : ١٥١

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٦ وإنباه الرواة ٢ : ٣٩ . وكلاهما في ترجمة الأخفش الأوسط .

(٣) ولد ثعلب سنة ٢٠٠ وتوفي الأخفش سنة ٢١٥ . بغية الوعاة ص ١٥٨ و١٧٢

٢ ـ اتصل أبو العباس ثعلب بالمصنفات الأدبية واللغوية ، منذ صباه . فاطلع على مؤلفات الأخفش الأوسط ومن تقدَّمه وعاصره . وقد ازداد بها خبرة حين رجع إليها ، وصنع الشروح على دواوين الشعر القديم(١). فكان أقدر على القول الفصل في مثل هذا الموضوع .

٣ ـ عُرف الأخفش الأكبر باللغة والنحو ، فلم يترك آثاراً في ميدان الشروح الأدبية ، يَستخلص منها الدارسُ طريقته في الشرح . بل إنه قلما ورد ذكره في مصنّفات الشروح الأدبية وغيرها . أما الأوسط فقد كان له ، بالإضافة إلى شهرته اللغوية والنحوية ، جهود في الشروح الأدبية ، خلّف منها كتاب (٢) « معاني الشعر » ، وذكراً ظاهراً في مصنَّفات المتأخرين من الشراح . وحَرِيٌّ بآثاره هذه أن تقدّم لثعلب وغيره أنموذجاً من صنيعه في تاريخ الشروح الأدبية .

٤ ـ الأخفش الأكبر معاصر لرجال الطبقة الأولى من مدوّني الشعر ومفسّريه ، ولم يكن قبله من يعملون في هذا الميدان لننسب إليهم تفسير الشعر جملة . أما الأخفش الأوسط فقد تقدمه رجال الطبقة الأولى ، أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وحماد ، والمفضّل ، وخلف . وغير بعيد أن يكون هؤلاء قد التزموا في بدء مصنَّفاتهم وأماليهم أن يفسروا أبيات القصيدة بعد الفراغ من إنشادها .

وأيّاً كانت الحال فإنّ ظاهرة تفسير غريب كلِّ بيت تحته يمكننا أن نجعل منتصف القرن الثاني تاريخاً لها . فهي ـ أكانت صنيع الأخفش الأكبر أو صنيع الأوسط ـ من نتاج تلك الحقبة . فالأخفش الأوسط ، وإن كان قد أدرك العقد الثاني من القرن الثالث ، هو من معاصري الأخفش

(١) انظر مجالس ثعلب ص ١٨ — ٢٢ من مقدمة الناشر .
(٢) إنباه الرواة ٢ : ٤٢ . وانظر معاني الشعر ص ٦

الأكبر . وذلك أن الأخفش الأوسط كان من طبقة سيبويه وأقدم منه[١]. فهو ، على هذا ، مولود في العقد الثالث من القرن الثاني ، ومعاصر للأخفش الأكبر ، قريباً من نصف قرن[٢] .

فإذا اطمأننا إلى ما ذكرناه من تحديد تاريخ تلك الظاهرة ، استطعنا أن نفهم لمَ كانت بعض شروح الطبقة الأولى متّبعة نهج الأخفش ، فالمفضّل الضبيّ مثلاً ، وهو من رجال الطبقة الأولى ، غالباً ما يلزم في كتابه « أمثال العرب » طريقة الأخفش[٣] . فلعله لمس جدواها وفائدتها ، فاعتمدها في مصنفاته مؤخّراً ، وإن بقيت آثار النهج القديم في مواطن[٤] من تلك المصنفات .

وقد استطاع النهج المحدث أن يشق سبيله ويجمع لنفسه الأنصار والمريدين ، حتى استبدت سلطته بأكثر من تصدّى لتصنيف الشروح . وها نحن أولاء نعرض نماذج متفرقة لشروح الطبقة الثانية تمثل المؤرخ صورة واقعية لتلك الجهود .

ففي ديوان سلامة بن جندل شروح لأبي عمرو الشيباني مثالها ما يلي[٥]:

كنّا نَحُلُّ ، إذا هَبَّتْ شآمِيَةً بكلِّ وادٍ حَطِيبِ البَطنِ مَجدُوبِ

---

(١) قال المبرد : « الأخفش أكبر سناً من سيبويه » . إنباه الرواة ٢ : ٤٠ وانظر طبقات النحويين ص ٧٤ وبغية الوعاة ص ٢٥٨ .

(٢) لم يعرف تاريخ وفاة الأخفش الأكبر ، وحدده بروكلمان بعام ١٧٧

(٣) انظر أمثال العرب ص ٨ و ١٠ و ١٤ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٧ و ٣٨ و٣٩ و ٤٣ . . .

(٤) انظر أمثال العرب ص ٧ و ٢١ و ٢٢ و ٤٥

(٥) ديوان سلامة بن جندل ص ١١٩ — ١٣١

قال أبو عمرو : مجدوبٌ : مَعيبٌ . وأنشد :

أبارِقُ ، إنّي لا أريدُ أذاكُمُ ولا ضَرْبَكُم ، مالم تُعينوا على جَدْبي

أي : عيبي . ويروى : خصيبِ البطنِ . فمن روى : خصيب ، يقول : هذا الوادي فيه مرعى ونبات ، فهو ثغر يتحاماه الناس ، فنحن نحلّه ونرعى ما فيه ، لعزّنا .

شيبِ المبارِكِ ، مَدْرُوسٍ مدافعُهُ هابي المَراغِ ، قليلِ الوَدْقِ ، مَوْظُوبِ

قال أبو عمرو : شيب : ليس به كلأ ، ولا ثَمَّ شيء ، فهو أبيض. وموظوب : واظبوا عليه ، حتى أكل ما فيه . ويكون من : واظبتْ عليه السنون . والدّرس : الدّياس ، عند أهل الشام وعند أهل العراق . وأنشد لابن ميّادة :

يكفيكَ ، من بعضِ ازديارِ الآفاقْ سَمراء ، ممّا دَرَسَ ابنُ مِخْراقْ

سمراء : حنطة . دَرَس : داس .

كنا إذا ما أتانا صارخٌ ، فَزِعٌ كانَ الصُّراخُ لهُ ، قَرْعَ الظّنابيب

قال أبو عمرو : الظّنبوب : عظم السّاق . قال : إذا أرادوا أن يُنيخوا البعير فتعسر عليهم ، ضربوا ظنبوبه فيبرك . يقول : إذا أتانا صارخٌ ، أنخنا الإبل ، ثم ركبنا . ويروى : كانت إناختُنا . وأنشد :

إذا استَرخَتْ عِمادُ الحيِّ شُدَّتْ ولا يُثْنَى ، لقائمةٍ وظيفُ

يقال : جعلَ أمرَه على ظنبوبِ ساقهِ ، وعلى حبل ذراعهِ : إذا اعتزم عليه وهمّ به . وقال النابغة :

* وقد جَعَلُوا المِصاعَ على الذّراعِ *

وفي شرح النقائض نرى ، على بيت الفرزدق :

وعَضُّ زَمانٍ ، يا بنَ مروانَ ، لم يَدَعْ
من المالِ ، إلاّ مُسْحَتاً ، أو مُجَلَّفُ

الشرح التالي (١) : قال سعدان : أخبرنا أبو عبيدة قال : سمعتُ راوية الفرزدق يروي هذا البيت : لم يَدِعْ * من المال إلاّ مُسحِتٌ ، أو مُجرِّفُ ، بالرفع . يقول : لم يَدِع ، من الدَّعة ، أي لم يتّدِع . قال : والمسحِتْ : الذي لا يدع شيئاً إلاّ أخذه . قال : والمجرِّف : الذي أخذ ما دون الجميع . قال : ومن قال إلاّ مسحَتاً أو مجرّف ، أراد وهو مجرّف . قال أبو عبيدة : قوله : « لم يدِع » أي لم يثبت ويستقرّ ، من الدَّعة ، إلا مسحت من المال ، ومجرّف . قال : فارتفع مسحت ومجرف بفعلها . قال : وأنشدنا لسويد بن أبي كاهل :

* أرّقَ العينَ خَيالٌ ، لم يَدِعْ *

يقول : لم يستقرّ . وهو من الدَّعة .

وقال البغدادي (٢) في شرح هذا البيت :

كفَى بالنَّأيِ ، من أسماء ، كافي وليسَ لنأيِها ، إذ طال ، شافي

« هذا البيت مطلع قصيدة لبشر بن أبي خازم .. وقال أبو عبيدة شارح ديوان بشر ـ وهو عندي بخطّه ، وهو خط كوفيٌّ ـ المعنى : لا يُصيبني بعد هذا شيء أشدُّ منه ، وهو سَقَم ومرَض . ويروى : وليس لسُقمه ، أي : السقمِ الناشيء من بعدها ، ويروى أيضاً : وليس لسقمها ، أي : السقمِ الذي حصل لي منها . هذا كلامه » .

---

(١) شرح النقائض ص ٥٥٦ — ٥٥٧
(٢) الخزانة ٢ : ٢٦٢

وقال أبو زيد الأنصاري [١] : « قال نفيع [٢] بن جرموز بن عبد شمس ـ وهو جاهلي ـ :

أطوّفُ ما أطوّفُ ثمَّ آوِي إلى أمّا ، ويُرْوِيني النَّقيعُ

قال المفضّل : كذا أنشدَناه أبو المدرّج : إلى أمّا ، كما يقال : يا أبا ، موضع : يا أبي .

وفي النوادر أيضاً [٣] : « قال الأعشى :

ولستَ بالأكثرِ منهُمْ حَصىً وإنّما العِزّةُ للكاثِرِ

أبو زيد : أراد : بأكثر منهم حصى . والحصى : العدد الكثير . وكذلك القِبْصُ » . وقال العجاج :

وآضتِ الأعناقُ سُوقَ العُنْصُلِ مُختضِعاتٍ ، برؤوسٍ ، مُيَّلِ

فقال الأصمعيّ [٤] شارحاً : « قوله : آضت ، يقول : صارتْ تثنّى ، من النّعاس ، مثلَ سوق المنصل . والمنصل : نبت يشبه البصل . مختضعات ، يقول : صارت الرّقاب منكّسات » .

وقال الأصمعيّ في شرح هذا البيت ، من شعر ذي الرُّمّة [٥] :

وبالشَّمائلِ ، من جَلّانَ ، مُقتنِصٌ
رَذْلُ الثّيابِ ، خَفيُّ الشَّخصِ ، مُنْزَرِبُ

---

(١) النوادر ص ١٨ — ١٩
(٢) وقيل هو نقيع . انظر المؤتلف والمختلف ص ٣٠٠ ؛ والنوادر ص ١٨
(٣) النوادر ص ٢٥
(٤) ديوان العجاج ص ٣٠٨
(٥) الخزانة ٢ : ٣٦٥

الشمائل : جمع شمال . وجلاّن : قبيلة من عنزة وهم رُماة (١) .
وزولُ الثياب ، خلقها . وخفيّ الشخص بمعنى ضئيل الشخص ، خلقةً .
والمنزرب : الداخل في الزُّرْب ، وهو قُتْرة الصائد . يقال : انزرب ،
إذا دخل » .

وقالَ ذو الرُّمّة (٢) :

أعاذلَ ، عُوجي من لسانِكِ ، عن عَذْلي
فما كلُّ من يَهْوَى رَشادِي على شَكلي

فما لامَ يوماً من أخٍ ، وهْو صادقٌ ،
إخايَ (٣) ، ولا اعتلَّت على ضَيْفها إبلي

إذا كان فيها الرِّسْلُ لم تأتِ دُونَهُ
فِصالي ، ولو كانتْ عِجافاً ، ولا أهلي

وإنْ تعتذِرْ بالمَحْلِ من ذي ضُروعِها
إلى الضَّيفِ ، يَجرَحْ في عَراقيبها نَصْلي

وقد علّق البغدادي على هذه الأبيات ، بما يلي : « قال الأصمعي في شرح ديوانه : عوجي من لسانك ، أي : كُفّي . ولفظ « عوجي » على الحقيقة : اعطفي . والشكل : الضرب . يقول : ما كلُّ من يهوى ذلك مني على طريقي وعلى مذهبي . وقوله : فما لام يوماً من أخ ، قال الأصمعي : « اعتلّت » أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنى على أصحابها .

(١) في المطبوعة : « مارة » .
(٢) الخزانة ١ : ٢٨٤ — ٢٨٥
(٣) في مطبوعة الخزانة « أخاي » .

يقول : لم أبخل ، فأعتذرَ إلى الضيف . وقوله : إذا كان فيها الرِّسل : قال الأصمعي : الرِّسل : اللبن ، حلوه وحامضه وخاثره ورقيقه . يقول : لا أسقي فصالي وأدع ضيفي ، ولو كانت عجافاً مهازيل . يقال : عَجِفَ الدابةُ ، وأعجفَهُ صاحبُهُ . وعجَفْتُ نفسي عن كذا ، إذا صرفتها . وقوله : وإن تعتذر بالمحل ، قال الأصمعي : اعتذارها للضيف ألاّ يرى فيها محتَلَباً من شدة الجدْب والزمان . فإذا كانت كذلك عقرتها . قال الأصمعي : كل ذي أربع عرقوباه في رجليه ، وركبتاه في يديه . وعرقتُ الدابّةَ : قطعتُ عرقوبَها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتّر فوق العقب . والنصل : حديدة السَّيف والسِّكّين » .

وقال ابن هشام[1] : « أنشدني أبو محرز ، خلف الأحمر ، وأبو عبيدة لعبّاس بن مرداس ، أحد بني سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، يفخر بِعَكّ :

وعَكُّ بنُ عدنانَ الذينَ تَلَقَّبوا بغَسَّانَ ، حتّى طُرِّدُوا كلَّ مَطْرَدِ

وهذا البيت في قصيدة له . وغسّان : ماء بسدّ مأرب باليمن ، كان شرباً لولد مازن بن الأسْد بن الغوث ، فسُمّوا به . ويقال : غسان : ماء بالمُشَلَّل قريب من الجُحْفة . والذين شربوا منه ، فسمّوا به قبائلُ من ولد مازن بن الأسْد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال حسّان بن ثابت الأنصاريّ : ـ والأنصار : بنو الأوس والخزرج ، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن

(١) السيرة ١ : ٥ — ٧ . وقد صنع كتاباً في شرح أشعار السير . وفيات الأعيان ٢ : ٣٤٩

عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغوث ـ :

إمّا سألتِ فإنّا معشرٌ ، نُجُبٌ الأسْدُ نِسبتُنا ، والماءُ غسَّانُ

وهذا البيت من أبيات له » .

وقال أبو تمام (١) ، في شرح بيت الأخطل :

حُشُدٌ على الحقّ ، عن قولِ الخنا خُرُسٌ

وإنْ ألمّتْ بهم مَكروهةٌ صَبَرُوا

« حشد : يتحاشدون على الحقّ ، ويتعاونون عليه ، ويجتهدون فيه . والخنا : الفحش . ألمّت بهم[٢] : أصابتهم . مكروهة : داهية وشِدّة . يقول : هم يتعاونون على إقامة الحقوق ، وهم حُلماء يصمتون عن الفحش ، وإن أصابتهم الشدائد صبروا عليها » .

وقال ابن الأعرابي (٣) : « سُبيع بن الخطيم التيميّ ، فرسه نحلة . ويقال له : فارس نحلة . خطب إلى عمه ، فقال له : نعم أزوّجك بنتي ، على أن تعطيني فرسك نحلة ! فأبى ، وقال في ذلك :

إنّي رأيتُ أبا شَيماءَ مُتّئِلاً إذا أكلّمُهُ في رأسِ أسلوبِ

يقولُ : نحلةَ أودِعْني ، فقلتُ لهُ : عوّلْ عليّ بأبكارٍ ، هَراجيبِ

ماذا أقولُ ، إذا مُلّيكتُ ، وابتكَرُوا بسَمْحَجٍ ، كقناةِ الرُّمحِ ، سُرحُوبِ

لجّتْ عليّ يمينٌ ، لا أبدّلُها

من ذاتِ قُرْطينِ ، بينَ النَّحرِ والثُّوبِ

(١) نقائض جرير والأخطل ص ١٥٥

(٢) سقط « بهم » من المطبوعة .

(٣) أسماء خيل العرب وفرسانها ص ٥٨ — ٥٩

الأبكار : التي وضعتْ بطناً واحداً . والهراجيب : الطوال السِّمان » .

وفي شرح بيتِ بشر بن أبي خازم :

تَراهـا ، من يَبيسِ الماءِ ، شُهباً
مُخالِطَ دِرَّةٍ ، منهـا ، غِرارُ

قال ابن الأعرابي (١) : « يقول : لا ينقطع عَرقُها ، فتنقطعَ (٢) ، ولا يكثر فيضعفَها . والدِّرة : أن تدرَّ . والغرار : القلّة . ويقال : غارّت الناقةُ ، إذا قلّ لبنُها ، بعد مجيئه » .

حلب — كلية الآداب فخر الدين قباوة

(١) المعاني الكبير ص ١٠

(٢) زيادة من شرح المفضليات للأنباري ص ٦٧٥ حيث أورد بعض شرح ابن الأعرابي .

السماع بالإفادة

الأستاذ مطاع الطرابيشي

لاحظتُ أثناء تحقيقي كتاب السؤالات للحافظ السِّلَفي (١) أنه تكرَّر في أجوبة خميس الحَوْزيّ عبارة السماع بالإفادة ، ومع تتبُّع المواضع التي وردت فيها ، قاد البحثُ إلى مثيلات لها في المصادر الأخرى ، فاجتمع لديّ بذلك قدر لا بأس به منها ، أحببتُ تسجيله مرتّباً لعل المقارنة تهدي إلى الكشف عن معنى تلك العبارة ، وإنْ كنتُ أعتقد أن هذه الدراسة الموجزة والنتائج التي انتهت إليها ليست في غاية المطاف أكثر من محاولةٍ ؛ أرجو أن تكون قد وُفقتْ لإثارة البحث في مصطلح السماع عند المحدّثين .

قال أبو نُعَيم الأصبهاني (ت ٤٣٠) :

في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أَسِيد : « سمع بفائدة والده من العراقيّين » .

(أخبار أصبهان ٢/٢٧٣)

---

(١) عنوانه الكامل : « سؤالات الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي أبا الكرم خميس بن علي الحوزي عن جماعة من أهل واسط ومن الغرباء القادمين إليها . » وقد فرغت من تحقيقه بحمد الله .

وقال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) :

في ترجمة أبي العلاء الواسطي : « أنبأنا القاضي أبو العلاء من كتابه في سنة (٤٢٣) ، نبّأنا عبد الله بن موسى السلاميّ الشاعر ؛ بفائدة ابن بكير .. » وساق حديثاً بإسناده ثم قال : « أفدتُ هذا الحديثَ عن أبي العلاء جماعةً من أصحابنا مع تعجبي ؛ فإن السلاميَّ حدّثَ ببخارى وتلك النواحي ولا علمتُ أنه قدم بغداد .

فلما حدّثني عنه أبو العلاء جوّزْتُ أن يكون ورد إلينا حاجّاً فظفر به أبو عبد الله بن بكير وسمع معه أبو العلاء منه .. فلما كان في سنة (٤٢٩) وقع إليّ جزء بخط ابن بكير ؛ وفيه الحديث الذي ذكرته عن أبي العلاء عن السلامي بعينه ؛ بسياقه ولفظه » .

(تاريخ بغداد ٣/٩٨)

وقال خميس الحَوْزيّ (ت ٥١٠) :

١ - في ترجمة أبي محمد الغَنْدَجاني : « سمع بإفادة أبيه وعمّه من المُخلِّص والكَتّاني .. نبيلٌ جليلٌ صحيح الأصول صدوق » .

(السؤالات : ٢)

٢ - وفي ترجمة أبي البركات بن نفيس : « وجدنا سماعه في الأصول مع أبيه من ابن التُبّانيّ وابن خَرَفَة » .

(السؤالات : ٣)

٣ - وفي ترجمة أبي طالب الصيرفيّ : « سمع بإفادة أخيه أبي القاسم.. وكان صحيح الأصول جيّد السماع ؛ أكثرها بخط أخيه » .

(السؤالات : ٥)

٤ – وفي ترجمة أبي الحسن بن مَخْلد : « سمع بإفادة أبيه أبي طالب، من أبي بكر بن بيري وأبي عبد الله العَلَوي .. وكان جيّد الأصول، ثقةً فيما يرويه ويقول » .

(السؤالات : ١٩)

٥ – وفي ترجمة أبي البركات الجُمّاري : « وولده أبو نُعيم محمد ابن إبراهيم الذي حدّثَ بمسند مُسدّد ؛ وكان سمعه بإفادته وكلاهما ثقة » .

(السؤالات : ٢٧)

٦ – وفي ترجمة أبي الحسن العطار : « صاحب أبي محمد بن السّقاء الحافظ ؛ روى عنه مُسند مُسدّد، وحدّثَ به عنه أبو نُعيم الجمّاري ، وكان عنده الأصل بخطّه » .

(السؤالات : ٧٠)

٧ – وفي ترجمة أبي عبد الله السّقَطي : « يُعرف بابن أخت مهدي ، وكان الذي أفاده خاله أبو بكر بن مهدي » .

(السؤالات : ٧٦)

وقال ابن خَلِّكان (ت ٦٨١) :

في ترجمة عمر بن طَبَرْزَد : « وكان أخوه الأكبر أبو البقاء قد أسمعه الكثير من الحديث ، ثم استقلَّ بإفادة نفسه ، وعُمِّر حتى حدّثَ سنين ، وحفظَ الأصولَ إلى وقت الحاجة إليها وكانت بخط أخيه أبي البقاء المذكور إلا القليل .. وكان عالي الاسناد في سماع الحديث ، طاف البلاد وأفاد أهلها » .

(وفيات الأعيان ٣/٤٥٢)

وقال ابن الفُوَطي (ت ٧٢٣) :

في ترجمة أبي المظفَّر ضياء بن صالح البغداديّ : « أفاده عمّه المبارك ابن كامل باستجازة جماعةٍ من الشيوخ له » .

(تلخيص معجم الألقاب ٤/٧٩١)

وقال الذهبيّ (ت ٧٤٨) :

١ — في ترجمة أبي طاهر المخلّص : « سمع بعناية والده من .. »

(سير النبلاء ١٠/ل ٢٦٧)

٢ — وفي ترجمة أبي محمد الغَنْدَجاني : « سمع باعتناء أبيه من .. »

(سير النبلاء ١١/ل ٢٠٣)

٣ — وفي ترجمة أبي طاهر السِّلَفي ؛ نقلَ قول الحافظ ابن المفضَّل فيه : « وكلُّ مَن سمع من أبي صادق المدينيّ (١) ومحمد بن أحمد الرازيّ المُعدَّل (٢) من المصريين ؛ فأكثره بإفادته » .

(سير النبلاء ١٣/ل ٥)

٤ — وفي ترجمة ابن أبي عثمان ؛ نقلَ قول المؤتمن الساجيّ فيه :

(١) المحدث الثقة أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني ثم المصري ، المتوفى سنة (٥١٧) ، سمع منه السلفي في سنة وفاته — ترجمته في سير النبلاء (١٢/ل ١١٠) والعبر (٤/٤١) وانظر طبقات السبكي (ط الحسينية : ٤/٤٤) .

(٢) الشيخ العالم المعمر الثقة ؛ مسند الإسكندرية ومصر أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن إبراهيم الرازي ثم المصري ، الشروطي المعدل ، المعروف بابن الحطاب . خرّج له السلفي « السداسيات » وروى عنه . مات سنة (٥٢٥) وله (٩١) سنة — ترجمته في سير النبلاء (١٢/ل ١٣٤) والعبر (٤/٦٥) .

« أفاده أبوه مع إخوته : أبي محمد وأبي تمام ، مع شراسة أخلاقٍ ونفور طبعٍ لا وجه له » .

(سير النبلاء ١١/ل ٢٨٣)

٥ — وفي ترجمة أبي القاسم البغوي : « سمع في الصغر بعناية جدّه لأمّه أحمد بن منيع ، وعمّه عليّ بن عبد العزيز.. وأول ما كتب الحديث سنة (٢٢٥) . »

(العبر ٢/١٧٠)

٦ — وفي ترجمة عمر بن طَبَرْزَد :« أكثر سماعه مع أخيه وبإفادته» .
(ميزان الاعتدال ٣/٢٢٣)

٧ — وفي ترجمة أخيه أبي البقاء : « سمع أخوه الكثير بقراءته » .
(ميزان الاعتدال ٤/٣٠)

وقال السخاويّ (ت ٩٠٢) :

في مسألة (اشتراط بعضهم في صحة الحديث بالقراءة إقرارَ الشيخ عند تمام السماع بأنه كما قُرِىء عليه) قال السخاوي في ختام البحث :

« وبالجملة فتصريحُ المحدّث بالإقرار مُستحبٌ ؛ فقد قال الخطيب : ولو قال له القارىء عند الفراغ : كما قرأتُ عليك ؟ فأقرّ به ، كان أحبَّ إلينا [١] ، انتهى . ولو كان الاعتماد في سماعه على المُفيد فالحكمُ فيه فيما يظهر كذلك » .

(فتح المغيث ٢/٣٨ — ط المكتبة السلفية)

يتبيَّنُ ممّا سبق أن مسألة الإفادة هذه ذاتُ وجهين اثنين : الأول منها يتعلق بالإفادة مجرَّدةً ؛ والثاني يختصُّ بها مركَّبةً مع السماع .

---

(١) انظر الكفاية ٢٨٠

فالإفادة – وما تقلَّبَ منها كالفائدة وأفادَ – كلمةٌ لم تجاوزْ مدلولها الأصليّ فتدخل في حيّز المصطلح ؛ فالسِّقطيُّ أفاده خاله حين اعتنى بتعليمه ، وعُمر بن طَبَرْزَذ عُني به أخوه في صغره ، ثم كبر فاستقلّ بإفادة نفسه ، ثم طاف البلاد وأفاد أهلها علماً . أما أبو المظفّر البغداديّ فقد استجاز له عمُّه جماعةً من الشيوخ فأفاده بذلك . هذا ومرَّ بنا في ترجمة الغَنْدَجاني أنّ الذهبيَّ استعمل كلمة العناية في موضع الإفادة الواردة في كلام خميس الحوزيّ .

على أنّ هذه العناية تأخذ شكلًا خاصاً في قولهم : سمع بإفادة فلان أو سمع بعناية فلان ؛ إنها قد تعني أنّ أبا المترَجم أو جدّه أو عمّه أو خاله أو أخاه الأكبر كان اعتنى به في صغره ، فأحضره مجالس العلم وسمّعه من العلماء الأعلام في وقته .

لكنّها لا تعني بالضرورة أن السامع في كلّ هذه الأحوال صغير السنّ لا يستطيع أن يستقلّ بنفسه في الطلب ، أو أن السماع مع أحدٍ من هؤلاء المذكورين معناه السماع بإفادته ؛ فابن نفيس مثلًا سمع مع أبيه ولم يقولوا سمع بإفادته ، وبالمقابل أبو طالب الصيرفيّ سمع بإفادة أخيه أبي القاسم مع أنه أصغر منه بثماني سنوات فقط ، ولقد كانت سنّه تؤهله للسماع بنفسه من الشيوخ ؛ فقد كان يناهز السادسة عشرة حين مات بعض أولئك الذين سمع بإفادة أخيه منهم[1] .

---

(١) ولد أبو طالب الصيرفي سنة (٣٦٣) ومن شيوخه : أبو حفص ابن الزيات (ت ٣٧٥) ، والحسين بن محمد العسكري (ت ٣٧٥) ، وعلي بن محمد بن لؤلؤ الوراق (ت ٣٧٧) ، وأبو بكر بن شاذان (ت ٣٧٦) ، ومحمد بن المظفر (ت ٣٧٩) . انظر : تاريخ بغداد (١/٣١٩) والعبر (٢/٣٦٩ ، ٣٧٠ و ٣/٣ ، ٤ ، ١٢) .

إنما الارتباط الوثيق قائم بلا ريب بين هذا السماع والأصول المكتوبة وكلُّ الشواهد التي مرَّت بنا تشير إلى ذاك التلازم بل تؤكّده ، فالسامع في هذه الحال كما يبدو ليست لديه أصول خاصّة به ، وإنما اعتماده في السماع على أصول المفيد .

فالمفيد كتبَ الأصولَ بخط يده وضبَطها وقابلَها ، ثم بذَلها للمستفيد هبةً أو إعارةً . يتبيَّنُ ذلك جلياً في ترجمة عمر بن طبَرْزَذ ، فقد كان أكثر أصوله بخط أخيه أبي البقاء وبقراءته أيضاً ، وكذلك أبو طالب الصيرفيُّ .

كما أن الشواهد الأخرى تؤيد هذا المعنى أيضاً ؛ فإفادة السِّلَفي للمصريين إنما كانت ببذله أصوله التي كتبها بخطه وقرأها على ذينك الشيخين ؛ بَذَلها لهم ليكتبوا منها أو يُقابلوا عليها أو يسمعوا بها . وإلى ذلك أشار الخطيب البغداديّ إذ قال في الترغيب في إعارة كتب السماع : « إذا كان لرجلٍ كتابٌ مسموع من بعض الشيوخ الأحياء فطُلب منه ليُسمَعَ من ذلك الشيخ ، فيُستَحَبُّ أن لا يمتنع من إعارته ؛ لما في ذلك من البرّ واكتساب المثوبة والأجر . وهكذا إذا كان في كتابه سماعٌ لبعض الطلبة من شيخٍ قد ماتَ ، فابتغى الطالبُ نسخَهُ استُحبَّ إعارته إياه وكُرِه أن يمنعه منه . أخبرنا الحسن بن أبي بكر .. حدثنا أبو طالب عبد الجبار ابن عاصم قال : سمعتُ يحيى بن معين يقول : مَن بخلَ بالحديث وكسرَ على الناس سماعهم لم يُفلح(١) » .

وفي هذا المعنى قال ابن الصلاح ؛ وصرَّح بالإفادة : « ومَن ظفرَ

(١) الجزء الرابع من كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . نسخة الظاهرية (الصفحة الثالثة)

من الطلبة بسماع شيخٍ فكتمه غيرَه لينفرد به عنهم ؛ كان جديراً بأن لا ينتفع به ، وذلك من اللؤم الذي يقع فيه جهلة الطلبة الوُضعاء . ومن أول فائدة طلب الحديث الإفادة ، روينا عن مالك رضي الله عنه أنه قال: مِن بركةِ الحديث إفادةُ بعضهم بعضاً . وروينا عن إسحاق بن إبراهيم ابن[1] راهويه أنه قال لبعض مَن سمع منه في جماعةٍ : انسخ من كتابهم ما قد قرأت . فقال : إنهم لا يمكّنونني . قال : إذن والله لا يُفلحون ؛ قد رأينا أقواماً منعوا هذا السماعَ فما أفلحوا ولا أنجحوا »[2] .

وهكذا نرى أن السماع بإفادة المفيد قد يعني السماع معه ، لكنّ الإفادة هنا لا تقتصر على الصحبة في السماع فحسب ، بل تشير إلى ما وراء ذلك من وجوه الاعتماد على المفيد في تحمّل العلم ؛ باكتساب أصوله أو باستعارتها ، ولا يخفى ما في ذلك من التعاون العلمي النبيل ؛ تدفع إليه الروح العلمية الأصيلة ؛ التي أشرقت شمسها من معالم تراثنا العظيم .

دمشق **مطاع الطرابيشي**

---

(١) بإثبات ألف (ابن) الثانية على أنها بدل من الأولى ، وراهويه هو إبراهيم ؛ جمعوا بين اسمه ولقبه ليتم تعريفه . انظر شرح النووي على صحيح مسلم (ط المصرية ١٣٤٧ هـ) : ج ٢/ص ١٠٢ والمطالع النصرية للهوريني (ص١٢٠) . وقد مرت هذه الكلمة في طبعات المقدمة محذوفة الألف ومن غير تعليق فحقّ التنبيه .

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ط دار الحكمة ص : ١٢٥) .

التعريف والنقد

ملاحظات على وفيات الأعيان

المجلد السابع

تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ،
مطبعة دار القلم — كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧١

الدكتور علي جواد الطاهر

١ — انتهى المجلد السادس بالترجمة رقم ٨٢٨ : يعقوب بن الليث الصفار الخارجي ، وانتظر القارىء المتتبع أن يبتدىء المجلد السابع بالترجمة رقم ٨٢٩ : يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي . ولكن المنتظر لم يقع ، والذي وقع غريب جداً في بابه ، فقد فُتحت الصفحة الأولى من المجلد السابع (ورقمها ٥) بعنوان يقول : مصادر ترجمته وأخباره . وعلى هذا العنوان إحالة في الهامش من الصفحة نفسها تقول : ذكرت المصادر أن له ترجمة في تاريخ الحافظ . . . الخ .

فمن هو هذا ؟ ومصادر من هذه ؟

ثم تتوالى المصادر : كمال الدين ابن الشعار (- ٦٥٤) ، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان . . . ، شهاب الدين أبو شامة (- ٦٦٥) ، ذيل الروضتين . . . شمس الدين بن خلكان (- ٦٨١) وفيات الأعيان، ويمضي في ذلك إلى مايقرب من وسط الصفحة ٧ ويصعب أن يظن ظان " يفتح

المجلد السابع هذا أن الضمير في ترجمته وأخباره يعود على ابن خلكان. ولمَ ابن خلكان ؟ وما دخله بين يعقوبين ؟ وإذا كانت هذه مصادر ابن خلكان مؤلف الكتاب فلِمَ لم تذكر في أول المجلد الأول لدى حديث المحقق عن ترجمة المؤلف قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان ؟ لقد كان ذلك مكانها الطبيعي الذي تقتضيه مناهج التحقيق والبحث .

٢ ـ وتنتهي المصادر فتبدأ صفحة بيضاء كتب في وسطها مقدمة في المؤلف وكتابه ، فنعرف أن هذه مقدمة يكتبها المحقق عن المؤلف (ابن خلكان) وكتابه (وفيات الأعيان) ، وكان اللازم ـ إذا كان لا بد من ترجمة ابن خلكان هنا معترضاً بين يعقوبين : الأول في نهاية المجلد السادس ، والثاني يجب أن يكون في مفتتح المجلد السابع ـ أن تأتي هذه الصفحة البيضاء التي كتب في وسطها مقدمة في المؤلف وكتابه أولى في المجلد ، لتدل بعض الدلالة على قصد المحقق. أقول : بعض الدلالة ، لأنها لا يمكن أن تدل دلالة تامة على القصد ، وإلا فكيف تكون المقدمة عن المؤلف والكتاب في مقدمة المجلد السابع من الكتاب ، وليس في مقدمة المجلد الأول؟

يمكن لقائل أن يقول : من الممكن أن يؤخر ، في تحقيق الكتاب، الحديثُ عن الكتاب ومؤلفه لكي يكون كلام المحقق متماسكاً ناضجاً . ونقول: ذلك ممكن ، ولا سيما بعد أن نص المحقق في مقدمته للمجلد الأول(ص١٧) على ذلك ، فقال : « وسيدرج في الجزء الثامن ترجمة تفصيلية للمؤلف ودراسة لكتاب وفيات الأعيان . وإني أرجو أن أوضح هنالك شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا » .

نقول : ممكن ، وننتظر الجزء الثامن . . . وإن كان الأوْلى أن تكتب المقدمة ـ كما هو طبيعي ـ في المقدمة ، وأن يدفع المحقق بأجزاء الكتاب الذي يحققه بعد أن ينتهي من الحصول على المخطوطات والمقابلة وكل شيء.

نقول : ممكن . . . ولكنها لاتعود ـ في هذه الحال ـ مقدمة ، وإنما تكون ذيلًا أو ملحقاً ، ومن شأن الذيل والملحق أن يأتيا في آخر الأجزاء . وليس هذا الذي حدث في تحقيق وفيات الأعيان بالمقبول ، فقد جاءت المقدمة ـ ولا بأس في قبول اسمها ـ في بداية المجلد السابع ، أي أنها لم تأت بعد ختام الكتاب وإنما قطعت سلسلة التراجم فوضعها المحقق معترضة بين يعقوبين ، ففصل بين كلام المؤلف بأكثر من مئة صفحة . قد يقول الدكتور إحسان عباس : إن الملاحظة شكلية ونحن نقول : إنها شكلية ، ولكنها جزء لا يتجزأ من عمل المحقق ، ولا موجب للفصل . إن المقدمة قيمة ، ولكن وضعها حيث جاءت أخلّ بها وبنظام الكتاب، وإذا صعب أو استحال وضعها في مقدمة الكتاب كان مناسباً أن توضع في ختامه . . .

وأخشى أن تكون الحال خاضعة للعرض والطلب ، وإلى المطبعة التي تريد أن تدور عجلاتها .

٣ ـ الجزء والمجلد : مسألة شكلية أخرى . ولكننا نحرص على استعمال الكلمة التي استعملها المؤلف أو الذين تحدثوا عنه ، فذلك أدلّ على الدقة وأنفع لمن يدرس تطور الكلمة التي صارت مصطلحاً ويريد أن يعرف الفرق بين الجزء والمجلد ، وفي أي عصر استعملا ولدى أي مؤلف ـ وقد يصل إلى نتيجة ، فهل قسم ابن خلكان كتابه إلى مجلدات أو إلى أجزاء ؟

إذا نظرنا التحقيق الذي صدر باسم الدكتور إحسان عباس نرى الكتاب مقسماً إلى مجلدات : المجلد الأول ، المجلد الثاني . . . الخ فهل يعني ذلك تقسيم المؤلف أو تقسيم المحقق ؟ لم يفرق المحقق لنا بين المجلد والجزء فهو إذ يقسم الكتاب إلى المجلد الأول والمجلد الثاني . . . يتحدث وكأنه قسم الكتاب إلى أجزاء ، فيقول مثلاً في مقدمته الأولى ص١٧ : وقد قدرت أن يجيء

هذا الكتاب في سبعة أجزاء . وأن يكون الجزء الثامن خاصاً بالفهارس المفصلة ،وأنا أتوقع أن يكون اعتمادي في الأجزاء الأخرى . . .الخ .

وجاءت إحالاته على ابن خلكان بالرمز ج وهو رمز للجزء، ورمز المجلد مج ، وينظر مج ٢ ص ٧ ، مج ٤ ص أ .

ومن يدري فقد يكون « الجزء » أكثر صلة بعمل ابن خلكان والذين تحدثوا عنه من « المجلد » . . . ومن ذلك أن المحقق عندما يصف لنا النسخ المخطوطة ص ١٦ من مقدمته الأولى يقول: النسخة « د » . . . تقع في أربعة أجزاء . . . الجزء الرابع . . . الجزء الثاني . . . الجزء الثالث . . . وعندما يصف في ص١٧ النسخة « ط » يقول : « . . . وفي آخرها : تم الجزء الرابع من وفيات الأعيان وبه يتم الكتاب .» وعندما وصف النسخ في الجزء الذي ورد اسمه : المجلد الثاني ، قال ص ٦: « نسخة أحمد الثالث . . . من ثلاثة أجزاء . . . الجزء الأول . . . الجزء الثاني . . . الجزء الرابع . . . »وعندما تحدث عن المختار من وفيات الأعيان الذي عمله ولد المؤلف (موسى) وردت كلمة « جزء » أكثر مما وردت كلمة مجلد . وانتهى المحقق في مج ٤ ص و إلى القول : « وهذا يدلنا على أن التجزئة النهائية التي اعتمدها المؤلف (ابن خلكان) لكتابه جملته خمسة أجزاء نعرف منها بوضوح حدود الجزئين الأخيرين . . . » .

وعاد إلى ذلك عندما درس النسخ في المجلد السابع ص ٨٨ فقال : « . . . النسخة ذات الأجزاء الخمسة التي كان يملكها ابن المؤلف . . . » .

والحاصل من مجموع حديث المحقق عن النسخ ومن موقفه «وأن كلمة «جزء » أولى من « كلمة » مجلد ، ولكنه استعمل كلمة مجلد فقال: المجلد الأول ، المجلد الثاني، ولم يقل الجزء الأول ، الجزء الثاني . . دون بيان للسبب .

هذا وقد ورد في حديثه في مقدمة المجلد الرابع ص ج لدى وصف نسخة مكتبة قاضي زاده محمد باستنبول مايفيد أن الجزء أصغر من المجلد وأنه

بعض منه فقال: « في المكتبة المذكورة مجلدان ، في كل مجلد جزءان ، وتحتوي الأجزاء الأربعة جميع كتاب الوفيات ، فالمجلد الأول ... مكتوب بنفس الخط الذي كتب به المجلد الثاني ... »

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون ٢ : ٢٠١٧ - ٢٠١٨ « وفيات الأعيان - في مجلدين » .

إن المسألة شكلية ولكنها تهم من يتتبع تاريخ الكلمات ،ويحاول تحديد المصطلحات.ويرى تفضيل الراجح على المرجوح، وأن يبقي المحقق قريباً من الأصل .

٤ - ص ٧٦ : « وقد يستغرب المرء ... أن يختار [المؤلف] الترتيب الأبجدي ... لأن الترتيب الأبجدي ... »

وصحيحُ الترتيب الأبجدي : الترتيبُ الهجائي ، والفرق ، وإن كان معروفاً ، فإنه على أي حال فرق ، فالأبجدي : أ ، ب ، ج ، د ، ه ... والهجائي أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ...

وقد استعمل المحقق المصطلحين (الأبجدي والهجائي) في الصفحة نفسها (أي ٧٦ من المجلد السابع) بمعنى واحد فقال : « اختار الترتيب على حروف الهجاء ... الترتيب الهجائي ... »

٥ - ص ٧٦ « ولكنه [أي المؤلف] لم يلتزم الترتيب الهجائي إلا في الاسم الأول ولم يراع ذلك في الأسماء الواردة في سلسلة النسب ، واضطرب لديه الترتيب في حرف العين كثيراً ، فجاء عبد الملك قبل عبد السلام وورد اسم عبد الجبار بعد عبد الكريم » .والملاحظ على هذا :

١ - أنه لم يلتزم الترتيب الهجائي حتى في الاسم الأول ، وإنما التزم الترتيب الهجائي للحرف الأول ، من الاسم الأول ، أما في الحروف الأخرى فقد يلتزم أو لا يلتزم ، ولنا أن نفتح المجلد الثاني من التحقيق الماثل أمامنا فنرى : حبيب ، حاتم ، الحجاج ... الزبير ،

زبيدة . أو أن نقول إنه التزم الحرف الأول ، وحاول التزام الحروف الأخرى ولكنه اضطرب فيها . ومن هذا الذي نراه اضطراباً مايمكن أن يرد إلى منهج لديه ، فقد يُردّ تقديمه (في المجلد الثالث) عبيد الله على عبد الرحمن إلى أنه أتى بمن اسمه عبيد الله نسقاً بعد أن انتهى ممن اسمه عبد الله .

ب - لم يكن اضطراب في حرف العين إذا علمنا أنه لم يقيد نفسه إلا بالحرف الأول ، وما نسميه اضطراباً في الحروف الأخرى وقع في حرف العين وغيره ، أما مسألة عبد الملك ، عبد السلام ، عبد الكريم ، عبد الجبار فهي جزء من نهجه ، أي من عدم تقييده المطلق بالحروف التالية للحرف الأول ، وعدم تقييده بحروف الآباء ، فكان المهم لديه أن تتوالى لفظة عبد ، أيّاً كان لفظ المضاف إليه من أسماء الله الحسنى : الملك أو السلام أو الكريم أو الجبار أو . . .

ج - نحن لا نقول : اضطرب ، وإنما نقول : لم يلتزم ، لأن إسناد الاضطراب إليه يعني أنه قرر أن يلتزم الحروف التالية للحرف الأول من الاسم الأول ، وأن يلتزم حروف الأسماء التالية للاسم الأول - وهذا مالا يبدو وإذن فهو لم يضطرب وإنما لم يلتزم - وفرق بين الاثنين لدى مراعاة الدقة .

٦ - ص ٨١ : « وقد جاءت التراجم في المطبوعة المصرية ٨٢٦ ترجمة » .

لا ينى الأستاذ المحقق يقول ويعيد القول في المطبوعة المصرية ، المطبوعة المصرية ... كأن لم يطبع وفيات الأعيان في مصر إلا طبعة واحدة وكأن قول المحقق : المطبوعة المصرية كافٍ وحده لأن يحدد للقارىء هذه الطبعة ... لا ... وهذا غير صحيح وغير دقيق ، فقد طبع الكتاب في مصر مراراً . وإذا شاء محقق أن يقصر قوله على طبعة واحدة من هذه الطبعات ألزم بتعيينها وتحديد وصفها في مكان ثم الرمز إليها بما يميزها ، إنه يريد : وفيات الأعيان ، مطبعة

السعادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٣٦٨ / ١٩٤٨ . ليكن ، بشرط أن يحدد ويوضح . فما يعلمه المحقق لا يعلمه الناس كلهم ، والمحقق لا يحقق لنفسه ، ومن الناس من يملك مطبوعة مصرية غير المطبوعة التي يشير إليها المحقق .

نقول : إن الحديث عن المطبوعة المصرية والإحالة عليها دون تحديدها غير صحيح ، لأن هناك أكثر من مطبوعة مصرية ، منها – كما جاء في معجم المطبوعات لسركيس – :

أ – بولاق ، ج ٢ ، ٢ – ١٢٧٥ ، الجزء الأول بتصحيح الشيخ عبد الرحمن قطة العدوي ماعدا ست ملازم ، والجزء الثاني بتصحيح نصر الهوريني .

ب – بولاق ، ج ٢ ، ١٢٩١ وبهامشه ...

ح – مط . الوطن ، ج ٣ – ١٢٩٩

د – مط . الميمنية – ١٣١٠

٧ – ص ٨٨ : « ... ليس هناك مطبوعة – بين المطبوعات المختلفة التي صدرت لهذا الكتاب تمثل حقيقة ماصنعه المؤلف بدقة ... »

أ – ما المطبوعات المختلفة ؟ وأين ؟ لم يسجل المحقق هذه الطبعات ولم يصفها في مكان ولم يدلّ على أنه ألمّ بها لدى التحقيق – وقد يكون فيها ما ينفع أو ما يحسن التنبيه على نقصانه وخطئه في الأقل .

ب – وقد ذكر المحقق في مقدمته للمجلد الأول ص ١٧ بأنه « سيدرج دراسة لكتاب وفيات الأعيان ، راجياً أن يوضح شيئاً من طبيعة التأليف المتدرج الذي جرى عليه المؤلف في كتابه هذا » .

وقد برّ بقسط كبير من وعده في المجلد السابع – لا الثامن – ص ١٨ – ٨٨ ولكنه قصر حديثه على المخطوطات أو على القسم الذى حسبه – وهو أعلم من غيره بالموضوع – الأهمّ .

ولكن ، أما كان مناسباً أن يعرّج ـ لهذا السبب أو لغيره مما يلزم التحقيق صاحبه به من الاستقصاء ـ على المطبوعات وهي ليست مما يستهان به في موضوع وفيات الأعيان ، إنْ في بيان الجيد فيها وإن في بيان الرديء ، ليكون الناس على علم يتلقونه على يد أخبر الخبراء ، وليكون المحقق نفسه على علم بما يتصل بعمله وليتمم المنهج الذي ألزم به نفسه من دراسة المؤلف والكتاب ـ ومطبوعات الوفيات جزء من دراسة الكتاب ـ أجل ، فقد طبع الكتاب مراراً ، وتحدث المحقق عن طبعة وستنفلد في مقدمة المجلد الأول ص ١٥ ـ ١٦ فقال : « بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٥٠ قام الأستاذ فردينند وستنفلد بنشر كتاب وفيات الأعيان في اثني عشر جزءاً [لنلاحظ كلمة جزء] وخصص الجزء الثالث عشر لاختلاف القراءات للزيادات في النسخ . . . » ويشعر القارىء بحاجة إلى تفصيل أكثر من الكلام على هذه الطبعة لأنها الأساس الذي انطلق منه الدكتور إحسان عباس . ثم إن الأستاذ المحقق ذكر لنا النسخ التي اعتمدها وستنفلد وهي « أ » بليدن ، « ب » من غوطا ، « ج » من برلين نسخها سنة ١٠٨٣ ، « د » من برلين . . . وهي من أشد النسخ إسهاباً في الترجمات ، « هـ » من غوطا . . . نسخها ١٢٠١ . . . ولم يشر الأستاذ المحقق إلى ما حصل عليه من أصول تحقيق وستنفلد ، ويبدو أنه لم يسعَ للحصول على ذلك . . .

ومناسب لو نص على مكان الطبع : غوطا .

وقد رأينا المطبوعات المصرية ، إلا أنه لم يشر إلا إلى واحدة، كأن لم يكن غيرها .

ثم هناك طبعات أخرى ، كان مناسباً أن تذكر ـ ولو ذكراً فقط ـ وفاءً بالغرض . منها ، كما يذكر سركيس : ج ١ ، باريس ١٨٣٨ وتنتهي بآخر ترجمة الشريف الرضي .

وقد اطلعت على هذه الطبعة ، وهي لدى التحقيق ليست طبعة بالمعنى الحرفي ، وإنما هي تصوير ، فهي والحالة هذه تنطوي على الأهمية التي ينطوي عليها مخطوط . ومنها طبعة طهران ، يقول عنها سركيس : ج ٢ - ١٢٨٤ بعناية محمد باقر بن عبد الحسين خان الصدر الأصفهاني .

وكان أستاذنا الدكتور مصطفى جواد - وهو من هو في علم التراجم والوفيات - يثني على هذه الطبعة ويراها الأكمل والأجدر بالمراجعة .

فهل اطلع الأستاذ المحقق على هذه المطبوعات ، أما كان مناسبا الاطلاع لتكون الأحكام أدق ؟ أما كان مناسباً الحديث عنها لتكون دراسة الكتاب أكمل ؟ بل إن الدراسة تقتضي إعلام القارىء باللغات التي ترجم إليها الكتاب كلاً أو جزءاً ، قديماً أو حديثاً . قال جرجي زيدان ٣ : ١٧٢ (ط ٢) : « نقله إلى الفارسية يوسف بن عثمان سنة ٨٩٥ (في المتحف البريطاني) وابن أويس اللطيفي (في اكسفورد) وترجمه إلى الإنجليزية دي سلان ، ونشر في لندن سنة ١٨٤٢ - ١٨٧١ في أربعة مجلدات ضخمة . ونشر بعضه مع ترجمة لاتينية في ليدن سنة ١٩٠٨ » .

٨ - لو حاول الأستاذ المحقق الاستعداد لعمله قبل البدء الجدّ في تحضير مايجب أن يكون حاضراً قبل الشروع ، فجنّبه ذلك كثيراً من الاضطراب والاستدراك . وقد رأينا أنه تعجل فانطلق من طبعة وستنفلد ومخطوطتين ، وظل كلما تقدم خطوة عثر على مخطوطة أو مخطوطتين حرم من فوائدها المجلد المحقق السابق ، واضطر المحقق إلى ضروب من الاستدراك ... وفي هذا الذي فات المحقق في البداية وعثر عليه بعد البداية مالم يكن سراً مجهولاً ، وحسبك أن يكون منه ماهو كائن في المتحف البريطاني ومنه ما كان مطبوعاً ...

كان مناسباً جداً أن يستشير الأستاذ المحقق أقرب المراجع الحديثة في الدلالة على المخطوط والمطبوع ... من فهارس وتراجم وتواريخ أدب وبروكلمان ...

لقد فرح كثيراً إذ عثر ـ بعد صدور المجلد الأول ـ على مسودة المؤلف ، ولو بدأ بالبداية ورجع إلى فهارس المخطوطات لرآها في المتحف البريطاني رقم ٢٥٧٣٥ ؛ وفرح كذلك إذ وجد نسخة الظاهرية رقم٥٤١٨في دمشق ،والظاهرية في متناول المحققين . وفرح كذلك لدى عثوره ـ بعد أن صدر من الكتاب ثلاثة مجلدات ـ على المختار من وفيات الأعيان الذي عمله ولد المؤلف : موسى . وحقّه أن يفرح لأن الاكتشاف هام جداً ، ولكنه لو سار منهجياً في التحقيق لعثر على هذا المختار قبل أن يبدأ ، فما وجوده بسرّ ، ويكفي لمحقق يحاول أن يلمّ علمياً بمادة عمله كي يقف عليه ، وهل أقرب من جرجي زيدان في كتابه ، تاريخ آداب اللغة العربية (ط ٢ ، ٣ : ١٧٣) . إنه يقول بعبارة صريحة : « من مختصراته لابنه موسى في المكتب الهندي بلندن » .

٩ ـ عندما عثر ـ بعد صدور ثلاثة مجلدات ـ على المختار الذي عمله موسى ابن المؤلف قال في مقدمة المجلد الرابع ص ز : « هو ـ أي موسى ـ رجل مثقف .. وسنتحدث عنه بشيء من التفصيل عند الحديث عن المؤلف وكتابه وما يتصل بها في موضع آخر » .

ثم جاء الموضع الآخر فتحدث المحقق في المجلد السابع حديثاً قيّماً عن المؤلف وكتابه ، ولكنه نسي وعده فيما يتعلق بموسى .

١٠ ـ ص ٨٨ : « وقد كنت أودّ أن أدوّن هنا ما اطلعت عليه من نسخ ابن خلكان في المكتبات التي زرتها باستانبول وبورسه واسكدار وبرلين وتوبنجن والمتحف البريطاني ومنشستر وادنبره ، وأن أصف كل نسخة منها ، وهي تقارب الثمانين . . ولكن وجدت ذلك يثقل هذه المقدّمة . . . » .

لا ، إنه لا يثقلها ، لأنه من صميمها وصميم عملية التحقيق .

هذا إلى أنه جزء من دراسة الكتاب ، وأنه مما يمكن أن يخدم ناقداً للتحقيق ، أو محققاً جديداً يعتزم إعادة التجربة ، أو هيئة عامة ترى أن تجمع مخطوطات الكتاب ، وما هو منها وإليها ، في مكان خاص خدمة له ودعوة إلى درسه وتهيئة لتحقيق جمعي .. وإذْ أضرب الأستاذ المحقق عن تدوين ما اطلع عليه ، كنا نودّ لو عمل جريدة بهذه المخطوطات : مكانها ، رقمها ، أهم صفاتها — وليس في هذا ما يثقل مقدمة تكتب للتحقيق . إن هذه الجريدة أهمّ كثيراً في التحقيق من (١٦) صفحة تخصص لأشعار ابن خلكان ودوبيتاته .

١١ — ص ١٥ (من المجلد السابع) : « محمد بن يعقوب .. توفي .. سنة عشرة وستمائة [لعشر خلون من شعبان] ... » وقال المحقق مذيلاً على ما بين المعقوفين « لم يرد في النسخ الخطية » . ويتساءل القارىء كيف حدث ذلك وإزاءنا أكثر من عشر نسخ خطية ؟ وإذا لم يكن في الخطية فمن أين أتينا به ؟.

١٢ — ص ٤٦ : « وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل أن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك العرب » .

وذيّل المحقق على كتاب المعارف قائلاً : المعارف ٥٥٤ .
ومنهجه يقتضيه التذييل على « الأوائل » كذلك .

١٣ — ص ٨١ – ٨٢ ، الأعلم الشنتمري : « وغالب ظني أنه شرح الحماسة » مناسب أن نؤكد ظن ابن خلكان برواية ياقوت في معجمه ٢٠ – ٦٠ « الأعلم ... وشرح الحماسة شرحاً مطوّلاً ... »

١٤ - الترجمة ٨٤٨ يوسف بن هارون الرمادي، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ :

« وذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر الأبيات التي مدح بها يوسف بن هارون أبا عليّ القالي، وأورد له ...

وثلاث شيبات نزلن بمفرقي فعلمت أن نزولهن رحيلي
طلعت ثلاثاً في نزول ثلاثة واشٍ ووجهُ مراقب وثقيل
فمزلنني عن صبوتي فلئن ذلك ت لقد سمعتَ بذلة المعزول »

وأحال المحقق إلى اليتيمة ٢ : ١٠٠ - ١٠١

أ - صحيحُ الإحالة : اليتيمة ٩٩

ب - صحيحُ « ووجهُ مراقب » الواردة بضم الهاء : « ووجهِ مراقب » بكسرها لأنها معطوفة على واشٍ، وهي بدل من ثلاثة .

ج - المفضل لدى الإحالة الاستفادة من الفروق، والذي جاء في اليتيمة ٢ : ٩٩ :

فعذلنني عن صبوتي متذللاً ولقد سمعت بذلة المعزول

ثم إن عذلنني بالذال أنسب - إن لم تكن الصحيحة الوحيدة - والأبيات في الغزل ولا موجب للعزل - حتى إذا عزي ذلك إلى عامل المطبعة الذي يلفظ الذال زاياً .

ثم إن تحويل سمعت إلى الخطاب من المتكلم يستدعي حجة ومناقشة، فما المانع في أن تكون سمعت أنا ..

١٥ - إن عمل المحقق الأول هو المقابلة وإثبات الفروق (والخلافات) في الذيل أمانة وحرصاً على الاقتراب من قصد المؤلف، وخدمة للقارىء

والباحث .. ولم يكن الدكتور إحسان عباس يجهل ذلك ، ولا أدل على علمه من أنه كان يضع في الذيل عدداً من الفروق .

ولكننا نلاحظ ـ ولاحظنا ـ أن هذه الفروق أقل كثيراً مما يجب ، بحكم ما راجع الأستاذ المحقق من نسخ مخطوطة ، وبحكم الاختلاف بين هذه النسخ ، وما عرفه الأستاذ المحقق ، قبل غيره ، من زيادة في واحدة ونقص في أخرى ، ومما زاده ابن خلكان نفسه وألحقه على مرّ الزمن وتجدد العلم ..

لقد وضع الأستاذ المحقق في المجلد السابع صوراً لثلاث عشرة نسخة رجع إليها ، ودلّنا ـ في حديثه عن النسخ في مقدمات مجلداته ـ على اختلاف ملحوظ ـ إن لم يكن كبيراً ـ وأقلّ ما يعني هذا ألا تخلو صفحة من مجلداته السبعة من فروق أو فرق ... ولكننا نأتي لنختبر ما هو أقرب إلينا من المجلد السابع الذي بلغت صفحاته ٢٥٩ ، فنلاحظ بوضوح ندرة الفروق في الصفحات التي ذيلت بفروق ، ونلاحظ بوضوح كذلك صفحات كثيرة مرت دون أي فرق ؟ نذكر هنا الصفحات : ١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦١ – ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ – ٩٢ ، ٩٤ – ١٠٥ ، ١٠٧ – ١١١ ، ١١٣ – ١٢٥ ، ١٢٧ – ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ – ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ – ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٨ – ١٧٠ ، ١٧٥ – ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ – ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ – ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ – ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ – ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ – ٢٤٥ ، ٢٤٧ – ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ – ٢٥٩

١٦ – ينتهي المجلد السابع وهو الأخير من الكتاب ص ٢٥٩ ، ويفاجأ القارىء بـ ٤٤ صفحة مخصّصة لمصورات من صفحات للمخطوطات المتمدة ، والتصوير هذا من شرائط التحقيق ، ولكن جمع الصور في آخر الكتاب يفقد جزءاً من الفائدة ،لأن الأصل أن تكون الصورة قريبة من وصف النسخة لتوضح هذا الوصف وتمتحنه ، ومن هنا كان المناسب أن تأتي هذه الصور موزعة على المجلدات لدى وصفها وبدء الاستفادة منها . ولو كان المحقق قد جمع النسخ المخطوطة اللازمة قبل أن يصدر المجلد الأول والثاني والثالث .. لجاء وصف النسخ في مكان واحد من مقدمة المجلد الأول ولجاءت المصورات هناك كذلك .

ثم ماذا نلاحظ :

أ – بقيت نسخة المتحف البريطاني ذات الرمز ط ، من غير صورة – ولا بأس – على حين تمتعت بعض النسخ بتصوير عدّة صفحات – ولا بأس كذلك .

ب – نجد صوراً لنسختين من آيا صوفيا « برمز ص » الأولى رقم ٣٥٣٢ والثانية رقم ٣٥٣٣ على حين لم يحدثنا المحقق إلا عن نسخة واحدة هي آيا صوفيا : ٣٥٣٢ ورمزها ص (ينظر وصفه في المجلد الثاني ، المقدمة ، ص ٧)

فما خبر آيا صوفيا الثانية ، إذاً ، وما قيمتها ؟ وما سبب التصوير هنا ؟ وكيف يكون رمز واحد لنسختين ؟

ج ــ ونجد صوراً لنسختين من لاله لي برمز « لي » : الأولى رقم ٢١١٢ والثانية رقم ٢١١٣ ، ولم يحدثنا المحقق إلاّ عن نسخة واحدة هي لاله لي رقم ٢١١٢ ورمزها « لي » وكيف يكون رمز واحد لنسختين ؟

د ــ ونجد صوراً من نسخة نور عثمانية « ع » رقم ٣٠٧٦ ولم يحدثنا المحقق بشيء من مقدماته عن هذه النسخة : قيمتها ؟ كمالها أو نقصها ؟ مدى استفادته منها ؟...

ه ــ اتخذ المحقق ـ منذ البداية ـ تحقيق وستنفلد لوفيات الأعيان أساساً ومنطلقاً ، وهذا يكون في النشر ، ولا يكون في النشر العلمي. وتحدث عن النسخ التي اعتمدها وستنفلد في تحقيقه أ ، ب ، ج ، د ، ه ، ف ، ولكننا لم نجد لهذه النسخ الخمس أو الست صوراً أو صورة بين الصور الكثيرة المتكررة للنسخة الواحدة أحياناً . فلماذا ؟ إنه أقلّ ما يعني أن الدكتور إحسان عباس منح وستنفلد ثقة مطلقة ، وأنه لم يحاول أن يحصل على هذه النسخ أو بعضها ، ولا يستحيل الحصول على بعضها.

وكنا نودّ لو قالها صريحة منذ البداية وفي كل جزء ، فقد كان يخيّل للقارىء أحياناً ـ دون سبب واضح ـ أن الدكتور إحسان عباس إذ اعتمد تحقيق وستنفلد اعتمده بعد امتحان ومقابلة ، وحصول على نسخ أو محاولة في الحصول على النسخ .

لقد كان الدكتور إحسان عباس أميل إلى الصمت فيما يتصل بوستنفلد ومدى ما انتفع به ، وما يمكن أن يكون في هذا الانتفاع مما لا يناسب المنهج العلمي في التحقيق .

ومن الأمور التي تركها دون تعليل مع حاجتها العلمية إلى التعليل إضرابه عن فروق وستنفلد ـ بعد أن أصدر مجلدين كاملين من طبعته ـ

إضراباً تاماً مقرراً بوعي ، فلم يعد مجال للإفادة مما أفاده وستنفلد من خمس أو ست هي : أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ف = ليدن ، غوطا ، براين ، برلين ، غوطا ... لماذا ؟

كلّ ما رأيناه أن الأستاذ المحقق قال في مقدمـة المجلد الثالث :

« ويحسن أن نشير إلى أن الفروق بين النسخ التي اعتمدها وستنفلد قد توقفت الإشارة إليها عند آخر حرف الظاء (أي عند نهاية الجزء [يقصد المجلد] الثاني حسب تجزئتنا) » . لماذا ؟ مرة أخرى . وهل يعني ذلك أننا اكتشفنا عيباً كبيراً في تحقيق وستنفلد ؟ وهل يعني أننا أضربنا إضراباً كليّاً عن الاستعانة به أو أننا أهملنا فروقه فقط ؟ وهل ؟ وهل ؟ وإذا كان العيب في وستنفلد نفسه فلم لم نسعَ في الحصول على ما يمكن الحصول عليه من النسخ التي اعتمدها ؟ ثم ما مصير المجلدَين الأولَين اللذيْن انتهت عندهما الظاء ؟

بغداد — كلّية الآداب علي جواد الطاهر

نحوُ النثر العربي الحديث

Syntax of Modern Arabic Prose

تأليف فيجنته كانتارينو

Vicente Cantarino

الجـــزء الأول

Indiana University Press, Bloomington Iondon , (1974)

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي
الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

منذ أيقن الغربيون أن بلادهم أصبحت أكثر اعتماداً من ذي قبل على اقتصاديات البلاد العربية ولا سيما خامات المعادن ، وعلى الأخص البترول ، أخذوا يعتبرون البلاد العربية جزءاً مما يسمّونه بأوربا الكبرى التي تضم شمالي إفريقيا وجنوب غربي آسيا ، أي البلاد العربية برُمّتها ، ومن ثَمَّ أخذ اهتمامهم يزداد باللغة العربية وآدابها ونحوها وصرفها ، وصارت المعجمات وكتب النحو العربي تؤلَّفُ بشتى اللغات الأوربية على مقياسٍ لم نألفه من قبل ، وها هي ذي المطابع الانكليزية تُصدِرُ كتاباً جديداً بعنوان « نحو النثر العربي الحديث » (الجزء الأول) بدعمٍ من مركز الشؤون العالمية بجامعة انديانا ، ومن وضع الأستاذ « فيجينته كانتارينو » وهو أستاذ أميركي من أصل ايطالي .

ويعالج المؤلف في هذا الجزء الجملة البسيطة the simple sentence ويعني بذلك الجملة الخالية من التراكيب المعقدة ، والعبارات الاعتراضية . وعِدّة الكتاب ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط ويضمّ ، فضلاً عن المقدمة وقائمة الاختصارات ، أربعة أبواب :

١ — الجملة الاسمية . ٢ — الجملة الفعلية .

٣ — أدوات النفي . ٤ — الجمل الاستفهامية .

وكان الاتساق يقتضي أن يكون عنوان الباب الثالث : « الجمل المنفية » يُعالَجُ ضمنها أدوات النفي .

ويعرّف المؤلف الجملة بأنها وحدة كلامية قائمة بذاتها في تركيب لفظي دالّ على معنى ، ولا تحتاج العربية إلى فعل كأحد مقومات الجمل الأساسية[١]، لذلك كان تقسيم الجمل العربية إلى نوعين رئيسيين :

١ ـ الجمل الاسمية حيث الأسماء والضمائر والصفات الخ ..

٢ ـ الجمل الفعلية التي لا بدّ لها ، كما يدلّ اسمها ، من أن تضم فعلاً بين عناصرها .

وهو بهذا يخالف ما تعارف عليه العرب من أن الجملة الاسمية هي التي تكون مستهلّة باسم ، والفعلية ما كان منها مبدوءاً بفعل[٢] ، بيد أن المؤلفين الغربيين يعارضون هذا التعريف ويفضلون ما أورده « كانتارينو ».

(١) كانتارينو : « نحو النثر العربي الحديث » ص ٢ .

(٢) راجع شرح ابن عقيل (ط . محمد محيي الدين عبدالحميد) ، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، ج ١ ص ١٤ ، والزمخشري : المفصّل في علم العربية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م ص ٦ ، و « رايت » : « قواعد اللغة العربية » (النسخة الإنكليزية) ج ٢ ص ٢٥١ (أعلاها) .

ويهدف « كانتارينو » من تأليفه هذا الكتاب إلى استنباط قواعد اللغة العربية المعاصرة من جمل اختارها من مجموعة من الكتب العربية الحديثة لمشاهير الكتاب والمؤلفين وهم :

أحمد أمين في « ضحى الإسلام »و « ظهر الإسلام »، وجرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » ، وجبران خليل جبران في المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٣ أجزاء ، بيروت ، ١٩٤٩ – ١٩٥٠) ، ومحمد حسين هيكل في« حياة محمد » ، وتوفيق الحكيم في « أهل الكهف » و « شهرزاد » و « سليمان الحكيم » و « يوميات نائب في الأرياف » ، وطه حسين في « الأيام » و « على هامش السيرة »، ونجيب محفوظ في « القاهرة الجديدة » و « زقاق المدق » ، ومصطفى لطفي المنفلوطي في « الشاعر » و « ماجدولين » ، وسلامة موسى في « أدب للشعب »[1] ، وميخائيل نعيمة في « كان ما كان » و « لقاء » ، ومصطفى صادق الرافعي في « وحي القلم »، وأمين الريحاني في « ملوك العرب » (بيروت ١٩٥١) ؛ واستشهد بآخرين بين الحين والآخر ، ولا يتجاوز مجموع من ذكرهم الخمسة والأربعين شخصاً ، فهؤلاء في نظره يؤلفون في كلامهم خلاصة اللغة العربية المعاصرة ، وهو افتراض لا يخلو من شطط وغلوّ . وقد راجع الأستاذ « كانتارينو » فيما راجع من كتب « شرح الألفية » لابن عقيل [2] والعشماوي : « حاشية على متن

---

(١) طبعة بغداد ١٩٦١

(٢) طبعة فريدريك ديتريخ Fr. Dieterich لايبزغ ١٨٥١ [لم نشر فيمايتعلق بالمصادر إلا إلى الطبعات النادرة أو تلك التي قد يقع فيها التباس] .

الآجروميّة في قواعد العربية ، القاهرة ١٣٤١ هـ » و«المفصّل»: للزمخشري (١) وحفني ناصيف : « كتاب قواعد اللغة العربية » (الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٠٩) وابن يعيش « شرح المفصّل » (القاهرة ، بلا تأريخ) ، وأبا القاسم عبد الرحمن الزجّاج « الجُمل » (باريس ١٩٥٧) وطـائفة من كتب القواعد العربية المؤلفة بالانكليزية « لبرافمان » و « رايت » ، والفرنسية لبلاشير ، والألمانية لبروكلمان ومنيتز ونولدكه وريكندورف H . Reckendorf

وباعتقادنا أن الطريقة التي اتبعهـا المستشرق « كانتارينو » في تعليم قواعد اللغة العربية الحديثة للأجانب طريقة بيد أنهـا خطرة ، وهي نتـاج دراسة في اللغة المعاصرة لسنوات طويلة مع تدريسها بشكل تطبيقي في المدارس الأجنبية ؛ ولكن الذي لا يمكننا أن نوافقه عليه هو أن يعتبر العربية المعاصرة لغة قائمة بذاتها . إنا لا نؤمن بوجود لغة عربية قديمة ووسيطة وحديثة ، فالعربية مذ وجدت وحتى يوم الناس هذا وحدة لا تتجزأ ، وإن من يعتمد في تأليف كتاب لقواعد العربية على عدد من معاصريه دون إلقاء نظرات فاحصة مدققة على نتاج العصور فهو في خطلٍ من أمره .

ويعتقد كانتارينو أن اللغة العربية قد تطورت في جملها المنفية واستعمال أدوات النفي تطوراً ملحوظاً (٢) ، غير أنه حين يتطرق إلى النفي المزدوج يستشهد بكتّابٍ لا يمكن أن يعتبروا حجة في النثر الحديث ، فهم إمـا مترجمون اختصوا بلغة أوربية من دون أن يتقنوا لغتهم العربية أو رسّامون متطفلون على الأدب ، يزعمون أن الكتـابة ضرب من الرسم بالـكلمات ،

(١) طبعة J . P . Broch Christianiae , 1879

(٢) كانتارينو ، المصدر نفسه ، ص ١٠١ (أعلاها)

فيخلطون الألفـاظ كما لو كانوا يخلطون الأصباغ من غير أن يعرفوا أن هناك قواعد متايزة لكل نوع من الخلط .

فأي حجة تقوم لمن يقول :

« ليس هناك لا خيل ولا خيالة »(١)

أوليس الأفضل القول : « ليس هناك خيل ولا خيالة » ؟

ومن الغريب أن هذا الضرب من النفي المزدوج لا يتعاطاه ويرغب فيه إلا" عوام الانكليز ، فكيف بكاتب عربي تدعمه لغة القرآن وتراث ستة عشر قرناً أو يزيد !

ثم أي" قيمة في زيادة (لا) في مثل العبـارة المقتبسة المثالية : « حاولت أن أوقظ الواحـد ثم الآخر بيدي ، فما استيقظ [لا] هذا ولا ذاك »(٢) . أو قوله :

« فإنني لم أتزوج [لا] ابنة مدير بنك ولا ابنة وكيل وزراء » (كذا) وكان الأفضل أن يقول : « وكيل وزارة » ، فليس في العالم كله منصب « وكيل وزراء » بصيغة الجمع !

وقوله : « ما كان بجوار النهر [لا] خيل ولا بغال » وكذلك قوله : « إن الانكليز لا يعملون [لا] هذا ولا ذاك »(٣) . إن ما وضعناه بين عضادتين في أعلاه لا يستسيغه الذوق العربي الأصيل ، وهو في الوقت ذاته ليس ترجمة للتركيب الانكليزي« put ... not »أو الفرنسي« que ... ne »

(١) نفسه : ص ١٠٥ (وسطها) .

(٢) الصفحة نفسها .

(٣) الصفحة نفسها : ص ١٠٥ (أسفلها) .

وإنما هو خليط مشوّه لا ينتمي إلى العربية ولا الأعجمية الفصيحة بنسب، بل ينتمي إلى العجمة التي لا ضابط لها ولا قواعد.

وقد أورد عبارة: «إذاً» فهو يذهب»[١] وهي ترجمة من الانكليزية therefore he goes والأفصح أن يقول (إن شاء أن يجانب أساليب الأعاجم) «فهو إذاً يذهب»، وجاء في الصفحة ذاتها: «عَشقتُم للدنيا وحدَها» بفتح العين، والصواب بكسرها، وأكبر الظن أنهـا غلطة طباعية. وكذلك قوله «الشرخ»[٢] (بالخاء المعجمة) وصوابها «الشرح» (بالحاء المهملة).

وقال في الصفحة ٩٢: «كانت الشعراء تلبُس» (بضم عين الفعل) وهو خطأ، والصواب بفتحها[٣].

وقد لاحظنا — مع الأسف — الشيء الكثير من مثل هذه الأخطاء، ويحملنا حسن الظن على القول في أكثرها إنها أخطاء مطبعيّة، وكان الأجدر بالمؤلف الفاضل أن يشير إليها في مسرد خاص يلحقه بالكتاب، فهي مما لا يليق بباحث مثله، ولا سيما مثل قوله: «كم أحمدُ اللهُ على هـذه المعجزة الحقةِ»[٤] وقوله «يَحُلاّنِ المرأةَ للرجلِ»[٥] والصواب: «يُحِلاّنِ».

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٤ السطر ما قبل الأخير.
(٢) ص ٥ (منتصفها).
(٣) راجع «اللسان» مادة «لبس»: «لبِس َالثوبَ يلبَسُه» والمعجم الوسيط، ص ٨١٩ (أعلى العمود الأوسط).
(٤) نفسه، ص ١٥٩ (منتصفها).
(٥) ص ٧ (أسفلها).

وإن تعجب فعجبٌ قول المؤلف فى مقدمته : « لقد كانت ثمة حاجة يشعر بها الإنسان شعوراً عميقاً لعرضٍ يشمل اللغة بشكلها المعاصر من دون إشارة إلى اعتمادها على اللغة التي سبقتها » (١) .

يريد المؤلف بذلك أن يجعلنا نؤمن بأن اللغة العربية الحالية بالنسبة لماضيها هي كالفرنسية والإيطالية والاسبانية وسائر لغـــات الرومانس قد انحدرت من لغة قديمة هي اللاتينية ، ولا تربطها بها إلا وشائج الصلة البعيدة ، وهذه مع الأسف نزعة معظم المستشرقين ، وهم فيهـا مضلَّلون ، لأن العربية لا عُمر لها فهي شابة أبداً ، قديمُها حديث ، وحديثُها قـديم . إنها لا تشبه اللغات الأخرى — وهذا وجه العجب فيها — فهي تنمو من دون أن تهرم (٢) .

وقد استبعد « كانتارينو » في دراسته اللغة الأدبية الحديثـة المجلات والصحف ، لأن لغة الصحافة في عُرفه لا تمثل اللغة الأدبية في العالم أجمع ، ولكنه استعان بضروب مختلفة من الكتب في النثر الفني والقصة والمسرحيات وكتب الرحلات والمؤلفات السياسية والتاريخية والاجتماعية ، فاجتمعت لديه ثلاث عشرة ألف قطعةٍ مختارة ، ومن هذه استمد مختاراته للجزء الذي بين أيدينا ، وهو الأول بين ثلاثة أجزاء ، ومع أن هذه الأجزاء سيكون بعضها متمماً لبعض ،كما يقول المؤلف ، فإن كل جزء سيكون ، مع ذلك ، مستقلاً بحد ذاته .

---

(١) كانتارينو : الصفحة الأولى من المقدمة (وسطها) .

(٢) راجع وجهة نظر كانتارينو المعارضة في الصفحة الثانية من المقدمة (أسفلها) .

وقد خصص الأول – كما أسلفنا – لأبسط الوحدات في تركيب الجملة ، الاسمية منها والفعلية ، في صيغ الإثبات والنفي والاستفهام .

والمتوقع أن يكون الجزء الثاني مقسماً إلى قسمين : يعالج الأول منهما دراسة عناصر الجملة الموسعة وتحويرات الأسماء والأفعال ، ويتعرض ثانيهما إلى استعمال أجزاء معينة كالأعداد وصيغة التفضيل والمصادر واسم الفاعل والمفعول الخ ... فضلاً عن تراكيب خاصة وأساليب أدبية (كانعدام الترابط النحوي ، والتورية واتحاد الألفاظ ، والحذف الخ) .

أما الجزء الثالث والأخير فيتعلق بجمع الجمل في مجموعات معقّدة ؛ وهنا تدرس الجمل الرئيسية والثانوية ، ويختم بفهرس الفبائي تفصيليّ .

وقد رتبت الدراسةُ بحيث أن الملاحظات النحوية تُقدم مع التعليقات والايضاحات مستندة على المقتبسات التي تعقبها [1] .

ومن محسّنات الكتاب أن المؤلف قد وضع مع العبارات المقتبسة عنوان الكتاب واسم مؤلفه برموز يمكن الرجوع إليها في مفتاح خاصّ ، إذا اقتضى الأمر ؛ وأكثرها واضح لا إشكال فيه .

ويزعم كانتارينو أن استعمال اسم واحد يقوم مقام جملة اسمية كاملة هو تركيبٌ بدائي في الآداب العربية القديمة ، ولتعزيز رأيه الكلاسيكي هذا يقدم بين أيدينا مثالاً من كاتب محدث [2] ، وكان الأولى به أن يقدم مثالاً من تراثنا القديم ، وهذا موطن النقص في الكتاب ، فالمؤلف يزعم أن التعابير التي جاءت بها مُحْدَثة ولا يبيّن مدى صلتها بالماضي العريق

(١) كانتارينو : راجع الصفحة العاشرة والحادية عشرة من المقدمة .

(٢) نفسه ، ص ١٥٩

وما إذا كانت ذات جذور في أدبنا الأموي أو العباسي ، وما إذا كانت قد جاءتنا عن طريق المترجمين ؛ والسبب في ذلك على ما يُخيّل الإنسان قلّة اطلاعه على المصادر القديمة ، وعكوفه على دراسة ما أخرجته المطابع العربية المحدثين من الكتاب ، وأنا متأكد من أن كثيراً مما أورده له أصل قديم قد يكون جاهلياً أو قرآنياً ، فضلاً عن كونه أموياً أو عباسياً . ولكن محاولته للفصل بين ماضي العرب وحاضرهم ضلّلته ، فأوردته مورداً لا يُغبط عليه .

ثم إن دعواه أن الكلمة الواحدة التي تعدّ جملة اسمية ، من بقايا عهود اللغة البدائية وأن « كارل بروكلمان » يؤيده في ذلك ، تنطبق على جميع اللغات لا على العربية وحدها ، فلا تُتهم العربية بالبدائية لأن توفيق الحكيم قد قال في يوميات نائب في الأرياف : « حادثة ؟ » فترجمها « كانتارينو » بالجملة الانكليزية الفعلية ? Is there a case ، ليبرهن على أن الانكليزية أكثر تقدماً وأبعد عن البدائية ، إذ كانت الأمانة تقتضيه أن يترجمها بما يماثلها تماماً فيقول « a case ? » وهي مقبولة في الانكليزية وصحيحة ، وقريبة من البدائية المزعومة قُربَ العربية منها ؛ وهو يدعم كلامه هذا بكلمة « والعكسُ » مقتبسة من « ضحى الإسلام » لأحمد أمين فيترجمها بـ « and vice versa » ولا أعتقد أن الترجمة الانكليزية جملة كاملة لتكون لها الأرجحية على لفظة « والعكس » ثم يمضي في هذا السبيل مستشهداً بطه حسين في كتابه « على هامش السيرة »(١) إذ يورد جملته التالية :

(١) ج ١ ص ٢١ س ١٨ .

« **كل ذلك** ، وعبد المطلب ساكت ساكن »[١] وموضع الشاهد هنا عبارة « كل ذلك » وقد ترجمها بجملة فعلية إذ قال :

All this happened and Abdu'l - Muttalib was calm and silent .

وكان بوسعه أن يترجم المثل بالمثل فيقول :

Despite all this , Abdu'l - Muttalib was silent and calm

فيكون أكثر أمانة في ترجمته للإفصاح عن روح الأصل ويتحاشى التقديم والتأخير في ترجمة عبارة « ساكت ساكن » إذ لا مبرّر لذلك .

وشيء آخر أحب أن أشير إليه هو أن المؤلف قد يفرغ من مسألة في الصفحة ١١٥ مثلاً ليعود إليها في الصفحة ١٦٨ كآخر فقرة يختم بها الكتاب ، تلك هي مسألة « لا » النافية للجنس . أما كان حسن التأليف يقتضيه أن يرفع هذه الفقرة الأخيرة فيلحقها بالصفحة ١١٥ أو أن يحذفها من أساسها فليس فيها غير التكرار المعيب ؟

ومن المضحك المحزن أنّ تحمّسَه للغة العربية العصرية ، كتحمس بعض المجدّدين المندفعين مع الأسف ، حمله على أن يعتبر بعض الأخطاء الطباعية في كتب المعاصرين قواعد جديدة ، فمن ذلك مثلاً أنه وجد العبارة المغلوطة التالية في كتاب « شهرزاد » لتوفيق الحكيم في طبعة ١٩٣٤[٢] : « مَنْ أدراكَ أنْ ما تطلب موجوداً ؟ » فهلّل « كانتارينو » مصفقاً لأنه وجد قاعدة لغوية جديدة في الأدب العربي الحديث وهي نصب (أنّ)

---

(١) كانتارينو ، ص ٦ (أسفلها) .

(٢) كانتارينو ، ص ١٠ (وسطها) .

لخبرها ، من دون أن يفطن إلى أنها غلطة طباعية ليس غير ، إذ أننا عندما راجعنا إحدى الطبعات التي تلتها وجدنا العبارة مصححة ولفظة (موجود) بالرفع [1] .

الحق أننا إذا فكرنا في أن هذا الكتاب وأمثاله مما يدرس في الجامعات الأوربية والأميركية أدركنا فداحة التجني على لغتنا ومدى تقصيرنا في عدم التصدي لمثل هذه الكتب بالنقد والمحاسبة العسيرة ؛ فقد كان من الواجب على الأستاذ المستشرق أن يعرض كتابه هذا على أحد المطلعين على العربية وقواعدها – من أبنائها – قبل المجازفة بنشره بهذا الشكل .

ويزعم « كانتارينو » أن استعمال (قريب) في قوله تعالى : « إن رحمة الله قريبٌ » غير صحيح نحوياً فيضع العلامة اللاتينية (siç) بمعنى (كذا) إلى جنب اللفظة جاهلاً أن هذه آية قرآنية كريمة ، وهي الآية السادسة والخمسون في سورة الأعراف [2] وأن توفيق الحكيم الذي أوردها في قصة « أهل الكهف » [3] إنما كان مستشهداً بها وليست من صياغة أدبه الحديث ، ومعاذ الله أن يكون ذلك ، وهكذا يقع الذين يحاولون أن يقطعوا ماضي العربية عن حاضرها في ورطات رهيبة ومشكلات مرعبة ! .

ولم يراع المؤلف الدقة فيما ترجم من مقتبسات ، فقد ترجم مثلاً الجملة

---

(١) « شهرزاد » (طبعة غير مؤرخة ولكن الإشارة إلى أنها ترجمت إلى الإنكليزية سنة ١٩٤٥ يدل على أنها بعد طبعة ١٩٣٤ التي استعملها كانتارينو) ص ٦٨ س ٣

(٢) والآية بكاملها : « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين » (راجع البيضاوي ، مج ١ ص ٣٢٨) .

(٣) الطبعة الخامسة ، دون تأريخ ، ص ١٨ س ١

التالية من « أهل الكهف » (١) لتوفيق الحكيم :

لعلّك مشغولٌ حتّى عن الجوع !! » (٢)

بقوله : Are you so busy that you forget your hunger ?

فقد كانت الأمانة العلمية في الترجمة تقتضيه أن يقول :

perhaps you are so busy that you forget even your hunger !

ولا أريد أن أطيل فأخدّش وجه الحياء العلمي أكثر مما فعلت ، والكتابُ معروضٌ في الأسواق ، متداولٌ في المكتبات ، والقراء خير حكم . لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً ولكنهُ أخطأ محجة الصواب باتباعه النظرية الضالة المضلّلة التي تقول : إن العربية المعاصرة لغة جديدة يتيمة الأبوين ، وإن أخطاء الكاتبين بها ، بما في ذلك أخطاؤهم الطبعية ، هي قواعد جديدة يجب أن تؤلَّف فيها كتب خاصة تدرس في الجامعات الغربية ... سامح الله كانتارينو ، ومن كان على شاكلته من هذه القالة الآثمة !..

اكسفورد ، مكتبة بودليان الجديدة : صفاء خلوصي
الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

(١) نفسه ، ص ٢٣ س ١٢ .
(٢) كانتارينو ، ص ٩ (أسفلها) .

حول أشعار أبي الشيص الخزاعي

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

يشير ابن النديم في كتابه الموسوم بالفهرست إلى أن أبا بكر الصولي قد صنع ديوان أبي الشّيص في خمسين ومائة ورقة ، لكن شأن هذا الديوان شأن الكثير من الدواوين التي لم يصل إلينا منها إلا اسمها واسم صانعها .

وقد بقيت من أشعار أبي الشيص الخزاعي بضع قصائد مطولة ، وبعض المقطعات والأبيات المفردة ، عمد الأستاذ عبد الله الجبوري إلى جمع ما تناثر منها في العديد من المصادر المطبوعة والمخطوطة .

وهذه بعض الملاحظات على عمل المحقق .

أ ـ حول مقدمة المحقق :

● ص : ٦ « فابنه عبد الله بن أبي الشيص ، شاعر صالح الشعر كما يقول أبو الفرج الأصفهاني ، وله ترجمة وشيء من شعره في تاريخ بغداد » .

انظر أيضاً بعض أشعاره في بهجة المجالس ٢٣٠/١ ، وعيون الأخبار ٢٣٢/١ ، وديوان دعبل الخزاعي : ٣٤٩ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٢٠٦/٢ ، ونهاية الأرب ٤٣/٢

● ص : ٧ « ومن رجال هذا البيت داود بن رَزين الذي ينسب إلى واسط ، وهو شاعر معروف في عصره ، وكان يصحب أبا نواس ، وقد رُوي له شعر معه » .

لم يشر المحقق إلى مصدر معين أورد جانباً من شعر داود بن رزين ، أو بعض أخباره مع أبي نواس . وقد وردت بعض أشعاره في كتب مختلفة أذكر منها :

ديوان أبي نواس ٦٠/١ ، والمحاسن والأضداد : ١١٢ ، وقطب السرور في أوصاف الخمور : ١٧٨ ، وأخبار أبي نواس لأبي هفان : ٨٧ والبداية والنهاية ١٦١/١٠

● ص : ٧ « ورَزين بن علي ، شاعر مقلّ ، وله شعر في محاضرات الأدباء ، والحماسة البصرية » .

انظر كذلك بعض أخباره وأشعاره في ديوان دعبل الخزاعي : ١١٥ ، ٢١٧

● ص : ٨ « وقد وهم جماعة من أصحاب المراجع القديمة والحديثة في جعل أبي الشيص عماً لدعبل ومنهم ... »

أزيد على ماذكره المحقق : ما قاله محقق الحماسة البصرية ١٥١/١ ، والرقيق النديم في كتابه قطب السرور : ١٠٧

● ص : ٩ « ولم تذكر جمهرة المصادر التي ترجمت له شيئاً عن نشأته وولادته ، غير أنها اكتفت بذكر سنة وفاته التي اتفقت عليها في سنة (١٩٦ هـ) وقد وهم الصلاح الصفدي فذكر أنه توفي في سنة مائتين أو قبلها » .

ذكر الصلاح الصفدي ذلك في كتابه الوافي بالوفيات أيضاً ، أما ابن شاكر الكتبي فقد نقل عن ابن الجوزي أنه توفي في سنة (١٩٦ هـ) ، ولكنه أشار أيضاً إلى أن وفاته قد تكون في سنة مائتين .

● ص : ١٤ « لأبي الشيص ديوان صنعه أبو بكر الصولي المتوفى في سنة (٢٤٣ هـ) وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وقال : إنه في خمسين ومائة ورقة ، ولم نجد له ذكراً عند من تأخر عن ابن النديم إلى يومنا هذا إلا إشارة في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة » .

أشار البكري[1] في معرض حديثه عن بعض أشعار أبي الشيص إلى ديوانه بقوله : « وهذا هو الصحيح لأن الشعر المذكور لم يقع في ديوان شعر أبي الشيص ولا رواه أحد عنه » .

وأشار إليه أبو الفرج الأصفهاني[2] بقوله : « وهكذا ذكر ابن المعتز وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره » .

● ص : ١٤ « وقد استأثر شعر أبي الشيص باهتمام عالمين جليلين من علماء العربية في أزهى عصورها ، أولهما ابن المعتز (٢٩٦ هـ) الشاعر الخليفة ، والثاني ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) فحفظا لنا جملة كبيرة منه ، بل وانفردا - كذا - برواية قصائد كاملة له ، لم نجدها في مصدر آخر » .

لم يرو ابن المعتز هذه القصائد بتمامها ، وإنما أورد ما اختاره منها ، وقد ذكر ابن شاكر الكتبي في كتابه عيون التواريخ ، والرقيق النديم

---

(١) سمط اللآلي : ١/٥٠٧ (٢) الأغاني : ١٥/١٠٥

في كتابه قطب السرور ، بعض الأبيات التي لانجدها في مختار ابن المعتز من قصائد أبي الشيص .

وكذلك ذكر ابن المعتز أن القصيدة البائية :

مَرَتْ عينَـه للشوقِ فالدمعُ منسـكبْ
طلولُ ديارِ الحـيِّ والحيُّ مغتربْ

هي في مدح عقبة بن الأشعث ولكننا لا نجد هذا المديح فيما أورده منها .

● ص : ١٥ « وهاك آراء القدماء في شعره » .

أضيف إلى ما ذكره المحقق : « وهذا أبو الشيص نقي الكلام ، متخير الألفاظ ، مداح للخلفاء ، لاحق للفحول » .

« قطب السرور : ١٠٧ ، وانظر : ٢١٦ »

« وقال ابن دريد : سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال : ... قلت : فأبي الشيص قال : : جِيدٌ كله فيه حلاوة وبشاعة كالسِّدرة التي نفضت ففيها المستعذب والمستبشع » . « ديوان أبي نواس ١/١٤ »

« وقال ابن أبي الشيص : أنا أشعر الناس ، وكان أشعر مني أبي ومن جميع من مضى ومن بقي » « طبقات الشعراء : ٣٦٤ »

« وإنما أخمل ذكره وقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس » « سمط اللآلي ١/٥٠٧ »

ب — حول منهج الديوان وتحقيقه :

ضم الديوان بين دفتيه « ٦١ » قصيدة أو مقطوعة ، منها قصيدة مطولة ، وأربع مقطعات ظاهرات النحل ، ولايمكننا الوثوق أيضاً بما ورد

من أشعار أبي الشيص في محاضرات الأدباء ، لأن أوهام الراغب الأصفهاني في هذا الكتاب كثيرة جداً .

وقد أهمل المحقق بعض الكتب المخطوطة مثل : عيون التواريخ ، وتاريخ الإسلام ، وعقد الجمان ، والتشبيهات المشرقية ... كما غفل عن إثبات الكثير من أشعار أبي الشيص ، أذكر بعضها فيما يلي :

* وكُميتٍ أرّقها وهَجُ الشّمس وصيفٌ يغلي بها وشتاء
طبختها الشّعْرى العَبُورُ وحَثّتْ نارَها بالكواكب الجوزاء
محضتها كواكبُ القيظ حتى أقلعت عن سمائها الأقذاء
هي كالشّرج في الزجاج إذا ما صبّها في الزّجاجة الوُصَفاء
ودم الشادن الذّبيحِ وما يحْتلبُ الساقيان منها سواء
قد سقتني والليل قد فتق الصُّبح بكأسين ظبيةٌ حوراء
عن بنانٍ كأنها قضبُ الفضةِ حنّى أطرافها الحِناء

« قطب السرور : ١٠٧ - ١٠٨ ، وانظر : ٢١٦ »

والبيتان السادس والسابع منها لأبي نواس في ديوانه : ١٩ ضمن مقطعة في أربعة أبيات وبعدهما :

ذاتُ حسنٍ تُسجي بأردافها الأز رُوتطوى في قُمصها الأحشاء
قد طوى بطنها على سعة العيـ ش ضمورٌ في حقوها وانطواء

والبيت الأول لأبي نواس أيضاً في شرح المقامات ١٢٨/٢ ومعه بيت آخر هو :

لم يشنها الطاهي بطبخٍ ولا غيَّرها عن طبيعة الكرْم ماء »
* ما كان أنضر عيشَه وأغضَّه أيام فضلُ ردائِه مسحوبُ
« كتاب الزهرة : ٣٤٠ ، وانظر ق/٢ »

* يخيبُ الفـتى من حيث يُرزقُ غـيرهُ
وُيعطى الفتى من حيثُ يُحـرمُ صاحبهْ

« محاضرات الأدباء ٤٥١/٢ ، وانظر ق / ٤ »

* لو كنتُ أملكُ أن أفارق مهجتي لجعلتُ ناظـرها عليك رقيبا
حـذراً عليك وإنني بك واثقٌ أن لا ينال سـواي منك نصيبا

« مجموعة أشعار ، والبيت الثاني في أمالي الزجاجي : ١٠٢ للعباس ابن الأحنف . وانظر ديوانه : ٢١ ، ويروى معه بيت آخر هو :

لم ألق ذا شجَن يبوحُ بحبه إلا ظننتك ذلك المحبـوبا

أما البيت الأول فليس في ديوانه » .

*وكنتُ إذارأيتُ فتىيبكّي على شَجن هزأتُ إذا خلوتُ
وأحسبني أدال الله منـي فصرت إذا بصرتُ به بكيتُ

« التبيان في شرح الديوان ٣٣٤/٢ ، وانظرق/١٠ »

* ومن يكن الغرابُ له دليلًا فناووسُ المجوس لهُ مصيرُ

« التمثيل والمحاضرة : ٣٦٩ »

*فذاكولاصماء منرامَ كسرها بمعوله ذلّتْ بكفيه للكسر

« الوحشـيات : ١٧٥ - ١٧٦ ، وانظر ق / ٢٤ ، وقد وردت فيه بتمامها »

* على صهبـاءَ كالمسـك وكالكافور في النشـر

« عيون التواريخ ٥٢/٧ ، وانظر ق / ٢٥ »

* نمـجٌ من أقداحنا قهـوة تضوعُ بالمسـك وبالعنبر

كأنما أقداحنـــا فضَّـةٌ قد بُطنت بالذهب الأحمرِ

« البيتان في قطب السرور : ٦٠٧ غير منسوبين ، والثـــاني في الرسالة الموضحة : ٥٤ »

* ومُنازِلٍ للقِرنِ يسحبُ فاضةً علق النجيعُ بثوبها الفضفاض

« الرسالة الموضحة : ٧٤ ، وانظر ق/٣٢ »

* ولقد نزلت برأس صابي القلب في ميدان كل غـــواية ركَّاض

« الحماسة الشجرية ٢/٨١٧ ، وانظر ق / ٣٣ »

* تكاملَت فيك أوصافٌ خُصِصت بها فكلُّنا بك مسرورٌ ومُغتبـــطُ
السن ضاحكةٌ والكف مانحةٌ والنفسُ واسعةٌ والوجه مُنبسطُ

« وفيات الأعيان ٢/٢٣٨ ، وانظر ق / ٣٥ »

* ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أحـــدٌ وظني أنه لا يُخلقُ

« التبيان في شرح الديوان ٢/٣٣٩ »

* ما كان منكسر اللواءِ لطَيرةٍ تُخشى ولا أمرٍ يكونُ مُزيّلا
لكنّ هذا الرمح أضعف ركنَهُ صِغَرُ الولاية واستقلَّ الموصلا

« تاريخ الموصل : ٣١٠ ، والكامل في التـاريخ ٥/١٢٣ ، وهما من مشهور شعر أبي الشمقمق ، انظر طبقات الشعراء : ١٢٩ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٢/٩٦ ، والإبانة عن سرقات المتنـــبي : ٢٦١ ، وهبة الأيام : ٣٠٧ ، وعيون التواريخ ٦/١٩٠ ، وسأخص شـــعر أبي الشمقمق بمقال آخر إن شاء الله » .

* فأحســـبها وهي مكروعةٌ تَمجُّ ســـلافها في الأواني
عنـــاقيد أخلافها حُفَّــلٌ تدرُّ بمثل الدماء القــــواني

عيون التواريخ ٧/٥٣ ، وقطب السرور : ٧١٤ ، وانظر ق / ٥٥ ، والبيت الأول في قطب السرور ٢١٧ وروايته :

فيا حسنها عندَ شكِّ الزوالِ ... يَـجُّ سلافتها في الأواني

* عاطني كأس سلوةٍ ... عن أذان المؤذن
ما ترى الصبح قد بدا ... في إزار متبن
فاسقنيها سلافةً ... والطمنّي و أرمني

قطب السرور : ١٠٨ ، والصواب أنها لأبي نواس ، وهي في ديوانه : ٥٩٥ ضمن مقطعة في خمسة أبيات هي :

يا سليمان غنني ... ومن الراح فاسقني
ما ترى الصبح قد بدا ... في إزار متبن
فإذا دارت الزجا ... جة خذها وأعطني
عاطني كأس سلوة ... عن أذان المؤذن
اسقني الخمر جهرة ... والطيني وأزنيني

* إذا أخذت بحبل من حبائله ... دانت لك الأرض أقصاها وأدناها

« الحماسة الشجرية ١/٣٩٩ ، وانظر ق / ٥٩ »

● وضع المحقق الشعر المختلط بين قصائد الديوان ، وكان لزاماً عليه أن يضعه في قسم مفرد ، لأن أكثر هذه الأشعار ثابتة النسبة إلى شعراء آخرين ، ولاتجوز نسبتها إلى أبي الشيص .

كما اختلط على المحقق شعر أبي الشيص بشعر غيره من الشعراء ، ولم يميز هذا الاختلاط في الديوان ، فأورد هذه الأشعار وكأنها من صحيح شعر أبي الشيص ، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

١ - ق / ٥ : ٢٣

شرابُك في السّراب إذا عطشنا وخبزُك عند منقطع التّراب
وما روّحتنا لتـذبّ عنّا ولكن خفت مرْزئة الذّباب

البيتان لأبي نواس في المحاسن والأضداد : ٥٨ ، والمحاسن والمساوىء ٢٠٣/١ ، وانظر ديوانه ٢٠/١ ، وهما لأبي الشمقمق في عيون التواريخ ١٩٠/٦ ، وطبقات الشعراء : ١٢٨ ، وانظر شعراء عباسيون : ١٣١ ، وديوان المعاني ١٨٧/١ ، ومحاضرات الأدباء ٦٦٢/٢ .

وفي المحاسن والأضداد : « وعن حذيفة بن محمد الطائي قال : قال الرشيد : ما لأحد من المولدين ما لأبي نواس في الهجاء : وما روحتنا ... »

أما مصدر البيتين عند المحقق فهو محاضرات الأدباء ٦٦٦/٢ ، ومن الممتع أن نذكر أن الراغب الأصفهاني نسب البيتين التاليين إلى أبي الشيص ، في كتابه محاضرات الأدباء ٢٣/٣ :

نقّلْ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفُه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وهما من مشهور شعر أبي تمام .

٢ — ق / ٢٢ : ٥٦

تقول غداة البين إحدى نسائهم ليَ الكَبِد الحرى فسرْ ولك الصّبرُ
وقد خنقتها عـبرةٌ فدموعها على خدها بيضٌ وفي نحرها صُفر

البيتان لأبي نواس ، وهما ضمن مقطعة في ديوانه ١٠/١ ، وانظر نهاية الأرب ٢٧٢/٢ ، وديوان المعاني ٢٥٨/١ ، وكتاب الزهرة : ١٩٦ ، وحلبة الكميت : ١٩١ ، وشرح المقامات ٣٩/١

٣ – ق/٢٦ : ٦١

ملكٌ كأنّ الموتَ يتبعُ قولَهُ حتّى يُقَالَ تُطيعُه الأقدارُ

البيت لمروان بن أبي حفصة ، وهو في ديوانه ص : ٥٥ ضمن مقطعة مطلعها :

أتظنُّ يا إدريسُ أنّكَ مُفلِتٌ كيدَ الخليفةِ أو يقيك فرارُ

٤ – ق/٢٩ : ٦٨

وناعسٍ لو يذُوقُ الحبَّ ماتعيسا بلى عسى أن يرى طيفَ الحبيبِ عسى

وللهوى جَرَسٌ يَنفي الرُّقادَ به فكلما كدتُ أغفي حرَّكَ الجَرَسا

البيتان للعباس بن الأحنف ، وهما في ديوانه : ١٩٥ ، ويزاد فيهما :

ترى المحبُّ لما يلقى يُصوِّرُ مَنْ يهوى فيشكو إليه حيث ما جَلَسا

٥ – ق/٣٠ : ٦٩

لا تأمنَنَّ على سرّي وسرِّكُمُ غيري وغيرك أو طيّ القراطيسِ

أو طائرٍ سأحليهِ وأنعَتُه ما زال صاحبَ تنقيرٍ وتدسيسِ

سودٍ براثنُهُ ميلٍ ذوائبُهُ صُفرٍ حمالقُهُ في الحسنِ مغموسُ

قد كان همَّ سليمانٌ ليذبَحَهُ لولا سعايتُهُ في ملكِ باقيسِ

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ لأبي نواس في ديوانه ٣٥/١ ، وفي ٣٦/١ :

ولم يسبق أبو نواس ، إلى هذا المعنى في وصف القيادة ، بل تلاه شاعر كوفي فقال :

إن القيادة لذّةٌ مع نفعِها لولا القيادةُ تمّ ذبحُ الهُدهدِ

كما تُنسب هذه الأبيات إلى علي بن الجهم ، انظر ديوانه : ١٥١ ، وهي في نثار الأزهار : ٨٥ - ٨٦ لأبي الشيص .

٦ — ق/٣٣ : ٧٥

ولقد أقولُ لشَيْبةٍ أبصرتُها في مفرِقي فمنحتُها إعراضي
عنيّ إليكِ فلستُ منتهياً ولو عمّمتِ منكِ مفارقي ببياضِ
هل لي سوى عشرين عاماً قد مضت مع ستّة في أثرهنّ مواضَ
ولقلّما أرتاعُ منكِ وإنّني فيما هويتُ وإن وزعتِ لماضِ
فعليك ما استطعتِ الظّهور بلمّتي وعليّ أن ألقاكِ بالمقراضِ

« سمط اللآلي ٣٣٨/١ ، وفيه : وقال رجل من الأزد في ذلك ، وفي الهامش الذي وشحه العلامة الجليل الأستاذ عبد العزيز الميمني ما نصه: والصواب أنها لأبي الشيص الخزاعي — ٣٣٧/١ — ولعله ظن أنها من ضاديته المشهورة » .

هذا ما ذكره المحقق ، والصواب أن المقطعة لأبي الشيص ، فهي له في الحماسة الشجرية ٨١٧/٢ ، وانظر كذلك شرح المقامات ١٥١/٢

٧ — ق/٣٤ : ٧٦

كأنّ بلادَ اللهِ في ضيقِ خاتمٍ عليّ فما تزدادُ طولاً ولا عَرضا

البيت لمجنون ليلى ، وهو في ديوانه : ١٧٨ ، والحماسة الصغرى : ١٩٧ ، وقبله :

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ إذا ذكرتها النّفسُ شدت به قبضا

وهما في التشبيهات : ٢١٠ لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

٨ — ق/٣٧ : ٧٩

فلو كنتم على ذاكَ تؤولونَ إلى قصفِ
تساوت حالُكمْ فيه ولم تعنُوا على الخسفِ

أثبتها المحق عن كتاب بغداد ، ولكنها لم تنسب فيه إلى أبي الشيص، وإنما نسبت إلى درزين بن علي ، انظر كتاب بغداد : ٣٠٣ ، وبدائع البدائه: ١١٨ ، وديوان دعبل الخزاعي : ٢١٧ ، والأغاني ١٠/٤٨ - ٤٩

٩ — ق/٤٠ : ٨٢

عشقَ المكارمَ فهو مشتغل بها ... والمكرماتُ قليلةُ العُشّاقِ
وأقامَ سُوقاً للثناء ولم تكن ... سُوقُ الثناءِ تُعَدُّ في الأسواقِ
بثّ الصنائعَ في البلاد فأصبحت ... تُجبى إليه محامِدُ الآفاقِ

ذكر ابن خلكان نسبة هذه المقطعة إلى أحمد بن أبي فنن ، في كتابه وفيات الأعيان ٦/٣٤١ : « ومدحه أحمد بن أبي فنن صالح بن سعيد بقوله : ثم وجدت هذه الأبيات لأبي الشيص الخزاعي في كتاب البارع » . والبيت الثاني ومعه بيت آخر في وفيات الأعيان ٦/٣٤٣ ليزيد بن مفرغ ، وانظر ٦/١٨٣ أيضاً .

١٠ — ق/٥٣ : ٩٦

هذا كتابُ فتىً له هممٌ ... عطفت عليك رجاءَهُ رحمُهْ
غلّ الزّمانُ يديْ عزيمتِه ... وهوت به من حالقٍ قَدَمُهْ
وتواكلَتْهُ ذوو قرابتـه ... وطواهُ عن أكفائِه عدمُهْ
أفضى إليك بسره قـلمٌ ... لو كان يعرفُهُ بكى قلمه

الأبيات لأبي تمام ، وهي في ديوانه ٤/٥٤٠ ، ويقالُ إنها للعتابي . أما الدرة اليتيمة ، فقد تكلف المحقق الكثير ليعلل نسبتها إلى أبي الشيص ، وأرجح أن هذه القصيدة مصنوعة بدليل الاضطراب الذي يعتور نسبتها .

● ولتخريج قصائد الديوان ومقطوعاته شأن عجيب ، إذ ذكر المحقق العديد من الكتب في سرد مراجعه ولكنه لم يستوف ما فيها من شعر أبي الشيص ، كما أنه لم يتناول بالتفصيل والبيان ما أوردته هذه الكتب من أشعار ، وإنما اكتفى بالتلميح إلى ورود بعض الأبيات في عدد من الكتب ، دون ذكرها أو تبيان عددها ، وأكتفي بذكر ما جاء في تخريج القصيدة الثامنة :

« طبقات ابن المعتز : ٨١ ، وقد وردت أبيات منها في البديع لابن المعتز : ٤٩ ، و ... » . ولعل تسرع المحقق وعدم الأناة في اطلاعه على ما أثبت من المصادر ، أوقعاه في أخطاء كثيرة يمكن تلافيها ببعض العناية والتريث .

● وثمة العديد من الكتب التي غفل عن إثبات ما فيها من أشعار أبي الشيص ، أذكر منها :

العقد الفريد ، والتبيان في شرح الديوان ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والتمثيل والمحاضرة ، وكتاب الأشربة ، وكتاب خاص الخاص ، وهي جميعها من المراجع التي اعتمدها في تحقيق الديوان ، كما أنها مفهرسة . ولذلك رأيت أن أذكر بعض ما فات المحقق :

ق/٢ : البيتان في طبقات الشعراء : ٧٧ .

ق/٤ : البيت الثالث ومعه بيت آخر في معجم الشعراء : ٤١٧ لمحمد بن عبيد الأزدي .

ق/٦ : الأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ في مصارع العشاق ٢/٢٠٠ - ٢٠١ غير منسوبة .

ق/٨ : البيت ١٧ في التشبيهات : ١٨٣

ق/١١ : البيتان في الخلاة : ٧٣

ق/١٢ : الأبيات في بهجة المجالس ١/٧١٢ ، وهي غير منسوبة في عيون الأخبار ٣/٨١ ، والصداقة والصديق : ٥٣ ، والمحاسن والأضداد : ٣٨ ، والمحاسن والمساوىء ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ ، والأبيات ١ - ٤ في العقد الفريد لابن أبي حازم .

ق/١٤ : البيتان ٣ ، ٤ في شروح سقط الزند ٣/١٢٣٤

ق/١٥ : البيتان لأشجع السلمي في طبقات الشعراء : ٢٥٢ ، وانظر محاضرات الأدباء ٤/٥٢٦

ق/١٨ : البيت الرابع في التبيان في شرح الديوان ٢/٣٣٩

ق/١٩ : البيتان ١ ، ٣ في المستطرف في كل فن مستظرف ٢/٢٠٥

ق/٢٤ : الأبيات في بهجة المجالس ١/٤٦٣

ق/٢٥ : الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ في عيون التواريخ ٧/٥٢ ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٥ - ٨ ، ١١ ، ١٢ في قطب السرور : ٦١٢ - ٦١٣

ق/٢٨ : البيتان ٢١ ، ٢٣ في التشبيهات : ١٨٤

ق/٣٠ : البيت الأول في بهجة المجالس ١/٤٦٤

ق/٣١ : الأبيات في خاص الخاص : ٨٩ ، وطبقات الشعراء : ٧٥ والعقد الفريد ٣/٢٢١ ، والبيتان ٢ ، ٣ في التشبيهات : ٣٧٣ لأبي العتاهية.

ق/٣٢ : الأبيات ٣ - ٥ ، ٧ في عيون التواريخ ٧/٥٣ ، والبيت الأول في الصبح المنبي عن حيثية المتبني : ٤٦ ، والبيت السابع في المنتحل : ١٧٦ ، وخاص الخاص : ٨٩ ، والبيت الخامس عشر في

التبيان في شرح الديوان ٣/ ٣٦٠ . وانظر محاضرات الأدباء ٢/٩٠٥ ، ٤/٦١٧

ق/٣٣ : الأبيات في الحماسة الشجرية ٢/٨١٧ ، وعيون الأخبار ٤/٥٢

ق/٣٤ : البيت في غرر الخصائص : ٢٥٠ غير منسوب .

ق/٣٦ : البيتان في تاريخ الموصل : ٣١٧ ، والبداية والنهاية ١٠/٢٢٢

ق/٣٩ : البيتان في التشبيهات : ٨٢ غير منسوبين .

ق/٤٠ : الأبيات في غرر الخصائص : ١٠ غير منسوبة ، والبيت الأول في محاضرات الأدباء ١/٢٩٦

ق/٤١ : البيتان في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢٦٠

ق/٤٤ : البيتان في العقد الفريد ١/١٢٤ ، ونسبا في ٤/١١ إلى أعرابية ، ويروى معها بيت آخر هو :

كنت أخباك لاعتداء يـد الدهر ولم تخطر المنون ببالي

ق/٤٥ : الأبيات في التبيان في شرح الديوان ٢/٢٩٤ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ٤٢٤ ، وبهجة المجالس ١/٢٥١ ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ في شروح سقط الزند ٣ / ١٣٧١ ، والبيت الخامس في محاضرات الأدباء ٣/٦٣ ، والتبيان في شرح الديوان ٢/١٦٢

ق/٥٠ : الأبيات في كتاب الأشربة : ٤٣ ، وطبقات الشعراء : ٧٤ ، ومن غاب عنه المطرب : ٢٦٩ — ٢٧٠ ، وروضة المحبين : ٨١ ، ٨٢ ، ٢٩٧ ، وسمط اللآلي ١/٥٠٧ ، وشرح المضنون : ٢٥٧ — ٢٥٨ وعيون التواريخ ٧/٤١ ، وانظر ٧/٥٢ ، والبيت الرابع في الصبح المنبي : ١٨٩ ، والبيت الأول في قطب السرور : ١٥٩ ، وانظر المخلاة : ١٣٥

ق/٥١ : البيتان لبكر بن النطاح في المستطرف في كل فن مستظرف ١٤/٢ ، وأمالي المرتضى ٩٧/٢ ، ومحاضرات الأدباء ٣٠١/٣ ، ومن غاب عنه المطرب : ٢٧١ ، والظرف والظرفاء : ١٣٩ ، والإعجاز والإيجاز : ٥٥ ، وعيون التواريخ ٦٩/٧ ، وللحسين بن مطير في معجم الأدباء ٩٨/٤ ، وانظر ديوانه : ٧٢ ، كما نسب البيتان إلى أبي حية النميري في أمالي الزجاجي : ١٠١ ، والمستهل بن الكميت في الأغاني ١١٧/١٥

ق/٥٣ : الأبيات في المنتحل : ١٤٧ — ١٤٨ غير منسوبة ، والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ في الموشى : ٢٠٣ غير منسوبة أيضاً .

ق/٥٤ : الأبيات في البصائر والذخائر ٥٤٦/٢ — ٥٤٧

ق/٥٥ : الأبيات ١ - ٣ في مصارع العشاق ١٤٣/١ غير منسوبة ، والأبيات ١٤ — ١٧ ، ٢٢ في عيون التواريخ ٥٣/٧ وقطب السرور : ٢١٦ - ٢١٧ ، ٧١٤

ق/٥٧ : البيتان في خاص الخاص : ٨٩ ، والإعجاز والإيجاز : ٥١ ، والبيت الثاني في التبيان في شرح الديوان ٢٠١/٣ ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي : ١٩١ ، وهما بلا نسبة في بهجة المجالس ٥٩١/١ ، ٥١٢ ، والبيت الأول في غرر الخصائص ١٤ غير منسوب أيضاً ، وانظر التشبيهات : ٢٦٣

ق/٥٨ : البيتان في شرح المقامات ٨/٢

ق/٥٩ : البيتان في الحماسة الشجرية ٣٩٩/١

حلب محمد يحيى زين الدين

آراء وأنباء

توضيح وتعقيب
على مقال الأستاذ محمد جميل بيهم

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

لمقالة الأستاذ محمد جميل بيهم المنشورة في العدد الرابع من المجلد التاسع والأربعين أهمية خاصة ، لأن كاتبها عاصر بعض الحوادث التي وصفها وشارك في بعضها الآخر . لهذا أستأذنه ، لزيادة الفائدة من مقالته ، توضيح بعض ما كتب وتصحيح بعض الهفوات :

١ — صفحة ٧٦٤ : اتخذ الأستاذ تقرير اللجنة الملكية البريطانية التي بحثت قضية فلسطين في سنة ١٩٣٧ مرجعاً في تاريخ القومية العربية فنقل ما جاء فيه أن الكلية السورية الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأمريكية الآن) بعثت روح القومية العربية في شباب سورية . وهذا وهم لا تؤيده الحقائق . لا شك في فضل الجامعة في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى حتى الآن ، أمّا الكلية فكان التبشير بالمذهب البروتستانتي هدفها الأول منذ تأسيسها ، ولم تعلّم من المباحث ما غذّى الروح القومية ، ولم يكن بين معلميها من اهتم بذلك . (بحثنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في هذه المجلة آخرها في الجزء الرابع من المجلد السابع والأربعين ، وفي مقالة « أوهام حول النهضة » نشرت في العددين الثالث والرابع لسنة ١٩٧١ من مجلة Middle East Forum) .

٢ — صفحه ٧٦٥ : يذكر الأستاذ أن تركيا دخلت الحرب في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وعلى صفحة ٧٦٧ ينقل أنها دخلتها في ٣١ تشرين الأول . والحقيقة لا هذا ولا ذاك . بدأت بريطانيا بإعلان « حالة حرب » مع تركيا في ٥ تشرين الثاني . أما تركيا فلم تعلن الحرب حتى ١٤ منه ، وكان ذلك بصورة مزدوجة : إعلان من الحكومة التركية موجه إلى حكومات بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وإعلان من السلطان بصفته خليفة المسلمين موجه إلى المسلمين الخاضعين لحكم تلك الدول والمجندين في جيوشها يأمرهم بالثورة والعصيان تحت راية الجهاد الإسلامي . (راجع جريدة طنين التركية في ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٢/١٥ تشرين الثاني ١٩١٤)

٣ — صفحة ٧٦٧ : عند إعلان الحرب كان اللورد كتشنر يشغل وظيفة المعتمد البريطاني في مصر ، فرُقي وزيراً للحربية وخلفه السير هنري مكماهون ، لا رونالد ستورس كما يقول الأستاذ . كان ستورس هذا السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطانية ورتبته تأتي بعد المستشار والسكرتير الأول والثاني والثالث (راجع قائمة موظفي وزارة الخارجية البريطانية لسنة ١٩١٤ : Foreign Office List) .

٤ — صفحة ٧٧٠ : سلسلة الحوادث والتواريخ الخاصة بدخول دمشق في تشرين الأول ١٩١٨ كما ذكرها الأستاذ غير صحيحة . وهذه هي الحقائق : انسحبت مؤخرة الجيش التركي من المدينة قبل ظهر يوم ٣٠ أيلول ، وفي الحال رفعت الأعلام العربية على دار البلدية وأعلن قيام حكومة عربية . وفي مساء ذلك اليوم وصلت القوات العربية والبريطانية إلى ضواحي المدينة ، وفي فجر اليوم التالي أول تشرين الأول دخلتها قوة الهجانة العربية بصورة رسمية ، وعبرت ضواحيها الشمالية قوة الخيالة الاسترالية اضطراراً وبصورة

غير رسمية ، فقد أمر الاستراليون بقطـع الطريق بين دمشق وحمص أمام فلول الأتراك ، فوجد قائدهم أن التضاريس الطبيعية في وادي بردى لاتمكن الخيالة من اجتيازه فأمرهم باجتيـاز ضواحي المدينة من الشمال للوصول إلى غرضهم . وإلى ذلك يشير الزهاوي بقوله :

فقد ذَرَّ قرن الشمس أو كاد وانجلت   من الليل عن صبح النجاة سدول
وجاءت خيول العرب تعدو وراءها   بقربـــة الإنـكليز خيـــــــول

وكان أول من دخل المدينة من القواد العرب الشريف ناصر ،ومعه نوري الشعلان ونوري السعيد . أما الأمير فيصل فقد دخلها في يوم ٣ تشرين الأول (لا يوم ١٠ كما يقول الأستاذ) ، وبعده بساعات دخلها القـائد البريطاني العام الجنرال اللنبي ، فوجدها ، كما قال في تقريره لوزارة الحربية ، تحت حكم عربي . (هذه الحقائق مستمدة من تقريره الرسمي الموجود في دار الوثائق البريطانية في لندن . وقد فصلنا ذلك في كتابنا : تاريخ سورية الحديث 268-9 A modern History of Syria , London 1969 , p .) .

٥ — صفحة ٧٧٢ : يذكر الأستاذ أنه بعد أن أفشى البولشفيك سر معاهدة سايكس – بيكو استفسر الملك حسين من مكماهون وأن هذا أكد له « أن الإنـكليز لا يزالون على عهدهم له ، وأنهم مصممون على إعلان الحرية للعرب والوحدة العربية » . الحقيقة أن الملك حسين استفسر من خلف مكماهون وهو السير ريغنالد وينغيت ، فحوّل هذا السؤال إلى لندن وجاء الجواب بامضـاء وزير الخارجية بلفور . وهو كالعادة غامض جداً ولا ذكر فيه للوحدة العربية لا تصريحاً ولا تلميحاً . (تفصيل الخبر في كتابنا المذكور أعلاه ص ٢٦١ – ٦٢)

معهد التربية – جامعة لندن   **عبد اللطيف الطيباوي**

سـؤالان لغويان

الأستاذ محمد العدناني

أرجو إجابتي عن السؤالين الآتيين[1] :

(١) لقد استشرتُ أربعة عشر مصدراً لغوياً ، بينها الصحاح ، ومقامات الحريري ، والأساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمتن ، وأقرب الموارد ، بحثاً عن قولنا « كُتُبٌ عديدةٌ » ، فوجدتها تقول : إن **العديدَ** هو **العَدَدُ** .

بينما قال الراغب الأصفهاني إنّ الجيش **العديدَ** هو **الكثيرُ** . وقال اللسان : **العديدُ** : **الكثرةُ** (لم يَقُلِ : **الكثير**) . وقال المعجم الوسيط : **العديدُ** : **العددُ الكثيرُ** (يُقالُ : **ما أكثرَ عديدَهم** !) . فلو صح قول الوسيط هذا ، ودل (**العديدُ**) على الكثرة ، لما احتجنا إلى استعمال (**أكثر**) ، إذ يصبح معنى الجملة : ما أكثر كثرة عددهم ! وهذا غير معقول .

وقال إن (**العديدةَ**) تعني الحِصَّةَ ، كلٌّ من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومَدِّ القاموس ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وذكرَ أن (**العِدَّة**) هو الكثرة ، كلٌّ من اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

---

(١) السؤالان موجهان إلى السادة أعضاء مجمع اللغة العربية وإلى العاملين في الحقل اللغوي بعامة .

بينما ذكر التاجُ والمتن أن العِدَّةَ هي الجماعة قَلَّتْ أو كثرت .

ويقول دوزي في « مستدرك المعجمات » : مدائن عِدَّةٌ : كثيرةٌ .

فهل يعني قولنا : « كُتُبٌ عديدةٌ » أنها كثيرة ، أم يعني أنها معدودة ، أم يعني كلتيهما ؟ وهل يحق لنا أن نقول : عِدَّةُ كُتُبٍ ، وكُتُبٌ عِدَّةٌ ؟ وإذا كان لا يحق لنا ذلك فما هو المانع ؟

(٢) هل يحق لنا أن نقول : هذه هي دعوتُه الحقَّةُ إلى الجِهاد ، أم يجب أن نقول : دعوتُه الحقُّ إلى الجهاد ؟

ذكر العلامة الأستاذ عباس حسن في النحو الوافي ٣/١٨٠ ، و ٣/١٨٣ و ٣/٢٠١ أن المصدر لا دلالة له على تذكير أو تأنيث ، وأنه « يدل في الغالب على مجرد الحدث . أي : يدل على أمر معنويٍ محض ، لاصلةَ له بزمان ، ولا بمكان ، ولا بذات ، ولا بعَلَميَّةٍ ، ولا بتذكيرٍ ، أو تأنيث ، ولا بإفرادٍ ، أو تثنية ، أو جمع أو غيره » .

ويقول العلامة مصطفى الغلاييني في « جامع الدروس العربية » ٣/٢٢٥ : « المصدر الموصوف به يبقى بصورةٍ واحدةٍ للمفرد ، والمثنى ، والجمع ، والمذكر ، والمؤنث فنقول : رجلٌ عَدْلٌ ، وامرأةٌ عدلٌ ، ورجُلانِ عدْلٌ ، وامرأتانِ عدْلٌ ، ورِجالٌ عَدْلٌ ، ونساءٌ عدلٌ » .

وكلمة (الحقّ) هي مصدرٌ . ولكنّ القاموس ، والتاج ، والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والوسيط تقول : إن مصادر الفعل حَقَّ يحِقُّ أو يَحُقُّ ، هي : حقَّةٌ ، وحَقٌّ وحُقوقٌ . ومعنى الفعل حقَّ : صار حقاً .

وأنا أرى أن المصدر (حقّة) يجيز لنا أن نقول : **الدعوة الحقة** ؛ لأننا لسنا في حاجة إلى الإتيان بالصّفة مذكّرةً لموصوف مؤنث ، ما دام لدينا مصدر مؤنث أيضاً ، يفرض علينا أن نقول : **الدّعوةُ الحقّةُ والقولُ الحقُّ** .

وقد خطّأوا قبلَ ذلك من يؤنّث المصدر (بَحْت) ، ومن يثنيه ويجمعه ، ولكن الصحاح ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومدّ القاموس ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والوسيط ، أجازوا تأنيث المصدر (**بَحْت**) ، وتثنيته ، وجمعه ، وقولَ : قضية سياسية **بَحْتَة** ، مع أن مصدري الفعل بَحُتَ ، هما (بَحْتٌ) و (بُحُوتةٌ) ، وليس معهما (**بَحْتة**) ، كما هو الحالُ في مصادر الفعلِ حَقَّ : **حَقٌّ** ، **وحَقّةٌ** **وحقوقٌ** .

والمصدران (**بَحْتٌ**) و (**حَقٌّ**) هما أيضاً اسمان (كما تقول المعاجم كلها) يجب علينا أن نؤنثهما مع موصوفها المؤنث ، ونذكرهما مع موصوفها المذكر .

فهل نقول : **الدعوةُ الحقُّ** ، أم **الدعوةُ الحقّةُ** ، أم نقول كلتيهما ؟

أرجو أن تزودوني برأيكم الموفق خلال الأشهر الثلاثة المقبلة ، لكي أنشره في معجمي الجديد « معجم عثرات الأدباء » مع الاستفتاء الإملائي عن كتابة همزتي الوصل والقطع ورسم تنوين النصب .

وتفضلوا في الختام بقبول شكري وشكر الضاد والناطقين بها .

بيروت **محمد العدناني**

مخطوطات قيمة

في مكتبة مجمع اللغة العربية

كانت مكتبة علامة الشام المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني (١٢٦٧ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٥١ - ١٩٣٥ م) رحمه الله ، قد ضمت ، سواء في مقره في دار الحديث الأشرفية أم في منزله ، مجموعة طيبة من المطبوعات والمخطوطات النادرة ، مما كان يحرص أشد الحرص على حفظه وحمايته وتأمين حسن الإفادة منه .

وكان من وصيته رحمه الله ، في شأن الكتب (الموقوفة) التي تناهت إلى مكتبته ، أن ترد إلى جهة علمية موثوقة تتولى متابعة حمايتها وحفظها وتمكين طلاب العلم من الإفادة منها .

وقد تولى الأستاذ محمد فخر الدين الحسني حفيد المحدث الأكبر إنفاذ وصية جده ، على خير وجوه الإنفاذ ، حين ارتأى أن تودع تلك المخطوطات مكتبةَ مجمع اللغة العربية بدمشق لتكون في متناول الباحثين والدارسين . وتفضل فبعث بها إلى المجمع .

إن مجمع اللغة العربية الذي يعرف فضل المحدث الأكبر العلامة الشيخ محمد بدر الدين الحسني[١] على الثقافة الإسلامية ويدرك عمله في إشاعتها من

(١) انظر في ترجمة الشيخ : مجلة مجمع دمشق : مج ١٣ : ٢٩٦ - ٣٥٠ وكتاب الأعلام للزركلي ٨ : ٣٣

خلال تدريسه الذي لم ينقطع مدة قاربت ثلاثة أرباع القرن، ويقدّر ما كان من أثره في تكوين نخبة من العلماء وجمهرة كبيرة من المتعلمين والمتفقهين، ليفيدُ من هذه المناسبة فيسأل الله أن يجزيه أفضل الجزاء، ويشكر لحفيده الأستاذ محمد فخر الدين الحسني حسن قيامه على ما خلفه جده من كتب التراث المجيد وصيانته لها ثم قيامه بتنفيذ الوصية على خير وجه.

وفيما يلي قائمة بأسماء المخطوطات التي دخلت خزانة كتب المجمع مع تعريف موجز بها:

١ ـ المجلد الأول من شرح المحصول. لأبي عبد الله محمد بن محمود ابن محمد الأصفهاني. أوله الحمد لله على نعمه، ومن نعمه حمده.

٢ ـ المجلد الثاني من شرح المحصول للأصفهاني. تاريخ نسخه ٦٩٨ هـ الناسخ مأمون بن محمد بن مأمون بن محمد بن كمال الإيجي.

٣ ـ الجزء الأول من نفـائس الأصول في شرح المحصول للرازي. تأليف الشيخ أحمد شهاب الدين بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي. أوله: الحمد لله الذي تفرد في عظم ألوهيته بكمال المجد والعلاء.

٤ ـ الجزء الثاني من النسخة نفسها.

٥ ـ الجزء الثالث من النسخة نفسها. تاريخ نسخه ٧٠٩ هـ

٦ ـ حاشية ميرزا جان على شرح حكمة العين، لمبارك شاه. أوله: بسم الله الرحمن الرحيم قال الشارح الحكمة.. وعليها حواش مفيدة.

٧ ـ كتاب في الاستعارات. مجلد ناقص من آخره. أوله: الحمـــد لله الواجب وجوده. أقول افتتح كتابه بالحمد.

٨ – شرح مختصر المنتهى للعضد الإيجي في أصول الفقه . أوله : الحمد لله الذي برأ الأنام . تاريخ نسخه ١٠٥٢ هـ

٩ – الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع لأبي زرعة العراقي . أوله : أما بعد حمد الله والصلاة على رسوله . نسخة قيمة وقديمة

١٠ – الترغيب والترهيب للمنذري المجلد الثاني قديم . أوله كتاب اللباس والزينة .

١١ – شرح القسم الثالث من المفتاح للسيد الشريف الجرجاني مجلد . أوله : نحمدك اللهم على ما هديتنا إليه من دقائق المعاني . تاريخ نسخه ٨٦٣ هـ

١٢ – الجزء الثاني من تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني . أوله بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . باب إعمال المصدر ، تاريخ نسخه ٨٤٥ هـ

١٣ – النكت على ابن الصلاح للبدر الزركشي . أوله الحمد لله الذي أعلى منار الإسلام . تاريخ نسخه ٨٨٩ هـ

١٤ – نهاية السول في شرح منهاج الأصول لجمال الدين أبي الحسن الأسنوي . أوله : الحمد لله الذي مهد أصول شريعته . تاريخ نسخه ٨٤٣ هـ

١٥ – حاشية على شرح المختصر للعضد الايجي ، للأبهري . أوله : الحمد لله الذي شرح الأحكام وربطها بدلائل كلية . تاريخ نسخه ٨٢٠ هـ

١٦ – المجلد الثالث من تفسير القرطبي ، من سورة التوبة . مخروم أوله وآخره .

١٧ – الفوائد شرح الزوائد . وهو شرح على منهاج البيضاوي للشيخ برهان الدين الأبناسي . مخروم الآخر . أوله : الحمد لله الذي أسس شريعته ببنيه أحسن أساس . عليه تمليك في ٩٢٨

١٨ ـ الأول من تفسير علي بن الحسين بن عروة الحنبلي المسمى بالكواكب الدراري . وهو المجلد العشرون . أوله : الحمد لله نحمده ونستعينه . تاريخ نسخه ٨٢٥ هـ . كتبه تلميذ المؤلف .

١٩ ـ المجلد الأول من نهاية الوصول في دراية الأصول ، لصفي الدين الهندي . مخروم الأخير . أوله : الحمد لله محيي الأمم بعد فنائها .

٢٠ ـ شرح التسهيل لابن مالك . للشيخ أبي بكر الدماميني . أوله : اللهم إياك نحمد على نعم توجهت الآمال إلى نحوها . تاريخ نسخه ١٠٣٠ هـ .

٢١ ـ شرح الاخسيكتي في أصول الفقه ، للشيخ حسام الدين السغناقي . أو كتاب الوافي في شرح المختصر في أصول الفقه . أوله : الحمد لله الذي جعل قوانين الشرع أصوله . تاريخ نسخه ٧٢٦ هـ

وقف ابن طولون على مدرسة أبي عمر بالصالحية

٢٢ ـ شرح مختصر ابن الحاجب للسعد التفتزاني . أوله : الحمد لله الذي وفقنا للوصول إلى منتهى أصول الشريعة الغراء . تاريخ نسخه ٩٩٢ هـ

٢٣ ـ النكت العرفية بما في شرح الألفية . لبرهان الدين البقاعي . كتب عن نسخة قرئت على المؤلف . أوله : الحمد لله الذي من أسند إليه ضعيف عزمه قوّاه : تاريخ نسخه ١١١٦ هـ

٢٤ ـ رسالة إثبات الواجب للجلال الدواني . أوله : سبحانك ما أعظم شانك . بهامشها تعليقات بخط دقيق .

٢٥ ـ حاشية قره ياغي على إثبات الواجب للجلال الدواني . أوله : قوله شكراً لله ،

٢٦ - المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي . مخروم الأول بنقص ورقة واحدة تقريباً أوله : « أبي سليمان الفلسطيني » وهو في خمسة أجزاء في مجلد واحد . نسخة قديمة عليها سماعات منها سماع سنة ٥١١ هـ بجامع دمشق بقراءة أبي محمد عبد الرحمن السلمي وغيره .

٢٧ - شرح السخوية في علم الحساب للشيخ حسين المحلي . أوله : الحمد لله الذي خص العلماء . ومعه حاشية كاشفة الهموم والبلية عن المتوقف في الفوائد الشنشورية للشيخ علي البقاعي . أوله : الحمد لله الحليم المنـان . تاريـخ نسخه ١١٤٨ هـ وهو بخط المؤلف

٢٨ - شرح الشافية لكمال الدين محمد الفسوي . أوله : الحمد لله الذي أمال قلوبنا إلى صرف الهمم نحو ... تاريخ نسخه ١٢١٣ هـ

٢٩ - شرح المحصل للرازي ، للشيخ نجم الدين الكاتبي . نسخة قديمة أولها : الذي أفاض بجوده العام .

٣٠ - التلخيص في الفرائض للشيخ عبد الله بن إبراهيم الخبري . أوله : الحمد لله أهل الحمد ومستحقه . تاريخ نسخه ٧١٨ هـ

٣١ - العقود الجوهرية في حل الأزهرية لناصر الدين الطبلاوي . أوله : أحمد من جمع الكمال في خلاصة خلقه أحمد . تاريخ نسخه ١٠٢٣ هـ

٣٢ - شرح الرساله العضدية . مجهولة المؤلف . أولهـا : الحمد لله على إفهام الخطاب .

٣٣ - حاشية العلامة العكاري على السنوسية الكبرى في علم التوحيد أوله : قوله الحمد لله ... الخ

٣٤ - المجلد الأول من الإبهاج في شرح المنهاج للعلامة ناصر الدين

لشيخ الإسلام تاج الدين السبكي . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه . قال الشيخ الإمام . نسخة قيمة قديمة محررة ومضبوطـة على المؤلف السبكي بخط أحمد بن عبـد الرحمن ابن عبد الله سنة ٧٦٥ هـ

٣٥ ـ المجلد الثاني منه . أوله : قال : الكتاب الثاني في السنة وهي قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو فعله ـ الورقة الأخيرة بها تآكل .

٣٦ ـ غاية الأصول إلى علم الفصول للقاضي زكريا الأنصاري . أوله : بعد البسملة والصلاة على نبيه وبعد فقد علقت فيما مضى الفصول المهمة في علم الميراث لابن الهائم .

٣٧ ـ كتاب في الفرائض على مذهب الإمام الشافعي. مخروم الأول والآخر.

٣٨ ـ شرح قصيدة الإمام الساوي لعبيد الله بن عبد الكافي بن عبد المجيد العبيدي في علم العروض . أولها : الحمد لله رب العالمين . بحمـد المليك الحق ذي الطول والعلا .

٣٩ ـ حاشية الشيرانشي على عصام ، في علم الوضع. أوله : يا معين ،قوله .على تقدير تقدم الديباجة . وعليه حواشٍ ، مخروم الآخر .

٤٠ ـ مجموع يحتوي أولاً : على رسالة في بيان المقصور والممدود . أولها: بدأت بحمد الله فهو ثناؤه . ثانياً : منظومة في مدح النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم أولها : أصلي صلاة تملأ الأرض والسما ، على حروف الهجاء . ثالثا : شرح شهاب الأخيار للقضاعي أوله : الحمد لله : هو الوصف الجميل . رابعاً : حاشية الجلال المسماه بالمحاكات لأحمد به حيدر . أوله: كيف لا أحمد لمن تتالت من فضله الآلاء . تاريخ نسخه ١٢١٩ هـ

٤١ - كتاب الأمالي على نظم اللآلي للبدر الزركشي أوله : الحمد لله العادلةقسمته . في علم الفرائض . نسخة منقولة عن نسخة المؤلف بخط أحد تلامذته أحمد بن أبي بكر السيوطي . تاريخ نسخه ٨١٧ ﻫ

٤٢ - كتاب منع الموانع عن جمع الجوامع للعلامة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي تاريخ نسخه ٧٦٢ ﻫ وقد قوبل على نسخة مقابلة على نسخة المؤلف

٤٣ - حاشية مولانا حسين على شرح المطالع ، أوله بعد البسملة : قوله الفياض الوهاب . كتب على غلافه : غرة ذي الحجة ٨٨٨ ﻫ

٤٤ - حاشية حسن بن عبد الصمد السامسوني على شرح العضدية . أولها: أحمدك اللهم يا أهل الحمد والثناء . تاريخ نسخها ٨٨٩ ﻫ

٤٥ - مجموع فيه ١ - حاشية على آداب البحث للسمرقندي . أوله الحمد لله رب العالمين . وهي الرسالة المسماة المسعودية . تاريخ نسخها ٩٥٥ ﻫ

٢ - حاشية عماد لمسعود رومي أولها : قوله المنة علينا .

٣ - وشرح القطب الكيلاني على آداب البحث للسمرقندي . أوله : الحمد لله الذي هدانا إلى سواء السبيل .

٤٦ - الجزء الأول من الفتوحات الربانية بشرح الاذكار النووية لمحمد ابن علي بن علان . أوله : الحمد لله الذاكر من ذكره . تاريخ نسخه ١١٣٥ ﻫ

٤٧ - الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للإمام ابن تيمية . أوله : الحمد لله الهادي النصير . مخروم الآخر عدد أوراقه ٢٤٥ ورقة نسخة جيدة وقديمة

٤٨ - القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للإمام السخاوي . أوله : الحمد لله الذي شرف قدر سيدنا محمد . نسخة قديمة . كتبه أبو بكر أحمد بن إبراهيم الحلبي سنة ٨٨٢ ﻫ

٤٩ - حاشية على جوهرة التوحيد للعدوي . أوله : الحمد لله الذي حلّى أفهام العارفين بفرائد أدلة التوحيد . مخروم الآخر .

٥٠ - شرح هداية المريد لجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني . أوله : الحمد لله الذي تفرد بوجوب وجوده . مخروم الآخر .

٥١ - شرح التجريد في العقائد للأصفهاني . أوله : الحمد لله المتوحد بوجوب الوجود . تاريخ نسخه ٨٦٨ هـ

٥٢ - تقريرات الإمام ابن حجر الهيتمي على الأربعين النووية . أوله : الحمد لله الذي وفق ، من المعلوم أن الموصول الاسمي . مخرومة الآخر .

٥٣ - شرح الجزرية لابن المصنف. أوله :الحمد لله المتعالي في جلال قدسه .

٥٤ - الجزء الأول من منح الغفار شرح تنوير الأبصـار للتمرتاشي أوله : إن أجدر ما افتتحت به الكتب والدفاتر .

٥٥ - المجلد الثاني من منح الغفـار تملكه العلامة حامد العمادي سنة ١١٤٠

٥٦ - حاشية العلامة ابن قاسم العبادي على حاشية شيخـه اللقاني في شرح التصريف . أوله : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

٥٧ - حاشية العدوي على شرح المدهدي على متن السنوسية . أوله : الحمد لله الواجب الدوام . مخروم الآخر .

٥٨ - أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل للإمام ابن حجر الهيتمي . أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد . تاريخ نسخه ١١٣٩ هـ

٥٩ - كتاب في التوحيد للعلامة إبراهيم اللقاني . مخروم الأول .

٦٠ - كتـاب المحاكمات وهو حاشية للعلامة عبـد الله بن حيدر

الكردي الحسين أبادي . أوله : حمداً لمن تمثل في مرائي أجناس العالم . ومعه تعليقة لطيفة على حواشي الأحمدية على الفوائد الفنارية .

٦١ - تفسير الكشاف للإمام الزمخشري . أوله : الحمد لله الذي أنزل القرآن . نسخة خزائنية مذهبة خط جميل . كتب ١١٤٩

٦٢ - الجزء الأول من طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين السبكي . أوله : الحمد لله نحمده ونستعينه .

٦٣ - الجزء الثاني من الطبقات الكبرى للإمام الشعراني وبه تكتمل النسخة أوله : عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ أبو بكر الجرجاني . نسخة خزائنية مذهبة بخط نسخي جميل . تاريخ نسخه ١١٢٨ هـ

٦٤ - حاشية قاآني على المغني في علم أصول الفقه . أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله . بخط محمد بن حسام بن سعد الملك البدخشاني . تاريخ نسخه ٧٨٣ هـ

٦٥ - المجلد الأول من حاشية قطب الدين الشيرازي على الكشاف للزمخشري . أوله : الحمد لله الذي علم القرآن . مجلد ضخم .

٦٦ - حاشية السعد التفتازاني على الكشاف للزمخشري . أوله : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب . تاريخ نسخه ١٠١٩ هـ

٦٧ - العهود الصغرى للإمام الشعراني . أوله : الحمد لله رب العالمين وبعد فهذه عهود ومواثيق أخذت علينا من مشايخنا .

٦٨ - آكام المرجان في أحكام الجان للعلامة الشيخ بدر الدين الشبلي . أوله : الحمد لله خالق الإنس والجنة .

٦٩ - كتاب هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك للعلامة الشيخ

عز الدين بن جماعة . أوله : الحمد لله الذي شرع لقاصديه أقصد الطريق . تاريخ نسخه ٧٦٠ هـ . وعليه سماع على العلامة الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن الفرات سنة ٧٦٥ هـ بخطه .

٧٠ ـ الجزء الأول من البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي . أوله: الحمد لله مبدىء صور المعارف . نسخة قديمة . وهو مما أوقفه محمد بن طولون على مدرسة أبي عمر بالصالحية .

٧١ ـ الجزء الثاني من شرح المحرر ، لعله للرافعي . أوله : باب الغصب تاريخ نسخه ٨٨٠ هـ

٧٢ ـ شرح هياكل النور للإمام السهروردي . أوله : يامن نصب رايات آيات قدرته . كتب ٩٧٣ وبآخره رسائل أخرى

٧٣ ـ مجموع رسائل فيه :

أولاً ـ النسمات السحرية في مدح خير البرية . أوله : يامن جمل نور نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . لأحمد المنيني .

ثانياً ـ قصيدة للشيخ محمد الفاسي الشهير بابن الطيب ، أولها : قباب قباء تلكم أم قبا سلع .

ثالثاً ـ رسالة العقد نظم عبد اللطيف بن فتح الله . أولها : الحمد لله القريب مجيب دعوة الداعي .

رابعاً ـ حلية الاصطفا في حلية المصطفى صلى الله عليه وسلم لمحمد سعيد اللقيمي المتوفى ١١٦٨ . أولها : أحمد الله كم له آلاء .

خامساً ـ تخميس لامية ابن الوردي : إلى متى أنت باللذات مشغول .

سادساً ـ أشعار مختلفة للشيخ علي العدوي ومحمد أفندي جمال الدين الغزي .

سابعاً ـ منهاج العارف المتقي ومعراج السالك المرتقي . نسب للشيخ الأكبر .

ثامناً ـ شرح موال الشيخ الأكبر للشيخ عمر اليافي .

٧٤ ـ حاشية الخضري على الشنشوري في علم الفرائض . أوله : الحمد لله الوارث بعد فناء خلقه .

٧٥ ـ شرح نخبة الفكر في مصطلح الأثر للإمام ابن حجر العسقلاني . أوله : الحمد لله الذي لم يزل عالماً قديراً . تاريخ نسخه ١١٥٦ هـ

٧٦ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة . أوله : الحمد لله مميز الخبيث من الطيب . مخروم الآخر .

٧٧ ـ كتاب جنة الصابرين الأبرار وجنة المتوكلين الأخيار للشيخ عبد العزيز ابن العز البغدادي قاضي القدس الشريف . أورد فيه ماورد في القرآن الكريم من آيات الصبر والتوكل والآيات المشوقة إلى الجنة . أوله : الحمد لله شامل الصابرين برحمته . نسخة قديمة جيدة . جلدها جميل .

٧٨ ـ شرح الكافية للعلامة العصام . أوله بعد البسملة : الحمد لله والصلاة على نبيه أما بعد فهذه نبذة من الأفكار . مخروم الآخر .

٧٩ ـ شرح المراح لحسن باشا . أوله : الحمد لله الذي صرف أفكار قلوبنا إلى الصراط المستقيم تاريخ نسخه ٩٩٠ هـ

٨٠ ـ مجموع كتابين : أولاً : كتاب في عوامل النحو مخروم الأول .
ثانياً : تركيب العوامل في النحو .أوله بعد البسملة : الباء عامل لفظه سماعي .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
اختلاف الفقهاء (الجزء الأول)	أبو جعفر الطحاوي. تحقيق محمد صغير حسن المعصومي	إسلام آباد ١٩٧١
دلائل النظام	عبد الحميد الفراهي	أعظم كره ١٣٨٨هـ
ابن الحاجب النحوي (آثاره ومذهبه)	طارق عبد عون الجنابي	بغداد ١٩٧٤
فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة (الجزء الأول)	هادي كمال الدين	بغداد ١٩٦٢
ابن سينا ومذهبه في النفس	الدكتور فتح الله خليف	بيروت ١٩٧٤
الاتجاهات المتوقعة لعبء معاش الشيخوخة الشامل لكافة أفراد المجتمع في مصر	الدكتور محمد صلاح الدين صُدقي	» ١٩٧٤
الاستغلال كسبب لإبطال العقد	الدكتور عبد المنعم فرج الصدة	» ١٩٧٤
حقوق الإنسان بين الأمس واليوم	وجدي ملاط	» ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الصحاح في اللغة والعلوم	نديم مرعشلي ـ أسامة مرعشلي	بيروت ١٩٧٤
فروض علمية في تفسير علاقات الحرب والسلام	الدكتور محمد طه بدوي	« ١٩٧٤
مساهمة الفكر الكلاسيكي في التحليل الحديث للتنمية الاقتصادية	الدكتور عبد الرحمن يُسري أحمد	« ١٩٧٤
مستقبل النظام المصرفي في الدول العربية	الدكتور علي الجرتلي	« ١٩٧٤
مناهج البحث الفلسفي	الدكتور محمود زيدان	« ١٩٧٤
النظرية العامة للقاعدة الاجرائية الجنائية	الدكتور عبد الفتاح الصيفي	« ١٩٧٤
وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث	الدكتور عبد العزيز نوار	« ١٩٧٤
الوثائق العربية لعام ١٩٧٣	الجامعة الأمريكية	« ١٩٧٣
الوضع السكاني في لبنان	يوسف كرباج ـ فيليب فارغ	« ١٩٧٤
الرياضيات للصف الثاني بجامعة حلب	الدكتور خالد ماغوط	حلب ١٩٦٥
مقاومة المواد	الدكتور عبد الرزاق عرعور	« ١٩٧٤
الهندسة التحليلية في الفراغ	الدكتور خالد ماغوط	« ١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
أبحاث في الاقتصاد السوري والعربي	الدكتور هشام متولي	دمشق ١٩٧٤
أغان بريشة البرق	سليمان العيسى	» ١٩٧٥
أقاصيص سيباستوبول وغيرها	تولستوي. ترجمة الدكتور سامي الدروبي	» ١٩٧٤
أمواج	عبد الرحيم الحصني	» ١٩٧٤
الإنسان والحضارة والتحليل النفسي	ويلهلم رايش وآخرون. ترجمة أنطون شاهين	» ١٩٧٥
حدث في اركوتسك	ألكسي اربوزوف. ترجمة كمال عطية	» ١٩٧٤
الحكايات الشعبية في اللاذقية	أحمد بسام ساعي	» ١٩٧٤
درّ الحبب في تاريخ أعيان حلب (الجزء الثاني القسم الثاني)	ابن الحنبلي. تحقيق محمود فاخوري ويحيى عبارة	» ١٩٧٤
رضا قيصر (مسرحية)	علي عقلة عرسان	» ١٩٧٥
الزيني بركات (رواية)	جمال الغيطاني	» ١٩٧٤
العرب واليهود في التاريخ	الدكتور أحمد سوسة	» ١٩٧٣
عصر العقل (فلاسفة القرن السابع عشر)	ستيوارت هامبشر. ترجمة ناظم الطحان	» ١٩٧٥
العصفور المسافر (قصص للأطفال)	عبد الله عبد	» ١٩٧٥

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا (الجزء الثاني)	الدكتور عدنان درويش	دمشق ١٩٧٤
قانون تنظيم الجامعات	وزارة التعليم العالي	« ١٩٧٥
لمحة عن السرج القديمة ونماذجها في المتحف الوطني بدمشق	بشير زهدي	« ١٩٧٤
مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي	طراد الكبيسي	« ١٩٧٤
منسوجات المتحف الوطني بدمشق	كازوكو يوكو هاري تعريب بشير زهدي	« ١٩٧٤
نجاح بيكاسو وإخفاقه	جون بيرجير. ترجمة فايز صياغ	« ١٩٧٥
نصوص مختارة	بابوف . ترجمة عيسى عصفور	« ١٩٧٤
الوشـــاح الأزرق (قصص للأطفال)	أحمد يوسف داود	« ١٩٧٥
شعر الدعـــوة الإسلامية في العصر الأموي	عبد العزيز الزير ومحمد الأطرم	الرياض ١٩٧٢
شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول	عبد الله الجميثن	« ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني	عائض بنية الردادي	الرياض ١٩٧٢
غمائم الخريف	رياض معلوف	زحلة ١٩٧٤
تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي (الجزء الأول)	سيف مرزوق الشملان	الكويت ١٩٧٥
تاريخ أحمد شاهي (١ - ٢)	محمود الحسيني المنشيء	موسكو ١٩٧٤
تحفة الحضر والأعراب في علم النحو والإعراب	هادي كمال الدين	النجف ١٩٧٤
التخميس والتشطير في أصحاب آية التطهير (١ - ٢)	» » »	النجف ٩٥٩-٩٦٧
التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول	الدكتور محسن غياض	النجف ١٩٧٣
طبقات النحاة واللغويين	ابن قاضي شهبة	النجف ١٩٧٤
لحساب من هذي الخيانة	هادي كمال الدين	النجف ١٩٦٣
المكاسب (١ - ٣)	مرتضى الأنصاري	النجف ٩٧٣-٩٧٤

تصويبات

في العددين الثاني والثالث من المجلد الخمسين

ص	س	الصواب
٢٣١	٥	يجول
٢٥٨	٥	المدوّر
٢٦٠	٨	١٩٢٨
٢٦١	٣	كاف القيام بمهمتين
٢٦٧	٣	عن عدم قبول
٢٦٨	٤	لسياستها واسم
٣٢٧	٢	عبد الرحمن المرتضى
٤٨٧	١٤	Kosk
٤٨٧	١٩	Kofte
٤٨٨	٤	كپچه
٤٩٤	١٤	يلا
٤٩٥	١٢	كَدَرْ
٤٩٦	١٦	غمزوا
٤٩٦	١٦	إباءا
٥٠٠	١٧	أخذْتَ
٥٠٢	٦	ووأغلها
٥٠٣	١٧	للخيّرين
٥٠٤	٢	١٩٣٧ م
٥٠٤	١١	تغتدِ
٥٠٥	٢	في حبّير
٥٠٥	٣	لألاؤه
٥٠٥	١٣	تفورُ
٥٠٥	١٦	ساحرُ
٥٠٧	١٥	بمنونِ
٥٠٨	٤	فرِنْدُ
٥٠٨	١٤	لَطيمة
٥٠٩	٣	بَنيك
٥١٠	١٢	بالماضين

● سقطت الجملة التالية من الصفحة ٤٨٤ : « نشر القسم الأول من هذا البحث في هذه المجلة : مج ٤٨ ج ٣ س ٥١٩ » . ومكانها في الهامش .

● وقع خطأ في ترقيم الصفحتين ٤٥٥ و ٤٥٦ وترتيبها ، وصوابه أن تحل احداهما محل الأخرى في الترقيم والترتيب .

صدر حديثاً

عن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

السعر		الصفحة
١٢،٠٠	كتاب الاختيارين للأخفش الأصغر، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة	٨١٠
١٠،٠٠	مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الجزء الأول تحقيق : الأستاذ ياسين السواس	٤٨٨
١٠،٠٠	مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي الجزء الثاني تحقيق : الأستاذ ياسين السواس	٥٦٠
١٢،٠٠	ديوان الأبيوردي أبي المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق الجزء الأول تحقيق : الدكتور عمر الأسعد	٦٨٠
١٥،٠٠	المحمدون من الشعراء وأشعارهم لجمال الدين علي بن يوسف القفطي تحقيق : الأستاذ رياض مراد	٧٩٢
١٠،٠٠	رصف المباني في شرح حروف المعاني المالقي تحقيق أحمد محمد الخراط	٥٠٩

وسيصدر قريباً

- الجزء الثاني من ديوان الأبيوردي
- ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتمري
- أدب القضاء لابن أبي الدم الحموي
- شرح أبيات كتاب سيبويه لابن السيرافي
- نضرة الاغريض في نصرة القريض المظفر العلوي
- تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد للحافظ العلائي

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخمسين

الصفحة

المقـــالات

التعريف والنقد

آراء وأنبـــاء

الجزء الرابع ٣٧٨ المجلد الخمسون





شوال ١٣٩٥ هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٥ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

أعود إلى موضوع : بقايا الفصاح ، وكلما عدتُ إلى هـذا الموضوع تبين لي فيه وجه جديد ، فإذا كنت أرى في بعض هذه الألفاظ التي تشيـع على ألسن العامة أصلاً فصيحاً فإني أرى فيها وجهاً آخر ، ولست أدري أكنت مصيباً في هذا الرأي أم كنت مخطئاً ، إني أرى أن لغـة العامة قبل العصور التي انحدر فيها الأدب كانت أقرب من اللغة الفصحى وقد يكون السبب في هذا القرب بُعد الأعاجم عن ديارنا ، فلمّا وقـع الاختلاط بالأعاجم انحدرت لغة العامة بعض الشيء وبقيت في هذا الانحدار بقايا من الفصاح لا نزال نسمعها إلى يومنا هذا ، وكيف كان الأمر فإن هذا رأي من الآراء يجوز فيه الأخذ والردّ .

من هذه البقايا مادة : وَرِش ، فكثيراً ما نسمع في لغة العامّة ، ولا سيّما لغة السّيدات : هذا الصبي ورش ، وهم يريدون بذلك أنه كثير الحركة ، كثير الضجة ، كثير اللعب ، إذا وقعت يده على شيء أخذه وربما كسره أو عطله أو ما يشبه ذلك . وما سمعت أن هذه المادة تطلق على الكبار ، ولكنهم يطلقونها على الصغار ، ولا سيما الصبيان . وإني لفي

يوم من أيام مطالعاتي خطر ببالي هذا المثل « بعلّة الورَشان يأكل رُطَبَ المُشان » ، ويضرب على نحو ما هو مدوّن في المعجمات لمن يظهر شيئاً والمراد منه شيء آخر ، فأحببت أن أعرف ما هو هذا الورَشان وإذا هو على نحو ما جاء في القاموس المحيط طائر لحمه أخف من الحمام ، وفي أثناء تفتيشي عن معنى الورشان مررت بمشتقات هذه المادة ، وفي جملتها : الورِش ككتف ، النشيط ، الخفيف من الإبل وغيرها ، وهي بهاء ، فالصبي ورش والبنت ورشة . فنحن نرى أن الورش التي عاشت على ألسن العامة أصلها فصيح ، وأن بين المعنى العامي والمعنى الفصيح تقارباً ، فالصبي الورش الذي تكثر حركاته وتكثر ضجاته ويكثر لعبه بكل ما تمتد إليه يده إنما هو خفيف بطبعه ، نشيط . وإذا كانت المفردات التي تعرب عن هذا المعنى كثيرة في اللغة فإني أعتقد أن مادة الورش التي استفاضت في لغة العامة لا تعدلها مادة ثانية في قوتها .

وما دمنا نعرض لطائفة من صفات الصبيان فلا بأس أن نذكر مادة ثانية يستعملونها في مخاطبة الصبيان ، فإن المرأة إذا أرادت أن تزجر طفلها عند تناول شيء مضرّ أو أن تزجره عند إفساد شيء أو كسر شيء قالت له : كخ ! ماذا نجد في القاموس المحيط ، إنا نجد : كخ كخ ، وتشدّد الخاء فيها وتنوّن وتفتح الكاف وتكسر ، واختارت العامة كسر الكاف وتشديد الخاء ، يقال هذا عند زجر الصبي عند تناول شيء وعند التقذر من شيء ، ولم يذكر الفيروزابادي أصل هذه المادة ، أهي عربية أم هي أعجمية ، وقد قيل فيها إنها عربية ، وقيل إنها فارسية ، وصرح ابن الأثير وغيره من أهل الغريب بأنها غير عربية . هذا ما جاء في شرح ديباجة القاموس ، وقد قرأت في موضع من المواضع أن هذه المادّة تقولها العجم ، وأن العرب يقولون مادّة ثانية على وزن : قد ، ولكني نسيت هذه المادة .

وإذا كانوا يستعملون : كخ كخ عند زجر الصبي عند تناول شيء وعند التقذر من شيء فإنهم عند تعليل الصبي بنقش يلوحون له به يقولون : دَحْ . ففي اللغة : داح ، نقش يلوّح للصبيان يعلّلون به ، إلا أن العامة حذفت الألف من داح وقالت : دحّ ، بتشديد الحاء جرياً على عادتها في التسهيل .

ولننتقل الآن من لغة الصبيان إلى عمل آخر لا يبعد عنه الصبيان . أذكر أني لما كنت في وزارة المعارف من أربعين سنة زارتني سيدة أميركية وأخذت تثني على إمام المحدثين في الشام المرحوم الشيخ بدر الدين الحسني ، وكانت معجبة بوقاره ونور وجهه . قلت لها : ما الذي جاء بك إلى سورية ؟ قالت : إني مختصة بالخطوط الشرقية ، فحسبت أن الأمر جدّ فقلت لها : هل تكتبين لي خطاً بيدك ؟ فأمسكت بالقلم وكتبت على ورقة وأعطتني الورقة ، فدققت في الورقة فلم أفهم شيئاً ، فأطلعت عليها المرحوم الأمير جعفر الحسني ، مدير دار الآثار وقلت له : ما هذا الخط ؟ فحسب مثلي أن الأمر جد ، فنظر قليلاً ثم قال : هذا ما نسميه خربشة الجاج ، أي الدجاج ، والعامة تحذف الدال على سبيل التخفيف ، فبقيت في ذهني لفظة الخربشة فرجعت إلى القاموس المحيط فوجدت في اللغة : خربش الكتاب أفسده ، فالخربشة فصيحة ، وهي أدلّ مادة على هذا النوع من الخط الذي لا هو عربي ولا هو أعجمي ، فالخربشة عبارة عن خطوط تلقى على ورقة ولا تدل على شيء ، فإذا كانت : دَحّ وإذا كانت : كخ كخ من لغة مخاطبة الصبيان فإن الخربشة من عمل هؤلاء الصبيان .

وما علينا بعد هذا إذا عرضنا لبعض الملابس . من الألفاظ الشائعة في لغة العامة : الشاشية . إنهم يريدون بها خرقة يغطون بها إبريقاً أو كأساً أو شيئاً آخر ، أو يريدون بها ما يُلف على الرأس ، فالمادة شائعة

كثيراً في لغة العامة وهي من بقايا الفصاح وحسبنا أن نجدها في شعر البحتري ، في هجائه الحارثي :

مرَّ بنا الدامر يختال في شاشية شوهــاء مغبرّه

فلا شك في أن الشاشية في هذا المقام ضرب من الملابس ، وقد تكون من النوع الذي يلفثونه عن الرأس ، وكيف كان الأمر فالمادّة فصيحة .

وأخيراً فلنبحث عن تصرّف العامة في معاني بعض الألفاظ الفصيحة . نجد في اللغة أن معنى : سنح لي رأي : عرض ، إلاّ أن العامة تخطت هذا المعنى في مخاطباتها وخلقت لهذه اللفظة معنى آخر ، فإذا أسرف أحد في المطالبة بشيء أو إذا أفحش في بعض كلامه أو إذا جاوز الحدّ في أمرٍ من الأمور قالوا : اسنحوه أي لا تبالوا به ، أهملوه ، فالمعنى العامي اختلف كثيراً عن المعنى الفصيح ؛ وهكذا تجد أن العامة تستعمل حريتها في التصرف في معاني الألفاظ الفصيحة .

أفلا نرى أن لغة العامّة تقرب كل يوم من اللغة الفصحى باستعمالها بقايا الفصاح التي لصقت بأذهانها من سنين طويلة أو باطلاعها على ما تمرُّ به من الألفاظ الفصيحة في الصحف ودور الإذاعة ، وأن من الواجب أن نعمل على الزيادة في إصلاح لغة العامة بالأساليب المختلفة حتى يأتي اليوم الذي تكون فيه المسافة بين اللغتين ، الفصحى والعامة ، قريبة جداً . وعلى هذا الشكل لانفسد هذه اللغة الشريفة التي أورثتنا إياها أحقاب بعيدة وصقلت هذا الميراث الكريم عصور مديدة .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ . كليرفيل
نقله إلي العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٨ -

الدكتور حسني سبح

١٠١١٥ خالد ، مُؤبَّد ، دائم — **10115** Perpètuel, elle
وأفضل مُستديم وأبدي

١٠١١٦ تحيُّر ، تردُّد — **10116** Perplexité
وأفضل إرتباك ، تَحير

10117 Persévération, intoxication par une idée (psch.)
١٠١١٧ استمرار ، تَسمُّم بفكرة ما (علم النفس)
وأرجح مُثابَرة ، إستمرار فكرة متسلطة

١٠١١٨ إستمرار إرتجاجي — **10118** persévération clonique
وأفضل الارتجاج المستمر أو المُثابِر

١٠١١٩ استمرار مُخْطرِب — **10119** persévération clonique
وأفضل التوتُّر العضَلي المستمر

١٠١٢٢ لَفيف الممرِّضين — **10122** personnel soignant
وأرجح هَيْئة التَطبيب أو مِلاك التَطبيب أو المعالجة

10123 Perspiration cutanée (insensible)

١٠١٢٣ تبادُلٌ جلديٌّ (غير مشعور به)

وأرجح نَدْي جِلْدي أو تَعرُّقٌ خفيف (طفيف جداً)

10126 Perte , déperdition , déchet

١٠١٢٦ فَقْد ، خسارة ، نَقْص ، ضَياع

وأفضل نَقْص ، خَسارة ، ضَياع وفُضالة

10127 perte de poids

١٠١٢٧ خِفّة الوَزْن

وأفضل نَقْص الوزن

10131 Pervenche

١٠١٣١ عِناقيّة (نبات)

في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : عِناقيّة ونِكة . وجاء في الشرح : زهرة العناق . وتسمى وِنكا في دمشق وهو تعريب اسمها العلمي، والاسم العلمي هذا من السوق المتسلقة في بعض أنواعها . جنس زهر من الفصيلة الدفليّة

10132 Perversion

١٠١٣٢ تَضْلال

10135 perversion sexuelle

١٠١٣٣ تضلال جِنْسي ، عَهارة جِنْسية

سبقت الملاحظة على هاتين اللفظتين (١) . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة المصطلح الثاني بالانحراف الجنسي وهو الأفضل .

10134 perversité

١٠١٣٤ إفساد ، إضرار

وأفضل فِسْقٌ ، دَعارة ، انحراف

10135 Pesanteur, poids

١٠١٣٥ ثَقالة ، جاذبيّة الأرض ، ثُقْل

(١) الصفحة ٢٨٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10135 Pesanteur (dans le bassin)

وأفضل ثُقـْـل ، ووَزْن في اللفظة الأولى وثِقَل (في الحوض) أو الشعور بالثِقَل في الحوض كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1]

١٠١٣٦ ثقالة المعِدَة 10136 pesanteur, d'estomac

وأفضل التُخَمَة أو البَشَم[2] والشعور بالثِقَل أو الإمتلاء في المعدة ، كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي[3]

١٠١٣٧ ميزان الطِفل 10137 Pèse - bébé

وأرجح ميزان الرُضَّع

١٠١٣٩ فِرزَجَة 10139 Pessaire

10140 pessaire obturateur anti conceptionnel

١٠١٤٠ فِرْزَجة سادّة ، مانِعة للحمل

لقد وردت فَرْزَجة بفتح الفاء في تاج العروس (طبعة الكويت) وكذلك في معجم دوزي . ففي اللفظة الأولى يراد بها العقّار المستعمل بطريق المهبل ، ويرادفها التحْميلة

(١) (bearning down) في اللفظة الأولى و (fee'ing of weight in the pulvis) في اللفظة الثانية .

(٢) في لسان العرب : والتُّخَمة بالتحريك الذي يصيبك من الطعام إذا استوخَمْتَه.البَشَم تُخَمة من الدَّسم وقيل هو أن يكثر من الطعام حتى يَكْرُبَه .

(٣) (sensation of pressure or pain in the stomach, fulness of the stomach) .

الَمهْبِلية أو الحمول الَمهْبِلي كما تقدم في لفظة (ovule)[١] كما أنها تدل على أداة على هيئة الكعكة مصنوعة من مادة لَدِنة توضع قرب عنق الرحم في الَمهْبِل ، ويستفاد منها لتقويم الرحم في حال ميلها[٢]. أما اللفظة الثانية فهي أداة على هيئة الكعكة أيضاً إلا أنها ذات غشاء يغشي الفراغ فيها ليحول دون وصول النطْفة الى عُنق الرَحم .

لذا أرجح في ترجمة اللفظة الأولى فَرْزَجة وتحميلة مَهْبِلية أو حُمول مَهْبِلي ، وكَعْكة مهبلية (وهو الاسم الدارج بين النساء) وفي الثانية كَعكة مَهْبِلية سادَّة .

10143 peste bovine, typhus contagieux

١٠١٤٣ طاعُونُ البَقَر ، حُمَّى نَمَشية مُعْدية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب لفظة تيفوس[٣]

10144 peste bubonique

١٠١٤٤ طاعُونُ دُبَيْلي أو عُقَدي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة طاعون دَبْلي . ويدعى الطاعون الشرقي أيضاً كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي[٤]

(١) الصفحة ٧٠٢ من المجلد التاسع والأربعين من هذه المجلة .

(٢) لفظة (pessary) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionavy) .

(٣) الصفحة ٢٢٢ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

(٤) (oriental plague) .

11046 peste indienne , peste pneumonique

١٠١٤٦ طاعُونٌ هِنْدي ، طاعونٌ رئوي

وذات الرئة الطاعونية كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي (١)

10148 Pestiféré , ée

١٠١٤٨ مطْعُون ، مُصاب بالطاعون

وطَعين أيضاً

10149 Pestilence

١٠١٤٩ وَباء ، جائِحة

وطاعون أيضاً ، كما جاء في معجم ستدمان الطبي (٢)

10150 Pestilentiel, elle

١٠١٥٠ وَبائي

وأفضل ناقل للطاعون ومُحْدث للطاعون أو الوباء كما جاء في معجم ستدمان الطبي (٤)

10156 Petite taille (au - dessous de la moyenne)

١٠١٥٦ قَدٌّ قَصير (ماتحت المتوسط)

قامة قصيرة (مادون الرَبْعه أو المربوع) (٣)

10158 Petits pois; pois vert

١٠١٥٨ بِسلَّة (بَزَلياء) حِمّص أخضـر

وبَسليٌّ (بَزَليا) كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم مصطفى الشهابي

---

(١) (plague pneumonia) .

(٢) لفظتا (pestilence) و (pestilential) في معجم (Stedman's Medical dictionary) .

(٣) في لسان العرب : ورَجل مَرْبوع ومَرتبع ومُرْتَبَع ورَبْع ورَبَعة ورَبْعة ، أي مربوع الخَلْق لابالطويل ولا بالقصير .

10159 Pétreux, euse — ١٠١٥٩ صَخْري

حَجَري صَخْري كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

10161 Pétrissage, malaxage — ١٠١٦١ عَجْنٌ ولَمْكٌ

وأرجح جَبْلٌ ، ولعلّ هذه اللفظه هي الأقرب لما يقصد منها في معجم طبي ، مع اهمال معظم المعاجم لهذه اللفظة . واستدركها دوزى (٢) وليس للفظة لَمْك أن تفي بالمعنى المطلوب (٣) .

10162 Pétrole — ١٠١٦٢ زيت حجَري ، بترول

وأرجح نِفْط (دُهْن صخري)

10165 Peuplier (bourgeons de) — ١٠١٦٥ الحوْر (بَراعِم)

والصحيح الحوَر بفتح الواو ، والحوْر لفظة عامية

10167 Phagédénique , rongeant , eante — ١٠١٦٧ أكّال ، قارِض

وأفضل آكِل ، قارِض

10173 Phagocyte — ١٠١٧٣ بَلْعَمَة

10174 Phagocytose — ١٠١٧٤ بَلْعَمَة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى ببَلْعَم والثانية بالبَلْعَمَة وهو الأفضل

(١) (petrous , petrosal , petro - stony) .

(٢) معجم دوزي في لفظة جَبْل .

(٣) في تاج العروس : واللَمْك مَلْك العجين وهو مقلوب عنه ، ومَلَك العجين علكه وأملكه نقلها الجوهري إذا انعم عجنه، وفي الصحاح شدّ عجنه وقال مرة أجاد عجنه .

10183 Pharmaceutique ١٠١٨٣ أقراباذيني

وكذلك علم الأدوية والمَقاقِير ودَوائي وعقّاري . وأقر مجمع اللغـــة العربيـة في القاهرة ترجـة (pharmaceutics) بالصيدلانيّات (المواد الصيدلية)

10184 Pharmacie (science) ١٠١٨٤ صَيْدَلة (عِلْم)

10185 Pharmacie (officine) ١٠١٨٥ صَيْدَلِيّة (دكان)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة اطلاق الصيدلة على :

١ ـ فن تحضير الأدوية وتقديمها .

٢ ـ (اجزاخانة) وهي دكان الصيدلي

أرى أن ماوضعته اللجنة هوالصحيح والمتعارف عليه في جميع البلادالعربية.

10187 Pharmacodynamie ١٠١٨٧ مَبْحَثُ تأثير الأدوية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة فِعْل العَقاقير ، وجاء في الشرح : علم يعنى بدراسة العقاقير في الأحياء

10187 Pharmacognosie ١٠١٨٨ مَبْحَثُ تشخيص العقاقير

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة وَصْف العقاقير ، وهو الأفضـل ، وجاء في الشرح : فرع من علم العقاقير يعنى بدراسة الخواص الطبية للعقاقير الخام

10189 Pharmacologie ١٠١٨٩ عِلْم خَواص الأدوية ، أقراباذين

وأفضل علم الأدوية أو العقاقير ، كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

10190 Pharmacophilie , pharmacomanie

١٠١٩٠ وَلَعُ بالأدوية ، جِنَّة الأدْوِية

وأفضلِ أُلفةُ الأدوية وهَوَس الأدوية

10191 Pharmacopée , Codex

١٠١٩١ دُسْتور الصَّيْدلة ، دُستَور الأدوية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة دُسْتور الأدوية ودستور العقاقير ، وجاء في التعريف :وصف رسمي للعقاقير المعترف بها ومستحضراتها وطرق تحضيرها .

10192 Pharmacothérapie

١٠١٩٢ إسْتِيدْواء (مَعالجة بالأدوية)

وأرجح المعالجة بالأدوية أو بالعقاقير

10195 pharyngite

١٠١٩٥ دُغام ، ذَاتُ البلعوم

10196 pharyngite granuleuse

١٠١٩٦ دُغام حُبَيْبي

10197 Pharyngite latérale ou faux piliers

١٠١٩٧ دُغامُ جانبي

وأفضل أن يقال إلتهاب البلعوم في اللفظة الأولى والتهاب البلعوم الحُبَيْبي في الثانية والتهاب البلعوم الجانبي (الضخامي) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) ولا أرى أن لفظة دُغام تعني بالمعنى المطلوب(٢)

10200 Phase dispersante ou de dispersion

10201 phase dispersée

١٠٢٠١ صَفحة مُبَعْثَرَة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (phase) بطَوْر وهو الصحيح ، فتصبح ترجمة اللفظة الأولى بالطَوْر المُبَعثر أو طور التبعثر

---

(١) (pharyngitis lateralis hypertrophica)

(٢) في لسان العرب : الدُّغام وجع يأخذ في الحلق . هذا وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (gorge) بالحلق (اللفظة ٦١٢٤) .

10202 phase initiale (Q R S) du complexe ventriculaire

١٠٢٠٢ صَفْحة إبتدائية للمُشْتَرك البُطَيْني

وأرجع الطور البدئي للمجموعة البُطينية أو المركب البطيني اشارات (Q R S) في (م ق ك) المخطـط القلبي الكهربائي (١)

10203 phase terminale (T) du complexe ventriculaire

١٠٢٠٣ صَفْحة إنتهائية للمُشْترك البطيني

الطور النهائي إشارة (T) من المجموعة البطينية أو المركب البطيني (م ق ك) مخطط القلب الكهربائي(٢)

10204 Phénacétine, phénedine para - acétophénétidine , éthoxypara - acétanilide

١٠٢٠٤ فِناسَتين ، فَنَدين ، فَنيدرين خلي - رفيف ، أتوكسي آنيليدا الخلّي - رفيف

وأفضل فناستين ، فَنَدين ، بارا آسيتُو فينيدين ، أتوكسي بارا آسيتانيليد

10206 phènomènc affetif

١٠٢٠٦ حادِثة إنفعالية

وأرجع ظاهرة عاطفية (٣)

10207 phénomène d'atavisme

١٠٢٠٧ حادِثَة تأسّل ، حادِثة وِراثة الأجداد

ودرجت على ترجمة (atavisme) بالوراثة الراجعة أو المرتدة

(١) الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٣١١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٢٩٠ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

لذا أرجح ظاهرة الوراثة الراجعة أو وراثة الأجداد [1] وليس للتأسل[2] ان يدل على المعنى المطلوب إذ المقصود من مدلول اللفظة ظهور حالة من الحالات الخلقية أو النفسية سبق ظهورها في أحد الأجداد ولا سيما الأبعدين[3]

10210 phémomène de contrainte

١٠٢١٠ حادثة جبر أو إعتصاب

وأفضل ظاهرة إكراه أو اغتصاب

١٠٢١١ - ١٠٢١٨ أفضل استبدال ظاهرة بحادثة

10222 p H , point isoélectrique

١٠٢٢٢ نقطة التماثل الكهرباوي

ت . أ كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة وقد أهملتها اللجنة ، نقطة التساوي الكهربائي

10223 Phimosis

١٠٢٢٣ ضيق القلفة الأمامي

وأرجح تضيق القلفة

10228 Phlébo - anesthésie, anesthésie intraveineuse

١٠٢٢٨ تخدير وريدي ، تخدير في الوريد

وأرجح تخدير وريدي ، بالوريد (أي عن طريق الوريد)

10230 Phlébotomie, saignée veineuse

وأفضل شق الوريد أو بطه ، فصد وريدي

(١) في لسان العرب : وتأسل أباه نزع اليه في الشبه كتأسنه .

(٢) لفظة (atavism) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionory) .

10231 Phlébotomus pappatasii — ١٠٢٣١ فاصدة پاپاتاسية

وأرجح ثاقب الوريد أو ماص الدم باباتاسي وذُباب الرَمْل، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (فيبلوتومس) ذبابة الرمل، وجاء في الشرح: نوع من الذباب ينقل حمى باباتاسي، وهي حمى ذبابة الرمل. أقول وتعرف هذه الحمى في سورية بحمى ثلاثة الأيام (fièvre de trois jours)

10232 Phlegmatia alba dolens, œdème blanc douloureux

١٠٢٣٢ إلتهاب الوَرِيد الأبيض المؤلم، خَزَب أبيض مؤلم

وأرجح التَورّم (أو الالتهاب) الأبيض المؤلم، الوَذَمة (١) البيضاء المؤلمة، والتورم الخثري، والتورم الأبيض، والساق البيضاء، كما جاء الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10233 Phlegmon — ١٠٢٣٣ خُرَاجة مُنْتَشِرة (فِلغَمُون)

وأرجح فَلْغَمون كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وجاء في الشرح : التهاب حاد منتشر مُتَقَيِّح في النسج الضامة تحت الجلد أو المخاطية . ولا أرى لزوماً لخراجة منتشرة، هذا وقد سبق للجنة أن ترجمت (abcès) بخراج بصفة التذكير (اللفظة ١٣) وكذلك قــرار مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً

---

(١) (sand fly).

(٢) الصفحة ١١٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (thrombotic phlegmasia , leukophlegmasia , milk leg, white leg).

10236 phlycténulaire

١٠٢٣٦ نَفاطي

وأفضل نَفْطي ووَدَقي . وأقـر مجمع اللغة في القاهرة وَدَقي. واللفظة الأخيرة صحيحة فيما تكوّن من العلة في ملتحمة العين[١]. لأن ماتعنيه لفظة (phlyctène) في الأصل الحويصل المتكون في الجلد إثر الحرق من الدرجة الثانية ويمتلىء بسائل مصلي بين البَشَرة والأدَمة[٢] هـذا مايبدو في حرق الجلد وبعد إرهاق اليد بالعمل[٣]

10237 Phobie , peur morbide

١٠٢٣٧ رُعْبٌ ، خَوْفٌ شَديد ، وَجْف

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : رَهْبة ج رَهَبات ، وجاء في الشرح : وهي أحوال مرضية تصيب النَفْس بنـــوع من الخـوف

10239 Phosphatase

١٠٢٣٩ فُصفـاتاز

10240 Phosphate

١٠٢٤٠ فُصفـات

10241 Phosphaturie

١٠٢٤١ بِيلَة فُصْفاتية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة رسم phosphourus بالسين (فسفور) وهو الشائع فتصبح المصطلحات السابقة فسفاتاز ، فسفات بيلة فسفاية وكذلك الألفاظ التالية (الارقـام

---

(٣) لفظة (phlyctena) في معجم ستدمان Stedman's Medical Dictionary).

(٤) في لسان العرب : والنَفْطة بثرة تخرج في اليد ملأى ماء، إذا كان بين الجلد واللحم ماء قيل نَفِطت تنفـط نفطاً ونفيطاً .

١٠٢٤٣ ، ١٠٢٤٤ ، ١٠٢٤٥ ، ١٠١٤٦ ، ١٠٢٤٧ ، ١٠٢٤٨ ،)

١٠٢٤٢ نَتوْماص ، شَرارَة العَيْن 10242 Phosphatène

وأرجح بَصيص[1] بالضغط. لأن ماتعنية اللفظة الشعور باللمعان الضوئي عند ضغط المقلة[2]

١٠٢٤٧ فصفورية (انسهام فصفوري) 10247 Phosphorisme

وأرجح انسهام فسفوري وحده ، فقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الفسفورية ترجمة لـ (phosphorescence) وجاء في الشرح : وهي ظاهرة من نوع الفلورية وإنما تختلف عنها باستمرار إشراق الضوء من الجسم مدة بعد انقطاع الضوء الواقع عليه ، فيُرى الجسم مضيئاً في الظلام باللون الخاص به .

50249 Photisme , pseudophotisthésie , sensation visuelle secondaire

١٠٢٤٩ خيال بَصَري ، حِس بصري ثانوي

وأرجح إبصار مُحْدَث ، شُعور بصري كاذِب ، حِس بَصَري ثانوي ، لأن ماتعنيه اللفظة شعور البصر باللون وبالضوء عند تحريض احدى الحاسات الأخرى كالسمع والذوق والشم واللمس أو الحرارة وحتى بالتفكير بأحد الأشياء[3]

١٠٢٥١ خَوْف الضوء أو النور 10250 Photophobie

(١) في لسان العرب :البَصيص البَريق. وبَص الشيء يبص بصاً وبصيصاً بَرَق وتلألأ ولَمَع.

(٢) لفظة (photism) في معجم بلاكستون (Blakiston's New Gould Medical Dictionary) .

(٣) معجم بلاكستون أيضاً .

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[1]. وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : رُهاب الضوء وجاء في الشرح : حاسية العين الشديدة للضوء ويحدث في الأرماد الشديدة والالتهابات داخل العين

10251 Photopsie

١٠٢٥١ تخيل ضيائي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الإبصار الوَمَضي ، وجاء في التعريف : رؤية مايشبه الشَّرَر أو الوَميض بسبب مرض بالشَّبَكية

10252 Photothérapie

١٠٢٥٢ استضواء

وأفضل المعالجة الضوئية

10253 Phototropisme, phototaxie, phototactisme

١٠٢٥٣ إنسياق إلى الضوء ، انحياز للضوء ، اتجاه نحو الضوء

وأرجح انتحاء ضوئي ، اتجاه نحو الضوء والسعي إلى الضوء

10257 Phtiriase , pédiculose

١٠٢٥٧ داءُ القَمْل ، تَقْمِيل ، تَقَمُّل

وأرجح القَمَل وحده ، كما اقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

10258 Phtisie galoppante

١٠٢٥٨ سُحاف ذَريع

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بالسِّل وهو الشائع

10263 Phylogénèse , phylogénie

١٠٢٦٣ نُشُوء الجِنْس ، نُشُوء جِنْسي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة نُشُوء النَوْع وجاء

(١) الصفحة ٢٩١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

في التعريف : تاريخ تطور نوع من الكائنات الحية ، بعد أن قرر المجمع المذكور تخصيص جِنْس ترجمة لِ (sexe)

10264 Physiologie — ١٠٢٦٤ علم الغَرائِز ، علم وظائف الأعضاء

10265 Physiologique — ١٠٢٦٥ غريزي

سبقت الملاحظة على هذين اللفظين[1] وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة علم الوظائف ، ووظائف الأعضاء وفسيولوجيات في اللفظة الأولى ، ووظائفي وفسيولوجي في اللفظة الثانية . وأفضل فزيولوجيا وفزيولوجي قياساً على استعمالها لفظتي فزيائي (فيزيقي كما هو شائع في مصر وحدها)

10266 Physiothérapie — ١٠٢٦٦ مُعالجة بالعوامل الطبيعية

وأفضل المعالجة الفزيائية

10268 Phythormone , auxine — ١٠٢٦٨ حاثّات نباتية ، أكسين

وأرجح هُرْمُون نباتي ، أكسين

10273 Picotement — ١٠٢٧٣ وَخْز ، نخز ، جَرْس

وأفضل وخز ونخز ، ألم خفيف[2]

10274 Picrotoxine — ١٠٢٧٤ مُرْسُمِّين (بيكروتُوكسين)

وأرجح بكروتكسين (السُّم المر)

10276 Pièce de concentration (cylindre de molybdène dans l'ampoule de Coolidge)

---

(١) الصفحة ٢٩٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في تاج العروس : نغز بينهم أغرى وحمل بعضهم على بعض كنزغ ونغزهم الشغاز كرمان أي نزعهم النزاع ، ونغز الصبي دغدغه كنزغه . الجرس : الصوت

١٠٢٧٦ قِطْمَة التكاثف (اسطوانة المولبدن في حُبَابة كوليج)
وأرجح قطعة التركيز (اسطوانة من ملبدان كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة) في مصباح كولج ، والهدَف في مصباح كولج كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١) .

١٠٢٧٩ قَدَمٌ عرجاء 10259 Pied bot
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَنَف . وجاء في الشرح : تشوه في القدم فتلتوي إما في الشكل أو الوضع

١٠٢٨١ قَدَمٌ رَوْحاء 10231 pied bot varus
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَنَف القَفَدي ، وجاء في الشرح : تشوه في القدم فيه ينقلب الأخمص للانسية بالنسبة للخط الوسطي للساق ، وفيه يمشي المصاب على الحَرْف الوحشي للقدم

١٠٢٨٢ قَدَمٌ رَوْحاء قَفْداء 10282 pied bot varus équin
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَنَف الأنخسي القفدي وعرّفه : تشوه في القدم فيه ينقلب الأخمص إلى الجانب الأنسي من الخط الوسطي للساق وقد انثنيت القدم على الأخمص

١٠٢٨٣ كَف الهر ، كَفهر 10283 pied - de - chat
رِجْل الهر أو برسّية ثنائية المسكن كما جاء في معجم الالفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي (٢)

للبحث صلة

---

(١) (target of Coolidge tube) .

(٢) وهو نبات اسمه العلمي (gnaphale dioïque) قلّ أن يستعمل .

الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة

٣

المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

القسم الثاني : الإضافات

(أ)

آخُنْد : من الفارسية (آخوند ahund) بمعنى معلم (كبير القوم ، عظيمهم). باللهجة العراقية تستعمل صفة للعالم الديني .

آدْريس : « بإمالة كسرة الراء » من التركية (adres) عن الفرنسية (adresse = عنوان ، علوان ، بالنون أو اللام بعد العين ، بمعنى) مايكتب على غلاف (الظرف) : اسم المرسل إليه ومكان إقامته الخ . وإن كان لها في الفرنسية معان أخرى .

آرسلان : تركية ، تكتب آرسلان وتلفظ آسلان aslan كما تكتب بالحروف التركية الجديدة . في الأصل بمعنى (الأسد) . ومجازاً : (الشجاع ، الجسور) . باللهجة السورية لقب أسرة مشهورة (في اللاذقية) .

أركيلة : انظر ماذكرته عنها في كلمة (شيشة) ص٥٤٤ من المجلد ٤٨ من ملاحظات.

نشر بعض القسم الأول من هذا البحث في العدد الثاني من المجلد الثامن والأربعين « ص ٥١٩ – ٥٥٠ » في حياة صاحبه . ثم نشر بعضه الآخر في العدد السابق « ج ٣ ص٤٨٤–٤٩٣ » دون الإشارة إلى ما كان، وتتابع في هذا العدد وفي العدد الذي يليه نشر القسم الثاني، وبه يكتمل المقال. رحم الله الفقيد وجزاه عن العربية خير الجزاء «لجنة المجلة».

آرمغان : بالتركية (armağan) . في الأصل بمعني هدية . وباللهجة الحلبية تطلق على مايحمله القادم من سفر إلى بلده ، من الهدايا لأهله وللأصحاب . بالفصحى هي (الشُّهْنَة) وهي ما يهديه المسافر (أَتْهَنَهُم ، ولَتَهْنَهم) .

إسْطَمْبَه : بالتركية (istampa) من التليانية (stanpa) للبُوهة المبللة بحبر الأختام الموضوعة في علبة من المعدن والمستعملة لتحبير الختم أو سواه من الرواسم الحرفية المصنوعة من المطاط .

آغة : من التركية (ağa) عن الفارسية (آقا) بالقاف . في الأصل بمعنى (أفندي / آمر) ثم خصصت لمقدّم الخدم والأتباع . فباللهجة السورية لزعيم طائفة من القوم (ج أغوات) ، ومن الأسر الحلبية أسرة (آغة القلعة / قاطر آغة) .

أكي دُنْيا : من التركية محرفة عن (يكي دنيا Yeni dunya) من يكي ، (بالكاف المنونة = جديد) و (دنيا = الدنيا) ومعنى الكلمتين (الدنيا الجديدة أي أمريكة وأسترالية) . باللهجة السورية تطلق على الثمر المعروف بالمشمش الهندي . أما بالتركية فيسمى هذا الثمر (مالطة أريكي Malta erigi = جَنَريك مالطة) . باللهجة الحلبية هو (أنكي دنيا) بزيادة النون بعد الألف .

آلِشْ : من التركية (آليشمق alişmak = اعتاد) . باللهجة السورية لمن يتعوّد (يتمرن ، يتمرس) على الشيء .

آمانْ : بالتركية يلفظونها amân بمدّ الألف الثانية وتفخيمها ، من العربية (أمان) وعند الترك هي نداء استغاثة ورجاء . وانتقلت بهذا المعنى إلى اللهجات السورية .

أُوتيل : من الفرنسية hôtel = فندق ، نُزُل . وهو (اللُوكَنْدة) باللهجة اللبنانية .

أُوكازيُون : من الفرنسية (occasion = زمنٌ موافق ، ملائم / فرصة) . شائعة الاستعمال باللهجات السورية .

(ب)

بابُوج : من التركية (پاپوج papuç) محرفة عن الفارسية (پاپوش papuṣ .پا = قَدَم ، رِجْل / پوش = ساتر من مصدر (پُوشيدَنْ puṣiden= سَتَرَ ، غطّى) ، لنوع من الحذاء .

بازِرْباشي : من الفارسية (بازار bazar = السوق) والتركية (باش = رأس / رئيس) بمعنى رئيس سوق البيع والشراء . يقال إن كلمة (بازار) مركبة من (باز = بَعْدُ) و (آوَر = استجلاب) مشتقةً من المصدر (آوَرْدَنْ averden = جَلَبَ ، استَجْلَبَ) . وفي حلب لقب أسرة مشهورة .

باص : من الفرنسية (autobus ، مختصرةً من الجزء الثاني من الكلمة الفرنسية bus = باص) باللهجة السورية تطلق على السيارة الكبيرة من وسائط نقل الركاب .

بَتِنْجان : من التركية محرفة عن (باذَنْجان) المعربة من الفارسية (پاتنگان patingan) بالباء المثلثة التحتية والكاف الفارسية ، للخضرة المعروفة . هذا باللهجة الشامية . أما باللهجة الحلبية فهو (بَانجان بحذف الذال . وهو (الكَهْكَم) بالفصحى .

بَرادي : مفردها (بَرْدايَة) من الفارسية (پرده perde) بالباء المثلثة التحتية . في الأصل بمعنى : غطاء ، ستار ، ولا سيما للنافذة أو الشباك .

بِراظان : من التركية (borazan) ، محرفة عن الفارسية (بُوري زَنْ burizen) من (بورى = بوق ، صور) و (زَنْ = ضارب ، من المصدر : زَدَن zeden = ضَرَبَ) أي نافخ بالبوق . وهي من المصطلحات العسكرية وغلب استعمالها على آلة النفخ نفسها .

بَرْبيش : من التركية (مارپوج marpuç) بالجيم المثلثة النقط محرّفة عن الفارسية (ماريوش marpus) من (مار = أفعى ، حيّة) و (پوش pus = غطاء ، ثوب . من المصدر (پوشيدن pusiden = ستَرَ ، غطّى ، أي غطاء الحية ، جلد الحية ، ثوبها المنسلخ عنها) تشبيهاً لمطلق الأنبوب المطاط وعلى التخصيص لانبوبة (النارگيلة) ومعرّبها (نارجيلة وهي جوزة الهند) لأن القارورة التي يدخن بها التنباك كروية تشبه جوزة الهند . وباللهجة الحلبية (نَرْبيج ، بالنون) [انظر ماجاء من الشرح عن النارجيلة في كلمة (شيشة) ص ٥٤٤ من المجلد ٤٨] .

بِرَك : من التركية (بورَك börek) لنوع من المعجنات تصنع من رقاق العجين الدسم ، تُلوى وتحشي لحماً مفروماً أو جبنة ثم ، تقلى بالسمن .

بِرْغي : محرفة عن التركية (بورغو burgu) لما يثقب به / مثقب ، آلة ثقب على الإطلاق . باللهجة السورية تطلق على المسمار المحوّى .

بَرْلَمان : من الفرنسية (parlement) للبناء الذي يجتمع فيه نواب الأمة ، وهو مجلس النواب .

بَسْ : فارسية بمعنى حسبُ / فقط . وفي القاموس المحيط ، بمعنى حسْبُ أو هو مسترذل (قوله مسترذل دليل على أنها غير عربية) قلت : إنها ليست من (بَسْ بَسْ بفتح الباء ، لزجر الإبل) ولا من (بُس بُس بضم الباء ، لدعاء الغنم) .

بَشْكير : من التركية (پَشْكير peskir) عن الفارسية (پيشگير — pisgir) من (پيش = أمام) و (گير = قابض) من المصدر (گرفتن giriften = قَبَضَ ، مَسَكَ) وهي مقومة يضعها الطاعم على صدره اتقاء ماقد يتناثر من الطعام .

بَشْقَه : من التركية (باشقه baska) بمعنى (غير / شيء آخر / شيء مخالف) وتلفظ باللهجة السورية (بَشْآ) بالألف ، وبالألف المفخمة في حلب .

بِمبايَة : من التركية (بومبا bomba) محرفة بإضافة (يه) ، محرفة عن اليونانية bombos بمعنى الفرقعة . تطلق على كرة معدينة محشوة بالمواد المنفجرة . وفي (لاروس الصغير) أنها من التليانية .

پَنْچَر : بالباء والجيم المثلثي النقط[١] . محرفة عن الفرنجية puncture (ثقب ، وخز) . تستعمل لانثقاب دولاب السيارة ، خاصة .

بُوسْطة : من التركية (پوسته posta) عن التليانية (posta) . في الأصل بمعنى واسطة نقل بين بلدتين . وفي اليوم الحاضر تطلق على المصلحة التي تتولى نقل الرسائل والمطبوعات والأمانات والرزم .. الخ من بلد إلى بلد . وهي (البريد) بالفصحى .

بُوسْطَهجي : من التركية (پوسته ، الآنفة الذكر) و (جي = أداة وصف) لمن يقوم بتوزيع البريد (رسائل ومطبوعات وغيرها) إلى أربابها المرسل بها إليهم . هو بالفصحى (موزّع البريد) .

بُوليس : من التركية (polis) عن الفرنسية police وهذه عن اليونانية (politeia) بمعنى : منظمة بلدية [كلمة polis اليونانية معناها بلدة / مدينة] . تطلق تخصيصاً على الموظف من قبل الدولة لحفظ الأمن في البلد . وهو بالفصحى (شرطي) .

---

(١) في عامية دمشق وما حولها بالباء والشين : بَنْشر .

بُـويْ : من الانكليزية (boy ، تقابل الفرنسية garçon بمعنى مواطن خادم في المستعمرات) وإطلاقاً كل من يقوم بخدمة في المقاهي أو المطاعـم .

بَيْرَقْدار: من التركية (بيراق bayrak = علَم / و (دار ، الفارسية = صاحب ، مالك ، محافظ) مثل (سنجقدار) تماماً . مصطلح عسكري لمن يحمل علم الجيش . وفي سورية ، لقب أسرة شهيرة . [في المعاجم التركية أن أصل (بايراق) هو (بَيْراق ؟) من العربية . لكنني لم أجد في معاجمنا العربية ما يؤيد هـذا الزعم] (*) .

بينْسه : محرفة عن (الفرنسية pince من اللاتينية punctum) لمطلق أداة ذات شعبتين للالتقاط . وتخصيصاً للمنقاش ، ولها أنواع شتى فيجب وصفها بحسب موضع الاستعمال (للقط الأهداب ، للقط اللسان ، للتضميد ، للتشريح .. الخ) .

بَنطَلون : من الفرنسية pantalon ، للقطعة من الملابس ذات الفرعين التي تضم وسط البدن ، كل فرع يغطي إحدى الفخذين . وفي بعض اللهجات تلفظ (بنطرون) بالراء .

(*) هذه الألقاب العسكرية جميعها ، أتت مع (الأنكشارية) في الفتح العثماني للبلاد العربية (عهد السلطان ياوزسليم) . وكلمة (أنكشارية) تركية محرفة عن (يكيجري ، بالكاف المنونة والجيم المثلثة، yeniçeri)أي(العسكر الجديد) وهو جيش أسس في القرن الرابع عشر أسسه السلطان أورخان . وقد حل محله (الجيش التركي النظامي) في عهد السلطان محمود الثاني الشهير بـ(صاحب التنظيمات) يوم بلغ إستبداد الأنكشارية الزبى وقامـوا بعصيانهم سنة ١٨٢٦ . فقضى عليهم السلطان نهائياً .

بْيُونْباغ: من التركية (بيون باغى qoyun bağı) بحذف الياء وبدمج الكلمتين من (بيون = رقبة ، عنق) و (باغ = رباط ، ربطة) و (ي للاضافة) وهي بمعنى (ربطة الرقبة ، كرافات) والكلمة شائعة الاستعمال باللهجة العراقية والسورية .

(ت)

تَايْرات : من الانكليزية (tire تلفظ تايْر جمعوها تايرات) الإطار من المطاط ، المستعمل لدواليب السيارات ، باللهجة العراقية ، كما جُمع كَوْشوك ، المحرَّف عن caoutchouc الفرنسية على (كواشيك) باللهجة السورية .

تَرْبَه دار : محرفة عن التركية (تُربه دار türbedar) من (تربة ، العربية = المقبرة) و (دار الفارسية = ناظر ، محافظ) من المصدر (دَاشْتَن dasten = حافَظ) لقب خاص للموظف الذي يتولى حراسة مدافن رجال الدولة العظام في العهد العثماني [انظر الحاشية الواردة حول كلمة : بيرقدار] .

تَكْسي : من الفرنسية (taxi ، المختصرة هي نفسها من (taxi - auto) لسيارة الركوب ذات المعدّ (taximètre وهو جهاز يَعُدّ الثمن المحدَّد بحسب المسافة التي يتقاضى عنها سائق السيارة الأجرةَ من الراكب .

تِفَنْكة : محرفة عن الفارسية (تفنك tüfenk أو تُفَاك tûfek لما يطلق عليه الآن (البارودة) .

تَلْغراف : من التركية عن الفرنسية télégraphe وهذه من اليونانية (têle = بعيد) و (graphein = كتابة) . في الأصل ، للجهاز

الذي يستعمل لنقل المواسلات إلى مكان بعيد بوساطة الاهتزازات الكهرباوية المنتقلة بأسلاك معدنية . باللهجات العربية اشتقت من الكلمة : (تيَّل ، يُتَيِّل) بمعنى أرسل برسالة بوساطة التلغراف . الفصحى الآن هي (البرقية) لما يقابل télégramme . والفعل (أبرق ، يُبرق) بدلاً من (تيَّل ، يتيِّل) المذكورتين .

تَلفُون : من التركية عن الفرنسية téléphone وهذه من اليونانية (têle = بعيد) و (phônê = صوت) للجهاز الذي ينقل صوت المتكلم إلى المخاطب المستمع عن بُعد أو أيّ صوت . باللهجات السورية اشتقت كلمة (تلفن / يُتلفن / تَلْفِنْ) بمعنى تكلم ويتكلم وأمر أن يتكلم بهذا الجهاز مع المخاطب . في الفصحى الآن اصطلح على الجهاز (هاتف [١]) وبدلاً من الكلمتين اصطلح على (هتف يهتِف ، اهتِفْ) .

تَمَلّي[٢] : من التركية (temelli) عن اليونانية (تمل temel = أساس البناء ، أصل) و (لي li = أداة بمعنى ذو) . فباللهجة المصرية تطلق على مايعني (دائماً ، في كل آن ، على الدوام والاستمرار).

تَنّورة : تركية ، عن الفارسية (تنوره tennure = اللباس الطويل العريض - كالجبة - الذي يلبسه الدرويش للقيام بفتلته المعروفة) . باللهجتين

---

(١) قلت : الهاتف اسم فاعل ، لمن يهتف ، فكان الأصح أن يقال (مهتاف) وزان مفعال على اسم الآلة ، للجهاز المعلوم .

(٢) ذكرني بها - مشكوراً - رئيس مجمعنا الفاضل الدكتور حسني سبح وقد سمعها في زياراته القطر الشقيق مصر لحضور جلسات مجمع اللغة العربية (مؤتمر المجامع العربية) .

السورية واللبنانية تطلق على ضرب من الثياب تلبسه النساء (وهو بالفرنسية jupon) .

تيمُور : تركية (تلفظ timur) وحالياً تلفظ (دمير demir) أي (الحديد) المعدن المعروف . على أن كلمة (دمير) تدل زيادةً ، على الأنجر (الهَوْجَل ancre) المستعمل في البواخر للإرساء . ومجازاً تدل على معنى (متصلب الرأي / عنيد / مُصرّ) .

(ج)

جاطْ : من الفرنسية (jatte عن اللاتينية jabata) لصفحة (قصعة) مستطيلة مصنوعة من الصيني (بورسلان) . أكثر استعمالها باللهجة الشاميـــة .

جاكِيت : «بإمالة كسرة الكاف» من الفرنسية (jaquette) قطعة من اللباس التي تلبس فوق (الصدرية gilet) وفي معاجمهم أنها مشتقة من jaques = لقب استهزائي للقرويين . فتأمل كيف تتطور معاني الكلمات !

جانِم : بالتركية من الكلمة الفارسية (جان Can = روح / قلب / عزيز) و (م = ضمير متكلم ، بالتركية) . كلمة تحبّب بمعنى (عزيزي / روحي .. الخ) . باللهجة الحلبية تستعمل كما في التركية .

جيرْنال : من الفرنسية (journal) لتلك الصحيفة التي تنشر الأخبار وسواها . باللهجة السورية تستعمل خاصةً للجريدة التي تحتوي على صـــور الأزياء (الموديل) .

جِنْبِلاط : محرفة عن التركية (جان پولاد can pulat) عن الفارسية (جان = روح / حياة / قوة / قدرة) و (پولاد = فولاذ) .

ومعنى الكلمتين : ذو القوة الفولاذية / قوي / شجاع) . لقب أسرة مشهورة الآن في لبنان (بيروت) .

جِنْدَرْمَة : محرفة عن الفرنسية (gendarme من gens d'armes أي رجال السلاح = فئة من الضباط تقوم بحفظ الأمن الداخلي . لايزال هذا الصنف قائماً في لبنان . أما في سورية فكان يطلق عليه (الدَّرَك) وقد ألغي واكتفي بصنف الشرطة .

جَنَريك : «بإمالة كسرة الراء» من التركية، محرفة عن (جان أريكى Can erigi) (جان = الروح ، القلب / المحبوب ، العزيز) و (أريك erik) التركية ، للثمرة المعروفة وهو النوع الأخضر اللذيذ من الثمر المعروف .

جُوخ : من التركية (چوخة çuha وتلفظ : چوها ، بالهاء) عن الفارسية (چوقه çuka) للنسيج المعروف المصنوع من الصوف .

جُوخدار : من التركية (چوخه çuha وتلفظ چوها ، بالهاء ، محرفة عن الفارسية (چوقه çuka ، بالقاف) ومن (دار ، الفارسية = مالك ، حافظ) . والكلمة تلفظ عندهم (چوها دار çuhadar) وهي لقب لِ (حافظ الثياب) في العهد الانكشاري . وفي سورية لقب أسرة شهيرة . [انظر الحاشية الواردة حول كلمة : بيرقدار] .

(ج) « مثلثة النقاط »

چاره : من التركية عن الفارسية (çare بمعنى : وسيلة ، تدبير ، علاج، طريقة تسوية) باللهجتين العراقية والحلبية خاصةً تستعمل بالمعنى التركي والفارسي . باللهجة الشامية يستعمل للمعنى ذاته كلمة :

خواص (كقولهم : مالها خواص) .

چَطَلْ : من التركية (Çatal) في الأصل لما هو ذو شعبتين ومقبض واحد . وباللهجة الحلبية خاصة (للشوكة) التي يتناول بها الطعام (بالفرنسية fourchette) وهي (الفِرْتيكة) باللهجة الحلبية أيضاً .

چَلَبي : من التركية (çelebi) وهذه من (چلب çeleb) أي (أفندي ، والأخ الكبير) ومثلها [چالاب çalab أي (معبود ، مولى] ، والكلمة غلب استعمالها على أسرة حلبية مشهورة .

چَنق : من التركية (Çanak) في الأصل للإناء المصنوع من الفخار (أي القصعة) . وباللهجة الحلبية تلفظ (چَنَا بنون مفخمة) تخصيصاً الوعاء المصنوع من الصيني ، ولما هو مسمى باللهجة الشامية (زُبْدية) .

چَيْرَك : من التركية (çeyrek) عن الفارسية (چارْيك = چهارْيَك) بمعنى : واحد من أربعة = رُبُع . باللهجة العراقية بمعنى (رُبُع) ومن الساعة (١٥ دقيقة) . وفي تركية كانت الكلمة تطلق على نقد فضي يساوي رُبُع المجيدي الفضي (*) .

(خ)

خازوق : محرفة عن التركية (قازيق kazik = الوتد / ومجازاً = الخدعة ، الحيلة والدسيسة) . باللهجة السورية اشتق منها (خَوْزَقة) لذلك الوتد الخشبي أو المعدني الذي كان يعاقب به المجرمون .

(*) المجيدي العثماني الفضي يساوي ٢٠ غرشاً . وربع المجيدي = ٥ غروش والليرة العثمانية الذهبية تساوي ٥ مجيديات = ١٠٠ غرش .

وسمعت من بعض العامة من يقول (خوزاق) بـدلاً من (خازوق)! كما يقول بعضهم (دالوب) بدلاً من (دولاب)!

خاشُوقة: محرفة عن التركية (قاشيق Kasik = ملعقة) باللهجة العراقيـة كثيرة الاستعمال وتلفظ بالقاف اليمنية (ج خواشيق).

خِتْيار: محرفة من التركية (اختيار ihtiyar، العربية وكانت تستعمل عندهم فيما مضى مع أداة النفي الفارسية (بی bi) بي اختيار أي (لايملك خيرة. وتطلق على الشيخ الهرم عديم الإدارة، أو الكبير السن). وقد حذفت بالتركية بعد ذلك، أداة النفي هـذه فيقولون (اختيار، للشيخ الهرم أو الكبير السن). وباللهجة السورية حذفت الألف أيضاً، في بعض الأحيان، واستبقي المعنى.

خَرْطُوشة. محرفـة من التركية (قارتوج Kartuç المحرفة عن التليانيـة cartuccia، وبالفرنسيـة cartouche لما يطلق عليـه بالعاميـة (فَشَك). انظر كلمة (فشك).

خِشاف: محرفة عن التركية (خوشاب hoşab) عن الفارسية (خوش آب. من: خوش = لطيف، لذيذ / وآب = ماء) لمنقوعات الزبيب خاصة أو الأثمار الجافة عامة (المشمش، الخوخ وغيرهما).

خُوبْ: من الفارسية (kub) في الأصل بمعنى: جميل، لطيف، حسن وباللهجة العراقية تستعمل للمعنى نفسه (تقابل: طيّب) باللهجة السوريه. أما باللهجة الكويتية فتستعمل للعمل الصحيح [من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير عضو مجمع اللغة العربية بمصر ص ٣٨ (١٩٦٩)]. وتقرب من معاني هذه الكلمة الفارسية كلمة فارسية أخرى هي (خوش hoş) وتستعمل باللهجة العراقية

مثلما تستعمل كلمة (زين) لمعنى نفسه . وباللهجة الحلبية كذلك كما في التركية .

(د)

دادَه : من التركية (دده dede) للجد ، كما يطلق عندهم على الدرويش dervis) . في اللهجة السورية تستعمل كلمة تحبب يخاطب بها الأطفال أو الأولاد الصغار .

دادُو : من التركية (دادى dadi) . في الأصل للخادم أو الجارية المخصصة للعناية بالأطفال . في اللهجة الحلبية تطلق على الجارية السوداء مربية أطفال الأسرة .

داكيش : محرفة عن التركية (دگيش بالكاف الفارسية degis = تبدُّل تحوُّل) من المصدر (دكيشمك degismek = تبادَلَ ، تحوَّل). باللهجة الشاميه كثيرة الاستعمال بين موظفي إدارة النقل العام وعمالها (قديماً الحافلات ، واليوم الباصات) بمعنى تبادُل أحد الموظفين أو العمال محل الآخر ، الوظيفة أو نوبة العمل .

دايَة : من التركية عن الفارسية (dâye) . في الأصل بمعنى (مربية الأطفال التي تقوم بشؤونهم من خدمة وعناية ، كما تطلق على المرضع) . باللهجة السورية خصصت للتي تتولى توليد الحوامل وهي القابلة بالفصحى) .

دَبُّو : من التركية عن الفرنسية (dépôt للمكان أو المخزن الكبير توضع فيه الأشياء أو الأمتعة . فباللهجة السورية هو (المستودَع) .

دَرْد : من التركية عن الفارسية (derd) بمعنى الألم ، الوجع ، الكآبة والهمّ . ومنها (دردشة) محرفة عن (دَردْلَشْمه

derdlesme) = تباثّ الهموم والشكوى ، من (درد) بادخال اللام والشين لفعل المشاركة والميم للمصدر التخفيفي بالتركية ، بمعنى (اللغو) أي الكلام لاعن روية وفكر .

دَرْوِيش : بالتركية عن الفارسية (deruris) من (دَرْ = باب) و (ويش = مُسْتَلْقٍ) ومعنى الكلمة في الأصل (المستلقي أمام الباب). خصصت لأفراد طائفة من أهل الله تمتاز بطريقتهم الخاصة بالفتل بلباسهم المسمى (تنّورة tennure) [في مكان العبادة المسمى : دركاه dergâh = تكية ، العربية بمعنى المستند ثم اكتسبت معنى المصطلح (الزاوية) التي يسكن فيها المشايخ للتعويذ وكتابة الحُجُب] وبقلنسوة طويلة من اللباد . وجمعوا الكلمة على (دراويش) . وباللهجة السورية تطلق على (الفقير ، والمسكين العديم الشأن ، العاجز) .

دريشة[1] : محرفة عن الفارسية (دريچة deriçe) بالشين بدلاً من الجيم الفارسية المثلثة النقط . تطلق في الأصل على باب صغير يجعل في باب كبير ليسهل الدخول منه إلى الدار ، وهي توافق بالعربية الفصحى (الخوخة) وهي كوّة تؤدي إلى ضوء البيت ؛ وتخترق دارين ما عليه باب . ومن معاني الكلمة الفارسية (نافذة ، شباك) عند الأتراك وبهذا المعنى الأخير تستعمل باللهجة الكويتية .

دُوزانْ : محرفة من التركية (دوزن düzen = نظام ، ترتيب / تنظيم أوتار الآلة الموسيقية الوترية بحيث تصلح للعزف ، ومعان أخرى)

(١) الكلمة من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر . ص ١٣٨ سنة ١٩٦٩ . (الشرح للكواكبي) .

مشتقة من المصدر (دوزمك dûzmek = رَتَّبَ ، نَظَّمَ) . باللهجة السورية تستعمل الكلمة تخصيصاً بمعنى تنظيم أوتار الآلة الموسيقية.

(ر)

رَصْد : من التركية محرفة عن الفارسية (راست rast = سويّ ، مستقيم) مقام من الأنغام الموسيقية .

(ز)

زَرْدَهْ : من التركية عن الفارسية (zerde) لنوع من الطعام يقدم في الأعراس يتألف من الرز المطبوخ المحلّى والمزعفر (أي المصبوغ بالصفرة بالزعفران) ليتلون بلون الذهب . الكلمة كانت شائعة في اللهجة الحلبية في العهد العثماني السابق ، لهذا الطعام[1] .

زِرْ كِلي : « بامالة كسرة اللام » محرفة من (زِره zirh الفارسية ، للدرع من حديد أو فولاذ)و (لي = صاحب ،ذو ، التركية) . فباللهجة الشامية لقب أسرة شهيرة . أما الأتراك فيقولون (زرهلي zirihli بالهاء) لسفينة أوبارجة حربية مصفحة بالفولاذ ، خاصة .

زَرْگن : محرفة عن الفارسية (زرگر zerger ، بالكاف الفارسية = صائغ) . في اللهجة السورية بمعنى (غشّ) . والكلمة الفارسية نفسها تستعمل مجازاً بهذا المعنى كذلك : زَرْگري zergeri = مغشوش ، مموّه) . يرادفها كلمة ساخته sahta الفارسية ، بمعنى مغشوش، مقلّد. من المصدر (ساختن sahten = عمِلَ،قلّد،تظاهرَ).

(١) ولا تزال . ومنها المثل الشعبي : « بعد العرس لايوجد زرده » . ثم هي شائعة ومستعملة في أغلب أقطار الشمال الإفريقي للدلالة على الدعوة العامة وبخاصة دعوات الطرقية التي يتبعها شيء من الذكر « لجنة المجلة » .

(٢) في عامية دمشق يستعملون احياناً كثيرة كلمة « سخطة » للدلالة على بعض الأورق أوالتواقيع المزورة .

زِكِرْتي : من التركية محرفةً عن (زُگورت Zügürt) بالكاف الفارسية ، وباضافة الياء ، بمعنى مفلس ، لايملك نقيراً) . فباللهجة السورية تستعمل بمعنى خاص جداً لاصلة له بالمعنى الأصلي (أي مفلس) إنما يريدون بها أنه (مسكين شهم !) .

زِنْزانة : محرفة من التركية والفارسية (زندان zindan السِّجْن) ثم خصصت للحجرة المظلمة جداً في السجن التي يوضع فيها المجرم الخطر . ومن هنا استعمالها باللهجة السورية محرفةً لمثل هذه الحجرة (بالفرنسية هي cachot وهي المُطْبِق) الفصحى = حَبْسٌ تحت الأرض (متن اللغة مادة طبق) .

زَنْكيل : من التركية (زنكين zengin = غني ، ذومال ، ذو يسار) باللهجة الشامية محرفة باللام بدلاً من النون في آخر الكلمة بمعنى (غني ، صاحب ثروة) . أما باللهجة الحلبية فتستعمل الكلمة كما في التركية دون تحريف (بالنون - لاباللام - في آخر الكلمة أي زنكين) .

سنْجَقْدار : بالتركية من (سنجاق ، التركية sancak = عَلَم) و (دار ، الفارسية = صاحب ، مالك ، محافظ) . مصطلح عسكري للضابط الذي يحمل علم (الآلاي) أو (الطابور) . وفي سورية اسم لشارع مشهور في قلب العاصمة شام [انظر الحاشية الواردة حول الكلمة : بيرقدار] .

(ش)

شَتْري(١) : محرفة عن الفارسية (چتر çetr = شمسية ، مظلّة) بالجيم الفارسية المثلثة النقط ، وبدون ياء في آخر الكلمة) . وباللهجة

(١) الكلمة من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر ص ٣٨ سنة ١٩٦٩ (الشرح للكواكبي) .

للمظلّة الكبيرة أو للشّرادق . قلت : والسرادق معربة عن الفارسية (سَرايَرْده sera perde = الخيمة التي تظلل الرأس)وهي بالتركية القديمة (أوطاغ utağ = خيمة فخمة تنصب للملوك) . [من معاني الكلمة الفارسية : الخيمة الفخمة للملوك / الستار الكبير الذي يجعل على باب « الحريم »] .

شَدْ عُرْبان : محرفة عن التركية (شت عربان süt urban_ المحرفة نفسها عن الفارسية (شتربان sütürban_ = جَمّال) من (شُتُر = إبل ، جمال) و (بان = ناظر ، حافظ) ومعنى الكلمتين : (جمّال) وفي الأنغام الموسيقية خصص لمقام معروف (حداء الإبل) لعل ذلك لمحاكاة النغم لما يبدو من (حادي العيس) من الصوت حين سوقه إياها .

شَرْبات : محرفة عن التركية (شَرْبت serbet_ المحرفة عن العربية (شَرْبة) كثيرة الاستعمال باللهجة المصرية لما يقال له باللهجة السورية (شراب) لأشربة الفواكه المطبوخة مع السكر على طراز معلوم وتقدم للضيوف صيفاً مثلجةً . أما كلمة (شراب sarap_) في اللهجة التركية فهي تطلق خاصة على الخمر ، النبيذ . وأما الذي يقدم للضيوف من أشربة الفواكه فهي عندهم (شروب surup_) وبالفرنسية (sirop = لمطاق محلول السكر بنسبة معلومة لتحلية بعض الأدوية السائلة المستعملة في الطب) .

شُرَك : محرفة من التركية [جُورَك çörek = نوع من الكعك ، (سميد simit) مدوّر] . باللهجة الشامية تطلق الكلمة على نوع

من (الكعك المبسَّط) المستطيل شكلاً . وباللهجة الحلبية تلفظ الكلمة كالتركية تماماً بالجيم الفارسية المثلثة النقط .

شَشْمه : محرفة عن التركية (چشمه çeşme الفارسية بمعنى ينبوع ، عين ماء ، وتخصيصاً لجمع ماء ذي حنفية أي سُبلان ماء) . باللهجة السورية استعملت بمعنى ميضأة ومرحاض . باللهجة الحلبية (تشمه بالتاء ، بدلاً من الشين الأولى) للمرحاض .

شُلَق : محرفة عن التركية (چولاق çolak = اكتع) . باللهجة الشامية بالشين بدلاً من الجيم الفارسية المثلثة النقط ، لقب أسرة بدمشق .

شَلْغَم : من التركية عن الفارسية salgam . هو اللّفت باللهجة السورية . و (الشَّلْجَم) بالسين ، معرَّب . وكلمة (شلغم) شائعة الاستعمال باللهجة الموصلية كالتركية لفظاً ومعنى .

شَمْبَر : من التركية (چنبر çenber الفارسية بالجيم المثلثة) بمعنى (محيط دائرة / إطار دائري الشكل / إطار يطوِّق الدنان كالزنار) يقابلها (الفتريس) الفصحى ، وهي الحلقة من خشب . فباللهجة الشامية ، بالشين بدلاً من الجيم الفارسية . يطلقها الحدادون على إطار مدور من النحاس كالحلقة ، الذي يوضع على رأس (البوريوس) .

شُورَبا : محرفة عن التركية (چوربا çorba = حساء) وهو طبيخ مائع القوام يتناول في بدء الطعام . قلت : أليست الكلمة التركية محرفة عن العربية (شُرْبة) لما يتناول شرباً إطلاقاً (موائع ، حساء ، شرابات الخ) ..

شُوْيكار : محرفة من التركية عن الفارسية (شيوه كار = sivekâr = ذات

الغنج والدلال). وهو من التحريفات التي قلبت المعنى الأصلي المليح إلى معنى قبيح . لأن (شُوي كار) من (شُوي suy = وَسخ ، قَذَر) و (كار = عمل) والمعنى (قبيح العمل) . فأين (القذر العمل) من (ذات الدلال) . ولو أن فارسياً أو من له إلمام بالفارسية شاهد الكلمة على يَفْتَج أو في صحيفة ما أو سمعها من المتحدثين بها لأخذه العجب العجاب ، ولقال في نفسه : [سبحان الله ! خطأ في الكتابة أو اللفظ ، كيف يحوّل (ذات الدلال) إلى (قبيحة الأعمال !)] .

(ص)

صاجْ : محرفة من التركية (ساج وتلفظ صاج saç بالصاد والجيم الفارسية المثلثة النقط) لصفائح من الحديد الرقيق . باللهجة السورية تلفظ بالصاد وبالمعنى التركي تماماً . فيقولون مثلاً (صوبية من الصاج أو من الحديد الصاج) . قلت : أما كلمة (الساج) العربية الفصحى فهي : شجر قاس ، وطيلسان أخضر .

صالونْ : من الفرنسية (salon) لأكبر وأوسع غرفة في البيت لقبول الزوار . وتعميماً : مكان واسع للحلاقة ، أو لعرض بعض التحف ، لمكان انتظار الركاب والمودّعين والمستقبلين في السكك الحديدية والمطارات . تستعمل الكلمة باللهجتين السورية واللبنانية .

صالَيّة : محرفة عن الفرنسية (salle) . هي الصُفّة الفصحى ، وبالتركية (صوفا sofa) تحريفاً عن العربية . والكلمة الفرنسية تستعمل في اللهجتين السورية واللبنانية . أما (الصوفا) الفرنسية فهي عندهم مأخوذة من العربية (صُفّة) تقابل (الأريكة ، بالعربية)

لنوع من الأثاث كالفراش للاستراحة ذي ثلاثة متكآت وعدد من الوسادات .

صيرامي : بالتركية (صيراسيله sirasile) وهذه من (صيره sira = صف ترتيب ، دور) . باللهجة السورية ، بمعنى : بالدور ، بالترتيب [حذفت له le المخففة عن إيله ile = بـ ، مع] .

صَهْريج : من التركية (صَارْنيجْ sarniç بالجيم الفارسية المثلثة) في الأصل (صِهريج) كقنديل بالكسر ، لحوض يجتمع فيه الماء . والمُصَهْرَج المعمول بالصاروج ، (هو بالفرنسية citerne) . وباللهجة الحلبية لبئر تحفر في الدار وتصرَّج خاصةً لخزن مياه الأمطار شتاءً لتشرب صيفاً .

صُوبْية : محرفة من التركية (صوبه soba) لما توقد فيه النار شتاءً للتدفئة ولها (بواري) يجري فيها الدخان وحصول الاحتراق خارج الغرفة أو المكان الموضوعة فيه . استعيض عنها بكلمة (مدفأة) .

صُوج : من التركية (صوج suç بالجيم الفارسية المثلثة = ذنب ، قباحة ، خطأ ، جنحة) . باللهجة الحلبية تستعمل بمعنى ذنب ، قباحة .

صُوفاية : من التركية (صوفه sofa المحرفة عن العربية صُفّة) . باللهجة الحلبية تطلق على رواق يصل بين غرفتين أو أكثر كما في التركية تماماً .

(ط)

طارْمة : محرفة عن الفارسية (طارم tarem = قبة ، سقف ، سطح). باللهجة العراقية تطلق على سطح الدار .

طَرْبُوش : محرفة عن الفارسية (سَرْپوش) من (سَرْ = رأس / پوش = غطاء / سِتْر) من (پوشيدن pusiden = سَتَرَ ، غَطّى) لما يجعله الرجل على رأسه غطاءً له . [انظر كلمة (كَشْبوش) لما يقابل غطاء رأس المرأة] .

طَوان :من التركية (طاوان tavan = السقف على الإطلاق) . باللهجة الشامية بمعنى السقف الخشبي الذي يجعل لستر الروافد الخشبية التي تحمل السقف الأول الحقيقي للغرف (أو القاعات) .

طواشي : هو الخصِيّ بالفصحى . ولم أهتد إلى مصدر الكلمة ولعلها من اللهجات السامية [1] . وباللهجة السورية اشتق منها فعل (تطوّش ، تطوشاً) . هو بالفرنسية énuque [والفعل (énuhisme)] قلت : الفصحى طوّش ، تطويشاً هي مطَلَ غريمه ، ولا صلة لهاألبتة بالكلمة الأعجمية . هو بالتركية (حرم آغاسي harem agasi لمن يخدم حريم السلاطين ، قديماً) .

طُوخ : محرفةً عن التركية (طوق tok = من معانيها : كثيف ، غامق اللون) . هي باللهجة العراقية كثيرة الاستعمال بالمعنى التركي

طُوز : من التركية (توز toz = مطلق الغبار) ، باللهجة العراقية ولهجة البلاد السورية المتاخمة للعراق خُصصت للعجاج الذي يثـــور في الصيف ، بالمعنى التركي .

---

(١) [طواشي : كلمة كلدانية الأصل . ومن معانيها مايقابل الكلمة الفرنسية bâtard = قَذِرٌ - ملطّخ . . . إلخ] . من جواب الأب المحترم عمانوئيل الرئيس ، عن سؤالي بوساطة صديق لي من الطائفة الكلدانية . فللأب المحترم جزيل الشكر .

(ظ)

ظِـرْبا : محرفة عن التركية (زوربا zorba) المحرفة عن الفارسية (زور بازو zor baza) من (زور zor الفارسية = قسر ، جبر) و (بازو = عضد) ومعنى الكلمتين (قوة ، تغلُّب) . أما الكلمة التركية فبمعنى القوي ، والذي يجبر الناس على عمل شيء قسراً . تستعمل باللهجة السورية كالتركية تماماً .

(ع)

عربايه : محرفة بإضافة (يه) من التركية (آرابه araba) لواسطة النقل التي تجرها الخيل والتي كانت مشهورة إلى عهد قريب . وقد حلت محلها السيارة (automobile) حتى غلب استعمال كلمة (آرابا) على السيارة في يومنا الحاضر .

هذا ولا علاقة لكلمة (آرابه) التركية النجار بكلمة (عربية) وليست بمشتقة منها ، كما يتوهم بعضهم .

عَلَمْدار : بالتركية من (علم ، العربية) و (دار ، الفارسية = صاحب ، محافظ) أي (صاحب العلم، صاحب السَّنْجَق) وهو (السنجقدار) .

(غ)

غَرْسُون : من الفرنسية (garçon) ومن معانيها من يخدم في المقاهي أو المطاعم ؛ (انظر كلمة : بوي boy) .

للبحث صلة

من ألفاظ البيروني في كتاب الصيدنة (١)

الدكتور ميشيل الخوري

١

وردت لفظتا الصيدنة والصيدناني وأختاهما لفظتا الصيدلة والصيدلاني في السطر الأول من الصفحة الأولى من كتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ - ٤٤٢ هـ/ ٩٧٣ - ١٠٥٠ م) . وقبل الخوض في بحث الناحية اللغوية لهذه الألفاظ يحسن بي أن أعرض فيما يلي صورة موجزة لكتاب الصيدنة في الطب .

ينقسم كتاب الصيدنة في الطب ، على ما جاء في مخطوطاته ، قسمين أولهما المقدمة وثانيهما الكتاب خاصة ، وهو أطول القسمين . أما المقدمة فتتألف من تمهيد وخمسة فصول . وقد عرّف البيروني في التمهيد الصيدنة والصيدناني وتناول في الفصل الأول أصل هاتين اللفظتين وما جرى مجراهما من الألفاظ المعربة . ثم ذكر في الفصل الثاني الأسماء التي تطلق على أصناف الأدوية ، وأوضح في الفصل الثالث قوى الأدوية . وأخيراً فإنه أعرب في الفصلين الرابع والخامس عن تفضيله اللغة العربية على الفارسية في تصنيف الكتب العلمية

---

(١) محاضرة ألقيت في المهرجان الخطابي الذي دعا اليه المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية احتفاء بالذكرى الألفية لمولد العالم ابي الريحان البيروني وذلك في نطاق اسبوع العلم الرابع عشر المقام في دمشق في المدة ٢ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

وذكر بعض المعاجم الكثيرة اللغات التي كان يلجأ إليها لمعرفة أسماء الأدوية بمختلف اللغات الشائعة في عصره .

ويشتمل القسم الثاني على وصف مطوّل للأدوية المفردة التي تنتمي إلى الأعيان الثلاثة ، ولكن أكثرها من النبات وأقلها من الحيوان والجماد . وقد أورد البيروني أسماء الأدوية التي يتألف منها كتابه مرتبة على حروف المعجم ، لأن هذا الترتيب كما قال البيروني أشهر عند الجمهور من الترتيب على حروف الجُمَّل . وهو يذكر أولاً اسم الدواء وما يرادفه بالعربية ثم يتبعه بالأسماء التي تقابله باللغات الأخرى كاليونانية والفارسية والسريانية والهندية وغيرها من اللغات التي كانت محكية في البلدان المتاخمة لوطنه خوارزم . ثم أنه يذكر خواص كل دواء وأوصافه وأنواعه وموطنه ، وإذا كان نباتاً أشار إلى استنباته ونموه وحفظه ، وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة به . ولكن البيروني يتعمد عمداً في وصفه لمعظم الأدوية الواردة في كتابه عن الإشارة إلى كيفية استعمال الدواء في العلاج ، فلا يذكر شيئاً ألبتة عن مقاديره وتأثيره في مختلف الأعضاء ، كما يغفل ذكر أسماء الأمراض التي يُستطبُّ به فيها . وهو أمين في نقله ، فيذكر أسماء المؤلفين الذين يأخذ عنهم ما قيل في الدواء الذي يتناوله البحث . وأخيراً فإنه بين آن وآخر يلجأ إلى الشعر العربي فيقبس منه شواهد يذكر فيها اسم ذلك الدواء ولا سيما إذا كان نباتاً .

وقد حظي كتاب الصيدنة باهتمام العلماء من شرقيين وغربيين ، فترجمه إلى الفارسية أبو بكر بن علي بن عثمان الكاساني في أوائل القرن السابع الهجري . وفي سنة ١٩٣٢ ترجمه ماكس مايرهوف المستشرق الألماني إلى الألمانية ولكن لم ينشر منه غير المقدمة مع ما يقابلها من الأصل العربي .

وبمناسبة الذكرى الألفية لمولد أبي الريحان البيروني ، والاحتفاء بها

على نطاق عالمي فقد نشرت مؤسسة همدرد الوطنية في كراتشي بالباكستان سنة ١٩٧٣ تحقيقاً عربياً لكتاب الصيدنة وضعه الدكتور رانا احسان إلهي الأستاذ في في جامعة البنجاب وترجمة إنكليزية لهذا الكتاب وضعها الحكيم محمد سعيد رئيس مؤسسة همدرد. وقد صدر التحقيق والترجمة في كتاب واحد ومعه كتاب آخر يشتمل على تحقيق وتقييم باللغة الانكليزية لكتاب الصيدنة من وضع الدكتور سامي خلف حمارنة الأستاذ المؤرخ في سميثسونيان انستيتوشن في واشنطن . وفضلاً عن ذلك فإن أكاديمية العلوم في طشقند أصدرت في سنة ١٩٧٣ لكتاب الصيدنة ترجمة روسية وضعها عبيد الله كريموف عضو الأكاديمية ، وترجمة أخرى باللغة الاوزبكستانية .

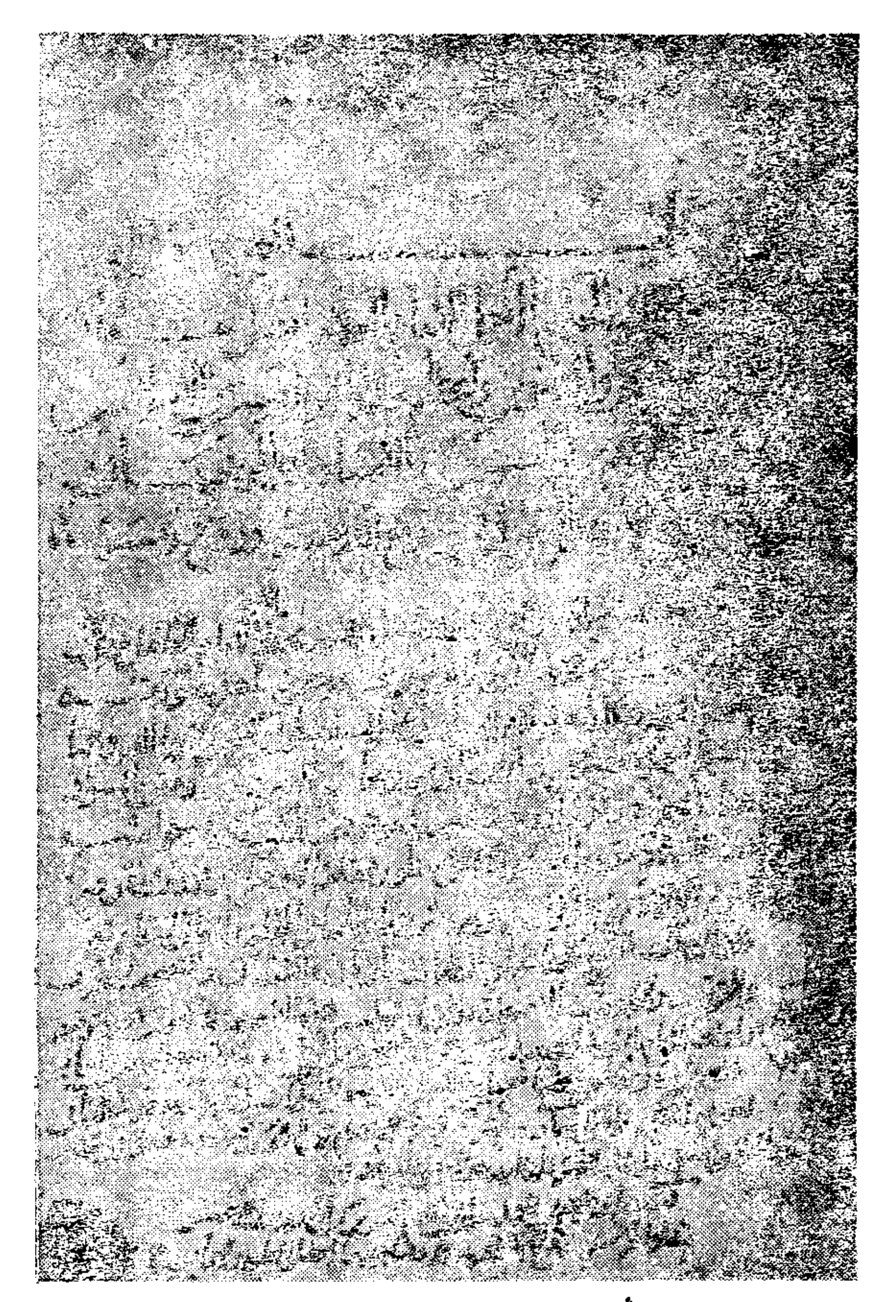
ربما أن ايران كانت احدى الدول التي اشتركت في احياء الذكرى الألفية لمولد البيروني فإن المجلس الأعلى للثقافة والفنون في العاصمة الايرانية نشر قسماً من الترجمة الفارسية لكتاب الصيدنة في الطب ، كما نشر خمسة كتب تذكارية أخرى تضمنت دراسات وشروحاً وفهارس لمؤلفات البيروني .

وتبيَّن مما اجتمع لدينا من المصورات لمخطوطات كتاب الصيدنة أن أقدمها على الأرجح هي المخطوطة ذات الرقم ١٤٩ المحفوظة في جامع كورشونلو في بورسه بتركيا . وهي مخطوطة نقلها إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التبريزي المعروف بغضنفر سنة ٦٧٨ هـ ، عن نسخة كتبها الإمام محمد بن مسعود بن محمد الزكي الغزنوي سنة ٥٤٩ هـ نقلاً عن نسخ أخرى أخصها نسخة كتبت سنة ٤٦٨ هـ أي بعد وفاة البيروني بنحو خمس وعشرين سنة . وقد فقدت جميع هذه النسخ ما عدا النسخة التي كتبها غضنفر والتي رجحنا أنها مخطوطة بورسه كما تقدم[1] .

ويبدو أن كل ما في دور الكتب من نسخ كتاب الصيدنة إنما هو

---

(١) تيسّر الحصول على مصور مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب بمعاونة المكتبة المركزية بجامعة طهران .



وجه الورقة الأولى من مخطوطة بورسه لكتاب الصيدنة في الطب

نقل عن مخطوطة بورسه ، وأخص هذه النقول التي استعان بها الباحثون المعنيون بدراسة كتاب الصيدنة ، النسخة ذات الرقم ل/ ٣٠١٤ التي تملكها دار الكتب المصرية بالقاهرة ، والنسخة ذات الرقم ١٩١١ المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي في بغداد .

٢

سأقتصر في هذا المقال على بحث الألفاظ صَيْدنة وصيدلة وصيدناني وصيدلاني ، فأنقل ما جاء عن تعريفها وأصلها في الأمهات وسواها من المراجع ، مشيراً بوجه خاص إلى ما ذهب إليه البيروني من أن الصيدنة والصيدناني لفظتان معربتان ، وأن تعريبها وتعريب ما جرى مجراهما من الألفاظ ، إنما تم بتحويل بعض حروف الكلمة الأعجمية ، وخاصة بتحويل حرف الجيم في الكلمة الأعجمية إلى صاد في الكلمة المعربة .

وقد رأيت أن أبدأ بحثي بإيراد نص اقتطعته من مقدمة كتاب الصيدنة كما جاءت في مخطوطة بورسه . وإنما وقع اختياري على هذا النص لتضمنه المنهج الذي جريت عليه في بحثي من حيث التعريف الذي وضعه البيروني لكل من الصيدنة والصيدناني ومن حيث الأصل اللغوي الذي تولدت منه هاتان اللفظتان . وهذا هو النص :

« الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها ، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة . والصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وهو المحترف بجمع الأدوية على أحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب » .

ويتابع البيروني فيقول :

« في الصّاد الذي في أول اسم الصيدنة والصيدناني سِمةٌ من

ظهر الورقة الأولى من مخطوطة بورسه الكتاب الصيدنة في الطب

الدلالة على أنه مُعرَّب الجيم . ولهذا لا أستنكر من حمزة الأصبهاني قوله في الصيدناني إنه معرب جندناني[١] ، وذلك أن ولوع الهند بالصندل يفوق ولوعهم بسائر أهضام العطر وأفواه الطيب ويسمونه جَندَن° وجندل . فأما نسبة الصيدناني إلى الصندل فهي أيضاً سبب يصيره صندلانياً فهو أصوب . وقد يجوز أن يقارب الفرس الهند في الرغبة في الصندل حتى يسموا جلاَّبه جندنانياً ، ثم عُرِّب إذ لم تكن العرب تفرد له اسماً أو لقباً . وكأنهم كانوا يزهدون في الصندل فنقلوا هذا الاسم المُعرَّب من مزاولي العطر إلى مزاولي الأدوية لما لم يكن في جملة عطورهم ، ولم يكادوا يميزون بين العطار والنِطاسي وعمموها لقلة الهداية . والعرافة نسبة إلى العلم والمعرفة . قال:

تروحُ الى العطارِ تبغي شبابَها ولا يُصلحُ العرَّافُ ما أفسدَ الدهرُ

ومنه عرَّافُ اليمامة لجمع أدهانهم الأرجة الى التداوي والمنفعة » .

« فأما قول بعض اللغويين في الصيدناني إنه دويبة طويلة لا تكاد أرجلها تعد لكثرتها وتفاوتها في الطول والقصر قد شبه به الصيدلاني لكثرة أدويته واختلاف جربه وأوعيته فهو لغو بحت . وكأنه أشار إلى دخَّال الآذان المعروف مرة بالأربع والأربعين وأخرى بالسبع والسبعين . وكنت عددت أرجل واحد منها فكانت مائتين وأربعين رجلاً » .

٣

تقدم في النص الذي سبق ذكره أن البيروني عرف الصيدنة بقوله : « الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وانواعها وصورها المختارة لها وخلط المركبات من الأدوية بكُنهِ نُسَخِها المدونة » . وتعريف البيروني للصيدنة مطابق لتعريف الصيدلة في المعجمات الطبية الحديثة ، فقد جاء في معجم دورلند الطبي أن الصيدلة هي فن تحضير الأدوية وتركيبها وتوزيعها .

(١) الجيم في الألفاظ جندناني وجندن وجندل حيثما ترد في هذا المقال هي الجيم الفارسية المثلثة .

وتوسع المعجم الوسيط في تعريف الصيدلة فقال : « الصيدلة مهنة الصيدلاني، وعلم الصيدلة علم يبحث فيه عن العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما إلى ذلك » .

ولفظة الصيدنة في عرف البيروني أعرف وأشهر من الصيدلة فهو إذن يقول في التمهيد لمقدمة كتاب الصيدنة : « الصيدنة أعرف من الصيدلة والصيدلاني أعرف من الصيدناني » ، ولهذا السبب جعل البيروني كلمة الصيدنة عنواناً لآخر الكتب التي ألفها وهو كتاب الصيدنة في الطب . وهو قد يكون على صواب في ذلك ، ولا سيما إذا كانت لفظة الصيدنة أشهر من الصيدلة في المنطقة التي قضى فيها بقية حياته وهي المنطقة التي تعرف اليوم بأفغانستان ، وحاضرتها كانت في زمنه غزنة مقر السلاطين من آل سبكتكين .

ولكن جمال الدين القفطي ذكر في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ٢٨٠) مايؤخذ منه أن الصيدلة والصيدلاني هما اللفظتان اللتان كانتا شائعتي الاستعمال في القرن الثاني الهجري أي قبل زمن البيروني بأكثر من مائتي سنة ، فروى أن الخليفة المهدي كان من أطبائه أبو قريش المعروف بعيسى الصيدلاني ، فاستدعاه المهدي وخاطبه فلم يجد عنده علماً بالصناعة إلا شيئاً يسيراً من علم الصيدلة ، إلا أنه اتخذه طبيباً لما جرى منه واستخصه وأكرمه الإكرام التام .

وقد استعملت كلمة الصيدلة بعد ذلك في القرن الثالث ؛ فإن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي ذكر في كتابه الجامع كلمة الصيدلة دون الصيدنة . قال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ج ١ ص ٣٩٧ و ٣١٨) : « وللرازي كتاب الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب ... وهو ينقسم اثني عشر قسماً ، القسم الخامس في صيدلة الطب فيه صفة الأدوية وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيدها ورديئها ونحو ذلك من علل الصيدلة ... وله كتاب صيدلة الطب » . ويلاحظ على ذلك

أن البيروني أشار في نهاية الفصل الخامس من مقدمـة كتاب الصيدنة إلى كتاب الرازي فسماه كتاب الصيدنة بالنون لا كتاب الصيدلة باللام كما فعل الرازي . قال البيروني : « كنت طالعت لأبي بكر الرازي كتابيه في الصيدنة والإبدال فلم افز منها بالكفاية » . فيدل ذلك على شدة تعلق البيروني بكلمة الصيدنة وتغليبه لها على كلمة الصيدلة .

وعلى العكس مما قاله البيروني من أن الصيدنة أعرف من الصيدلة فإن أحد معاصريه وهو الطبيب أبو الحسن المختار بن بطلان البغدادي ذكر في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدلة ولم يذكر الصيدنة ، فقال في موضع من هذا الكتاب : « تعزّ عليّ هذه الصناعة قلّ الواصف لها وعدم العارف بها فتحامى التجار جلب العقّار وبقينا من صناعة الصيدلة على البراني المُصفّفة والصواني المُزوّقة والدكاكين المزخرفة والألواح المرندجة » . ولو أن ابن بطلان عاش في هذا الزمان لأضاف إلى ذلك هذه الأدوية المعبأة والمعلبة التي أغنت عن الكيمياء وأعادت الصيدليات متاجر للبيع والشراء .

ومع أن لفظة الصيدلة وردت في كلامهم وفي مؤلفاتهم منذ القرن الثاني الهجري ، فإنها لم ترد في المعجمات التي ألفت قبل القرن التاسع . وقد كان القاموس المحيط للفيروزابادي أول المعجمات العربية التي ذكرتها فأشار إليها بإيجاز في سياق تعريفه للصيدلاني . وقد جاء عن لفظة الصيدلة في هذا المعجم مايلي : « ومحمد بن داود الفقيه الصيدلاني وجدّه منسوبان إلى بيـع العطر وهو الصيدلة » . وزاد عليه الزبيدي في تاج العروس فقال : « منسوبان إلى بيع العطر والأدوية والعقاقير وهو الصيدلة أي بيع العطارة » .

وإذا انتقلنا إلى المعجمات الحديثة لوجدنا أيضاً أن الصيدلة تعرّف فيها بايجاز وأن الصيدنة غير واردة فيها مما يدل على أن هذه المعجمات كمعجمي

الفيروزأبادي والزبيدي عدت الصيدنة لفظة مماتة فضربت صفحاً عنها ، واعتبرت الصيدلة لفظة حية فذكرتها ، وذلك كما هو بيّن مخالف لما أراده البيروني من تغليب لفظة الصيدنة على الصيدلة . إلا أن لفظتي الصيدلة والصيدنة وردتا في معجم دوزي بمعني العقاقير ، وهو معنى آخر يختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي أراده البيروني في تعريفه الصيدنة . ويستشهد هذا المعجم على لفظة الصيدلة بمعنى العقاقير بعبارة جاءت في مخطوطة ليدن ذات الرقم ٣٣١ (٧) وهي : «وكان أميناً في المارستان على الخزانة التي فيها الصيدلة» . ويستطرد معجم دوزي فيقول إن الصيدنة هى الصيدلة أي العقاقير ، ثم يستشهد على اللفظة بهذا المعنى بعبارة وردت في المعجم العبري العربي لأبي الوليد مروان بن جنَاح القُرطبي وهى : «أفاوية وعطورٌ وصيدنة» . وهو يستشهد أيضاً على لفظة الصيدنة بمعنى الأدوية بعبارة أخرى وردت في مخطوطة باريس ذات الرقم ٣٣٤٧ لكتاب مركز الاحاطة بأدباء غرناطة لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب ، والعبارة هي : «لها معرفة بالطب والصيدنة» . أي الأدوية المستعملة في الطب .

٤

وقد استعمل البيروني في مقدمة كتاب الصيدنة لفظتي الصيدلاني وجمعها صيادلة والصيدناني وجمعها صيادنة بدون أن يرجح الواحدة على الأخرى ، مع أنه ذهب في مقدمته إلى أن الصيدلاني أعرف من الصيدناني ، وعرّفه بقوله : «هو المحترف بجمع الأدوية علىأحمد صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب» . وليس بغريب أن ينطبق هذا التعريف الذي وضعه البيروني للصيدلاني منذ ألف سنة ، على الصيدلاني في هذا العصر ، إذ إن شأن هذا الأخير اليوم أن يقتني الأدوية الجاهزة على أحمد صورها وان يعنى بتوزيع الأجود من

أنواعها تنفيذاً لما يأمر به أهل الطب ، وهؤلاء انما يَعمِدُون إلى أدوية معيَّنة اقتناعاً منهم بمنافعها التي يبينها لهم ويذيعها بين ظهرانيهم مانسميه اليوم بالمكاتب العلمية ، وما هذه إلا مراكز للاعلام والوساطة التجارية تتولى إرشاد الأطباء الى الأدوية الجاهزة التي أثبتت الاختبارات العلمية فوائدها في مختلف وجوه المعالجة .

وقد أصاب البيروني فيما قاله من أن الصيدلاني أشهر من الصيدناني ، فإن المصنفات العربية القديمة التي تيسرت لي مراجعتها استعملت فيها لفظة الصيدلاني دون الصيدناني وذلك منذ القرن الثاني الهجري أو قبله . ومن ذلك ماجاء في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١٢٠) لجمال الدين القفطي عن اسحق والد الطبيب المترجم حنين بن اسحق وهو قوله : « وكان اسحق والد حنين صيدلانياً من أهل الحيرة ومن وَلَد العِبَاد » .

ولم يستعمل ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء غير لفظة الصيدلاني ، وذلك في رواياته التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري ، قال ابن أبي اصيبعة (ج ١ ص١٥٣) : « لما وجه المنصور المهدي إلى الريّ لمحاربة سنقار كان عيسى المعروف بأبي قريش صيدلانياً في العسكر فأمره المهدي بلزوم الخدمة وترك خيمته وماكان فيها من متاع الصيادلة » .

وأهمل ابن بطلان في كتابه دعوة الأطباء لفظة الصيدناني واقتصر على لفظة الصيدلاني فقال في موضع من كتابه : « ثم شرب وقال لغلامه امض إلى تلميذي أبي جابر الفاصد وادعه ومعه عوده وجز بصديقنا أبي أيوب الكحال وابي سالم الجرائحي وقل لأبي موسى الصيدلاني بحياتي عليك إلاّ جعلتنا في هذا اليوم أحَدَ زَبُونيكَ . فما كانت هنيهة حتى حضر القوم فسلموا فرددنا عليهم السلام » . وقال ايضاً : « أما تعلمون أن الحكماء يقولون إذا كان الطبيب حاذقاً والمريض موافقاً والصيدلاني صادقاً فما أقلّ لُبْثَ العلة » .

وقد تقدم أن لفظة الصيدلة لم يرد ذكرها في المعجمات قبل القرن

التاسع ، وأن لفظة الصيدنه لم ترد فيها البتة ، وإنما جاءت في بعض النصوص التي أشير اليها في معجم دوزي والتي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والثامن ، وعلى عكس ذلك فإن لفظتي الصيدلاني والصيدناني ورد ذكرهما بإسهاب في بعض المعجمات القديمة ، وسبب ذلك على مايبدو يعود الى أن تسمية بائع العطور والعقاقير بالصيدلاني أو الصيدناني سبقت تسمية حرفته بالصيدلة أو الصيدنة فجاء الكلام على المحترف أكثر إسهاباً منه على الحرفة ، أو أن المعجميين رأوا أن المحترف هو الأصل فأطالوا في تعريفه وايضاح مصدر الاسم الذي أطلق عليه ، كما رأوا أن تعريف الحرفة مما يستطاع استنتاجه من التعريف الذي وضع للمحترف ، فأهمله بعضهم اهمالاً تاماً وجعله البعض الآخر موجزاً إلى أقصى درجات الايجاز . هذا فضلاً عن أن المعجمات ذكرت للصيدناني والصيدلاني معاني أخرى لاتمت إلى الصيدلة بأية صلة كما سيجيء .

٥

وقد جاء في الصحاح أن الصندلاني لغة في الصيدناني . وجاء فيه أيضاً :« الصيدناني الصيدلاني ». وجاء في لسان العرب : «والصيدلاني معروف فارسي معرّب والجمع صيادلة . والصيدلاني لغة في الصيدناني » . فيؤخذ مما ذكره الصحاح واللسان أن لفظة الصيدناني اعرف الألفاظ الثلاثة ، وأن الصندلاني والصيدلاني لغتان فيه . ويؤخذ أيضاً مما قاله اللسان ان الصيدناني فارسي معرب أيضاً ، لأن الصيدلاني وهو لغة في الصيدناني فارسي معرب ، وهذا بالضبط ماعناه البيروني حين ذهب إلى أن الصيدناني معرب جندناني وذلك بأن الكلمة جندناني الفارسية قلبت جيمها المثلثة صاداً ونونها ياءً في الكلمة المعربة صيدناني . ويؤخذ ايضاً مما قاله البيروني ان لفظتي الجندن

والجندل تطلقان في الهند على شجر عطر الخشب ، وقد سماه العرب صندلاً تعريباً للفظتين جندن وجندل الفارسيتين ، وهاتان مأخوذتان من اللفظة السنسكريتية candana على ماجاء في معجم وبستر الأميركي وفي شرح معجم برهان قاطع للغة الفارسية . وقد تم هذا التعريب ايضاً بقلب الجيم المثلثة صاداً في كلمة صندل المعربة . واقتبس الفرس ايضاً عن الهند هاتين اللفظتين لتسمية الشجر أو لتسمية خشبه ، ونسبوا إلى الجندن فقالوا جندناني لبائع الصندل والعطور والأدوية . وكذلك فان العرب نسبوا إلى صندل فقالوا صندلاني لبائع الصندل والعطور والأدوية ، لان الأمم القديمة كالهنود والفرس والعرب لم تكن تفرق بين بائع العطور وبائع الأدوية فكان يتولى الاتجار بها شخص واحد ، ولذلك سمى العرب بائع الأدوية والعطور وما إليها من أدوات الزينة بالعطار وحرفته العطارة .

ويتبين مما تقدم أن ثمة تعريباً يفترض أن يكون تعريباً مزدوجاً ، أولها تعريب الجندن والجندل إلى صندل ، والنسبة إلى هذا الأخير بالصندلاني ، والثاني تعريب الجندناني إلى صيدناني . وقد كانت نتيجة هذا التعريب المزدوج أن استحدثت لتسمية العطار لفظتان عربيتان أو معربتان هما الصندلاني والصيدناني ، وهاتان حولتا فيما بعد إلى صيدلاني . ويتراءى للباحث في هذا التطور اللفظي أن لفظة الصندلاني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى ياء ، وذلك بدون المرور في طور الصيدناني على ما ذكره صاحب الصحاح ، وأن الصيدناني تحولت إلى صيدلاني بقلب نونه الأولى لاماً . وهذا الافتراض كما هو ظاهر يتفق مع ما ذهب إليه اللسان من أن الصيدلاني لغة في الصيدناني .

ويؤخذ أيضاً من هذا التطور اللفظي أن العرب أو الناطقين بالعربية ومنهم أبو الريحان البيروني ، حين قالوا صيدناني لمحترف بيع العطور والأدوية أطلقوا لفظة الصيدنة على حرفته ، كما أنهم حين قالوا صيدلاني المحترف

أطلقوا لفظة الصيدلة على الحرفة . أما الصيدنة فقد كانت اللفظة المفضلة عند البيروني ، ولذلك جعلها عنواناً لكتابه الصيدنة في الطب ، ولكنها عادت اليوم لفظة مماتة ، وبقيت لفظة الصيدلة . وأما اللفظة صيدلاني التي أطلقت على محترف الصيدلة منذ القرن الثاني الهجري أو قبله فتقوم مقامها اليوم في الشام اللفظة صيدلي. غير أننا لا نزال نحتفظ باللفظة صيدلاني ومؤنثها صيدلانية ، لاستعمالها صفة أو نعتاً فنقول مركب صيدلاني ومركبات صيدلانية وما إلى ذلك ، كما أننا نطلق اللفظة صيدلانية على محترفة الصيدلة فلا نصفها بالصيدليّة لإطلاقنا هذه اللفظة على المكان الذي تزاول فيه الصيدلة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من الذين تحدثوا عن كتاب الصيدنة في الطب للبيروني من أتى بلفظة جديدة هي الجندنة ، مفترضاً أنها أخذت من جندن أو جندناني ، وقال إنهـا أصبحت صيدنة . على أن البيروني حين نسب في مقدمة كتاب الصيدنة إلى حمزة الأصبهاني القول بأن اللفظة جندناني عربت إلى صيدناني ، لم يذكر الكلمة جندنة وإنما ذكر الألفـاظ جندن وجندل وجندناني ، هذا فضـلاً عن أن الكلمة جندنة لم ترد في معجم برهان قاطع للغة الفارسية القديمة . فلا حاجة إذن إلى اختراع لفظة جديدة هي اللفظة جندنة لنعدها أصلاً للفظة صيدنة ، لأن هذه كما سبقت الاشارة إليه مشتقة من الصيدناني كما اشتقت لفظة الصيدلة من الصيدلاني .

٦

جاء في ما سلف من هذا البحث أن من أهل اللغة من قال بأن لفظة الصندل دخيلة ومنها اشتقت لفظة الصيدناني وأخواتها . إلا أن لغويين آخرين ذهبوا إلى أن لفظتي الصيدناني والصيدلاني عربيتان ، وأنها منسوبتان إلى صيدن وصيدل العربيتين . ولم يرد هذا القول في الصّحـاح لأن هذا المعجم كما قيل لا يحتوي على أكثر من نصف اللغة ، إلا أنه جـاء في

اللسان ونقله التاج في مستدركه على القاموس ، وهذا ما قاله اللسان : «والصيدلاني لغة في الصيدناني ، قال ابن بري : الصيدلاني والصيدناني العطار ، منسوب إلى الصيدل والصيدن ، والأصل فيها حجارة الفضة فشبه بها حجارة العقاقير . وعليه قول الأعشى يصف ناقة شبّه زَوْرَها بصَلاءة العطار :

وزَوْراً ترى في مِرْفقيه تَجانفاً   نبيلاً كدَوْك الصَيدنانيّ دامِكا

ويُروى الصيدلاني دَامِكا والدّوْك الصلاءة ، ويقال للحجر الذي يطحن به الطيب ، والدّامِك المرتفع » . ويقول صاحب اللسان أيضاً في مادة صدن : «وحكى ابن بري عن ابن درستويه قال : الصيدن والصيدل حجارة الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها الصيدناني والصيدلاني وهو العطّار » .

وعلى خلاف ذلك فإن أبا محمد الحريري قال في درّة الغواص (ص ٥١): «ويقولون في المنسوب إلى الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ثم جعلا اسمين للعقاقير ، صيدلاني وصيدناني » . غير أن شهاب الدين الخفاجي قال في شرحه لدرة الغواص (ص ١٢٨) : «في شرح الفصيح الصيدناني والصيدلاني بائع العقاقير كالعشاب والعطار . وعن ابن درستويه : الصيدن والصيدل الفضة شبه بها حجارة العقاقير فنسب إليها وزيدت الألف والنون للمبالغة » . وعليه فإن الحريري ذهب إلى أن لفظتي الصيدل والصيدن وهي حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية العقاقير ، في حين أن الخفاجي يخالفه في ذلك فيردد ما نقله صاحب اللسان عن ابن درستويه وهو أن الصيدل والصيدن ، وهما في الأصل حجارة الفضة ، استعيرتا لتسمية حجارة العقاقير فنسب إليها بالصيدلاني والصيدناني ، على اعتبار أنها تعنيان حجارة العقاقير لا العقاقير نفسها التي تطحن بها .

وقد جاء في الصحاح ما يفهم منه أن للصيدناني معاني أخرى لا صلة لها بالصندل المعرب عن الجندن والجندل ، كما أنها ليست ذات صلة بصورة النسبة إليه وهي الصندلاني ، أو بلفظ النسبة التي يظن أن لفظة الصيدناني تعريب لها وهي اللفظة الفارسية جندناني . وينتج من ذلك أن المعاني الأخرى للصيدناني قد تدل على أن اللفظة عربية ، وأن العرب استعملوها للدلالة على عدد من المسمَّيات التي شاء البيروني الاشارة إلى بعضها ، ولم يشأ الاشارة إلى بعضها الآخر ، وهو ما نصت عليه المعجمات التي كانت متداولة في زمانه . وهذا ما قاله الصحاح : « الصيدناني الصيدلاني ، والصيدناني أيضاً دُوَيبَّة . قال أبو عبيد : تعمل لنفسها بيتاً في الأرض وتعمِّيه ، ويقال له الصَّيْدن أيضاً » .

وجاء في لسان العرب : « ابن الأعرابي : يقال لدابة كثيرة الأرجل لاتعد أرجلها من كثرتها وهي قصار وطوال صيدناني وبه شبه الصيدناني لكثرة ما عنده من الأدوية . وقال ابن خالويه : الصيدن دويبة تجمع عيداناً من النبات فشبه به الصيدناني لجمعه العقاقير » . وفي تاج العروس : « الصيدناني العطار مثل الصيدلاني ، شبه بتلك الدويبة التي تجمع العيدان على ما قاله ابن خالويه أو التي كثرت أرجلها على ما قاله ابن الأعرابي » .

وقد تقدم في النص المقتطع من مقدمة كتاب الصيدنة ما يؤخذ منه أن البيروني كان ينكر ما قاله بعض اللغويين — ولعله كان يقصد ابن الأعرابي — من أن الصيدناني دويبة كثيرة الأرجل ، وكان يعد هذا القول من قبيل اللَّغْو البَحت . وقد رجح البيروني أن من قال هذا القول كان يعني الدويبَّة المعروفة بدخَّال الآذان ، وهى الدويبة التى سماها سواه بالحَرِيش أو بأم الأربع والأربعين .

وقد وردت في الأمهات معانٍ أخرى للصيدن والصيدناني ضربت صفحاً عن ذكرها لأنها ليست ذات صلة بالموضوع الذي عالجته في هذا المقال . وهو أن لفظتي الصيدنة والصيدناني وأختيها لفظتي الصيدلة والصيدلاني يعود أصلها جميعاً إلى الصندل وهو الشجر الهندي ذو الخشب الطيب الرائحة ، وأن لفظة الصندل معربة عن الجندن والجندل الفارسيتين ، وقد تمّ هذا التعريب بقلب الجيم الفارسية صاداً في اللفظتين الأولى والثانية وبقلب النون الثانية لاماً في اللفظة الأولى ، وهما لفظتان مأخوذتان من لفظة سنسكريتية سُمّي بها الشجر ذو الخشب الطيب الرائحة ، وقد سماه العرب صندلاً على ما سبق بيانه بالتفصيل .

مصادر البحث

مخطوطة جامع كورشونلو في بورسه بتركيا ذات الرقم ١٤٩ لكتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ، تملك مصورها دار الكتب المركزية في جامعة طهران برقم ٣٦٣ .

مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ذات الرقم ل / ٣٠١٤ لكتاب الصيدنة للبيروني .

مخطوطة المتحف العراقي في بغداد ذات الرقم ١٩١١ لكتاب الصيدنة للبيروني .

مخطوطة مكتبة الامبروزيانا في ميلانو لكتاب دعوة الأطباء للمختار بن الحسن ابن بطلان .

ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (القاهرة ١٢٩٩ ﻫ / ١٨٨٢ م) .

جمال الدين القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة ١٣٢٦ هـ) .

أبو محمد القاسم بن علي الحريري : كتاب درة الغواص في أوهام الخواص وشرحه لأحمد شهاب الدين الخفاجي (القسطنطينية ١٢٩٩) .

أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي (القاهرة ١٣٨٩ هـ) .

الصحاح للجوهري (القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٥١) .

لسان العرب لابن منظور (القاهره ١٣٠٠ هـ) .

القاموس المحيط للفيروزابادي (القاهرة ١٣١٩ هـ).

تاج العروس الزبيدي (القاهرة ١٣٠٦ هـ).

المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

معجم برهان قاطع للتبريزي وشرحه للدكتور محمد معين (طهران ١٣٤٢ هـ ش / ١٩٦٣) .

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes (Leyden, 1881).

Dorland's Illustrated Medical Dictionary, 24th edition (Philadelphia, 1965).

Webster's International Dictionary (Springfield, Mass. 1971).

الدكتور ميشيل الخوري

الصّلات اللسانيّة بين الهند والعرب

الدكتور جميل أحمد

أولاً : منذ أقدم العصور إلى ظهور الإسلام

ا ـ تأثر الجانب الهندي :

لقد وصلت اللغة العربية إلى شبه القارة الهندية الباكستانية قبل الإسلام بزمن بعيد على يد التجار والملاحين من العرب ، فإن الهند والبلاد العربية كانتا على صلة تجارية مستمرة . والملاحة العربية في المياه الهندية كانت معهودة قبل الإسلام بقرون عديدة[1] . إذن من الطبيعي أن تنتج عنها آثارها في الحقل اللغوي لضرورة التفاهم بشأن تبادل البضائع والسلع . يصدّق ذلك ماأورده السيد سليمان الندوي في كتابه « عرب وهندكى تعلقات[2] » . نقلاً عن كتاب الباندیت الكبير سوامي ديانندجي المسمى « ستيارته بركاش » :

لما أراد (كورو) أن ينزلوا أعداءهم (باندو) في البيت المصنوع من الشمع أثناء حرب مهابهارت التي وقعت بين الطائفتين ، حينئذ كشف

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة « Saba » ؛ حوراني Arab Seaforing ٤ ـ ٥ ، ٣٢ ـ ٣٣ ؛ تاراتشند ٢٩ Influence of Islam on Indian Culture

(٢) ص ١١

(دورجي) عن تلك المؤامرة باللغة العربية ، وأجابه (بدهشتر) أيضاً باللغـة نفسها » .

فاللغة العربية كانت لغة التخاطب السري أثناء حرب كورو وباندو . ينم هذا عن كون اللغة العربية معهودة كأصحابها التجار العرب في الهنـد منذ فجر التاريـخ .

ولغات المقاطعات الساحلية في جنوب الهند وغربها تحمل أيضاً طابـع التأثر من العربية ، وإن أعوزتنا الوسائل لتقدير مدى ذلك التأثر بالضبط ، ثم الخط البراهمي الذي طوره الهنود ليلائم مقتضيات لغاتهم إنما دخل في الهند سنة ٨٠٠ قبـل الميلاد على ماقاله بوهلر بواسطة التجار الفينيقيين [١] الذين هم من أصل سامي . لاأدل على ذلك مما وجد من نقوش دولة موريان (Mauryan) ودولة اندهرا (Andhra) التي هي مكتوبـة بالحروف العربية ، وكذلك كتابات اشوك التي هي مرسومة من الجهة اليمنى على على نمط الخط العربي [٢] . ولا يخفى أن الكتابة من الجهة اليمنى مميزة تخص اللغات السامية لاغير . فهذا دليل قاطع على أن الصلات اللسانية بين الهنـد والعرب ترجع إلى ماقبل الميلاد بمئات السنين .

ب ـ تأثر الجانب العربي ـ الكلمات الهندية المعربة :

كذلك كان الجانب العربي قد تأثر قديمـاً من الاحتكاك بالهنود ولغاتهم ، فقد تسرب إلى اللغة العربية عدد كبير من مفردات اللغات الهندية من أسماء العقاقير والأطياب الزكية والأحجار الثمينة والأخشاب النفيسة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية (Sanskrit)

(٢) المصدر نفسه .

والتوابل الحارة والأبزار والسيوف ومصطلحات التجارة والملاحة وما إلى ذلك .

وهاك مثلاً بعض تلك الكلمات الهندية[١] الأصل التي جرت على لسان الملاحين العرب حتى عربت وشقت طريقها إلى الشعر الجاهلي :

الصندل (السنسكرية) chandan ، الفلفل[٢] (التاملية) Pipalli ، المسك[٢] (الهندية) Muska ، القرنفل[٢] (الهندية) kanakphal karanphul[٣] الكافور (الهندية) Kapur ، البارجة (الهندية) Bera[٤] . وفوق ذلك كله وردت بعض الكلمات الهندية الأصل - على الأقل

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في العلاقات التجارية للدكتور السيد محمد يوسف في مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، مايو ١٩٥٣ م ،وانظر أيضاً : سواء السبيل ؛ عربون كي جهاز رانى ص ١٤ — الندوي : عرب وهندكى تعلقات ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ، جفرى = Foveign vocabulary of Quran

(٢) فهناك أشعر الشعراء امرؤ القيس يقول في معلقته :

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وكذلك ذكر الشاعر علقمة الفحل ميناء هندياً هاماً « Kalkai » ربما سار اسمه مع اللآلىء التي كانت تصدر منه :

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ من القلقي والكبيس الملوب

انظر العلاقات التجارية ص ١٥

(٣) انظر سواء السبيل ؛ آنندراج مادة قرنفل .

(٤) البيروني ١٦٧ ؛ دهخدا ٢٩٢/٥ عن البيروني ، سواء السبيل ١٥ ؛ عربون كي جهاز رانى ١٤

ثلاثة منها ـ في القرآن المجيد ، وهي كافور ، زنجبيل ، ومسك[1]. وفي تاج العروس : « طوبى اسم (الجنة بالهندية) معرب عن توبى »[2].

فخلاصة القول إذن أن الصلات بين العرب والهند ليست وليدة الإسلام ، بل كانت قائمة قبله بقرون ، إلا أنها كانت تجارية بحتة ، ومنها نشأت بينها حركة التبادل اللغوي ، إلى أن أخذت اللغة العربية عن اللغات الساحلية الهندية عدداً من أسماء المستوردات من نواحي الهند ، كما ألف التجار الهنود وسكان المدن الساحلية العربَ ولغتَهم .

ج ـ الجاليات الإسلامية بالهند :

وكان من الطبيعي أن استقرت جاليات التجار من العرب والفرس بسواحل الهند الغربية والجنوبية بعد ظهور الإسلام ، إلا أنها سرعان ماتحولت إلى جاليات إسلامية مع الاحتفاظ بالعلاقات التجارية والصلات الودية مع الأهالي ، مما أدى على مرّ الزمن إلى كثرة الاختلاط والزواج بالنساء الوطنيات كما يقول تاراتشند : « واتخذ المسلمون ثلاثة مقرات على ساحل الهند الجنوبي وفي سيلان . يقول رولندسن (Rowlandson) إن المسلمين العرب بادىء بدء استقروا بساحل مليبار في أواخر القرن السابع »[3] . يؤيد هذا القول فرانسس دي (Francis Day) بالروايات المتوارثة[4]

(١) الندوي ٧٢ . فقد قال الله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً » (٧٦ : ٥) و « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً » (٧٦ : ١٧) ، « وختامه مسك » (٨٣ : ٢٦) . إلا أن جفرى دل على أكثر من ثلاث كلمات .

(٢) ٣٥٨/١ (فصل الطاء من باب الباء) تحت « طوبى » .

(٣) تاراتشند ٣٢ نقلاً عن مقدمته « تحفة المجاهدين » (ليدن ١٨٣٢ م) .

(٤) المرجع نفسه نقلاً عن كتابه « The Land of the Perumals ص ٣٦٥

وكذلك يدعمه ستورك (Sturrock) فيما كتبه عن موبلا (Moplahs) قائلاً: « مما هو معلوم أن التجار الفرس والعرب استقروا في القرن السابع وبعده ، بعدد كبير ، على السواحل الغربية من الهند متفرقين بأماكن مختلفة وتزوجوا النساء الوطنيات ، وكانت جالياتهم في ملبار خاصة ، كبيرة هامة »[١].

ومن التجار العرب الذين استوطنوا ملبار أولاً مالك بن دينار ، وشرف بن مالك ، ومالك بن حبيب . إنهم استقروا في مدينة كدنكلور ، وبنوا هناك مسجداً ، ثم أشرقت ربوع كوالم ومنجلور وكدنكلور وكانجركوت وغيرها بنور الإسلام ، وشيدت المساجد [٢] ، ومن المعلوم ما للمساجد من الفضل في نشر التعاليم الإسلامية واللغة العربية ، فإنها كانت حينذاك معاهد لتعليم اللغة العربية وآدابها ومراكز لتدريس الفنون الإسلامية . ومن أهم مايدل على وجود المسلمين في بلاد الهند الجنوبية في بدء بزوغ الإسلام النقود الإسلامية المدفونة التي أخرجت في ملبار منقوشة عليها سنة ٧١ هـ[٣] ، والقبر الموجود بكوالم المكتوب عليه اسم صاحبه « علي » وتاريخ وفاته ١٦٦ هـ[٤] ، وذكرى الملك الذي اعتنق الإسلام أولاً وسمي بعبد الرحمن السامري ، التي يحتفل بها أهل ملبار من

(١) تاراتشند نقلا عن كتابه « south kanara, Madras District Manuals » ص ١٨٠

(٢) للتفصيل راجع تحفة المجاهدين ١٣ – ١٥ ، تاريخ فرشته ٢/٧٠٠ – ٧٠٥ ؛ آرنلد Preaching of Islam ٢٦٤ – ٢٦٥ ؛ تاراجند ٣٤

(٣) تاراجند ٤٠

(٤) آرنلد ٢٦٣ (على الهامش) ؛ تاراتشند ٣٤

الكفرة والمسلمين إلى الآن(١) . وإن زمورن (Zamorin) راجه كالكيت حين يتوج يلبس لباس المسلم بأيدي المسلمين ويعتقد أنه خليفة السامري ، ويحكم من قبله إلى حين رجوعه من جزيرة العرب(٢) ،وإن راجه تراونكور حين يتوج ويأخذ السيف بيده يقول « إن هذا (كله) عنده إلى أن يرجع عمه الذي غادر إلى مكة »(٣) .

ثانياً ـ بعد الفتح الإسلامي

ا ـ فتح العرب السند وآثاره

أما موجـة الفتح الإسلامي فقد وصلت إلى السند سنة ٩٢ هـ حتى خضعت السند كلها من ديبل إلى تخوم كشمير لحكم العرب . وكان لهـذا الفتح آثار بعيدة المدى في حقول العلم والثقافة واللغات الدارجة المحلية .

فأولاً : ازدادت معرفة العرب بالقبائل السندية مثل الأساورة والسيابجة والزط والاندغار (٤) وهـــم قوم من السـند انتقلوا من موطنهم إلى

(١) تحفة المجاهدين ١٦ ، تاريخ فرشته ٢/٧٠٢ ؛ تاراتشند ٣٤

(٢) قادر ٢٤١ ؛ تاراتشند ٣٤

(٣) تاراتشند ٣٥

(٤) البلاذري (النهضة) القسم الثاني ص ٤٦٣ : والاندغار من ناحية كرمان مما يلي سجستان . وفي اللسان : الزط جيل أسود من السند ، إليهم تنسب الثياب الزطية ، وقيل : الزط أعراب جت (Jat) بالهندية وهم جيل من الهند ... (مادة « زطط »)

وقال الخوارزمي في الكلام على طبقات الهند : الزط هم حفاظ الطرق ، وهم جنس من السند يقال لهم جتان . انظر المفاتيح ص ٧٤

البصرة وما جاورها من البلاد العربية وانخرطوا في خدمة الجيش والإدارة الحكومية، كما أنهم اندمجوا في الحياة الاجتماعية بحيث اشتهرت مزاياهم القومية وخصائصهم اللسانية بين العرب[١].

ثانياً : اشتد إقبال الموالي من سبي السند على العلوم الدينية والأدبية بما فيها اللغة العربية حتى نبغ منهم كثيرون في العراق وفي الشام والحجاز أمثال الأوزاعي (ف ١٥٧ / ٧٧٤)[٢] وربما أبي حنيفة أيضاً (ف ١٥٠ / ٧٦٧)[٣]، وأبي معشر نجيح بن عبد الرحمـن

= وذكر الإمام البخاري في الأدب المفرد ص ٣٥ - حيث يروي عن مرض السيدة أم المؤمنين عائشة (رض) - أن طبيباً من الزط قام بعلاجها .

وفي البلاذري أيضاً ص ٤٦١ و ٤٦٢ : أما السيابجة والزط والاندغار فإنهم كانوا في جند الفرس ممن سبوه وفرضوا له من أهل السند ... فلما سمعوا بما كان من أمر الأساورة أسلموا وأتوا أبا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة ... أتي الحجاج بخلق من زط السند وأصناف ممن بها من الأمم، معهم أهلوهم وأولادهم وجواميسهم، فأسكنهم بأسافل كسكر .

(١) راجع البيان والتبيين ٢/٢١٣ — ٢١٥

(٢) اسمه عبد الرحمن . هو أحد أئمة الفقهاء في الإسلام . كان جريئاً احتج بقوة على الجرائم التي اقترفها العباسيون في لبنان، ترجمته وردت في البلدان (القاهرة) ١/٣٧٤؛ البلدان (بيروت) ٣/٢٨٠ ؛ الذهبي ١/١٦٨ ؛ التهذيب ٦/٢٣٦ ؛ معارف (مجلة تصدر من اعظم كره) ٧٦ العدد ٢ (اغسطس سنة ١٩٥٥).

(٣) هو النعمان بن ثابت بن زوطي صاحب المذهب الحنفي، جده زوطي من أهل كابل، وقيل من أهل بابل وقيل من أهل نسا بخراسان . وقيل من أبناء فارس من الأحرار . فاسم جده وكونه من أهل كابل (حسب الرواية المشهورة) يرجحان أنه من الزط . =

السندي (١٧٠ / ٧٨٦) [١] ، والشاعر المشهور أبي عطـــاء السندي (ف٢٢٢/٨٣٦) [٢] .

ثالثاً : تقدم عدد من علماء السند للمساهمة في الحركة العلمية ببغداد بنقل علومهـم الرياضية والطبيعية وآرائهم الفلسفية إلى العربية حتى ذاع صيت العلوم الهندية القديمة بين المثقفين من العرب . ومن أولئك العلماء ابن دهن [٣] ، وصالح بن بهلة [٤] ومنكة [٥] وبازيكر ، وقلبرقل ، وسندباذ

= راجع الفهرست (الاستقامة) ٢٩٨ ؛ طبقات الفقهاء ٦٧ (على الهامش) ابن خلكان ٢/١٦٣ ؛ النجوم الزاهرة ٢/ ١٢ ؛ مفتاح السعادة ٢/٦٩ ؛ ذيل الجواهر ٢/٤٥١ — ٤٥٢

(١) هو صاحب المغازي . درس في مدينة الرسول وبغداد . نقل عن كتابه « المغازي » الواقدي وابن سعد . الفهرست (الاســتقامة) ١٤٢ ؛ السمعاني ٣١٣ ؛ الذهبي ١/٢١٦ ؛ التهذيب ١٠/٢٠ — ٤١٩ و ٤٢٢ ؛ الأعلام ٨/٣٢٨ — ٣٢٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ١/١٠٠

(٢) هومولى بني أسد ، شاعر مشهور . جمع بين لثغة ولكنة ، فلم يقدر على النطق بالجيم والحاء والشين والضاد والطاء والعين . له في الحماسة مقاطيـع جيدة تدل على علو كعبه في الشعر . وقد طبـع ديوانه مصدّراً بترجمته في مطبعة السند بحيدرآباد دكن ، ١٣٨١/١٩٦١ . انظر أيضاً ابن خلـكان ٢/٥٨٥ — ٥٨٦ ، ٣/٢٩٠ — ٢٩١ ، النزهة ١/١٩

(٣) ترجم عدة كتب عـــن اللغة الهندية إلى العربية ، كما في الفهرست (الرحمانية) ٣٤٢ و (الاستقامة) ٣٥٦

(٤) ورد ذكره في ابن أبي أصيبعة ٢/٣٤ ؛ القفطي (مصر) ١٤٥ — ١٤٧ و (ليبسك) ٢١٥ — ٢١٧

(٥) كان طبيباً حسن المعالجـة ، فيلسوفاً من جملة المشار إليهم في علوم الهند ، سافر من السند إلى العراق في أيام الرشيد هارون . وكان ينقل من اللغة=

الهندي[١] ، وكنكة الهندي صاحب كتاب النمودار في الأعمار ، وكتاب أسرار المواليد ، وكتاب القرانات الكبير ، وكتاب القرانات الصغير[٢] .

إلا أن هذه ظواهر التقرب بين العرب وأهالي السند لاغير ، ولم يكن لالتقائها خارج حدود السند أثر غير نقـــل بعض المصطلحات العلمية وتعريبها أثناء نقـــل العلوم الهندية إلى العربية مثل « اوح »[٣] و « ارين »[٤] وغيرهما .

الهندية إلى الفارسية والعربية ، ومن جملة مانقله منكة إلى العربية كتاب سيسرد ، وعشر مقالات ، ويجري مجرى الكناش ، وكتاب أسماء عقاقير الهند . انظر ابن أبي أصيبعة ٣٣/٢ ، والفهرســـت (الرحمانية) ص ٣٤٢ و ص ٤٢١ و (الاستقامة) ص ٣٥٦ و ص ٤٣٥ ، وكان منكة صحيح الإسلام . راجع الحيوان ٢١٣/٧

(١) وردت هذه الأسماء في البيان والتبيين ١٠٦/١ . فذكر الجاحظ عن أبي الأشعث : أن يحيى بن خالد اجتلب أطباء الهند مثل منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباذ الهند وفلان وفلان ..

(٢) القفطي (ليبسك) ٢٦٥ - ٢٦٧ و (مصر) ١٧٤ - ١٧٥

(٣) أصله بالهندية اج « بالجيم المثلثة » من مصطلحات المنجمين . آنند راج ٤٩١/١ ، سواء السبيل ٩٣ ، ولكن في الكشاف للتهانوي ٥٥/١ (فصل الجيم) : معرب أوك بمعنى العلو والظاهر أنه يعني ١١/ ج لاغير .

(٤) أرين : أصله (ujjiyaini) اسم لبلدة هندية كان فيها مرصد فلكي ، انظر (Legacy of Islam) ص ٩٣ . والمراد في العربية محل الاعتدال في الأشياء وهو نقطة في الأرض يستوي معها ارتفاع القطبين فلا يأخذ هناك الليل من النهار ولا النهار من الليل . وقد نقل عرفاً إلى محل الاعتدال مطلقاً « التعريفات ص ٧ راجع أيضا دهخدا ج ٣ تحت « ارين » .

أما مكانة اللغة العربية في السند وآثارها في الثقافة العامة واللغات المحلية بوجه خاص ـ أعني الموضوع الذي يهمنا في مقالنا هذا ـ فمن الواضح أن الحكم الإسلامي العربي بقي في هذه الأرض قرنين ونصف قرن إلى أن هاجم المحمود الغزنوي محارباً سنة ٣٩١ / ١٠٠١ ، وقد كان العرب في قمة سلطانهم الديني والثقافي على الشعوب المغلوبة المتخبطة في ظلمات الضلال والجهل ، ولاسيما في السند حيث كان الأهالي من الهندوس منقسمين إلى طبقات ، علياها البراهمة وسفلاها وديش . وقد زعم الهنود أن البراهمة خلقوا من رأس « براهما » ، وديش خلقوا من رجليه ، أما البوذيون فهم كانوا يقاسون الظلم والذلة على أيدي البراهمة ، فكانوا مستعدين لاستقبال المسلمين والترحيب بهم(١) . فلما أنار الإسلام سبل المعرفة والعلم أمام أهالي هذه البلاد ، ووجدوا باب السعادة مفتوحاً على مصراعيه بين أيديهم اعتنقوا دين الإسلام أفواجاً حتى أمراؤهم وملوكهم(٢) مثل جي سنگهه بن داهر ، وتسموا بالأسماء العربية الإسلامية ، وأخذوا من الثقافة الإسلامية العربية بحظ وافر . وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة الدين والعلم والثقافة بطبيعة الحال ، بل ولغة التخاطب في بعض مناطق الأرض المفتوحة ، فضلاً عن كونها لغة الكتابة والإدارة الحكومية في معظم مناطقها جنباً لجنب اللغة المحلية ، ففي أحسن التقاسيم للمقدسي الذي زار السند في عام ٣٧٥/٩٨٥ : « ديبل بَحْرِيّة قد أحاط بها نحو من مائة قرية . أكثرهم كفار .. كلهم تجّار كلامهم سندي وعربي(٣) وهكذا يشهد الاصطخري : « ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها

(١) راجع الموضوع بالتفصيل في ججنامه (كلا الجيمين مثلث) ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٨ – ١٢٣

(٢) البلاذري ٤٢٩ (السعادة) ، ججنامه ٢٠٨ و ٢٠٩

(٣) ص ٤٧٩

العربية والسندية » . ومما يدل على انتشار علم الحديث والفقه بوجه خاص قول المقدسي : « أكثرهم (أهل السند وما صاقبها من الهند) أصحاب حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داود بها إماماً في مذهبه وله تدريس وتصانيف ، وقد صنف كتباً عديدة حسنة .. ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة[١] وله كتب جليلة حسنة كبار منها كتاب المصباح كبير وكتاب الهادي وكتاب النير »[٢] .

ب ـ العلماء الواردون أرض السند

وقد احتفظ التاريخ ببعض أسماء العلماء الأتقياء الذين وردوا أرض السند في عهد الحكم العربي ، ونبغوا في الإفادة والإفاضة معتكفين في بيوتهم أو في المساجد التي كانت تقوم حينذاك مقام المعاهد العلمية والجامعات ، ومنهم[٣] :

١ ـ الفقيه موسى بن يعقوب الثقفي ، ولاّه محمد بن القاسم القضاء والخطابة بالرور[٤] ، وبقي أولاده على القضاء إلى زمن طويل متلقبين بالصدر الإمام الأجل ، بدر الملة والدين ، سيف السنّة ، ونجم الشريعة . ومن أعقابه المتأخرين الفقيه إسماعيل بن علي الثقفي السندي القاضي بمدينة الرور . وكان خطيباً مصقعاً وعالماً باهراً بالفنون الأدبية وتقياً نقياً . اجتمع به علي بن الحامد الكوفي السندي صاحب « جج نامه » سنة ٦١٣/١٢١٦ ورأى

(١) أحسن التقاسيم ٤٨١

(٢) الفهرست (الرحمانية) ٣٠٦ و (الاستقامة) ٣٢٠

(٣) انظر التفصيل في إسحاق ٢١ — ٢٨

(٤) جج نامه ٢٥٣

عنده أجزاء من تاريخ وغزوات المسلمين في السند وفتوحاتهم بها بالعربية ، كتبها آباء القاضي ، فنقلها علي بن الحامد الكوفي إلى الفارسية [١] .

٢ ـ والربيع بن صبيح السعدي من تلامذة الحسن البصري وشيوخ الثوري ووكيع[٢] . قيل إنه أول من صنف وبوّب بالبصرة [٣] . توفي سنة ١٦٠/٧٧٦ بأرض السند .

٣ ـ وعمرو بن مسلم الباهلي المتوفى حوالي ١٢٣ هـ/ ٧٤٠ م من أبرز الأعلام الذين نحن بصددهم في هذا الباب ، ولاّه عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد على بلاد السند وما صاقبها من الفنجاب سنة ١٠٠ هـ ، وهو الذي دعا الملوك وعامة الناس إلى الإسلام بأمر الخليفة المذكور ، فقبله بعض الملوك وجمع من الناس[٤] ، كما أنه بذل أقصى جهوده في سبيل نشر القرآن والسنّة ، إذ كانت اللغة العربية لغة القرآن والسنة . والأحاديث نالت طبعاً مكانة مرموقة في قلوب المسلمين الجدد . وكان عمرو بن مسلم راوياً يروي عن يعلى بن عبيد ، ويروي عنه أبو الطاهر [٥] .

٤ ـ وإسرائيل بن موسى ، أبو موسى البصري نزيل السند . هو من أتباع التابعين ، يروي عن الحسن البصري (ف ١١٠ هـ / ٧٢٨ م) ومحمد بن

(١) جج نامه ٩ — ١١ ؛ ومقدمة جج نامه ص « يز » ؛ النزهة ١/١٢٥

(٢) ابن سعد ٧/٢٧٧ ؛ الطبري ٣/٤٦٠ و ٤٧٦ — ٤٧٧ ؛ التهذيب ٣/٢٤٧ — ٢٤٨ ؛ الشذرات ١/٢٤٧ ؛ الأبجد ٨٨٩ . وانظر أقواله والأحاديث المروية عنه في حلية الأولياء ٦/٣٠٤ — ٣١٠

(٣) التقريب ١٥٥ ، كشف الظنون ١/٣٤ و ٦٣٧

(٤) البلاذري (السعادة) ٤٢٩ ؛ ايليت ١/٢٦

(٥) التهذيب ٨/١٠٥

سيرين (ف ١١٠ / ٧٢٨) وغيرهما من الرواة الثقات . ويروي عنه سفيان الثوري (ف ١٦١ /٧٧٨) وابن عيينة (ف ١٩٨ ه) وغيرهما من الحفاظ الكبار . توفي حوالي سنة (١٥٥/٧٧١)[١] .

٥ ـ ويزيد بن أبي كبشة السكسكي الدمشقي . روى عن أبيه أبي كبشة ومروان بن الحكم ، وعنه أبو بشر وغيره . ذكره ابن حبان في الثقات،[٢] ولاّه سليمان بن عبد الملك السند ، لكنه مات بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوماً في عام ٩٧/٧١٥[٣].

ج ـ العلماء من أهل السند

ونسمع في هذا العصر أيضاً عن مراكز الثقافة وحلقات الدرس في السند كديبل والمنصورة ، تخرج منها علماء أنجبتهم أرض السند ، وقد كان لهم شأن عظيم في العالم الإسلامي[٤] كأمثال أبي جعفر محمد بن إبراهيم ابن عبـــد الله (ف ٣٢٢/ ٩٣٤) الذي سافر من ديبل إلى مكة ليتلقى الحديث[٥] ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله الديبلي المتوفى في نيسابور سنة ٣٤٣/٩٥٤ ، وهو من الرحالة المتقدمين في طلب العلم[٦] ، وإبراهيم بن أبي

(١) الميزان ٩٧/١ ؛ التهذيب ٢٦١/١ ؛ التقريب ٣٩
(٢) التهذيب ٣٥٤/١١ — ٣٥٥ ؛ راجع أيضاً التقريب ٥٦١
(٣) البـــلاذري (النهضة) ٥٤٠/٣ ؛ (السـعادة) ٤٢٨ ؛ الطبري ١٢٦٨ ؛ ابن الأثير ١٣٤/٤ ؛ الشذرات ٢٩٥/٢
(٤) انظر التفصيل في إسحاق ٢٨ — ٤٢
(٥) في البلدان ٤٩٥/٨ «جاور مكة روى عن أبي عبد الله سعيد بن عبدالرحمن المخزومي وحسين بن حسن المروزي » .
(٦) السمعاني الورقة ٢٣٦

جعفر محمد (ف ٣٤٥/٩٥٦) المتقدم ذكره[١] ، وأبي العباس أحمد بن محمد الداودي المنصوري قاضي المنصورة ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في عام ٣٦٠/٩٧٠ عندما ارتحل إلى بخارا[٢] ثم رجع إلى المنصورة وأقام بها حلقة الدرس . وآخرين ذكرهم السمعاني ، منهم من حدث بمصر[٣] وما وراء النهر[٤] وبغداد[٥] وقام خطيباً وإماماً في جامع مدينة المنصور والحربية[٦] .

وأخيراً لا أدل على مكانة اللغة العربية كلغة رسمية إبان الحكم العربي

---

(١) البلدان ٤٩٥/٨ ؛ إسحاق ٣٢

(٢) السمعاني الورقة ٥٤٣ ؛ إسحاق ٣٨

(٣) مثل شعيب بن محمد بن أحمد الديبلي المتوفى حوالي عام ٤٠٠/١٠٠٩ « قدم مصر وحدث بها وقال أبو سعيد بن يونس كتبت عنه » . راجع السمعاني ٢٣٦

(٤) مثل أبي العباس محمد بن محمد بن الحسن المنصوري الهاشمي ، حدث بما وراء النهر ، حدث عن أبي بكر بن أبي داود السجستاني وأبي القاسم البغوي وأبي جعفر الطبري وجماعة سواهم ، روى عنه أبو سعد الإدريسي الحافظ . توفي سنة ٣٤٧ بفرغانة . السمعاني ٥٤٣

(٥) مثل خلف بن محمد الديبلي ، نزل بغداد وحدث بها عن علي بن موسى الديبلي . الخطيب ٣٣٣/٨

(٦) كأبي جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى المنصوري (ف ٣٥٠ ﻫ) ، « كان إمام جامع مدينة المنصور وكان ثقة ، وكأبي الفضل محمد ابن عبد العزيز بن العباس الهاشمي المنصوري (ف ٤٤٤ ﻫ) كان خطيب جامع الحربية (وهي محلة كبيرة ببغداد كما في معجم البلدان ٢٣٧/٦) وكان من أهل الخير والفضل والعلم .... روى عنه أبو بكر الخطيب الحافظ فقال : كتبت عنه وكان صدوقا » . أنظر السمعاني ٥٤٣

من الكتابات التي اكتشفت منذ أعوام في بهمبور ، وهي بالخط الكوفي وترجع إلى القرن الثالث الهجري[١] .

ثالثاً — في مكانة اللغة العربية في العصر الغزنوي ومايليه من العصور

انتقل زمام الحكم إلى الغزنويين في آخر القرن الرابع الهجري ، وفي أيامهم أصبحت الفارسية (الملقحة بالعربية) لغة البلاط والإدارة . وإذ كان أهل غزنة ينطقون بالفارسية جعلت لغتهم تبرز في الآداب بالترجمة عن العربية خاصة في الشعر والتاريخ ، ولكن العربية ظلت لغة المثقفين ثقافة عليا ، وكان لابد منها للبحث العلمي ولطلب الرفعة في المجتمع والعلو في البلاط . وفي أيامهم غدت لاهور - عاصمة الدولة الغزنوية في الهند - مركزاً عظيماً للآداب العربية والعلوم الدينية . فليس من الغريب ألا نجد أحداً من أعيان البلاط الغزنوي يجهل العربية ، حتى الشعراء الذين نظموا القصائد بالفارسية والذين ألفوا الكتب بها ، كانوا مثالاً ونموذجاً للجمع بين اللغتين كأبي العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي (ف ٤٩١)[٢] الكاتب الذي قضى من عمره ثماني سنين في الأسر بلاهور ، وله ديوان شعر بالعربية وديوان آخر بالفارسية ومن شعره بالعربية :

(١) الكتابات في متحف كراتشي ، راجع الموضوع بالتفصيل في Pak.) Archaeology) العدد ٣ ، ١٩٢٢ (الألواح بأرقام ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٦ الف و ٢٦ ب و ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ الف و ٣٢ ب ، و٣٥ و ٣٦)

(٢) ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ١٢/١٧٠ - ١٧٢ ، ونموذج من نثره ١٧٢ - ١٧٧ ، و نموذج من شعره ١٧٧ - ١٨١ ، راجع أيضاً النزهة ٨٤/١ - ٨٦

اللهُ جـــار عصابة ودّعتهم والدّمع يهمي والفؤاد يهـــيم
قد كان دهري جنـــة في ظلهم ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم
كانوا غيوث سماحةٍ وتكرمٍ فاليوم بعدَهُمُ الجفونُ غيـــوم
رحلوا على رغمي ولكنْ حبُّهم بين الفـــؤاد المستهام مقيم
قد خانَهم صَرفُ الزمان لأنّهم كانوا كِراماً والزمانُ لئيمُ
اللهُ ـ حيثُ تحملوا ـ جار لهم والأمنُ دارٌ والسـرورُ نديمُ
والعيشُ غَضٌّ والمناهِلُ عَذْبَةٌ والجوُّ طلقٌ والرياحُ نسيمُ(١)

كذلك مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري(٢) ولاّه محمود بن إبراهيم الغزنوي الأعمال الجلية بعدما برز في كثير من العلوم والفنون . وله ثلاثة دواوين في اللغات الثلاث : العربية والفارسية والهندية ، ومن سوء الحظ أن ديوانه العربي قد طارت به العنقاء للأبد(٣) ، ويكفي دلالة على فضله في جودة كلامه وانسجام بيانه ما أورده من أبياته رشيد الدين الوطواط في حدائق السحر يستشهد بها في براعة المطلع والتورية وغيرهما .

---

(١) الأدباء ١٢/١٨٠ — ١٨١

(٢) توفي إما في ١١٢١/٥١٠ أو ١١٣١/٥٢٥ ، انظر براون ٣٢٦/٢ دائرة المعارف الإسلامية (Mas'ud)

(٣) المصادر : السبحة (سبحة المرجـــان) ٢٦ - ٢٨ ؛ الأبجد = أبجد العلوم لصدّيق حسن خان ٨٩٠ ؛ تذكرة ٢٢٦ ؛ النزهة ١١٤ - ١١٦ ؛ ترجمته وردت أيضاً في لباب الألباب ٢٤٦ ؛ دولت شاه ٣٩ ؛ براون ٣٢٤/٢ — ٣٢٦ ؛ دائرة المعارف (Mas'ud)

ومن أبيــاته :

وليلٍ كأنَّ الشّمسَ ضلّتْ ممرَّها وليس لها نحوَ المشارقِ مرجعُ
نظرتُ إليه والظّـــلامُ كأنَّهُ على العَيْنِ غِربانٌ من الجوِّ وُقَّع
فقلتُ لِقلبي طال ليلي وليس لي من الهمّ مَنْجاةٌ وفي الصّبرِ مَفْزَعُ
أرَى ذَنبَ السِّرحانِ في الجوّ طالعاً فهل ممكنٌ أنْ الغزالةَ تطلع

ومنهم أبو النصر محمد العتبي صاحب « التاريخ اليميني »[1] ، وهو مؤرخ موثوق به في معرفة أخبار الدولة الغزنوية . توفي سنة ١٠٣٦/٤٢٧ .

ومن الفقهاء الزهاد الذين كانوا ذوي لغتين ، بارعين فيهما معاً : علي ابن عثمان الهجويري صاحب كشف المحجوب المعروف « داتا كَنج » توفي سنة ١٠٧٢/٤٦٥ — ٧٣ بلاهور ، وقبره يزار ويتبرك به إلى الآن[2] .

أما غرة جبين الدولة الغزنوية فهو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، لم يكن له نظير في عصره في الجمع بأشتات من العلوم الشائعة في الدول الإسلامية بالإضافة إلى حكمة الهنود وما إليها . صنّف كتباً كثيرة فى فنون شتى ، كلها باللغة العربية . كما أنه أوضح مكانة اللغة العربية في العلم والثقافة في ذلك العصر بقوله :

---

(١) قد طبع في دهلي بعناية سبرنكر .

(٢) ترجمته : فوائـد الفؤاد ٤٥ ، خزينة الأصفياء ٢٣٢/٢ — ٢٣٥ ، تذكرة ٥٩ ، النزهة ٨٢/١ — ٨٦ ، صوفية ١ - ٣٤ ، وفي فوائد الفؤاد : « انه كان يقول الشعر بالعربية » .

« إن كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها ، واستعملتها في مآربها ... وأنا نفسي قد طُبعتُ على لغة (يريد بها لغته الأصلية الخوارزمية) لو خلد بها علمٌ لاستُغرب استغراب البعير على الميزاب ، والزرافة في الأكواب ، ثم انتقلتُ إلى العربية والفارسية ، وأنا في كل واحدة دخيل ولها متكلف ، والهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتابَ علمٍ نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسودّ وَجْهه ، وزال الانتفاع به ، إذ لاتصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية »[1] .

وله قصائد غراء باللغة العربية ، ومن قصيدة له أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء[2] :

ولما مضَوْا واعتضتُ منهم عصابةً دَعَوْا بالتناسي فاغتنمت التناسيا

وخُلّفتُ في غزنين لحماً كمضغةٍ على وَضَمٍ للطير للعلم ناسيا

فأبدلت أقواماً وليسوا كمثلهم معاذ إلهي أن يكونوا سَواسيا

وقد كان السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩ - ٤٢١/٩٩٩ - ١٠٣٠) نفسه من أعيان الفقهاء في عصره . وله «التفريد في الفروع» في الفقه ، ذكره

(١) ظهر الإسلام ١/٩ – ٢٨٨ ، عن قطعة نقلها الأستاذ كرنكو عن كتاب الجماهر في معرفة الجواهر – في مجلة (Islamic Culture) ٦/٥٣٠

(٢) ١٨٦/١٧ – ١٨٨ ، راجع أيضاً ٩٣/٤ – ٩٤

الجلبي وقال نقلاً عن الإمام ابن شيبة :« وكتابه هذا مشهور في بلاد غزنة ، وهو في غاية الجودة وكثرة المسائل »[١] .

كفى بهذا دليلاً على أن اللغة العربية لم تزل كما كانت لغة العلم والثقافة مع استعمال اللغة الفارسية في التخاطب وبعض الأغراض الأدبية .

وخلفت الغزنويين دولةُ الأسرة الغورية في عام ٥٨٢/١١٨٦ وحكمت في الهند إلى عام ٦٠٢/١٢٠٥ ، وجعل الغوريون دلهي عاصمتهم ، فانتقلت العلوم العربية الأصيلة والآداب الفارسية التابعة لها من لاهور إلى العاصمة الجديدة . وفي أيامهم غدت الفارسية لغة رسمية للحكم والإدارة ، إلا أنهـا لم تزحزح العربية قط عن مكانة الرفعة والشرف التي تمتعت بهـا (ولا تزال تتمتع بها باستمرار في الدراسة الأكاديمية بين الشعوب الإسلامية) فإنها بقيت لغة العلوم الدينية مثل الحديث والتفسير والفقه والأصول ، والعلوم الأخرى مثل الطب والهندسة والهيئة والرياضي والفلسفة والمنطق وغير ذلك ، فلم يكن أحـد لينال براعـــة في العلم أو حظوة عنـد الأمراء إلا إذا كان مثقفاً ثقـافة عربيـة .

وفي أيام المماليك (٦٠٢ - ٦٨٨/١٢٠٦ - ١٢٩٠) وعلى رأسهم قطب الدين (٦٠٢ - ٦٠٧/١٢٠٦ - ١٢١١) مملوك محمد الغوري الذي تولى الملك بعده ، نسمع لأول مرة عن مدارس منتظمة ومعاهد حكومية تحت رعاية السلطان ، بل يرجـع تأسيس أول معهد من هـذا النوع إلى شهاب الدين محمد الغوري مؤسس الدولة الغورية في جمير وذلك بعدما احتل چتور ، ولكن امتازت بالشهرة المدرستان المعزية والناصرية بدار الملك دلهي[٢] ، وعين فيها

(١) كشف الظنون ١/٤٢٦ (مطبعة وكالة المعارف ١٩٤١)
(٢) طبقات ناصري ١٨٨ — ١٨٩

وفي المعاهد الأخرى أبرز المدرسين من الهند وخارجها من خراسان وما وراء النهر الذين لهم شهرة ونبوغ في الفقه والأصول والعربية، لأن هذه العلوم حظيت باهتمام بالغ من قبل الملوك. أما التفسير والحديث فلم يكن يهتم حينذاك بهما إلا قليلاً[1].

وكفى دليلاً على مكانة اللغة العربية الفائقة بنبوغ جماعة من علماء الأصول والعربية في هذا العصر. منهم برهان الدين محمود البلخي (ف ٦٨٧ هـ) أحد كبار العلماء في عصر السلطان غياث الدين بلبن[2]، والشيخ رضيّ الدين الحسن بن محمد الصغاني المولود بلاهور سنة ٥٧٧ / ١١٨٠ — ١١٨١[3] في أيام خسرو ملك الغزنوي. رحل إلى غزنة فدرس بها وأفاد

---

(١) الثقافة ١١ — ١٢

(٢) أخبار الأخيار ٤٥ — ٤٦ ؛ خزينة الأصفياء ٣١٤/١ — ٣١٥

(٣) وردت ترجمته وأسماء مؤلفاته في الأدباء ٩ / ١٨٩ — ١٩١ (دار المأمون)، فوائد الفؤاد ١٠٣ — ١٠٥، فوات الوفيات ٢٦١/١، الجواهر المضيئة ٢٠١/١ — ٢٠٢، بغية الوعاة ٢٢٧، مفتاح السعادة ٩٨/١ — ٩٩، كشف الظنون ١١٢٢/٢ و ١٧٠٥، السبحة ٢٨ — ٢٩، الفوائد البهية ٢٩ — ٣٠، إتحاف النبلاء ٢٤٣ — ٢٤٤، الأبجد ٨٩ — ٨٩١، حدائق ٢٥٣ — ٢٥٥، تذكرة ٤٨، جرجي زيدان ٤٩/٣، النزهة ١/ ١٣٧ — ١٤١، معارف ج ٦٠ العدد ٥ و ٦ (نوفمبر وديسمبر ١٩٤٧)، بزم مملوكية ٢٩ — ٣٤

ومما يجدر بالملاحظة هنا أن الشيخ نظام الدين أولياء قد قال: إن الصغاني من بدايون كما في فوائد الفؤاد ص ١٠٣ : « اواز بداون بود » فمن هنا ذهب السيد الهاشمي فريدآبادي إلى أنه لم يولد في لاهور بل ولد ونشأ في بدايون بالإقليم الشمالي. انظر تاريخ هند ٢٦٢/٢، تاريخ مسلمانان ٢٤٢/١، راجع أيضاً بزم مملوكية ٣٣ — ٣٤

ثم حج وزار ، ثم توجه إلى بغداد وأقام بها برهة من الزمان . وأرسل برسالة إلى الهنـد من الخلافة العباسية سنة ٦١٧ هـ ، ورجع إلى بغداد سنة ١٢٢٦/٦٢٤ ، ثم عاد إلى الهند في أيام رضية بنت الالتمش ملكة الهنـد رسولاً من قبل المستنصر بالله الخليفة العباسي ، ورجع إلى بغداد في ٦٣٧/١٢٣٨-٣٩ ، وقد أثنى على فضله ونبله غـير واحد من الفضلاء الباحثين . قال السيوطي : « إنه كان حامل لواء اللغة »[١] ، وقال الذهبي : « إنه كان إليه المنتهى في اللغة »[٢] ، وقال الدمياطي : « إنه كان إماماً في اللغـــة والفقه والحديث »[٣] .

الصغاني فيما نعلم أول من ألف كتباً في اللغة[٤] والسير[٥] في القارة الهندية الباكستانية ، و« مشارق الأنوار » محاولة أولية في تدوين الحديث في هذه النواحي ، توفي هذا المحدث الوحيد واللغوي الفريد عام ٦٥٠ / ١٢٥٢ ببغـــداد [٦] .

ومن كبار الأساتذة بدلهي الشيخ العلامة أبو بكر بن يوسف أفاد وأفاض مـدة مديدة بدهلي ، وكان بلبن يكرمـه نهاية الإكرام ويحظى

---

(١) بغية الوعاة ٢٢٧ (٢) المصدر السابق .

(٣) فوات الوفيات ١/٢٦١ ، مفتاح السعادة ١/٩٨

(٤) زبيد ٤٥٢

(٥) لم يورد زبيد اسمه في فصل التاريخ والسير ولكنه ذكر كتابه « در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة » في فصل آداب الحديث ص ٢٩٢ ، وهو أول كتاب في الموضوع بالهند .

(٦) في المصادر السابقة ودول الإسلام ٢/١٢٠ (« القنعاني » بدل الصغاني مصحفاً) .

بصحبته[١]، وشمس الدين الخوارزمي أحد العلماء المشهورين في العلوم العربية، ولاّه السلطان بلبن الصدارة بدهلي واقبه «شمس الملك» وكان يدرّس أيضاً. أخذ عنه الثقافة العربية خلق كثير من العلماء والمشايخ، منهم الشيخ نظام الدين البدايوني المعروف بـ «أولياء»، فإنه قـــرأ عليه مقامات الحريري وحفظ منها أربعين مقامة[٢]. وسنذكر الشيخ نظام الدين أولياء وغيره من الأعلام الذين أنجبتهم أرض «يوپى» في حديث آخر.

ومنهم الشيخ إسحاق بن علي البخاري (ف ٦٩٠/١٢٩٠)، ولد ونشأ بدهلي، وقرأ العلم على أبيه منهاج الدين علي البخاري اللاهوري، ثم عين مدرساً في المدرسة المعزية بدهلي. كان فقيهاً، زاهداً، شاعراً، متفنناً في العلوم ومقدماً في المعارف. من آثاره منظومة عربية في التصريف.

وسراج الدين محمد بن منهاج الدين عثمان الجوزجاني اللاهوري العالم البارع في العلوم العربية، ولاّه السلطان شهاب الدين الغوري قضاء العسكر بلاهور سنة ٥٨٣ هـ. وبعثه السلطان بلبن سفيراً إلى بغداد في بلاط الناصر لدين الله العباسي[٣]، وولده أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد الجوزجاني صاحب «طبقات ناصري» أيضاً، كان عالماً بالعربية ومبرزاً في الفقه والأصول والسير والتاريخ. عيّنه ناصرالدين قباچه (٦٠٧-٦٢٥/١٢١٠-١٢٢٨) مدرساً بالمدرسة الفيروزية، وولاّه شمس الدين ايلتمش القضاء والخطابة والاحتساب، وغير ذلك من الأمور الشرعية سنة ٦٣٠ هـ[٤]

(١) النزهة ١/١٢١

(٢) أخبار الأخيار ٥٤ و ٧٧ - ٧٨، النزهة ١/١٦٦

(٣) النزهة ١/١١٠ - ١١١، طبقات ناصري ٣٣

(٤) طبقات ناصري ٨٦

وتولى أوقاف المدرسة الناصرية بدهلي سنة ٦٤٣ هـ[١].

وفي عام ٦٨٨ / ١٢٩٠ قبض جلال الدين فيروز على ناصية الحكم[٢]، وحكمت أسرته الخلجية إلى ٧٢٠ / ١٣٢٠، وظلت العربية وآدابها زاهرة. وفي عهد علاء الدين الخلجي (٦٩٥[٣] - ٧١٦ / ١٢٩٦ - ١٣١٦) كانت العاصمة دهلي حافلة بصفوة من الأساتذة الكبار الذين يقول فيهم البرني في تاريخه «فيروز شاهي»: إن كل أحد منهم كان وحيد العصر في جميع الفنون من المنقولات والمعقولات، ولم يكن لأحد منهم في ذلك العصر نظير في العالم كله، وبعضهم يداني الغزالي والرازي في مبلغ العلم[٤]. فمن أولئك الأفاضل المشار إليهم: ظهير الدين البهكري أستاذ الشيخ شمس الدين يحيى الأودهي

---

(١) المرجع السابق ١٠٨

(٢) طبقات أكبري ١١٧ ونصه: «درأوائل سنة ثمان وثمانين وستمائة برتخت سلطنت جلوس نمود»، دائرة المعارف الإسلامية «Firùz Shāh khildjī».

(٣) في طبقات أكبري ١٣٨. درسنة خمس وتسعين وستمائة برتخت دهلي جلوس نموده ...؛ دائرة المعارف الإسلامية (khaldjī).

(٤) البرني ٣٥٢ – ٣٥٣، أما قوله بنصه فهو:

«ودرتمامي عصر علائي (أي عـلاء الدين الخلجي) در دار الملك دهلي علماي بود ندكه آنجنان استادان كه هريكي علامة وقت ودر سمرقند وبغداد ومصر وخوارزم ودمشق وتبريز وسفاهان وري وروم ودر ربع مسكون نه باشند، ودرهر علمى كه فرض كنند از منقولات ومعقولات وتفسير وفقه وأصول فقه (لعل البرني لم يعدّ الحديث من العلوم من أجل أن العلماء في ذلك العصر لم يهتموا به بل صرفوا النظر عنه بتة) ومعقولات وأصول دين ونحو ولفظ ولغة ومعاني وبديع وبيان وكلام ومنطق، موئى مى شكافند وهر سالى جندين=

(ف ١٣٤٦/٧٤٧)[١] . قال فيه صاحب النزهة : « لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والفقه والأصول »[٢] ، وفخر الدين الناقلي الدهلوي ، كان يدرس بدهلي ثم ولاه السلطان جـــلال الدين فيروز الخلجي الصدارة ، ومـولانا فخرالدين الهانسوي من الأساتذة المشهورين في عصره [٣] . ومن مؤلفاته دستور الحقائق .

أما أشهرهم فهو خسرو بن سيف الدين الدهلوي (ف ١٣٢٤/٧٢٥-٢٥)[٤] يقول فيه صاحب النزهة المؤرخ الكبير في تاريخ ثقافة الهند :

= طالبان علم از آن استادان سر آمده بدرجة افادت مى رسيدند ومستحق جواب دادن فتوى مى شدند ، وبعضى ازآن استادان در فنون علم وكمالات علوم بدرجة غزالي ورازي رسيده بودند . . » ، انظر أيضاً تاريخ فرشته ١ / ٢١٢ — ٢١٣

(١) في شأن الأودهي هذا قال الشيخ نصير الدين محمود الملقب بـ « سراج دهلي » :

سألت العلم من أحياك حقا فقال العلم : شمس‌الدين يحيى

انظر أخبار الأخيار ٩٧ ، السبحة ٢٩ ، مآثر الكرام ١٨٢ ، تذكرة ٨٦

(٢) النزهة ٦٦/٢

(٣) قد أورد البرني أسماء ٤٦ أستاذاً عالماً بالعربية في تاريخه فيروز شاهي ٢٥٣ — ٢٥٤ ، وعنه نقله فرشته إلى تاريخه ١ /٢١٣ ، انظر أيضاً طبقات أكبري ١٦٨

(٤) ترجمته وردت في البرني ٣٥٩ ، فرشته ١٣٧/١ و ٧٥٣/٢ - ٧٥٧ ، منتخب التواريخ ٩٤/١ و ٢٠٠ — ٢٠١ ، أخبار الأخيار ٩٩ — ١٠١ ، نفحات الأنس ٦٠٩ — ٦١٠ ، تذكرة ٥٧ ، النزهة ٢ / ٣٨ — ٤١ ، أمير خسرو ، دائرة المعارف الإسلامية (khusrū) .

« أشهر مشاهير الشعراء في الهند ، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون أخرى قبله ولا بعده ... ونشأ بدار الملك وتنبل في أيام السلطان غياث الدين بلبن ، ولم يزل ملازماً للجد والاجتهاد في التحصيل والتضلع في العلوم حتى بلغ الغاية ، وتفرد بالشعر والبلاغة وغيرها من العلوم ... اخترع أنواعاً من البديع ، منها أبو قلمون ... ومنها ذو الوجهين وهـو أن يرتب المتكلم كلاماً يصح معناه بالعربية والفارسية بالتصحيف والتحريف ، ومنها قلب اللسانين وهو أن يرتب المتكلم كلاماً عربياً يكون إذا قلب كلاماً فارسياً ، أو كلاماً فارسياً إذا قلب يكون كلاما عربياً .. » .

إنما عرف خسرو كشاعر بالفارسية والهندية ، إلا أنه من الظلم حقاً أن ينسى أو يتناسى الناس ولاءه للعلوم العربية . فإنه كان مديناً في كل ما قاله بالفارسية أوجـله للثقافة العربية ، وكان ينظم بالعربية أيضاً . ومن شعره قوله :

ذاب الفؤادُ وسال من عيني الدمُ وحكى الدوامعُ كلَّ ما أنا أكتمُ
وإذا أبحتُ لدى الورى كرب النوى تبكي الأحبة والأعادي ترحمُ
يا عاذل العشاق دعني باكياً إنّ السكون على المحب محرَّمُ
من بات مثلي فهو يدري حالتي طولَ الليالي كيف بات متيَّمُ

ثم أفضت الدولة إلى غياث الدين تغلق سنة ١٣٢٠/٧٢٠ ، وتوالت ملوك أسرته إلى ١٤١٤/٨١٧ ، وأشهرهم محمد تغلق (٧٢٥ - ١٣٢٤/٧٥٢-١٣٥١) وهو الذي بسط الحكم الإسلامي على معظم الهند ، وكان له الفضل الكبير في نشاط الحركة العلمية العربية . وهو نفسه كما يقول القاضي الشوكاني

في البدر الطالع : « كان جواداً متواضعاً ، عالماً بفقه الحنفية ، مشاركاً في الحكمة »[١] .

« كان يكتب بالفارسية والعربية على حد سواء . فهو أكبر شهادة على الاهتمام البالغ بالثقافة العربية في عصره . كذلك يشهد فرشته في تاريخه[٢] بحذقه في إنشاء الرسائل بالعربية والفارسية :

« در تقرير فصيح وشيرين كلام وبي نظير بود ؛ ومكاتبات ومراسلات فارسي وعربي بربديهه چنان نوشتي كه دبيران ومنشيان دران حيران ماندندي » .

وعاصمته دهلي كانت حافلة بالمدارس، ففي صبح الأعشى[٣]:

« قال الشيخ مبارك : وفيها ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية » .

ونبغ في تلك الأيام كثير من رجال العلم ، منهم :

عالم بن العلاء الأندربتي . كان بارعاً في اللغة العربية ، ومبرزاً في الفقه والأصول . هو الذي صنف الفتاوى التاتارخانية ، جمع فيه مسائل المحيط البرهاني والذخيرة ، والخانية ، والظهيرية[٤] . قد طبع واشتهر في العالم حتى غني عن البيان ، صنّفه سنة ٧٧٧ هـ بأمر الخان الأعظم تاتارخان فسماه باسمه[٥] .

---

(١) البدر الطالع ١٨٠/٢ (٢) فرشته ٢٣٦/١ — ٢٣٧

(٣) ٦٩/٥

(٤) كشف الظنون ٢٦٨/١

(٥) في كشف الظنون ٢٦٨/١ : « وذكر أنه أشار إلى جمعه الخان الأعظم تاتارخان ، ولم يسم ، ولذلك اشتهر به ، وقيل إنه سماه زاد المسافر . »

لخصه إبراهـــيم الحلبي (ف ٩٥٦ / ١٥٤٩)[١] . وكان فيروز شـاه تغلق (٧٥٢ - ١٣٥١/٧٩٠ - ١٣٨٨) يريد منه أن يسمي الكتاب باسمه ولكنه أبى ذلك من أجل أنه ألفه بإشارة الخان الأعظم واعتنائه ، والخان كان ركناً من أركان السلطنة في عهد السلطان غياث الدين تغلق والسلطان محمد تغلق . وصنف بالعربية كتاباً في التفسير سماه « التاتارخاني »[٢] ، ولكن جرّ الزمان عليه ذيل النسيان .

والشيخ عبد الله بن محمد الدهلوي (ف ٧٧٩ هـ) ، المعروف بنقره كار . له « العباب شرح اللباب » في النحو ، صنفه سنة ٧٣٥ لمحمد تغلق . ومن مؤلفاته « شرح تنقيح الأصول » لصدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبي[٣] .

والقاضي ضياء الدين البرني (ف ١٣٥٩/٧٦٠)[٤] أحد مشاهير فضلاء شبه القارة ، وأعرفهم بالتاريخ وسياسة المدن . كان متقناً للعربية ومتضلعاً من الفقه ، مع أنه ألف « تاريخ فيروز شاهي » بالفارسية .

وأخيراً القاضي عبد المقتدر الكندي التهانيسري ثم الدهلوي (ف

---

(١) في المرجع نفسه : « ثم إن الإمـام إبراهيم بن محمـــد الحلبي المتوفى سنة ست وخمسين وتسعمائة لخصه في مجلد واحد ، وانتخب منه ما هو غريب أو كثير الوقوع وليس في الكتب المتداولة » .

(٢) عفيف ص ٣٩٢

(٣) النزهة ٢/٦٩ - ٧٠ ، كشف الظنون ٢/ ١٥٤٤ ، ولكن فيه أن المترجم له توفي سنة ٧٧٦

(٤) ترجمته وردت في أخبار الأخيار ١٠٣ - ١٠٥ ، تذكرة ٩٧ ، النزهة ٢:٦٤ ، Barani's History ص ١ - ٢٤

١٣٨٨/٧٩١) الذي هو بدون شك مقدم من حيث مكانته في العلم والأدب[١]، بل لم تنجب شبه القارة الهندية الباكستانية في عصورها بأمرها شاعراً أشعر منه ، فإن كل شاعر فيها يشوب كلامه شائبة العجمة ، أما القاضي عبد المقتدر فهو رائع النظم ، ينظم الشعر على منوال فحول الشعراء العرب . فكلامه حقيق بأن ينال مكاناً رفيعاً بجوار كلام الشعراء العرب كما هو رأي السيد سليمان الندوي[٢] .

ولد القاضي ببلدة تها نيسر ونشأ وترعرع بدهلي عاصمة الملك ، وأخذ شتى علوم الدين والعربية عن جهابذة من العلماء بدهلي ، منهم الشيخ نصير الدين محمود الأودهي (ف ٧٥٧ / ١٣٥٦) ولكنه برز في الأدب والإنشاء ، وقرض الشعر . وسرعان ما أصبح المرجع والمقصد للطلاب . تتلمذ عليه القاضي شهاب الدين الدولة آبادي الذي عرف بلقب « ملك العلماء » (ف ٨٤٩ / ١٤٤٥) ، وأبو الفتح الكندي (ف ٨٥٨/١٤٥٤) حفيد المترجم له ، اشتهر بلاميته التي يستهلها بقوله[٣] :

يا سائق الظعن في الأسحار والأُصل
سلم على دار سلمى وابك[٤] ثم سل

(١) أخبار الأخيار ١٦٠ — ١٦١ ، السبحة ٢٩ — ٣٦ ، مآثر الكرام ١٨٣ — ١٨٤ ، الأبجد ٨٩٢ ، قضاء الأرب ١٩٥ ، حدائق ٢٩٩ — ٣٠٠ ، تذكرة ١٣٣ — ١٣٤ ، النزهة ٢/٧٠ — ٧٦ ، زبيد ٢٠٦ — ٢٠٧

(٢) معارف ج ٣٩ ، العدد ٦ ص ٤٠٨

(٣) انظر القصيدة في السبحة ٣٠ — ٣١ ، النزهة ٢/٧١ — ٧٦ ، الثقافة ٤٤ ، ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٠ — ص ٣ — ٩

(٤) في ثقافة الهند « فابك » مكان « وابك » .

عن الظبــاء التي من دأبها أبــداً صيدُ الأسود بحسن الدلّ والنَّجَلِ
وعن ملوكٍ كرام قد مضَوا قِدَداً حتى يجيبَك عنهم شاهد الطللِ
أَضحت، إذا بعدت عنها كواعبها أطلالهُا مثلَ أجفان بلا مقلِ
فدى فؤاديَ أعرابيّة سكنت بيتاً من القلب معموراً بلا حِوَلِ

جميل أحمد
القسم العربي بجامعة كراتشي (باكستان)

* * *

بوادر شرح الشعر

الدكتور فخر الدين قباوة

كان للبيئة المحدودة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وترعرع ، ولتشابه الثقافة والتفكير والتعبير في أصقاع الجزيرة العربية آنذاك ، ولصفاء القريحة العربية ، وحِدَّة البديهة الفطرية ، أن تلقّى عرب الجاهلية شعرهم بالرواية صافياً سائغاً ، يفهمون مراميه وإيحاءاته وظلاله ، دون حاجة إلى صُوى مصطنعة ، تفسر غريباً ، أو توضح غامضاً ، أو تشرح ملتبساً . هذا إذا كانت المفردات دقيقة الدلالة ، والملابسات الاجتماعية والفنية للشعر أو لتجارب الشاعر معروفة لدى الجمهور ، لا تحدّها بيئة محليّة ، أو خبرة ذاتية . فإذا كان في تلك المفردات أو الملابسات ما هو وليد حدث محليّ ، أو تجربة خاصة افتقرت بعض أجزاء الشعر إلى معالم ، توجّه معانيها ، وتفتح مغلقها ، وتوضح ما رمى إليه الشاعر .

فعَبيد راوية الأعشى مثلًا يستوقفه قول الأعشى :

ومُدامةٍ ممّا تُعتّقُ بابلٌ ... كَدَمِ الذّبيحِ ، سَلَبْتُها جِرْيالَها

ويستغلق عليه معنى « سلبتها جريالها » ، فيعود إلى الشاعر نفسه ،

يسأله التفسير ؛ قال ابن قتيبة (١) : « حدثني الرياشي عن مؤرّج عن شعبة عن سماك عن عبيد راوية الأعشى قال : قلت للأعشى : ماذا أردتَ بقولك :

ومُدامةٍ مِمّا تُعتّقُ بابلٍ ... كَدَمِ الذَّبيحِ ، سَلبتُها جِرْيالها

قال : شربتُها حمراءَ ، وبُلتُها بيضاءَ » .

إن بيت الأعشى لم يكن فيه كلمة غريبة على عبيد . إنما الغريب عليه حقاً هو التركيب الفنيّ ، الذي صوّر فيه الأعشى تجربة ذاتية ، أعني ذلك التعبير الخيالي الذي يستمد قوته ووضوحه من الخبرة والتجربة أكثر مما يستمدها من معاني المفردات .

وهاك مثالاً آخر من هذا القبيل : كان عديّ بن أبي الزغباء يقاتل المشركين في يوم بدرٍ وهو ينشد :

أنا عَديٌّ ، والسَّحْلْ ... أمشي بِهـا مَشْيَ الفَحْلْ

فبلغ الرسولَ ﷺ بيته هـذا ، فجمع المسلمين بعد النصر ، ونادى : مَنْ عديّ ؟ فقال عديّ بن أبي الزغباء : أنا ، يا رسول الله ، عديّ . فقال : وما السّحلُ ؟ قال : الدّرع . فقال النبي عليه السلام : نِعْمَ العديُّ عديّ بن أبي الزّغباء (٢) .

وثمة روايات أخرى ، تعرض نماذج من تفسير الشعر القديم . ولعل أقدمها ما نُسب إلى سلمى بنت مهلهل . فقد روي (٣) أن بكراً وتغلب

(١) الشعر والشعراء ص ٢١٥ – ٢١٦ ، وانظر المعرب ص ١٥١ ، واللسان ١٣ : ١١٤

(٢) مغازي رسول الله ص ٦٠ ، وشرح نهج البلاغة ٣ : ٣٣٥

(٣) السمط ص ٢٦ – ٢٧ ، وكتاب البسوس ص ١١٦ ، والخزانة ١ : ٣٠٤ ، وانظر طبقات الشافعية ١ : ١٤٦

لما سئمت حرب البسوس اتخذ مهلهل عبدين يغير بهما على بني بكر . ثم سئم العبدان ذلك الصنيع ، وأجمعا على قتل سيدهما . فلما تيقَّن مهلهل أنهما قاتلاه قال : إن كنتما ، لا بدّ ، فاعليَن فأبلغا الحيّ وصيّتي . ثم أنشأ يقول :

مَن مُبلغٌ الأحياءَ أنّ مُهلهِلًا ... لِلّهِ دَرُّكُمُ ، ودَرُّ أبيكُمُ

فقتلاه . ثم رجعا إلى الحيّ ، فقالا : إنّ مهلهلًا مات ، ودفنّاه بموضع كذا . قالوا : فهل وصّى بشيء ؟ قالا : نعم ، وأنشدا البيت . فلم يدر القوم ما معنى ذلك ، حتى أتت ابنته ، وكانت غائبة عند زوجها في بعض الأحياء ، فأنشدوها ما قال أبوها ، فقالت : إن أبي يخبركم أن العبدين قتلاه . ثم قالت : إنما أراد :

مَن مبلغٌ الأحياءِ أنّ مُهلهِلًا ... أمسَى صَريعاً، في الضَّريحِ، مُجدَّلا

للهِ درُّكُمُ ، ودَرُّ أبيكُمُ ... لا يَبرَحِ العَبدانِ ، حتى يُقتلا

وسأل عمرو الجنّبي امرأ القيس عن قول الأزدي :

عَجِبتُ لمولودٍ ، وليسَ لهُ أبٌ ... وذي وَلدٍ ، لم يَلْدَهُ أبوانِ

فقال : أراد بالأول عيسى بنَ مريم ، وبالثاني آدمَ أبا البشر [١] .

وسئل رؤبة عن قول امرىء القيس [٢] :

نَطْعَنُهُمْ ، سُلْكَى ومَخلُوجةً ... كَرَّكَ لأمَيْنِ ، على نابلِ

فقال : حدثني أبي عن أبيه قال : حدثني عمّتي — وكانت في بني

(١) الخزانة ١ : ٣٩٨ ، ونسب بعضهم البيت إلى عمرو الجنبي .
(٢) التنبيهات ص ٨٨ — ٨٩

دارم — قالت : سألتُ امرأ القيس وهو يشرب مع علقمة بن عبدة : ما معنى قولك « كرّك لأمين على نابل » ؟ فقال : مررتُ بنابلٍ ، وصاحبُه يناوله الريش ، لُؤاماً وظُهاراً . فما رأيتُ أسرعَ منه ولا أحسنَ ، فشبّهتُ به .

وقال أبو عبيد البكري [1] : أذرُع : تُضاف ، فيقال : أذرع أكبادٍ . وهي ضِلَع سوداء من جبل يقال له : أكباد . كذلك فسَّرتْ أمُّ ثَمريكٍ بيتَ أبيها تميم بن أُبيّ بن مقبل :

أمسَتْ بأذرُعِ أكبادٍ ،فحُمَّ لها ... ركْبٌ بلِينةَ ،أو ركْبٌ بساوينا

ومن خلال هذه النماذج تتّضح لنا الخيوط الأولى لتفسير الشعر منذ القديم . فلا غرو أن يكون ذلك الشعر قد نقلته الرواة ،منذ نشأته الأولى ، مشفوعاً بتفسير لبعض مفرداته ، وعباراته .

يضاف إلى هذا أن لكل نص شعري بيئة تاريخية ، أحاطت به ، فكانت الباعث على ولادته ، وتكوين بنيانه ، وتوجيه معانيه . فإذا ذهب الزمان بذلك لموت الشاعر ومن عاصره فقَدَ النص كاشفاً أصيلاً لمحتواه ، وعُطِّلت جوانب أساسية من مراميه . ولذا كان لا بد أن ينهض الرواة بمهمة المؤرخ الذي يجمع مع الشعر الظروفَ والأخبار التي أوحت به[2] . وليس بعيداً أن يكون رواة العصر الجاهلي قد حملوا ، مع الشعر ، بعض الأخبار التاريخية ، التي تهيء الجو الكافي ، لتوضيح قسماته ، وصوره ومقاصده .

---

(١) معجم ما استعجم ص ١٣١ ، وانظر ديوان تميم ص ٣١٧

(٢) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ١٠١

حتى إذا امتد الإسلام بهديه المبارك ، واتسعت رقعة البيئة العربية بالفتوح ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، فكان فيها الأعاجم والمولدون ، اقتضى الأمر جهداً آخر ، لتقريب الشعر الجاهلي والإسلامي إلى الجمهور . ولهذا نلتقي في صدر الإسلام ، والعصر الأموي ، وصدر العصر العباسي بمن ينشد الأشعار القديمة في الجماعات والمجالس ، مُظهراً ما يثيره من إعجاب أو سخط (١) . فإذا عناصر جديدة تتخللُ إنشاد الشعر ، من نقد خاطف ، أو تفسير سريع لما يشتمل عليه ، من إشارات تاريخية ، أو كلمات غريبة ، أو معنى بعيد ، أو مسألة نحوية .

رُويَ (٢) أن ابن سيرين كان يبغض النحويين ، ويقول : لقد بغّض إلينا هؤلاء المسجدَ . وكانت حلقته إلى جانب حلقة عبد الله بن أبي إسحاق . وبلغ ابنَ أبي إسحاق أنه يعيب عليه تفسير الشعر ، ويقول : ما علمه بإرادة الشاعر ؟ فقال : إن الفتوى في الشعر لا تحل حراماً ، ولا تحرّم حلالاً . وإنما نُفتي فيما استتر من معاني الشعر ، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا ، أو اجتهدنا فيها آراءنا . فإن زللنا ، أو عثرنا فليس الزللُ في ذلك كالزلل في عبارة الرؤيا ، ولا العثرةُ فيها كالعثرة في الخروج عما أجمعت عليه الأئمة من سُنّة الوضوء ، وكرهته الجماعة من الاعتداء في الطّهور .

فبلغ ذلك ابن سيرين ، فأقصر عما كان عليه من الإفراط في الوضوء . وأصبح إذا جاءه الرجل يسأله عن الرؤيا يقول : هات

---

(١) شرح ديوان أبي تمام ص ٨ – ٩ من مقدمة الناشر .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٠٦ – ١٠٧

حتى أظنْ لك . وأصبح ابن أبي إسحاق بعد أن بلغه كلام ابن سيرين، يقول : أظن الشاعر أراد كذا ، واللغة توجب كذا .

وكانت المجالس الأدبية والعلمية ، وكتب التفسير والتاريخ والأنساب، تعرض الكثير من الشعر القديم ، مستخدمة إياه في بسط موضوع ، أو تأييد حدث ، أو تفسير معنى . وكانت في عرضها ذلك تضطر إلى شرح بعض المفردات أو العبارات التي ترد في الشعر . وهـذه أخبار متفرقة توضح ما رمينا إليه :

قال أبو علي القالي (١) : « أخبرني أبو بكر بن الأنباري عن أبيه قال : أتى أعرابي إلى ابن عباس ، فقال :

تَخَوَّفَنِي مالي أخٌ لِيَ ، ظالمٌ فلا تَخْذُلَنّي اليومَ ، يا خيرَ مَن بَقِي

فقال : تَخَوَّفَكَ أي : تنقّصك ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر ! ﴿ أو يأخذَهُم على تَخَوُّفٍ ﴾ أي : تنقّصٍ من خيارهم » .

وفي أخبار عُبيد بن شريَّة : « قال معاوية : للهِ أنتَ ، يا عُبيد ، فأين قول تُبَّع الذي قال على الباء :

أرقتُ ، وما ذاكَ بي مِن طَرَبْ ولكنْ تذَكُّرُ ما قد ذَهَبْ

فأنشد عبيد عند ذلك :

أرقتُ ، وما ذاكَ بي مِن طَرَبْ ولكن تَذَكُّرُ ما قد ذَهَبْ

نُجيزُ الأمورَ ، بسُلطانِنا لتَبلُغَ مَلْكاً ، بهِ ، مُغتَصِبْ

فقال معاوية : ويحكَ يا عبيد ، من يعني بهذا البيت الذي يَغتصب المُلك ؟ قال : يعني رجلاً من ولد قحطان ، يسمَّى القحطاني ، اسمه على

(١) الأمالي ٢ : ١١٢

ثلاثة أحرف ، تجمع له الأرض ، يدعو إلى الله . وذلك عند انقضاء ملك قريش (١) .

وها هو ذا كثيّر عزّة ، يحضر سمر يزيد بن عبد الملك ليلة ، فيكون بينهما ما يلي (٢) : قال كثيّر ليزيد : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشماخ بقوله (٣) :

إذا عَرِقَتْ مَغابِنُها ، وجادتْ بدَرَّتِها ، قِرَى حَجِنٍ ، قَتِينِ

فسكت عنه يزيد . فقال كثيّر : « بصبصْنَ إذ حُدينَ » . وهو مَثَل يضرب في طاعة الجبان وخضوعه . ثم أعاد فسكت عنه يزيد ، فقال : « بَصبصنَ إذ حُدينَ » . فقال يزيد : « وما على أمير المؤمنين ألاّ يعرف هـذا ؟ هو القُرادُ ، أشبهُ الدوابّ بكَ » . وكان كُثير قصيراً متقارب الخَلق .

وقال ابن سلاّم الجمحي (٤) : « حدثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال : لقي ذو الرمة رؤبة فقال له ذو الرمة : ما يعني الراعي بقوله :

أناخا ، بأشوالٍ ، طُروقاً ، بجُبَّةٍ قليلاً ، وقد أعيا سُهيلٌ ، فعَرّدا (٥)

---

(١) أخبار عبيد ص ٤٧٢ - ٤٧٨

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٤٦٠ - ٤٦١

(٣) يصف ناقته . والمغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ . والدرة : رشح العرق والحجن : السيىء الغذاء . والقتين : القليل الدم واللحم . جعل عرق ناقته قرى للقراد الجائع المزيل .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٤٧٧ ، وانظر الأغاني ١٦ : ١١٤ ، والمخصص ١٠ : ١٧٣ ، واللسان (خبب) .

(٥) الأشوال : النوق التي شالت ألبانها . والطروق : المجيء ليلاً , وعرّد : مال للغروب .

فجعل رؤبة يقع مرة ههنا ، ومرّة ههنا ، إلى أن قال : هي أرض بين المشكلة والمجدبة . وكذاك هي » .

وقال وهب بن منبّه [١] : « وفي تبّع شمر يرعش يقول أبو ذؤيب الهذلي ، بعد زمانه :

وعليهما مسرودتان ، قضاهما داودُ ، أو صنعُ السوابغ تُبّعُ

وهذا البيت له في شعره الذي رثى به بنيه ، إذ قتلوا بذات الهجال [٢] » .

وفي السيرة النبوية أن حسّان بن تبّان ملك اليمن قتله أخوه عمرو بتحريض من قادة جيش اليمن ، ليرتدّوا عن غزو العرب « فقال رجل من حمير [٣] :

لاهِ عينا الذي رأى مثلَ حسّا ن ، قتيلاً ، في سالفِ الأحقابِ

قتلتْهُ مقاوِلٌ ، خشيةَ الجيْـ ش غداةَ قالوا : لبابِ لبابِ

ميْتُكم خيرُنا ، وحيُّكمُ ربٌّ علينا ، وكلُّكم أربابي

قال ابن إسحاق : وقوله « لباب لباب » : لا بأس لا بأس ، بلغة حمير » .

تلك نماذج متفرقة تمثل لنا الصورة التي كانت عليها الشروح الأدبية حتى منتصف القرن الثاني . ومنها يتبين للدارس أن الشرح لم يتعدّ تفسير كلمة غريبة ، أو عبارة مجازية ، أو إيراد المناسبة التاريخية للشعر .

حلب الدكتور فخر الدين قباوة

---

(١) التيجان ص ٢٤١

(٢) يلي ذلك قصة مطولة فيها مقتل أبناء أبي ذؤيب وتأبين الملوك وأبي ذؤيب لهم .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦ - ٢٧ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١١٥ - ١١٦

أشعار اللصوص وأخبارهم

القسم الرابع (*)

الأستاذ عبد المعين الملوحي

قدمنا في الأعداد السابقة من المجلة أشعار عشرة لصوص وأخبارهم .

ونقدم في هذا العدد أشعار ثلاثة آخرين هم :

١١ – أبو النشاش النهشلي

١٢ – وبرة بن الجحدر المعني

١٣ – سارية بن زنيم الدؤلي

[١١]

أبو النَّشْنَاشِ النَّهْشَلِيُّ

أخبــاره وأشعاره

(*) لم يردني حتى الآن مستدرك على الأبحاث السابقة ، ومازلت أرجو أن أتلقى كل ملاحظة لأستطيع تدارك الأخطاء وسد النقائص ، وفاء لتراثنا العربي.

ترجمتـــه :

هو أبو النشناش النهشلي التميمي ، من لصوص العرب كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين الحجاز والشام . وكان في عصر مروان بن الحكم . لا يعرف اسمه ، أما كنيته ففيها قولان :

١ - ابن النشناش ، ونقله الزبيدي في شرح القاموس .

٢ - أبو النشناش ، وأثبته التبريزي في شرح الحماسة عن أبي العلاء .

قال محقق الأصمعيات ، وأثبت كنيته أبا النشناش : « وما أثبتنا هو الثابت في أصل الأصمعيات ، وهو الذي أثبته ابن جني في المبهج ص ٢٦ قال : أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد القطان عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري قال : كان الأصمعي يقول : هذا أبو النشناش وأنشد البيت الذي له :

« سرت بأبي النشناش فيها ركائبه »

أخبـاره :

جاء في الأغاني ١٢ : ١٧١ (ط . دار الكتب) : أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال :

كان أبو النشناش من متلاصّ بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها . فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب ، فمر بغراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك ؛ ثم مر بحي من لهب فقال لهم : رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ينتف ريشه وينعب . فقال له اللهبي : إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه

وقيده ، ويطول ذلك بـه ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

قال أبو النشناش * :

[١]

١ ـ إذا المَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَواماً ولم يُرِح
سَواماً ، ولَمْ يَبْسُط لهَ الوجهَ صـاحِبُهْ

* تخريج المقطوعة :

اعتمدنا فى تخريج المقطوعة على الكتب الآتية :

١ ـ مجموعة المعاني : ١٢٨ ٢ ـ عيون الأخبار ١ : ٢٣٧

٣ ـ الحماسة : رقم ١٠٣ ، ١ : ٣١٧ ـ ٣٢٠ ٤ ـ الأغاني : ١٢ : ١٧١ (دار الكتب) ٥ ـ الأصمعيات : رقم ٣٢ ص ١١٨ . تحقيق شاكر .

وآثرنا الرواية القريبـة إلى روح الصعلكة ، وتسلسل المعاني قدر الإمكان .

(١) في الحماسة وعيون الأخبار والأصمعيات : « ولم تعطف عليه أقاربه» وفضلت رواية الأغاني ومجموعة المعاني وأثبتها لأن وجدت فيها أنفة ليست في الرواية الأخرى : عطف الأقارب على اللص .

الألفاظ : سرحت الابل : رعت . وسرحها الراعي : أرعاها . السوام : الإبل الراعية .

٢ ـ فَلَلْمَوتُ خَيرٌ للفتىٰ مِنْ حياتِه
فَقيراً ومن مولىً تَدِبُّ عقارِبُهْ

٣ ـ ولم أرَ مِثلَ الفَقْر ضاجَعَهُ الفتىٰ
ولا كَسوادِ اللَّيلِ أخْفَقَ طالبُهْ

٤ ـ فَعِشْ مُعْذِراً أو مُتْ كَريماً فإنَّني
أرىٰ المَوتَ لايَنجو مِنَ المَوْتِ هَارِبُهْ

---

(٢) في مجموعة المعاني ، والأغاني : ومن مولى تعاف مشاربه . وأثبتنا رواية الحماسة وعيون الأخبار ، والأصمعيات .

الألفاظ : تدب عقاربه : يلقاك بالأذى والسوء . والمولى : ابن العم ؛ والصديق . والبيتان متصلان .

المعنى : إذا لم تكن ذا مالٍ ينفعك ويسر صاحبك فموتك خير لك من الفقر ومن أذى الأقارب وطلب معروف الناس .

(٣) في مجموعة المعاني : صاحبه ، وفي الأصمعيات : مثل الهم .

(٤) في المجموعة ، والأغاني : أرى الموت لايبقي على من يطالبه .

الألفاظ : معذراً : من أعذر أي قدم عذره وأبداه .

المعنى : عش طالباً للرزق ، فإن لم تنجح فقد قدمت عذرك ، وإن مت وأنت كريم فما من المنايا بد .

٥ ـ ولو كانَ شيءٌ ناجياً من مَنِيَّةٍ
لكانَ أُثَيْرٌ يَومَ جاءَتْ كتائِبُهْ

٦ ـ وسائلةٍ : أَيْنَ الرَّحيلُ ؟ وسائلٍ
ومَنْ يَسْألُ الصُّعلوكَ أَيْنَ مذاهِبُهْ ؟ !

٧ ـ مذاهبُهُ أَنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ
إذا ضَنَّ عنهُ بالنَّوالِ أَقارِبُهْ

---

(٥) في الأصمعيات . وجاء في الشرح : أثير بضم الهمزة ، الظاهر أنه أثير بن عمرو السكوني ، الطبيب الذي دعي لعلاج علي بن أبي طالب طالب حين ضربه ابن ملجم ، بعد أن جمع الأطباء ، وكان أبصرهم بالطب وإليه تنسب صحراء أثير بالكوفة . وانظر خبره في معجم البلدان ١ : ١١١ وذلك ما قاله الأستاذ أحمد محمد شاكر ، ولكن الكلمة التي بعد ذلك : يوم جاءت كتائبه ، تشبه أن تكون وصفاً لملك أو لصاحب جيوش .

(٦) في الأغاني : أين ارتحالي . وفي عيون الأخبار والحماسة : وسائلة بالغيب عني وسائل .

(٧) تفرد به صاحب الأغاني .

والأبيات ظاهرة المعنى .

٨ ـ ودَاوِيَّةٍ يَهْماءَ يُخْشَى بهـا الرَّدَى
سَرَتْ بأَبِي النَّشْناسِ فيهـا رَكائِبُـهْ

٩ ـ لِيُدْرِكَ ثَأْراً أو لِيُـدْرِكَ مَغْنَماً
جَزيلاً ، وهذا الدَّهْرُ جَـمٌّ عَجائِبُهْ

[٢]

وقـــال * :

---

٨ - في الحماسة : ونائية الأرجاء ، طامسة الصوى .

وفي عيون الأخبار : وطامسة الأعلام ، مائلة الصوى .

في الأغاني : ودوية قفر يحار بها القطا .

الألفاظ : الداويَّة والداوية : بتشديد الياء وتخفيفها : المفازة البعيدة الأطراف . الهيماء : الفلاة التي لاماء فيها ولا علم فيها ولا يهتدى لطرقها .

٩ في الأغاني ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنماً ألا إن هـذا الدهر

ومعنى البيتين : رب قفر ضائع المعالم يهلك سالكه قطعتـه لإدراك ثأري من عدو أو لكسب رزقي ، وما أعجب الدهر يقذفني من مكان إلى مكان .

(*) البيتان في الأغاني ١١ : ١٧٠ « دار الكتب » ، ويظهر أنـه قالهما وهو في الحبس ينتظر مصيره .

كَأَنْ لَمْ تَرَيْ قبلي أَسِيراً مُكَبَّلاً
ولا رَجُلاً يُرمى بِهِ الرَّجَوانِ

كَأَنِّي جوادٌ ضَمَّهُ القَيْدُ بعدَما
جَرى سابقاً في حَلْبَةٍ ورِهانِ

[١٢]

وَبْرَةُ بنُ الجَحْدَرِ المَعْنِيُّ

أخباره وأشعاره

[١]

قال * :

١ ـ نَعَبَ الغُرابُ ولَيْتَهُ لَمْ يَنْعَبِ
بالبَيْنِ مِنْ سَلْمىٰ وأُمِّ الحَوْشَبِ

(*) لم نعثر له على ترجمة ، والبيتان في الشعر والشعراء ٧٤ وقال : وله (لعمرو بن المُسَبِّح الطائي المشهور بالرماية) يقول الآخر . وفي حاشية الكتاب هو وبرة بن الجحدر المعني من بني دغش ـ كما في الطبري ـ ولم أجده فيه .

٢ ـ لَيْتَ الغُرابَ رَمىٰ حَماطَةَ قَلْبِهِ
عَمْروٌ بأَسْهُمِهِ التي لَمْ تُلْغَبِ

[٢]

وقال * :

(٢) حماطة القلب : سواده . لم تُلْغَبْ : بالبناء للمجهول . يقال : « ألغب السهم » أي جعل ريشه لُغاباً ، والسهم اللغاب بضم اللام : الفاسد ، والبيت في اللسان ٢ : ٢٣٩ و ٩ : ١٤٦ غير منسوب .

الألفاظ : الرجوان : مثنى الرجا . ناحية كل شيء . ويقصد جدران السجن .

المعنى : يتحسر على أيام حريته ، يوم كان كالجواد يسبق الخيل في حلبات الرهان ، فأصبح مقيداً أسيراً تتقاذفه جدران السجن ولكنه ليس أول أسير تثقله الكبول .

(*) في المعاني الكبير : ٥٩٤ ، وقال الشاعر « وهو وبرة : لص معروف » واللسان « حمض » وقال : فأما ماأنشده ابن الأعرابي من قول وبرة وهو لص معروف ، يصف قوماً ، وأورد البيت ...

١ ــ على رُؤُوسِهِمُ حُمَّاضُ مَحْنِيَةٍ
وفي صُدورِهِمُ جَمْرُ الغَضا يَقِدُ

[١٣]

سارِيَةُ بنُ زُنَيْمٍ الدُّؤَلِيُّ (*)

أخبـاره وأشـعاره

حياته : سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الدؤلي في كنانة ...

ذكر الواقدي وسيف بن عمر أنه كان خليعاً في الجاهلية أي لصاً

---

١ ــ قال ابن قتيبة : ذكر مشايخ يشهدون ، ورؤوسهم مخضوبة بالحناء . فشبهها بالحماض ، وهو أحمر ، وله ثمر أشكل إلى الحمرة .

وفي اللسان (بعد أن أورد البيت) : فمعنى ذلك أن رؤوسهم كالحماض في حمرة شعورهم ، وأن لحام مخضوبة .كجمر الغضا ، وجعلها في صدورهم لعظمها ، حتى كأنها تضرب إلى صدورهم . وعندي أنـه إنما عنى قول العرب في الأعداء : صهب السبال ، وإنما كنى عن الأعداء بذلك ، لأن الروم أعداء العرب ، وهم كذلك ، فوصف به الأعداء . وإن لم يكونوا روماً . الأزهري : الحمّاض : بقلة برية تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ، ولها ثمرة حمراء .

كثير الغارة، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقال العسكري روى عن النبي ﷺ ولم يلقه، وذكره ابن حيان في التابعين، وفي ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم مايشعر بأن له صحبة، وقال ابن عساكر : له صحبة .

وذكره الطبري في تاريخه ثلاث مرات : أولاها أن عمر بن الخطاب دفع لواء فسا ودرابِجَرْدَ إلى سارية بن زنيم عند فتح فارس ، وثانيتها أن سارية خرج مع أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمـراء على فارس ، وذكره المرة الثالثة في إسهاب في فتح فسا ودرابجرْدَ . قال الطبري :

وقصد سارية بن زنيم فسا ودابجَرْدَ ، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ، ثم إنهـم استمدوا ، فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس . فدهم المسلمين أمر عظيم، وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعدوهم في ساعة من النهار، فنادى من الغد: الصلاة جامعة ! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها مارأى خرج إليهم ، وكان أرِيَهُمْ ، والمسلمون بصحراء ، إن أقاموا فيها أحيط بهم ، وإن أرزوا(١) إلى جبـل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحـد . ثم قـام فقـال :

(*) مصادر الترجمة والشعر : الطبري ٤ : ٩٤ و ١٧٤ و ١٧٨ — ١٧٩ الإصابة : الترجمة ٣٠٣٤ وذكر في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم ، وفي ترجمة ذباب بن فاتك والحماسة الشجرية ٢٤٤ ، وفي المصادر التي أشارت إليها الإصابة في ترجمته .

(١) أرزوا : انحازوا ولجؤوا .

يأيها الناس ! إني رأيت هذين الجمعين ـ وأخبر بحالهما ـ ثم قال : ياسارية الجبلَ ، الجبلَ ! ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ، ولعل بعضها أن يبلغهم . ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد ، فهزمهم الله لهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم .

ثم ذكر الخبر في رواية أخرى قال :

كان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي إلى فسا ودرابجرد فحاصرهم ثم إنهم تداعوا فأصحروا له ، وكثروه فأتوه من كل جانب ، فقال عمر ، وهو يخطب في يوم جمعة : ياسارية بن زنيم ، الجبلَ الجبلَ ! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل ، إن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فلجؤوا إلى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزموهم ، فأصاب مغانمهم ، وأصاب في المغانم سفطاً فيه جوهر ، فاستوهبه المسلمين لعمر ، فوهبوه له ، فبعث به مع رجل وبالفتح .

وكان الرسل والوفد يُجازون وتقضى لهم حوائجهم . فقال له سارية : استقرض ما تبلغُ به وما تُخَلِّفه لأهلك على جائزتك . فقدم الرجل البصرةَ ، ففعل ، ثم خرج فقدم على عمر ... ويمضي الطبري في روايته عن غضب عمر حين أخبره بقصة السفط ورد الرجل محروماً ثم يقول :

وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتح ، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة فقال : نعم سمعنا : « ياسارية ، الجبل » وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ففتح الله علينا ...

وفي الاصابة روايات كثيرة تتحدث عن الموضوع نفسه ، وجاء في

آخرها، وقال خليفة : افتتح سارية أصبهان صلحاً وعنوة فيما يقال .

وتوفي سارية سنة ٣٠ هـ .

رحم الله سارية ورضي عنه، لقد كان من الفئة التي صاغها الاسلام صياغة إنسانية مثالية جديدة ، فاستبدلت بالظلام النور ، وبالضلالة الهدى .

[١]

شعره :

قال سارية بن زنيم الدؤلي يعنف المشركين ويحرضهم على علي عليه السلام (*) .

١ - فِي كُلِّ مَجْمَعِ غَايَةٍ أَخْزَاكُمُ
جَذَعٌ أَبَرَّ على المَذاكِي القُرَّحِ

٢ - لِلهِ دَرُّكُمُ ! أَلَمَّا تَسْتَحُوا ؟
قَدْ يَأْنَفُ الضَّيْمَ الكَرِيمُ وَيَسْتَحي

(*) الأبيات في الحماسة الشجرية (تحقيقنا) ص ٢٤٤

١ - الجذع : الشاب . المذاكي : التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والقارح هو الذي كملت أسنانه . والمعنى : لقد أخزى الشاب الفتي الكهول والشيوخ .

٣ ـ أَيْنَ الكُهُولُ ؟ وأَيْنَ كُلُّ دِعامةٍ
في المُضْلِعَاتِ ؟ وأَيْنَ زَيْنُ الأَبْطَحِ ؟

[٢]

وقال معتذراً إلى النبي ﷺ وكان بلغه أنه هجاه فتوعده * :

١ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ
على كُلِّ حَيٍّ مِنْ تِهامٍ ومُنْجِدِ
٢ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكي
وَأَنَّ وَعيداً مِنْكَ كالأَخْذِ باليَدِ

---

٣ ـ ويروى المضلات بدل المضلعات ، والمضلمات ج مضلعة أي الأمور الثقيلة أو القوية الشديدة . ودعامة القوم : سيدهم .

(*) وردت الأبيات في الاصابة في ترجمة سارية بن زنيم رقم ٣٠٣٤ وقال : وقد تقدم في ترجمة أسيد بن أبي إياس أن هذه الأبيات له ، والله أعلم . وتقدم أيضاً بعض هذه الأبيات في ترجمة أنس بن زنيم ... وجزم عمر بن شبة بأن البيت ١١ لأنس .

١ ـ تعلم : بمعنى اعلم .

٢ ـ في الاصابة : بالأخذ باليد .

٣ ـ تَعَلَّمْ بأَنْ الرَّكْبَ إلا عُوَيْمِراً
هُمُ الكاذبونَ المُخْلفو كُلِّ مَوْعِدِ

٤ ـ وَنُبِّي رَسُولُ اللهِ أَنيّ هَجَوْتُهُ
فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ إذَنْ يَدي

٥ ـ سِوى أَنَّني قَدْ قُلْتُ وَيْلُ اُمِّ فِتْيَةٍ
أُصيبوا بِنَحْسٍ لا يُطاقُ وأَسْعُدِ

٦ ـ أَصابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
كِفاءً فَعَزَّتْ عَوْلَتي وتَجَلُّدي

٧ ـ ذؤيبٌ وكُلْثُومٌ وسُلْمى تَتابعوا
أُولئكَ إنْ لا تَدْمَعِ العَيْنُ أَكْمَدِ

٨ ـ على أَنَّ سُلمى ليسَ فيها كمِثْلِهِ
وأُخْوَتِهِ ، وهَلْ مُلوكٌ كأَعْبُدِ ؟

---

٤ ـ الشطر الثاني مثل الشطر الثاني في بيت النابغة « الديوان ٢٠ » :

ما إن نديت بشيء أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي

والظاهر أن هذا المعنى مثل متداول .

٦ ـ في الإصابة : كفؤا ، وهو تصحيف .

٩ ـ وإنِّيَ لا عِرْضاً خَرَقْتُ ولا دماً
هَرَقْتُ فَذَكِّرْ عَالِمَ الحقِّ واْقْصُدِ

١٠ ـ أأَنْتَ الذي تَهْدِي مَعَدّاً لدِينها ؟
بل اللهُ يَهْدِيها وقالَ لك : اْشْهَدِ

١١ ـ فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ رَحْلِها
أَبَرَّ وأَوْفَىٰ ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

عبد المعين الملوحي

* * *

ــ للبحث صلة ــ

١١ـ ورد في الإصابة : قال المرزباني : أصدق بيت قالته العرب هذا البيت.

ملاحظة : نلاحظ خلو أشعار زنيم من ذكر اللصوصية ، ولعل هذه الأشعار قد أصابها النسيان أو التناسي .

التعريف والنقد

الاســــلام

أهـدافه وحقـــائقه

تأليف الدكتور سيد حسين نصر

بيروت سنة ١٩٧٤ م ـ الدار المتحدة للنشر . ص ١٦٦ من القطع المتوسط

الدكتور عدنان الخطيب

تمهيـــد

إن الإسلام الذي وحّد بين العرب والفرس ، ربطها بوشائج متينة لن تستطيع أي خلافات سياسية أو غير سياسية فصم عراها .

وغدت العلاقات الثقافية بين هاتين الأمتين مع تاريخها الطويل المشترك متشابكة ، أريدَ دعمها في هذه الأيام بإنشاء مكاتب ثقافية ملحقة بالبعثات السياسية ، ومن أول ثمرات إنشائها تبادل المعلومات التي تفيد في خدمة التراث العربي والإسلامي والعمل على تحقيقه ونشره .

هـــدية

أهدي إلينـا الدكتور محمد جواد مشكور المستشـار الثقافي الإيراني

بدمشق ، نسخة من كتاب « **الإسلام : أهدافه وحقائقه** » تأليف **الدكتور سيد حسين نصر** ، أستاذ تاريخ العلوم والفلسفة بجامعة طهران .

هممت بقراءة الكتاب أكثر من مرة دون أن أوفق إلى تجاوز بضع صفحات منه ، وظل الكتاب أمداً ، **أظنه بلغ عديداً من الشهور** ، على مكتبي يعوزني التصميم على قراءته ، وما كان افتقادي لهذا التصميم – على مايبدو لي – إلا لعجز عن تصور ما يمكن أن أفيد من كتاب عن حقائق الإسلام وأهدافه صنعه **أحد خريجي جامعة هارفرد** ، وهو الذي عاد إلى مسقط رأسه في طهران ليتولى في جامعتها تدريس **الفلسفة وتاريخ العلوم** ، وما كاد يلمع نجمه حتى استزارته الجامعة التي تخرج منها ليحاضر فيها ، فلما قام **زعيم الطائفة الاسماعيلية** الآغا خان بالتبرع لانشاء كرسي للدراسات الإسلامية في **جامعة بيروت الامريكية** ، اختير ليكون أول أستاذ يشغله ، ثم يكون الكتاب الهدية أول الثمرات .

وجاء رمضان فصممت على أن يكون كتاب سيد نصر ضمن الكتب التي فرضتها ، وحدثت مفاجأة أذهلتني ، إذ ما كدت أتخطى بضع عشرة صفحة حتى شدتني إلى الكتاب **آصرة من إعجاب وتقدير** حملتني على أن أركض وراء المؤلف لأدركه فأستريح ، ولما انتهى الكتاب وددت لو لم ينته .

المؤلف يقدم كتابه

يذكر المؤلف أن محاضراته في الجامعة الأمريكية في سنة ١٩٦٤ -

١٩٦٥ الدراسية بلغت خمس عشرة محاضرة عنوانها العام « **الإسلام في أبعاده** » ثم اختار للست الأولى منها عنوان « الإسلام ـ أهدافه وحقائقه » ودفعها للنشر باللغة الغربية .

قدم المؤلف لكتابه محدداً الغاية التي يعتقد أن الآغا خان أقام من أجلها **دائرة للدراسات الإسلامية** في الجامعة الأمريكية ، ذاكراً أنها : « التعريف بالإسلام وبكنوزه الفكرية بلغة من لغات العصر ، بأمانة وإخلاص ، ملتزمة بالسلفية الصالحة » ثم أردف المؤلف قوله هذا بالاعتقاد بأنه : « ينبغي لهذه الدائرة ، إتماماً لرسالتها ، أن تبدأ **حواراً مع سائر الأديان** ، ولاسيما مع المسيحية في لبنان ، حيث يتوافر للديانتين مناخ فكري صالح للحوار ، كما أنه ينبغي للدائرة أن تشرع في دراسة الطوائف والمذاهب الإسلامية المختلفة الممثلة تمثيلاً حسناً في لبنان حيث تأسست هذه الدائرة » .

وإذا كانت الحاجة ملحة – على حد قول المؤلف – لإظهار فضائل الإسلام وإعلانها ، ولاسيما النواحي الروحية والفكرية منه ، بلغة يفهمها الجيل الذي تربى تربية غربية حديثة ، فإن القيام بالرد **على دراسات المستشرقين وأباطيلهم والشبهات التي يثيرونها في دراساتهم** أو يسربونها إلى مؤلفات تلامذتهم ، يعتبر من أهم الخدمات التي يجب أن تجند لها الكفايات العلمية الحديثة لإظهار حقائق الإسلام الخالدة كما تضمنها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول جاعلاً موضوعاتها تندرج تحت العناوين التالية :

١ – الإسلام دين الفطرة وخاتم الأديان .

٢ ـ القرآن الكريم كلمة الله ومصدر المعرفة ودليل العمل.
٣ ـ الحديث الشريف ـ محمد خاتم النبيين .
٤ ـ شرعة الله .
٥ الطريقة وأصولها في القرآن الكريم .
٦ ـ السنة والشيعة ـ الشيعة الاثناعشرية والإسماعيلية .

حـــوار وردود

يمهد المؤلف للحوار بين الأديان المختلفة ببحث عـــن العلاقة بين الإنسان والله عز وجل ، أو بتعبير فلسفي بين النسـبي والمطلق ، وهو يوازن بين تعاليم الإسلام في هذا الموضوع وبين تعاليم غيره من الأديان ، مبيناً **رجاحة الأولى وإشراقها** ، ثم يرد على دعوات يقوم بها أحيـــاناً مغرضون أو مرضى ، يتسترون بفكرة **توحيد الأديان** ، وقد أدى الأمر ببعض هؤلاء إلى تلفيق عقائد لا تمت إلى أحد الأديان بصلة . وفي هذا يقول المؤلف : « ليس هناك أسخف ولا أخبث من محاولة إنسان خلق عقيدة توفق بين مختلف الأديان بداعي الكلية أو الشمولية ، لأنه في الواقع **لايعمل إلا على تقويض الأديان الموحى بها** والتي من شأنها وحـدها أن تمكن المرء من ربط النسبي بالمطلق أي ربط الإنسان بالله .. » .

ومن خلال الموازنة بين الأديان السماوية الثلاثة ـ كما يمارسها المؤمنون ـ توصل المؤلف إلى نتيجة أكد بها أن المرء يستطيع : « أن يقول عن اليهودية : إنها في جوهرها ترتكز على **خوف الله** ، والمسيحية على **محبة الله** ، وأما الإسلام فيرتكز على **معرفة الله** ... » .

ويستمر المؤلف في موازنته ، فإذا تحدث عن الأنبياء وطبيعة رسالة كل منهم ، بحسب عقيدة أتباعهم ، وصل إلى النتيجة التالية : « .. في المسيحية

نجد التوكيد على شخص المسيح بصفته **مركز الثقل** ، فكان من الطبيعي أن يسمى الدين الذي جاء به المسيح « **الدين المسيحي** » ولكن الأمر يختلف عن هذا في الإسلام ، **ومن الخطأ الفاضح أن يسمّى المسلمون محمديين** على الرغم من أن هذه التسمية « محمديين » شاعت زمناً طويلاً في اللغات الغربية ، بحيث أصبح من العسير محو هذا الخطأ محواً تاماً » .

يسهب المؤلف في تبيان كيف أن الإسلام ليس كمثله دين في مدى تنزيه الخالق جلّ وعلا **وتوكيده على رفض مختلف صور الشرك بالله عز وجلّ** ، ثم يوضح كيف أن التوحيد الذي أعلنه الإسلام في شهادة « **لا إله إلا الله** » لايقتصر على الإيمان بخالق واحد لاشريك له فحسب ، بل هو توحيد تنعكس آثاره على المجتمع البشري بأسره ، فالإسلام يدعو إلى مجتمع مرصوص الصفوف في إعلاء كلمة الحق ، كما تنعكس آثاره على السياسة ، لأن الإسلام يرفض أي حالة سياسية لاتحقق **وحدة الأمة الإسلامية الشاملة** ، وتنعكس آثاره أيضاً على جميع حقول المعرفة والعلم وحتى على مختلف الفنون .

ويقف المؤلف ليدفع عن الإسلام فرية أعدائه بوسمه بأنه « **دين السيف** » بالموازنة بينه وبين غيره من الأديان مستعرضاً الحروب التي اندلعت نيرانها باسم الدين والتي عرفتها كل الأمم تقريباً وذاقت مرارتها أكثر شعوب الأرض ، ثم ينتهي إلى القول : « .. لنأخذ مثلاً **بلاد الأندلس وبلاد الأناضول** التي تعاقب على حكم كل منها مسلمون ونصارى في الوقت نفسه تقريباً ، أما في الأندلس فقد طرد جميع المسلمين منها أو قتلوا ، **وليس فيها اليوم مسلمون** ، بينما لاتزال تركية حتى يومنا هذا ، **مقر الكنيسة الأرثوذكسية** ».

الحديث النبوي وسيرة الرسول : وفّى المؤلف البحث عن «الحديث النبوي»

المصدر الأول في الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء ، **وإن اختلفت بينهما مراتب رجاله وقواعد صحته .** وعرض المؤلف لادعاءات المستشرقين ومن والاهم راداً بالحجة الدامغة مفترياتهم مفنداً أباطيلهم ودسائسهم مبيناً أن القرآن الكريم لايتمه ويفسره إلا الحديث النبوي الشريف قائلاً إنه يُعتبر : « بعد القرآن الكريم ، أعزّ **ما لدى المجتمع** الإسلامي من مصادر الحكمة في هداية الناس وإرشادهم ، وهذه المصادر الثلاثة : القرآن والأحاديث والسنة هي **أسس الحياة الإسلامية وغذاء الفكر الإسلامي** » ويردف كلامه هذا بقوله « هذا الجانب الخطير من الإسلام كان هدفاً لنقد لاذع في الآونة الأخيرة من قبل **جماعة من المستشرقين الغربيين** الذين ينعمون بالشهرة والنفوذ الأدبي وليس من مهاجمة أشد كفراً وأقبح غدراً ، يتعرض لها الإسلام ، كالهجوم الذي يستهدف تقويض أركانه ، إن مثل هذه الحملات الكتابية **لأشد خطراً على الإسلام من الحملات العسكرية** . . . » .

ثم يتولى المؤلف الرد على من كتب عن الإسلام معرّضاً ببعض جوانب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام مبيناً ما فات هؤلاء من سجاياه وشمائله قائلاً : « إننا لسنا هنا في معرض الدفاع عن سيرة النبي ، ولكن نرى لزاماً علينا أن نوضح هذه الأمور ، لأن الاتهامات الباطلة بل الخبيثة الحاقدة ، التي توجه إلى النبي مؤسس الدعوة الإسلامية ، والتي تتردد كثيراً في الدراسات المعاصرة عن الإسلام ، من شأنها أن تجعل فهم الإسلام على حقيقته أمراً محالاً لدى أولئك **الذين يعتمدون هذه الدراسات ويأخذون بها** » .

ومن لطائف الموازنات التي يوردها المؤلف ، أنه عندما أكد على أن النبي عليه الصلاة والسلام كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب قال عن سرّ

أميته : « .. والسبب الذي يجعل من النبي ﷺ أميّاً هو السبب ذاته الذي يجعل من مريم **العذراء بتولاً** » .

قدسية اللغة العربية : يرى المؤلف أن الإسلام أسبغ على العربية قدسية امتازت بها على سائر اللغات « **لكونها جزءاً لايتجزأ من القرآن** » ولأنها من مستلزمات عدد من الشعائر الدينية ، ثم يرد على الذين لايؤمنون بقدسيتها من غربيين مسيحيين أو عرب يوالونهم ويقول : « يصعب على الغربيين أن يفهموا مدى أهمية اللغة المقدسة والدور الروحي الذي تقوم به في بعض الديانات ، لأنه **ليس للمسيحية لغة مقدسة** » ويخص من يجحد قدسية العربية من أبنائها بقوله : « **هؤلاء العرب المحدثون يخلطون بين دور العربية كلغة مقدسة دينية في الإسلام وبين دورها المفترض كلغة عرقية وقومية !** » .

إعجاز القرآن وبركته : القرآن الكريم معجز لأنه كلام الله عز وجل ، ومن أدلة المؤلف على هذا الإعجاز : « أنه نزل بلغة تستطيع اليوم وبعد انقضاء نحو أربعة عشر قرناً على نزوله **تحريك نفوس الناس كما حركتها عند بدء نزوله** » .

وللقرآن الكريم ، كما يرى المؤلف ، ميزة خاصة « **يصعب الكلام عنها بلغة الناس** ، وللمرء أن يعتبرها سحراً سماوياً » وهو يطلق عليها تعبير **بركة القرآن** ، البركة التي يعتقد بها المسلمون ويتوارثونها جيلاً عن جيل ، أما المسيحي فيصعب عليه تفهم سرّ هذه البركة ، كما يصعب على المسلم أن يتفهم سرّ احترام المسيحي للصليب ، أو معنى تعليقه إياه في عنقه تبركاً ، أو رسم علامته إذا مادهمه خطب أو نزلت به مصيبة !

المرأة في الإسلام : لم يترك المؤلف موضوعاً يثيره الحاقدون على

الإســـلام أو يسلطون الأنوار عليه ، إلا وعرض له مبيناً حقيقة حكم الإسلام فيه وهدفه منه ، فبحث في الجهـاد وغاياته ، وفي حكمة تعدد الزوجات وشروطه ، أما قضية مساواة المرأة بالرجل ، أشغولة الأمم المتحدة في عام ١٩٧٥ ، فكانت محل دراسـة انتهى المؤلف فيها إلى القول بأن هذه المشكلة غير موجودة في الإسلام أصلًا : « وأن الجدل الدائر حولها لايختلف عن الجدل الذي يدور حـــول المفاضلة بين الورد والياسمين ، ولكل منهما جماله وعطره ولونه وشكله » ثم تابع بحثه وقال :

« **إن الإسلام لايرى أن دور كل منهما هو منافسة الآخر ، بل يرى أن دور الواحد منهما متمم للآخر** . فلكل منهما حقـــوق وواجبات تفرضها عليه أو عليها طبيعة بنيته الجسدية » .

التصوف والباطنية : ركز المؤلف اهتمامه كثيراً بما أسماه الجانب الروحي أو الباطني في الإسلام تحت اسم « **الطريقة** » ، وكان تركيزه هذا بسبب العناية الفائقة التي أولاها جميع الذين كتبوا عن الإسلام من المستشرقين بهذا الموضوع من جهة ، وباعتبار التصوف – كما يرى المؤلف – **عاملاً يوحد بين الشيعة وأهل السنة** من جهة ثانية .

ثم وقف المؤلف للمستشرقين الذين كتبوا عن التصوف في الإسلام تحدوهم الرغبة في تشويه صورته الحقيقية ، وأخذ يفند أقوالهم ويرد عليهـا مبينـاً « أن وراء حججهم كلها تقريباً – يقوم – افتراض مسبق بأن الإســـلام **دين غير سماوي** ، وعليه فلا يمكن أن يكون له جانب روحي أصيل » .

وأفاض المؤلف في بيـان عقيدة من يرى أن للقرآن الكريم معاني باطنية وأنه « يتضمن معاني على جميع المستويات ولمختلف طبقات المؤمنين »

ثم شرح كيف تجد نفس كل مؤمن في ثنايا القرآن الكريم سلاماً **ورضى** لا يمكن أن تجدهما في هذا العالم المادي ، غير أنه اشترط لقبول صحة هذه العقيدة ، أن **يقوم توازن منضبط بين الظاهر والباطن** ، مؤكداً على أنه : « لا سبيل إلى تحقيق التوازن الذي يشترط فيمن يسلك طريق الصوفية **إلا باتباع أوامر الشرع ونواهيه** » .

وجاهر المؤلف بجرأة بأنه « لا يجوز لأحدٍ أن ينبذ الظاهر الذي بين يديه باسم الباطن » ولم تفته الإشارة الصريحة إلى أن هنالك من حاول « أن يحطم التوازن لإعلاء شأن الطريقة » فانتهت به المحاولة إلى : « الانحراف عن الدين والخروج عليه » .

وأردف يقول : « **إن كثيراً من الفرق الدينية المزيفة المارقة عن الدين تبدأ من أصول باطنية** وتنحرف عن طبيعتها الأصلية بتحطيم **إطار الشريعة الواقي** ، وينتهي الأمر بها إلى أن تصبح إما فرقاً صغيرة وضررها بسيط نسبياً ، وإما فرقاً كبيرة خطرها يتوقف على التربة التي تنشأ فيها » .

وإذا كان المؤلف فيما كتبه عن حقائق الإسلام يمثل العالم المتتبع لمختلف الأقوال والمذاهب وهو يعرضها على قارئه عرضاً اتسم بكثير من الحياد والإنصاف ، فإن ما كتبه عن التصوف والمتصوفة يبدو متألقاً بمسحة **من المعاناة الشخصية** » وقارئه يشعر خلال أسطر الكتاب بومضات روحانية تنم عن نفس شفافة وعن حس مرهف وإيمان عميق الجذور .

أهل السنة والشيعة : يعرض المؤلف أهم المبادىء العامة في الإسلام واصفاً إياها بأنها « النواحي الأساسية التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية

القوية التي تأخذ بها الفرق الإسلامية الكبرى » ولقد ابتعد في عرضه عن أي تعليق أو شرح لوجهات النظر الحساسة بين مختلف الفرق ، لأنها – باعتقاده – قائمة « **بقضاء وقدر من الله سبحانه وتعالى** » .

غير أن المؤلف ركز بشيء من التفصيل على المذهب الشيعي ومعتقداته باعتبار « أن جمهور الناس خارج العالم الإسلامي **يعرفون عن السنة أكثر مما يعرفون عن الشيعة** ، ولاسيما في الغرب الذي كانت علاقاته ولا تزال أوثق مع السنة » .

وعلى شيء كبير من الثقة أكد المؤلف أن « **السنة والشيعة يؤلفان جزءاً واحداً لايتجزأ عن الإسلام الصحيح** الذي نشأ منذ البدء إسلاماً واحداً . والشيعة ليست طائفة خارجة عن الإسلام الصحيح ، كما أنها ليست طائفة مستقلة مع أن في العالم الشيعي فئات خرجت عن الإسلام الصحيح ، وهذه تعتبر طوائف مستقلة » . وبذل المؤلف جهداً واضحاً في نفيه أن يكون الاختلاف في تطبيق بعض أحكام الدين أو في ممارسة بعض شعائره بين أهل السنة والشيعة ، يناقض **وحدة الإسلام** ، وهو يجزم بأن « **السنة والشيعة بعدان من أبعاد الإسلام** ، لم يوجدا لتقويض وحدته ، بل ليمكننا قسماً أكبر من البشرية من مختلف الملل والنحل من دخول الإسلام والتنعم بعطياته » . كما أنه يعتقد بأن شهادة « **أن لا إله إلا الله** » التي يرددها كل مسلم ، سواء أكان سنياً أم شيعياً ، بإحساس روحاني متماثل ، تؤكد وحدة العقيدة ، وأن الاختلاف بين الطائفتين لايعدو أن يجعل كل واحدة منها وجهاً متكاملاً لعقيدة واحدة وكأنه يقول بأنها **وجهان مختلفان لحقيقة واحدة** كوجهي الدينار .

ملاحظات وآراء في بعض جوانب الكتاب

محاضرات المؤلف كانت ولاشك بلغة أجنبية ، ثم اختار العربية لينشر بها الست الأولى ، وكأنه شعر وهو يصوغ هذه المحاضرات بالعربية بأن دقة الموضوع **والهدف منه لم يسعفا أسلوبه ليكون عربياً مبيناً** ، فتقدم من قارئه باعتذار يبين فيه أن تصنيف الكتاب كان بغير العربية لأنه « موجه إلى تلك الطبقة من المثقفين الذين يألفون طريقة التفكير المنطقية الجديدة المعروفة بالديالكتيكية (الجدلية) . وفضلاً عن هذا فقد حاولتُ – يقول المؤلف – رد كثير من التهم الباطلة التي تتضمنها المصنفات الغربية والتي يلصقها مؤلفوها بالإسلام ، ولا سيما تلك التي تتناول عناصر الإسلام الجوهرية كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ولذا قد يظهر أسلوب البحث **وكأنه مشوب بصبغة غربية** ، أو كأنه أسلوب قد تأثر بما قد كتب عن الإسلام بلغات أوروبية ، بحيث تظهر بعض الأبحاث فيه تردداً أو حشواً بالنسبة للقارىء الذي لاعهد له بتلك المؤلفات » . وهذا الاعتذار يدفع بأي نقد يوجه إلى أسلوب الكتاب أو لغته إلى تجاوز حدود الإنصاف .

وإذا كنا نختلف مع المؤلف الفاضل في بعض الآراء التي أوردها ، أو الوقائع التي اعتبرها من المسلمات ، لاسيما في البحث الذي اطلق عليه تعبير **الجانب الباطني** للإسلام ، فإن اختلاف الرأي لايحجب عن الكتاب التقدير الذي يستحقه **ولاينتقص من إعجابنا بالمؤلف** الواسع الثقافة وبروحه الإسلامية القوية .

وسنجتزىء من ملاحظاتنا على الكتاب بالنماذج التالية ، تحدونا إليها

الغيرة أو الأمانة اللتان أبدى المؤلف أشد حرصه على توافرهما في كتابه .

أولاً : تسربت إلى لغة الكتاب عن طريق اللغة الأجنبية التي كتب بها بدءاً ، ألفاظ كان يحسن استبعادها كوصف الرسـول الأعظم ﷺ أحياناً بأنه (مؤسس الدعوة الإسلامية) ولو استبدلت بلفظة مؤسس كلمة (**صاحب**) لـكان خيراً .

ثانياً : في مجال التفريق بين التشريع الإلهي والقانون الوضعي ، أورد المؤلف لفظة « قانون » وبحث في أصلها ومعناها الاصطلاحي ، مشيراً إلى اختلاف النظرة الإسلامية عن النظرة المسيحية إلى مفهوم التشريع ذاكراً أن لفظة : « قانون اقتبستها الديانتان معاً » عن اليونانية ، مماخيل معه إلى القارىء العربي أن هذه اللفظة غدت اليوم مصطلحاً إسلامياً ، والحقيقة هي **أن العلمـــاء المحدثين هم الذين أطلقوا اللفظة المعربة على التشريعات الوضعية وابقوا لفظتي (شرع وشريعة) للدلالة على الأحـكام الإلهية والدينية** ، أما كلمة (قانون) فهي لا تعني فقهـــاء الشريعة بكثير أو قليل . وكان من حق القارىء العربي أن يبقي المؤلف على هـــذا التفريق بين الكلمتين في نسخته العربية مشيراً إلى صعـوبة التفريق بينهما باللغة الأجنبية ، إلا إذا استخدمت لفظة « شريعة » ودونت بالحـــروف اللاتينية لتدل على القانون الإلهي الإسلامي كما يفعل بعض المستشرقين .

ثالثاً : وردت في الكتاب أحاديث نبوية كثيرة ، إلا أن المؤلف أهمل مع الأسف ، الإشـارة إلى **المصدر الذي نقل الحديث عنه** ، ولو وثق كل حديث بمصدره ، لكانت الدقة العلمية أكثر توافراً ، ولاسيما وأنه ذكر أحاديث اختلفت صياغتها عن الشائع المعروف ، كما أنه أورد بعض الأحاديث بمعناها دون الحفاظ على النص المأثور .

رابعاً : حاول المؤلف جهده إنصاف بني أمية فاعترف لهم بالحنكة السياسية وبالعبقرية في الحكم والإدارة والحفاظ على تماسك دولتهم ، غير أن قلمه نبا عندما وصف حكمهم بأنه (**كان حكماً علمانياً لا يستند إلى الدين**) وفي هذا الوصف بعض التناقض مع فكرة المؤلف نفسه التي أكدها أكثر من مرة ومفادها أن العربية تخلو من لفظتي (زمني وعلماني) وشرح سبب ذلك ، إضافة إلى أن شيئاً من الغلو قد توحيه كلمة (علماني) للدلالة على (**المُلْك العضوض**) كما ورد في الأثر .

خامساً : عندما تعرض المؤلف لرأي جمهرة المستشرقين في أن الخلاف بين أهل السنة والشيعة **كان خلافاً سياسياً** ، أكد بأن هذا الرأي صحيح إلى حدٍّ ما ، غير أنه استدرك شارحاً بأن الخلاف في حقيقته كان سياسياً بالنسبة لخلافة الرسول عليه السلام ، كما أنه **كان خلافاً فقهياً بالنسبة لمدى السلطة الدينية** .

وأردف يقول : « يمكن القول بأن المذهبين نشآ كائنين مستقلين فور أن أتم النبي رسالته على الأرض ، وذلك لأن الخلاف بين الفريقين بدأ منذ اللحظة التي قبض الله تعالى إليه نبيه ، **حين ذهبت فئة قليلة إلى أن الخلافة ينبغي أن تبقى في آل البيت** ... » وفي رأيي أن عبارة المؤلف هذه تحمل بصياغتها أكثر مما تحملة الأخبار الصحيحة عن أسباب تخلف بعض الصحابة رضي الله عنهم عن المسارعة إلى بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

سادساً : والملاحظة الأخيرة تتعلق ببحث المؤلف الذي أبان فيه أهمية الصلاة التي شرعها الإسلام والحكمة المقصودة من فرض صلاة الجمعة

في رأي بعض المذاهب ، وكم وددت وأنا أقرأ هذا البحث الممتع لو أن المؤلف عرض إلى **حكمة صلاة الجماعة** التي حثت عليها عدة أحاديث نبوية وتحرص عليها جماعات عديدة من المؤمنين .

هذه ملاحظات قارىء معجب لا تخـل بقيمة الكتاب الممتع ، ولا بفضل مؤلفه ونبيل غاياته وعظيم دفاعه عن الإسلام برد الشبهات عنه ودفع أباطيل أعدائه والحاقدين عليه . **فله منا خالص التقدير** ، ولمن أهدانا الكتاب جزيل الشكر على صنيعه .

عدنان الخطيب

نظام الحكم في الشريعة والتاريخ

تأليف الأستاذ ظافر القاسمي

الجزء الأول : بيروت (دار النفائس) الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

الدكتور شكري فيصل

هذا الكتاب يبدو حديث عهد بالصدور ، ولكن من المؤكد أن صاحبه عانى قضاياه ومسائله التي توزعت أبوابه وفصوله معاناة طويلة ، وقد تكون معاناة قاسية في بعض الأحيـــان .. وذلك منذ أخذ يدرس مادة الثقافة الإسلامية في الجامعة اللبنانية في بيروت . ومامن شك في أن صلته بهذه الموضوعات ترتدّ إلى وراء ، إلى بعيد منذ كان يستمع إلى والده العلامة الشـيخ جمال الدين القاسمي ، ومنذ كان يغشى بعض الحلقات والمساجد يصحب أهله أو يصحبه أهله .. ثم فيما كان بعد ذلك من دراسته للحقوق ومرافعاته في القضـاء وعمله في فروع الثقافة العربية من خلال « مكتب النشر العربي » الذي أقـامه مع صديقيه الأستاذين داود التكريتي وعصام الانجليزي ، وكأنهم كانوا يريدون أن يكون - أو هكذا تمثلت أنا الأمور - شيئاً يشبه لجنة التأليف والترجمة والنشر والذي أخرج عديداً من كتب التراث منها البخلاء للجاحظ ومنها المنقذ من الضلال للغزالي ؛ ثم صُرف أصحـابه عن ذلك إلى مهنتهم التي شغلتهم عن متابعة النشـر والتحقيق إلى شؤون أخرى من شؤون الحياة والسياسة .

كـسر المؤلف كتابه على مقدمة وعلى تسـعة أبواب ، وطالت بعض الأبواب فتوزعت إلى عديد من الفصول ، وقد عقد الباب الأول حـــول موضوع : العرب قبل الإسلام وذلك حين رأى أنه « لا بد لفهم نظـام الحكم في الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي من التمهيد ببحث قصير ، في حدود المختصر الوافي ، عن الفترة التي كانت قبيل الإسـلام والتي عرفت بالجاهلية » (ص ٧) .

وجعل الباب الثاني عن « سـياسة الإسلام » والثالث عن (هجرة الرسول) والرابع عن « حكومة الرسول » تحدث فيه عن ثلاثة أشياء عن الشؤون الداخلية وعن الشؤون الخارجية وعن الشؤون العسكرية .

أما الباب الخامس فعنوانه قواعد الحكم ، وقسمه إلى سبعة فصول الأول عن الحرية في الإسلام ، والثاني عن الشورى ، والثالث عن المساواة ، والرابع عن العدل ، والخامس عن المعارضة ، والسادس عن النقد النهائي أو محاسبة النفس .

وأما الباب السادس فقد قصره على موضوع الخلافة . ولأن موضوع الخلافة يؤلف صلب نظام الحكم فقد اضطر المؤلف أن يجعله في تسعة عشر فصلاً تناولت البيعة والعهد ، وأهل الشورى وأهل الحل والعقد ، والنظريات المختلفة حول البيعـة وما إلى ذلك . وقد شمل هذا الباب وحده نحواً من ثلث الكتاب .

وفي الباب السابع تحدث عن الوزارة وجعل ذلك في عشرة أبواب بعضها يدور مع التاريخ (الأموي والعباسيّ والأندلسيّ) وبعضها يدور على الوزارة في كتب السياسة الشرعية ، وبعضها يتوقف عند ارتباط مابين الوزراء والخلفاء والملوك .

أما الباب الثامن فموضوعه الولاية ، وهو في سبعة فصول ، وأما الباب التاسع فموضوعه الإمارة ، وهو في ثمانية فصول .

وقد اقتصرت فيما قدمت على عناوين الأبواب دون العناوين الكثيرة للفصول لأن القارىء يستطيع أن يلمح سعة آفاق الكتاب وغزارة مباحثه ودقة موضوعاتها حيناً وتشعبها حيناً آخر .. الأمر الذي يجعل الإقدام على التأليف في مثل هذه الأشياء يقتضي كثيراً من الجهد وكثيراً من البحث الدائب عبر عدد كبير من المؤلفات التي تناولت هذه الموضوعات في القديم أولاً ثم في الحديث بعد ذلك .

وفي تقديري أن البحث في مثل هذه الموضوعات الخطيرة في تاريخ الحياة العربية وفي تاريخ الفكر العربي ، وفي سير الحضارة الإسلامية بالشعوب التي صنعت هذه الحضارة ، لابدّ فيه من زاد كبير ولا بد فيه من ثقافة متنوعة عميقة حتى يستطيع الذي يخوض فيها أن يقدّم عملاً مذكوراً ذا بال .

وأحسب أن هنالك حاجة إلى هذه الأنواع الأربعة من الثقافة في معالجة نظام الحكم في الشريعة الإسلامية وفي التاريخ :

ثقافة شرعية تصل صاحبها بالعدد الكبير من كتب الفقه والتراث ، وتقدم له المادة الأولية لهذا البحث ووجهات النظر المتباينة للفرق المختلفة فيه .

وثقافة قانونية معاصرة تستطيع أن تنظر في التراث نظرة أكثر نفاذاً وعمقاً ، وقدرة على جلاء مافي التراث وحسن اكتناهه ، وتساعد على بعض الموازنات والمقارنات .

وثقافة سياسية ، أو قل حس سياسي دقيق منطلق من ممارسة السياسة

أو من تتبّع مسارها يساعد على فهم الأحداث التي كانت وراء الأنظار والمبادىء الفقهية والخلافات المذهبية .

وثقافة تاريخية تتعمق الأرضية التي نشأت منها والتي نشأت عنها الأحداث والمذاهب ونبتت منها الأنظمة والقواعد ..

هذا ونحن لانتطلب أن تجتمع أقدار متساوية من الثقافات جميعاً عند مؤلف واحد ، ولكن من المؤكد أنها اجتمعت على نحو متوازن وسليم عند الأستاذ القاسمي ، وكان اجتماعها هذا هو الذي أنبط هذا الكتاب عنده .

ولست أتحدث عن سلامة اللغة وصحة الأداء واستواء التركيب ووضوح التعبير فتلك أمور أساسية لاغنى عنها. وقد توفرت للأستاذ المؤلف على هذا النحو الواضح .

ونستطيع أن نتبين نهج الكتاب من خلال هذه المقاطع التي جاءت في مقدمة المؤلف :

(ويهمني أن أسجل في هذه الكلمة تقديري لكل من سبقني من المؤلفين العرب والأجانب في هذا الموضوع الحضاري الهام ، فقد قرأت كتبهم ، وانتفعت ببعض ماجاء فيها ، وعرفت مبلغ ماعانوا من السهر والجهد في البحث والدرس والتنسيق والتعريب .

ثم حاولت أن أضيف إلى ماصنعوا بعض مافاتهم ، سواء من حيث الموضوع أو من حيث الشكل ، وربما خالفتهم في بعض ماذهبوا إليه ، فذلك من طبيعة حرية الفكر في البحث العلمي .

ولقد حرصت على إيراد أكثر النصوص بحروفها كما وقفت عليها ، متوخياً تمرين طلابنا في الجامعات على معالجتها وتدبرها ، واكتساب الملكة الأدبية وملكة التأليف من روحها ومتنها وألفاظها ومعانيها) ..

ويتميز هذا المنهج ، من نحو خلقي ، بالوفاء ... الوفاء الذين كتبوا أو ألفوا في هذا الموضوع من قبل ، وهو خلق أضحى عند كثيرين خلقاً نادرا : فهم ينقلون الصفحات من مصادرهم ، ويتعرفون من خلال كتاب أو بحث إلى المشكلة ، ثم يتجاوزون الوقفة عند الكتاب الذي دلهم ، بله الإشارة إليه عندما يتحدثون عن المشكلة .. ولست أشير إلى ماوراء ذلك مما يجترحون ، فأنا لا أتحدث عن عمليات السطو ، ولكني أتحدث عن عمليات التأليف .

كما يتميز هذا المنهج من نحو علمي بالاستناد إلى النصوص والتعرّف إليها ، والوقوف الطويل عندها ، ثم الانطلاق منها .

وقد غبرت سنوات على عديد من أساتذة الجامعة في دمشق وهم يصرّون على هذا الأسلوب يأخذون به أنفسهم أولاً ، ثم يأخذون به طلابهم بعد ذلك .. ويأخذونهم بشيء من الشدة ، أوقل من الحرص حتى لايكون التعليم الجامعي تلقيناً من التلقين ، أملية تلقى ، أو كتابا يضع الأفكار والنظرات في صفحات محدودة ، ويسكت عن العمل الجامعي الصحيح الذي يقوم بالنصوص ولايقوم إلاّبالنصوص : تمرساً بها ، ودراسة لها ، وابتداء منها ، وانتهاء اليها .

والميزة الثالثة هي محاولة المؤلف أن يضيف شيئاً على الذين تقدموه .. وقد تكون هذه الإضافة موافقة وقد تكون مخالفة ... قد تكون إنكاراً وقد تكون رضى .. ولكنها أيا كانت فإنها يجب أن تكون مدعومة بالدليل ومايسبق الدليل من حوار ونقاش .

والحق أننا نواجه في التأليف المعاصر أسلوبين أو نمطين يسودان حركة التأليف أحدهما : هذا النوع من التأليف الذي يقارب المعنى اللغوي

للفظة .. ككلّ عمل يؤلف بين الأشياء التي يقع عليها ، يتعرف لها ويناقشها وينسقها ويبوبها .. إنه يقرأ المصادر والمراجع المختلفة المتعددة ثم يؤلف بين ماانتهى إليه من هذه المصادر ويخرجه بعد تنسيق وتبويب .

وهذا النمط من التأليف لايخرج عن أن يكون في جملته عرضاً جديداً لمعلومات سابقة ، في شيء من اختصار أو تطويل ، وفي وقفـة هنا أو وقفة هناك ... فهو لا يقدّم عملاً جديداً مبدعاً ولكنه يقدم عمـلاً مجموعاً على نحو جديد .

وقد لايبدو مثل هذا النمط مقنعاً .. ولكن حين نعرف كيف تتشعب الأبحاث في تراثنا وكيف كانت تكتب .. فإننا مضطرون إلى تقدير مثل هذه المؤلفات على غياب الجديد المبدع منها .

والنمط الآخر هو الذي يحاول أن ينظر فيما تقدمه له المصادر نظراً خاصاً ، هو أعمق من الجمع .. إنه يمحّصه ويدققه ويفهمه فهماً جديداً ، ويقيم هذا التفاعل بينه وبين ثقافته المعاصرة ويزاوج بين المفاهيم القديمة والحديثة .

ونحن مع الأستاذ القاسمي في هذا المؤلّف نواجه هذين النمطين من التأليف .. هو في أقل المرات يقتصر على العرض ، وهو في أكثرها يضيف إلى المادة المنسقة المبوبـة رأياً يراه أو موقفاً يقفـه أو مقارنة يعقدها أو مناقشة يديرها (انظر في ص ٢٢٩ رأيه في صنيع عمر (رض) حين جعل لأهل الشورى حق انتخاب الخليفة) .

وقد يكون في بعض مواقفه ، أو في بعض نقاشه ، مأخوذاً بشيء من الحمـاس ، إلى حين يحتاج الموقف إلى قدر أكبر من الأناة أو إلى قدر أكبر من امتحان النصوص (انظر ما وصف به معاوية (رض) في ص ٢٨٥ والنقل الذي نقله عن السيوطي في كتاب تاريخ الخلفاء) .

رأي في
كتاب القصّاص والمذكرين لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ

عُني بنشره الدكتور مارلين سوارتز

نشره معهد الآداب الشرقية ببيروت سنة ١٩٧١

الدكتور قاسم السامرائي

في نهاية صيف سنة ١٩٧٢ وصلت نسخة أنيقة من كتاب القصّاص والمذكرين إلى القسم الشرقي التابع لمكتبة جامعة لايدن هدية من دار المشرق، وقد رجاني صديقي شورد فان كوننكزفلد - رئيس المخطوطات العربية - أن أقابلها بالمخطوطة المحفوظة في المكتبة تحت رقم ٩٩٨ (٣) شرقيات؛ وأن أكتب مقالة قصيرة عنها نيابة عن المكتبة، لأن تحقيق الكتاب اعتمد على هذه المخطوطة الوحيدة. ولكن ظروف العمل التدريسي في الجامعة ومن ثم انشغالي بتحقيق كتاب الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني حالا دون الكتابة آنئذ، بيد أنني كنت أتتبع ما كان يكتب عن الكتاب في مختلف المجلات التي تُعنى بمثله فوجدت ما يأتي :

1) Bosworth, C. E. , in Journal of Semetic Studies, vol.18, no: 1, 1973, p. 178 - 181 .

2) Sellheim, Rudolf , Der Islam, 50 (2), 1973, p. 336 - 338 .

3) Boullata, Issa, J. , The Muslim World, vol. LXIII, no : 4, p. 318 - 320 .

4) Schimmel, Annemarie, Der Welt des Islam, vol . XIV, no : 1 - 4, p. 231 .

وفي كلّ هذه المقالات شيء كثير من المديح والإطراء يعطيك صورة لما يدور في حلقات المستشرقين من الشعور بـ « إذا كانَ ميكالُ لك » . وقد قرأت الكتاب كلّه مع ترجمته إلى الانكليزية فأحسست أن هذا الأثر النفيس قد أسيء إليه في نشره بهذه الصورة أكثر مما أحسن إليه ، وأن هذا الأثر الرائع لابن الجوزي يجب أن يُعاد نشره بتحقيق أدقّ وفهم أشمل ، ولعلك تتفق معي في هذا الرأي لو ألقيت نظرة عجلى على الجدول الملحق . ومع هذا فلست أكيل اللوم لمن كتب عنه حين أبدوا إعجاباً أو كالوا مديحاً ، فإنهم لم يكونوا في وضع يستطيعون فيه مقارنة النص المطبوع مع المخطوطة ، كما استطعت ، أو لعلهم لم يفكروا بتحمل مثل هذا العبء الذي تحملته ، وإلاّ فالحصول على صورة للمخطوطة أمر يسير لو شاء أحدهم . ولا بأس أن أورد بعض أقوال من كتب عن الكتاب لنسبر مدى حديثهم عنه وعن محققه :

(١) قال الأستاذ رودلف زيلهايم ، الأستاذ بجامعـــة فرانكفورت بألمانيا الغربية :

« ... Wenn alle Dissertationen — und Swartzens Arbeit lag als solche 1967 der Harvard — Universität in einer wohl sehr viel ausführlicheren Fassung vor — über dieses Niveau verfügen, dann braucht unserer Wissenschaft für die Zukunft nicht bange zu sein » .

ومعنى قوله : ولو أن كل رسائل الدكتوراه تكون بالمستوى(الرفيع) نفسه فإن علمنا لايخشى عليه مما يأتي به المستقبل .

(٢) وقالت الأستاذة آنا ماري شمل ، الأستاذة بجامعة بون بألمانيا :

«... jetzt in einer **mustergültigen** Ausgabe ... Der Verfasser, ein Schüler George Makdisi , hat dessen kritische Methode Übernommen ... » .

ومعنى قولها : الآن خرج الكتاب في طبعة مثالية يجب أن تحتذى ، والمحقق تلميذ جورج مقدسي ، ومنه تعلم هــــذه الطريقة النقدية المثلى في التحقيق .

(٣) وقال عيسى بولاطة (من مؤسسة هـارفرد) الذي يبـــدو أنه لبناني الأصل :

« .... Dr . Swartz's edition of the Arabic text is generally careful and edcquately compared with parts of Arabic sources where possible, considering it is based on a unicum ... » .

ومعنى قوله : تحقيق الدكتور سوارتز للنص العربي يتسم عموماً بالعناية والمقابلة الدقيقة مع نصوص أخرى في المصادر العربية حسب الطاقة ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التحقيق اعتمد على نسخة فريدة . ثم استطرد بولاطة في حديثه : « وقد انسلّت أخطاء قليلة في النص سهواً من المحقق أو الطابـع » ، وأورد بعض هــــذه الأخطاء التي حدثت في ثلاثة عشر موضعاً ، أغلبها حدث نتيجة خطأ المحقق في شكل بعض الكلمات ، أو سوء قراءة المخطوطة ، وقد تركتها عمداً مثل : « كالنائمة » بدلاً من « كالنائحة » و « يُشغَل » بدلاً من « يَشغَل » وإنما اكتفيت بإثبات ما يفيد القارىء المتتبع الذي يريد تصحيح النص الذي عنده إذا كان مهتماً بالكتاب ومقتنياً له .

(٤) وأخيراً الأستاذ بوزورث الأستاذ بجامعة مانجستر بانكلترا ، فإن عرضه للقسم المترجم من الكتاب كان شاملاً ودقيقاً ، غـــير أنه أغفل النص العربيّ إلا في موضعين ، وأدار حديثه على الترجمة وما فيها من عثرات وأخطاء ، مثل « الخلق » حيث كتبه « الحلق » وترجمه بمعنى الحلاقة وقـص الشعر ، فقال :

« ... one suspects that a thoroughgoing perusal would reveal many such lapses. The number of printing errors in the English part of the book is higher than it should be, although the difficulties of controlling the printing of a book in Lebanon from America doubtless account for many of these .. ».

ومعنى قوله : ولاشك أن مطالعة فاحصة دقيقة سوف تظهر كثيراً من مثل هـذه العثرات . إن عدد الأخطاء الطباعية في النص الإنكليزي للكتاب هو أعلى مما يجب أن يكون ، ومع هذا فإن صعوبة السيطرة من أمريكا على كتاب يطبـــع في لبنان كانت بلاشك سبباً لحدوث كثير من هـــذه الأخطاء .

هذه أقوال من كتب عن « كتاب القصاص والمذكرين » من المستشرقين ومن لف لفّهم ، وقد سبق أن أبديت رأياً في تحقيق النصوص العربية في مكان آخر حيث قلت :

« إن تحقيق نص عربي ليس أمراً سهلاً يقوم به من شاء كما يشاء ، إذ له أصوله وقواعده التي التزمها المحققون وأخذوا بها . وهناك رأيان في طريقة إخراج النص لكل منهما أنصاره ، فأولهما : يرى أن الاقتصار على إخراج النص مصححاً وخالياً لايفيد القارىء أو الباحث ، لذلك ينبغي توضيح النص بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختلاف في النسخ ، والإشارة إلى

مصادر ورود العلم أو الخبر وتتبعها بشيء من التوضيح غير الممل ، وقد التزم هذه الطريقة قلة من المحققين لما تتطلبه من جهد وصبر وعناء .

وثانيها : يرى أن إخراج النصّ لا يحتاج إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات ، والإشارة إلى مناجم ورود الخبر أو العلم ، وإصلاح ما طرأ على النصّ من غلط النسّاخ وتصحيفهم . وقد زخر عالم النشر بكثير من إنتاج أصحاب الرأي الأخير فكان كارثة على الباحثين الذين رأوا أن الرجوع إلى المخطوط الأصل خير من الاعتماد على ما أخرج بهذه الحلة السقيمة » .

وهناك رأي ثالث : يرى أن إخراج النصّ يجب أن يكون على الصورة نفسها التي وردت في المخطوط دون تصحيح أو تعديل ، ويحتج أصحاب هذا الرأي بقولهم : إنّ كثيراً من الألفاظ والتعابير في المخطوط قد تكون من صنع الناسخ أو من صنع المؤلف ، فهي لذلك تمثل لغة العصر الذي عاش فيه المؤلف أو الناسخ ، وهي لذلك تفيدنا في التعرف على التطّور اللغوي والحضاري لذلك العصر ، وأكثر أصحاب هذا الرأي من اللغويين الغربيين أو ممّن تأثر بهم من العرب الذين حاولوا قياس التطور اللغوي في العربية على تطور اللغات الأوربية من اللاتينية » .

إنّ تحقيق النصّ ليس عملية نسخ يقوم به من شاء ؛ بل هو عملية خلق جديدة لإعادة النصّ للحياة على الصورة التي أرادها المؤلف نفسه ، فمن غير المقبول عقلاً أن نقبل خطأً نحوياً أو صرفياً في مخطوط صنّفه عالم باللغة ، لأن هذا الخطأ يمثل لغة عصر المصنف أو عصر الناسخ ، وتحقيق النصّ لا يستلزم معرفة المحقق بالعربية حسب ، بل يفترض فيه أن يكون على علم بضروب المعرفة التي يتناولها النصّ ، وهو إلى ذلك يتطلب صبراً وجلداً ونفساً طويلاً على معاناة النص وخاصة إذا كان النص فريداً لا ثاني

له ، وليس غريباً أن لايسلم نصٌ في الوجود أثناء تحقيقه من هنة هنا أو هفوة هناك أو إغفال للفظ أو سهو عن حرف ، حتى لو أوتي المحقق صبر أيوب ، وحلم الأحنف ، وحدة عين الزرقاء ، وإنما العجب أن يقع المحقق في خطأ يبين فيه جهله ، ويظهر تسرعه فيفقد ثقة قارئه . ومحقق كتاب القصاص والمذكرين أساء كثيراً في قراءة النص ، فتخبط في الترجمة ، ولم يسعفه أستاذه جورج مقدسي الذي لم يكن أحسن حالا في تحقيقه كتاب تحريم النظر ، ولكي أعطيك فكرة عن هذا التخبط إليك بعض هذه العثرات التي لا تقال :

(١) جاء في الورقة ٧٥ ا من المخطوطـة ، صفحة ١٠١ من النص المطبوع : « ... أخبرنا ... عن محمد بن الحسن النقاش ، قال حديث عن أبي الوليد الطيالسي .. » فقد ترجمها المحقق : « .. Abû'l - Walîd at Tayâlisî said .. » وسياق الكلام يستلزم أن تكون . . . قال : حُدِّثْتُ عن أبي الوليد الطيالسي وليس « قال ... » .

(٢) جاء في الورقـة ٧٨ ا من المخطوطة ، صفحة ١٠٥ من النص المطبوع : « . . . لقد عجبت من مثل هذا المحال البارد والكذب الشنيع كيف يجري بمدينة السلام وسكت عنه ، ولو ذكر هذا في قرية لأنكروا العجب التعصب لإبليس . . . »

ففي هذا النص عثرتان :

١ ــ لأنكروا العجب ، وصوابها : لأُنكِرَ ، والعجب ـ على بنـاء الفعل للمجهول .

٢ ــ إنه حين ترجم « مدينة السـلام » لم يفطن المحقق إلى أنهـا بغداد فترجمها حرفياً : « City of Peace » .

٣ – ورقة ٨٢ ا من المخطوطة ، صفحة ١١١ من النص المطبوع :

« ... وقرأ (سيفويه) يوماً : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » ، فقال : هذه خلقت لبغا ووصيف ، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف » . فجاءت في المطبوع : « لبغّاء ووصيف » وترجمها

« This chain was created for the seducer and the young page ..».

ومعنى ترجمته : هذه السلسلة خلقت المستغوي وللخادم الصغير . ولاندري ماذنب الخادم الصغير ؟ وأي خادم هذا ؟ وقد فاته أن سيفويه وإن وصف بالتغفيل قد أراد بقوله هذا القائدين التركيين وصيف وبغا المشهورين في التاريخ العباسي .

٤ – وأنكى للقلب من كل هذا ما جاء في ورقة ٨٨ ا – ب من المخطوطة :

« ... كان رجل يصلي بنا في مسجد المدينة فطّرب ليلة فقال القاسم بن محمد : كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال **وكره ذلك قراءات على محمد** بن ناصر ... » فنقلها المحقق بهذه الصورة :

٢٦٧ – ... كان رجل يصلي ... ولا من خلفه ! قال : وكرّه ذلك قراءات عليّ .

٢٦٨ – محمد بن ناصر عن أبي القاسم ...

والصواب : ... وكره ذلك . قرأت على محمد بن ناصر ... ، وهذا الخطأ الفاضح حدث أيضاً في ترجمته :

« He thus caused me to loath that kind of Quranic recitation ... » .

ومثل هذه العثرات التي حدثت في النص العربي تبعها ســـوء في الترجمة وفوضى في المعنى ، وقد أشار كل من بوزورث وبولاطة إلى هذا الخلط العجيب في مقاليهما عن الكتاب ، فذكر بولاطة أن المحقق ترجم « مصراعي الجنة » بـ « مصراعي جهنم » وكلمة « وعيد » بـ « وعد » وذكر بوزورث وبولاطة أمثلة أخرى تضحك المحزون وتستثير الأسى وهذا شر الأمور .

يقع النص العربي في ١٧١ صفحة بما في ذلك الفهارس ، والنص الانكليزي في ٢٦٤ صفحة مع الفهارس والمقدمة التي شغلت ٩٢ صفحة ، وقد كان النص والترجمة أطروحة قدمها المحقق سنة ١٩٦٧ إلى جامعة هارفرد لنيل شهادة الدكتوراه حيث نالها ، وقد عالج المحقق في مقدمته حياة ابن الجوزي ، وأصالة الكتاب ونسبته لابن الجوزي ، ومكان تأليف الكتاب وطبيعة الكتاب ، والغرض من تأليفه ، والمصادر التي استقى منها ، فضمنها كتابه سواء كانت سماعاً أو من مصادر مدونة ، ثم عرج على وصف المخطوطة ، والصعوبات التي اعترضته في التحقيق . ولعلّ أهم جانبٍ عالجه المحقق في مقدمته هو حياة ابن الجوزي الوعظية والسياسية ، فخلص إلى أنّ ابن الجوزي بما توفر عنده من مقدرة فائقة في التأثير على الجمهــور البغدادي أعان الخلافة العباسية على استرداد قوتها السياسية من سيطرة القواد الأتراك أمثال قايماز ، فأوحى إلى قارئه أنه لولا تأثير ابن الجوزي السحري على جمهور بغداد حيث دفعهم إلى مساندة الخليفة لما استطاعت الخلافة العباسية أن تتلمس خطاها ويستمر نفوذها السياسي ووجودها الديني ، واستطاع المحقق بنجاح يستثير الإعجاب تحديد الزمن الذي تم فيه تصنيف الكتاب من دراسة بعض الإشارات التي وردت في ثنايا الكتاب ، وربطها

بالحوادث التاريخية التي ذكرها أصحاب التواريخ ، فقال : « إن تصنيف الكتاب لا يمكن أن يكون بعد سنة ٥٧٥ هـ ، ويحتمل أن يكون في الفترة الواقعة بين سنة ٥٧٠ هـ وسنة ٥٧٥ هـ » . ثم تطرق إلى أن غرض ابن الجوزي من تصنيف كتابه لم يكن مهاجمة القصّاص والوعاظ كما ظن بيدرسون ، وإنما دفاعاً عنهم . وأخيراً أفرد جانباً كبيراً من مقدمته للكلام على النص العربي فقال : ومع كل الجهود المضنية فلم أستطع العثور على نسخة ثانية ، وإن النسخة الوحيدة هي التي تمتلكها مكتبة جامعة لايدن ، والتي دخلت إلى حوزة فارنر أثناء مكوثه في الشرق من سنة ١٦٥٤ إلى سنة ١٦٦٥ ميلادية ، وقد استفاد منها بعض المستشرقين في كتاباتهم وذكرها بروكلمان في كتابه [Gal. 1 , 503] ، ثم وصف المخطوطة فقال : « وقد كتبت المخطوطة بخط نسخي واضح وبخط واحد بما في ذلك التعليقات على الحواشي ، وما أغفله الناسخ فأضافه حين المقابلة » . والأمر ليس كذلك ، فإن العنوان واسم المؤلف وما تبعه من دعاء ، وكثيراً مما أضيف إلى الحواشي ، كتبه محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن القصاص المقرىء الصديقي الشافعي الذي امتلك الكتاب سنةَ نسخِه ، ولعل الناسخ كتبه له ليستعين به على صنعته . ثم حاول المحقق أن يقرأ اسم الناسخ فلم يُحسن فأورده بهذه الصورة في مقدمته :

« الفقير مجدالدين المنصور ؟ بن علي الغمري » .

وقال : « لقد بحثت في كل كتب التراجم للقرنين العاشر والحادي عشر ، فلم أستطع العثور على أي شيء عنه » . وأنّى له ذلك والناسخ ليس عالماً مشهوراً حتى يترجم له أصحاب التراجم ! ومع هذا فقد عثرت على ذكر له في مخطوطة « شرح لامية العجم للدميري » نسخة برلين رقم ٧٦٦٤ فجاء اسمه بالصورة

نفسها التي جاء بها في مخطوطة القصاص والمذكرين وزيادة . فقد جاء في مخطوطة القصاص والمذكرين : كتبه الفقير مجد الدين بن علي المنصوري الغمري ، وجاء في مخطوطة شرح لامية العجم : مجد الدين بن علي بن أحمد المنصوري الشافعي ، واسم الناسخ هنا يعيننا على تحديد مكان نسخ المخطوطة فإن الناسخ منصوري وغمري وشافعي وكلها في مصر .

لقد أراد ابن الجوزي من كتابه هذا التفريق بين الوعاظ والمُذكِّرين الذين وعظوا حسبةً ، وبين من تشبّه بهم فأحدث وابتدع وأتى بالمنكرات في الأفعال والأقوال والمقاصد ، وبدعة التشبه لم تقتصر على فن القصص والتصوف أو التحديث أو التطبيب ، بل سرت إلى كل فن مرغوب فيه أو مرغوب عنه ، وحتى التطفيل والكدية لم يسلما من المتشبهين بأهلها ، وإن مصادرنا مليئة بمثل هؤلاء المتشبهة الأدعياء ، فالسراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ كتب كتابه اللمع حتى يميز العـــاقل بين الصوفية « وبين المتشبهين والمتلبسين بلبسهم والمتسمين باسمهم ، فقد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة وكثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف »[1] . وإنا لواجدون مثل هذا كثيراً في كتب العلماء المصنفة دفاعاً عن أصــــالة علمهم وتحذيراً من المتشبهة بهم ، وقد أوضح ابن الجوزي غرضه من تصنيف كتابه . فقال : « إن أقواماً ممن كان يدخل في الدين ما ليس منه قصّوا فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام ، لأن عموم القصاص لا يتحرّون الصواب ولا يتحرّزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم » .

وأبو حاتم البستي ، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، يصنف كتابه روضة

(١) تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، القاهرة ١٩٦٠ صفحة ١٨ - ١٩

العقلاء ونزهة الفضلاء ، لأن : « الزمان قد تبين للعاقل تغيره ، ولاح للبيب تبدله ، يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبشع مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يدّعون التمكن من العقل باستعمال ضد مايوجب العقل من شهوات صدورهم ... »[1]

وأبو الحسن الديلمي تلميذ الصوفي المشهور ابن خفيف الشيرازي المتوفى سنة ٣٧١ هـ ، يؤلف كتابه : عطف الألف المألوف على اللام المعطوف ، في المحبة فيقول : « إنا وجدنا المحبة أشهر حال وأعلاها في ما بين الناس من الخاص والعام ، والجاهل والعالم ، والشريف والدنيء ، والفاضل والخسيس ، ولهذه الجهة كثرت شبهتها ، وعظم تزويرها ، وظهر فسادها عند أهلها من تمويه الموهمين بها ، ومخاريق الداخلين فيها وتزوير المدعين لها ... »[2]

إن غرض ابن الجوزي في تحديد معنى الواعظ والقاصّ والمذكّر والمحذر يبدو واضحاً في الفصول العشرة الأولى التي عقدها ، وهي عنده واحدة وإن تعددت ألفاظها ، وإن مدار الاختلاف في المعنى يقع على حسن نية الرجل وسلامة قصده أو خبثه ، فكل السلف الأول كانوا وعاظاً وقصاصاً ومذكرين ، أما في عصر ابن الجوزي فإن المعنى اتخذ مصطلحاً خاصاً فالمذكّر غير القاص ، وهو غير الواعظ ، بل لعلها أصبحت مناصب رسمية ، فإن أسعد بن صاعد الحنفي كانت إليه الخطابة والتذكير والتدريس ببلده نيسابور[3] ، وأبو الفتوح الأسفرائيني كان واعظ الخليفة

(١) الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٨ هـ
(٢) تحقيق فاديه ، القاهرة ١٩٦٢
(٣) المنتظم ١٠ / ٣١-٣٢

الراشـد بالله ، وقد صحبه إلى الموصل وبقي معه حين خانه أمراؤه ، « ولم يبق معه صاحب عمامة سـوى أبي الفتوح »[١]، والمغربي الواعظ يركب فرس وزير السلطان ، ويجلس للوعظ في دار السلطان[٢] .

ويبدو أيضاً أن القاصّ والواعظ قد اتصف كل منهما بسـمات معينة لا تتوفر في الآخر ، فإن محمد بن عبد الله العامري « كان يتدين ويعظ ويتكلم على طريقة التصوف والمعرفة من غير تكلف الوعاظ ، فكم من يوم صعد المنبر وفي يده مروحة يتروّح بها ، وليس عنده أحد يقرأ كما تفعل القصاص »[٣] . وقد سمي أبو العباس أحمد بن أحمد الطبري بابن القاصّ لأن أباه وعظ وذكّر بالديلم[٤] . والحديث طريف وطويل وجدير بالبحث والمتابعة .

إن كراهية علماء السلف للقصّاص وتحذيرهم منهم يرجع إلى خوفهم أن يتسلل النفاق وتستخدم المبالغة ويشيع الكذب والرياء ، أما إذا وعظ الناسَ وقص عليهم من يعرف الصحيح من الفاسد ، والناسخ من المنسوخ ، وكان حافظاً لحديث رسول الله ﷺ ، عارفاً بصحيحه وضعيفه ، ومسـنده ومنقطعه ، عالماً بالتواريخ وسير السلف ، حافظاً لأخبار الزهاد ، فقيهاً في دين الله ، عالماً بالعربية واللغة ، فصيح اللسـان ، ومدار ذلك كلّه على تقوى الله عز وجل[٥] ، فلا كراهة ، ولهذا قال الإمام علي وقد رأى قاصاً يقصُّ : « أتقص ونحن قريبو عهد برسول الله ؟ لأسـألنك فإن

(١) المنتظم ٦٧/١٠
(٢) المصدر نفسه ٧٩/١٠
(٣) المصدر نفسه ٦٤/١٠
(٤) طبقات السبكي ١٠٣/٢ ، طبقات الشيرازي ١١١
(٥) كتاب القصاص والمذكرين ٢٤

أجبني وإلاّ خفقتك بهذه الدّرة . ماثبات الدين وزواله ؟ قال : أما ثباته فالورع ، وأما زواله فالطمع ، قال : أحسنت ، قُصّ فمثلك فليقص » .[(١)]

وقد تطور فن القصص خلال العصور الإسلامية فأدخل فيه ما ليس منه ، وبعد أن كان القصاص والوعاظ يُرغّبون في الآخرة وما في الجنة من نعيم مما لم تره عين أو تسمع به أذن ، ويرهّبون من النار وما فيها من عذاب تقشعر منه الجلود ، اتخذ قصّاص القرن الثاني ومابعده هذا الفن لاستهواء عقول العامة من الناس طمعاً في أموالهم ، فأدخلوا ما أدخلوا فيه من كذب ومبالغة وتلفيق ، « ولما كان خطابهم بالوعظ في الأغلب للعوام ، وجد الجهال من القصاص فيه طريقاً ليناً إلى بلوغ أغراضهم »[(٢)] ونيل مبتغاهم ، في أجر بلا جهد ومتعة بلا مشقة .

ومع هذا فالقاصّ الصادق عند ابن الجوزي أنفع للعوام من العالم الكبير ، لأنه أقدر على استهوائهم وبالتالي منفعتهم ، لأنه يكلمهم بما يفهمون ، وقد روى ابن الجوزي أن أم الإمام الأعظم أبي حنيفة أرادت أن تستفتي في شيء فأفتاها فلم تقبل ، وقالت : لا أقبل إلا ما يقول زرعة القاص ، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال : هذه أمي تستفتيك في كذا وكذا ، فقال : أنت أعلم مني وأفقه فأفتها أنت . فقال أبو حنيفة : قد أفتيتها بكذا وكذا ، فقال زرعة : القول كما قال أبو حنيفة ، فرضيت وانصرفت »[(٣)] وأذكر في صباي وقبل أكثر من عشرين عاماً ، في بعقوبة ، عالماً جليلاً

(١) كتاب القصاص والمذكرين ٢٥

(٢) المصدر نفسه ٩٣ وكلمة « ليناً » لم ترد في نص ابن الجوزي وهي من عندي

(٣) المصدر نفسه ١٠٨

كان يصعد المنبر فيأخذ في الحديث والتفسير وكلام السلف الصالح ، فلا يلتفت إليه جمهور الناس ويمـــلو حديثهم ويشتد لغطهم ، فإذا صعد عبد الأمير البزاز وكان قاصّاً اشرأبت إليه الأعناق ، وخفتت الأصوات ، وأخذ في التطريب واستدرار الدموع ، فينقلب المجلس من علم وفائدة إلى مناحة وصراخ ، فرحم الله ذلك العالم إن اختاره الله لجواره فلقد تعلمت منه كثيراً . والعامة من الناس تسمع ما تسمع ولا تنكر ما تسمع وتصدق كل ماتسمع ، فإذا خرجوا قالوا : قال العالم ، فالعالم عند العوام من صعد المنبر . وحيثما يكون علماء أتقيـــاء ووعاظ صلحاء ، يذكّرون الناس بالله حسبةً واحتسابا ، يكون هناك من يتخـــذ الوعظ وسيلة الاصطياد واجتداء الأموال السحت من سذج الناس ، فلا يتورعون من الكذب والدجل والاختلاق على رسول الله وأئمة الدين من السلف الصالح ، ولهذا وصمهم محمد بن كثير الصنعاني بالكذب : « هـــم أكذب الخلق على الله وعلى أنبيائه » .

وحاضرنا يعج بمثل هؤلاء القصاص الذين يبكون نفاقاً ويلطمون رياءً ، استجلاباً للمال الحرام واستخفافاً بعقول الناس ، فكم من أحاديث لفقت ، وحكايات اختلقت ، والناس بين زاعق وذارف دمعاً ، لا تقىً لله ولا خوفاً من يوم تسودّ فيه الوجوه ، ولهؤلاء كان كتاب ابن الجوزي ، وتحذيراً منهم ومن أمثالهم كتبه فقال : « وبلغني أن فيهم من يمسك معه ما إذا شمّه سـال دمعه » ، « وفيهم من يرتعد ويتباكى تصنعاً » (١) . ومن مثل هذا التصنع ومن مثـــل هذا الرياء ، وإشفاقاً منهم وغيرة على المسلمين كره السلف القصص والقصّاص وتشددوا فيها ، خوفاً أن يُشاب

(١) كتاب القصاص والمذكرين ٩٣ – ٩٤

الحق بالباطل فيغوى القاص ويستغوي الناس ، وقد روى الجاحظ أن الأسود بن سريع ، المتوفى سنة ٤٢ هـ وهو أول من قص بمسجد البصرة ، « كان يقص في ناحية المسجد ، ورفع الناس أيديهم ، فأتاهم مجاهد بن مسعود (وكان صحابياً) ... فأوسعوا له فقال : والله ماجئت لأجالسكم وإن كنتم جلساء صدق ، ولكني رأيتكم صنعتم شيئاً فشفر الناس لكم ، فإياكم وما أنكر المسلمون » . (٢)

لقد أفرغ المحقق الدكتور سوارتز جهده في الحديث عن دفاع ابن الجوزي عن فن القصص والقصاص ، وميل الفقهاء إلى احتقارهم وتجنبهم حضور مجالسهم أو حلقاتهم ، وأن الفقهاء لم يكونوا وحدهم يشعرون بمثل هذه الكراهية للقصاص والوعاظ ، وإنما شاركهم أصحاب الحديث في مقاومتهم والتحذير منهم ، وخلص إلى أن « هاتين المجموعتين من الفقهاء وأصحاب الحديث كانوا يمثلون الوجهة الشرعية الفقهية [Legal] للإسلام ، بينما مال القصاص إلى التركيز على التفسير العفوي الحر لدينهم » :

« ... tended to emphasize the free, spontaneous, informal interpretation of their religion , ... » p. 56 .

وإني ليأخذني العجب العجاب إن كان الدكتور سوارتز يفهم مايقول، فإن العلماء والفقهاء لم يتشددوا في تحريم القصص ، لأن القصاص كانوا

(٢) كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تح : محمد مرسي الخولي ، القاهرة - بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، صفحة ١٣١ - ١٣٢ ، وقد أحال الأخ الخولي على الإصابة ، الترجمة ٧٧١٨

« يميلون إلى تفسـير دينهم بمثل هذه المفوية والحرية » ، وهذا ابن الجوزي نفســه يورد في كتابه كثيراً من أقوال الفقهاء في الحث على سماع القاص إذا كان ذا دين وورع وصدق ، ونهوا عن سماع كلام أولئك المخرقين المضللين . قال الإمام أحمـــد بن حنبل وقد سئل عن مجالسة القصاص : « إذا كان القاص صدوقاً فلا رأى بمجالسته بأساً »[1] ، ولم يغفل ابن الجوزي عن إيراد بعض حـكايات المتشـبهة ، فأورد أمثلة من مخاريقهم ودعاواهم وكذبهم حتى على الأحياء ، وقصة الشعبي مع التدمريين ، وحكاية أحمد بن حنبل ويحيى بن معين مـع أحد القصاص في مسجد الرصافة ببغداد خـير دليل على كذب القصاص المتشبهة ، الذين رأى فيهم سوارتز المفسرين الصادقين والممثلين الحقيقيين للإسلام . وكنا نود لو حدثنا المحقق عن أسباب ظهور فن القصص وتطوره خلال العصور الإسلامية ، فإنه بعد أن كان حسبةً أصبح مهنـة ، لأن مثل هذا البحث أكثر لصوقاً وأصالة بأطروحته من الحديث عن جوانب معروفة من حياة ابن الجوزي أو نسبة الكتاب إليه .

إن هذا ليس كل ما في التحقيق ، فإن الفوضى التي عمّت النص والترجمة وجدت طريقها إلى الفهارس بنوعيها ، وإليك مثالين من كثير :

١ ـ أبو بكر الخطيب البغدادي : وجدناه :

أبو بكر الخطيب

أحمد بن علي بن ثابت

٢ ـ أبو بكر القطيعي

---

(١) كتاب القصاص والمذكرين ١٩ ـ ٢٠

أبو بكر أحمد بن جعفر
أحمد بن جعفر بن حمدان
أحمد بن حمدان

وكان في إمكانه أن يضمها كلها تحت اسم واحد : أحمد بن علي ابن ثابت ، الخطيب البغدادي ، أو يحيل على اسم واحـــد ، وهذا ما يفعله الباحثون في كل مكان . أما الأخطاء التي حدثت في قراءة الأعلام فمأساة ، وقد كنت أظن أنها أخطاء طباعية ، ولما أدرجها في الفهرس صار الظن يقيناً إنها منه فمثلاً : أبو عمر بن حيّوية صار ابن حويّه وقد ذكرهما في موضعين مختلفين ، ويمان النجراني صار البحراني [١] .

وبعد ... ألا ترى معي أن هذا النص يجب أن يعاد تحقيقه ؟ وإليك الدليل :

(١) الصفحات : ٣٤ ، ٤٤ ، ٦٦ ، ١٠٠

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٤	١٠	٨	أتفملا	كذلك	أتفملان
٦	١١	١٠	وإذا	=	وإذ
٩	١٣	١٦	اختلافاً	اخلافاً	ما في المخطوطة
١١	١٤	١٠	صحر	صخر ،وأشار في الحاشية : صحد	صخر
=	=	١٢	أفوى	كذلك	يقوى
١٢	=	١٥	بن أبي الفوارس	كذلك	ابن أبي الفوارس ، انظرطبقات الحفاظ ٣/٢٥٥ ، تاريخ بغداد ، محمد بن أحمد بن محمد
١٥	١٦	١٥	قال : بأبي أنت تقص	قال : يا أبي أنت تقص	قال : بأبي أنت ، أقص ؟
١٧	١٧	٩	وهو يومر	وهو يؤمر	وهو يُؤمّن ، أي : يقول آمين.
١٨	=	١٤	ما علمـــه	ما عليـــه	ما في المخطوطة
١٩	=	١٨	مسلم بن يسار	كذلك ،وأشارفي الحاشية: قال : مخ . يسان	والصواب ما في المخطوطة

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٣	١٩	١٠	كأن أبا عبد الله كره	كان أبو عبد الله كره	وأشار في الحاشية : مخ : أبا
٢٩	٢٠	١٠	سمع أبا عبد الله سئل	كذلك	سمع أبا عبد الله [وقد] سئل
٣٠	=	١٥	الشهوات المردية	الشهوات المردئة	ما في المخطوطة
=	٢١	٣	يذكرون	يُذكرون	يُذَكّرون
٣٢	٢٢	١١	وكان أول من قص تميم	وكان أول من قص تميا	مافي المخطوطة لان « تميم » اسم كان مؤخر .
٣٤	٢٣	١	البرواني	البرقاني	النص يشير إلى قراءة المخطوطة والحكاية في تحذير السيوطي ٥٨ - ٥٩ رواية عن الإمام أحمد والطبراني وابن ماجه
٤٠	٢٥	٩	ونحن قريب	كذلك	ونحن قريبو ، انظر : سطر ١٧ من الصفحة نفسها
٤٤	٢٦	٢٠	وقضانة	وقضافة	ونضافة، كما في تحذير السيوطي ٧٩

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٤٤	٢٧	١	فأما من يجرح	كذلك	فأما من يخرج
=	=	٣	ولربما كانت الصور	=	ولربما كانت الصور
			والسموات تواتر	=	والسمات تؤثر
=	=	٤	من لم ينفعك رؤيته	كذلك	من لم تنفعك رؤيته ...
٤٥	٢٨	٧	لا يقص	لا يقص (بضم الياء وفتح القاف وتشديد الصاد مع فتحها)	ولو لم يحرك الكلمة لضاع الخطأ .
٤٨	٣٠	٤	الفربري	بفتح وفتح وسكون وكسر وسكون	بكسر وفتح وسكون الباء ، وانظر معجم البلدان ٣/٨٦٧ ، طبقات الحنابلة ١/٣٧ ، وفيات الأعيان ٦٣٢
٥٠	٣١	٢	فإن أثبت فمرتين	كذلك	فإن أبيت... مسند أحمد ٦/٢١٧ حين أوصت أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، قاص المدينة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــــواب
٥٦	٣٤	١	ابن حويه (وانظر: صفحة ٤٤، ٦٦)	كذلك	ابن حيويه ، قارن الأسناد في الصفحات ٢٢ ، ٥١ ، ٥٦، ٥٨ ، ١١١، ١٣٢، ١٣٩ ففيها كلها: روى أبو محمد الجوهري عن ابن حيّويه.
٥٩	٣٥	٢	نأتي هولا	نأتي َهو ْلاً	نأتي هؤلاء
٦٠	=	١٣	ذكر بالله وذكر لله	ذَ كّبِر بالله وذِ كْبر لله	ولو لم يشكل الحروف لكان له أسلم ،والصواب : وَذكّبِر في كلا الموضعين ،وأشار إلى حلية الأولياء: ج ٦ والصواب : ج ٣
٦٢	٣٦	٨		حاشية:١،الطبقات٦/١٩٩	والصواب : ٦/١٧٦ ، وانظر : ميزان الاعتدال ٤/١٤٣
٦٦	٣٧	٧	العبادلة	العباد لة	فقد ظنها كلمتين وهي العبادلة : جمع عبد الله .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٦٩	٣٩	٧	فتنزلق أقتابه	فتدلق أقتابه	فتندلق أقتابه ، انظر : غريب الحديث لابن حجر ١٩١ ، النهاية في غريب الحديث ١١/٤ ، كتاب تحريم النظر لابن قدامة ٥٧ والقتب (بكسر القاف وسكون التاء) : الأمعاء
٧٠	٣٩	١٤	ابن جريج	كذلك	لم يذكره في فهرس الأعلام .
٧٧	٤٢	٦		و/ذكر أعيان المذكر/	و [ذكر أعيان المذكرين]
٧٨	=	١٣	الوضاة	الوضاءة	مافي المخطوطة هو الصواب .
٨٣	٤٥	٣	ولت جدا	كذلك	ولت حذاء ، كما في صحيح مسلم الذي أشار إليه المحقق .
=	=	٨	وليأتين عليه يوماً	=	وليأتين عليه يوم .
٨٧	٤٧	٤	فضل به عليه غيره	كذلك	«عليه» وردت في الحاشية وهي زائدة لامعنى لها ، ولم ترد في صفوة الصفوة ٢٢١/١ ، ولا في حلية الأولياء ٢٠٧/١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٩٨	٥٢	٧	ولاضطراب	كذلك	ولا يضطرب كما في الحلية ١/٣٢٤ ، وصفوة الصفوة ١/٣١٨ .
١٠٤	٥٥	١٦	وكان لي صديق	=	وكان لي صديقاً . لأنه جواب «كان» .
=	=	١٧	اساله	أسأل	ما في المخطوطة .
=	=	١٨	اقبلوا	كذلك	فاقبلوا .
=	٥٦	٢	نتخرمه	تتحزمه	تتخرمه
=	=	٥	احرم	أحُرِم	وقد ترجمها «انصرف» والصواب : مافي المخطوطة لأن معناها حلف على التوبة وأمسك عن المعاصي ودخل في حرمة لا تهتك ، انظر : اللسان ١٥/١٣ — ١٥
١٠٥	٥٦	١٦	تالا	تتألى	مافي المخطوطة ، لأن تألى : حلف ومثله آلى يؤلي إيلاء . وفي القرآن الكريم : «ولا يأتل أولو الفضل منكم ..» والألية : اليمين
١١٢	٥٨	١٧	أحمد ومحمد ابنا	أحمد ومحمد أبناء	ما في المخطوطة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
١١٥	٦٠	١٤	ثم تحلل	ثم تخلل	مافي المخطوطة لأن «تخلل» بالخاء لامعنى لها ،ومن ثم فإن الناسخ وضع حرف «ح» صغير تحت الحاء للدلالة عليه .
=	=	١٥	من ران الذنوب	كذلك	من أدران الذنوب .
=	=	١٨	فلا تألو	=	فلا تأل ...
١١٨	٦٢	٤	يا صريح	=	ياصريع ، كما في صفوة الصفوة ١١١/٢
١٢١	=	١٦	حلتان خضراوتان	=	حلتان خضراوان .
١٢٣	٦٤	٩	إنه لا أعظم رزية في عقل ممن ضيع اليقين	كذلك	والصواب كما في الحلية ٣١/٤ ، وصفوة الصفوة ١٦٥/٢ ، «إنه لا رزية أعظم من رزية في عقله ممن ضيع اليقين» .
١٢٤	٦٤	١٣	بما تظعنون	بما يظعنون	ما في المخطوطة .
..	٦٦	حاشية : ١	....	....	أضف : حلية ٢١٢/٤
...	..	حاشية : ٢	....	....	= = ٢٤٩/٤

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
١٣١	٦٧	٥	قال ذر لأبيه	قال ذر لابنه	ما في المخطوطة، وهو كذلك في الحلية ٥/١١٠ وتحذير السيوطي ٧٩ ، لأن جواب الأب في السطر ٧ : يابني . وعن موت ذر هذا وقول أبيه عمر، انظر: الحلية ٥/١٠٨-١٠٩
١٣٣	٦٨	٩	تموت حتى تقص	كذلك	تموت حين تقص
١٣٤	=	١٢	أحمد بن محمد الطوسي	=	أحمد بن محمد الكوفي كما في تاريخ بغداد ٥/٣٧٠
=	=	١٥			تجد الحكاية في تاريخ بغداد ٥/٣٧٠
١٣٥	٦٩	٢			تجد الحكاية في النجوم الزاهرة ٢/١١١، تاريخ بغداد ٥/٣٧٣
١٣٦	=	٩	يا اخوتاه	يا اخوان	وأشار إلى المخطوطة فقال : « م : أخوتاه وليس كذلك » .
١٤٠	٧١	١٤	ابن أبي عصمة	ابن أبي عصيمة	والصواب ما في المخطوطة .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
١٤٠	٧١	١٦	المامومين	كذلك	والصواب: المامونين، أي: الذي لا يكذب على رسول الله ﷺ.
١٤١	٧٢	٤			حاشية: (١) أشار إلى البخاري ١/٢٤٣، والحديث في صحيح البخاري ٤/٢٤٣، ومسند أحمد ٣/١٣٤
=	=	=	يصبهم سفع	كذلك	يصيبهم سفع، كما في مسند أحمد ٣/١٣٣ وفي صحيح البخاري ٤/٢٤٣ «بعد ما مسهم منها سفع».
١٤٣	=	١٤	ابن أبي عصمة	ابن أبي عصية	مافي المخطوطة.
١٥٠	٧٥	١١		حاشية: ٢	قال: صفوة ٣/٢١١ زيادة، أو يصلي لك، والصواب: أن كل الحكاية مختلفة تماماً عن الحكاية هنا.
١٥٨	٧٨	١٣			تجد هذه الحكاية في تحذير السيوطي ٧٩.

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماودر في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
١٥٩	٧٩	٦	محمد بن نصر	كذلك	وهو جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ، الصوفي المعروف ،وقد أشار في الحاشية: ١ فقال : «وتاريخ بغداد ٧/٢٢٦ ، نصير» ، وكان المفروض إثبات الصحيح والإشارة إلى الخطأ .
=	=	٩	إذا تكلم	إذ أتكلم	مافي المخطوطة وتاريخ بغداد١٤/٢٠٩
١٦٢	٨٠	١١			الحكاية في تاريخ بغداد ٩/١٠١ ١٠٢ « طبيب يداوي والطبيب مريض » .
١٧٤	٨٦	١١	ولايتـــه	ولا نبـــه	وأشار في الحاشية : ١ ، خ : تيه ، والصواب ما في المخطوطة .
١٧٨	٨٨	٢			انظر تاريخ بغداد ٩/١٨٩ لأن الحكاية رويت عن الخطيب .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
١٨١	٨٩	٣	لطائف	كذلك	طرائف كما في تاريخ بغداد ١٢/٦٧ لأن الحكاية منقولة عن الخطيب، وانظر كذلك طبقات الحنابلة ٢/٦٣ ومختصرها ٣٢٤
١٨٨	٩٠	١٧	أبو الفتح بن القواس	=	أبو الفتح القواس، وهو يوسف بن عمر ابن مسرور القواس، تاريخ بغداد ١٤/٣٢٥ طبقات الحنابلة ٢/١٤٢ - ٣، ١٥٧، ومختصرها ٣٤٥، فهرس طبقات الصوفية للسلمي تح: شربية ٥٤٨ والحكاية في طبقات الحنابلة ٢/١٥٧
١٩٨	٩٤	١٦	النايل	النائل	النوال .
=	٩٥	٢	لا يقضي...الحديث	كذلك	لم يشر إلى مناجم ورود الحديث الشريف
=	=	٣	على ماندر منه	=	على مابدر منه .
=	=	٨	منكر يحب منه	منكر يُجْبَ" منه	منكر يَجِبُ منه .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٠١	٩٦	١١	والتهود	كذلك	والتهـور .
=	=	١٨	يمرقون	يزقون	وأشار في الحاشية : ٥ ، مخ : يمرق ، وهو ليس كذلك .
٢٠٣	٩٧	٣	يسملون	يسلموا	يسلمون ، إذ ليس هناك من ناصب أو جازم ، والحكاية في الباعث الحثيث لابن كثير ٩٣-٩٤ ، المدخل للحاكم (ترجمة) ٣٢٠ ، الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ، مخطوطة دار الكتب ١٤٩ ا — ب ، الأسماء المرفوعة في الأحاديث الموضوعة لعلي بن سلطان القارىء ، مخطوطة مكتبة الأوقاف ببغداد ، ١٠ ا وغيرها .
٢١٠	١٠٠	٥			الحكاية في طبقات الحنابلة ١/٢٥٣ لأنها رويت عن أبي بكر الخلال الحنبلي .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢١٤	١٠١	٢٠	حديث عن أبي الوليد	كذلك	والصواب : حُدِّثتُ عن أبي الوليد الطيالسي ، الحلية ٧/١٥٣
٢١٥	١٠٢	٥			وتجد هذه الحكاية في الحلية ٣/١١ لأن الحافظ أبا نعيم هـو الذي رواها فكان المفروض من المحقق الرجوع للحلية .
٢١٧	١٠٢	١٥	يوجب	بفتح الجيم	والصواب بكسرها ولو لم يعجمها لخفي الخطأ
٢١٨	١٠٣	٩	الغرانيق العلى	بالياء المشددة « العليّ »	والصواب بالألف المقصورة وإن صورة القلب المقلوبة في المخطوطة تعني أن الكلام انتهى .
٢٢٠	١٠٣	١٤	الحريمي	الخزيمي	والعجب أن المحقق أشار إلى أنساب السمعاني ، ورقة ١٩٩ ا ، والخزيمي في ورقة ١٩٨ ب ، والأعجب أن الحريمي هذا هو غير الخزيمي ، والحديث الذي

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
					رواه موجود بكامله في الوافي بالوفيات ١٢٧/١ (تح : رتر) ، وانظر المنتظم ٢٢١/٩ وتحقيق المنتظم لايعول عليه ولا المرآة ، لسبطه ، لسوء إخراجها .
٢٢١	١٠٤	١٠-١١	من الملائكة إلى الشيطانة	كذلك	من الملائكية إلى الشيطانية .
=	=	١١-١٢	كلما ازداد محبة لغيري	كلما ازداد محبته	الصواب ما في المخطوطة لأنه لو كانت « محبته » لكان الفعل « ازدادت » .
=	=	١٣	كافا ويا	ك ، فاء ، وياء	مافي المخطوطة كافاً وياءً وهذه إشارة إلى قوله تعالى « وإن عليك لعنتي ».
=	=	١٧	تشمت بي الأعداء	كذلك	وأشار المحقق في الحاشية (٥) إلى « بي » وقرر أنها خطأ ولم يكتف بل عزز رأيه هذا بما جاء عند ماسينيون والعجب من هذا وذاك : قال يزيد المهلبي حين خرج المتوكل

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
					إلى دمشق من سر من رأى : أظن الشام تشمت بالعراق إذا عزم الإمام على انطلاق
					انظر مروج الذهب للمسعودي ٢٥٧/٧ (طبعة باريس) .
٢٢٣	١٠٥	٥	ما لا ينقص الواهب ماأزيده	كذلك	... ما أريده
٢٢٥	=	٩	وخرق مرقعته	وخرق موقعته	ما في المخطوطة
٢٢٧	١٠٦	١	رأيت إبليس ... سجد لي	رأيت ابليس .. سجدا لي	ما في المخطوطة لأنه فعل وليس اسمـاً ثانيـاً .
٢٢٨	=	٦	كلما أشكل عليه أمراً	كذلك	.. أمرٌ لأنه فاعل للفعل أشكل .
٢٢٩	=	١٠	وكان عندنا واعظ يقال مسعود	كذلك	وكان عندنا واعظ يقال [له] مسعود .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٣٢	١٠٧	١٠	الحسن والحسين		أشهر من أن يعرفا ومع هذا فلم يذكرهما في الأعـلام
٢٣٤	١٠٨	٦	وفيهم كذابون	وفيها كذابون	مافي المخطوطة ولا أدري من أين جاء بها
٢٣٥	=	١٤	كان في مسجد قاص	كذلك	كان في مسجدنا قاص ، لأن الحكاية منقولة من تاريخ بغداد ٣٦٦/١٣ كما جاء في إسنـادها .
٢٣٦	١٠٩	٥	فيها بقر أكنت تحتشم	فيها بقر كنت تحتشم	مافي المخطوطة لأن الألف هنا للاستفهام والعجب أن المحقق أشار في الحاشية : خ : بقرا .
٢٣٨	١١٠	٤	فقام رجل .. فقال : يا أبا مرحوم !فقال له : طمنة ...	كذلك	فقام رجل .. فقال : يا أبا مرحوم : [أصلحك الله] فقال : طمنة .. لأن قول الرجل الآخر : رجل دعا لك . توجب وجود الساقط ، وانظر تحذير الخواص للسيوطي ٨١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٤١	١١١	٥			انظر القسم الأول من الحكاية في كتاب الحيوان للجاحظ تح : عبد السلام محمد هارون ، ٣/٣٤ – ٣٥
٢٤٢	١١١	١١	خلقت لبغا ووصيف	خلقت لبتغاءووصيف	وقد ترجمها المحقق بمعنى زّناءوخادم وهذا دليل على جهله فإن وصيفاً وبغا التركيين مشهوران في التاريخ العباسي في ظلمها وسيطرتها على الخلفاء حتى قيل فيها : خليفة في قفص بين وصيف وبغا وفي هذه إشارة إلى كبر جرمهما، مروج الذهب (باريس ٧/٣٢٤ – ٣٢٥).
٢٤٤	١١١	١٥	قال عمر بن بحر	قال عمر بن حجر	ولا ندري كيف قرأها مع أنها واضحة وعمر بن بحر هو عمرو بن بحر الجاحظ والحكاية بنصها وفصها في كتاب الحيوان رواها الجاحظ عن أبي أحمد التمار ٣/٢٩٧

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
٢٤٧	١١٢	١٥-١٦	ولايحثون على الفرائض	ولا يحدثون..	ما في المخطوطة هو الصواب .
=	=	١٩	في بداية الإسلام	في بداءة الإسلام	= = = =
٢٤٧	١١٣	٢	حتى نظن من يتمسك	كذلك	حتى يظن ...
٢٤٨	=	٧	فيرى العامةترك عائلته	كذلك	فيرى العامي ...
٢٥٠	١١٤	٤	فقرأ قارىء	فقرأها قارىء	ما في المخطوطة
٢٥١	=	٩	لم يفهم أنه خطى	لم يفهم أنه خطيء	لم يفهم أنه خطأ
٢٥٤	١١٥	٨	وسمعته ينشد	وسمعت ينشد	مافي المخطوطة ،والأبيات لابن الرومي
٢٢٥	=	١٢	ولا يخلو المجالس	كذلك	ولا تخلو ..
=	=	١٢-١٣	ومثل هذا يحرّك	ومثل هذا يحوك	ما في المخطوطة
٢٥٦	١١٦	٢	نشتاق	يستاق	يشتاق
٢٥٧	=	٣	أحد بعض	أجد بعض	أخذ بعض
=	=	١٥	وصف يميل إليه الطباع	كذلك	وصف تميل إليه الطباع
=	=	١٦	للحديثة	كذلك	للحديثية

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
٢٦١	١١٨	٤	ذكر محمد بن سيرين	ذكر (بضم وكسر)	ذكر (بفتح الذال وفتح الكاف)
=	=	٦	أن يقعدأحدهم.. باسط	كذلك	أن يقعد أحدهم ... باسطاً
٢٦٢	=	٩	يوقع عليه وبه	يوقع عليه به	ما في المخطوطة
٢٦٢	=	=	ينكرون رفع	ينكرون وقع	= =
٢٦٣	=	١٥-١٦	الخرقة سوداء	الخرقة [وهي] سوداء	خرقة سوداء
٢٦٤	١١٩	٣	يتخذون القرآن أمير	كذلك	يتخذون القرآن مزامير
٢٦٥	=	٧	حتى كأنه حاد أو غنا	حتى كأنه حاد أو غناء (بتشديد النون)	حتى كأنه حداء أو غناء
٢٦٦	=	٩	عمر بن عبد الله البقال	كذلك	ووردفي الحكاية ٢٧١ عمربن عبيدالله، فأيهما أصوب ؟
=	=	١٢	قدم سلمة البيدق فقال يصلي	كذلك	قدم سلمة البيدق فقام يصلي
٢٦٨	١١٩	١٩	أبي القاسم بن السري	كذلك	هو أبو القاسم بن البسري (طبقات الحنابلة ١/١٤٣) .
٢٧٢	١٢٠	١٦	وسمعت سليمان بن .. يقول	كذلك	هو سليمان بن حرب وهو شيخ حنبل

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصـــواب
					ابن اسحق ، تاريخ بغداد ٨/٢٨٦
٢٧٣	١٢١	٣	عن التدبر للقرآن	كذلك	عن تدبر القرآن ، قال تعالى : ألم يتدبروا القرآن ...
٢٧٥	١٢٢	١	فهي لك على وصن	فهي لك على رصين	وقال في الحاشية : مخ : رصين . وأحال على تاريخ بغداد ٧٢/١٣ : وصن ، فلا في المخطوط : رصين ولا في تاريخ بغداد وصن ، والصواب ماجاء في المخطوطة : علي،وصن كلامك هذا الحسن ولا تتبدل. وكذلك في كتاب الذخائر والتحف ٢٢٣
٢٧٦	١٢٢	٦	أبا الحسن السمداني	كذلك	وهو أبو الحسن الشعراني كما في مناقب الأبرار لابن خميس (لايدن) ورقة ١٧٢ أ ، الرسالة القشيرية ١٢٧/١ ففيها نص الحكاية والإسناد .

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
٢٧٧	١٢٢	٦	أبو العباس .. فكلمه	أبو العباس يكلمه	ما في المخطوطة
=	=	١٤	من الأفعال المستاكلة	كذلك	من أفعال المستأكلة، كما في تحذير السيوطي ٨٢
٢٧٨	١٢٣	٩	فحشا العلوي فاه بالدر	كذلك	... بالدراهم كما في المنتظم ١٧/٥ وأنّى للعلوي مثل هذا الدر ؟
٢٧٩	١٢٣	١٤	جاء ... يحيى بن معاذ .. وله شيبة	... وله عيبه	وله شيبة حسنة ، لأن العيبة لا تتفق هنا مع قوله : « وكان أحسن شيء »، والعيبة من الرجال : الرذل .
٢٨٤	١٢٥	١٨	فرمت الآخرة	فرمت الأخرى	فرمت الآخر لأنه مذكر وهو جواب قول الغزالي : أين أخوه ؟ والهاء في « الآخره » زيادة للدلالة على انتهاء الكلام
٢٨٦	١٢٦	٨	روذالهم	رذالتهم	ما في المخطوطة
٢٨٧	١٢٧	٦	أبو أحمد الزهيري	كذلك	أبو أحمد الزبيري
٢٩٢	١٢٨	١٦	وأخذ السوط يضربني حتى حجره	كذلك	وأخذ السوط فضربني حتى حجزه ، كما في تحذير السيوطي ٧١

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصــواب
٢٩٥	=	١٨			انظر الحديث في ميزان الاعتدال ٣/٤٩٥
٢٩٩	١٣١	١٥	لأن أرى في طائفة المسجد نارا	كذلك	لأن أرى في ناحية المسجد . . . كما في تحذير السيوطي ٦٩، ٧٤ ،أو لعلها كانت « طاقة » فتصحفت .
٣٠٢	١٣٢	٣	قال أبو نعيم . .	كذلك	قال المحقق في الحاشية : « لم أستطع أن أجد هذه الحكاية في الحلية»،والحكاية في ٢١٢/٤ ٢١٣ وفي طبقات ابن سعد ٢٠٠/٦
٣٠٣	=	١٠	لما قص إبراهيم التيمي أمزه أبوه	أخزه	. . أخرجه ، كما في طبقات ابن سعد ٢٠٠/٦
٣١٩	١٣٨	١١	وقالت عائشة لقاص المدينة		هذا القول في مسند ابن حنبل٢١٧/٦
=	=	١٥	قال عليه السلام:أعوذ بالله من علم		انظر المعجم المفهرس ٤/ ٣٣٤ (علم) .
٣٢٥	١٤١	٩-٧	وعظ النبي ﷺ . .		وقالالمحقق في الحاشية :«لم أستطع أنأجد

رقم الحكاية	رقم الصفحة	رقم السطر	ماورد في المخطوطة	ماورد في النص المطبوع	الصواب
					هذا الحديث في مكان آخر»، وقد رواه الذهبي في ميزان الاعتدال ١ / ١٤٣ ، ٤ / ٤٦٩
٣٢٦	١٤٢	٢-٤	وقد كان جواب ..		أوردها ابن سعد في طبقاتـه ٦/٢٢٢ باختلاف يسير في الألفاظ وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٣١
٣٣٠	١٤٣	١١	خوفاً على النفس	خوافاً على النفس	ما في المخطوطة .
٣٣٤	١٤٤	١٧	الذين يلقون فقهياً	كذلك	الذين لا يلقون فقيهاً .

آراء وأنبـــاء

حفل استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

١ ـ كلمة الأستاذ الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

بسم الله ، أعلن افتتاح هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية والمخصصة لاستقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام .

فبسرور بالـغ يجتمع مجلس مجمـع اللغة العربية بشهود هذه النخبة المختارة من خاصة القوم ، أساتيذ وعلماء ومثقفين ليستقبل عضواً عاملاً وزميلاً جديداً ينتظم في عقد أسرته . وإني باسم الزملاء الذين أجمعوا على اختيار الأستاذ شاكر الفحام أهنئه بما ناله وبما هو أهل له من ثقة وتقدير .

وكان انتخاب مجلس المجمع له قد تم في الجلسة التي عقدها مساء التاسع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٧٠ للمكان الذي خلا بوفاة العلامة المرحوم فقيد المجمعين الأمير مصطفى الشهابي تغمده الله برحمته وأجزل له الثواب بقدر ما أدى من خدمة جليلة للغة القرآن ، وصدر المرسوم ذو الرقم ٣٩٣ والمؤرخ في ١٦ من شباط ١٩٧١ لتسميته عضواً عاملاً في مجمعنا . وكان على المجمع أن يستقبله إثر ذلك ، لولا ظروف خاصة حالت دون

تحقيق هذه الأمنية المرتقبة ، فحرم المجمع من مشاركته في جلساته ومن نشاطه المجمعي هذه الأعوام الخمسة ، لأن نظام المجمع يحتّم أن لايشترك العضو الجديد في العمل إلا بعد استقباله رسمياً في مثل هذه الجلسة العلنية التي نعقدها هذه الأمسية المباركة إن شاء الله . فكأن الأمور ، كما يقال ، مرهونة بأوقاتها .

وبعد ، فاسمحوا لي أن أحيطكم علماً بأن انتخاب الرصيف الكريم قد تم حينما كان رئيساً لجامعة دمشق وأحد أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب فيها ، أي قبل أن يتسلم مقاليد الوزارة في التعليم العالي ثم في التربية .

ولا غرو فالجامعة والمجمع ذوا رحم وقرابة ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ، وانفردت لغتنا الحبيبة دون غيرها من اللغات جاعلة اشتقاق الاسمين من أرومة واحدة ، وكذلك كانا وسيبقيان فرعي دوحة واحدة ، دوحة العلم والمعرفة والثقافة والكرامة القومية الممثلة في الحفاظ على اللغة العربية ورفع شأنها إلى مستوى لغات العصر . ومن هنا كان تضافر الجهود بين الجامعيين والمجمعيين منذ البداية فأثمرت تلك الدوحة الباسقة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أثمرت وأينعت وآتت أكلها وذللت قطوفها ، فكان من ذلك رسو جذور التعليم العالي باللغة العربية الصحيحة في قطرنا السوري منذ ست وخمسين سنة . بينما لاتزال الجامعات في الأقطار العربية الأخرى معرضة عن اللغة القومية ، متهيبة من الإقدام على التعليم بها ، ولو نصت النظم فيها صراحة على أن لغة التدريس فيها هي العربية ، لعلم المشرّع علم اليقين بجدوى التدريس بلغة البلاد الموحدة بين أجزائها المترامية ، والالتزام به ، شأن كل أمة تغار على كرامتها وتعتز بقوميتها مهما قلّ

عديدها ، فما بالك بأمتنا العربية المجيدة التي كرّمها الله بتنزيل القرآن عربياً ، وما حباها الله به من سعة في شتى المجالات ؟

هذا ، وكان مجمعكم قد شرع بعمله البنّاء قبل تكوين الجامعة أيان لم يكن في الشام سوى كلية واحدة للطب والثانية للحقوق . وهو جاد الآن كل الجد في لمّ الشعث وجمع الشمل ورأب الصدع بأن يولي وجهه شطر الجامعة كرة أخرى وقد أصبحت ثلاث جامعات تضم عدة كليات ، وقد أخذ الخلاف يدب لا بينها ولا بين كلياتها بل في القسم الواحد من الكلية الواحدة ، ويرمي من ذلك التآزر مع الجامعيين وهم نخبة ممتازة من العلماء الأجلاء ، لدعم العربية وتوحيد المصطلحات وإغناء اللغة بما استجد من المسميات وما أكثرها في هذا العصر الذي نعيشه عصر الذرة وغزو الفضاء .

وبعد ، فإن ما يرجوه المجمع بل ويلحف بالرجاء به أن يحظى من أولي الأمر بالدعم والتشجيع وأن لا يقتّر عليه ، حتى يقوم بالعبء الملقى على عاتقه على أكمل وجه .

وأستميحكم المعذرة لهذا الاستطراد الوارد عرضاً ونحن في صدد استقبال أستاذ جامعي جليل كلنا أمل بأن يكون خير خلف لخير سلف .

والكلمة الآن للأستاذ عبد الهادي هاشم لاستقبال العضو الجديد .

٢ - كلمة الأستاذ عبد الهادي هاشم
في تقديم الزميل الجديد الدكتور شاكر الفحام

السيد وزير التعليم العالي ، السيد وزير الثقافة في الجمهورية التونسية ، السادة وزراء الدفاع والثقافة والسياحة ، سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي الرصفاء أعضاء المجمع ، سيداتي ، سادتي :

ما أعظم ، غبطتي ، وما أشد فرحتي إذ أستقبل اليوم باسم المجمع صديقاً كريماً عرفته منذ لواذ سبعة وثلاثين عاماً ، فما زادني كرُّ الأيام ومرُّ الأعوام إلا إعظاماً لعلمه وخلقه ، وإكباراً لفضله ونبله ، وقدْراً لفطانته وزكانته ، ولستُ بدعاً في هذا الشعور ، فما لقيه أحد ممن يعرفون للرجال أقدارهم إلا أُعْجِب بسعة ثقافته ، وعمق تفكيره ، ورحابة أفقه ، ونفاذ بصيرته ، ومتانة خلقه ، وتمكنه من العربية وآدابها وعلومها وتراثها وتاريخها ....

أرحب اليوم بالدكتور شاكر الفحام رصيفاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية وركناً مكيناً للعربية فيه ، يعتمد عليه ويوثق به وتناط به آمال الغُيُر كلّ الغير على تراثنا وقوميتنا ولغتنا .

أيها السيدات والسادة :

عرفتُ الزميل الكريم وكان لا يزال في نضارة الشباب وغضارة العود

فراعني جدّه وعلمه ، ونباهته وخلقه ، وتوسمت يومئذ أنْ سيكون لهذا الفتى الواعد شأن في نصرة لغتنا والتمكين لها ، وفي الحفاظ على تراثنا وصونه ونشره وإشاعة ذخائره . وقد حققّت الأيام ما توسمتُه فيه وما توقّعتُه له ، وإني لأرجو مع ذلك أن يكون غده خيراً من يومه كما كان يومه خيراً من أمسه ، وأن يمضي قُدُماً في ما أخذ به نفسه من إعزاز لعربيتنا وقوميتنا وتراثنا ، وأن يُشَدّ به عضدُ إخوانه المجمعيين في ذلك كله .

وَلَوَدِدْتُ لو لم تمضِ سُنّةٌ للمجامع بتقديم ترجمة للأعضاء الجدد بين يدي استقبالهم ، إذن لأعفيتكم من التحدث عن نشأة زميلنا الكريم وتقدمه في ميادين البحث الأدبي واللغوي والتاريخي ، فما بكم من حاجة إلى شيء من ذلك ، وقد عرفتموه مجلّياً في هذه الحلبات كلها ، كما عرفتموه نصيراً للمجمع حافظاً لرسالته مضطلعاً بنشرها ، أميناً عليها ، قوياً على حملها ، فلأجتزىء بكلمات موجزات ، كتحلّة القسم ، تلخص نشأة رصيفنا الجديد وتومىء إلى بعض آثاره وأخباره :

ولد شاكر الفحام في مدينة حمص عام ١٩٢١ في بيئة وَرِعَة محافظة وفي أسرة عرفت بالتفقه والتَّدَيُّن والصلاح ، فشبّ متمسكاً بآداب دينه ، وأخلاق قومه . وقد تلقى دروسه الابتدائية وبعض الثانوية في مدارس حمص الرسمية ، ثم تحوّل إلى دمشق ليستكمل الدراسة الثانوية فيها ، فلما فرغ منها عُيِّن عام ١٩٤١ معلماً موقتاً في قرية من قرى الجولان الحبيب اسمها (تسيل) . ثم أوفد إلى القاهرة لدراسة الأدب في جامعتها ، فلما نال الإجازة بذلك عاد إلى الشام وطفق يدرّس العربية في ثانويات دمشق وحمص والحسكة . ثم توجه كرّة أخرى إلى القاهرة عام ١٩٥٧

لاستكمال دراساته الجامعية العليا ، فاختار شاعرين من شعراء البصرة موضوعاً لرسالته في (الماجستير والدكتوراه) ، فجاءت أولاهما عن بشار في قرابة ٤٤٠ صفحة أحاطت – فيما أحسب – بكل ما يمكن أن يقال في هذا الشاعر المجدّد ، ووقعت الثانية عن الفرزدق في ٤٠٠ صفحة لم تترك زيادة لمستزيد في الحديث عن هذا الشاعر الفحل ، وستمضي السنون تلو السنين قبل أن يضيف البحث العلمي الجادّ شيئاً ذا بال إلى ما جاء به زميلنا الكريم في هاتين الرسالتين ، ولعل اختياره في البدء هذين الشاعرين يجلو لنا إيمانه بوجوب العودة إلى الجذور الأصيلة في آدابنا ، وإيثاره المنابع الصافية الثرّة من تراثنا .

وبعد عودته من القاهرة سُمّي عام ١٩٦٣ مدرّساً للعربية في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وكان عمله هذا أحبَّ الأعمال إليه ، وأرضاها لنفسه وأقربها إلى هواه ، ولكن ما لبثت الرياح من بعدُ أنْ جرت بغير ما يؤثر ويشتهي ، فقد بُعِث سفيراً إلى الجزائر حيث أقام زهاء أربعة أعوام وطّد فيها دعائم المودة والمحبة بين القطرين العربيين : سورية والجزائر ، وعقد وشائج الصداقة بين رجالاتها ، فلما عاد سنة ١٩٦٨ إلى دمشق اختير رئيساً لجامعتها وأستاذاً فيها ، وانتخبه بُعَيْد ذلك أعضاء المجمع زميلاً لهم فيه ، ثم تقلب بعد رئاسة الجامعة في مناصب وُسّدت إليه ، فأصبح رئيساً للجنة الثقافية في مجلس الوزراء ووزيراً للتعليم العالي ثم للتربية ... ولا يزال على رأس هذه الوزارة إلى اليوم ، إلى جانب قيامه بتدريس العربية في الجامعة .

على أن هذه المناصب التي تسنّمها وما تستتبعه من مشاغل مضنية متعبة لم تصرفه عن هواه الأول : البحث والمطالعة وخدمة العربية ، فهو

سفيرٌ في الجزائر ولكنه يتابع العناية بالفرزدق مثلًا ويصنع مقدمة وافية ضافية لديوانه الذي نشره مجمعنا مصوراً عام ١٩٦٥ ، وهو وزيرٌ للتعليم العالي وينشر في مجلة المجمع كتاب (اللامات) ويترجم لمؤلفه أبي الحسين أحمد بن فارس ، ويتحدث عما أُلِّف في اللامات قبله وعن شيوخ المؤلف في نمط من البحث معجب محكم فريد . ويعمل ، وهو وزير للتربية ،على تحقيق أمنية طالما رنا المجمع إلى إنجازها ، وأعني بذلك نشر كتاب (الدلائل في غريب الحديث) لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي ، الذي كان المرحوم الأستاذ التنوخي قد عقد العزم على نشره ، ولكن لم يقيض له الوفاء بما أزمعه ، فيأتي الدكتور شاكر وينشر ، في الجزء الأخير الذي صدر من مجلة المجمع ، دراسة وافية في الموضوع ، يستهلها بالكلام على كتب الغريب قبل كتاب ثابت وكيف نشأ علم غريب الحديث ومن هم فرسانه المجلون .... وستتلو هذه المقدمة إن شاء الله فصولٌ ودراسات ونصوص متصلة بهذا الموضوع لا أحب أن أستبق الحديث عنها قبل صدورها .

حدّثتكم أيها السادة عن زميلنا العالم المحقق ، وأود أن أضيف إلى ما تقدم كلمة عن شاكر والمجمع ، فقد أحب زميلنا الكريم مجمعنا هذا منذ أن شدا شيئاً من العربية ، وقد حدثني مرة أن من أسعد أيامه ذلك اليوم الذي هبط فيه دمشق لاستكمال دراسته الثانوية ، فقد أهْرع إلى الظاهرية التي طالما سمع بها ، وإلى المجمع الذي شدّ ما تاقَ إلى رؤيته ، فكانت العادلية والظاهرية من أحب معالم دمشق إليه ، ولقد ظل لهما وفياً ، وبهما حفيّاً ، ينهل من كنوزهما ويذاكر رجالاتها ويدفع عنهما الأذى ويكشف عنهما الضرّ إذا ما أراد بهما أحد شراً . أذكر أن مشروعاً رفع

إلى الدولة عام ١٩٦٩رأى فيه القيّمون على المجمع إساءة له وإضراراً بالظاهرية ، وأوجسوا خيفة من عقابيله ، فلجأ بعضهم إلى شاكر ، وكان يومئـذ على رأس جامعة دمشق ، كي يعين في دفع النازلة ، فاستجاب لهم ، وتصرف بما عرف عنه من كياسة وسياسة وحنكة ، حتى نجح في طيّ ذلك المشروع . وقد أصبح منذئذ المدافع عن حياض المجمع ، المحامي عن عرينه ، المنتصر له إذا ما تعرّض لعداء حاقد موتور ، أو كره حاسد مقهور .

وبعد فزميلنا الجديد مدرسة في إشراق أسلوبه ، وجمال ديباجتـــه وإحكام نسجه ، وعذوبة بيانه ، وسلامة طبعه . أقرأ لكم نموذجاً من كتابته العلمية قبسته من أول صفحة وقعت عيني عليها في أحد كتبه ، يقول في حديث له عن تمصير البصرة :

« ... ذلك بأن القبائل العربية التي أذن لها أن تسيح في الأرض تعلي كلمة الله وتبشر بالهدى ودين الحق ، لم تلبث ، وقد يُسّر لها الفتح ورُزقت النصر ، أن استوطنت الحواضر ونزلت المدن ورابطت في الثغور ، تثبت دعائم الإسـلام وتنشر تعاليمه وتقيم في منازلها الجديدة حياة تـلائم مادعت إليه ونادت به ، وكان الخلفاء أمراء المؤمنين ، وعمر بن الخطاب خاصة ، يحضون القبائل على استيطان الحاضرة ، ويؤثرون أهلها على البُداة ، فإذا العرب يملئون البلاد مابين أقصى خراسان إلى إفريقية ليكونوا القوّامين على الدعوة التي ائتمنوا عليها ، وكان عجباً عاجباً أن يستجيب العرب هذه الاستجابة الطائعة ، يتقبلون ما دُعوا إليه ، ويسرعون متحمسين في إنفاذه والعمل به ، وإذا القبيلة الواحـدة التي كانت تشدها أواصر العصبية في جاهليتها إلى مواطن متقاربة لتظل قوية بتماسكها ، قد توزعت في الأمصار

المختلفة المتنائية ، لتساكن قبائل أخرى كانت تنازعها ، فإذا هم في الدار الواحدة إخوة يجمعهم الإسلام، وتظلهم رايته ، ويحميهم شرعه ، وإن المرء ليبهر لهذه المقدرة الفائقة التي قاد بها الخلفاء الأولون حركة الفتوح والاستيطان ، وللمعاني البعيدة التي رموا إليها حين حثوا الناس على إيثار الحاضرة ، وحين فرّقوا القبيلة أجزاءً وجهوا بكل منها إلى وجه من وجوه الفتح ، وحين جعلوا البلد الواحد قسمة بين قبائل شتى ... ثم حين أرسلوا حملة القرآن وصحابة النبي يُقرئون الناس القرآن ، ويعلمونهم أمور الدين ، ويأخذونهم بآدابه ، لتعصمهم العقيدة المتمكنة في النفس أن تنزع بهم نزعات الجاهلية ، وتنأى بهم عن تعاليم الإسلام .... » اه

هذا نموذج ، أيها السادة ، لم أتخيره ولم أتنخله ، قرأته لكم لتروا هذا الطراز المحكم من الأسلوب العربي المبين ما أحوجنا إلى تقيّله وبثه في أقلام الناشئة من كتابنا وطلابنا .

ولو كان في الوقت متسع لقرأت لكم شيئاً من محاضراته البارعة في الأدب الأندلسي أو الأدب الجاهلي على طلاب الجامعة ، أو أسمعتكم شذرات من بحوثه وتحقيقاته التي بلغت الغاية في التثبت والتمكن والإحاطة ، وفي صحة الحكم ، وإيثار القصد ، والبعد عن الهوى . وإذا قال القدماء في كتب الجاحظ : إنها تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً فإن لنا أن نقول : إن دراسات شاكر تعلم صحة التفكير ، ودقة النقد ، وجمال التعبير .

وبعد فأعضاء المجمع ، وإن قيل إنهم الخالدون ، كتب عليهم ما كُتب على الذين من قبلهم، يتعاقبون على حمل الرسالة وأداء الأمانة ، فإذا سقطت الراية من يد أحدهم نهد لها من يمضي إلى إعلائها والسير بها إلى الغاية :

إذا مُقْرَمٌ منّا ذرا حدُّ نابه تَخَمَّط فينا نابُ آخر مُقْرَم

ولئن لقي الأمير الشهابي وجه ربه إن لنا في خلفه الدكتور الفحام عزاءً ورجاءً وأملًا .

بورك لأخي شاكر في هذا الحب الذي محضه إياه زملاؤه المجمعيون ، وفي دعوتهم إياه ليكون واحداً منهم في رحاب هذا المجمع ، وبورك لنـا – نحن المجمعيين – بالعضو الجديد يشد عضدنا ، ويشارك في حمـل رسالتنا ، ويساهم في الحفاظ على لغتنا وقوميتنا وعروبتنا باقيـة راسخة خالدة على وجـــه الدهر . والسلام عليكم ورحمة الله .

٣ـ كلمة الدكتور شاكر الفحّام

السيد رئيس المجمع ، السادة المجمعيون ،

السيد الأستاذ محمود المسعدي وزير الثقافة في الجمهورية التونسية الشقيقة ،

السادة الوزراء ، أيها الأخوات والأخوة الأعزة .

أقف في مقامي هذا يُظلّني التهيب ، أذكر بالتوقير والتجلة أولئك الأفذاذ الخالدين الذين وطّؤوا لنا الطريق ودمّثوا صعابه .

ظهروا والناس يخبطون في ظلماء ، تتقاذفهم السبل ، وقد أحيط بالعربية المبينة ، فإذا هي غريبة بين أهلها ، لا يكاد يفصح بها لسان ، فكانوا كإشراقة الفجر في يوم ربيع .

أتمثلهم أمام ناظريّ ، وقد ركزت الراية العربية في دمشق ، يوم الثلاثين من ايلول ١٩١٨ معلنة ميلاد الدولة العربية الجديدة . فهبوا يتنادون ، والهمة ملء برودهم ، يجيبون داعي العربية ، دائبين في خدمتها ، لا يملّون العمل ولا يعرفون الكلل : أنشئت الشعبة الأولى للترجمة والتأليف في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ فكانوا نواتها الحية ، نمت فأنبتت النبات الحسن ، فلما قام ديوان المعارف في ١٢ شباط ١٩١٩ مقامها بذلوا وجهدوا ، حتى

أذن الله بظهور المجمع مستقلاً في الثامن من حزيران ١٩١٩ بفرسانه الثمانية ، فمضوا يشقون طريقهم صعداً ، لا تثنيهم عقبة مهما صعبت ، ولا يصدّهم حاجز مهما علا : أحيوا المدرسة العادلية الكبرى لتكون مقراً لمجمعهم إيذاناً بهمة الإحياء الكبرى التي ينهضون بهـا ، وأخلصوا لما انتدبوا له : مسحوا عن وجه العربية ما علق به ، ونزّهوا العربية عن كل ما يتخوّن جماله

إنّا إذا حُطْمَةٌ حتّتْ لنا وَرَقاً   نمارسُ العُودَ حتى ينبت الورقُ

لقد صدقوا العهد وأوفوا بالوعـد وعملوا ليلهم ونهارهم لا يفترون ، لله أبوهم ! جروا في ميدان العربية فبرّزوا ، وتغلغلوا في شعاب الكلام فأبانوا عن جمـاله ، وبذلوا حتى أنجحوا ، وعبّدوا الطريق لاحباً ناهجاً لمن جاء بعدهم ، وانضم إليهم إخوان لهم ، لحقوا بهم في مسيرتهم ، يشدّون من أزرهم ، ويقتفون خطاهم ، فاستد الساعد ، وتراءت العربيـة بهيجة ، « كالشمس يوم طلوعها بالأسْعُد » تختال بأثوابهـــا القشيبة ، مزهوة من الحسن . نادوها فلبت من قريب ، لم يستعص عليها شيء ، فإذا الناس يقرؤون صنوف العلوم بلسان عربي مبين ، لا عجمة فيه ولا رطانة ، يبهر بحسنه « مثل وشي اليمنة الحبرة » ، وتداول الراية رجال بعد رجال ، حراص على الأمانة ، يكمل لاحق ما بدأه سابق ، وهـــا هو ذا المجمع يتعالى شامخ الذرا ، دعائه أعزّ وأطول ، يستقبل عامه السادس والخمسين لم تهن قوته ، ولا لانت قناته ، ماضياً يجري على غلوائه ، يستمد من قدسية هذه اللغة المباركة عزماً لا يفلَّلُ حدّه .

في صورته ملامح نهضتنا العربية الحديثـة ، فهـــو أول مؤسسة ثقافية أرست الدولة العربية قواعدها ، فنسـج لها من حلل العربية الخالدَ الباقيَ على الدهر ، زين به وجه الدولة وأعاد إليها لسانهـا ، وأزاح عنها

غربتها ، وما زال يمدّ العربية بكل حاجها من كلم ومصطلحات لمستحدثات العصر ، لتظل العربية اللغة الفتية الناضرة على تطاول الزمن ، تحمل إرث الأجداد : علومهم وآدابهم ، وتعبر عن أفكار العصر : علومه وآدابه .

وأقرأ سيرة المجمع ، وأقلبُ صفحاته البيض النواصع ، فأشعر بالاعتزاز أن يقتدر المجمع — وكان يعاني من القلة والضنك ما يعاني — على صنع ما صنع ، ولست أقوى أن أعدد أياديه ولا من همي أن أعد منها ، ولكني أقف أمامها مكبراً لأولئك الرجال الأمجاد ، معجباً بسيرتهم ، رجال لو احتفلت الدنيـا ما تزينت إلا بهم ، أما من قضى منهم ولقي وجه ربه فسقى الله أجداثهم الطاهرة صوب رحمته ، ولقاهم نضرة وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً .

يبلى الفتى في قبره وفَعاله غضٌّ جديد

وليبارك الله أعمال الباقين ، ويشد من عضدهم ، ويفسح لهم في أعمارهم ليؤدوا رسالة العربية أحسن ما يكون الأداء ، وليكونوا الحفظة لها ، وليسلموا الأمانة إلى الأمناء من بعدهم كما تسلموها ممن سبقهم ، ولتتألق العربية وضاءة مشرقة أبد الدهر .

وإن مما يثلج الصدر أن مجمعنا لم يبق وحيداً في الساحة ، فقد رفده في عمله مجمعا القاهرة وبغداد ، وجامعات الوطن العربي التي ارتضت العربية لساناً علمياً لها ، وفي طليعتها جامعات الجمهورية العربية السورية ، فقطعت بالحجة الفالجة مزاعم المكابرين ، وأخرست ببيانها الناصع ألسنة المرجفين .

السيد رئيس المجمع

تلح عليّ ذكرى قديمة حبيبة ، حبستها النفس ضناً بها ، تلك هي ذكرى زيارتي الأولى لمجمع اللغة العربية ، وألتمس العـذر أن استجزت قص خبرها .

كنا ، ونحن في حمص ، أيام الدراسة الثانوية ، نتسقط أخبار المجمع ومجلته ، ونستمع إلى أحاديث رفاق لنا ، يدرسون بدمشق ، عن دار الكتب الظاهرية وما حوته خزائنها من أعلاق الكتب النفيسة المخطوطة والمطبوعة ، وكنا نتشوف إلى اليوم الذي يتاح لنا فيه أن نزور دمشق لنقف في رحاب الظاهرية ومجمع الخالدين .

كان الفضل كل الفضل في تعلقي بالمجمع والظاهرية ، وفي تحبيب الخزانة العربية إليّ ، يعود إلى أستاذيّ الكبيرين : الأستاذ المرحوم عز الدين التنوخي ، طيب الله ثراه وبرّد مضجعه ، والأستاذ عبد الهادي هاشم ، درست عليهما فكانا لي خير معلمين ، أرشداني إلى تراث الأجداد ، وأخذا بيدي ، وبثا في قلبي حب العربية والتعصب لها . فرحم الله أبا قيس ، وأثابه ، وشكر الله للأستاذ عبد الهادي هاشم ومد في حياته ، وجزاهما على ما قدماه للعربية الجزاء الأوفى .

ثم تحقق الأمل يوم أبلغت أن قد قبلتُ بثانوية دمشق (جودت الهاشمي الآن) لدراسة البكالوريا الثانية - فرع الرياضيات - وتملكتني فرحة غامرة ، أحقاً أني سأعيش بدمشق حيث المكتبة الظاهرية والمجمع العلمي العربي ، وجئتُ دمشق طالباً داخلياً ، ونعمت بالتردد على الظاهرية أم المكتبات وملاذ التراث ، مرة بعد مرة ، كلما واتت الفرصة ، ثم بلغنا النبأ : أن الأستاذ الكبير محمد كرد علي رئيس المجمع يريد أن يحاضر في المجمع ، وجاهدتُ - علم الله - ليتاح لي أن أحضر واستمع .

كان ذلك في أمسية يوم من أيام أيار ١٩٤١ ، ما زلت أذكره وكأنه حدث أمس ، وكيف أنسى ، وأنا المتشوق لأرى تاج الخالدين وأنقع ظمأً تطاولت أيامه ، والذاكرة آنذاك حية متوقدة ، وعودُ الشباب رطيب ، والحكمة تقول : العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

وفي هذه القاعة نفسها جلسنا نستمع للشيخ - سقته غوادي المزن - وهو جالس أمام منصة صغيرة في زاوية القاعة ، يتحدث عن (غوطة دمشق) بصوت هادىء ، يتوقف أحياناً وعينه أبداً على القرطاس . لم يكن المحاضر الذي تخيلته ، المنطيق المفوّه ، ذا الصوت الجهوري ، المتدفق كبحر ، ولكني نعمت بحديث الشيخ ، وألفت نغمته الرتيبة وسكونه في جلسته ، فعل عالم محاضر ، واحتفظت بحديثه رطباً غضاً في نفسي حتى اليوم ، ما ذكرته وذكرت فرحتي به إلا تمثلت بكلمة الأعرابي في حديث من أحبها :

وحديثها كالقطر يسمعه راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويصيح من فرح هيا ربا

وبعد ، فإني أتقدم إليكم ، يا سادتي المجمعيين ، وأنا عاجز أن أفيكم حقكم من الشكر والحمد ، فسحتم لي مكاناً في ندوتكم الخالدة ، ونوهتم بي حين آثرتموني ، ولست بالسابق الموفي على الغاية ، وأرجو أن أعان على ماندبت إليه .

وأتلفت بوجهي إلى السادة الخالدين الذين شهدوا جلسة المجمع في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٠ فكرموني بانتخابهم وأجلّوني باختيارهم ، أرفع إليهم تحيتي الخالصة الطيبة اعترافاً بفضلهم عليّ ، وأصفي الشكر أستاذي وأخي الأستاذ عبد الهادي هاشم الذي أسبغ عليّ من أدبه وخلقه ما عظّم به صغيري ، وكثّر به قليلي .

ثم أعود فأستمطر شآبيب الرحمة على الراحلين من الخالدين بعد جلسة المجمع التي تم فيها انتخابي ، وكنت أرجو أن يسعدني الحظ بلقائهم في هذا الحفل وهم المرحومون الدكتور محمد سامي الدهان والدكتور صلاح

الدين الكواكبي والأستاذ عارف النكدي ، وعزائي أنهم ببلائهم وإخلاصهم وذيادهم عن الفصحى كانوا حديثاً حسناً لمن روى .

سادتي المجمعيين :

يؤسفني أن تواترت عليّ أعمال لاتنتظـر ، شغلتني عن التهيؤ لحفل الاستقبال في موعده وأكرهتني أن أرجئه مرة بعد مرة ، وقد أبى عليّ السيد رئيس المجمع أن أمضي فيما أنا فيه وعزم عليّ فلم يسعني إلا أن ألبي رغبته ، على تزاحم الأعمال ، ولم أعـــدّ للأمر عدته ، ولا اتخذت لـه أهبتـه .

وحفلُ الاستقبال من سنن المجمع العريقة ، أشار به الأمير شكيب أرسلان — وما أكثر مآثر الأمير ومحامده في خدمة العرب والعربية — فاستحسنه المجمع وجرى عليه منذ عام ١٩٢٢ .

وتقتضيني سنة المجمع — وأجْمِلْ بها من سنة — أن أتحدث عن الراحل الخالد سلفي في هذا المقعد : الأمير مصطفى الشهابي .

وأستميحـكم العذر إن لم أقدم إليكم ترجمة ضافية نقدية ، وإنما هي شذرات اخترتها ، أجزأتني في الدلالة على الرجل وعصره وعلمه ، واكتفيت بها بعد أن سبقني سابقون كتبوا عن الأمير صفحات حلوة ناصعة : كتب الأستاذ عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع كلمته الحافلة في ذكرى الفقيد بعيد وفاته فاستقصى وأوعب ، وقيلت كلمات تحدث بها عارفوه في حفـل تأبينه الذي أقامه مجمع القاهرة في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩٦٨ ، وللأمير ترجمة ذاتية في المجمع تجمع بين التدقيق والاستقصاء ، أرجو أن أوفق لنشرها على صفحات مجلة المجمع التي أحبها الأمير ، ففيها غنية للمستزيد .

* * *

ينتمي الأمير مصطفى الشهابي إلى أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين، الذين استوطنوا وادي التيم في المائة السادسة للهجرة.

ولد في أول تشرين الثاني سنة ١٨٩٣ بمدينة حاصبيا قصبة وادي التيم ومقر الشهابيين القديم، لسبع عشرة سنة خلت من حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) «وكان عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي ولدتُ وترعرعتُ في أيامه، من أفظع عهود الظلم والقسوة والرشوة والاستبداد، فقد كانت الأفواه مكمومة، والأقلام محطمة».

وكانت مدينة حاصبيا مسقطُ رأس الأمير مركز قضاء حاصبيا بقراه التسع عشرة، وترتبط إدارياً بلواء الشام (دمشق) أحد الألوية الأربعة التي تتألف منها ولاية سورية آنذاك[1].

عاش الشهابي في حاصبيا سنواته العشر الأولى، دخل مدرسة الحكومة الابتدائية في السادسة من عمره، فدرس فيها مبادىء القراءة والكتابة والقرآن والحساب والجغرافيـة، ثم انتقل في سن التاسعة إلى المدرسة الكاثوليكية ببلدته فتعلم مبادىء الفرنسية. ولما بلـغ العاشرة من عمره(١٩٠٣) قدر له أن يغادر حاصبيا، فقد كان أبوه محمد سعيد بن جهجاه الشهابي موظفاً في مالية ولاية سورية، نقل عمله إلى مدينة بعلبك مركز قضاء بعلبك بقراه الست والسبعين، والمرتبطة إدارياً بلواء دمشق، فصحب معه ابنه إليها.

ولئن قدر للشهابي أن يفارق بلدته حاصبيا وهـو غض العـود لين الإهاب لم يجاوز العاشرة من عمره، إنّ صورتها الجميلة لم تفارقه، ظلت منقوشة في صدره تملأ عليه نفسـه، لم تزدها رحلاته وأسفاره، على تعددها

(١) الألوية الأربعة هي: لواء الشام (دمشق)، ولواء حماة، ولواء حوران ولواء الكرك (معان)، وكانت مدينة دمشق مركز ولاية سورية.

وتنوع ماشاهد فيها ، إلا جدة وتألقاً . كان يذكر دائماً ، بالحب والشوق ، تلك المدينة الغافية في حضن جبل الشيخ ، حرمون ، جبل الثلج(١) ، يحنو عليها بجناحه الغربي ، وهي تتيه مزهوة ، بمدرجها الجبلي الذي حبته الطبيعة بأجمل هباتها وهداياها ، وتغسل رجليها بمياه الحاصباني العذبة الرقراقـة ، تزهر بيوتها البيض ، تحفها من حولها جنان ذات بهجة ، فتذكر بقول الأوسية وقد سئلت : أي منظر أحسن ؟ فقالت : « قصور بيض في حدائق خضر » . وهل يقوى أن ينسى مسرح طفولته ومرابع صباه ؟ .. كان وهو يتحدث عنها يكاد يبسطها تامة بين يديك ، يجمع لك ماضيها وحاضرها ، يفتنُّ في الوصف ، حريصاً ألا تفوتك صغيرة من دقائق جمالها . يثب الفـرح من كلماته وهو يروي قصة صباه ، تراه قافزاً في الماء ، أو منطلقاً وراء صيد ، وكأنه يردد :

أحبُّ بلاد الله مابين منعج ... إليّ وسلمى أن يصوب سحابها
بـلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي ... وأول أرض مس جلدي ترابها

---

(١) جبل الشيخ : جبل شاهق عالي الذرا ، في جنوبي دمشق إلى الغرب ، ويسمى في النصوص القديمة : حرمون . يبلغ ارتفاع أعلى قممه ٢٨١٤ م . (شارة حرمون) ؛ وتقوم على مقربة منها بقايا قصرشبيب التبعي . اطلق عليه العرب اسم جبل الثلج ، لأن الثلوج تكلل هامته « والثلج على رأسه كالعمامة » . قال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر خاليه من غسان :

ملكا من جبـل الثلج إلى ... جانبي أيلة من عبد وحـر
ثم كانا خير من نال الندى ... سبقا الناس بإقسـاط وبر

ولما حل جند دمشق كورة البيرة في الأندلس ، سموا غرناطة : دمشق ، لأنها أشبه شيء بها ، وسموا جبل شلير (بلفظ التصغير) القائم في جنوبي غرناطة المطل عليها : جبل الثلج ، وشبهوه بالشيخ إذ تردى بالثلج وتعمم ، ولبس البرنس الأبيض .

ولا ينسى أن يختم كلماته بأن حاصبيا قد أطلعت عالمين كبيرين هما الفارسان : فارس نمر (١٨٥٥ – ١٩٥١) في مصر ، وفارس الخوري (١٨٧٧ - ١٩٦٢) في الشام ، ولقد عززهما رحمه الله بثالث بلغ في فنه الغاية .

قضى الشهابي ببعلبك سنة واحدة ، دخل فيها مدرسة (المطران) ، وانتقل بعدها بانتقال والده إلى معلقة زحلة مركز قضاء البقاع بقواه التسع والخمسين ، وأحد الأقضية التسعة التي يتألف منها لواء الشام[1] ، فالتحق فيها بمدرسة الموارنة وهي مدرسة حسنة التعليم كان من معلميها موسى نمور الذي صار في سنة ١٩٢٦ رئيساً لمجلس النواب اللبناني .

مكث الشهابي في مدرسة الموارنة سنة ليهبط بعدها دمشق في الثانية عشرة من عمره (١٩٠٥) فدخل المدرسة البطريركية الكاثوليكية وقضى فيها سنتين درس فيها العربية والفرنسية ومبادىء العلوم العصرية .

أتاحت هذه النشأة للشهابي أن يبدأ تعلم اللغة الفرنسية صغيراً ، في أيام صباه ، وتابع تعلمها فكانت خير زاد له في شبابه حين سافر من بعد إلى فرنسا للتخصص ، وفي كهولته حين بدأ الكتابة والتأليف ووضع المصطلح العلمي .

ولكن مايعنينا هنا هو أن نشير إلى جانب هام خلفته هذه الدراسة في نفسه ، ذلك أن الشهابي الطالب قد رأى عياناً غلوّ القوم في العناية بلغتهم ، وحماستهم لتعليمها ، وما كانوا يصطنعون من أساليب لتعويد الطلبة على الحديث بها وإجادة نطقها . « كنا نجبر على التكلم بالفرنسية ، حتى في

(١) الأقضية التسعة التي يتألف منها لواء الشام (دمشق) هي : قضاء الشام ، قضاء بعلبك ، قضاء البقاع ، قضاء النبك ، قضاء دوما ، قضاء وادي العجم ، قضاء حاصبيا ، قضاء راشيا ، قضاء الزبداني .

زمن الدولة العثمانية ، وكل من كان يتكلم بغير الفرنسية كان يغرم غرامة نقدية ، وقضية الخشبة المسماة : علامة ، التي تعطى للتلميذ المتكلم بغير الفرنسية قصة مشهورة » وحفزه ذلك أشد الحفز من بعد للدفاع عن العربية الفصحى والاعتزاز بها ، والدعوة لنشرها بين طبقات الشعب ، كان يحلم باليوم الذي تسود فيه الفصحى المعربة المبينة ، وكان يرمضه أن يشهد غفلة الأمة عن لغتها ، وتغافلها عن النزعات الشعوبية التي تشجـع اللهجات العاميـة وتبيت الشر لهذه اللغة الخالدة التي حفظت على الأمة العربية وحدتها ، وظل حياته كلها مشرع القلم ذياداً عن الفصحى التي دفعت عن الأمـــة العربية غائلة التجزئة والشتات : « وبعد ، ان قوميتنا في خير مادامت لغتنا الفصحى في خير » .

غادر الشهابي دمشق وبلاد الشام وهو في الرابعـة عشرة من عمـره (١٩٠٧) ليسافر إلى الآستانة ، بصحبة شقيقه عارف الذي كان يكبره بأربـع سنين ، والذي كان يدرس في المدرسة الملكية العالية بالآستانة ، والتحق الأمير مصطفى بمدرسة إعدادية فرنسية في حي (قوم قبو) تشرف عليها جمعيـة دينية مسيحية تدعى بالفرنسية Augustins de l'Assomption

وكان أخوه عارف من دعاة القومية العربية المتفانين في سبيلها ، لم يكتف بمتابعة دراسته في المدرسة الملكية العالية ، بل جمع إليها القيام بعبء تـدريس حلقة من الشباب العرب في الآستانة علوم اللغة العربية وتاريـخ العرب وحضارتهم ، وكان الأمير مصطفى أحد رواد هـــذه الحلقة : تلقى على أخيه عارف ، واستمع إلى أحاديثه في القومية العربية ووسائل النهوض بالأمة العربيـة .

وامتدت إقامة الشهابي في الآستانة سنتين فتحتا عينيه على أشياء جديدة كثيرة ، ومدت من آفاق رؤيته ، دخل الآستانة والسلطان عبد الحميد يتابع

سياسة الاستبداد والقهر ، وشاهد بعد ذلك الاتحاديين (جمعية الاتحاد والترقي) وقد أطاحوا بالسلطان وأمسكوا بزمام الأمور فتظاهروا للعرب بالمودة ، ولاينوهم بادىء ذي بدء ثم مالبثوا أن قلبوا لهم ظهر المجن ، وأنكروا عليهم كل حق ، ونهجوا سياسة طورانية مغرقة في تعصبها وعنصريتها ، حاولوا أن يطمسوا بها حضارة العرب ومجدهم ، وأن يمحوا لغتهم ، وحفظ فيما حفظ تغنيهم بمجد جنكز خان وبطولاته ، يريدون أن يقرنوه ويعدلوه بالرسول العربي الكريم .

وكانت تسري إليه همسات الشبان العرب من قومه ، وهم يتحدثون عن أمتهم وماضيهم المشرق وما يتطلعون إليه في غدهم : كانت أحلامهم عراضاً ، وآمالهم بعيدة ، يتشوفون باللهفة والشوق إلى قيام الدولة العربية الواحدة ، يرونها قريبة منهم رأى العين ، « وكنت في تلك الأيام ، أي بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩٠٩ تلميذاً في اسطنبول ، ولم تكن سني تجيز لي الاشتراك في أحاديث هؤلاء الشبان ، ولكنني كنت أسترق السمع ، وأصغي إلى تلك الأحاديث ، وقد علق بذهني ما تأكدته بعد سنين وهو أن اليقظة القومية كانت قد سرت إليهم جميعاً » ، « كان يهمس أحدنا في أذن أخيه قائلاً : أترى يتاح للأمة العربية شاعر قومي يوقظ منها النيام المسبتين والكسالى الخادرين » .

أنهى الأمير عارف دراسته في الآستانة عام (١٩٠٩) وعاد إلى دمشق وبصحبته الأمير مصطفى ، وكان قد أنهى دراسته في المدرسة الاعدادية الفرنسية ، فدخل المدرسة السلطانية الثانوية (مكتب عنبر) بدمشق ، كان آنذاك في السادسة عشرة من عمره ، ولبث في المدرسة سنة واحدة ظل يذكرها بمرارة وأسى : « أتذكر أني درست سنة واحدة في المدرسة الثانوية الحكومية بدمشق ، وهي سنة ١٩٠٩ ، فكان مدرس العربية رجلاً تركياً

شدا شيئاً من لساننا ، وهو لايفرق بين المذكر والمؤنث ، ويتكلم العربية بلهجة تركية سقيمة ، وكان يدرسنا لساننا بكتاب تركي لتعليم اللغة العربية » .

وشاء الحظ أن يأخذ بيد الشهابي ، تألفت بدمشق عام ١٩١٠ جمعية من كبار رجال الفيحاء ومفكريها سميت « جمعية البعثات العلمية » فاختارت لدراسة العلوم الزراعية ثلاثة من نابهي الطلاب هم : الأمير مصطفى الشهابي والأستاذ عز الدين التنوخي وعبد الغني الشهبندر ، وذهب الطلاب الثلاثة إلى فرنسا والتحقوا بالمدرسة المهنية في مدينة (شالون ـ سور ـ سون) ، وحصل الشهابي بعد سنة دراسية على شهادة الدروس الابتدائية العليا ليدخل من بعد مدرسة غرينيون الزراعية العالية[1] ، قضى فيها ثلاث سنين ليتخرج منها في الحادية والعشرين من عمره (١٩١٤) مهندساً زراعياً .

وليس من همي أن أشير إلى شتى المؤثرات العلمية والأخلاقية التي تلقاها في فرنسا وإنما أكتفي بالإشارة إلى صلته بدعاة القومية العربية الذين قصدوا باريس ، وأسسوا جمعية (العربية الفتاة) ، كان يتردد عليهم ويستمع إليهم ، ثم كان شهوده المؤتمر العربي بباريس في حزيران عام ١٩١٣ ، لم يتجاوز في عمله نطاق هذه الدائرة من الصلة ، فقد كان بطبعه معتدلاً يؤثر متابعة الدراسة ، والنجاح فيما قصد له ، تحدث عن المؤتمر العربي الذي شهده بباريس فقال : « وكانت مهمتي فيه أنا ولفيف من الطلاب الرياضيين بسيطة ، لم تتعد التهيئة ومراقبة الأعداء وحفظ النظام » .

وغادر الشهابي باريس في صيف ١٩١٤ إلى فروق . عاصمة بني عثمان ، وتقدم إلى فحص شهادة التعادل العثمانية ، أسوة بخريجي المدارس الطبية

(١) مدرسة غرينيون : مدرسة زراعية وطنية ، افتتحت في عام ١٨٢٦ في قصر شيد أيام لويس الثالث عشر ، بقرية ثيفرفال ـ غرينيون (قرية صغيرة في منطقة فرساي) ، وهي اقدم مدرسة من نوعها في فرنسا .

والحقوقية الأجنبية ، ليكون له الحق ببلوغ المناصب العالية في الدولة ، فنجح في فحصه .

وشبت الحرب العالمية الأولى ، واضطر الشهابي أن يلتحق بصفوف الجيش العثماني وتقلب في أعمال عدة : بدأ فدخل المدرسة الحربية في اسطنبول مرشحاً لرتبة ضابط احتياط في المشاة ، ثم التحق بمدرسة البرق والهاتف الحربية في قصر « يلدز » ليقضي فيها ستة أشهر ، يتخرج بعدها برتبة وكيل ضابط احتياط ، ويعين قائد فصيل في سرية البرق في القدس ، لينقل من بعد ترجمانا في رهط البرق واللاسلكي بدمشق ، حيث حاز رتبة ملازم ثان احتياط ، وحلت سنة ١٩١٦ بكل مآسيها ، فازدادت المجاعة في الشام ، ومن أجل مواجهة ذلك أنشأت الحكومة العسكرية سرايا زراعية ، وعين الشهابي قائداً لسريتين في مرج ابن عامر ثم في بيسان ومجدل طبرية ، فقام بتجارب زراعية علمية .

وفي سنة ١٩١٨ عين مديراً لزراعة الجيش بدمشق ، وكان جمال السفاح قد غادر الشام .

ولما انحسر سلطانُ الترك عن بلاد الشام وقامت الحكومة العربية في سنة ١٩١٨ ، بدأ الشهابي حياته الحكومية : شغل منصب مدير الزراعة والحراج خمس سنين (١٩١٨ - ١٩٢٣) ثم مدير أملاك الدولة إحدى عشرة سنة (١٩٢٣ — ١٩٣٤) ثم مدير الاقتصاد الوطني (١٩٣٥) ليتولى من بعد وزارة المعارف (١٩٣٦) ، واختير واحداً من أعضاء الوفد السوري المفاوض لمعاهدة (١٩٣٦)[١] ، ثم أصبح محافظ حلب (١٩٣٧ -

(١) كان الوفد السوري المفاوض لمعاهدة ١٩٣٦ مؤلفاً من ستة أعضاء هم السادة : هاشم الأتاسي رئيس الوفد ، وفارس الخوري ، وجميل مردم ، وسعد الله الجابري ، ومصطفى الشهابي ، وإدمون حمصي .

١٩٣٩) ، وأسـندت إليه بعد ذلك وزارة المالية ووزارة الدولة للمالية والاقتصاد الوطني (١٩٤٣) ثم تسلم محافظة اللاذقية (١٩٤٣ - ١٩٤٥) فالأمانة العامة لرئاسة مجلس الوزراء (١٩٤٥) وعاد فأصبح محافظاً لحلب للمرة الثانية (١٩٤٦ — ١٩٤٧) فمحافظاً للاذقية للمرة الثانية (١٩٤٨ - ١٩٤٩) فوزيراً للعدل (١٩٤٩) وكان آخر ماوليه منصب وزير مفوض فسفير لسورية في مصر (١٩٥١ — ١٩٥٤) .

* * *

لعل أظهر صفات الفقيد الجد في العمل ، كان مولعاً بالقراءة ، والنظر في الكتب ، جلداً على المطالعة والتأليف ، يحب البحث ، ويوالي الدرس ، لايشغله عن ذلك شيء مهما جلّ ، ومن أقواله : « إذا عاش المرء عيشة منتظمة استطاع أن يطالع أو يؤلف بمعدل ساعة أو ساعتين في كل يوم ، مهما تكن مهنته المعاشية شاقة » .

وقد هيأت له مناصبه الأولى التي شغلها في الدولة مدة سبع عشرة سنة أن يفيد من اختصاصه في الزراعة وأن يتعمقه : كان يتتبع المؤلفات الزراعية ويتعرف إلى الجديد فيها ، يضيف إلى ذلك معرفة نمت وازدادت من تجاربه وخبراته حين طبق معارفه تطبيقاً عملياً في نطاق بلاده بتربتها ومناخها ، مفيداً في ذلك أيضاً من التقارير التي تلقاها من موظفي الزراعة في وصف المناطق الزراعية المختلفة بسورية ، حتى غدا من أكبر علماء الزراعة في بلاد الشام .

وفي هذه المرحلة ألف كتبه الزراعية العلمية :

— ألف كتاب الزراعة العملية الحديثة في عام ١٩٢٢ (أعيد طبعه منقحاً عام ١٩٣٥) ، وهو مجموعة الدروس التي ألقاها في مدرسة الغوطة

الزراعية ، ولخص فيها فن الزراعة العامة والخاصة مع تطبيقاته العملية في البلاد السورية .

ــ وألف رسالة مسك الدفاتر الزراعية في عام ١٩٢٣ ، وهي رسالة تحتوي على الدروس التي وضعها طبق برنامج التدريس في مدرسة سلمية الزراعية .

ــ وألف كتاب الأشجار والأنجم المثمرة في عام ١٩٢٤ وهو يبحث في فن زراعة الأشجار والأنجم المثمرة مع تطبيقه على أقاليم بلاد الشام وأشباهها .

ــ وكان الحلقة الرابعة كتاب البقول ألفه في عام ١٩٢٧ وهو يبحث في زرع الخضر في أقاليم بلاد الشام ونظائرها .

ــ ثم أصدر كتاب الدواجن في عام ١٩٣٠ .

وبه ختم كتبه الزراعية التي ألفها لتكون مرجعاً لأرباب الزراعة وتلاميذ المدارس الزراعية في بلاد الشام .

ــ ولعل خير ما يمكن أن نصف به صنيعه في هذه الكتب كلمة له قالها في تصدير أحد كتبه : « خلاصة ما جاء في الموسوعات الأوربية ، مع خلاصة تطبيقها على ديار الشام وما شاكلها من الديار في إقليمه » .

ــ تهدّى الشهابي ، وهو يؤلف في علوم الزراعة ، إلى المجال الذي أخلص له نفسه ، واستأثر باهتمامه ، وقصر عليه جهده وكده حتى كاد يكون فيه نسيج وحده ، وهو التأليف في المصطلحات العلمية الزراعية . كان واثقاً من نفسه حين خاض غمار هذه اللجة ، فهو متقن علوم الزراعة متضلع من علوم اللغة العربية ، عارف باللغة الفرنسية وأساليبها .

ــ كان أول كتاب ألفه في هذا الباب : معجم الألفاظ الزراعية في عام ١٩٤٣ ، فكان فتحاً في المصطلحات الزراعية ، إذ تأتّى لصاحبه

أن يجمع في نفسه كل الأدوات التي تيسر له النجاح والتفوق في عمله « فلا يظنن أني جمعت في هذا المعجم ألفاظ علوم وفنون لم أدرسها فإن تخرجي مهندساً زراعياً من مدرسة غرينيون الوطنية الزراعية في فرنسا منذ سنة ١٩١٤ ، وإشرافي بضع سنين على بعض المزارع ، وتقلدي منصب مديرية الزراعة فمديرية أملاك الدولة في سورية مدة خمس عشرة سنة ، كافية وحدها للاطلاع على مدلولات معظم ألفاظ المعجم » .

– كان الكتاب ثمرة جهد طويل متواصل ، بدأه في نحو عام ١٩٢٣ ، ليخرجه بعد عشرين سنة من التنقيح والتهذيب والمراجعة ، وتضمن الكتاب نحو تسعة آلاف لفظ فرنسي أو علمي في الزراعة والعلوم المتصلة بها ، جعل إزاءها مايقابلها بالعربية ، منها ثلاثة آلاف كلمة عربية على الأقل من وضعه وتحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية .

كان نواة الكتاب مقالات نشرها في مجلتي المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمقتطف بالقاهرة ، أضاف إليها ماحققه أو وضعه أو اقتبسه في المصطلحات ، « فتألف منها جميعاً هذا المعجم الصغير » وقد آثر أن يلحق بمعظم الألفاظ العربية في المعجم شرحاً علمياً موجزاً للتعريف بها « تسهيلًا للمراجعين » .

– وتجلت عبقرية الشهابي في هذا الكتاب واهتدى إلى موهبته في هذا الفن فعني به أكبر العناية ووقف نفسه عليه و « كلٌّ ميسر لما خلق له » .

وعاد يردد النظر في الكتاب ويوالي البحث أربعة عشر عاماً أخرى ليقدّم من جديد في عام ١٩٥٧ طبعة الكتاب الثانية منقحة مزيدة ،

أصبح بها مجموع كلمات المعجم عشرة آلاف كلمة ، وهو أجـــل" كتبه وأعلاها شأناً وأبقاها ، به تجلت شخصية الشـهابي المجمعي ، حتى أصبح علماً على فن المصطلح الزراعي ، لايذكر إلا ذكر به .

– وكان لابد من أن يمضي في الطريق الناهجة التي بدأها ، وأن يوضح الأسس والقواعد التي اعتمدها في وضع مصطلحاته العلمية ، فألف في ذلك كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث في عام ١٩٥٥ . (أعيد طبعه منقحاً عام ١٩٦٥) .

– وكان كتاب : معجم المصطلحات الجراحية ، الذي نشره في عام ١٩٦٢ خاتمة كتبه في باب المصطلح ، وهو معجم يشتمل على ٩٨٧ مصطلح من مصطلحات الجراح بالانكليزية ، مع مايقابلها بالفرنسية والعربية . وقد ضم إلى المصطلحات التعريف بها .

– ولم نشر هنا إلى مقالاته الكثيرة الأخرى التي عرضت لهذا الفن وتحدثت عنه ، « نشرتُ حتى أول سـنة ١٩٦٦ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٦٦ بحثاً ودراسة في اللغة والمصطلحات والعلوم المختلفة » .

– لابد لي هنا من أن أقف عند هذا الجهد المعجز الذي قام به الشهابي حتى تحقق له أن يكون المجمعي المنفرد في ميدانه .

لقد ألم في مطلع أيامه ببعض مبادىء العربية ، ولم يتح له التمكن منها والتعرف إلى أسرارها ، صُرف عن ذلك بدراساته المتخصصة في الزراعة ، قال في مقدمة كتابه الأول في الزراعة العملية الحديثة الذي ألفه في عام ١٩٢٢ : « والتمسُ من القراء معذرة عما يجدونه في الكتاب من ضعف في التعبير ، أو أغلاط لغوية ومطبعية ، فمع اعترافي بقصر

الباع في اللغة العربية الكريمة قضت الظروف أن أطبع هذا المؤلف (وهو الباكورة) بعجلة زائدة دون أن أتمكن من عرضه على أرباب اللغة لتصحيح ألفاظه وسبكه بقالب متين » .

وقالت مجلة المجمع العلمي العربي حين قرظت الكتاب : « وعرّب [الشهابي] بعض الاصطلاحات مما لا يخلو من نظر قليل فيه ، لبعده أحيانا عن مرمى الاشتقاق اللغوي ، والدقة في التعريب ، ولتعبيره بالألفاظ العامية » . ولكن الشهابي الذي كان يؤمن أن العبقرية كدح طويل ، عكف على دراسة كتب العربية العلمية والأدبية ، وجعل ذلك ديدنه ووكده ، يطالعها صباح مساء ، حتى انقادت له طيعة ، وكشفت له عن مكنونات سرها ، وعني بالمصطلح العلمي في علوم الزراعة أتم العناية : توفر عليه ، ووقف له جهده ووقته ، وكاد يقصر نفسه على بحثه ، منقباً مدققاً ، « لابد لمن يجشم نفسه وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية من أن يقتصر في عمله على الألفاظ المتعلقة بعلم اختص به ، واطلع على دقائقه » ، « ووضعُ المصطلحات العلمية أو تحقيقُها من أشق الأمور وأدعاها إلى الجلد والصبر والأناة والتخصص الواسع بعلم واحد ، حتى بفروع من علم واحد » وظل طوال حياته وفياً لهذه النزعة من التحقيق والتخصص ، يتابع كل مايصدر في موضوع المصطلحات العلمية الزراعية ، ويؤلف فيها ويحاضر ويناقش ويعقب ، وله في هذا الباب مقالات شتى نشرها في مختلف المجلات ، يوضح فيها رأيه ، وينافح عن فكرته .

بدأ ذلك في عام ١٩٢٤ ، ولما انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٢٦ دأب على عمله الدأب الصابر ، لاتزيده الصعاب إلا تصميماً ومضياً ، يقول في كتابه المصطلحات العلمية (ط ٢) : « وأنا أدلي دلوي في الدلاء منذ سنة ١٩٢٤ ، أي منذ أربعين سنة ، فلا أخرج

عن علوم الزراعة والمواليد ومصطلحاتها ، وقد أربى ما نشرته في المجلة [مجلة مجمع اللغة العربية] حتى آخر عام ١٩٦٤ على خمســـين دراسة وبحثاً في المصطلحات » .

فما ملامح الطريقة التي اعتمدها الشهابي في وضع المصطلح ودافع عنها ؟ اهتدى الشهابي في وضع المصطلح بالنهج الذي ســـار عليه قدماء النقلة والمؤلفين العرب في نقل علوم يونان وفارس والهند وغيرها إلى العربية ، وأجمل هذا المنهج في النقاط التالية :

١ ـ تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي ، فإذا وجد في المعجمات العربية أو الكتب القديمة الموثوق بها كلمة صحيحة عربية أو معربة ، أو كلمة مولدة سائغة لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الأعجمية ، رجح تلك الكلمة الصحيحة أو المولدة السائغة على غيرها من الكلم ، وإذا وجد في المراجع المذكورة لمدلول الكلمة الأعجمية كلمتين : الأولى صحيحة ، والثانية مولدة ، رجح الأولى على رفيقتها أو ذكرهما معاً .

« وعمدتُ في تحري أصلح الألفاظ العربية إلى الأمهات من كتب اللغة ، ولا سيما المخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروزابادي ، فأخرجت منها ، عدداً كبيراً من الكلمات التي تتصل بالعلوم الزراعية ، وكذلك أفردت ما وجدت من مصطلحات في مخطوطة كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ، وفي كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الاشبيلي وهو مطبوع في مدريد ، ومخطوطة فضل الخيل لشرف الدين عبد المؤمن الدمياطي ، والفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا ، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي ، وحسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندى ، ... والقانون لابن سينا ، ومخطوطة

الجزء الخامس من كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري ، ومخطوطة الجامع لصفات أشتات النبات للادريسي ... » .

٢ - إذا كان اللفظ العلمي الأعجمي جديداً لامقابل له في لساننا ، ترجمه بمعناه إذا أمكن ترجمته أو وضع له لفظاً عربياً مقارباً بطريق الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو النحت .

٣ - إذا تعذر وضع لفظ عربي بالطرق المذكورة لجأ إلى التعريب .

هذه هي أصول المنهج الذي التزمه في وضع المصطلح واهتدى به ، يُضم إليها كثير من التفاصيل والدقائق التي توضح طرق تطبيق هذه الأصول والتي أفصح عن أكثرها في كتابه : المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، وكان يرى أن مجال الترجمة والاشتقاق والمجاز في نقل ألفاظ المعاني الأعجمية إلى اللغة العربية أوسع من مجال التعريب ، أما في نقل أسماء الأعيان الأعجمية فالأمر معكوس . ويجعل الشهابي للترجمة شأناً كبيراً في وضع المصطلح ويدعم رأيه بقوله : « والدليل على ذلك أنني أوجدت في معجم الألفاظ الزراعية نحو ألفي لفظة عربية تدل على نباتات زراعية ما كان يعرفها أجدادنا وليس لها أسماء بلغتنا » .

فإذا تجاوزنا الترجمة ، فإن الشهابي يضع الاشتقاق في المرتبة الأولى في وضع المصطلح ويرى أن باب الاشتقاق واسع ، وأن فيه مجالاً لتنمية اللغة والمصطلح العلمي خاصة . وكان يشتق من أسماء الأعيان اشتقاقه من أسماء المعاني وقد أفاد من ذلك كثيراً في وضع مصطلحاته .

ويأتي المجاز في المرتبة الثانية ، ويذكر الشهابي كثرة المصطلحات التي تمت

بطريقه ، كالقطار والسيارة والمدرعة والطرادة والمدمرة والغواصة والباخرة[١].

أما النحت فقد تخوفه الشهابي ، ولم يلجأ إليه إلا قليلاً في حال الضرورة ، لأن النحت يحتاج إلى ذوق سليم ، وقد يكون ضرره أكبر من نفعه .

ولم يتسع الشهابي في التعريب ، ورأى ألا يؤخذ به إلا إذا تعذر العثور على كلمة عربية قديمة ، تقابل الكلمة الأعجمية ، أو تعذر إيجاد كلمة عربية تفيد معنى الكلمة الأعجمية بطريق الاشتقاق أو المجاز .

— وأصبح المصطلح العلمي شغل الشهابي الشاغل ، كانت تتجلى له مأساة المصطلح العلمي في أمرين :

أولهما : مسلك من آثروا التعريب ، فكانوا يقبلون الكلمة الأجنبية على علاتها لتدخل في أضعاف الجملة العربية ، وكان يرى أن مثل هذا الاتجاه خطر ، إذ أن هذه الكلمات لها دلالتها الاشتقاقية في اللغة الأجنبية ، فالقارىء الأجنبي حين يقرؤها يتبادر معناها إلى ذهنه ، أما القارىء العربي فهو أمام لفظ لايفقه أصوله ، ولو ترجم له اللفظ الأجنبي بدل تعريبه لفهم منه محتواه ومضمونه ، إلى جانب إغناء العربية بمعان جديدة بدل تهجينها بألفاظ أعجمية .

والثاني : تعدد الألفاظ الموضوعة المصطلح الأجنبي الواحد ، وهو أمر لايقل خطراً عن سابقه ، فاللفظة الأجنبية الواحدة تنقل بألفاظ عربية

---

(١) في كلمة للأستاذ محمد الخضر حسين عرض للمجاز والنقل ومايكسبان اللغة من ثروة ، وما يقومان به في سد حاجات العلوم وما يتجدد من مرافق الحياة ، وأدخل كلمات القطار والبرق والمدرعة (أو الدارعة) والسيارة والغواصة في باب النقل (دراسات في اللغة : ٥ - ١٦) .

مختلفة ، باختلاف العلماء في الطريقة التي يريدون بها نقل اللفظة إلى العربية : أهي الترجمة أم الاشتقاق أم المجاز أم النحت أم التعريب ، وباختلاف أذواقهم اللغوية في اختيار اللفظة الملائمة ، ومثل هذا النهج يؤدي إلى الضياع وبعثرة الجهود ولا بد من أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إليها .

وقد انتهى الشهابي إلى ضرورة البدء بتأليف معجمين : معجم فرنسي عربي ومعجم انكليزي عربي يشتملان على أصح الألفاظ العربية في المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، مما يحتاج إليه في التعليم الثانوي وفي قسم من التعليم العالي على الأقل : تعرّفُ الألفاظ العربية فيها تعريفاً علمياً موجزاً دقيقاً ، وتلتزم الحكومات العربية باستعمال ألفاظ المعجمين في إداراتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية .

وقد استأثرت به هذه الفكرة استئثاراً ملك عليه نفسه إذ وجد فيها وحدها طريق الخلاص من فوضى المصطلح العلمي ، ولهذا مالهج بها وردّد ذكرها في غير موضع من كتبه ومقالاته .

— وكان من أعمال الشهابي في باب المصطلح العلمي ، توليه رئاسة اللجنة التي عهد إليها بوضع المعجم العسكري . وقد اتخذت اللجنة المعجم العسكري الكندي أساساً لعملها ، وصدر المعجم في عام ١٩٦١ ، وكان أوسع معجم عسكري عربي ، اشتمل على نحو خمسة وثلاثين ألف لفظة في كل قسم من قسميه : الفرنسي - العربي ، والانكليزي - العربي .

— لم يفت الشهابي ، وهو المنقب في بطون المعجمات العربية القديمة يسائلها عن طلبته من المصطلح ، أن يتبين تخلفها عن الاستجابة لمطالب العصر العلمية ، على مابذله أصحابها الأقدمون من جهود صادقة في تصنيفها ، وقد دلّ الشهابي على تسعة أنماط من العيوب ساقها نماذج لما يعتور المعجمات العربية

القديمة من نواقص وعيوب ، مما ألمّ به وهو يتابع موضوع المصطلح العلمي وقد قصر القول فيما ضربه من أمثلة على أسماء المواليد ، مجال اختصاصه ، لم يجاوزه إلى سواه من ألوان العلوم والمعارف . وخرج من ذلك إلى ضرورة أن يكون المعجم صورة دقيقة لمعارف العصر وعلومه . ولكن ما الطريق إلى ذلك ؟ رأى الشهابي أن العود إلى المعجمات القديمة بالتشذيب والتنقيح لتلبي متطلبات العصر ، من أشق الأمور ، وهو مضيعة للجهد والوقت ، والطريق الصحيح أن نبدأ تصنيف معجم لغوي جديد يشتمل على الضروري من ألفاظ المعجمات القديمة ، وعلى مايستقر عليه الرأي من ألفاظ العلوم والفنون والمخترعات الحديثة ، وأن تعرف جميعها تعريفاً علمياً صحيحاً على مقتضى المعاني في معارف العصر .

* * *

وثمة ميدان آخر لايتصل بالزراعة ومصطلحها ، ألف فيه الشهابي وحاضر ، ذلك هو موضوع القومية العربية ويقظتها وصراعها الاستعمار ، وكنت بينت في مطلع الترجمة أن الشهابي عاش في الآستانة بصحبة أخيه الأكبر الأمير عارف ، وكان الأمير عارف من أشد دعاة القومية العربية حماسة وأكثرهم اندفاعاً وتوقداً ، عمل في سبيل القضية العربية سراً وجهراً في الآستانة ودمشق وبيروت .

وتلقى الأمير مصطفى عن أخيه حب العروبة والعربية ، وكان من شهود اليقظة العربية ، عرف الدعوة العربية في أواخر أيام السلطان عبد الحميد حين كان طالباً في الآستانة ، واطلع على نشاط الشبان العرب في الآستانة وباريس في ظلّ حكم الاتحاديين ، وكان من المؤمنين بالقومية العربية

ذا صلة بدعاتها ، فلما وقعت الواقعة بين العرب والترك ، وقام جمـال السفاح بفعلته الشنعاء ، كان الأمير عارف الشهابي في مقدمة قوافل الشهداء الذين أعدموا شنقاً ببيروت في السادس من أيار عام ١٩١٦ ، قضى في ربيع العمر وهو ابن سبع وعشرين سنة ، أنضر ما كان شباباً ، وأشد ما كان تضحية وعطاء . وكانت الصورة بليغة التأثير في الأمير مصطفى الذي أحب أخاه أشد ما يكون الحب ونعم بصحبته في الآستانة واستمع إلى أحاديثه في القومية العربية وفي دعوة العرب إلى النهوض ليستأنفوا مجدهم الغابر ، ويقيموا دولتهم الواحدة ، وظل الشهابي يذكر لأخيه فضله وتعليمه ، وأنه معلمه الأول في هذا الباب : علمه حب العروبة ، وعلمه حب العربية ، صرح بذلك في الإهداء الذي صدر به كتابيه : معجم الألفاظ الزراعية ، والقومية العربية .

ولما قامت الحكومة العربية بدمشق عام ١٩١٨ أصبح الشهابي أحد أعضاء جمعية (العربية الفتاة) ، وتوالت الأحداث سراعاً ، وشاهد الشهابي المستعمرين الفرنسيين وهم يطيحـون بآمال العـرب وينزلون بالبلاد صنوف الشرور والآثام ، وتكشفت له نياتهم الخبيثة بكل شناعتها حين سافر إلى باريس عام ١٩٣٦ عضواً في الوفد السوري المفاوض .

كان مؤمناً بالقومية العربية الايمان الراسخ « .. نهضتنا الحديثة يجب أن تبنى على أساس القومية العربية الخالصة ... ولا حياة لنا إلا بالتشبث بالنزعة القوميـة الصحيحة المبنية على احترام السلف الصالح والإشادة بمجده وعظمتـــه ، والتمسك بكل ما أبقاه لنا من تراث علمي وأدبي يصلـح لهـذه الأيام ».

وقـــد خلّـف الشهابي في هـذا المجال كتابيه في الاستعمار وفي القوميـة العربيـة :

ألف كتاب الاستعمار في عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ، وبحث فيه تاريخ الاستعمار وأساليب المستعمرين ، وطرائقهم في استغلال الشعوب المستعمرة ثم أفرد البلاد العربية بدراسة خاصة ، وإذا كان الشهابي قد ألقى كتابه محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، فإنه كان قد بدأ التفكير في تأليفه منذ سنة ١٩٣٦ وله مقالة بعنوان (الاستعمار الأوربي للعالم الشرقي) كتبها في عام ١٩٤٨ حين كان محافظاً للاذقية ، تضمنت بذور ما جاء في كتاب الاستعمار .

ثم أصدر كتابه في القومية العربية عام ١٩٥٩ (أعيد طبعه عام ١٩٦١) وكان قد ألقاه محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة وبدأه بالحديث عن القومية عامة وعواملها ليخلص من ذلك إلى الحديث عن القومية العربية ونشوئها ويقظتها ، ومظاهر نضالها في العهد العثماني ، ثم في ظل الاستعمار الغربي ، وقد عرض الشهابي لتعريف العربي فذهب إلى أنه من تكلم العربية وأراد أن يكون عربياً ، ثم لخص مضمون دعوة القومية العربية التي بسطها في كتابه بقوله في الخاتمة : « ويتضح من ذلك أن القومية العربية ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولامذهباً اجتماعياً محدوداً ، قوامه الأثرة أو التعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ، ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ولمستقبلها ، كما تدعو إلى محبة الإنسانية ، وإلى خير البشرية ، وإلى حق كل شعب على الأرض بتقرير مصيره ».

ويحسُّ قارىء كتابيه في الاستعمار والقومية أن قيمتها الأولى تكمن في أن مؤلفها كان أحد شهود الحركة القومية أيام يقظتها ، فهو يتحدث حديث عيان ومشاركة ، أو حديث سماع لايقل صدقاً عن العيان ، « وكثير

من المعلومات التي اشتملت عليها المحاضرات مقتبسة من مذكراتي أو معتصرة من ذاكرتي ، فقد شهدت في الشام مولد عقيدتنا القومية المنظمة في أوائل القرن الحاضر ، واتصلت منذ ذلك الزمن إلى يومنا هذا بمعظم زعمائها من شهداء وأحياء ، فحقّ علي أن أدلي دلوي بين الدلاء وأن أطرح رأيي في جملة الآراء » .

ومن هنا فإن عبارة المؤلف في كتابيه كانت تعنف وتشتد ، وهو يذكر أحداثاً في العهد العثماني شاهدها ولابسها ، كان كره الأتراك العثمانيين يتجلى في سطوره ، وكيف ينسى لهم أنهم أرادوا وأد القومية العربية ، ومحو اللغة العربية .« أما عهد الأتراك العثمانيين فقد كان في الجملة أسوأ عهد مر على العربية وآدابها : اتخذوا اسطنبول عاصمة لهم وجعلوا التركية وحدها لغة حكومتهم الرسمية حتى في بلادنا العربية ، وكان ذلك ضربة أصابت لغة القرآن في الصميم » .

ويتصل بهذا الميدان العلمي ماقام به الشهابي من محاضرات ومقالات وأحاديث تناول فيها موضوعات قومية وأدبية وفلسفية وفنية ، فقد كان رحمه الله جم النشاط ، كثير القراءة ، لم يحبس نفسه على دراسة العلوم الزراعية ووضع المصطلح العلمي ، على شدة تعلقه بها ، بل فسح لها فقرأ أمهات الكتب العربية قراءة درس واستفادة ، وتابع مسيرة الأدب العربي الحديث منذ أوائل هذا القرن ، وساعده اتقانه اللغة الفرنسية فطالع كتب أعاظم الأدباء الفرنسيين ، وأفاد من أفكارها وصورها البيانية ، وتجلت آثار ذلك في مقالاته : أفكاراً وأسلوباً ، بل إنه يصرح لك أحياناً بالمطالعات التي أوحت إليه مقالته ، فعله حين كتب مقالة : العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية ، أو حين ترجم بتصرف مقالتي المصنفات والانتقام . وقد ضم الشهابي مجموعة من

هذه المقالات في كتاب سماه (الشذرات) نشره في عام ١٩٦٦ .

أيها الحفل الكريم :

قال ابن مناذر : سألت أبا عمرو بن العلاء : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ? قال : ما دامت الحياة تحسن به . ولم أجد صفة تصدق على فقيدنا الشهابي صدق هذه الجملة ، فهو يحب الكتاب حباً جماً يستبد به ، وهل ننسى أن من جليل أعماله بناءه داري الكتب في حلب واللاذقية حين كان محافظاً لهما ، استجابة لهذه النزعة الأصيلة في نفسه ، وهو دؤوب على الدرس والمطالعة لايسأم العمل ، يتبين ذلك جلياً واضحاً من نظر في كتبه وتابع مقالاته ، إن مؤلفاته في الثلاثينات دونها في الأربعينات أو الخمسينات مادة وأسلوباً . ويروعك وأنت تنظر في طبعتين لكتاب من كتبه هذا التدقيق في الأسلوب ، وهذه الزيادات والإضافات والتصحيحات . كان حبه للمعرفة وإيثاره جانب الحق وتعلقه بنصاعة البيان العربي تدفعه أن يعيد النظر فيما ألف وكتب ، ويدقق فيه وينقح ويستكمل النقص ، يساعده على ذلك كثرة مطالعاته وتنوعها ، وأكتفي بمثل واحد أسوقه لأدلل على ما قدمت ، ذلك هو كتاب معجم الألفاظ الزراعية ، فأنت حين توازن بين طبعتيه ، تجد المؤلف وقد صارحك بأنه عدل في طبعته الثانية عن بعض المصطلحات العربية إلى ماهو أصلح منها ، ونقح بعض مواد الطبعة الأولى وشرح بعضها بإيجاز ، وأضاف نحو ألف مادة جديدة ، واستكثر من المصادر التي رجع إليها ، أما حديثه عن طريقته في وضع المصطلح فقد تبدل تبدلاً تاماً .

كان الشهابي مطبوعاً على التنقيح والتثقيف في مادته وفي أسلوبه ، يؤثر في كتابته الأسلوب العلمي الذي يجنح إلى المساواة بين المضمون والعبارة ، إلا في مقالاته الأدبية التي لابد من أن ينسق فيها بين المضمون

والأسلوب ، وكان يضمن أحياناً مقالته الأدبية أبياتاً من الشعر يزين بها كلمته . وقد ترد في عبارته الفاظ ندر استعمالها وهي عذبة على السمع فآثرها ليغني لغة الكتابة ، أو لتحل محل الالفاظ الاعجمية الدارجة. وهو أثر من آثار حبه العربية ، وتعلقه بها .

– ولكن الشهابي لم ينج ، بل لعله ما أراد أن ينجو من غلبة فنه الزراعي عليه ، تتراءى لك وأنت تقرأ مقالة له أدبية ، كلماتـه الزراعية الحلوة ، يستعين بها وهو يعرض لصفة الطبيعة وما تجملت بـه من أنواع النبات وصنوف الحيوان ، بل إني أراه كان يتعمد ذلك ، يدفعه إليه ما كان يمر به من أغلاط الكتاب أو جهلهم حين يعرضون لصفة الطبيعة ، وفي مقالته (أدباؤنا والألفاظ العلمية) إشارة إلى ذلك بينة . وأمر ثان كان يغريه باصطناع الألفاظ العلمية في مقالاته الأدبية وهو أن يثبت بالعمـل طواعية اللغة العربية على تمثل هذه الكلمات ، إنه لايريد للكلمات العلمية أن تظل حبيسة الكتب بل يريد لها أن تخرج إلى الفضاء الواسع ودنيـا الناس ، تتداولها الألسنة وتجـــري بها الأقلام ، فكأنما كان يرمي من مقالاته الأدبية أن تكون نماذج حية لمرونة اللغة العربية وتقبلها الألفاظ العلمية الدقيقة أحسن قبول .

* * *

هذه لمع تناولت بها جوانب من حياة فقيدنا العالم المجمعي ، أهلتـه لتبوؤ تلك المكانة العالية الرفيعة في أوساط العلماء واللغويين ورشحته لمناصب علمية شغلها بكفاية ومقدرة .

انتخب الفقيد في سنة ١٩٢٦ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وانتخب بعدها في سنة ١٩٤٨ عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ عضواً عاملاً فيه . وانتخبه المجمـع العلمي العراقي في سنة ١٩٦١ عضواً مراسلاً .

وفي ١٤ تموز ١٩٥٦ انتخب نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي .

وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٥٩ انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق لمدة أربع سنوات خلفاً للرئيس الراحل خليل مردم ، فكان ثالث رئيس للمجمع ، بعد الأستاذين الجليلين محمد كرد علي وخليل مردم ، ثم جدد انتخابه لرئاسة المجمع مرة ثانية وثالثة . ومنحته الجمهورية العربية السورية جائزة الدولة التقديرية في ٨ تشرين الثاني ١٩٦٦ فكان أول من منح هذه الجائزة .

★ ★ ★

عرفته ، رحمه الله ، في عام ١٩٦٣ ، وكنتُ إذ ذاك وزيراً للتربية ، وكان المجمع مرتبطاً بها : جاء يحدثني في أمور المجمع ، وما ينتظره له وكيف تتحقق وحدة المصطلح العلمي ، كان بادي النشاط ، عالي الهمة ، وكأنه لايأبه لما ألمَّ به من مرض ، والتقينا بعد ذلك مرات ، وكنا معاً من خطباء الحفل الذي أقامته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في التاسع والعشرين من نيسان ١٩٦٤ على مدرج جامعة دمشق ، تأبيناً للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . كانت كلمته عن (العقاد في مجمعي اللغة) وكانت كلمتي عن (العقاد الناقد) ، وسافرت من بعد إلى الجزائر ، وكان يسعدني أن أقرأ له مقالاته في المصطلح ، ذلك الموضوع الذي نذر له نفسه ، فجوّد فيه ماجوّد حتى بلغ الغاية ، وظل حياته كلها مشرع القلم ، يدعو الدعوة الحارة لتكون العربية لغة العلم في الجامعات ، ويسعى السعي الحثيث لإنجاح مشروعه في توحيد المصطلح العلمي حتى وافاه الأجل ، وهو وراء مكتبه ، في الثالث عشر من أيار سنة ١٩٦٨ ، وقد أتم آخر مقالة له (في النسب إلى كيمياء وأشباهها) . وقد أوصى أن ينقش على قبره :

أم اللغات قضيت العمر أخدمها فهي الشفيعة في غفران زلاتي

فليرحم الله أبا لميس الرحمة الواسعة العميقة جزاء ما قام بـــه في خدمة العربيـة .

★ ★ ★

يطيب لي وأنا في ختام كلمتي أن أنوه بما لقيه مجمع اللغة العربية من رعاية السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي تفضل فاستقبل رئيس المجمع والمجمعيين في التاسع عشر من أيار سنة ١٩٧٣ ، وتحدث إليهم عن مكانة اللغة العربية والتراث في حفظ وحدة الأمة العربية ، واتصال حاضرها بماضيها المشرق ، وأكد لهم تصميم القطر على الالتزام بالعربية في التدريس في كل مراحل التعليم ، لأنها المقوم الأساسي في قيام النهضة العربية وأبدى السيد الرئيس تقديره لرسالة المجمع وعمل المجمعيين في حماية العربية وتنميتها وإحياء تراثها ، واستمع إلى ما عرضه رئيس المجمع من شؤون المجمع وأمر بدعم ميزانيته وتوسيع ملاكه وبناء مقر له جديد[1] ، يوازي مكانته العلمية ليأتي عمله في مستوى المهام الكبيرة المنوطة به .

أشكر لكم جميعاً تفضلكم بالحضور

والسـلام عليكم

---

(١) خصصت محافظة مدينة دمشق قطعة أرض في حـــي المالكي بجانب ثانوية محمد بن القاسم الثقفي ليشيد عليها مبنى مجمع اللغة العربية بدمشق . وقام وزير التعليم العالي بارساء حجر الأساس في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٧٥ ، في حفل اقيم تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية ، تقديراً لمكانة المجمع ، وتنويهاً برسالته في خدمة العربية .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
نشأة الخط العربي وتطوره	محمود شكر الجبوري	بغداد ١٩٧٤
المجموعة الإحصائية السنوية	وزارة التخطيط العراقية	« ١٩٧٢
الإسلام أولاً	محمد الفرحاني	بيروت ١٩٦٥
تاريخ داريا	الخولاني .تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني	« ١٩٧٥
الحروب الصليبية الأوربية التاسعة	محمد الفرحاني	« ١٩٧٣
دراسات في تاريخ الخط العربي	الدكتور صلاح الدين المنجد	« ١٩٧٢
فارس الخوري وأيام لا تنسى	محمد الفرحاني	« ١٩٦٥
رسائل من السجن	أحمد طالب الإبراهيمي. تعريب الصادق مازيغ	تونس ١٩٦٩
الأرض غير المقدسة	ا. سي فورست . ترجمة محمود فلاحة	دمشق ١٩٧٥
اقتصاديات التجارة الداخلية في سورية	منير الحمش	« «
انتحار الديمقراطيات	كلود جوليان . ترجمة عيسى عصفور	« «

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
الأوائل (القسم الأول)	أبو هلال العسكري. تحقيق محمد المصري ـ وليد قصاب	دمشق ١٩٧٥
باقة من العبير واللهب	علي محمد حسن	ـ ـ
بستان السحب	أحمد سليمان الأحمد	ـ ـ
بقايا صـــور	حنا مينه	ـ ـ
بقعة ضوء	رياض عصمت	ـ ـ
بول سيزان	طارق الشريف	ـ ـ
تاريخ القضاء الإداري ونظام مجلس الدولة في سورية (نصوص دستورية وإدارية غير منشورة).	الدكتور عدنان الخطيب	القاهرة ١٩٧٥
الترموديناميك الهندسية وانتقال العمل والحرارة	ج. ف س روجرز ، ي رمايهيو .ترجمة برهان داغستاني	دمشق ١٩٦٥
التعويض الكامل في طب الأسنان	ج لوجوايو .ترجمة الدكتور عبد الغني السروجي ، مراجعة الدكتور ميشيل خوري	ـ ـ
دور العلم والتكنولوجيا في البلدان النامية	غراهام جونس . ترجمة هشاب دياب	ـ ـ
ديوان بدر الدين الحامد ، شاعر العاصي (١ ـ ٢)		ـ ـ
رديف المقاتلين (الجبهة الداخلية في حرب تشرين التحريرية)	القيـــادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي	ـ ـ
السيف الخشبي	عادل أبو شنب	ـ ـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
شعر أبي حية النميري	جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري	دمشق ١٩٧٥
الطبيعة في الفيزياء المعاصرة	فرنر هازنبرغ ، ترجمة قسطنطين قدسي	〃 〃
العالم الفقير يتحدى	غونار ميردال ، ترجمة عيسى عصفور	〃 〃
عسر الحضارة	فرويد ، ترجمة الدكتور عادل العوا	〃 〃
عندما جاءت عصافير الدوري	ليدا ميليفا ، ترجمة عيسى فتوح	〃 〃
قراءة رأس المال (الجزء الثاني)	لويس ألتوسر ، ترجمة تيسير شيخ الأرض	〃 〃
الكليات (القسم الثاني)	أبو البقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش - محمد المصري	〃 〃
ماهو علم البيئة	د.ف اوين ، ترجمة باسل الطباع	〃 〃
المسرح المغربي	أديب السلاوي	〃 〃
مصدر الأزمة الخطيرة	لاديكين ، ترجمة هاشم حمادي	〃 〃
الممثلون يتراشقون الحجارة	فرحان بلبل	〃 〃

اســم الكتاب	اسم المؤلف أو المحقق	مكان الطبع وتاريخه
نصوص مختارة	سان سيمون ، ترجمة سعيد القضماني، مراجعة يحيى علي أديب	ـــ ـــ
غمائم الخريف	رياض معلوف	زحلة ١٩٧٤
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام (الجزء الثاني)	الذهبي ،تحقيق حسام الدين القدسي	القاهرة ١٩٧٤
شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١ - ٢)	الحميري	القاهرة
مع رجال الفكر في القاهرة	مرتضى الرضوي	القاهرة ١٩٧٤
الخبرات التاريخية المجتناة من الإصلاح الزراعي في بلادنا		كوريا ١٩٧٤
التاريخ المنصوري	محمد بن علي الحموي	موسكو ١٩٦٣
أعلام الطب الحديث (الجزء الأول)	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٦٧
جبابرة العقل البشري (١-٢)	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٦٠
خوارق الإدراك لما وراء الحس والحواس الخمس	كريم الشيخ إسماعيل آل كاشف الغطاء	النجف ١٩٧٤
الزورق والرياح	محمد رضا آل صادق	النجف ١٩٧٥

تصويبات لأخطاء في الأعداد السابقة

أ ـ في المجلد التاسع والأربعين :

ص	س	الصواب
٨٣٨	١٧	وذلك لوقوعها
٨٣٩	١٢	ولذا
٨٤٤	١١	لقد رأى الرواة في
٨٥٥		٦٩٠ م

ب ـ في المجلد الخمسين :

ص	س	الصواب
٣٢٧	٢	عبد الرحمن المرتضى
٤٧٦	١	الخمسين
٤٧٩	١٢	خواطري
٤٩١	١٨	Nisan
٥٠٥	١٠	بالرُؤى
٥٧٢	١٤	١٨/٢
٥٧٨	٢	إلاّ
٦٠٧	١٤	من
٦١٥-٦٢٣		في رؤوس الصفحات اليسرى ذكر اسم المترجم والصواب اسم صاحب المقال : رودلف زلهايم
٦١٨	١٨	ناشرا
٦٦٨	١٥	ثلاثة عشر ألف
٦٨٤	٤	إثرهن
٦٨٤	٦	ما اسطعت
٦٨٩	٨	خاص الخاص

الفهارس العامة للمجلد الخمسين

ا ـ فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

ب ـ فهرس الأعلام ـ كتّاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخمسين

الصفحة | المقـــالات

التعريف والنقد

آراء وأنبـاء